تفسير

المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

لمؤلفه العارف الكامل والولي الواصل مولانا

السيد حيدر الآملي

المتجلي والمتوفى في القرن الثامن

المجلد الأول

حققه وقدم له وعلق عليه

السيد محسن الموسوي التبريزي

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمد لله الّذي قال: قل هو الله أحد الله الصمد، والصّلاة والسّلام على عبده ورسوله الخاتم الّذي شرّف الله سبحانه الصّلاة بالصّلوات عليه وآله، وعلىٰ أهل بيته الأطهار أُولي الأمر الّذين هم صُحبان العصر وقادة الأُمّة.

وبعد فهذه كلمة من المحقّق تقديماً للكتاب باللّغة العربيّة، علىٰ أن ستأتي نفس المقدّمة باللّغة الفارسيّة أيضاً إن شاء الله تعالىٰ.

ولا بأس بالإشارة إلى العناوين الّتي سنذكرها في هذه المقدّمة وهي كما يلي:

ألف ـ تقرير حول تحقيق الكتاب.

ب ـ مميّزات الكتاب ونواقص النّسخة المخطوطة.

ج ـ عنوان الكتاب واسمه.

د ـ وصف النّسخة الخطّيّة ونفس تفسير المحيط الأعظم في كلمات بعض الأعلام.

هـ ـ وصف تفسير المحيط الأعظم في كلمات المؤلّف، والموازنة بينه وبين القرآن وكتاب فصوص الحكم.

و ـ مراحل السّير والسّلوك العلمي والعملي للسيّد الجليل المؤلّف وذكر مؤلّفاته ومشايخه.

ز ـ فيض الحقّ سبحانه وتعالىٰ على المؤلّف، وعِلمُهُ اللّامتناهي، وطريق تحصيل العلم والمعرفة.

ح ـ منامات السيّد المؤلّف وتمثّلاته.

ط ـ الموازنة بين المؤلّف وسلمان بلسان المؤلّف.

ي ـ التّأليف والتصنيف باللّغتين: العربيّة والفارسيّة.

ك ـ الإعتذار عن العجمة في العبارات.

ل ـ نقل المطالب من كتب القوم.

م ـ تكرّر المطالب وبعض العبارات في كتب المؤلّف.

ن ـ البُعد عن التعصّب في المباحث العلميّة.

س ـ التواضع وطلب الإصلاح.

ع ـ التشيّع والعرفان ـ الشّيعة والعارف.

ف ـ الجمع بين الشّريعة والطّريقة والحقيقة.

ص ـ بيان العرفان بلسان البرهان، والجمع بين البرهان والعرفان والقرآن.

ق ـ دليل إقامة البرهان لإثبات الحقائق العرفانيّة.

ر ـ القرآن ومباني الإدراك والمعرفة.

ش ـ الجداول والدوائر.

ت ـ كتمان الأسرار والوصيّة به.

ث ـ مقالة حول التفسير والمفسّر وأسماء الله الحسنىٰ، ودرجات الإنسان ودركاته.

خ ـ الأُنس بالقرآن والتّدبّر فيه، وأنّ مضمون القرآن هو الله سبحانه والإنسان فقط.

ذ ـ الأسماء الحسنى الإلهيّة ومقامات الأنبياء وأسماء القرآن.

ض ـ هل أنّ معرفة مقام الرّسول الخاتم (ص) ممكنة ؟

ظ ـ تفاوت درجات الأنبياء في القرآن.

غ ـ تفسير الإنسان وبيان درجات صعوده ودركات سقوطه في القرآن.

تقرير حول تحقيق الكتاب

منذ سنوات غير قصيرة خلت، وقفت على الكتابين الجليلين جامع الأسرار ونقد النقود، للسيّد الأجل العارف الكامل الواصل السيّد حيدر الآملي قدّس سرّه، وكان ذلك بداية التعرّف على هذا السيّد العظيم من خلال تأليفاته، وكان من أهمّها كتاب التفسير، وكتاب نصّ النصوص، ولا سيّما أنّهما آخر ما دبّجه قلمه الشريف في آخر عمره المعطاء.

وقد رأيت أنّ هذين الكتابين جديران بالدّراسة والتحقيق، فعقدت العزم على إخراجهما بصورة تتناسب ومكانتهما لِما لهما من الأهمّيّة والأثر، وما امتازا به من خصائص قلّ أن توجد في غيرهما من هذه النوعيّة من الكتب.

ومن حُسن التوفيق أنّي كنت في شهر رمضان المبارك من عام ١٤٠٤ للهجرة متشرّفاً بزيارة المشهد المقدّس للإمام الرّضا عليه السّلام، وكنت في مجلس ضمّ جمعاً من العلماء الأفاضل، ودار الحديث حول هذا التفسير القيّم، وقد أظهر الحاضرون الرّغبة الشّديدة في إخراج هذا الكتاب ونشره، ليكون مصدراً للإستفادة ومنهلاً عذباً للواردين، وفي ذلك الإجتماع المبارك صمّمت على إحياء هذا الكنز الخفيّ وأعددت العدّة لذلك. إلّا أنّ المشكلة الّتي واجهتنا هي العثور على نسخ الكتاب الخطّيّة ولم نعثر بعد الفحص والتتبّع ومراجعة المكتبات العامّة والخاصّة والفهارس المختلفة للمكتبات الدّاخليّة والخارجيّة وسئوال ذوي الكتب الخطّيّة إلّا على نسخة واحدة تشتمل على المجلّدين الأوّل والثاني فقط، وهي بخطّ المؤلّف من المكتبة العامّة لسماحة السيّد آية الله العظمىٰ السيّد شهاب الدّين المرعشيّ النجفيّ قدّس سرّه في مدينة قم المشرّفة.

وبعد الحصول على مصوّرة لهذا الكتاب، وقد تفضّل بها سماحة حجّة الاسلام والمسلمين السيّد محمود المرعشيّ مسئول المكتبة العامّة، وقد رحب بالفكرة وبذل جهوداً مشكورة في إنجاز هذا العمل، فله منّا جزيل الشّكر والتّقدير ونسأل الله تعالى له التوفيق لإحياء آثار أهل البيت عليهم السلام.

وقد عكفتُ على مطالعة الكتاب وتحقيقه ليلاً ونهاراً حتّىٰ جاء بهذه الصورة الماثلة بين يديك.

وقد تمّ تحقيق الكتاب في عدّة مراحل:

ألف ـ ترتيب صفحات الكتاب: كانت صفحات الكتاب مبعثرة وموضوعة على غير ترتيب، وقد خلط بعضها ببعض بصورة عجيبة، وقد تطلّب ترتيبها عملاً مضنياً وزمناً طويلاً، وبعد العمل المتواصل الّذي استغرق عدّة شهور وفقنا لإعادة ترتيب الكتاب ووضع صفحاته في أماكنها ومحالّها.

ب ـ نَسخ الكتاب: وقد واجهتنا في هذا الصّدد مشكلتان: الأُولىٰ قراءة الخط، والثانية نواقص الكتاب.

أمّا قراءة الخط فالكتاب وإن كان بقلم السيّد المؤلّف وخطّه الشريف وهو قلم مَنِحة من نور إلّا أنّ خطّ السيّد جاء بصورة خاصّة بحيث تعسّر أحياناً قراءته، ويتطلّب وقتاً طويلاً للإستئناس بطريقته في الكتابة، وقد استطعنا بحمد الله من قراءة ما كتبه السيّد بقلمه.

وينبغي أن نشير هنا إلىٰ أنّ الكتاب بقلم المؤلّف نفسه، فيكون الكتاب والنسخة المخطوطة من حيث وثاقتها وصدورها عن مؤلّفه فوق الشكّ والرّيب كما أنّ ذلك يزيد الكتاب قيمة واعتباراً خاصّين.

وأمّا نواقص الكتاب فهي تعود إلىٰ عدّة عوامل:

١ـ مرور الزّمن وطول المدّة.

٢ـ الأرضة والآفات وما أكثر إضرارها بالذّخائر والآثار.

٣ـ عدم الدّقّة والإهمال من قِبَل الورّاقين.

وهناك عوامل أُخرىٰ غير ما ذكرنا، كان لها الأثر في إتلاف قسم من هذه النسخة النادرة النّفيسة والّتي لم نعثر على نسخة أُخرى غيرها بل هي منحصرة عند فرد واحد. فلهذا وإلى الآن وبعد مضيّ عدّة سنين لا زالت بعض صفحات الكتاب لم تكتمل، ولكن مع عناية الله سبحانه وتعالى استطعنا التغلّب على كثير من العقبات بالنّسبة إلى ضبط الكتاب وقراءته، وذلك ببذل جهود مضاعفة مع الدّقّة، والتأمّل، والعمل المتواصل، والمطالعة المتكرّرة للكتاب، ومراجعة الآيات والروايات والأدعية، والكتب المختلفة الفلسفيّة والعرفانيّة والتفسيريّة واللّغويّة، والرّجوع المتكرّر لمؤلّفات السيّد العرفانيّة

المتعدّدة، وغيرها، وبذلك تمكّنّا من رفع كثير من الصّعاب والمشاكل والعلل.

ولكن ومع بالغ الأسف فقد أتلفت الأرضة قسماً من صفحات الكتاب من تفسير سورة البقرة. كما أنّ بعض الصّفحات المهمّة من الكتاب لايمكن الإستفادة منها لِما أصابها من التلف.

إلّا أنّنا نرجو أن نعثر على نسخة أُخرىٰ تكون أتمّ وأكمل لكي نتدارك بها هذه النواقص، ونسأل الله تعالىٰ أن يوفّقنا لذلك.

ثمّ إنّنا في موارد كثيرة من صفحات الكتاب والّتي سقطت بعض الكلمات منها إمّا لتلفها أو لعدم إمكان قراءتها، وضعنا أماكنها عدداً من النقاط بين قوسين.

ج ـ عنونة المطالب: الملاحِظ لكتب القدماء والواقف على منهجهم في التأليف، يعلم أنّهم لايُعَنوِنون المطالب، وإنّما يجعلون مباحثهم أحياناً تحت فصول فقط. وكان هذا الكتاب الشريف أيضاً على هذا المنهج، ولكن تتضمّن فصوله مطالب جمّة، ولهذا قمنا بوضع عناوين وفهرسة لمباحث الكتاب، وذلك من خلال الإستفادة من محتويات هذه الفصول.

د ـ إستخراج الآيات والأحاديث وغيرها من مصادرها، وفي هذه المرحلة وضعنا مصادر الآيات إلىٰ جانبها، وأمّا الأحاديث فقد بذلنا الجهد في مراجعة أصول الجوامع الرّوائيّة والكتب المختلفة الأُخرىٰ مع الفحص الكثير، وقد تمّ بحمد الله وتوفيقه إستخراج أكثر الأحاديث من مصادرها من كتب الحديث وغيرها، وكان سعينا في إرجاع الأحاديث إلى الكتب الرّوائيّة الّتي أُلّفت قبل زمان المؤلّف.

هذا وعلاة على ذلك أنّنا في الموارد الّتي لم نعثر فيها على متن الحديث الّذي استشهد به السيّد المؤلّف، ذكرنا الرّوايات الّتي تحمل نفس المضمون مع ذكر مصادرها، كما أنّنا أضفنا بعض المطالب والتعليقات عند ذكر هذه المصادر.

والجدير بالذكر: أنّ بعض الأحاديث المذكورة في هذا الكتاب ليست من مختصّاته، وقد ذكرت أيضاً في الكتب العرفانيّة المعتبرة الأُخرىٰ، ولهذا فما ذكرناه من التعليقات يصلح أن يكون مورداً للإستفادة بالنّسبة إلى سائر الكتب العرفانيّة أيضاً إن شاء الله تعالىٰ.

مميّزات الكتاب ونواقص النسخة المخطوطة

كان فراغ السيّد حيدر الآملي من تأليف كتاب تفسير المحيط الأعظم في شهر رمضان المبارك سنة ٧٧٧ هـ، وقد وضعه في سبعة مجلّدات.

وفي نفس الكتاب، وقبل الشروع في تفسير وتأويل آيات القرآن الكريم، وضع المؤلّف سبع مقدّمات كمدخل وإعداد بالنسبة إلى محتويات الكتاب، وقد ذكر عناوين تلك المقدّمات في المجلّد الأوّل من أصل الكتاب.

ولا بأس بنقل نصّ عبارة المؤلّف في بيان عناوين هذه المقدّمات وهي ما يلي:

المقدّمة الأولى، في بيان التأويل والتفسير والفرق بينهما وبيان أنّ تأويل القرآن واجب عقلاً وشرعاً.

المقدّمة الثّانية، في بيان كتاب الله الكبير الآفاقي وتطبيقه بكتاب الله القرآني الجمعيّ.

المقدّمة الثّالثة، في بيان حروف الله الآفاقيّة وتطبيقها بحروف الله القرآنيّة.

المقدّمة الرّابعة، في بيان كلمات الله الآفاقيّة وتطبيقها بكلمات الله القرآنيّة.

المقدّمة الخامسة، في بيان آيات الله الآفاقيّة وتطبيقها بآيات الله القرآنيّة.

المقدّمة السّادسة، في بيان الشريعة والطّريقة والحقيقة، وبيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة بإعتبارات مختلفة.

المقدّمة السّابعة، في بيان التوحيد وأقسامه ومراتبه من التوحيد الفعليّ والوصفيّ والذّاتيّ.

وممّا ينبغي أن يُذكر: أنّ الموجود عندنا من المجلّدات السّبعة المجلّد الأوّل والثاني فقط، ويحتوي الأوّل منها على المقدّمات السّبع المُشار اليها، وأمّا الثاني فيحتوي على تفسير وتأويل آيات سورة الحمد وقسم من آيات سورة البقرة، وأمّا المجلّدات الخمسة الباقية فليست عندنا كما أنّا لا نعرف عنها شيئاً.

وأمّا ما وقع بأيدينا من هذا الكتاب فسيقع بمشيئة الله تعالى وتوفيقه بعد تحقيقه في أربعة مجلّدات:

المجلّد الأوّل، يشتمل على المقدّمة الأولى.

المجلّد الثاني، يشتمل على المقدّمات الثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة.

المجلّد الثّالث، يشتمل على المقدّمة السّادسة وقسم من المقدّمة السّابعة.

المجلّد الرّابع، يشتمل على تفسير وتأويل سورة الحمد المباركة.

والجدير بالذكر أنّ هناك توضيحات كثيرة تتعلّق بميّزات هذا التفسير وردت في كلمات السيّد المؤلّف، سيأتي ذكرها في الأبحاث التالية.

نواقص النسخة المخطوطة

من جملة ما عرض على النسخة الموجودة من النقص والتلف غير ما ذكرناه سابقاً أربعة موارد مهمّة إلى الآن غير قابلة للتعويض وستبقىٰ كذلك ما لم نعثر على نسخة كاملة من الكتاب، ونذكر هذه الموارد الأربعة بحسب الترتيب التالي:

ألف ـ كان المؤلّف قدّس سرّه قد وضع خطبة للكتاب وفهرساً مفصّلاً، ذكر بعض ما قال فيهما في الموارد المختلفة خلال المقدّمات والتفسير وأحال بعض المطالب إليهما في أثناء الكتاب، إلّا أنّه مع الأسف لم يبق منهما إلّا الشيء القليل من خطبة الكتاب وما يتعلّق بالإشارة إلى عناوين المقدّمات السبع للكتاب، وأمّا بقيّة الخطبة والفهرس فقد تلفا تماماً.

وهنا ينبغي أن نشير إلى أمور:

الأوّل: أنّنا أفردنا الباقي من الخطبة في أوّل الكتاب بالذكر وجعلناه تحت عنوان: «بقيّة خطبة الكتاب».

الثّاني: أنّ الخطبة القصيرة الّتي جعلت في أوّل الكتاب هي الخطبة الّتي أنشأها السيّد المؤلّف قدّس سرّه عند شروعه في تفسير سورة الحمد وإنّما فعلنا ذلك لئلّا يكون أوّل الكتاب خالياً من الخطبة وسنذكرها إن شاء الله تعالىٰ في محلّها أيضاً.

الثّالث: يبدو أنّ المقدّمة السّابعة للكتاب كانت تحتوي على مطالب مفصّلة، ويقوّي الإحتمال أنّ مطالبها مشابهة لمطالب كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار إلّا أنّه مع الأسف لم يبق منها إلّا صفحة واحدة بخط المؤلّف والبقيّة مفقودة.

الرّابع: إنّ الجزء الثاني الّذي وضع مع الجزء الأوّل في مجلّد واحد في النسخة

المخطوطة، شامل لتفسير وتأويل سورة الحمد وقسماً قليلاً (٥٤ آية) من سورة البقرة، ولكن مع الأسف أتلفت الأرضة مقدار الثلث من كلّ صفحة من القسم الخاصّ بتفسير سورة البقر وهو غير قابل للتعويض وما بقي منه فهو أيضاً خارج عن حدّ الإستفادة إلّا أنّ بعض الصفحات والسطور بقي سالماً واستخرجنا بعض المطالب منها وسنضيفها في المجلّد الرّابع المطبوع بعد سورة الحمد إن شاء الله تعالىٰ.

الخامس: أشرنا فيما سبق إلى أنّ مقدار خمسة أجزاء من التفسير ـ وهي تشتمل على تفسير القرآن بكامله ما عدا سورة الحمد، وهذه أيضاً من الموارد الّتي تعتبر من الخسائر الّتي لا تُعوض ـ تعدّ من أكبر المفقودات.

إسم الكتاب وعنوانه

أمّا ما يتعلّق باسم الكتاب فأنّ من اليقين أنّ إسم الكتاب وعنوانه يتناسب مع أهميّة الكتاب وقيمته، وقد ورد في كلمات السيّد تسمية الكتاب باسمين هما:

ألف: المحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، وقد وضع السيّد المؤلّف نفسه هذا الإسم في نهاية المقدّمات السّبع من المجلّد الأوّل وفي أوّل المجلّد الثاني عند الشروع في تفسير فاتحة الكتاب وقال هناك ما هذا لفظه:

«الله مفتّح الأبواب».

«هذا المجلّد الثاني من الكتاب الموسوم بالمحيط الأعظم والبحر الخِضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم للعبد الفقير إلىٰ رحمة ربّه الغنيّ حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسيني الآمليّ أصلح الله شأنه ووفّقه لإتمامه بمحمّد وآله، وقد اتّفق ذلك سلخ شوّال بالمشهد المقدّس الغرويّ سلام الله علىٰ مشرّفه في سنة سبع وسبعين وسبعمائة هجريّة نبويّة».

ب: المحيط الأعظم والطّود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، وهذا العنوان ذكره السيّد المؤلّف في مقدّمات كتابه «نصّ النّصوص» ص ١٢، قاله في الكتاب المذكور عند بيان تاريخ مؤلّفاته وقبل بيانه سبب تأليفه لكتاب نصّ النّصوص، وهذا لفظه فيه:

«ثمّ بعد الكلّ في هذه المدّة الطويلة الّتي هي ثلاثون سنة كاملة، فرغت أيضاً من

تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ «المحيط الأعظم والطّود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» المرتّب على سبع مجلّدات كبار» وذكر هذا العنوان أيضاً لتفسيره في ص ٥٣٦ من كتاب «نصّ النّصوص» عند بيان سلوكه العلميّ والعمليّ.

وسنذكر كلام السيّد بتمامه إن شاء الله في قسم آخر من هذه المقدّمة تحت عنوان «مراحل السّير والسّلوك العلميّة والعمليّة للسيّد المؤلّف» فانتظر.

وهناك إسم ثالث للكتاب وهو: «المحيط الأعظم في البحر الخِضَمّ» وقد جاء في الصفحة الأولىٰ من النسخة المخطوطة بعد كلمة: وسمّيته ولكن لايمكن الإعتاد عليه وذلك لأنّ هذه الجملة مكتوبة بغير خطّ المؤلّف.

وصف النسخة الخطّيّة في كلمات بعض الأعلام، ذكرنا تلك الكلمات بلفظها باللغة العربيّة ص ١٥ إلى ١٨ تحت هذا العنوان في المقدّمة الفارسيّة، فراجع هناك.

والجدير بالذكر أنّ النسخة الخطّيّة الّتي ذكرها صاحب «الذريعة» ونقل بعض خطبتها وعناوين محتوياتها، يبعد أن تكون من هذا التفسير كما يبعد بحسب الأصول أن يكون الكتاب كتاباً في التفسير بل من المحتمل أنّه كتاب يشتمل على مباحث التوحيد شبيه بكتاب جامع الأسرار، كما يحتمل أن يكون هو المقدّمة السّابعة المفقودة من التفسير الّتي تناول فيها السيّد المؤلّف مسألة التوحيد.

ويحتمل أيضاً أن يكون كتاباً مستقلّاً من كتب السيّد قدّس سرّه؛ فانّ عبارات الخطبة المذكورة أي المنقولة في «الذريعة» لاتتناسب مع التفسير بل هي مناسبة لأن تكون خطبة لكتاب يتناول موضوع التوحيد، والله هو العالم.

هذا وقد قال الأستاذ كربن في مقدّمته لكتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص ١٧ في معرض الحديث حول النسخة الخطّيّة لتفسير المحيط الأعظم:

عثر الأُستاذ عثمان يحيىٰ في النجف بإشارة من الشيخ آقا بزرگ الطهراني في المكتبة الغرويّة على نسخة من التفسير العرفانيّ والتأويل الصّوفيّ الشيعيّ، ومع هذه النسخة الخطّيّة رسالة أيضاً بعنوان «رسالة العلوم العالية» وهي بخطّ المؤلّف وهي متأخّرة زماناً (٧٨٧) هجريّ، وتتناول جملة من المسائل في الحكمة. هذا من جانب ومن جانب آخر يقول الأُستاذ عثمان يحيىٰ في مقدّمته لكتاب جامع الأسرار ص ٥٤:

عثرنا على نسختين ناقصتين لهذا التفسير الهامّ.....

ذكرنا عباراته في ص ١٨ و ١٩ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها باللّغة العربيّة، فراجع.

أقول: والّذي يظهر أنّ كلاً من الأستاذين عرض لهما الإشتباه، لأنّ ما ذكره الأستاذ عثمان يحيىٰ على خلاف ما ذكره الأستاذ كربن، حيث ذكر أنّ نسخة التفسير لم يقف عليها مباشرة بل استند في ذلك إلى قول صاحب «الذريعة» الطهرانيّ.

وأيضاً على خلاف ما ذكره الأستاذ عثمان يحيىٰ فإنّ صاحب الذريعة صرّح بأنّ النسخة تقع في مجلّد واحد لا أكثر.

وأمّا النسخة الثّانية الّتي أُشير إليها في كلمات الأستاذ عثمان يحيىٰ فيحتمل أن تكون هي الّتي موجودة الآن في المكتبة العامّة المذكورة، إلّا أنّها ليست هي الأصل بل صورة منها وهي في مجلّدين، المجلّد الأوّل في تفسير سورة الحمد والمجلّد الثّاني في المقدّمات، وهذه النّسخة كتبت على طبق نسخة المؤلّف، وكلّ الإيرادات الواردة على نسخة الأصل تردّ على هذه النسخة أيضاً إضافة إلى أنّ هناك عدّة ملاحظات وإشكالات على هذه النسخة: من جملتها السقط الكثير فيها، ومنها أنّ الكاتب لم يستطع أن يقرأ بعض الكلمات من خطّ المؤلّف فترك أماكنها خالية.

وصف تفسير المحيط الأعظم في كلمات المؤلّف والموازنة بينه وبين القرآن الكريم وكتاب فصوص الحكم

يتحدّث السيّد حيدر الآملي عن كتاب التفسير في موردين من كتبه:

الأوّل في مقدّمات نصّ النصوص، الثاني في المقدّمة الأولىٰ من المقدّمات السّبع للتفسير، وأفضل وصف للتفسير مايكون من نفس المؤلّف، ولذا نذكر عبارات السيّد حول التفسير فيا يلي، ولا نحتاج إلى نقل ما ذكره حول التفسير في المقدّمة الأولىٰ هنا لأنّا سنورده في محلّه من هذا المجلّد، فراجع.

وأمّا وصفه للتفسير في مقدّمات نصّ النّصوص فقد قال في ص ١٢:

... تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ«المحيط الأعظم والطّود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» المرتّب علىٰ سبعة مجلّدات كبار، بإزاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدّين الرّازيّ، المعروف بـ«داية» قدّس الله سرّه، فإنّه رتّب كتابه علىٰ ستّة مجلّدات كبار، بعد

تسميته بـ «بحر الحقائق ومنبع الدقائق» ونحن أردنا أن يكون لنا تفسير على قرنه من الوجوه، وبمقتضى الحديث الوارد فيه أيضاً:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً، إلى سبعة أبطن».

وبمقتضى اشتماله (أي القرآن الكريم) على السّبعات المعلومة وغير ذلك ممّا أوجب ترتيبه عليها (السّبعة).

واشتهر ذلك (التفسير) في أكثر الأقاليم والبلدان، وتحقّقت صورته عند أعاظم أهل التحقيق والعرفان، وتقرّر بينهم أنّه عديم المثل والنظير لا سيّما في علوم القرآن، وأنّه ليس بكسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة الرحمٰن.

وقال أيضاً في ص ٥٣٦:

... ثمّ أمرني الحقّ بتأويل القرآن الكريم، فكتبته بعده هذا كلّه، فجاء في سبع مجلّدات كبار، وسمّيته بـ «المحيط الأعظم والطّود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» وذلك خرج في غاية الحسن والكمال، وظهر في نهاية البلاغة والفصاحة بعناية الملك ذي العزّة والجلال، بحيث ما سبقني أحد بمثله لا ترتيباً ولا تحقيقاً ولا تلفيقاً.

الموازنة بين التفسير ونصّ النّصوص وبين القرآن والفصوص

بعد أن وازن السّيّد المؤلّف بين نفسه وبين سلمان وذكر امتيازه على سلمان هنا، وازن بين كتاب التفسير وكتاب نصّ النّصوص وبين القرآن والفصوص، وبين كتابه وبين الفصوص والفتوحات، ويقول: كما أنّ للرسول الأعظم (ص) كتابين أحدهما نازل إليه، والثّاني صادر عنه، وكما أنّ الشيخ محيي الدّين له كتابان أحدهما نازل وواصل إليه والآخر صادر عنه، فكذلك نحن، لنا أيضاً كتابان أحدهما فيض لنا والآخر صادر عنّا، والكتاب النّازل لأجل النبيّ (ص) القرآن، والنّازل لأجل الشيخ الأكبر فصوص الحكم، والنّازل لأجلنا تفسير المحيط الأعظم، وأمّا الكتاب الصّادر عن النبيّ الأكرم (ص) فهو فصوص الحكم، والصّادر عن محيي الدّين بن عربيّ الفتوحات المكّيّة، والصّادر عنّا شرح الفصوص وكتاب نصّ النّصوص.

قال السيّد المؤلّف في مقدّمات نصّ النّصوص ص ١٤٧ بعد ذكر الموازنة بينه وبين

سلمان: «وبعد أن حصلت لنا المضاهاة في الكتب أيضاً مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومع الشيخ قدّس سرّه....» راجع في تمام العبارات ص ٢٢ إلى ص ٢٤ في المقدّمة الفارسيّة، فقد ذكرنا كلامه بلفظه باللّغة العربيّة.

مراحل السّير والسّلوك العلميّ والعمليّ للسيّد حيدر ومؤلّفاته ومشايخه

إنّ الّذي ينفعنا في مقام بينان أحوال السيّد حيدر الآمليّ والتعرّف على مراحل سيره وسلوكه العلميّ والعمليّ، وتعداد مؤلّفاته وذكر أسماء مشايخه هو ما كتبه السيّد نفسه بقلمه المبارك وسنورد عباراته بعينها، وذلك لأنّ أغلب كتب التراجم إمّا أنّها لم تذكر جميع ما يتعلّق بأحوال السيّد، وإمّا أنّها مشتملة على بعض الإشتباهات والأغلاط، وإن كنّا نعتمد على كتب التراجم في ذكر بعض أحوال السيّد الّذي كان صحيحاً عندنا وسنذكره إن شاء الله مع ذكر مصادره، ولكن الّذي هو مورد الإعتماد والإهتمام هو ما ذكره السيّد نفسه في مراحل حياته، وسنعتمد في ذلك على ثلاثة كتب من مؤلّفاته وهي تفسير المحيط الأعظم، ومقدّمات نصّ النّصوص، وجامع الأسرار.

أمّا ما ذكره في أحواله في التفسير فانّه ذكر في أواخر المقدّمة الأُولىٰ من المقدّمات السّبع أجداده وانتسابه للأئمّة الأطهار عليهم السّلام وسيره وسلوكه العلميّ والعمليّ، وذكر أيضاً أُستاذه في العلوم الظاهريّة والنقليّة وأيضاً ذكر أُستاذه في العلوم العرفانيّة، وكذلك ذكر ما يتعلّق بالاجازتين الصّادرتين له من أُستاذيه فخر المحقّقين ابن العلّامة الحلّي، والشيخ عبدالرحمان بن أحمد القدسي، وفيهما إشارات إلى بعض أحواله. قال:

أمّا البحث الأوّل المتعلّق بنسبتنا ... الخ، فراجع ص ٢٤ إلى ٣٠ من المقدّمة الفارسيّة ذكرنا عبارات السيّد بألفاظها العربيّة.

وأمّا ما ذكره في كتاب مقدّمات نصّ النّصوص فانّ السيّد في هذا الكتاب أراد أن يبيّن سبب تأليفه لكتاب نصّ النّصوص ولكن ابتدأ أوّلاً بذكر قسم من مؤلّفاته المهمّة بحسب الترتيب الزمنيّ لهذه المؤلّفات، ويستفاد من خلال كلماته أنّه كتب التفسير بعد ثلاثين سنة من الإشتغال بالتأليف والتصنيف لمختلف الكتب والرسائل، وآخر كتاب ألّفه

السيّد بعد التفسير هو كتاب «نصّ النّصوص في شرح فصوص الحكم».

وأشار السيّد أيضاً إلى مؤلّفاته بأنّه كتب بعضها باللّغة العربيّة وبعضها باللّغة الفارسيّة ولكن أكثرها كان باللّغة العربيّة.

كما يستفاد من كلمات السيّد إضافة إلى أسماء مؤلّفاته ما تحتويه هذه المؤلّفات من المطالب والأبحاث، ولذا يمكن التعرّف الإجماليّ على محتويات هذه الكتب من خلال الوقوف على عبارة السيّد الّتي ذكر فيها أسماء كتبه.

قال في كتاب نصّ النّصوص ص ٨:

إعلم، أيّها الطالب كحّل الله عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق، أنّي لمّا فرغت من كتاب: مجمع الأسرار ومنبع الأنوار... إلى آخر العبارة راجع ص ٣١ إلى ص ٤٠ في المقدّمة الفارسيّة نقلناها بلفظها العربيّ.

رسالة نقد النقود

ومن جملة الرسائل الّتي ألّفها السيّد المؤلّف رسالته نقد النقود، وهي تتناول مبحث الوجود، وقد بحثها بحثاً فلسفيّاً وعرفانيّاً، وقد طبعت هذه الرّسالة في ضمن كتابه جامع الأسرار.

وقد ذكر السيّد سبب تأليفه لهذه الرّسالة وبيّن مجمل ما تحتويه، حيث قال في بدايتها بعد الخطبة:

«أمّا بعد، فلمّا فرغت من: رسالة الوجود، وما اشتملت عليه من إثبات إطلاقه وبداهته ووجوبه ووحدته وظهوره وكثرته، ومن المعارضة بين المتكلّمين والحكماء الموحّدين، والإستشهاد بكلّ واحد منهم بعد الإستشهاد بكلام الله تعالىٰ وكلام أنبيائه وأوليائه عليهم السّلام، ولمّا فرغتُ أيضاً من توابعها ولوازمها من الأمثال المضروبة والنكات المطلوبة، إلتمس بعض إخواني الّذي كان عندي أعزّ من انسان العين في العين، أن أنتخب منها إنتخاباً مختصراً مفيداً، قليلاً في الحجم، كثيراً في المعنىٰ، ... وسمّيتها بـ«نقد النقود في معرفة الوجود».

تقرير عن السّفر الإلهي (الهجرة) للمؤلّف ومن آثاره نقلاً من كتاب مقدّمات نصّ النّصوص

ذكر السيّد الجليل حيدر الآملي في خاتمة كتابه نصّ النّصوص مبحثاً يبتني على بيان كيفيّة تحصيل شرح الفصوص، وأيضاً كيفيّة تحصيل تفسير المحيط الأعظم عن طريق الفيوضات الإلهيّة، وذكر في ضمنه بصورة مجملة إبتداء توجّهه نحو الحقّ سبحانه وتعالىٰ، وحركته وسفره إلى مكّة وبيت الله الحرام ومدينة الرّسول (ص) والعتبات العالية المقدّسة:

قال في ص ٥٣٤ (مقدّمات نصّ النّصوص):

والحاصل من هذه الأبحاث هو أنّ مكّة كما صارت موجب الفتح... ـ إلى آخر العبارة ـ ذكرناها في ص ٤١ و ٤٢ و ٤٣ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ، فراجع.

إشارة أُخرىٰ إلىٰ ترجمة المؤلّف وآثاره من كتاب جامع الأسرار

أشار السيّد حيدر الآمليّ ـ كما هي طريقته في مؤلّفاته ـ إلى أحواله في سيره وسلوكه وإلى العنايات الإلهيّة الّتي نالها في مطلع كتابه جامع الأسرار، وكذلك أشار إلى بعض مؤلّفاته وسبب تأليفها، كما أنّه ألمح إلىٰ أنّه نال علوماً لا متناهية عن طريق العناية الإلهيّة.

وأشار أيضاً إلى طريقته الخاصّة وعقيدته في التشيّع والعرفان ويقول:

كنت أسعىٰ منذ عنفوان الشباب إلى تحصيل القواعد الظاهريّة للشرع الخاصّة بالشيعة الإماميّة، وهكذا تحصيل العلوم الشرعيّة الباطنيّة الخاصّة بالعرفاء، وإيجاد التوفيق بين قواعد الفئتين لأنّ المطابقة بينهما قائمة وموجودة. وفي عقيدة المؤلّف أنّه لا فرق بين التشيّع والعرفان، وأنّ الشيعيّ الحقيقيّ هو العارف، والعارف الحقيقيّ هو الشيعيّ الإماميّ، (وسيأتي الكلام حول هذا الموضوع بصورة مفصّلة في قسم آخر من هذه المقدّمة).

وأمّا ما ذكره السيّد في كتاب جامع الأسرار (حول ما ذكرنا) فبعد ذكر الخطبة قال:

أمّا بعد فإنّي لمّا فرغت من رسالة: منتخب التأويل ... الخ، راجع في نفس العبارة باللّغة العربيّة ص ٤٤ إلىٰ ص ٤٦ من المقدّمة الفارسيّة .

ترجمة السيِّد حيدر في كتب التراجم

رياض العلماء وحياض الفضلاء ج ٢ ص ٢١٨ و ص ٣٢٥.
روضات الجنّات ج ٢ ص ٣٧٧.
أعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٧٢.
مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٧٦.
راجع في كلماتهم المنقولة ص ٤٦ إلى ص ٥٠ من المقدّمة الفارسيّة .

فيض الحقّ سبحانه وتعالىٰ للمؤلِّف وعلمه اللّامتناهي

ذكر السيِّد في موارد متعدِّدة من كتبه أنّه كان موضعاً للعناية والتفضّل من ناحية القدس الإلٰهي وموردأ للنورانيّة الخاصّة والفيض الإلٰهي والعلم اللّامتناهي، وأشار إلى ذلك في المواطن التالية :

ألف ـ في كتابه نصّ النصوص ص ١٢ ضمن تعداد مؤلّفاته وأنّ منها تفسير المحيط الأعظم، قال حول تأليف هذا التفسير القيِّم :

إنّه ليس بكسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة الرحمٰن.

ب ـ وأيضاً في خاتمة مقدّمات كتاب نصّ النّصوص ص ٥٣٦ قال ضمن بيان سكناه في النجف الأشرف :

«فرجعت بالسّلامة إليه، وسكنتُ فيه، مشتغلاً بالرّياضة والخلوة والطّاعة والعبادة الّتي لايمكن أن يكون أبلغ منها ولا أشدّ ولا أعظم، ففاض علىٰ قلبي من الله تعالىٰ ومن حضراته الغيبيّة في هذه المدّة غير ما قلته من: «تأويل القرآن» و «شرح الفصوص»، من المعاني والمعارف والحقائق والدّقائق الّتي لايمكن تفصيلها بوجه من الوجوه لأنّها من كلمات الله الغير القابلة للحصر والعدّ والإنتهاء والإنقطاع».

ج ـ وقال في فاتحة الكتاب في مقدّمة كتاب جامع الأسرار ص ٦ :

تركتُ للنّاس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنياني.

راجع في عبارته باللّغة العربيّة الكاملة ص ٥١ إلى ص ٥٣ في المقدّمة الفارسيّة.

ولا يخفىٰ أنّ هذه الموهبة الإلهيّة ليست مختصّة بالسيّد حيدر، وليس هو الشخص الوحيد الّذي يدّعي مثل هذه الدّعوىٰ من أنّه مورد عناية الحقّ تعالىٰ، فإنّ القونوي أشار إلى ذلك في كتابه «مفتاح غيب الجمع والوجود» في بداية بحثه حول الإنسان ويذكُر فيه بإفاضة الحقّ سبحانه وتعالىٰ عليه وقال: إنّ ما سنذكره من البحث حول الإنسان هو ما تسعه قدرة البيان والألفاظ والوقت، وإلّا فما حصل لنا من هذا المعنىٰ خارج عن حدود الوصف والبيان والنطق والعبارات، ويقول: «الشرح لهذا الوارد بلسان الوقت والحال والمرتبة»، وقال ابن فناري في شرح هذه العبارة:

«لا بلسان حقيقة كما ورد إذ لا يسعه نطاق العبارة وفضاء الإشارة» مصباح الأُنس ص ٢٨٧.

وكذلك شيخ الإشراق فانّه قال في آخر كتاب حكمة الإشراق ص ٢٥٩ وفي شرح حكمة الإشراق ص ٥٦٢ ما هذا لفظه:

وسيعلم الباحث فيه أنّه قد فات المتقدّمين والمتأخّرين ما يسرّ الله علىٰ لساني منه، ولقد ألقاه النافث القدسي في روعي في يوم عجيب دفعةً، وإن كانت كتابته ما اتّفقت إلّا في أشهر.

ولنتوجّه الآن إلى الكلمات النورانيّة الصّادرة من المجلسيّ الأوّل (محمّد تقي المجلسيّ) في كتاب روضة المتّقين ج ١٢ ص ١٢٧ حيث يقول:

والّذي وَجَدَ هذا الضعيف في أزمنة الرياضات انّي كنت في مطالعة التفاسير إلىٰ أن رأيت في ليلة فيما بين النوم واليقظة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقلت في نفسي: تدبّر في كمالاته وأخلاقه، فكلّما كنت أتدبّره تظهر لي عظمته صلّى الله عليه وآله وأنواره بحيث ملأ الجوّ واستيقظت فأُلهمتُ بأنّ القرآن خُلقُ سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم، فينبغي أن أتدبّر فيه فكلّما ازداد تدبّري في آية واحدةٍ كان تزدادُ الحقائق إلى أن وَرَدَ عليّ من العلوم ما لا تتناهىٰ دفعةً واحدةً، في كلّ آية كنت أتدبّرُ فيها كان يظهر مثل ولا يمكن التصديق بهذا المعنىٰ قبل الوقوع فانّه كالممتنع العادي، ولكنّ غرضي من ذكره الإرشاد للإخوان في الله. انتهىٰ كلامه (رضي الله عنه).

وأيضاً قال محيي الدّين بن عربي في كتابه فصوص الحكم في آخر الفصّ الآدمي ما هذا لفظه:

«لمّا أطلعني الله تعالىٰ في سرّي على ما أودع في هذا الإمام الوالد الأكبر، جعلت في هذا الكتاب منه ما حُدَّ لي لا ما وقفت عليه، فإنّ ذلك لايسعهُ كتاب ولا العالم الموجود الآن.

ويُقال لهذا القبيل من الإطّلاع والمعرفة والعلم: العلم اللّدنيّ والعلم الإرثيّ والعلم الوهبيّ، وهو يحصل عن طريق طهارة الباطن والرياضات الشرعيّة والمداومة عليها، وأيضاً يحصل عن طريق قرب النوافل وقرب الفرائض ويحصل من طريق العمل بالأربعينيّات والإخلاص لله سبحانه وتعالىٰ وهذه كلّها حقيقة واحدة توجب أن يكون الإنسان إنساناً طاهراً بحيث تجعله مستعدّاً لنيل الإفاضة من ناحية الله سبحانه وتعالىٰ.

ومن الواضح جدّاص إنّ الإنسان إذا أصبح إنساناً قرآنيّاً وسرى القرآن في وجوده وصار طاهراً فلا يمسّه إلّا المطهّرون فيصبح عارفاً بالباطن، واتّصل باطن ذلك الإنسان ومعرفته وعلمه بالعلوم الّتي لا حدّ لها ولا نهاية فتفتح على وجهه وقلبه نافذة الى المطلق، لأنّ القرآن كلام الحقّ المطلق المتعال وعلوم القرآن ومعارفه وحقائقه لا نهاية لها، وعليك بالتأمّل والدقّة والتدبّر في الآيات والروايات التالية لكي تعرف وتؤمن بما قلنا:

﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾ (الأنعام ٥٩).

﴿وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين﴾ (يونس ٦١).

﴿وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس ١٢).

﴿وجاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة ١٥).

﴿الر، تلك آيات الكتاب المبين، إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون﴾ (يوسف ١ و ٢).

﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين، هدىً وبشرى للمؤمنين﴾ (النمل ١ و ٢).

﴿حم، والكتاب المبين، إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين﴾ (الدخان ١ ـ ٣).

فمن خلال التأمّل في الآيات السابقة والجمع بينها جنباً إلى جنب يعلم: أنّ المراد من الكتاب المبين هو القرآن، لا اللّوح المحفوظ أو اُم الكتاب، أو الخزائن الإلهيّة أو غير ذلك.

نعم نفس هذا القرآن فيه من الحقائق والمعارف ما لا نهاية له لأنّه مرتبة نازلة من مراتب العلم الإلهي وهو مطابق لكلّ العوالم أي القرآن وجودها الكتبي والكلامي، وكذلك الإنسان الكامل، فهو كون جامع أي هو جامع لتمام الأكوان والعوالم.

ولم يكتب في تاريخ الاسلام تفسير للقرآن يبيّن جميع الحقائق الّتي يحويها القرآن، بل إلى الآن لم يصل أحد إلى أعماق ذلك المحيط الّذي لا ساحل له، بل لم يقم أحد بالسباحة فيه ولم يعرف حدود ساحله بعد.

نعم الّذي يمكن أن يدرك حقائق القرآن هم أهل البيت وهم أهل العصمة والطهارة، الّذين هم نفس القرآن، والّذين هم معنى الثقل الأكبر في المقام وفي هذه المرحلة وان كان بحسب الظاهر وفي مقام التشريع وبيان الأحكام أنّ القرآن هو الثقل الأكبر وهذا هو المستفاد من الحديث المتواتر بين الفريقين (حديث الثقلين) بل جاء في كلمات أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام أيضاً حيث قال:

«والله سبحانه يقول: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾، وفيه تبيان لكّل شيء، وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً...» إلى أن قال: «وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لاتفنىٰ عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلّا به» نهج البلاغة الخطبة ١٨ صبحي الصالح.

وعنه عليه السّلام أيضاً قال:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من (شرح) باء بسم الله الرّحمٰن الرّحيم».

قال السيّد الجليل ابن طاووس في كتابه سعد السعود ص ٢٨٤:

وذكر أبو عمر الزاهد واسمه محمّد بن عبدالواحد في كتابه بإسناده: أنّ عليّ بن أبي طالب قال:

«يا أبا عبّاس إذا صلّيت عشاء الآخرة فالحقني إلى الجبانة، قال: فصلّيت ولحقته وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال عليه السّلام لي: ما تفسير الألف من الحمد، قال: فما علمت حرفاً أجيبه، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال لي: فما تفسير اللّام من الحمد، فقلت: لا أعلم، قال: فتكلّم فيها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال: ما تفسير الدّال من الحمد، قلت: لا أدري، قال: فتكلّم فيها حتّىٰ برق عمود الفجر» الحديث.

وهذا شاهد آخر بأنّ القرآن بحر موّاج لا نهاية لحقائقه ومعارفه ومعانيه.

طريق تحصيل العلم والمعرفة

ليس تحصيل العلم والمعرفة منحصراً بالطريقة العامّة الكسبيّة فقط، يعني طريق التعلّم والتعليم والكتاب والمطالعة وغير ذلك، بل لصيرورة الإنسان عالِماً طرق أُخرىٰ، وهي: طريق التزكية والتصفية، وطريق التوجّه والتقوىٰ، وطريق القلب والفطرة، وطريق الكشف والشهود والولاية، وهذه الطرق غير طريق الحسّ والعقل والتجربة والتفكّر، فانظر وتأمّل في الآيات التالية:

﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ (الطّلاق ٢).

ومن المسلّم أنّه ليس المراد من الرّزق في هذه الآية الكريمة هو رزق البطن والغرائز، لأنّه لايحتاج الى التقوىٰ والله سبحانه وتعالىٰ يرزق كلّ من خلق من الإنسان وإن كان غير تقيّ، كما يرزق سائر الحيوانات والموجودات بدون شرط:

﴿وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾ (هود ٦).

بل المراد هو الرزق المناسب مع شأن الإنسان من جهة حيثيّته الإنسانية وذلك هو المعرفة والتوحيد وهذا الرزق والزاد يتطلّب الأرضيّة المهيّئة والنفس المستعدّة، والطّهارة، والقلب السليم.

﴿يا أيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ (الأنفال ٢٩).

الفرقان هو نفس الرّزق في الآية السابقة وفي هذا المعنىٰ آيات وروايات كثيرة.

وهناك حديث الأربعين، وقد نُقل عن طريق الخاصّة والعامّة عن الرسول الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وأيضاً:

«من خلص أربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وإذا وضعنا هذا الحديث إلى جانب الآية الكريمة:

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ (البقرة ٢٦٩).

ومع التوجّه إلى أنّ القرآن يعبّر عن الدّنيا ومتاعها بلفظ القليل:

﴿قل متاع الدّنيا قليل﴾ (النّساء ٧٧).

ومن هذا يعلم أنّ أصحاب الحكمة نالوا من المواهب ما لا حدّ له ومن العناية ما لا نهاية لها.

ويقول السيّد حيدر الآمليّ في ضمن بيان ضرورة قراءة ومطالعة الكتب الآفاقيّة والأنفسيّة والقرآنيّة: إنّ التقوىٰ هي أحسن الوسائل لإفاضة النور، وتوجب امكان مطالعة ومشاهدة حقائق العالم، وأسرار الانسان ومعارف القرآن.

ولنذكر طرفاً من كلمات السيّد في هذا المعنىٰ فقد قال:

«أنّ عبداً من عبيده مثلاً إذا قام بالتقوىٰ علىٰ ماينبغي المشار إليه في قوله:

﴿واتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران ١٠٢).

وأدّىٰ حقّها علىٰ ما هو عليها في نفس الأمر وزال عن قلبه بعد ذلك حجاب الكثرة والتّفرقة، واضمحلّ عن مرآة نفسه رين الظلمة والغفلة، ووصل إلى حدّ الصقالة والصّفاء التامّ الكامل، أفاض عليه تعالىٰ نوراً من أنواره وانفسخ عين بصيرته، وانكشف له عالم الملكوت والجبروت، ونزّل عليه من سماء وجوده وفضله الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق».

فراجع في هذا أيضاً تمهيد القواعد لمؤلّفه صائن الدّين عليّ بن محمّد التركة ص ١٦٧ إلى ص ١٧٥ متناً وشرحاً.

وقد أشرنا إلىٰ أنّ هذه النورانيّة وهذا الفيض الإلهيّ والمعرفة والعلم، هي الّتي تسمّىٰ بحسب الإصطلاح بالعلم الإرثيّ والعلم اللّدنيّ، ويقول السيّد المؤلّف في «جامع الأسرار» ص ٤٥١:

والعلم اللّدنيّ يكون لأهل النبّوة والولاية، كما حصل للخضر عليه السّلام حيث أخبر الله تعالىٰ فقال:

﴿وعلّمناه من لدنّا علماً﴾ (الكهف ٦٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنّ رسول الله أدخل لسانه في فمي، فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كلّ باب ألف باب» انتهىٰ كلام السيّد رضي الله عنه.

ومعلوم أنّ الباب غير المدينة، وهذه الأبواب ألف ألف (مليون) باب، باب للورود إلى ألف ألف مدينة علم، ومعلوم أيضاً في المدينة توجد أنواع كثيرة لاتعدّ ولا تحصىٰ من الكليّات والجزئيّات من أقسام العلم، ومعلوم أيضاً أنّه ينكشف من كلّ واحد من الكلّيّات علوم كثيرة.

وذكر الحديث المذكور السيّد الجليل ابن طاووس في كتابه «سعد السّعود» ص ٢٨٤ نقلاً عن الغزّالي في كتابه «بيان العلم اللّدنيّ» ورسالة الغزالي في العلم اللّدنيّ منقولة ومذكورة في هذا الكتاب، فراجع.

وذكر ابن الفناري أيضاً في «مصباح الأنس» ص ٥ في مايرتبط بالعلم الوهبيّ كلاماً عن كتاب «الفكوك» لأستاذه القونوي:

«أمّا علم الأديان فقسمان: علم الظاهر، وعلم الباطن، وكلّ منهما مع تشعّبهما من القرآن والحديث كأنّ علومهما نهران ينصبّان في حوض كوثر تتفرّع منه جداول علوم الكسب من جانب، وعلوم الوّهب الّتي عبّر عن مظاهرها في الجنّة بالأنهار الأربعة من جانب آخر.

وينقل أيضاً في ص ٣٠٧ عنه أيضاً:

إنّ الأنهار الأربعة المذكورة في قوله تعالىٰ:

﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى﴾ (محمّد ١٥).

منامات السيّد المؤلّف وتمثّلاته

ذكر السيّد المؤلّف في ما يتعلّق بالمنامات والتمثّلات الّتي حصلت له من عهد السلوك والشباب، ونقل بعضاً منها في «مقدّمات كتاب نصّ النّصوص» ص ١١٢ وقال:

إعلم أنّي كنت في حالة السلوك باصبهان وكنت عازماً على السّفر إلى بغداد...

راجع وطالع نفس العبارة باللّغة العربيّة ص ٥٩ و ٦٠ من المقدّمة الفارسيّة ذكرناها فيها.

وذكر من جملة المنامات ثلاثة أخرىٰ أيضاً في ذلك الكتاب في القاعدة الثالثة، وفي مقام اثبات خاتميّة الولاية المطلقة لأمير المؤمنين عليه السّلام وكذلك في بيان اثبات خاتميّة الولاية المقيّدة لصاحب الزمان إمام العصر أرواحنا فداه، وفي ضمن الإشكال والإيراد على الشيخ الأكبر الّذي يدّعي صحّة مدّعاه بثلاثة طرق: النقل والعقل والكشف.

وفي القسم الثالث من الكتاب حيث ما يريد السيّد أن يثبت مدّعاه بطريق الكشف قد أشكل على الشيخ الأكبر على صحّة نومه وكشفه وأيّد صحّة منامات نفسه وكشفيّاته بالشواهد.

والّذي نراه هنا نقل تلك المنامات، قال في ص ٢٥٦ في «نصّ النّصوص»:

راجع ص ٦١ إلى ص ٦٣ من المقدّمة الفارسيّة نقلناه باللّغة العربيّة هناك.

الموازنة بين المؤلّف وسلمان من لسانه

ذكر السيّد في كتاب مقدّمات نصّ النّصوص: أنّ محيي الدّين بن عربي من مُحبّيّ أهل بيت النبيّ (ص)، ونسب إليه حسن الإعتقاد بالنسبة إليهم عليهم السّلام، ونقل شاهداً علىٰ ذلك من الفتوحات في باب ٢٩ وهو يتعلّق بسلمان وفضيلته توضيحاً للحديث الوارد:

«سلمان منّا أهل البيت». ثمّ ذكر السيّد تحت عنوان: «نكتة شريفة» الموازنة بينه وبين سلمان الفارسي من جهة النّسب الظاهريّ والمعنويّ، واستنتج من ذلك أنّه (أي

السيّد) أفضل من سلمان من كلا الجهتين، قال في كتاب نصّ النّصوص ص ١٤٦ :

وههنا نكتة شريفة ولطيفة، إلى آخر العبارة، راجع ص ٦٣ و ٦٤ من المقدّمة الفارسيّة.

التأليف والتصنيف باللّغتين: العربيّة والفارسيّة

إنّ طريقة أغلب علماء الإسلام ـ ومنهم السيّد حيدر الحلّيّ ـ هي أنّ كتاباتهم ومؤلّفاتهم ورسائلهم كتبت باللّغة العربيّة، وأما السيّد فله مع ذلك مؤلّفات كتبها باللّغة الفارسيّة.

ولا يخفىٰ أنّ هذه الطريقة حسنة جدّاً وذلك لأنّ اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم ولغة الأحاديث والأدعية وأيضاً لغة الصّلاة وساير العبادات، أضف إلى ذلك أنّ اللّغة العربيّة هي محور الوحدة للأمّة الإسلامية في العالم، ولكن هذه الطريقة مع أنّ فيها فوائد كثيرة قد توقع بعض المستشرقين، وأحياناً بعض علماء العرب في الإشتباه وذلك أنّ بعض المؤلّفات العربيّة تحسب أنّها صادرة من علماء العرب، ويعرّف مؤلّفوها على أنّهم عرب والحال أنّهم ليسوا بعرب بل حكماء وعلماء ايرانيّين، ومن هنا يقع الخلط والإشتباه في تعريف هؤلاء العلماء ونسبتهم وأوطانهم، وما ذلك إلّا لأنّ هؤلاء العلماء كتبوا مؤلّفاتهم باللّغة العربيّة.

ونؤكّد هنا على هذا القول منّا ليس في مقام ابراز العصبيّة ـ والعياذ بالله ـ وذلك لأنّ الهدف الّذي يسعىٰ إليه كلّ المفسّرين والفقهاء والحكماء والعرفاء، بل جميع مفكّري الإسلام هو الإسلام ومعرفته وبيانه وإعلاء كلمته وهو الأصل للجميع، وكذلك يجب أن يكون الإسلام والقرآن هما المحور الأساس، فإنّ ما وصل إليه علماء الإسلام من الحياة العلميّة ودوامها إنّما هي من بركات الإسلام.

ثمّ إنّ الإسلام وتبليغه والدفاع عنه تنمحي فيه جميع الفوارق من صنف أو وطن أو نحو ذلك، فلا عرب ولا عجم ولا شرق ولا غرب في نظر الإسلام وبالنّسبة إلى الإسلام.

والّذي دعانا إلى ذلك هو أنّ مقتضى البحث في التراجم ودراسة أحوال العلماء

والمفكّرين يتطلّب الدّقّة في بيان ترجمة الأشخاص وتاريخهم، والّتي تفرضها الأمانة العلميّة حذراً من الوقوع في الخلط والإشتباه.

وأمّا موضوع الوحدة والتوحيد في العمل والعقيدة وفي ما يجمع شمل المسلمين فهو أمر لايجوز لأحد أن يمسّه بسوء ولا يحقّ لأحد أن يخدشه، فإنّ إيجاد الوحدة والمحافظة عليها بين المسلمين من أهم الواجبات.

كما أنّ التوحيد في العقيدة والعمل أصل من الأُصول الأساسيّة:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ (آل عمران ١٠٣).

كذلك الوحدة في دعوة النبيّ (ص) أساس:

﴿قل إنّما يوحىٰ إليّ أنّما إلٰهكم إلٰه واحد﴾ (الأنبياء ١٠٨).

وهي أيضاً محور في الدعوة إلى الإيمان:

﴿قل هو الله أحد﴾ (التوحيد ١).

وهي أيضاً غاية الدعوة:

﴿وما أُمروا إلّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً﴾ (التوبة ٣١).

وكما أنّ التوحيد والوحدة أساس في الخلقة أيضاً:

﴿وما أمرنا إلّا واحدة﴾ (القمر ٥٠).

كما أنّها محور الخلقة أيضاً:

﴿الله لا إلٰه إلّا هو له الأسماء الحسنىٰ﴾ (طٰه ٨).

وكما انّ التوحيد والوحدة غاية للخلقة:

﴿وإنّ إلىٰ ربّك المنتهىٰ﴾ (النجم ٤٢).

وبهذا البيان يظهر أنّ الإعتبارات الشرعيّة لها أصل وأساس في الحقايق والواقعيّات التكوينيّة، وكلّها ترجع إلى مبدأ ونهاية واحدة:

﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾ (البقرة ١٥٦).

والمبدأ هو عين المنتهىٰ والمنتهىٰ هو عين المبدأ:

﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ (الحديد ٣).

هذا واغتنم ما ذكرناه ولنرجع إلى أصل المطلب:

الإعتذار عن العُجمة في العبارات

إنّ ما تتمتّع به كتابة السيّد هو السّلاسة في التعبير والعذوبة في البيان والمهارة في توضيح المعاني الدقيقة، وأغلب عبارات السيّد في جميع كتبه ورسائله لاتحتاج إلى شرح وتوضيح، وعباراته كافية لبيان المطالب بصورة تبلغ حدّ الكمال من الوضوح، ولكن مع ذلك وفي غاية التواضع والخشوع لاينكر أن يكون كلامه مشتملاً على العجمة ولذلك يعتذر عنه، قال في كتاب جامع الأسرار ص ١٣ حول مايتعلّق بالأمرين المتقدّمين:

... إنّه إذا وجد أحد في تركيبه وألفاظه عجمة... إلى آخر العبارة، فراجع ص ٦٧ في المقدّمة الفارسيّة نقلناها بلفظها العربيّ.

نقل المطالب من كتب القوم

من جملة ما جرىٰ بقلمه الشريف نقل عبارات القوم ومطالبهم...

راجع في تفصيل هذا العنوان ص ٦٨ إلى ص ٧١ في المقدّمة الفارسيّة كتبناه هناك أيضاً باللّغة العربيّة.

تكرّر بعض المطالب والعبارات في كتب المؤلّف

إنّ من جملة خصائص السيّد المؤلّف أنّه يكرّر المطالب والعبارات أحياناً في الكتاب الواحد أو أكثر من كتاب، وهذه الحقيقة تلاحظ في كتاب جامع الأسرار والتفسير بشكل واضح، مثلاً في المقدّمة السّادسة من المقدّمات السّبع للتفسير هي رسالة «أسرار الشريعة» مع تغييرات جزئيّة في بعض العبارات الّتي يقتضيها موضوع الكتاب وفصوله وأبحاثه وإضافة بعض المطالب لاتوجد في تلك الرسالة. والهدف من طرح هذا العنوان: أنّ السيّد قد وجّه هذا العمل منه واعتذر عنه، قال في ص ٦١٢ من كتاب جامع الأسرار في ضمن التذكير ببعض الوصايا في مطالعة هذا الكتاب وبيان خصوصيّاته وقال:

... ومنها أنّه لاينبغي أن يحكم أحد بتكرار فيه لفظاً أو معنىً إلى آخر العبارات.

راجع ص ٧٢ من المقدّمة الفارسيّة كتبناه فيها بلفظها العربيّ.

البعد عن التعصّب في المباحث العلميّة

ومن جملة خصوصيّات مؤلّفات السيّد حيدر أنّه في مباحثه بعيد عن التعصّب وهو بريء من ذلك، ويسعىٰ دائماً إلى طرح مطالبه وأبحاثه مدعومة بالدّليل العقليّ والنقليّ والكشفيّ، كما أنه يسعىٰ أيضاً إلى إصلاح ذات البين ويتجنّب المعارضة والجدال بغير الّتي هي أحسن.

وهو يعتقد أنّ باطنه أصبح من أثر الرياضات الشرعيّة والتوجّه والوصول، إلى مقامات الولاية، بعيداً عن الظّلمات ودركات العصبيّة والمعارضة وخرجت نفسه عن هذه الأمور الظلمانيّة.

هذا وقد عنون السيّد في ذيل القاعدة الرابعة من كتاب جامع الأسرار ص ٢٣١ بحثاً في إثبات الولاية والإمامة والعصمة للأئمّة الأطهار عليهم السّلام، ذكر شبهةً من بعض الصوفيّة في هذا الموضوع وأجاب عنها بصورة مفصّلة، وقال في آخر بحثه وجوابه عن تلك الشبهة في ص ٢٥٤:

وينبغي أن تعرف أيضاً أنّه ليس مرادنا من هذا البحث معك ومع غيرك العصبيّة والجدال نعوذ بالله منه، بل المقصود إصلاح ذات البين وإيصال كلّ واحد منكم إلى حقّه لقوله تعالىٰ:

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين النّاس﴾ (النساء ١١٤)

راجع أيضاً في تتمّة العبارة ص ٧٣ من المقدّمة الفارسيّة.

التواضع وطلب الإصلاح

لم يكن السيّد في مؤلّفاته مغروراً ولم يخرج نفسه عن الإشتباه بل كان يطلب من أرباب العلم والكشف إصلاح مؤلّفاته كما يطلب دقّة النظر أيضاً.

قال في خاتمة مقدّمة كتابه جامع الأسرار:

فالمسؤول من عظماء أهل الذّوق وأساطينهم، والملتمس من ملوك أرباب الكشف

وسلاطينهم أن ينظروا في هذا الكتاب نظر إصلاح وتنقيح، لا نظر مسامحة وإغماض، وأن يتصرّفوا فيه تصرّف الشيخ في تلميذه، لا تصرّف المحبّ في محبوبه. لأنّ ثمرة هذا بالحقيقة لاترجع إلّا إليهم لقوله تعالىٰ:

﴿فمن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون﴾ (الأنبياء ٩٤).

وفائدته لاتصل بالتحقيق إلّا إلى حضرتهم، لقوله تعالىٰ:

﴿إنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أُنثىٰ بعضكم من بعض﴾ (آل عمران ١٩٥).

شعر:

جزى الله خيراً من تأمّل صنعتي وقابل ما فيها من السّهو بالعفو

وأصلح ما أخطأت فيها بفضله وفطنته واستغفر الله من سهوي

التشيّع والعرفان

إنّ من جملة الخصوصيّات الشخصيّة للسيّد حيدر أنّه في جميع كتبه ولا سيّما في كتاب جامع الأسرار كان مدافعاً عن حريم الشيعة الإماميّة وعن حريم العرفان الحقيقي، ويعتقد بأنّ مذهب الشيعة الإثنا عشريّة هو مذهب الحقّ من بين المذاهب الإسلاميّة، وأنّ الشيعة الإماميّة هم أهل السعادة، والتشيّع لمدرسة أهل بيت العصمة والطّهارة هو الصراط المستقيم لأنّه لا طريق إلى الحقّ إلّا طريق أهل البيت (ع) الّذي هو نفس طريق النبيّ (ص) وطريق الله سبحانه وتعالىٰ:

وكذلك يعتقد السيّد أنّه لا فرق بين التشيّع الحقيقيّ وبين العرفان الواقعيّ، وأنّ عقائد وأُصول كلّ من التشيّع والعرفان أخذت من الأئمّة (ع) ولذلك فالشيعيّ الحقيقيّ هو العارف الواقعيّ كما أنّ العارف الحقيقيّ هو شيعيّ واقعيّ.

وإليك طرفاً من كلمات السيّد في هذا المجال. قال في جامع الأسرار ص ٥٣:

«إلتمس منّي جماعة من إخواني الصّالحين» إلى آخر العبارة.

وأيضاً قال في نفس الكتاب ص ٢١٦:

«في الشبهات الواردة على التوحيد الوجوديّ» إلى آخر العبارة.

وأيضاً قال في ص ٢٢٠: «وأمثال هذه المفاسد والشبهات كثيرة» العبارة.

وأيضاً قال في ص ٨: «ولا شكّ أنّ هذا يصعب علىٰ بعض الأذهان» العبارة.

راجع في جميع هذه الكلمات المنقولة من جامع الأسرار ص ٧٥ إلى ص ٧٩ من المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ.

تبصرة: وردت في كلمات السيّد المؤلّف بعض المصطلحات في موارد متعدّدة من مؤلّفاته مثل إصطلاح: الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة وغير ذلك، وهذه كلّها من جملة المصطلحات الرائجة في الحكمة المتعالية لصدر المتألّهين (ره) وقد بنىٰ على أساس هذه الإصطلاحات أفكاراً كثيرة ونظريّات عالية محكمة. وتحتاج الموازنة بين المصطلحات الرائجة في مؤلّفات السيّد حيدر ومؤلّفات صدر المتألّهين إلى فرصة أُخرىٰ كافية للتحقيق والفحص والتتبّع، وإن كان مجال الموازنة المذكورة والتطبيق تتناسب مع كتابة هذه المقدّمة إلّا أنّ الفرصة فعلاً ليست تحت الإختيار. ولكن إذا أدّيت هذه المهمّة وقام بها أيّ قلم مبارك ستكون نافعة ولطيفة جدّاً، ولعلّ الله سبحانه يحدث بعد ذلك أمراً.

الجمع بين الشّريعة والطّريقة والحقيقة

من جملة ما يختصّ به القلم الشريف للسيّد حيدر الآملي وآثار وجوده هو الجمع بين الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وبيان حقيقة هذه الأمور النورانيّة الثلاثة:

وقد كان للسيّد قدّس سرّه توجّه خاصّ لهذا الموضوع وذكره مكرّراً في الموارد المتعدّدة من مؤلّفاته.

قال في جامع الأسرار، هناك أربع قواعد:

١ـ الشّريعة والطّريقة والحقيقة.

٢ـ النبوّة والرّسالة والولاية.

٣ـ الوحي والإلهام والكشف.

٤ـ الإسلام والإيمان والإيقان.

ثمّ أعقب ذلك بالبحث المفصّل.

وأيضاً ذكر هذا الموضوع في «رسالة الوجود» وجعله في صورة مقدّمة لتلك الرّسالة.

وكذلك بحث عن هذا الموضوع في رسالة: «أسرار الشريعة وأطوار الطّريقة وأنوار الحقيقة» بحثاً مستقلاً ومفصّلاً مع أبحاث مختلفة حوله.

وأخيراً بحث عن هذا الموضوع في المقدّمة السّادسة من المقدّمات السّبع للتفسير بصورة مفصّلة أيضاً.

واستند في أبحاثه القيّمة حول هذا الموضوع إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ذكرنا بعض عبارات السيّد في هذا الموضوع، كما ذكرنا أيضاً بعض الكلمات عن صدر المتألّهين والعلّامة الطباطبائي وعزيز الدّين النسفي في ص ٨٠ إلى ص ٨٥ في المقدّمة الفارسيّة، فراجع هناك.

ونترجم هنا ما قاله عزيز الدّين النسفي في كتابه «الإنسان الكامل» ص ٣:

قال: الشريعة قول الأنبياء والطريقة فعل الأنبياء والحقيقة رؤية الأنبياء:

«الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي».

يجب على السّالك أوّلاً أن يتعلّم من الشريعة ما لابدّ من علمه، وبعده من عمل الطريقة ما لابدّ منه ويأتي به حتّىٰ يتمكّن أن يحصل على أنوار الحقيقة بقدر سعيه وجهده.

كلّ شخص يقبل ما قاله النبيّ (ص) فهو من أهل الشريعة.

وكلّ شخص يعمل ما يعمل النبيّ (ص) فهو من أهل الطريقة.

وكلّ شخص يرىٰ ما يراه النبيّ (ص) فهو من أهل الحقيقة.

فالطائفة الّتي نالت هذه الأُمور الثلاثة هي قادة الخلائق وقدوتهم، وأمّا الطائفة الّتي لم تنل شيئاً منها فهي ناقصة وتحسب في عداد البهائم، قوله تعالىٰ:

﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾ (الأعراف ١٧٩).

بيان العرفان بلسان البرهان والجمع بين البرهان والعرفان والقرآن

من جملة سيرة السيّد وطريقته في إيضاح المعارف العرفانيّة وبيان حقائق العرفان هي استخدام البرهان في ذلك، وإضافة إلى ذلك أنّه جعل البرهان والعرفان في خدمة القرآن، وقد كان يستشهد على إثبات المطالب بالقرآن، وهذا في الحقيقة جمع بين البرهان والعرفان والقرآن، وأنّ البرهان والعرفان يخدمان القرآن، وتتّضح هذه الحقيقة من خلال المطالعة الإجماليّة في كتب ورسائل السيّد والتأمّل والدّقّة في مؤلّفاته.

ونذكر هنا بعض عباراته من رسالة نقد النقود وكتاب جامع الأسرار:

قال في مطلع رسالة «نقد النّقود» ص ٦٢٣ «جامع الأسرار»:

إعلم أنّ هذا الأصل مشتمل علىٰ بحث الوجود وإطلاقه وبداهته، من طريق الموحّدين من أرباب التصوّف، عقلاً ونقلاً وكشفاً.

وقال أيضاً في ص ٦٢٨:

وقد منح لنا هٰهنا بعناية الله وحسن توفيقه، برهان حسن لطيف لايمكن فرار الخصم منه.

وقال في قسم آخر من هذه الرسالة ص ٦٤٧:

الوجود من حيث هو وجود، ليس بقابل للعدم لذاته، وكلّ ما ليس بقابل للعدم لذاته فهو واجب الوجود لذاته، فيجب أن يكون الوجود واجباً لذاته، إلى أن قال:

أمّا بيان الصغرىٰ على سبيل البرهان، فلأنّه لو كان الوجود قابلاً للعدم للزم اتّصاف الشيء بنقيضه، واتّصاف الشيء بنقيضه محال، فمحال أن يكون الوجود قابلاً للعدم، إلى أن قال:

وأمّا بيان الكبرىٰ فسلّم عند الخصم غير محتاج إلى البيان والبرهان، والجدير بالذكر أنّ سبك البحث في رسالة نقد النقود سبك برهانيّ، وكذلك قال في كتاب جامع الأسرار ص ٦١١ في وصف ذلك الكتاب:

إنّ هذا الكتاب مشتمل علىٰ أعظم أقوال الصّوفيّة والشيعة ومعارضاتهم ومجادلاتهم، وأقوال علماء الظاهر أيضاً إستشهاداً، وأقوال الأنبياء والأولياء عليهم

السّلام كذلك، وكان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيّة والصوفيّة شيعة، ومعلوم أنّ هذا أمر صعب خطير، لأنّ كلّ واحد منهما في حيّز ضيّق لايمكن إخراجه إلّا بألف حبل من حبال البراهين العقليّة والإستشهادات النـقليّة، منضمّة إليهـا الإسـتدلالات الكشفيّة والدلائل الذوقيّة.

ولا يخفى أنّ هذه الطريقة الفلسفيّة في كتابة العرفان النظريّ وانّ العارف عندما يريد أن يُبيِّن مشاهداته ومعارفه العرفانيّة وكشفيّاته يستخدم البرهان والإستشهاد بالقرآن والأحاديث في إثبات المطالب، ولها آثار وفوائد كثيرة، من جملتها: أنّ الحكيم والعارف يتقاربان، والعرفان والحكمة يمتزجان.

وهكذا طريقة الجمع بين البرهان والعرفان والقرآن يعني العقل والكشف والوحي توجب أن تكون الحكمة والعرفان في خدمة القرآن وأنّ الحـقائق والمعارف القـرآنـيّة تنكشف أكثر فأكثر. وليعلم أنّ هذا النحو من الكتب والرّسائل هي بحقّ من أحسـن الكتابات في تفسير القرآن وتعطي للإنسان بصيرة زايـدة في مـعرفة القـرآن والبـحث والتحقيق حول المعارف الجديدة التوحيديّة في القرآن.

ومن هذا القبيل بعض ما كتبه محيي الدّين وخصوصاً الفتوحات، وبعض ما كتبه شيخ الإشراق، ومؤلّفات السيّد حيدر الآمليّ تماماً، وقسم كبير ممّا كتبه صدر المتألّهين من جملتها مفاتيح الغيب وأسرار الآيات والشواهد الرّبوبيّة والأسفار الأربعة.

ومن جملة الأشخاص الّذين وفّقوا في إيضاح المطالب العرفانيّة بأساليب برهانيّة: الشيخ الرئيس والمحقّق الطوسي في الأنماط الثلاثة من آخر كتاب الإشارات.

ومن جملتهم القيصري في مقدّمات شرحه للفصوص وفي شرحه أيضاً.

ويقول ابن فناري في مصباح الأُنس ص ٣:

واجتهدت في تأنيس القواعد الكشفيّة حسب الإمكان بما يوافق عقل المحجوبين بالنظر والبرهان، إلى أن قال:

وسمّيته مصباح الأُنس بين المعقول والمشهود.

ومن جملة الكتب الّتي سلكت هذا الأسلوب والمنهج كتاب تمهيد القواعد تأليـف صائن الدين أبي حامد الإصفهاني قال في ص ١٠:

وأمّا الرسالة الّتي صنّفها مولاي وجدّي أبو حامد محمّد الإصفهاني المشتهر بتركة قدّس سرّه، فإنّه مع جعلها مشتملة على البراهين القاطعة والحجج الساطعة على أصل المسألة وفق ما ذهب إليه المحققون قد بالغ في دفع تلك الشبهات بلطائف بيانه، الخ فراجع.

ومن أولئك الّذين وفّقوا أكثر التوفيق صدر المتألهين، يقول العلّامة الطباطبائي في مقالة حول صدر المتألهين وطبعت في رسالة المعرفة في ذكرىٰ ملّا صدرا ص ١٧:

وضع صدر المتألهين الأساس في بحوثه العلميّة والفلسفيّة للتوفيق بين العقل والكشف والشرع، واستفاد في طريق كشف الحقائق الإلهيّة من مقدّمات برهانيّة ومطالب كشفيّة ومواد دينيّة قطعيّة: وإن كانت جذور هذه النظريّة تلوح من كلمات المعلّم الثاني أبي نصر الفارابي وابن سينا وشيخ الإشراق وشمس الدّين التركة والخواجه الطوسي، إلّا أنّ صدر المتألهين وفّق توفيقاً كاملاً في القيام بهذه المهمّة واستطاع أن يثبت هذه الحقيقة. إنتهىٰ كلامه.

وقد أشار صدر المتألهين إلى هذه الحقيقة في مواطن متعدّدة، وهو يعتقد أنّ العرفان والبرهان يحتاج كلّ منهما إلى الآخر، ولا يمكن لواحد منهما بدون الآخر أن يوصل إلى الكمال المطلوب.

ذكرنا بعض كلمات صدر المتألهين عن الأسفار الأربعة ج ١ ص ٩ وج ٢ ص ٣١٥، وعن كتابه المبدأ والمعاد ص ٣٨١ في المقدّمة الفارسيّة بلفظها العربيّ ص ٨٩ إلى ٩١، فراجع.

دليل إقامة البرهان لإثبات الحقائق العرفانيّة

لايحتاج العرفاء في إثبات ومبانيهم بالنسبة إلى أنفسهم إلى البرهان لأنّ هؤلاء يقفون على المعارف عن طريق الشهود والمشاهدة، والمشاهد في حالة الشهود لايعتريه أي شك حتّىٰ يحتاج إلى أي دليل، ولكنّهم احتاجوا إلى البرهان لجهات أُخرىٰ:

ألف – إنّهم يثبتون عن طريق البرهان مشهوداتهم وكشفيّاتهم ويحلّلونها تحليلاً برهانيّاً.

ب ـ إنّهم يحتاجون إلى البرهان أحياناً لبيان مكاشفاتهم لأجل أنفسهم وذلك في حالة ما بعد الشهود والمنامات، لأنّه قد يختلف شهود عارف عن شهود عارف آخر، وقد يكون بينهما تفاوت، وفي هذه الحالة لايخلو إمّا أن يكون كلاهما على خلاف الحقّ أو واحد منهما، ولذا يلجأ إلى البرهان لإثبات ما هو الحقّ منهما أو يصل إلى الحقّ في خارج منهما.

ج ـ يحتاج العارف إلى البرهان لإثبات المشهودات للآخرين كالحكماء وأهل الكلام، لأنّ هؤلاء لايعترفون بدعاوى العرفاء، فلا مناص من وجوب الإثبات عن طريق البرهان.

وأمّا البحث في أنّ المكاشفة والتزكية هل يتمكّن بهما من الوصول إلى المعرفة، وهل يمكن أن يكونا ملاكاً للتحقيق وثبوت المعارف والحقائق مثل العقل والتجربة والنقل مثلاً، فهذا البحث خارج عن حدود هذه المقدّمة، وقد بحث هذا الموضوع وحقّقه ابن تركة في تمهيد القواعد ص ٢٣ ـ ٢٥ و ٢٧٤ ـ ٣٤٨ وكذلك صدر المتألّهين أيضاً في الأسفار وبعض مؤلّفاته الأُخرىٰ، فراجع.

ولكن ينبغي التذكير بهذه النكتة وهي أنّه يلزم أن يكون المعيار والميزان في صحّة الكشف في نهاية الأمر هو قول المعصوم عليه السّلام لأنّ قول المعصوم (نور لا ظلمة فيه) ولهذا مرجع العارف النهائي في معرفة صحّة كشفه وشهوده هو المعصوم ولكن هذا الرجوع إلى المعصوم وإلى الشرع المقدّس الثابت يختلف عن رجوع العوام إلى الشرع والمعصوم أي التقليد الإصطلاحي فانّ رجوع العارف الى المعصوم يكون بعد طيّ مراحل البرهان والعرفان فهو يكون فوق العرفان والبرهان ولكن التقليد الاصطلاحي يكون دون البرهان فهو تعبّد محض، وعلى كلّ: والوزن يومئذ الحقّ.

ونورد هنا كلام القيصري في الفصل السادس من فصول مقدّمة شرح الفصوص ص ٣٢، قال:

ومشاهدة الصّور تارةً يكون في اليقظة، وتارةً في النوم، وكما أنّ النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها، كذلك ما يُرىٰ في اليقظة ينقسم إلى أُمور حقيقيّة محضة واقعة في نفس الأمر، وإلى أُمور خياليّة صرفة لا حقيقة لها شيطانيّة، وقد يخلّطها الشيطان بيسير من الأُمور الحقيقيّة، ليضلّ الرّائيّ، لذلك يحتاج السّالك إلىٰ مرشد يُرشده وينجيه من

المهالك.

والأوّل (أي الأُمور الحقيقيّة المحضة) إمّا أن يتعلّق بالحوادث أو لا. فإن كان متعلّقاً بها فعند وقوعها كما شاهدها، أو علىٰ سبيل التعبير و (عند) عدم وقوعها يحصل التميّز بينها وبين الخياليّة الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتها الأصليّة إنّما هو للمناسبات الّتي بين الصور الظاهرة هي فيها وبين الحقيقة. ولظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلى أحوال الرّائي...

وأمّا إذا لم يكن كذلك، فللفرق بينها وبين الخياليّة الصّرفة موازين يعرفها أرباب الذّوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أنّ للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصّواب والخطأ، وهو المنطق.

منها (أي الموازين) ما هو ميزان عامّ وهو القرآن والحديث المُنبئ كلّ منهما على الكشف التّامّ المحمّديّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومنها ما هو خاصّ وهو ما يتعلّق بحال كلّ منهم، الفائض عليه من الإسم الحاكم والصّفة العالية.

القرآن ومباني الإدراك والمعرفة

من المسلّم أنّ القرآن الكريم في مقام بيان مباني المعرفة ردّ الظنّ والتقليد الأعمىٰ وذمّه بأشدّ الذّم، ولكنّه أيّد الحسّ والتجربة، والتعقّل والتفكّر، والعقل والبرهان، والقلب والتزكية والتقوىٰ، والشهود والوحي، والجهاد والهداية، وأكّد على هذه الموارد، وإليك نماذج من الموارد المذكورة نفياً وإثباتاً في آيات القرآن الكريم. راجع ص ٩٣ إلى ص ٩٦ من المقدّمة الفارسيّة.

الجداول والدّوائر

إحدى الخصوصيّات القيّمة الّتي امتاز بها آثار السيّد حيدر الآمليّ من قلمه الشريف هي إنشاء الدوائر والجداول، وقد بيّن السيّد المطالب المهمّة كثيراً ذات التعقيد أو المطالب الّتي تشتمل على شقوق وفروع كثيرة في صورة دوائر وجداول وذلك في كتاب

شرح الفصوص وأيضاً في هذا التفسير.

وإنّ بيان المطالب في صورة شكل الدائرة أو الجدول يكشف عن ذوق السيّد وسليقته اللّطيفة وفكره النيّر وفنّه المبدع ولا سيّما أنّ هذا كان قبل ٧٠٠ سنة وهو الأمر الّذي يتنبّه السيّد آنذاك إلى بيان المطالب بهذه الصورة الجميلة ويضعها في أحسن الأساليب وأفضلها.

وقد جاء في مقدّمات كتاب نص النّصوص حدود ٢٨ جدولاً ودائرة وقد جعلها المحقّق المحترم في آخر الكتاب، إلّا أنّ خطوط هذه الدوائر والكتابات فيها ليست واضحة بحيث لايمكن قراءتها أحياناً وليست قابلة للإستفادة، وقد كان المناسب جدّاً أن يكون في كلّ دائرة وجدول إيضاح وبيان لمرادات المؤلّف والتعليق عليها بما هو المتعارف، وهذا ما عملناه في هذا الكتاب. فنحن علّقنا على كلّ دائرة من الدوائر الّتي وضعها المؤلّف بحيث يتّضح مراده بصورة يمكن من الاستفادة منها بشكل أفضل، إضافة إلى ذلك أنّنا أثبتنا أصل الدائرة بخطّ المؤلّف.

راجع في كلمات المؤلّف حول الدوائر ونفس صورة الدوائر وبعض المطالب الأُخرىٰ منّا ص ٩٧ إلى ص ١١٨ من المقدّمة الفارسيّة والكتاب.

كتمان الأسرار والوصيّة به

من جملة ما اختصّ به العرفاء والحكماء الأجلّاء والعلماء بالله الربّانيّون هو كتمان الأسرار والوصيّة به، ومن هذا خصّ المؤلّف السيّد في مقدّمات كتابه نصّ النّصوص وفي كتابه جامع الأسرار فصلين في بيان هذا الكتمان وعلّته والوصيّة به، إضافة على خاتمة كتابه جامع الأسرار وهي أيضاً كتبت في هذا الموضوع.

هذا وقد يوجَد في كلمات وسيرة المعصومين عليهم السّلام أيضاً. قال رسول الله (ص):

«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس علىٰ قدر عقولهم».

والأئمّة المعصومون عليهم السّلام أيضاً ما قالوا كلّ شيء لكلّ شخص، بل كانت غرر المعارف وغرر الأحاديث يخصّون بها أفراداً خاصّين.

مثلاً بعض المعارف كانوا يقولونها لمثل سلمان وكميل وهشام بن سالم ولم يطلعوا

عليها غيرهم، وبهذه الجهة فبعض الأخبار الّتي هي من هذا القبيل، كغرر الأحاديث الّتي تتضمّن المعارف العالية ويحملها أمثال هؤلاء، نجد أنّ سندها واحدٌ وأحياناً رُويت بدون سند أو بسند مجهول أو مرسل أو مقطوع أو غير ذلك وأحياناً يُتّهم رُواتها بالغلوّ وغير ذلك، وجمع هذه الأحاديث يحتاج إلى تحقيق وتتبّع وسيع وكامل وستكون خدمة كبيرة في نهاية المطاف.

وفي الأساس موضوع الكتمان والإذاعة من جملة الموضوعات الّتي كانت محلّ اهتمام من الأئمّة المعصومين (ع) وورد في الروايات الواردة عنهم، حتّىٰ أنّ الكليني رحمه الله أورد في بابين من كتابه الشريف أصول الكافي روايات تحت عنوان: (باب الكتمان وباب الإذاعة).

راجع في هذه الروايات وكلمات المؤلّف في موضوع الكتمان وغيره من الأعلام ص ١١٨ إلى ص ١٢٨ من المقدّمة الفارسيّة والكتاب بلفظها العربي.

مقالة حول التفسير والمفسّر وأسماء الله الحسنىٰ ودرجات الإنسان ودركاته

في خاتمة هذه المقدّمة ولأجل حسن الختام نضمّ هذه الرسالة حول التفسير والمفسّر والأسماء الحسنىٰ وأسماء وأوصاف القرآن، وأسماء وأوصاف ومقامات خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمقامات النورانيّة للأنبياء عليهم السلام، ودرجات وكمالات الإنسان في صعوده، وهكذا دركاته وطريق سقوطه من خلال الآيات الواردة في الباب.

وذلك تكميل لكتاب التفسير الّذي من جملة مباحثه البحث حول الأسماء الإلٰهيّة الحسنىٰ للحق تعالىٰ، ولهذا نضمّ هذه الرسالة الّتي كنّا من قبل قد استقصينا البحث فيها بشكل دقيق من القرآن الكريم مباشرة، واستخرجنا المطالب منه حتّىٰ تهيّأ، ونرجو أن لايكون هذا البحث بلا فائدة إن شاء الله تعالىٰ.

وفي الأساس (كما سيتّضح ويتبيّن ضمن هذه المقالة) أنّ محتوىٰ هذه المقالة بمثابة المتن للتفسير الموضوعي المفصّل للقرآن في البيان والتفسير المحوريّ لمحتوى القرآن الكريم، يعني: الله سبحانه والإنسان.

وكلّ كلمة من هذه المقالة تحتاج إلى تفسير وتبيين دقيق مُستوفىٰ مع الإستفادة من

القرآن وروايات أهل بيت العصمة والطّهارة حتّىٰ تتّضح المفاهيم العالية والحقائق النورانيّة.

وليس كلّ واحد من الأسماء الحسنىٰ وأسماء وأوصاف القرآن والنبيّ الأعظم (ص) وبقيّة الأنبياء، وكذلك العناوين الواردة في القرآن في كمال الإنسان وسقوطه يشابه الأسماء والألقاب والعناوين الإعتباريّة الّتي يتعامل بها الناس العاديين، كما أنّها ليست مستعملة في القرآن بعنوان التبرّك، أو التعرّف بالأفراد وتمييز الواحد عن الآخر من جهة الحسب والنّسب، أو بعنوان الاحترام.

إنّ تلك الأسماء يجب أن لانتعامل معها معاملة لفظيّة فقط، بل كلّ واحد منها ينطبق على المسمّىٰ بتمام الدِّقّة وكلّ واحد منها مرآت وعلامة على الحقيقة النورانيّة والعينيّة بشكل لا نهاية له.

وكذا كل واحد من أسماء وأوصاف الأنبياء أيضاً يحكي عن مقام واقعيّ نورانيّ وجوديّ في وجودهم أي المتّحد مع وجودهم بل هو وجودهم.

فإذا أورد في القرآن كلمة «نور» أو كلمة «حكيم» فلا بدّ أن يُعلم ما هو ذلك المقام النوراني، وما هي آثاره، وما هي حقيقة الحكمة ومقام الحكمة.

وكذلك إذا قيل: أنّ ابراهيم (ع) (مُسلم) أو أنّ أيّوب (ع) (صابر) أو أنّ خاتم الأنبياء (عبده) فهذه حكايات عن الدّرجات العاليات وفوق العالية في وجودهم بشكل يكون ذلك المقام وتلك الدرجة النورانيّة عين وجودهم وأنّ وجودهم عين تلك المقامات، وليس إطلاق ذلك مجرّد ألفاظ لأجل الإحترام أو بعنوان المحبّة الصرفة.

وأيضاً فانّ ورود ألفاظ المقامات والدّرجات في القرآن مثل: الأبرار، والمقرّبين، والمخلِصين، والمخلَصين، وغير ذلك، وهكذا ما يقابلها من الدركات مثل: الغافلين، السّفهاء، طبع على قلوبهم، وغيرها، ممّا يشير إلى الإنسان الصاعد مع الكمال، أو الإنسان السّاقط مع الرّذيلة، كلّها حكاية عن ماهيّة وحقيقة وجود ذلك الإنسان، لأنّ الإنسان مصنوع لعمله وعلمه، ويستطيع من خلال العلم والعمل أن يجعل نفسه في مقام الإثبات لماهيّته كما يستطيع أن يجعل نفسه في مقام النفي، وكذلك يستطيع بذلك أن يكسب ماهيّة جديدة لنفسه.

وأمّا ما يتعلّق بمقامات أهل بيت العصمة والطّهارة والأئمّة الأطهار والسيّدة الصِّدِّيقة الطّاهرة عليهم السلام، فانّ مقامات هؤلاء فوق الأنبياء (ع) وأنّهم مع النبيّ (ص) نور

واحد، ويحتاج بيان تلك المقامات من طريق القرآن والأحاديث إلى رسالة أُخرىٰ، وسنذكر هذا في محلّه لو كتب لنا التوفيق إن شاء الله .

وبعد هذا البيان المجمل نأخذ في الحديث في أصل المقالة .

المرحلة الأُولىٰ في تفسير القرآن

أوّل المفسّرين :

ابتدأ علم التفسير مترامناً مع نزول القرآن، وأوّل مفسّر للقرآن هو النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأساساً فإنّ التفسير والتبيين لآيات القرآن وظيفة النبيّ (ص) ورسالته، وقد أوكل هذا الأمر إلى النبيّ (ص) من قِبَل الحقّ تبارك وتعالى:

﴿وأنزلنا إليك الذِّكر لتبيِّن ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون﴾ (النحل ٤٤).

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة ١٥).

المفسّر الثاني :

في المرحلة الثانية بعد نزول آيات القرآن المفسّر للقرآن هو نفس القرآن، فإنّه المبيِّن الكامل والمفسّر لآياته، وهذا التفسير والمفسّر دائم البقاء، حيّ دائماً وموضّح للقرآن ما دام القرآن موجوداً، وقد ذكر القرآن هذه الحقيقة نفسه عندما قال: القرآن نور، والنور ظاهر بذاته ومظهر لغيره، وأيضاً قال: هو الّذي تبيان لكلّ شيء ولا شكّ أنّه يكون بذلك تبياناً لنفسه أيضاً:

﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ وهدىً ورحمة وبشرىٰ للمسلمين﴾ (النحل ٨٩).

﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين﴾ (المائدة ١٥).

﴿ولا رطبٌ ولا يابسٌ إلّا في كتاب مبين﴾ (الأنعام ٥٩).

وقال أمير المؤمنين (ع):

«كتاب الله ... وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» (نهج البلاغة خ ١٣٣).

المفسِّر الثالث:

في المرحلة الثالثة المفسِّر الحـقيقيّ للقرآن هو أهل بيت العصمة والطّهارة عـليهم السلام، فإنّهم أبواب علوم الأوّلين والآخرين، وورثة علم النبيّ الخاتم (ص)، وهم الثقل الأكبر في الحقيقة ولو أنهم الثقل الأصغر في الظاهر والظهور.

وأساساً فإنّ كلّ ما وصل من منبع العصمة وأهل بيت النبوّة وأصحاب الحـقيقة والولاية من الأحاديث والأدعية والمناجات كـلّها تـفسير للـقرآن، وإليك طـرفاً مـن الأحاديث في هذا الموضوع:

عن الصّادق (ع):

«نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله» (أُصول الكافي ج ١ ص ١٩٢ ح ١).

عن الباقر (ع):

«نحن خزّان علم الله ونحن تراجمة وحي الله» (نفس المصدر ح ٣).

عن الكاظم (ع):

«نحن الّذين اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الّذي فيه تبيان كلّ شيء» (أُصول الكافي ج ١ ص ٢٢٦ ح ٧).

عن الرضا (ع):

«فإنّ محمّداً (ص) أمين الله في خلقه فلمّا قبض (ص) كنّا أهل البيت ورثته» (أُصول الكافي ص ٢٢٣ ح ١).

طريق الاستفادة من الأحاديث في تفسير القرآن

لأجل الاستفادة من الروايات وكلمات أهل البيت (ع) في فهم وتفسير القرآن ينبغي على الأقل مرعات الأُمور الضروريّة التالية:

ألف ـ المراجعة للروايات الواردة ذيل الآيات القرآنيّة تطبيقاً وبياناً للـمصاديق، ومن ذلك يمكن اصطياد الضابطة في تفسير آيات القرآن. والجـدير بـالذكر أنّ بـعض الآيات جاءت لبيان المصداق بعنوان أنّه مصداق منحصر بفرد معيّن لا تتجاوز عنه، مثل آية التطهير الخاصّة بأهل البيت (ع).

ب ـ لا بدّ أن يقف الإنسان من طريق مراجعة الروايات مع الدّقّة والتأمّل في الأحاديث التفسيريّة الواردة عن أهل البيت على طريقة تفسيرهم (ع) للآيات وكيفيّة الإستفادة من آيات القرآن في التفسير وتطبيق الآيات بعضها على الأُخرىٰ وطريق كشف المعاني والمعارف من القرآن.

ومن هذه الطريقة يتمكّن الإنسان من تفسير القرآن والوصول إلى بحر النور اللّامتناهي الّذي لا ساحل له.

ج ـ بما أنّ جميع كلمات الأئمّة (ع) يُحسب تفسيراً للقرآن، وبما أنّهم (ع) بيّنوا جميع ما يحتاج الإنسان في كماله بما أنّه إنسان، فيجب تفسير الآيات والكلمات القرآنيّة بما ورد عنهم (ع) في الموضوعات المختلفة والعناوين المتفرّقة.

المرحلة الثّانية في تفسير القرآن

ما ذكرناه حول التفسير والمفسّرين كان بعنوان المرحلة الأُولىٰ، وأمّا في هذه المرحلة من التفسير والمفسّرين فهو من نوع الإنتقال الثاني، وفي هذه المرحلة سيكون التفسير تفسيراً كاملاً وجامعاً وخالصاً لو كان مستنداً ومستفاداً من المنابع الثلاثة المذكورة، ومع الأُنس والتدبّر في آيات القرآن لتفسير الآيات الأُخرىٰ منه لكي تنكشف للمفسّر العلوم والمعارف والحقائق الظاهريّة والباطنيّة.

الأُنس بالقرآن والتدبّر فيه

إنّ من أفضل الطرق لمعرفة القرآن ومعارفه: الأُنس به والإستيناس معه والتدبّر في آياته، وهذا يوجب نورانيّة قلب الإنسان ووجوده ويحثّ الإنسان على أن يكون إنساناً قرآنيّاً ونورانيّاً، ولهذا فمن جملة وظائف الإنسان الّتي بيّنها القرآن هي التدبّر في القرآن:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء ٨٢).

﴿كتاب أنزلناه مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أُولو الألباب﴾ (ص ٢٩).

﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها﴾ (محمّد ٢٤).

لا ينبغي أن تكون تلاوة القرآن بدون تدبّر وتأمّل لأنّ آيات القرآن مع التدبّر فيها

توضح نفسها، وليس التدبّر في الآيات هو التعطيل والإيقاف عن الحركة والتفكّر، فإنّ التدبّر في آيات القرآن هو في الواقع تفسير الآيات بالآيات الأُخرىٰ وتطبيق الآيات على الأُخرىٰ، وهذا العمل توأم مع الحركة الفكريّة، فإنّ من أثر التدبّر في الآيـات إيـضاح الآيات المتشابهة والمتّحدة في المعاني والمعارف، وحينئذ يتمكّن الإنسان مـن تحـصيل المعاني الأصليّة ولبّ الآيات القرآنيّة، طبعاً لا بدّ أن يكون التدبّر في آيات القرآن بفكر خالص وذهن خال وقلب طاهر متمشّياً مع التعقّل، وإلّا: ﴿ولا يـزيد الظّـالمين إلّا خساراً﴾ (الإسراء ٨٢).

محتوى القرآن هو: الله سبحانه والإنسان

في القرآن كلمتان ولم يأت أكثر منهما، وهاتان الكلمتان هما عبارة عن الله سبحانه وتعالى وهو الحقّ الظاهر والإنسان وهو المظهر، وأمّا سائر المعاني والمعارف والحـقائق وكلّ ما ورد فهي إمّا أنّها تتعلّق بالأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ ومظاهرها، وصفاته وأفعاله تعالىٰ، أو أنّها ترتبط بأفراد ومراتب الإنسان حول سيره التكاملي صعوداً ونزولاً أي إمّا أنّها درجات أو أنّها دركات للإنسان، أو أنّها واردة في شؤون عوالم الانسان، والآيات المرتبطة بالأنبياء (ع) وفي أفراد الشياطين في قبال تلك الآيات، أيضاً مرتبطة بـتفسير الإنسان. وكذا الآيات المربوطة بالنبوّة والولاية والمعاد والأخـلاق والأحكـام فـهذه الآيات أيضاً جميعها لأجل الإنسان وترتبط به.

هذا بما أنّ الإنسان هو مظهر إسم الجلال والجمال الإلهيّ، وعلى هذا فالقرآن فـيه كلمة واحدة وهو الحقّ سبحانه وتعالىٰ ومظاهره:

﴿وهو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن﴾ .

ومن هذه الجهة يصبح كلّ شيء جميلاً، فالعالم هو نظام أحسن، والقرآن هو أحسن الحديث، والإنسان هو أحسن المخلوقين كما أنّ الله سبحانه وتعالىٰ هو أحسن الخالقين.

وهذه الثلاثة ـ الإنسان ـ العالَم ـ القرآن، هي حقيقة واحـدة لا أكـثر وذلك لأنّ القرآن هو الظهور الكتبيّ للعالَم والإنسان، والعالَم هو الظهور التكويني للإنسان والقرآن، والإنسان هو الظهور النفسي للعالَم والقرآن.

وعلى هذا لا يرىٰ ولا يقرأ في العالم والإنسان والقرآن إلّا هو، ولا يوجد إلاّ هو، يا هو يا من لا هو إلّا هو.

من عرف نفسه فقد عرف ربّه

يستفاد من هذا الحديث أنّ نفس الإنسان هي مجلى الحقّ سبحانه وتعالىٰ...
راجع في ذلك ص ۱۳٦ إلى ص ۱۳۸ من المقدّمة الفارسيّة كتبنا فيها باللّغة العربيّة.

الأسماء الحسنىٰ

على ما نستفيد من القرآن بعد الفحص والتحقيق مباشرة وجدنا أنّ تعداد أسماء الحسنىٰ في القرآن بتعداد سور القرآن.

راجع في تفصيل هذا ونفس الأسماء الحسنىٰ مع ذكر الآيات المرتبطة بها ص ۱۳۸ إلى ص ١٤٥ من المقدّمة الفارسيّة والكتاب.

أسماء وأوصاف (مقامات) خاتم الأنبياء في القرآن
(عبده ورسوله)

قبل بيان أسماء وأوصاف النبيّ (ص) وذكر الآيات المرتبطة به نذكر جملة من الآيات الشريفة من القرآن على نحو كلّي عن مقام الإنسان الكامل والدالّة على عُلوّ مقام النبيّ (ص) وأفضليّته على سائر الأنبياء، ولكن نذكرها بدون تفسير وتوضيح، ثمّ بعد ذلك نضع أسماء وأوصاف النبيّ الخاتم (ص) في القرآن.

هذا فإنّ من جملة المقامات الّتي اختصّ بها النبيّ (ص) عبارة عن مقام (عبده) ومقام (رسوله) يعني انتساب عبوديّته ورسالته (ص) بـ(هو) يعني الهوية المطلقة وغيب الغيوب فهذا يختصّ بعبوديّة النبيّ الخاتم ورسالته.

وبناء على هذا فالرسول الكريم محمّد بن عبدالله (ص) هو عبد مطلق لحضرة الغيب المطلق ورسوله، ومن المعلوم أنّ هذا المقام غير مقام العبوديّة المضاف إلى إسم خاص مثل عبدالله، عبدالرحمٰن، عبدنا، وكذلك رسول الله، رسول ربّ العالمين وغير ذلك.

ومقامه هذا (عبده) لايمكن أن يوازن ويقاس سائر المقامات أبداً وعلى الإجمال لعلّ هذه المنزلة والمرتبة (عبده) تحكي عن أنّ الصادر الأوّل هو الحقيقة المحمّديّة

ومقامات الخلق الأوّل والعقل الأوّل وغيرهما من جملة الشئون الّتي لا نهاية لها للنبيّ الأعظم (ص) والله هو العالم.

وأمّا الآيات الّتي وعدنا بذكرها فهي:

ألف ـ ﴿وهو بالأُفق الأعلىٰ ثمّ دنا فتدلّىٰ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ، فأوحىٰ إلى عبده ما أوحىٰ﴾ (النجم ٧ ـ ١٠).

ب ـ ﴿ويوم نبعث في كلّ أُمّة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً علىٰ هؤلاء﴾ (النحل ٨٩).

ج ـ ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ (النحل ٨٩).

د ـ ﴿وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس﴾ (سبأ ٢٨).

هـ ـ ﴿ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾ (الأحزاب ٤٠).

وبعد ذكر الآيات السابقة والتوجّه الإجماليّ بالمقام العاليّ والشامخ الّذي هو مظهر تامّ للحقّ سبحانه، نذكر أسماءه وأوصافه (ص) الواردة في القرآن، مع التوجّه إلى هذه النكتة المهمّة وهي أنّا لسنا هنا في مقام استقصاء جميع الآيات المرتبطة بالنبيّ (ص) بل مرادنا ذكر أسماءه وأوصافه (ص) فقط في القرآن وإلّا فما ورد فيما يتعلّق بالنبيّ (ص) في القرآن فهو كثير جدّاً أكثر ممّا نذكره هنا.

وأمّا الروايات الّتي ذكرت أسماءه وأوصافه (ص) فيها، فهي ما يلي:

راجع تلك الآيات من ص ١٤٦ إلى ص ١٤٩ من المقدّمة التالية الفارسيّة.

هل أنّ معرفة الرسول المكرّم (ص) ممكنة؟

من هو القادر على معرفة المقامات النورانيّة لوجود خاتم الأنبياء؟ يعني الشخص الّذي هو أوّل إنسان وآخر الأنبياء وهو كامل الأنبياء وكملهم، والشخص الّذي هو مرآة تامّة لجلال الله وجماله تعالىٰ، وعبده الخاصّ والعبد المطلق له سبحانه وتعالىٰ، هيهات هيهات لا أحد يمكن أن يعرفه إلّا الله وأمير المؤمنين الّذي هو نفسه ووصيّه، أو عن طريق القرآن فلا يمكن لأحد، ولا قدرة لأحد على معرفته (ص) الّذي هو صاحب ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ حتّىٰ أنّ جبرائيل لم يملك القدرة على مرافقته، وقد كلّف جميع

الأنبياء بالإيمان به برسالته وكلّهم جاءوا لجهة استقباله وبشّروا به وهيّئوا الأجواء لبعثته. وهو الّذي له مع الله خلوة ومجلس أنس به وهو موضع خطاب: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

كيف يمكن معرفته لأحد إلّا الله الّذي هو خالقه، وعليّ الّذي هو نفسه، والقرآن الّذي هو تفسيره، وأمّا ما عدا ذلك فلا يمكن لأحد معرفته، وتلاحظ في ما ذكرناه وما نذكره من الآيات والروايات التالية:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم عليّ ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشّاهدين﴾ (آل عمران ٨١).

﴿الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (البقرة ١٤٦).

﴿وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ (الصف ٦).

عن عليّ (ع) قال:

«ما أعطى الله عزّ وجلّ نبيّاً درجة ولا مرسلاً فضيلة، إلّا وقد جمعها لمحمّد (ص) وزاد محمّداً (ص) على الأنبياء أضعافاً مضاعفة» (بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٨).

وجاء في الحديث النبويّ المعروف:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان» (بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٦٠).

وأيضاً قال:

«لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي» (الفتوحات ج ٨ ص ٣٠٨).

وأيضاً قال رسول الله (ص) مخاطباً لعليّ (ع):

«إنّك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ» (نهج البلاغة خ القاصعة).

وقال رسول الله (ص) مخاطباً لعليّ (ع):

«لا يعرف الله إلّا أنا وأنت، ولا يعرفني إلّا الله وأنت، ولا يعرفك إلّا الله وأنا» (مقتل الحسين «ع» ـ المقرّم، نقلاً عن مختصر البصائر ص ١٢٥).

وجاء في أحاديث المعراج:

«فلمّا بلغ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، فانتهىٰ إلى الحجب، فقال جبرئيل: تقدّم يا رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت» (بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٢).

قال رسول الله (ص):

«أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً» (عوالي اللّئالي ج ٤ ص ١٢٢).

وأيضاً قال (ص):

«كنت أوّل النّاس في الخلق واخرهم في البعث» (الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦ ح ٦٤٢٣).

وأيضاً قال (ص):

«أنا وعليّ من نور واحد، وأنا وإيّاه شيء واحد» (عوالي اللّئالي ج ٤ ص ١٢٤).

وقوله تعالىٰ:

﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ (آل عمران ٦١).

أسماء وأوصاف القرآن

راجع في هذا العنوان ص ١٥١ إلى ص ١٥٣ من المقدّمة التالية الفارسيّة التي ذكرت فيها الآيات القرآنيّة المرتبطة لأسماء القرآن.

تفاوت أوصاف ودرجات (مقامات) الأنبياء في القرآن

الف ـ ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات﴾ (البقرة ٢٥٣).

ب ـ ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ﴾ (الأنعام ١١٢).

ج ـ ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً﴾ (المائدة ٤٨).

د ـ ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنّه عليٌّ حكيم﴾ (الشورىٰ ٥١).

هـ ـ ﴿أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ (الإسراء ٢١).

و ـ ﴿آمن الرّسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحدٍ من رسله﴾ (البقرة ٢٨٥).

وبعد:

فنقول: الأنبياء كلّهم كلمات الله وأسماءه الحسنىٰ ونماذج للإنسان الصاعد، وكلّهم حقيقة واحدة ونور واحد، وكلّهم دعاء إلى الصراط المستقيم والتوحيد.

وكما أنّ الأسماء الحسنىٰ ذات مراتب كذلك الأنبياء أيضاً مع أنّهم في حقيقة الأمر كلّهم وسائط الفيض الإلهيّ وسفراء الله تعالىٰ ولكن يجب حفظ المراتب، كلّ واحد منهم له مرتبة خاصّة.

وبالمعنى الأدقّ أنّ توفيقيّة الأسماء الإلهيّة هي حفظ المراتب، وأنّ كلّ إسم في مرتبة خاصّة وكلّ منها مظهر لإسم خاص للحقّ سبحانه. وله موطن خاص وفعليّة خاصّة، ولو أنّ كلّ إسم من جهة أنّه يحكي عن الذات والوجود، يحكي كل واحد منها في الجملة عن تمام الذات.

بل بناء على هذا المعنى المذكور يكون جميع أجزاء العالم وكلّ الموجودات في نظامها الأحسن توفيقيّة لأنّ في ذلك النظام لايمكن لموجود أن يقبل التغيير عن موطنه ويتبدّل بغيره.

تفاوت مراتب ومنزلة الأنبياء

أفضليّة النبيّ الخاتم (ص)،وهكذا التفاضل بين الأنبياء أحدهم على الآخر على أساس الفضائل الحقيقيّة والعينيّة، ومنشأ ذلك من تفاوت مقام ولايتهم، وكما أنّ الأنبياء (ع) يتفاوتون من حيث النبوّة ومقام الأخذ والرسالة ومقام الإبلاغ، كذلك يتفاوتون من حيث مقام الولاية. وأساساً كما أنّ مقام النبوّة والرسالة يستند إلى مقام الولاية وبدون الولاية لاتحصل النبوّة والرسالة، كذلك التفاوت في النبوّة والرسالة يستند إلى التفاوت في رتبة الولاية.

ولكن قد يوجد مقام الولاية بدون النبوّة والرسالة وأيضاً لايكون للإنسان مقام

النبوّة والرسالة إلّا أنّه قد يكون في مقام الولاية أعلىٰ وأرفع من كلّ الأنبياء والمرسلين كما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام مع أنّهم ليسوا بأنبياء ورسلاً لكنّهم أفضل من الأنبياء والرسل من حيث الولاية، إلّا النبيّ الخاتم (ص).

ثمّ إنّ مرجع التفاوت بين درجاء الأنبياء والتفاضل في مقاماتهم الّتي سنستفيدها وسنذكرها من القرآن يعود في الأصل إلى التفاوت في مقام الولاية لكل واحد منهم. والله هو العالم.

المقامات والأوصاف العينيّة للأنبياء (ع)

راجع في الآيات المرتبطة في هذا العنوان ص ١٥٥ إلى ص ١٦٥ من المقدّمة التالية الفارسيّة.

تفسير الإنسان وبيان درجاته ودركاته في القرآن

في البداية نشير إلى جملة من الآيات المباركة:

ألف ـ ﴿أفمن اتّبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير. هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾ (آل عمران ١٦٢ ـ ١٦٣).

ب ـ ﴿أُولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم﴾ (الأنفال ٤).

ج ـ ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ أُولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف ١٧٩).

د ـ ﴿إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار ولن تجد لهم نصيراً﴾ (النساء ١٤٥).

وإن كان تفسير الإنسان الّذي هو المظهر التامّ لجلال وجمال الله تعالىٰ، فيجب في النهاية أن يكون متخلّقاً بأخلاق الحقّ تعالىٰ الّتي هي نفس الأسماء الحسنىٰ لله سبحانه، لكي يكون مرآة لظهور أسمائه الحسنىٰ، شُرع من ابتداء هذه المقالة، ولكن تلك المطالب

السّابقة كل واحد منها ينبغي أن يكون تحت عنوان خاصّ، ولكن الأوصاف المذكورة في هذا القسم من هذه الرسالة حول الإنسان تكون له بما أنّه انسان، ومن هذه الجهة جعلنا هذا القسم من هذه الرسالة تحت عنوان تفسير الإنسان.

ولكلّ واحدة ممّا سنذكره من الكلمات والمقامات حول الإنسان إنّما هي مواطن متعدّدة من القرآن وفي ضمن آيات مختلفة، ولبيان كلّ واحدة منها شرائط وعوامل وآثار مختلفة وتفسيراً مناسباً، ويكون ذلك مع التوجّه إلى الآيات المختلفة في القرآن والأحاديث المرتبطة، وكلمات أهل بيت العصمة والطّهارة وخطبهم وأدعيتهم في هذا المجال وطبعاً ستكون في من هذه الفكرة ومع مراعات الأطراف كلّها وكتابتها شرحاً وتفسيراً موضوعيّاً للقرآن الّذي أشرنا إليه سابقاً.

إلّا أنّنا فعلاً في مقام وضع متن الموضوع، وسنذكر لكلّ مورد من الأوصاف الإنسانيّة أنموذجاً واحداً من الآيات الكريمة.

أوصاف ودرجات الإنسان الصّاعد

راجع في تفصيل هذا العنوان ص ١٦٧ إلى ص ١٧٤ من المقدّمة التالية الفارسيّة ذكرنا فيها الآيات المرتبطة.

أوصاف ودركات البشر السّاقط

راجع في تفصيل هذا العنوان أيضاً وآياته المرتبطة ص ١٧٤ إلى ص ١٨١ من المقدّمة التالية.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مقدمة الطبعة الاولىٰ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين ذي الجلال والإكرام ليس كمثله شيء وهو بكلّ شيء محيط وهو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن، اللّهمّ أنت الله لا إله إلاّ أنت الأحد الفرد الصّمد، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين.

سبحانك اللّهمّ وشكراً لك بالقرآن الذي يهدي للّتي هي أقوم وكتابك الّذي أنزلته على عبدك ليكون للعالمين نذيراً وللمتّقين هادياً ولمن استجاب به من المؤمنين حياة طيّبة وقلت فيه:

﴿ياأيُّها الّذين آمنوا آستجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يُحْييكم﴾.

اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد المنتجب المصطفىٰ أفضل صلواتك وبارك عليه أتمّ بركاتك صلاة تُجاوز رضوانَك ويتّصل اتّصالها ببقائك ولا ينفد كما لاتنفد كلماتك.

وصلّ اللّهمّ علىٰ أطائب أهل بيته الّذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنةَ علمك وحفظةَ دينك وخلفاءك في أرضك وحججَك على عبادك وطهّرتَهم من الرّجس والدّنس تطهيراً صلاةً لا أمدَ في أولّها ولاغاية لأمدِها ولانهاية لآخرها.

اللّهمّ إنّك أيّدت دينك في كلّ أوانٍ بإمام أقمته عَلَماً لعبادِك، ومَناراً في بلادك بعد أن وصلتَ حبله بحبلك، وجعلته الذّريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته وحذّرتَ معصيته، وأمرتَ بإمتثال أوامره، والإنتهاء عند نهيه، وألاّ يتقدّمه متقدّم ولا يتأخَّرَ عنه

متأخّر، فهو عصمة اللاّئذين وكهفُ المؤمنين وعروةُ المتمسّكين وبهاءُ العالمين.

اللّهمّ فاوزع لوليّك شكر ما أنعمتَ به عليه وأوزِعْنا مثله فيه، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً وافتح له فتحاً يسيراً.

اللّهمّ صلّ وسلّم علىٰ وليّك الحجّة بن الحسن القائم المنتظر الهادي المهديّ اللّهمّ عجّل في فرجه واجعلنا من أعوانه ولاتسلبنا اليقين في غيبته ولاتُنسنا ذكره وانتظاره والإيمان به وقوّة اليقين في ظهوره.

اللّهمّ وعبدك الّذي أنعمت عليه قبل خلقِك له وبعد خلقِك إيّاه فجعلتَه ممّن هديتَه لدينك ووفّقتَه لحقّك وعَصَمْتَه بحبلك وأدخلته في حزبِك وأرشدتَه لموالاة أوليائك ومُعاداةِ أعدائك وهذا بعدُ أقلّ الأقلّين وأذلّ الأذلين و:

﴿**لا إلٰه إلاّ هو كلّ شيء هالك إلاّ وجهه**﴾.

امّا بعد، جهت آشنائی اجمالی با كتاب و مؤلّف بزرگوار، عناوینی را بترتیب زیر به عنوان مقدّمه توضیح می دهیم:

الف ـ گزارش كار تحقيق.

ب ـ مشخّصات كتاب و نواقص نسخه.

ج ـ نام و عنوان كتاب.

د ـ توصيف نسخهٔ خطّی و أصل تفسير المحيط الأعظم در بيانات بعضی از اعلام و مؤلّف بزرگوار و مقايسهٔ تفسير با قرآن كريم و كتاب فصوص الحكم.

هـ ـ گذری به سير و سلوك علمی و عملی مؤلّف و تأليفات و مشايخ آن حضرت.

و ـ فيض حقّ تعالىٰ برای مؤلّف و دانش بی‌پايان او.

ز ـ تمثّلات و منامات جناب سيّد مؤلّف.

ح ـ مقايسه ای بين جناب سيّد حيدر و جناب سلمان.

ط ـ تأليف و تصنيف به عربی و فارسی.

ی ـ نقل مطالب و عباراتی از ديگران در كتابهای مؤلّف.

ك ـ تكرار مطالب و بعضی از عبارات در كتب و رسائل مؤلّف.

ل ـ دوری از تعصّب در مباحث.

م ـ تواضع و طلب اصلاح.

ن ـ شیعه و عارف ـ و تشیّع و عرفان در نوشته های جناب سیّد.

س ـ جمع بین شریعت و طریقت و حقیقت.

ع ـ بیان عرفان بزبان برهان و جمع بین برهان و عرفان و قرآن.

ف ـ قرآن و مبانی شناخت و معرفت.

ص ـ جداول و دوائر.

ق ـ کتمان الأسرار والوصیّة به.

ر ـ مقاله ای دربارهٔ تفسیر، و مفسّر و اسماء حسنی الٰهی، و درجات و درکات انسان.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

گزارش کار تحقیق

از سالهای قبل نه چندان نزدیك پس از آشنائی و مطالعهٔ کتاب جامع الأسرار و رسالهٔ نقد النقود تألیف جناب سیّد حیدر آملی، با شخصیّت و تألیفات جناب ایشان آشنا شده و در بین تألیفات آن حضرت دو کتاب: تفسیر و نصّ النصوص، از آن جهت که آخرین تالیفات او بوده و بخصوص به جهت توصیف و تعبیراتی که خود ایشان در بارهٔ این دو کتاب دارند بیشتر جلب توجّه می کردند، از این روعلی الدّوام در صدد بودم آن دو کتاب را حدّ أقلّ یك دوره مطالعه کرده و در صورت توان و امکان، تحقیقی در مورد آن دو کتاب به عمل آورم.

از قضاء إلهی سال ۱۳۶۳ شمسی ماه مبارك رمضان ۱۴۰۴ قمری در شهر مقدّس مشهد در محضر بعضی از علماء و أفاضل صحبتی از تفسیر قیّم جناب سیّد حیدر بمیان آمد، از اظهارات آنان علاقه شدیدشان به نشر آن کتاب کاملاً مشهود بود، در همان جلسه تصمیم گرفتم به إحیاء این گنجینهٔ مخفی إقدام کنم، و لکن هرچه تحقیق و تفحّص با مراجعه به کتابخانه‌های معتبر و فهرس‌های مختلف کتابخانه‌های داخلی و خارجی وسئوالات فراوان از أفراد صاحب کتاب‌های خطّی و مطّلع به‌عمل آمدجز همان نسخهٔ نفیس (فقط مشتمل جلد اوّل و دوّم) با خطّ شریف مؤلّف بزرگوار در کتابخانه عمومی حضرت آیت الله العظمیٰ نجفی مرعشی «قدّس الله سرّه» نیافتم.

پس از مدّتی که مشغول بررّسی و مطالعه کتاب شدم، (با توجه به وجود

اشکالات زیادی در نسخهٔ مذکور) معلوم شد تحقیق کتاب به صرف وقت شبانه روزی مداوم نیاز دارد، و لذا عکس نسخه را از کتابخانه تقاضا کردم که با استقبال گرم و موافقت جناب حجّة الاسلام والمسلمین، آقای سیّد محمود مرعشی آیت الله زاده و مسئول کتابخانه قرارگرفت که مراتب تشکّر و قدردانی از ایشان داشته و از خدای سبحان موفقّیت ایشان را در إحیاء آثار أهلبیت عصمت و طهارت مسئلت می کنم.

کار تحقیق در چند مرحله بترتیب زیر انجام گرفت:

الف ـ ترتیب صفحات کتاب، از آنجا که صفحات نسخهٔ مزبور بدون ترتیب واقعی و بصورت درهم و به‌هم‌ریختگی عجیبی صحّافی شده است، پس از بررسی و مطالعهٔ دقیق کتاب در مدّت تقریباً طولانی چندین ماهه، بحمد الله والمنّة موفّق شدیم صفحات را در جای خود قراردهیم.

ب ـ استنساخ، در استنساخ کتاب دو مشکل عمده سر راه قرارداشت: اوّل خط، دوم ضایعات.

خطّ نسخه ولو از آن جهت که به‌خطّ نورانی مؤلّف بزرگوار بوده و از این جهت اعتبار نسخه صد در صد است ولکن از آنجا که خط جناب سیّد حیدر بسبکی إحیاناً مخصوص ایشان بوده و به‌طورتقریباً مشکل خوانا است، آشنایی با آن احتیاج به زمان و انس با آن خط داشت.

و أمّا ضایعات، به‌طورکلّی یا در أثر مرور زمان و یا از طریق موریانه و یا در أثر بی‌دقّتی و اهمال صحّاف و احیاناً عواملی غیر اینها در این نسخه نفیس و منحصر به‌فرد به‌وجود آمده است، بهمین‌دلیل هنوز پس از گذشت چندین سال استنساخ بعضی از صفحات تکمیل نشده‌است.

البتّه با عنایت خدای سبحان مشکل أکثر قریب به اتّفاق قرائت و ضایعات با توجه به دقّت و تأمل و زحمات طاقت‌فرسا از طریق آشنائی با خط کتاب که به‌مرور حاصل شد و با دقّت و مطالعهٔ مکرّر و با مراجعات مختلف به آیات و روایات و أدعیه و کتابهای مختلف فلسفی و عرفانی و تفسیری و لغوی و با مراجعه مکرّر به کتابهای دیگر مولّف و موارد متفرّقه دیگر حلّ شده‌است. ولکن متأسفانه آن قسمت از ضایعات موریانه‌ای که در صفحات تفسیر سورهٔ بقره اتّفاق افتاده قابل حلّ و إصلاح نبود، و احیاناً قسمت عمده‌ای از صفحات قابل استفاده نیست، مگر ان شاء الله تعالی نسخه

دیگری پیدا شود، ضمنا در موارد بسیار جزئی دیگر هم آنجاها که ضایعه‌ای غیر قابل جبران و غیر قابل قرائت بود با چند نقطه (. . . . . .) مشخّص کردیم.

ج ـ عنوان بندی، از آنجا که تألیف کتاب طبق روال کتب قدماء بوده مطالب کتاب موضوعبندی نشده است هرچند که فصل‌بندی دارد، و از طرفی کتابی بسیار پر مطلب است، از اینرو مطالب کتاب عنوان‌بندی شده و فهرستی ـ هم جهت استفاده کامل از محتوای کتاب بترتیب همان عناوین ـ برای کتاب قراردادیم.

د ـ اقدام به استخراج آیات و احادیث و غیر ذلك.

در این مرحله هم آدرس آیات قران را در کنار آیات آوردیم و امّا احادیث تا آنجا که امکان داشت با مراجعة به أصول جوامع روائی و کتب مختلف دیگر، و با تحقیق و تفحّص فراوان و طولانی بحمد الله والمنّه اکثر قریب به اتّفاق احادیث مورد تحقیق و استخراج قرارگرفته و با ارجاع به کتب احادیث و احیاناً کتب دیگر، مصادر آنها مشخّص گردیده است، و در ارجاع احادیث حدّ اکثر سعی این بوده که به کتب زمان قبل از زمان مولّف و تألیف تفسیر؛ ارجاع داده شود، و علاوه از آن در مواردی هم که متن حدیث مورد استشهاد؛ پیدا و یافت نشد، روایاتی در مضمون آن حدیث در ذیل آن با مصادر مشخّص نقل شده است.

ارجاعات احادیث باضافهٔ بعضی از مطالب دیگر تعلیقات را تشکیل می دهند.

از آنجا که احادیث موجود در این کتاب احیاناً اختصاص به این کتاب نداشته و در کتابهای عرفانی معتبر دیگر نیز مورد استشهاد قرارگرفته‌اند، تعلیقات مذکور می‌تواند برای سایر کتب عرفانی نیز مورد استفاده قرارگیرد إن شاء الله تعالی.

مشخّصات کتاب و نواقص نسخه

جناب سیّد حیدر آملی کتاب تفسیر المحیط الأعظم را در ماه مبارك سال ۷۷۷ قمری در هفت جلد به‌پایان رسانده است.

در این کتاب قبل از شروع به تفسیر و تأویل آیات قران، هفت مقدّمه بعنوان

مدخل و پیش در آمد نسبت به محتوای آن نگاشته است. عناوین آن مقدّمات، ـ که جلد اوّل از هفت جلد نسخهٔ مولف را تشکیل می دهد ـ مطابق عبارت خود مؤلّف بقرار زیر است.

المقدّمة الأولىٰ، في بيان التأويل والتّفسير، والفرق بينهما وبيان أنّ القرآن واجب عقلاً وشرعاً.

المقدّمة الثّانية، في بيان كتاب الله الكبير الآفاقي وتطبيقه بكتاب الله القرآنيّ الجمعي.

المقدّمة الثّالثة، في بيان حروف الله الآفاقيّة وتطبيقها بحروف الله القرآنيّة.

المقدّمة الرّابعة، في بيان كلمات الله الآفاقيّة وتطبيقها بكلمات الله القرآنيّة.

المقدّمة الخامسة، في بيان آيات الله الآفاقيّة وتطبيقها بآيات الله القرآنيّة.

المقدّمة السّادسة، في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان أنّها أسماء مترادفة صادقة علىٰ حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة.

المقدّمة السّابعة، في بيان التوحيد وأقسامه ومراتبه من التوحيد الفعلي والوصفي والذّاتي.

لازم به یادآوری است، از هفت جلد مذکور فقط جلد اوّل که مشتمل بر مقدّمات مفصّل هفتگانه است و نیز جلد دوّم که مشتمل بر تفسیر و تأویل آیات سورهٔ حمد و قسمتی از آیات سورهٔ بقره می باشد، در اختیار است و ۵ جلد دیگر که ادامهٔ تفسیر است در دست نیست و آدرس و نشانی هم از آنها نداریم.

امّا آنچه بحسب تحقیق ان شاء الله چاپ و منتشر خواهدگشت چهار جلد خواهد بود:

جلد اول، مشتمل بر مقدّمهٔ اوّل.

جلد دوّم، مشتمل بر مقدّمهٔ دوّم و سوّم و چهارم و پنجم.

جلد سوّم، مشتمل بر مقدّمهٔ ششم و چند صفحه از مقدّمه هفتم.

جلد چهارم، مشتمل بر تفسیر و تأویل سورهٔ مبارکهٔ حمد.

قابل ذکر است که توضیحات بیشتری در مورد مشخّصات تفسیر در کلمات خود جناب مؤلّف در بحث‌های بعدی خواهد آمد.

نواقص نسخه

از جمله ضایعات و نواقص نسخه موجود علاوه از آن که قبلاً بیان‌گردید چهار مورد عمده دیگر است که تا کنون غیر قابل جبران بوده و همچنان درصورت به‌دست نیامدن نسخه کامل غیر قابل جبران باقی خواهد ماند، آن نواقص چهارگانه را بترتیب یادآوری می‌کنیم:

الف ـ از موارد مختلف اشارات و ارجاعات مؤلّف بزرگوار در أثناء کتاب استفاده می‌شود که برای کتاب خطبه و فهرس مفصّلی داشته و نوشته بوده است، متأسفانه جز چند جمله از قسمت آخر آن خطبه (که دربارهٔ اشاره به عناوین مقدمات هفتگانه کتاب است) باقی نیست وبقیّه خطبه و تمام فهرس مفقود شده‌است.

ضمناً دو مطلب را تذکّر می‌دهیم:

اوّل: باقیمانده خطبه مفقوده را در اوّل کتاب تحت عنوان: (بقیّة خطبة الکتاب) مشخّص کردیم.

دوّم: خطبه‌ای که در اوّل کتاب آمده است، خطبه‌ای است که جناب مؤلّف در ابتدا شروع تفسیر سورهٔ حمد انشاء فرموده‌است، برای اینکه اوّل کتاب بدون خطبه نباشد همان خطبه را در ابتداء کتاب قرار دادیم، البتّه در محلّ خودش هم ذکر خواهد گردید.

ب ـ از مقدّمهٔ هفتم کتاب که بنظر می‌رسد بسیار مفصّل بوده وبه‌احتمال قوی مطالبی مشابه مطالب کتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار داشته‌است، جز یك صفحه (بخط مؤلّف) در نسخه موجود نیست، و متأسفانه بقیّهٔ آن مفقود شده‌است.

ج ـ جلد دوّم کتاب که با جلد اوّل در یك مجلد صحافی شده شامل تفسیر و تأویل سورهٔ حمد و تفسیر و تأویل ۵۴ آیة از سورهٔ بقره می‌باشد، و لکن مع الأسف همان‌گونه که اشاره شد، حدود ثلث ــــ از هر صفحه از قسمت تفسیر سورهٔ بقره را موریانه محوکرده و قابل جبران نبود و باقیمانده را نیز اصولاً از حیّز استفاده بیرون برده‌است، البتّه از بعضی از صفحات از لابلای سطرهای باقی مانده احیاناً مطالبی را استخراج کردیم، إن شاء الله درجلد چهارم (چاپی) پس از تفسیر سورهٔ حمد اضافه

خواهیم کرد.

د ـ همان‌گونه که قبلاً اشاره شد فقدان پنج جلد از تفسیر که مشتمل تقریباً تمام تفسیر قرآن است (منهای سورهٔ حمد) و اینهم از مواردی است که اصولاً قابل جبران نبوده و ضایعهٔ بسیار بزرگی محسوب می‌گردد.

نام و عنوان کتاب

دربارهٔ نام کتاب، آنچه مسلّم بوده ویقیناً می‌شود به‌عنوان نام این تفسیر با ارزش مطرح کرد دو نام است:

الف ـ المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم.

عنوان فوق را جناب مؤلّف پس از پایان مقدّمات هفتگانه (جلد اوّل) در اوّل جلد دوّم و شروع به تفسیر فاتحة الكتاب بعبارت زیر مطرح کرده‌است:

الله مفتّح الأبواب.

هذا المجلّد الثاني من الكتاب الموسوم بالمحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم للعبد الفقير إلىٰ رحمة ربّه الغنيّ حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي أصلح الله شأنه ووفقه لإتمامه بمحمّد وآله، وقد اتّفق ذلك سلخ شوّال بالمشهد المقدّس الغروي سلام الله علىٰ مشرّفه في سنة سبع وسبعين وسبعمائة هجريّة نبويّة.

ب ـ المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم.

این عنوان را جناب مؤلّف در مقدّمات کتاب نصّ النصوص ص ١٢ آورده‌است.

در کتاب مزبور پس از بیان تاریخچهٔ تألیفات خود و قبل از بیان سبب تألیف کتاب نص النصوص میفرماید:

ثمّ بعد الكلّ في هذه المدّة الطويلة الّتي هي ثلاثون سنة كاملة، فرغت أيضاً من تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ «المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» المرتّب علىٰ سبع مجلّدات كبار.

و نیز در ص ٥٣٦ همان کتاب ضمن بیان سیر علمی و عملی خویش همین

عنوان را براى تفسير مطرح ساخته است.

(دو عبارت فوق بطور كامل در بخش ديگر اين مقدّمه «گذرى به سير و سلوك علمى وعملى مولّف» بطور مشروح خواهد آمد).

وامّا عنوان: المحيط الأعظم في البحر الخضم، در صفحه اوّل نسخه تفسير بعد از كلمهٔ: وسمّيته آمده است ولكن از آنجا كه اين جمله (بهطورخاصّ) بخطّ مؤلّف نيست، نمى تواند مورد اعتماد باشد.

توصيف نسخه مخطوط و تفسير المحيط الأعظم در كلمات بعضى از اعلام

كتب العلاّمة الحّجة المرعشيّ النجفيّ في ظهر النسخة المخطوطة من تفسير المحيط الأعظم بخطّ المؤلّف السيّد حيدر الآملي الموجودة والمحفوظة في مكتبته العامّة في بلدة قم، في توصيف النسخة والمولّف بما يلي:

كتاب المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم، للعلاّمة الفقيه المحدّث الحكيم المتألّه المتكلّم العارف الأديب، السيّد أبي محمّد ركن الدّين حيدر، بن تاج الدين علي پادشاه، بن محمّد أمير، بن علي پادشاه، بن أبي جعفر محمّد، بن زيد، بن أبي جعفر محمّد، بن الدّاعي، بن أبي جعفر محمّد، بن إبراهيم، بن محمّد الحسين الكوسج، بن إبراهيم، بن سناء الله، بن محمّد الحرون المدني، بن حمزة، بن عبيدالله الأعرج، بن الحسين الأصغر، بن الإمام سيّد السّاجدين عليه السّلام.

ولد في بلدة آمل، وجلل بلاد خراسان وجرجان واصفهان، وبقي في اصفهان سنوات، يستفيد من علمائها، ثمّ رجع إلىٰ آمل، واجتمع بفخر الدولة بن شاه كيخسرو وصار من أخصّائه، والفخر المذكور كان من أولاد الملك أردشير بن الحسن بن تاج الدّولة الّذي كان ممدوح ظهير الدين الفاريابي الشاعر الشهير.

ثمّ دخل في سلسلة العرفاء ورجع إلىٰ إصفهان، واجتمع بالشيخ العارف نصير الدين الطهراني نزيل محلّة دردشت المشهور بباب شيراز من محلاّت اصفهان،

ولبس الخرقة من يده وتلقن الذّكر منه .

ثمّ قفل إلىٰ العراق وزار المشاهد وسكن الغريّ الشريف ، وخرج منه للحج ثمّ عاد إليه .

أخذ العلوم الآليّة من والده وعلماء بلدة آمل ، والعرفان من الشيخ عبدالرحمٰن القدسي ، وأخذ الفقه عن فخر المحقّقين ابن العلاّمة ، و كان يخاطبه الشيخ بزين العابدين الثاني ، ويروي عنه بالإجازة ، وصورة الإجازة مذكورة في هذا الكتاب ، وقد عبّر فيها الشيخ بهذه الجمل :

السيّد الأعظم ، الإمام المعظّم ، أفضل العلماء في العالم ، أعلم فضلاء بني آدم ، مرشد السالكين ، غياث نفوس العارفين ، محيي مراسم أجداده الطّاهرين ، الجامع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول ، ذو النفس القدسيّة والأخلاق النبويّة ، شرف آل رسول ربّ العالمين ، أفضل الحاج والمعتمرين ، المخصوص بعناية ربّ العالمين ركن الملّة والدين . . . الخ .

والإجازة كانت علىٰ ظهر جوامع الجامع للطبرسي ، وقد قرأه عليه هذا السيّد ، وتاريخ الإجازة سنة ٧٦١ بالحلّة .

وقد قرأ الفصوص ومنازل السائرين علىٰ الشيخ عبدالرحمان بن أحمد القدسي ، وكتب له إجازة تاريخها ٧٣٥ .

وصنّف أربعة وعشرين كتاباً ، منها المحيط الأعظم في مجلّدات هذا منها ، وكلّه بخطه ، وكانت النسخة في خزانة كتب حجّة الإسلام والمسلمين الحاج آقا حسن الحسيني القمّي الشهير بسيّدي ، من جملة كتب جدّه العلاّمة الحاج ميرزا أبوطالب القمّي صهر المحقّق صاحب القوانين ، وقد منّ علينا بإدخال هذه النسخة الوحيدة في الدنيا في المكتبة العامّة الموقوفة الّتي أسّستها ببلدة قم ، ويوجد مجلّد آخر بخط المصنّف في مكتبة الإمام عليّ عليه السلام .

وللمصنّف كتاب كشكول فيما جرىٰ علىٰ آل الرسول ، وكتاب في العرفان وقد طُبع بطهران باهتمام المستشرق الفاضل المسيو كربن مدرّس الإلهيّات في جامعة باريس ، وغيرها من الآثار في فنون العلوم وأشتاتها .

وترجمة المصنّف مذكورة في معاجم التراجم ، كأعيان الشيعة ، ورياض العلماء ، والروضات ، وريحانة الأدب وغيرها فليراجع .

وله ذريّة وعقب في مازندران.

حرّره الدّاعي الكئيب شهاب الدّين الحسيني المرعشي النّجفي ببلدة قم المشرّفة حرم الأئمّة (ع) في صبيحة الخميس ١١ من ذي القعدة سنة ١٣٩١ القمري حامداً مصلّياً مسلّماً مستغفراً والحمدُ للّه علىٰ نعمه وآلائه.

إنتهىٰ ماكتبهُ العلاّمة الحجّة المرعشي النّجفي أوردناه بتمامه لعلّه يكون تقديراً علىٰ حفظه الكتب اليتيمة وتأسيسه المكتبة العامّة وفيها كتب قيّمة، فقد آرتحل المعظّم له أخيراً مع الأسف إلىٰ دار البقاء قدّس الله نفسه الزكيّة وارفع درجاته الرفيعة وحشره مع أجداده ومواليه الأطهار إن شاء الله تعالىٰ.

وأمّا الذريعة، قال في ج ٢٠ ص ١٦١:

المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، كما عنون بذلك في أوّل النسخة، وهو للسيّد ركن الدّين حيدر بن عليّ بن حيدر الحسيني الآملي.

أوّله: الحمدُ للذات الأحديّة السرمديّة الأزليّة الواجبيّة من كمال الإستغناء...

هذه رسالة مستخرجة من بعض تصانيفي أفردتُها لأجل التسهيل والتيسير.

وجعله مرتّباً على أربعة مطالب بحسب الذات والصفات والأسماء والأفعال: فالمطلب الأوّل في فضل التوحيد، والثاني في تعريفه وحقيقته، والثالث في ترتيبه وتقسيمه، والرابع في كيفيّته وتفصيله، وفيه صورة الشجرة المشحونة بالأغصان والثمرة، في مطالب التوحيد. فرغ من إتمامه في شهر رمضان سبع وسبعين وسبعمائة، ألّفه برسم خزانة سلطان العرب والعجم جلال الدنيا والدّين الشّاه شجاع، وكتب علىٰ ظهر النسخة بخطّه الشريف الوقفيّة لها، وضمّ إلىٰ الكتاب رسالة أُخرىٰ في العلوم العالية من علوم الصوفي والمتكلّم والحكيم، وهي مترتّبة علىٰ مقدّمة وعشرة أنواع من الأبحاث، وفرغ منها سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما مرّت بعنوان: رسالة في العلوم العالية، ومجموعهما تزيد علىٰ عشرة آلاف بيت، الكتابة كلها بخطّه الشريف، رأيتُها في الخزانة الغرويّة في حدود ١٣٥٠.

وذكر في ج ١٥ ص ٣٢٦ كما أشار اليه:

رسالة في العلوم العالية، من علوم الصوفيّة والمتكلّمين والحكماء، للسيّد ركن الدّين حيدر بن علي بن حيدر الحسيني الآملي صاحب: (المحيط الأعظم) رأيتها

بخطه منضمة إلىٰ آخر المحيط في مجلّد في (الخزانة الغرويّة) وبخطّه عليها أنّه ألّفها ۷۸۷ وذكر في أوّلها أنّه كتبها بالتماس أفراد من الطوائف الثلاث علىٰ الإختصار ليحصل لهم التميز بينها ويتوجّهوا نحو الحقّ منها، مترتّباً علىٰ مقدّمة وعشرة أنواع من الأبحاث.

المقدّمة في التعريف العلمي بطريق الطوائف الثلاث، النوع الأوّل في تعريف علوم أهل الله، النوع الثاني في كيفيّة صدور الوحي والإلهام والكشف، وفيه دائرة أسماء الله: أسماء الأفعال، وأسماء الصّفات، وأسماء الذّات، وهكذا إلىٰ آخر الأنواع العشرة، ففي آخر كلّ منها دوائر في تشجير ملخّص مافصّله فيه.

قابل ذكر است از مجموعهٔ آنچه كه صاحب الذريعه از خطبه و عناوين محتواى آن نسخه خطّى نقل كرده‌است، بسيار بعيد بنظر مى رسيد كه آن نسخه إدامه تفسير المحيط الأعظم باشد و أصولاً بعيد است آن كتاب كتاب تفسيرى بوده‌باشد، بلكه احتمالاً كتابى است مشتمل مباحث توحيدى شبيه كتاب جامع الأسرار، و يا احتمالاً مقدّمهٔ هفتم از مقدّمات هفتگانه همين تفسير باشد، و يا احتمالاً كتابى است خلاصه‌اى از كتب مختلف خود مؤلّف، وضمناً عبارت خطبه هم مناسب كتاب تفسيرى نيست بلكه مناسب كتابى در موضوع توحيد است. و الله هو العالم.

جناب كربن در مقدّمهٔ خود به كتاب جامع الأسرار و منبع الأنوار ص۱۷ در بارهٔ نسخهٔ مخطوط تفسير (المحيط الأعظم) مى گويد:

در نجف آقاى عثمان يحيى به اشارهٔ شيخ آقا بزرگ تهرانى، در مكتبة الغروى به نسخه‌اى از تفسير بزرگ عرفانى قرآن حيدر آملى به خط مؤلّف دست يافت كه خود اثر مهمّى در تفسير عرفانى و تأويل شيعى صوفيانه است، بر اين نسخهٔ خطّى چند جلدى، رسالهٔ متأخر ديگرى (۷۸۷ هجرى) با عنوان: (رسالة العلوم العالية)، به‌خطّ مؤلّف اضافه شده‌است كه مجملى از حكمت او را در بر مى گيرد:

و جناب عثمان يحيى در مقدّمه كتاب جامع الأسرار ص ۵۴ مى گويد:

عثرنا علىٰ نسختين ناقصتين لهذا التفسير الهامّ، هما الآن في حوزة العالم الحجّة السيّد شهاب الدّين المرعشي النجفي المقيم بمدينة قم في إيران، النسخة الأولىٰ بمجلّد واحد تشتمل علىٰ مقدمة الكتاب (الجزء الأوّل) وتفسير الفاتحة والآيات

الأولىٰ من سورة البقرة (الجزء الثاني)، وهي بخطّ المصنّف نفسه، غير أنّ بعض ورقات النسخة مخرقة، وناقصة الأوّل والآخر (آخر المقدّمة وآخر تفسير الآيات الأولىٰ من سورة البقرة).

ومقدّمة الكتاب تعالج المباحث الآتية:

١ ـ بيان التأويل والتفسير وأنّ التأويل واجب عقلاً وشرعاً.
٢ ـ بيان كتاب الله الآفاقي (التفصيلي) وتطبيقه بكتاب الله القرآني الجمعي.
٣ ـ بيان حروف الله الآفاقيّة وتطبيقها بحروف الله القرآنيّة.
٤ ـ بيان كلمات الله الآفاقيّة وتطبيقها بكلمات الله القرآنيّة.
٥ ـ بيان آيات الله الآفاقيّة وتطبيقها بآيات الله القرآنيّة.
٦ ـ بيان الشريعة والطريقة والحقيقة.
٧ ـ بيان التوحيد وأقسامه ومراتبه.

وهذه المقدّمة تقع في ١٨٠ صحيفة بخطّ تعليق مقروء بعُسر، صفحات المجلّد غير متتابعة أحياناً.

أمّا النسخة الثانية فتحتوي علىٰ تفسير الفاتحة، وأوائل سورة البقرة، وعلىٰ جزء من مقدّمة الكتاب ملحقة في آخر المجلّد لا في أوله، وهي بخطّ نسخي واضح، بدون تأريخ، وصفحات المجلّد غير متتابعة أحياناً، وناقصة الآخر.

وتوجد للكتاب نسخة محفوظة في عدّة مجلّدات في خزانة المشهد الرضوي بالنجف الأشرف، وهي بخط المصنّف أيضاً، ولكن لم يمكننا أثناء زيارة المشهد المقدّس، دراسة المخطوط عن كثب.

وقد جاء وصف الكتاب في مخطوط (الحقائق الراهنة في تراجم أعيان المائة الثامنة) للشيخ العلّامة آقا بزرگ، ص٤٧:

ومن آثاره (أي السيّد الآملي) في الخزانة الغرويّة كتابه الموسوم بالمحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، بخطّه الشريف، فرغ منه في شهر رمضان سنة ٧٧٧، برسم خزانة جلال الدين شاه شجاع.

ظاهراً در كلمات جناب كربن و جناب عثمان يحيى هر دو اشتباهى رخ

داده‌است، زیرا از عبارت عثمان یحیی بر خلاف اظهار کربن معلوم است که او آن نسخه تفسیر را از نزدیك و مستقیم مشاهده نکرده‌است، و تمام اظهاراتش مستند به گفتار جناب حاجی آقا بزرگ تهرانی است.

و نیز بر خلاف اظهار جناب عثمان یحیی از صریح فرمایش ذریعه معلوم می‌شود که آن نسخه یك جلد بیشتر نیست.

امّا نسخه دوّمی که در کلمات جناب عثمان یحیی به آن اشاره شده‌است، شاید نسخه‌ای باشد که فعلاً در کتابخانه مزبور آن نسخه موجود است البتّه اصل آن نیست بلکه (عکس) آن است، در دو مجلّد است، جلد اوّل قسمت سورهٔ حمد و جلد دوّم قسمت مقدّمات است. این نسخه از روی نسخه مؤلّف که در دست است نوشته شده‌است، تمام اشکالات موجود اصل یعنی نسخه مؤلّف در آن نسخه هم منعکس بوده و وجود دارد، علاوه خود آن نسخه هم اشکالات عدیده‌ای مخصوص به خودش را دارد، از جمله اینکه سقط فراوان دارد، و صفحات درهم بوده و غلط هم زیاد دارد، و علاوه در مواردی که کاتب نتوانسته کلماتی را از خطّ مؤلّف بخواند جای آن کلمات را خالی گذاشته و کتابت را ادامه داده‌است.

توصیف تفسیر المحیط الأعظم در بیانات مؤلّف و مقایسهٔ آن با قرآن کریم و کتاب فصوص الحکم

جناب سیّد حیدر آملی در دو مورد از کتابهای خویش: مقدّمات نصّ النصوص، ومقدّمهٔ اوّل از مقدّمات هفتگانه تفسیر؛ دربارهٔ کتاب تفسیر خود سخن گفته‌است، از آنجا که بهترین توصیف برای تفسیر بیان خود مؤلّف خواهد بود کلمات ایشان را ذیلاً می آوریم:

. أمّا آنچه که در مقدّمه اوّل تفسیر (همین جلد) بیان داشته‌است نیازی نیست در اینجا تکرار گردد، به أوّل متن همین مجلّد مراجعه گردد.

و أمّا توصیف مؤلّف برای تفسیر در مقدّمات نصّ النصوص، در ص ۱۲ میفرماید:

. . . . . تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ «المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» المرتّب علىٰ سبعة مجلّدات كبار، بإزاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدّين الرّازي، المعروف بـ «دايه» قدّس الله سرّه، فإنّه رتّب كتابه علىٰ ستّة مجلّدات كبار، بعد تسميته بـ «بحر الحقائق ومنبع الدقائق»، ونحن أردنا أن يكون لنا تفسير علىٰ قرنه من كلّ الوجوه، وبمقتضىٰ الحديث الوارد فيه أيضاً:

إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً، إلىٰ سبعة أبطن.

وبمقتضىٰ آشتماله (أي القرآن الكريم) علىٰ السبعات المعلومة وغير ذلك ممّا أوجب ترتيبه عليها (السبعة).

واشتهر ذلك (التفسير) في أكثر الأقاليم والبلدان، وتحقّقت صورته عند أعاظم أهل التحقيق والعرفان، وتقرّر بينهم أنّه عديم المثل والنظير لاسيّما في علوم القرآن.

وأنّه ليس بكسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة الرحمٰن.

وقال أيضاً في ص ٥٣٦:

. . . . . ثمّ أمرني الحقّ بتأويل القرآن الكريم، فكتبته بعد هذا كلّه، فجاء في سبع مجلّدات كبار، وسميته بـ «المحيط الأعظم والطّود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» وذلك خرج في غاية الحسن والكمال، وظهر في نهاية البلاغة والفصاحة بعناية الملك ذي العزّة والجلال، بحيث ماسبقني أحد بمثله لا ترتيباً ولا تحقيقاً ولا تلفيقاً.

مقايسهٔ تفسير و نصّ النّصوص با قرآن و فصوص

جناب مؤلّف پس از آنكه خودش را با حضرت سلمان مقايسه كرده، و امتيازاتى براى خود بيان مى كند، آنگاه كتاب تفسير و كتاب شرح فصوص خويش را هم با قرآن كريم و فصوص، و با فصوص الحكم و فتوحات مقايسه مى‌كند، جناب ايشان ميفرمايد: همان‌گونه كه حضرت رسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم دو كتاب دارد، يكى نازل براى او و دوّم صادر از او، و همان‌گونه كه جناب محيى الدّين هم دو كتاب دارد، يكى نازل و واصل براى او و ديگرى صادر از او، ما (مؤلّف) هم دو كتاب داريم يكى فايض براى ما و ديگرى صادر از ما.

کتاب نازل برای پیامبر خاتم (ص) قرآن و نازل برای شیخ اکبر فصوص الحکم، و نازل برای ما تفسیر المحیط الأعظم است.

و امّا کتاب صادر از پیامبر اکرم (ص) فصوص الحکم، و صادر از محیی الدین عربی فتوحات مکیّة، و صادر از ما شرح فصوص و کتاب نصّ النصوص است. جناب ایشان در ص١٤٧ مقدّمات نصّ النصوص پس از مقایسه خود با حضرت سلمان می گوید:

وبعد أن حصلت لنا المضاهاة في الكتب أيضاً مع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، ومع الشيخ قدّس الله سرّه.

أمّا المضاهاة مع النبيّ، فلأنّا قد بيّنّا أنّه كان للنبيّ (ص) كتابان: النازل عليه والصّادر منه، أمّا الكتاب النازل فالقرآن، وأمّا الكتاب الصّادر فالفصوص، وبيّنّا أنّهما عديما المثال والنظير في نوعيهما، وانحصار نوعيهما في شخصيهما.

وأمّا الشيخ الأعظم فقد بيّنّا أيضاً أنّ له كتابين: الواصل إليه، والصّادر منه، أمّا الكتاب الواصل إليه فالفصوص، وأمّا الكتاب الصّادر منه فالفتوحات، وبيّنّا أنّهما عديما المثال والنّظير في نوعيهما وانحصار نوعيهما في شخصيهما.

وأمّا الّذي لنا فذلك أيضاً كتابان: الفائض علينا والصّادر منّا، أمّا الكتاب الفائض علينا فهو: التأويلات للقرآن الكريم، المشتمل علىٰ العلوم والمعارف الإلٰهيّة القرآنيّة من أنفسها وأشرفها، المحتوي علىٰ الرموز والكنايات المصطفويّة والدقائق والحقائق المحمّديّة، الصادق عليها ماقال الحقّ في حقّ بعض عبيده الخاصّين:

أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

ومن ثمّ صار هذا الكتاب موسوماً: بالمحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، وصار مرتّباً علىٰ مجلّدات سبعة كبار تبركّاً بسبعة من الأنبياء الكبار، وبسبعة من الأقطاب، وبسبعة من الأبدال، بحيث تكون مقدماته مع الفاتحة مجلّداً واحداً، وكلّ سدس منه ـ أي من القرآن الكريم ـ مجلّد آخر، وهذا كالفصوص بالنّسبة إلىٰ الشيخ الأعظم، وكالقرآن بالنّسبة إلىٰ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم.

وترتيبه أنّه مرتّب علىٰ تسعة عشر، من المقدّمات والدّوائر، لأنّ المقدّمات

سبع، والدّوائر، إثنتا عشرة تطبيقاً ـ أي مطابقة ـ بالعالم الصّوري والمعنوي، والكتاب الأنفسي، والكتاب القرآني، فإنّ كلّ واحد واحد من هذه العوالم والكتب منحصر في تسع عشرة مرتبة، لقوله تعالىٰ:

﴿**عليها تسعة عشر**﴾.

وتحقيق هذه الأمور كلّها يعرف من الإطلاع عليه ـ يعني علىٰ هذا الكتاب ـ وعلىٰ ما في ضمنه.

وأمّا الكتاب الصادر منّا فهذا الشرح ـ يعني كتاب نصّ النصوص ـ وإن لم يخل من الفيض، فإنّه أيضاً جامع لعلوم كثيرة ومعارف جمّة، وهو مرتّب علىٰ سبع وعشرين دائرة مجدولة، وعلى أبواب وفصول متنوعة وأنواع واقسام متعدّدة.

وهو بإزاء الفصوص بالنسبة إلىٰ النبيّ (ص)، وبإزاء الفتوحات بالنّسبة إلىٰ الشّيخ الأعظم، ولذلك وقعا عديمي المثل والنظير في نوعيهما وانحصار نوعيهما في شخصيهما، ككتابيهما، وكما صار أساس فضيلة الشيخ الأعظم مبنياً علىٰ الكتابين المذكورين صار أساس فضيلتنا مبنياً علىٰ الكتابين المذكورين.

والحمدُ لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومعلوم أنّ هذه القدرة والقوّة والفضل والفضيلة لو لم يكن ـ كلّ هذا ـ من الله تعالىٰ خاصّة، لم يكن لنا قوّة الشروع في كتابه الكريم تفسيراً وتأويلاً، ـ جلّت كلمته ـ على ماهو عليه في نفس الأمر، فإنّ تأويله مخصوص بالله تعالىٰ وبخاصّة علمائه لقوله تعالىٰ: ﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم**﴾.

ولا كانت لنا أيضاً قوّة الشّروع في الكتاب المنسوب إلىٰ النبيّ (ص) الّذي هو الفصوص وشرحه هذا.

وهذه كلّها تعريفات وتفريعات لا رعونة ولا تزكية، فإنّ كلّ من قال من الأنبياء والأولياء عليهم السلام: بأنّي كذا وكذا، لم يكن تزكية لنفسه، ولا برعونة لغيره، بل تعريف وتفريع للسامع والمخاطب لكي يعرفوه ويقبلوا كلامه ويتبعوا أثره ويصلوا بذلك إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ حضراته، أو إلىٰ جنّاته كما قال تعالىٰ:

﴿**ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون**﴾ [المائدة/٣٥].

وقال:

﴿ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصّادقين﴾ [التوبة/١١٩].

وبالجملة، ليس الأمر غير هذا، وماعلى الرسول إلاّ البلاغ المبين، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، والله المُستعان وعليه التّكلان.

گذری به سیر و سلوك علمی وعملی جناب سیّد حیدر و تألیفات و مشایخ آن حضرت

آنچه در بیان موضوع أحوال جناب سیّد حیدر آملی و آشنائی با سیر وسلوك علمی و عملی و تألیفات و مشایخ او می تواند مفید واقع شود، اظهارات و نوشته های خود ایشان خواهد بود، زیرا در غالب کتب تراجم یا نامی از ایشان به‌میان نیامده و یا مطالبی بسیار ناقص و غالباً با اشتباه و غلط همراه است، لکن در عین حال ما از آن کتب تراجم که در حالات ایشان مطالبی دارند آن قسمت از مطالب که درست بوده انتخاب و به‌نام همان کتاب نقل کردیم، و امّا آنچه برای ما مورد أهمیّت قرار دارد و اهتمام در تنظیم و نقل آن داشتیم بیانات خود جناب سیّد حیدر در بارهٔ خودش در سه کتاب: تفسیر المحیط الأعظم و مقدّمات نصّ النصوص و جامع الأسرار بوده است، و همانها را ذیلاً بترتیب نقل می کنیم:

در اواخر مقدّمه اوّل از مقدّمات هفتگانه تفسیر، در بارهٔ نسبت نسبی خود به ائمّه اطهار علیهم السلام، و سیر و سلوك علمی و عملی، و استاد خود در علوم ظاهری و نقلی، و علوم عرفانی، و همچنین در بارهٔ دو اجازه از دو استاد خود جناب فخر المحقّقین فرزند جناب علاّمه حلّی، و جناب عبدالرحمن بن أحمد القدسی، بیانی و مطالبی دارد، میفرماید:

. . . . . أمّا البحث الأوّل المتعلّق بنسبتنا إليهم (عليهم السلام) فتلك يكون من حيث الصّورة و من حيث المعنىٰ:

أمّا من حيث الصّورة :

فأنا ركن الدّين حيدر بن السيّد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد ركن الدّين حيدر بن السيّد تاج الدين پادشاه بن السيّد محمّد أمير بن علي پادشاه بن أبي جعفر محمّد بن زيد بن أبي جعفر محمّد بن الدّاعي بن أبي جعفر محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين الكوسج بن إبراهيم سناء الله بن محمّد الحرون بن حمزة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

و تحقيق هذا يعرف من الشّجرة المستخرجة من كتب الأنساب، . . . .[1]

ويناسب بهذا المكان ماقال السيّد الرّضي رحمة الله عليه في خطبته لنهج البلاغة بالنّسبة إلىٰ نفسه :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأمّا من حيث المعنىٰ، فذلك يحتاج إلىٰ تقديم مقدّمات : منها إلىٰ بيان حالي

---

(۱) قوله : وتحقيق هذا يعرف من الشجرة المستخرجة من كتب الأنساب .

أقول :

نشير في المقام إلى أولاد الذكور في أعقاب الحسين الأصغر في آباء السيّد حيدر فقط اجمالاً وهو هذا :

الإمام زين العابدين عليه السلام = الحسين الأصغر أبو عبدالله .

الحسين **الأصغر** = عبيدالله الأعرج، عبدالله العقيقي، علي الأصغر، سليمان، الحسن الدكة .

عبيدالله **الأعرج** = حمزة المختلس الوصيّة، علي الأكبر المستجب الدعوة الصالح، محمّد الجرابي الجواني، جعفر الحجّة، يحيىٰ .

حمزة = محمّد الحرون أبو محمّد، الحسين الشفف، عبدالله أبو علي .

محمّد **الحرون** = إبراهيم الأزرق سنوارية، الحسن حرون .

إبراهيم = الحسين الكوسج، محمّد النقيب، أبو طالب، عبدالله، أحمد، علي .

الحسين **الكوسج** = محمّد،

محمّد = له أعقاب كثيرة في طبرستان و بخارا والرّي، ويقال اليوم لطبرستان مازندران .

هذا عندي في بعض النسب إلى طبرستان إجمالاً، وأمّا التفصيل في أعقاب كلّ من الأولاد والأخوان في كلّ من الطبقات إلى الآخر، وتفصيل الأعقاب في طبرستان وساير بلاد العجم يطلب موضع آخر يختصّ به وهو غير هذا المقام .

من ابتداء السّلوك إلىٰ حين الوصول إجمالاً:

اعلم، انّي من عنفوان شبابي بل من أيّام طفولتي إلىٰ مدّة ثلاثين سنة أو قريب منها كنت في تحصيل عقائد أجدادي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، من حيث الشّريعة وطريق الظّاهر المخصوصة بالطّائفة الإماميّة من بين الشّيعة، حتّىٰ حصّلت لبّها وخلاصتها، وقرأت العلوم المتعلّقة بها من المنقول والمعقول علىٰ أُستاذيها، بعضها في بلدي آمل الّذي هو مولدي ومسقط رأسي ومسقط رأس آبائي وأجدادي، وبعضها في خراسان واستراباد، وبعضها في إصفهان، وهذا كان في مدّة عشرين سنة، حتّىٰ رجعت من اصفهان إلىٰ آمل مرّة ثانية، واجتمعت بخدمة الملك العالم العادل فخر الدّولة بن الملك المرحوم السعيد شاه كيخسرو طاب الله ثراهما وجعل الجنّة مثواهما، وخصّني بالكرامة والجلالة، وجعلني من أقرب أصحابه وندمائه، ثمّ من أخصّ خواصّه، ثمّ من أعظم نوّابه وحجّابه، وهم من أولاد كسرىٰ وأنوشيروان إلىٰ يزدجرد إلىٰ پرويز، وجدّهم القريب كان ملك أردشير بن الحسن بن تاج الدّولة الّذي كان ممدوحاً لظهير الدّين الفاريابي وسراج الدّين القمري، وأمثالهم من الشعراء الكبار، ومضت برهة من الزمان علىٰ هذا، ثمّ طلبني الملك العادل قهرمان الوقت ملك الملوك الرّومان فخر الدّولة شاه غازي خلّد الله دولته الّذي هو الآن موجود، وكنت في خدمته علىٰ الوجه المذكور، وفي خدمة إخوته الملك الأعظم جلال الدّولة أسكندر طاب ثراه، والملك المعظّم وشرف الدّولة . . .

ومضت علىٰ هذا أيضاً مدّة، وحصل لي من الجاه والمال فوق التصوّر ببركة صحبتهم، وكنت كذلك في أرغد عيش وأطيب حال بين الأهالي والأوطان والأصحاب والأحوال، حتّىٰ غلب في باطني دواعي الحقّ وكشف لي فساد ما أنا فيه من الغفلة والجهل والنسيان، وظهر لي ضلالي عن طريق الحقّ والإستقامة علىٰ سبيل الزّيغ والطغيان، فناجيت ربّي في السرّ، وطلبت منه الخلاص عن الكلّ، وحصل لي شوقاً تامّاً إلىٰ الترك والتجريد، والتوجّه إلىٰ حضرة الحقّ بقدم التوحيد، وما كنت أتمكّن من هذا في صحبة هؤلاء الملوك، ولا في الوطن الأصلي المألوف، ولا في صحبة الأخوان والأصحاب، فرأيت المصلحة تركهم بالكلّيّة والخروج من عندهم إلىٰ موضع تيسّر ذلك علىٰ أحسن الوجوه.

فتركتهم علىٰ هذا الحال وتركت الأهل والمال والملك والجاه والوالد والوالدة

والإخوة والصّديق والرفيق، ولبست دلقاً يكون قيمته أقلّ من درهم لأنّه كان ملقاة من بعض الدورين، وتوجّهت علىٰ هذا المنوال إلىٰ زيارة جدّي رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم السلام بنيّة الحجّ وزيارة بيت الله الحرام وبيت المقدس، وكان ذلك بطريق الرّي وقزوين وإصفهان حتّىٰ وصلتُ إصفهان بعد أن كنت فيه مدّة طويلة في زمان الشّباب وكثرة الجاه والمال.

واجتمعت بخدمة المشايخ الّذين كانوا فيه ووقع من بينهم عقد الأخوّة والفتوّة بيني وبين الشيخ الكامل المحقّق نور الدّين طهراني، وهو قرية علىٰ باب اصفهان من طرف دردشت ويسمّونها العوام تيران، وهو في الأصل طِهران بكسر الطاء، وكان عارفاً زاهداً مقبولاً عند الخاصّ والعامّ، وكانت الصّحبة بيننا وبينه أقلّ من الشهر، ولبست الخرقة الصوريّة من يده بعد تلقين الذّكر الخاصّ دون العامّ، وحصل لي من صحبته بهذه المدّة القصيرة فائدة كثيرة قدّس الله روحه العزيز، وعزمت من إصفهان إلىٰ دهستان في بلدهم الموسومة بإيذج ومال الأمير، وبقيت هناك في صحبة شخص كامل عارف منتظراً اجتماع قفل بغداد، وما اتّفق ذلك وحصل الرجوع إلىٰ إصفهان من عارض جسمانيّ، وبالجملة حتّىٰ بعد مدّة وصلت إلىٰ بغداد بطريق آخر، وزرت المشاهد المقدّسة من مشهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومشهد الحسين وموسىٰ والجواد وسرّ من رأىٰ عليهم السّلام، وجاورتهم سنة كاملة، ثمّ توجّهت إلىٰ الكعبة بقصد الحجّ مجرّداً فقيراً مع عدم التمكّن الصّوري، وزرت الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله والأئمّة الأربعة بالمدينة، ورجعت إلىٰ العراق وسكنت المشهد المقدّس الغرويّ سلام الله علىٰ مشرّفه، واشتغلت بالرّياضة والخلوة والطاعة والعبادة وطلب العلوم الحقيقيّة اللّدنيّة الإرثيّة دون الكسبيّة التّعليميّة، ولم يكن هناك أحد يعرف هذا القسم، وكان هناك شخص عارف كامل خامل الذّكر، وليّ من أوليّاء الله، إسمه عبدالرّحمن بن أحمد القدسي، فقرأت عليه أوّلاً كتاب منازل السائرين مع شرحه، ثمّ كتاب فصوص الحكم مع شرحه، ثمّ رسائل أُخر، ومضىٰ علىٰ هذا زمان وكشف لي ببركة هذا وببركة المجاورة والتوجّه إلىٰ حضرة الحقّ وحضرة الأئمّة عليهم السّلام، أكثر كتب التّصوّف من المطوّلات المختصرات، وكتبت عليها شروحاً وحواشياً كما ذكرت في صدر هذا الكتاب مفصّلاً، وصفت بعد ذلك الكتب المذكورة في الفهرس (الساقط عن النسخة) الّتي هي قريبة إلىٰ عشرين أو أربعة وعشرين كتاباً،

وذلك في مدّة أربع وعشرين سنة، وكان آخر تلك الكتب هذا التأويل، والحمدُ لله علىٰ ذلك.

وكنت قد قرأت قبـل هذا الحال والإشتغال بهذه الأحوال، علىٰ الشيخ الأعظم الأكمل سلطان العلماء والمحقّقين، فخر الحقّ والملّة والدين ابن المطهّر الحلّي قدّس الله سرّه من علوم أهـل البيت عليهم السّـلام خلاف الّذي قرأت في العجم كتباً كثيرة في الأُصول والفروع تقليداً واستجازة، وكان يخاطبني بزين العابدين الثاني، ويعتقد فيّ أنّي دون العصمـة، ممّا كان يشـاهد من حسن سيرتي ولطف طريقتي، وكتب لي إجازات متعـدّدة، منهـا، إجازة طويلة جامعة في جميع العلوم، لابدّ من ذكرها هٰهنا تطبيقاً بالإجازات السّالفة، وهذه صورة خطّه واجازته:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله واجب الوجود، واهب وجود كلّ موجود، وصلّى الله علىٰ خاتم الأنبياء محمّد النبيّ وآله الأصفياء.

أمّا بعد، فقرأ عليّ المولىٰ السيّد الأعظم الإمام المعظّم أفضل العلماء في العـالم، أعلم فضـلاء بني آدم، مرشـد السّالكين، غياث نفوس العارفين، محيي مراسم أجـداده الـطاهـرين، الجامع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول، ذو النّفس القـدسيّة والأخـلاق النبـويّة، شرف آل رسول ربّ العالمين، أفضل الحاجّ والمعتمرين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، ركن الملّة والحقّ والّدين، حيدر بن السيّد السعيد تاج الّدين علي پادشاه بن السيّد محمّد أمير بن علي پادشاه بن أبي جعفر محمّد بن زيد بن أبي جعفر محمد بن الدّاعي بن أبي جعفر محمّد بن ابراهيم بن محمّد بن الحسين الكوسج بن ابراهيم سناء الله بن محمّد الحرون بن حمزة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشّهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّـلام: كتاب جوامع الجـامع في تفسير القرآن المجيد تأليف الشيخ الإمام العالم أمين الّدين الطبرسي رحمة الله عليه، وكتاب شرائع الإسلام للشيخ الإمـام السعيد نجم الـدّين بن سعيد رحمة الله عليه، وكتـاب منـاهـج اليقين في الكـلام تصنيف والدي رحمه الله، وتهذيب

الأحكـام للشيخ الإمـام أبي جعفـر الطوسي قدّس الله روحـه، ونهـج البـلاغـة لأمير المؤمنين عليه السّلام، وشرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي البحراني، قرأه (قراءةً) مرضيّة تشهد بتمام فضله وكمال علمه وبلوغه إلىٰ أوج مرتبة التحقيق.

وقد أجزت له رواية ذلك كلّه بالطرق الّتي لنا إلىٰ المصنّفين رحمة الله عليهم أجمعين، أجزت له رواية جميع مصنّفاتي في العلوم العقليّة والنقليّة، وجميع مانقلته ورويتـه من كتب أصحـابنـا السّابقين رضوان الله عليهم أجمعين، بأسنادي إليهم خصوصاً كتب والدي قدّس الله روحه، عنّي عنه، وكتب الشيخ المفيد محمّد بن محمّـد بن النعمـان رحمه الله، عنّي وعن والدي عن جدّي، وعن الشيخ السعيد نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد، وعن سيّد جمال الدين أحمد بن طاووس الحسيني، وغيره عن الشيخ يحيىٰ بن محمّـد بن يحيىٰ بن الفرج السوراوي، عن الشيخ الفقيه يحيىٰ بن هبة الله بن رُطبة، عن المفيد أبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي عن والده عن الشيخ المفيد رحمة الله.

إلىٰ أن قال (يعني فخر المحقّقين في إجازته):

كتب محمّد بن الحسين بن يوسف المطهّر، في رمضان سـنة إحدىٰ وستّين وسبعمائة بالحلّة والحمد لله وحده وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

قال السيّد المؤلّف السيّد حيدر الأملي بعد نقل الإجازة.

هذه صورة إجازتي في العلوم العقليّة والنقليّة المقروءة في العرب دون العجم.

وأمّـا صورة إجـازتي في الخـرقـة الصـوريّة الّتي لبستها من الشيخ المذكور نور الدين الإصفهاني، فقد ضاعت صورتها، لكن حاصلها: . . . . .

إلىٰ أن قال:

وأمّا صورة إجازتي في القراءة للفصوص ومنازل السائرين وشرحيهما فهي هذه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصّلاة علىٰ نبيّه محمّد وآله أجمعين.

أمّا بعد، فقد قرأ عليّ السيّد الإمام الهمام العالم الكامل قطب الموحدين زبدة

المتبحّرين كهف الحاج والمعتمرين المخصوص بعناية ربّ العالمين السيّد ركن الحقّ والملّة والدّين حيدر بن تاج الدّين علي پادشاه الحسيني الآملي أدام الله ظلّه، كتاب فصوص الحكم لمحيي الدّين بن العربي قدّس الله سرّه مع شرح للقيصري، وكتاب منازل السائرين للشيخ أبي إسماعيل الهروي رحمة الله عليه مع شرح لعفيف الدّين التلمساني رحمة الله عليه قراءةً مرضيّة تشهد بفضله وفطنته، وكان استفادتي منه أكثر من إفادتي له، وكان ذٰلك بالمشهد الغروي سلام الله علىٰ مشرّفه، سلخ رجب المرجّب من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وكتب الفقير الىٰ الله تعالىٰ عبدالرّحمان بن أحمد القدسي تجاوز الله عن سيّئاته.

وبالجملة لم يكن وصولي وكشفي موقوفاً علىٰ هذه الجملة، بل كان وصولي سابقاً علىٰ سلوكي، لأنّي كنت من المحبوبين لا من المحبّين (و) وصول المحبوب سابق علىٰ سلوكه كالأنبياء والأولياء وتابعيهم علىٰ قدم الصدق، لقوله تعالىٰ:

﴿إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحُسْنىٰ أُولئك عنها مُبْعَدون﴾ [سورة الأنبياء/ ١٠١].

وجرت كما جرت بعناية الله تعالىٰ ومحض إشفاقه لا بالعمل ولا بالعلم....

وفيه أقول:

كانت لقلبي أهواء مفرّقة فاستجمعت مُذ رأتك العين أهوائي

تَركتُ للنّاس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

امّا از كتاب مقدّمات نصّ النّصوص:

جناب سيّد در مقدّمات كتاب نصّ النّصوص آنجا كه مى خواهد سبب تأليف كتاب نصّ النّصوص را بيان كند، ابتدا به قسمت عمدهٔ تأليفات خود (به ترتيب در تأليف آنها) اشاره مى كند.

از بيان سيّد استفاده مى‌شود كه پس از سى سال تمام اشتغال به تأليف و تصنيف كتب و رسائل متعدّد؛ تفسير را نوشته است، و آخرين تأليف او كه پس از تأليف تفسير انجام گرفته شرح فصوص الحكم كتاب نصّ النصوص است.

و نيز همان‌گونه كه خود ايشان إشاره مى كنند نوشته هاى او دو قسمت بعضى را به عربى و بعضى را به فارسى نوشته است، گرچه غالب آنها به عربى بوده است.

ضمناً با اشاره و شمردن أسامی کتب و رسائل به بیان محتوای آنها هم توجه داده و لذا با مطالعه فهرس أسامی کتب اجمالاً به مطالب و موضوع مباحث آنها هم آگاهی حاصل می شود.

عین عبارت مؤلّف را از کتاب نصّ النصوص ص۸ ذیلاً نقل می کنیم:

اعلم، أيّها الطالب كحّل الله عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق، أنّي لمّا فرغت من كتاب: **مجمع الأسرار ومنبع الأنوار**، الّذي كان في التوحيد وأسراره وحقائقه وما يتعلّق به من تعريفه و تقسيمه وشكوكه وشبهاته ونكاته ودقائقه ورموزه وإشاراته. وبيان أنّه منحصر في التّوحيد الألوهي والتّوحيد الوجودي لا غير، وانّه منقسم إلىٰ التّوحيد الذّاتي والوصفي والفعلي، أو التّوحيد العلمي والعيني والحقّي.

وبيان مايتبعه من بحث النبوّة والرّسالة والولاية، وبحث الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وبحث الإسلام والإيمان والإيقان، وأمثال ذلك،

ولمّا فرغت بعد من: **رسالة الوجود في معرفة المعبود**، وما يتعلّق به ـ أعني الوجود ـ من اطلاقه، وبداهته، ووجوبه، ووحدته، وظهوره، وكثرته؛

وإثبات أنّه واجب الوجود لذاته وممتنع العدم لذاته، وأنّه ليس في الخارج غيره، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم،

ولمّا فرغت بعده من: **رسالة المعاد في رجوع العباد**، وما يتعلّق به، ـ أي المعاد ـ من القيامات الثلاث وتحقيقها الّتي هي القيامة الصغرىٰ والقيامة الوسطىٰ والقيامة الكبرىٰ؛

واثبات انّها ـ أي القيامات ـ تنقسم إلىٰ اثنتي عشرة قيامة صوريّة ومعنويّة بحكم التطبيق ـ أي المطابقة والموافقة ـ بين عالمي الآفاق والأنفس،

ولمّا فرغت بعدها من: **كتاب الأصول والأركان في تهذيب الأصحاب والأخوان**، المشتمل علىٰ الأصول الدينية الخمسة، الدائر كلّ واحد منها علىٰ مراتب ثلاث من الشريعة والطريقة والحقيقة، والمشتمل كذلك علىٰ الفروع الدينية الخمسة الدائر كلّ واحد منها علىٰ مراتب ثلاث،

ولمّا فرغت بعده من: **رسالة العلم**، وتحقيقه بطريق الطوائف الثلاث من الصوفية والحكماء والمتكلّمين، وبيان موضوع علم كلّ واحد منهم ومحموله مع مسائله ومبادئه، وما يتعلّق من الأبحاث الدقيقة والنكات الشريفة،

ولمّا فرغت بعدها من: **رسالة العقل والنفس**، والفرق بينهما بحسب الإعتبار الكلّي والجزئي، وغير ذلك من الأبحاث المتعلّقة بهما،

ولمّا فرغت بعدها من: **رسالة الأمانة الإلٰهيّة في تعيين الخلافة الربانيّة**، بمقتضىٰ قوله تعالىٰ:

﴿إنّا عرضْنا الأمانة علىٰ السّماوات والأرْض والجبال﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

وبيان أنّ: الظلوميّة والجهوليّة، مدح له ـ أي للإنسان ـ ليس فوقه مدح آخر بخلاف ماظنّ الجاهل أنّه مذمّة في حقّه،

ولمّا فرغت بعدها من: **رسالة الحجب وخلاصة الكتب**، في تحقيق قوله:

﴿ثمّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [الحاقّة/ ٣٢].

وقول نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم:

«**إنّ لله تعالىٰ سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**» الحديث.

فإنّ التطبيق (أي التوفيق) بين هذين القولين في غاية الصعوبة، لاسيّما علىٰ حسب الإعتبار الكلّي والجزئي وتعبيرهما ـ أعني الكتاب والسنّة ـ بألف سنة وخمسين ألف سنة وثلاثمائة ألف سنة، كقولهم:

أنا أقلّ من ربّي بسنتين.

وقولهم:

ليس بيني وبين ربّي فرق إلاّ أنّي تقدّمت بالعبوديّة،

«وقد أشار السيّد المؤلّف بهذه الرسالة في ص ٣٢٤ في كتابه نصّ النصوص أيضاً وقال:

فاعلم أنّ الغزالي وفخر الدين الرازي، ونجم الدين كبرىٰ ونجم الدين داية، والعراقي، وجماعة آخرين من المشايخ والعلماء، قد اجتهدوا في تحقيق هذه الآية وهذا الخبر، وحصر الحجاب والسلسلة في السبعين وسبعين الف، وما تمكّنوا فيه، وكلّهم اتّفقوا علىٰ انّهما ـ أي الآية والخبر ـ للتغليب، لا للحصر والتعيين، ونحن قد فتح الله تعالىٰ عين بصيرتنا، وكحّل أعين عقولنا بنوره الحقيقي حتّى كشفنا وشاهدنا الحال علىٰ ما هو عليه وكتبنا فيها رسالة بالعربيّة ورسالة بالعجميّة وبيّنّاها بوجوه متنوّعة».

ثمّ من: **رسالة الفقر وتحقيق الفخر**، والتطبيق ـ أعني التوفيق ـ بين الأحاديث

الثلاثة الواردة فيه، كقوله عليه الصلاة والسلام:

«**الفَقْرُ فَخْري وبهِ أفتخر علىٰ سائرِ الأنْبِياء والمُرْسَلين**».

وكقوله:

«**الفقرُ سواد الوَجه في الدّارين**».

وكقوله:

«**كادَ الفَقرُ أن يكونَ كُفْراً**»،

ثمّ من: **رسالة الأسماء الإلٰهية وتعيين مظاهرها من الأشخاص الإنسانية**، من آدم إلىٰ محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وما بينهما من الأنبياء والرسل عليهم السلام،

ثمّ من: **رسالة النفس في معرفة الربّ**، بحكم قوله عليه السلام:

«**من عرفَ نفسه فقد عرفَ ربّه**».

وبمقتضىٰ التنزيل كقوله تعالىٰ:

﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ [الحديد/ ۴].

وكقوله تعالىٰ:

﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ [الذّاريات/ ۲۱]،

ثمّ من: **أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة**، وبيان كلّ واحدة منها مع أهلها، كقوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم:

«**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**».

وكقوله تعالىٰ:

﴿**لكلٍّ جعلنا منكم شرْعَةً ومِنْهاجاً**﴾ [المائدة/ ۴۸].

وكقوله تعالىٰ:

﴿**وَكُنْتم أزْواجاً ثلاثة**﴾ [الواقعة/ ۷]،

ثمّ من: رسالة الجداول الموسومة: **بمدارج السالكين في مراتب العارفين**، المشتملة علىٰ المائة من المقامات الأصلية، وعلىٰ الألف من المراتب الفرعية، لدوران المائة في الأقسام العشرة، عشر مرّات.

«وقد أشار بهذه الرسالة أيضاً في ص ۳۳۶ من كتابه نصّ النصوص وقال:

فاعلم، انّ الإختلاف في عدد الأنبياء والرسل والأولياء والأئمّة، ثمّ في الأشياء

واعدادها علىٰ الاطلاق كما سبق بيانه مرّة من كلام الحكيم وغيره، هو من اقتضاء الوجود وحكمته، ومن مقتضىٰ الأسماء الإلهيّة وترتيبها، فإنّ الوجود من حيث الظهور واقع علىٰ ترتيب الأعداد الكليّة من العشرة والمائة والألف، أو السبعة والتسعة والتسعين والألف وواحد، وترتيب الأعداد الجزئي إلىٰ غير نهاية، لأنّ جزئيات الأسماء لانهاية لها، ككلّيات الحروف من الثمانية والعشرين حرفاً وجزئياتها الغير المتناهية، ومن هذا وقع ترتيب مقامات السلوك على ترتيبها، كما اشرنا إليها في الرسالة الموسومة: **بمدارج السالكين في مراتب العارفين**، الّتي هي مشتملة علىٰ أُصول عشرة ومقامات مائة وتفاريع ألف، مترتّبة في جداولها واقسامها، ويعرف تحقيق ذلك من خطبتها إجمالاً وهي قولنا:

الحمدُ لله الذي جعل كليّات الأسماء وأُصولها منحصرة في اعداد معيّنة من المائة والألف، وسمّاها بالأسماء الحسنىٰ لعلمه بها بأنّها ليست قابلة لذلك من حيث الجزئيّات والفروع أصلاً ورأساً، لا عقلاً وشرعاً، وجعل تلك الأسماء بمقتضىٰ مظاهرها المعنويّة، معراجاً وسلماً إلىٰ جنابه الشريف وحضرته العُليا، وطابق ترتيبها ترتيب السّلوك ومقاماته الّتي هي المائة أصولاً والألف فرعاً ليصدق علىٰ سالكيها انّهم قد قطعوا هذه المنازل والمقامات، بقدم السير والسلوك واحدة بعد أُخرىٰ حين قلعوا عن أنفسهم عرق الصفات الذّميمة، وخلعوا عليها خلع الصّفات الحميدة خلعاً لايمكن أحسن منها، ثمّ وصلوا إلىٰ أقصىٰ درجات الإنسان الكامل الّتي هي الغاية القصوىٰ واستحقّوا بها مرتبة الخلافة الإلْهيّة والرياسة العظمىٰ».

ثمّ، من: **نقد النقود في معرفة الوجود**، المنتخب من: **رسالة الوجود**، لنا،

ثمّ من: **نهاية التوحيد في بداية التجريد**، المنتخب من: **مجمع الأسرار ومنبع الأنهار**، لنا،

ثمّ من: **منتقىٰ المعاد في مرتضىٰ العباد**، المنتخب من: **كتاب المعاد**، لنا،

ثمّ من: **رسالة التنبيه في التنزيه**، بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ،

ثمّ من: **أمثلة التوحيد وأبنية التجريد**، في مقابلة: **اللّمعات**، للعراقي،

ثمّ، من: **رسالة كنز الكنوز وكشف الرموز**،

ثمّ من: **كتاب تعيين الأقطاب والأوتاد**، وحصرهم في تسعة عشر لا غير، دون الثلاثمائة، والأربعين، والسبعة، والثلاثة، والواحد، الراجعة عند التحقيق إلىٰ التسعة

عشر الّتي هي الأصل في الكلّ، وأمثال ذلك ـ من التواليف الّتي يبلغ تعدادها ـ إلىٰ نحو أربعين كتاباً ورسالة عربية وعجميّة،

ثمّ بعد الكلّ في هذه المدّة الطويلة الّتي هي ثلاثون سنة كاملة، ـ فرغت أيضاً ـ من تأويل القرآن الكريم الموسوم بـ :

«المحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم» المرتّب علىٰ سبعة مجلّدات كبار، بازاء تأويل الشيخ الأعظم نجم الدين الرازي المعروف بـ داية قدس الله سرّه فإنّه رتّب كتابه علىٰ ستة مجلّدات كبار بعد تسميته بـ بحر الحقائق ومنبع الدقائق، ونحن أردنا أن يكون لنا ـ تفسير ـ علىٰ قرنه من كلّ الوجوه، وبمقتضىٰ الحديث الوارد فيه أيضاً:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلىٰ سبعة أبطن»،

وبمقتضىٰ اشتماله (أي القرآن الكريم) علىٰ السبعات المعلومة، وغير ذلك ممّا أوجب ترتيبه عليها، واشتهر ذلك التفسير في أكثر الأقاليم والبلدان، وتحققت صورته عند أعاظم أهل التحقيق والعرفان، وتقرّر بينهم أنّه عديم المثل والنظير لاسيّما في علوم القرآن: وأنّه ليس بكسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غيبيّة بطريق الكشف من حضرة الرّحمٰن،

(فلمّا فرغت من هذه التواليف كلّها):

قامت طائفة من أرباب التوحيد وخاصّته، وجماعة من أهل الله وخلاصته، والتمسوا منّي بالتماس لامزيد عليه، وبمبالغة لايمكن أبلغ منها، أن أكتب لهم شرح كتاب فصوص الحكم، الّذي هو منسوب إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وأعطاه للشيخ الكامل المكمّل محيي الحقّ والملّة والدّين أبي عبدالله بن محمّد محمّد بن محمّد المغربي الأندلسي الحاتمي الطائي قدّس الله سرّه في النوم، ليلة العشر الأخير من المحرّم سنة سبع وعشرين وستمائة، بمحروسة دمشق، وقال له: «يا فلان، هذا فصوص الحكم خذه واخرج به إلىٰ النّاس ينتفعون به»، كما ذكره في أوّل الكتاب.

فقبل قبول التماسهم، والشروع في استدعائهم، سألتهم عن سبب هذا الإلتماس منّي وعن سبب تخصيصه بنا دون غيرنا، فقالوا: أمّا سبب الإلتماس على العموم فبصورتين، الأولى منهما شوقنا وشغفنا إلىٰ تحقيق معاني هذا الكتاب ومعارفه

على ماينبغي فانّه كتاب معتبر جليل القدر، عظيم الشأن، بعيد الفهم، وكيف لايكون كذلك وهو منسوب إلىٰ نبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، الّذي هو أعلم أنواع الموجودات والمخلوقات العلويّة والسفليّة، وأشرف أصناف المكنونات والمبدعات الغيبيّة والشهاديّة، وليس في الأنبياء والرّسل أحسن منه خُلقاً وخَلقاً وعلماً وفهماً، ولا في الأولياء والأقطاب أعظم منه مرتبة وقدراً وكشفاً وحالاً، والدليل عليه قوله تعالىٰ في الحديث القدسي:

«لولاك لما خلقتُ الأفلاك».

وقوله في التنزيل:

﴿وما أرْسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وقوله ـ أي النّبيّ ـ بنفسه:

«أوتيت جوامع الكلم، وبعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق».

وقوله:

«علّمت علوم الأوّلين والآخرين».

وقوله تعالىٰ:

﴿وعلّمك ما لَم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النّساء/ ١١٣].

وأمثال ذلك من الأقوال الآتية في تمهيده مفصلاً إن شاء الله تعالىٰ.

والصورة الثانية، إطّلاعنا علىٰ الشروح الّتي كتبت له خصوصاً الشرح الّذي كتبه الشيخ الإمام المحقّق مؤيد الدين الخُجندي قدّس الله سرّه، والّذي كتبه الإمام العلاّمة كمال الدين عبدالرزاق الكاشي رحمة الله عليه، والّذي كتبه الشيخ العارف شرف الدين محمود القيصري طاب ثراه.

فإنّ هذه الشروح الثلاثة لهؤلاء المشايخ الكبار رحمهم الله، مع أنّها أجود الشروح وأحسنها، مارأيناها مطابقة لأذواقنا في أكثر المواضع، ولا موافقة لآرائنا في أغلب المواطن، لأنّهم وإن اجتهدوا في تدقيقه وتحقيقه، وبالغوا في تصريحه وتوضيحه، لكن مادخلوا لجج أزخاره العميقة ولا وصلوا إلىٰ كنه أسراره الدقيقة، وصدق عليهم قول الله تعالىٰ:

﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾ [الأنعام/ ٩١].

وقوله تعالىٰ:

﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم﴾ [آل عمران/ ٧].

ووافق فيهم الّذي قيل:

قل للّذين قضوا في البحث عمرهم ثمّ اطمأنّوا وظنّوا أنّهم فرغوا
الأمر أعظم من مرمىٰ عقولكم كم بالغ النّاس في هذا وما بلغوا

فاحتجنا إلىٰ شرح آخر يكون أكمل منها «أي من الشروح المذكورة» في المعارف والحقائق، وأحسن منها في الأساليب والتراكيب، بل وفي اللطائف والدّقائق، ويكون مشتملاً علىٰ لباب قواعد ذوي الألباب محتوياً علىٰ أنفس نفائسهم الفائضة من حضرة ربّ الأرباب، مشيراً إلىٰ ما في ضمن العوالم الكلّيّة من الأمور الغيبية مومياً إلىٰ ما في طيّ المراتب الروحانيّة والمراتب الجسمانيّة معطياً حقّ كلّ لفظة وكلمة باظهار ما في ضمنها من الرموز والأسرار موضحاً عمّا تحت إشاراتها البليغة من الغرائب والابكار.

فقمنا في طلبه ـ أي في طلب الشرح الأكمل لفصوص الحكم ـ واجتهدنا في تحصيله بمقتضى قوله تعالىٰ:

﴿ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون﴾ [المائدة/ ٣٥].

فالله تعالىٰ بفضله وكرمه هدانا اليك، وأرشدنا بالحضور بين يديك، وأمرنا بالتماس هذا الأمر من أقوالك، واستدعاء هذا المطلوب من أنفاسك لتكون شيخاً وإماماً لنا في سلوكنا وأستاذاً ودستوراً في طريق مطلوبنا.

وأمّا سبب التخصيص بك فبصورتين أيضاً:

الأولىٰ، بما حصل لنا من الله تعالىٰ خاصة بالكشف الصحيح والذوق الصريح، وبما شهدت به عقولنا بعد اكتحالها بالأنوار القدسيّة، ونطقت به نفوسنا بعد استضاءتها بالآثار الجبروتيّة، فعرفنا بالتحقيق أن لك استعداد هذا الأمر الجليل، وجزمنا باليقين التامّ أن لك استحقاق هذا الشغل الخطير، وأنّك من الّذين قال الله تعالىٰ فيهم:

﴿فاسألوا أهل الذّكر إنْ كنتم لاتعلمون﴾ [النحل/ ٤٣].

وقال:

﴿أدع إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [النحل/ ١٢٥].

وإنّك من الّذين أشار اليهم الشيخ ـ الحاتمي ـ في الفصّ الشيثي بقوله: وما أحد يعرف هذا، وإنّ الأمر علىٰ ذلك، إلاّ آحاد من أهل الله وخاصّته، فإذا رأيت من يعرف هذا فاعتمد عليه فذلك هو عين صفاء خلاصة خاصّة الخاصّة من عموم أهل الله. [شرح القيصري ص ١٢٠].

وأشار الشيخ فيه ـ أي في الفصّ الشيثي ـ أيضاً بقوله: وإذا ذقت هذا فقد ذقت الغاية الّتي ليس فوقها غاية في حقّ المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقىٰ في أعلىٰ من هذا الدرج، فما هو ثمّ أصلاً، وما بعده إلاّ العدم المحض. [شرح القيصري ص١٠٧].

والصورة الثانية، بما رأينا من تصانيفك وتواليفك المذكورة الشاهدة علىٰ كمالاتك وفضائلك وعرفانك وحقائقك،

لاسيّما، التأويل للقرآن الكريم، الّذي ليس له مثيل في نوعه، ولا نظير في شخصه، وما اتفق لأحد مثله لا من المتقدّمين ولا من المتأخّرين، فإنّه ـ أي التأويل للقرآن الكريم السالف الذّكر ـ يشهد بأنّ هذا الكتاب ـ نعني فصوص الحكم ـ المنسوب إلىٰ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، لايشرحه حقّ الشرح إلاّ الّذي يكون شأنه في كتاب الله تعالىٰ وكلامه بهذه المثابة، والمناسبة بين الكلامين ـ أي بين القرآن والفصوص ـ معلومة بمقتضىٰ قوله:

﴿وما ينطقُ عن الهوىٰ إنْ هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحىٰ﴾ [النجم/ ٣ ـ ٤].

وبموجب إشارته:

«كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله».

فحيث كان الحال علىٰ هذا المنوال، ولم يكن إمكان منعهم عن هذا السؤال، قبلت آلتماسهم والتزمت باستدعائهم مطاوعة لله تعالىٰ في قوله:

﴿وأمّا السّائل فلا تنهر، وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾ [الضحىٰ/ ١٠ ـ ١١].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران/ ١٨٧].

ومتابعة لنبيّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، في قوله:

«إذا ظهرت البدع في أمّتي فليُظهر العالم علمه ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين».

وفي قوله:

«مَنْ كَتَمَ عِلْماً نافِعاً ألجمهُ الله يوم القيامة بلجامٍ من النار».

وانقياداً للشيخ الحاتمي في قوله:

ثمّ مُنّوا به على طالبيه لا تمنعوا
هذه الرّحمةُ الّتي وسعتكم فوسّعوا

ففي هذه الحالة وإن كنت بحمد الله تعالىٰ ومنّته بحكم:

﴿وفوقَ كلّ ذي علمٍ عليمٍ﴾ [يوسف/ ۷۶].

وبمصداق:

﴿وعلّمناهُ من لَدُنّا عِلْما﴾ [الكهف/ ۶۵].

ممّن اطّلعني علىٰ حقائقه ودقائقه كشفاً وعياناً، وهداني إلىٰ معضلاته ومشكلاته ذوقاً ووجداناً بحيث لو عاد الشيخ من عالم الغيب إلىٰ عالم الشهادة لم يكن يقول غير ذلك، لكن استخرت الله في ذلك واستجزت منه فجاء في الأوّل:

﴿انّ الله يأمركُم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾ [النساء/۵۸].

وجاء في الثاني:

﴿أدع إلىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾ [النحل/ ۱۲۵].

وفي الثالث:

﴿فبشّر عبادِ الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أُولئِك الّذين هداهم الله وأُولئك هم أولوا الألباب﴾ [الزمر/ ۱۷ ـ ۱۸].

فعزمت علىٰ الأمر بالجزم التامّ، وقمت فيه بصدق النيّة وكمال الإهتمام، وشرطت علىٰ نفسي أن أكتبه على ما يريدونه، وأشرحه علىٰ ما يلتمسونه مطابقاً لأذواقهم الشريفة. موافقاً لآرائهم الدقيقة، جامعاً لأعظم الحقائق الإلٰهيّة، حاوياً لأشرف القوانين المصطفويّة، مطابقاً للعقل والنقل، غير خارج عن الكتاب والسنّة، جارياً على طريق السداد: من الشريعة، والطريقة، والحقيقة، بحيث لايحتاجون

بعده إلىٰ شرح آخر غيره إذا فهموا ما فيه من المعنىٰ، طلّه ووبله.

از جمله رسائلی كه جناب مولّف در موضوع مباحث فلسفی عرفانی (الوجود) تأليف كرده‌است، رسالهٔ نقد النقود است، اين رساله ضميمهٔ كتاب جامع الأسرار به چاپ رسيده‌است، مؤلّف بزرگوار در مورد سبب تأليف آن رساله و اجمالی از مباحث آن را در ابتداء همان رساله پس از خطبه بدين‌گونه بيان می كند:

امّا بعد، فلمّا فرغتُ من: **رسالة الوجود**، وما اشتملت عليه من إثبات اطلاقه وبداهته ووجوبه ووحدته وظهوره وكثرته، ومن المعارضة بين المتكلّمين والحكماء الموحّدين، والإستشهاد بكلّ واحد منهم الإستشهاد بكلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، ولمّا فرغتُ أيضاً من توابعها ولوازمها من الأمثال المضروبة والنّكات المطلوبة،

إلتمس بعض إخواني الّذي كان عندي أعزّ من انسان العين في العين، أن أنتخب منها انتخاباً مختصراً مفيداً، قليلاً في الحجم، كثيراً في المعنىٰ، . . . .

وسمّيتها: **بنقد النقود في معرفة الوجود**، إلىٰ أن قال في آخر الرسالة:

واتّفق الفراغ من تسويد هذه الورقات وتبييض هذه الكلمات بعون الله وحسن توفيقه، خامس عشر جمادىٰ الآخر سنة ثمان وستّين وسبعمائة (٧٦٨) علىٰ يد مؤلّفها ومنشئها العبد الفقير إلىٰ الله الغنيّ، الغريق في بحور الآثام، المتمسّك بولاء أجداده أهل البيت عليهم السلام، أضعف عباد الله تعالىٰ جِرماً وأقواهم جُرماً، حيدر بن عليّ بن حيدر العلوي الحسيني الآملي، أصلح الله شأنه، بالمشهد الشريف الغرويّ سلام الله علىٰ مشرّفه، حامداً لله ومستغفراً لذنبه ومصلّياً علىٰ نبيّه صلّىٰ الله عليه وآله الطاهرين.

اجمالی از سفر الهی (هجرت) مؤلّف وآثار آن از كتاب مقدّمات نصّ النّصوص

مؤلّف بزرگوار جناب سيّد حيدر آملی در بخش خاتمه مقدّمات كتاب نصّ النصوص مطلبی را مبنی بر بيان كيفيّت دريافت شرح فصوص، و كيفيّت دريافت

تفسير المحيط الأعظم، را از طريق فيوضات الهی مطرح كرده است، و در ضمن آن اجمالی هم از ابتداء توجّه خود به سوی حق تعالیٰ و حركت و سفرهای خويش به مكّه و بيت الله الحرام و مدينة الرّسول(ص) و عتبات عاليات را بازگو می كند.

در ص ۵۳۴ مقدّمات نصّ النّصوص می گويد:

والحاصل من هذه الأبحاث هو أنّ مكّة كما صارت موجب الفتح للفتوحات المكيّة، علىٰ قلب الشيخ الأعظم بليلة واحدة، والمدينة سبب الفتوحات المدنيّة، كذلك، وعلىٰ قلوب أمثاله من عباد الله تعالىٰ كثيراً، صار المشهد المقدّس الغرويّ الّذي هو مشهد مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، موجب الفتح للفتوحات الغيبيّة علىٰ قلبي اجمالاً، ثمّ تفصيلاً منها: تأويل القرآن الكريم، وغيره من الكتب، ومنها حقائق فصوص الحكم ومعانيه ومعارفه، هذه علىٰ ماينبغي، من غير عمل سابق ولا سبب لاحق، بل لمجرّد التوجّه إلى جنابه والاستدعاء من حضرته جلّت قدرته وعظمت منّته، لقوله:

﴿الرّحمٰن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان﴾ [الرحمٰن/ ۱ ـ ۴].

ولقوله:

﴿اقرأ وربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لَمْ يعلم﴾ [العلق/ ۳ ـ ۵].

ولقوله:

﴿وَعلّمناه من لدنّا علما﴾ [الكهف/ ۶۵].

ولقوله في الحديث القدسي:

«من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، ومن جاءني سعياً مشيت إليه هرولة».

ولقول نبيّه (ص):

«جذبة من جذبات الحقّ تعالىٰ توازي عمل الثقلين».

وهذا إجمال في إجمال يريد تفصيلاً تامّاً وبسطاً كاملاً، وذلك أن تعرف أنّ الله تعالىٰ لمّا أمرني بترك ماسواه والتوجّه إليه حقّ التوجّه ألهمني بطلب مقام ومنزل أسكن فيه وأتوجّه إلي عبادته وطاعته بموجب أمره وإشارته، (مكان) لايكون أعلىٰ منه ولا أشرف في هذا العالم، فتوجّهتُ إلىٰ مكّة شرّفها الله تعالىٰ، بعد ترك الوزارة والرّياسة والمال والجاه والوالد والوالدة وجميع الأقارب والإخوان والأصحاب، ولبستُ خرقة ملقاة

خلقاً، لاقيمة لها، وخرجت من بلدي الّذي هو آمل وطبرستان من طرف خراسان، وكنتُ وزيراً للملك الّذي كان بهذا البلد، وكان من أعظم ملوك الفرس، لأنّه كان من أعظم أولاد كسرىٰ وكان اسمه الملك السعيد فخر الدولة ابن الملك المرحوم شاه كيخسرو طيّب الله ثراهما وجعل الجنّة مثواهما، وكان عمري في هذه الحالة ثلاثين سنّة.

وقد جرىٰ عليّ إلىٰ حين وصولي إلى مكّة في هذه الصورة أنواع من البليّات وأصناف من المجاهدات، لايمكن شرحها إلاّ بمجلّدات، ومع ذلك كان في أكثر الحالات جارياً علىٰ لساني قوله جلّ ذكره:

﴿ومن يخرجُ من بيته مهاجراً إلىٰ الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجرهُ علىٰ الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء/١٠٠].

وقول العارف المشتاق ـ مثلي ـ وهو قوله:

تركتُ الخلق طرّاً في رضاكا وأيتمتُ العيال لكي أراكا
فلو قطّعتني إرباً فإرباً لما حنّ الفؤاد إلىٰ سواكا

وعلى الجملة مازال هكذا حالي حتّى وصلتُ إلىٰ مكّة وحججت وجوباً، وقمت بالفرائض والنوافل من المناسك وغيرها، سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة (٧٥١) من الهجرة، وأردت المجاورة بها، فحصل لي شوق إلىٰ المجاورة بالمدينة فإنّي ماكُنتُ زرت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، ولا أولاده وأصحابه. فتوجّهت إلىٰ المدينة، وزرت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وعزمت علىٰ المجاورة بها، فحصل لي أيضاً مانع من الموانع أعظمها المرض الصوريّ بحيث وجب الرجوع إلىٰ العراق وإلىٰ المكان المألوف الّذي هو المشهد المقدّس الغرويّ سلام الله تعالىٰ علىٰ مشرّفه.

فرجعتُ بالسلامة إليه وسكنتُ فيه مشتملاً بالرياضة والخلوة والطّاعة والعبادة الّتي لايمكن أن يكون أبلغ منها ولا أشدّ ولا أعظم.

ففاض علىٰ قلبي من الله تعالىٰ ومن حضراته الغيبيّة في هذه المدّة غيرما قلته من (تأويل القرآن) و(شرح الفصوص)، من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق الّتي لايمكن تفصيلها بوجه من الوجوه لأنّها من كلمات الله غير القابلة للحصر والعدّ

والإنتهاء والإنقطاع، فأمرني الحقّ باظهار بعض ذلك علىٰ عبيده الخواصّ.

فشرعت في تصنيف كتاب في التوحيد وأسراره على ماينبغي، فكتبته في أدنىٰ مدّة وسمّيته **بجامع الأسرار ومنبع الأنوار**، ثمّ بعده في: **رسالة الوجود في معرفة المعبود**، ثمّ بعدها في رسائل وكتب إلىٰ أن بلغت أربعين رسالة وكتاباً، عربيةً وعجميةً.

ثمّ أمرني الحقّ **بتأويل القرآن الكريم**، فكتبته بعد هذا كلّه، فجاء في سبعة مجلّدات كبار، وسمّيته بـ:

المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، وذلك خرج في غاية الحسن والكمال، وظهر في نهاية البلاغة والفصاحة بعناية الملك ذي العزّة والجلال بحيث ماسبقني أحد بمثله لا ترتيباً ولا تحقيقاً ولا تلفيقاً.

ثمّ أمرني الحقّ **بشرح فصوص الحكم**، . . . فشرعت في شرحه، وهذا كان بعد مجاورتي بالمشهد المقدس المذكورين، ثلاثين سنة علىٰ الوجه المذكور، وكان ابتدائي فيه سنة إحدىٰ وثمانين وسبع مائة (۷۸۱) من الهجرة والإنتهاء منه سنة اثنين وثمانين وسبعمائة (۷۸۲) أعني أنّه تمّ في سنة واحدة بل في أقلّ منها وكان عمري، في هذه الحالة ثلاثاً وستّين سنة (۶۳)، رزقنا الله الوصول والبلوغ إلىٰ الغاية، وهو ماقرّره الله في اللّوح المحفوظ، ووفّقنا لإتمام مثله كثيراً بفضله وكرمه، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

اشاره‌ای دیگر به ترجمهٔ مؤلّف و آثار او
از کتاب جامع الأسرار

جناب سیّد حیدر آملی طبق روش تألیفی خود در ابتدا کتاب جامع الأسرار نیز اجمالاً به وضعیّت سیر و سلوك خود و عنایات الهی، و همچنین به بعضی از تألیفات، و علّت تألیف آنها، و نیز اشاره‌ای به اینکه جناب ایشان از طریق عنایت حق تعالیٰ به علوم بی‌پایان نائل آمده‌است، دارد.

وضمناً به روش خاصّ و عقیده خودش هم در مورد شیعه و عارف اشاره کرده و می‌گوید: من از عنفوان جوانی تلاشم این بود که قواعد ظاهری شرع را که مخصوص

شيعه اماميّه است، و همچنين باطن شرع را كه مخصوص عرفا است، بدست‌آورده و بين اين دو و قواعد آنها تطابق ايجادكنم، چه اينكه مطابقت وجود دارد، واصولاً عقيده مؤلف بزرگوار اين است كه شيعه حقيقى همان عارف و عارف حقيقى همان شيعة اماميّه است.

(اين مطلب در بخش ديگر از اين مقدّمه به طورمشروح خوهدآمد).

عبارت سيّد در كتاب جامع الأسرار پس از خطبه چنين است:

امّا بعد، فإنّي لمّا فرغت من رسالة: **منتخب التأويل** (أشار لهذه الرّسالة أيضاً في رسالته نقد النقود المطبوعة مع كتابه جامع الأسرار ص٦٩٥)، المشتملة علىٰ بيان كتب الله الآفاقية والأنفسيّة، وحروفها وكلماتها وآياتها، ومطابقة كلّ واحد منها بالآخر، و**رسالة الأركان** المشتملة علىٰ بيان الأركان الدينيّة الخمسة الّتي هي الصلاة والصوم والزكاة والحجّ والجهاد، شريعة وطريقة وحقيقة، ورسائل أُخر مثل: **رسالة الأمانة**، و**رسالة التنزيه**، وغير ذلك، إلتمس منّي جماعة من إخواني الصالحين السالكين سبيل الله لطلب مرضاته، أن أكتب لهم كتاباً مشتملاً علىٰ معظم أسرار الله تعالىٰ وأسرار أنبيائه وأوليائه عليهم السلام، سيّما علىٰ أسرار التوحيد وأقسامه وتوابعه ودقائقه ونكته ورموزه، مشيراً إلىٰ لُبّه وخلاصته وأصوله وفروعه، مومياً إلىٰ شعبه وشبهه وشكوكه ومغالطه، ويكون مرتّباً علىٰ فضيلته وتعريفه وتقسيمه وكيفيته، موشّحاً بالأمثلة المحسوسة اللآئحة، والإستشهادات الموضّحة اللآئقة، مبنيّاً علىٰ قاعدة الموحّدين المحقّقين من أهل الله، المسمّين بالصوفيّة موافقاً لمذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة، مطابقاً لأصول كل واحد منهم وقواعدهم بحيث يرتفع به التنازع من بينهم بالكلّيّة، ولا يحتاجون بعده إلىٰ كتاب آخر فيه.

إلىٰ أن قال:

وسبب هذا الإلتماس منّي هو أنّهم رأوا بعين بصيرتهم النافذة آثار نعم الله تعالىٰ وألطافه عليّ بإعطاء هذه المعارف والحقائق، وشاهدوا بنور هدايتهم الحقيقيّة أنوار فيضانه وتجلّياته فيّ بافاضته هذه المعاني والدقائق، وعرفوا كيفيّة اطّلاعي علىٰ أُصول الطائفتين وقواعدهم، وعلموا حسن مجموعيّتي بتحصيل قوانين الفرقتين وعقائدهم.

لأنّي من عنفوان الشّباب، بل من أيّام الطفوليّة إلىٰ يومنا هذا الّذي هو أيّام

الكهـولـة، بعناية الله تعالىٰ وحسن توفيقه كنتُ مُجدّاً في تحصيل **عقائد أجدادي الطّاهرين الّذين هم الأئمة** المعصومون عليهم السلام، وطريقتهم **بحسب الظاهر**، الّتي هي الشـريعـة **المخصوصة بطائفة الشيعة الإمامية** من أهل الفرق الإسلاميّة، و**بحسب الباطن** الّتي هي الحقيقة **المخصوصة بالطائفة الصوفيّة** من أرباب التوحيد وأهل الله تعالىٰ، والتوفيق بينهما ومطابقة كلّ واحد منهما بالآخر، حتّى تحقّقت حقّيّة الطرفين، وعرفت حقيقة القاعدتين وطابقت بينهما حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، **وصرتُ كما صرتُ جامعاً بين الشّريعة والحقيقة**، حاوياً بين الظاهر والباطن، واصلاً إلىٰ مقـام الإستقـامـة والتمكين، قائلاً قول من كان مثلي من أرباب اليقين وأهل التحقيق، الحمدُ لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، شعر:

كانــت لقـلبـي أهـواءٌ مفـرّقـةٌ   فاستجمعت مُذْ رأتك العين أهوائي
فصـار يحسـدني من كنت أحسـده   وصرتُ مولىٰ الورىٰ مُذْ صرتَ مولائي
تركـتُ للنّـاس دنـيـاهـم ودينـهـم   شغـلاً بذكـرك يا ديني ودنـيائي!

وليس ذلك بدعوىٰ ولا رعونة، بل تحدّثاً بنعم الله تعالىٰ وألطافه، لقوله تعالىٰ:
﴿وأمّا بنعمةِ ربِّك فحدِّث﴾ [الضحىٰ/ ١١].
وتذكّراً بكرم الله تعالىٰ وإنعامه لقوله تعالىٰ:
﴿وذكِّر فإنَّ الذِّكرىٰ تنفعُ المؤمنين﴾ [الذاريات/ ٥٥].

إلىٰ أن قال: في ص ١٢:
وبالجملة لمّا رأيت الإشتغال بهذا العلم الإلهي من أسباب التهيئة لتحصيل السعادات العظمى، والتوجّه إليه من المعدّات الموصلة الى الدرجة العليا، لأنّه كان سبباً لإصلاح ذات البين الّذي هو أفضل العبادات وأشرفها لقوله تعالىٰ:
﴿لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهم إلاّ من أمر بصدقةٍ أو معروف أو إصلاح بين النّاس﴾ [النساء/ ١١٤].
وموجباً لإرشاد الطائفتين الّذي هو أعظم الكمالات وأنفسها، لقوله عزّ وجلّ:
﴿إنّ هٰذا لهوَ الفوزُ العظيم لمثل هذا فلْيَعْمل العامِلون﴾ [الصّافات/ ٦٠-٦١].

ولمّـا رأيت أيضـاً أنّ دفـع الإلتمـاس والبخل به من أكبر الكبائر، ومنع هذا الإستدعاء والإمساك عنه من أعظم القبائح، لأنّ العلم كالمال مثلاً بل هو أشرف منه،

فكما أنّ صاحب المال إذا بخل بحقوقه الواجبة عليه وأمسك عنه صار مذموماً عند الله تعالىٰ وعند النّاس دنيا وآخرة، فكذلك صاحب العلم بالنسبة إلىٰ حقوقه الواجبة عليه وإنفاقه علىٰ مستحقّيه وطالبيه، كما أشار إليه جلّ جلاله في قوله:

﴿ومنهم من عاهدَ الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين* فلمّا آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون﴾ [التّوبة/ ٧٥ ـ ٧٦].

وشرعتُ آنئذٍ فيه وتوجهت إليه وجزمت على ترتيبه بالعزم الجازم والتوجّه التّامّ، وقلت: انّ ذلك لمن عزم الأمور.

ترجمة السيّد حيدر في كتب التّراجم

رياض العلماء وحياض الفضلاء ج٢ ص٢١٨ و ص٢٢٥:

السيّد حيدر بن علي بن حيدر بن علي العلوي الحسيني الآملي المازندراني الصوفي المعروف بالآملي، فاضل، عالم، مفسّر، فقيه، محدّث، وكان من عظماء علماء الإماميّة.

كان من أفاضل علماء الصوفيّة، وقد كان إماميّ المذهب.

واعلم أنّ الآملي هذا غير الآملي الّذي كان شارح القانون للشيخ الرئيس، بل قد يقال: إنّه غير الآملي صاحب كتاب نفائس الفنون وغيره من الكتب أيضاً. . . .

وقد ذكره القاضي نور الله في مصائب النواصب وقال في مدحه: «إنّه من أصحابنا الإماميّة المتألّهين، وإنّه السيّد العارف المحقّق الأوحدي، وإنّه من علماء الشيعة، وله كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار وشرح الفصوص».

وقال فيه أيضاً: «إنّ مشائخ الصوفيّة قد كانوا في الشيعة كسيّد حيدر الآملي صاحب كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار وشارح الفصوص المسمّى شرحه بفص الفصوص (نصّ النّصوص) الّذي هو من أكابر الشّيعة، بل ادّعىٰ السيّد حيدر المزبور فيه أنّ الصوفي الحقيقي لايكون إلاّ شيعياً».

إلىٰ أن قال:

ويروي عن الشيخ فخر الدين ولد العلاّمة وعن الحسن بن حمزة الهاشمي.

إلىٰ أن قال:

واعلم أن كون كتاب جامع الأسرار من مؤلّفاته ممّا لاشكّ فيه، وقد رأيت علىٰ بعض نسخ جامع الأسرار نقلاً عن خطّ الشيخ البهائي أنّه كتب عليها ماهذه صورته: الّذي أظنّ أن هذا الكتاب تأليف السيّد الجليل السيّد حيدر المازندراني رحمه الله، وله تفسير كبير بلسان الصوفيّة يدلّ على علوّ شأنه وارتفاع مكانه، إنتهىٰ.

إلىٰ أن قال:

ولـه أيضاً كتاب المحيط الأعظم في تفسير القرآن المكرّم، وقد رأيت بعض الفـوائد المنقولة عنه، وقد نسبه إليه أيضاً المولىٰ محسن الكاشي في أواخر كتاب الصلاة من الوافي. (الوافي ج٩ ص١٧٨١ ـ ورحلي ج٢ ص٢٧٤).

إلىٰ أن قال:

وقال السيّد القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين بالفارسيّة ما معناه: إنّ حيدر بن علي (العبيدلي) الحسيني الآملي الصوفي كان من أكابر سادات آمل وخـرج من آمـل عازمـاً لزيارة العتبـات، فدخـل بغداد وأقام بها وعاشر مع الشيخ فخـر الـدّين ولد العلاّمة، والفاضل المدقّق المولىٰ نصير الدين القاشاني المشهور بالحلّي وغيرهما من علماء الإماميّة.

وقد أورد بيان سلسلة فرقته في أوّل شرحه علىٰ فصوص الحكم المسمّىٰ بفصّ الفصوص (نصّ النّصوص) الّذي هو من نفائس مصنّفاته.

وقـد وصف الشيخ الفقيه الفـاضـل محمّـد بن أبي جمهور في شرح بعض الرسائل الكلاميّة هذا السيّد: بالسيّد العلاّمة صاحب الكشف الحقيقي، ويظهر من شرحه علىٰ الفصوص المذكور، ومن تفسيره وتأويلاته، ومن جامع الأسرار ومنبع الأنوار له علوّ مرتبته في العلوم الظاهريّة والباطنيّة.

إلىٰ أن قال:

ثمّ إنّي رأيت طائفة من المسائل الفقهيّة والكلاميّة الّتي سألها هذا السيّد عن الشيخ فخر الدّين ولد العلاّمة وجواباته عنها، وعندنا منها أيضاً نسخة، وقال فيها: «إنّ ابتداء ذلك في الحلّة السيفيّة في سلخ رجب المرجب سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وأنا العبد الفقير حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي».

ثمّ قد كتب الشيخ فخر الدّين عليها في هامش الجواب هكذا: «هذا صحيح

قرأ علي أطال الله عمره ورزقنا بركته وشفاعته عند أجداده الـ ـرين، وأجزت له رواية الأجوبة عنّي، وكتب محمّد بن الحسن بن المطهّر» إنتهىٰ.

روضات الجنّات ج٢ ص ٣٧٧:

سيّد أفاضل المتألّهين حيدر بن علي (العبيدي) الحسيني الآملي هو من أجلّة علماء الظاهر والباطن، وأعاظم فضلاء البارز والكامن. إلىٰ أن قال:

ونقل صاحب (المجالس) عن السيّد المتقدّم في شرح الفصّ الداودي: أنّ بيدي هذا السيّد الأيّد ألين الحديد مثل الشّمع، وأنّه لمّا تشرّف بزيارة أمير المؤمنين عليه السّلام، اتّكئ علىٰ صخرة كانت هناك بحذاء الرّوضة المنوّرة في داخل الجدار سبعة أيّام بلياليها ولم يتغذ بشيء في هذه المدّة، ينتظر الرّخصة من الحضرة في الدّخول، فظهر منها في جوف اللّيلة الثامنة صوتاً جهورياً أهال أهل المشهد جميعاً لزعمهم أنّها صيحة قيام السّاعة، وكان فيه قائلاً يقول: أدركوا ولدي حيدر، فلمّا بحثوا عنه من أطراف الرّوضة إذا هم به واقفاً هنالك، فأخذوا في تعظيمه بما لا مزيد عليه.

ونوادر أخباره أيضاً كثيرة لاتفي بذكرها هذه العجالة.

أعيان الشيعة ج٦ ص ٢٧٢:

وكان المترجم من تلاميذ فخر الدين ولد العلّامة، وكتب جملة من المسائل الفقهيّة والكلاميّة، وسأل عنها شيخه فخرالدّين المذكور، وقال فيها: إنّ ابتداء ذلك في الحلّة السيفيّة سلخ رجب سنة ٧٥٩، وأنا العبد الفقير حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي.

رأيناها بخطه وجواباتها بخط فخرالدّين، وفي بعضها كتب الجواب بخط السائل، وكتب فخر الدّين بخطّه: هذا جوابي وهو كلامي، وكتب في آخر الجوابات في الهامش: هكذا: صحيح قرأه عليّ أطال الله عمره ورزقنا بركته وشفاعته عند أجداده الطاهرين، وأجزت له رواية الأجوبة عنّي وكتب محمّد بن الحسن بن المطهّر. إنتهىٰ.

وقد رأىٰ صاحب الرياض هذه المسائل وجواباتها ووصفها كما وصفناها.

ورأينا أيضاً في ضمن المجموعة المشار اليها مسائل مهنأ بن سنان المدني للعلاّمة الحلّي، المعروفة بالمسائل المدنيات مع جواباتها، وعلىٰ ظهرها بخطّ فخر الدين ولد العلاّمة إجازة للسيّد حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني برواية المسائل المدنيّات المذكورة عنه عن أبيه العلاّمة، مدحه فيها مدحاً بليغاً وهذه صورتها:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

هذه المسائل وأجوبتها صحيحة، سُئل والدي عنها فأجاب بجميع ماذكرها هنا، وقرأتُها أنا علىٰ والدي قدّس الله سرّه ورويتها عنه. وقد أجزت لمولانا السيّد الإمام العالم العامل المعظّم المكرّم، أفضل العلماء وأعلم الفضلاء، الجامع بين العلم والعمل، شرف آل الرسول مفخر أولاد البتول سيّد العترة الطاهرة ركن الملّة والحقّ والدّين، السيّد حيدر بن السيّد السعيد ركن الدّين علي پادشاه بن السيّد السعيد ركن الدّين حيدر العلوي قدّس الله سرّه، وأن يعمل بذلك ويفتي به.

وكتب محمّد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي في أواخر ربيع الآخر لسنة ٧٦١. والحمدُ لله تعالىٰ وصلّىٰ الله علىٰ سيّد المرسلين محمّد النبيّ وآله الطّاهرين.

إلىٰ أن قال:

ويأتي في ترجمة محمّد بن علي الجرجاني: أنّه وجد بخطّ المترجم رسالة للمذكور، ووجدنا بخطّه أيضاً صورة اجازة العلاّمة للسيّد مهنأ بن سنان الحسيني المدني في ضمن المجموعة المتقدّمة الذّكر، قال في آخرها: وفرغ من تحريره العبد الحقير الواثق إلىٰ رحمة ربّه القدير حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي أصلح الله حاله في غرّة ذي القعدة سنة ٧٦٢ هجريّة، (أقول: ذكرها العلاّمة الأمين بتمامها في ج١٠ ص١٦٩. ووجدتُ علىٰ ظهر كتاب في الأصول في الخزانة الغرويّة:

انتقل هذا الكتاب منه بطريق البيع الصّحيح الشرعي إلىٰ خدمة المترضىٰ المعظم قدوة الأفاضل والأمم أفضل المتأخّرين زبدة المتبحّرين المخصوص بعناية ربّ العالمين كهف الحاج والمحرمين نظام الحق والملّة والدّين محمود أطال الله

معالي ظلاله، وكتب ذلك العبد الفقير إلىٰ الله تعالىٰ حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي أصلح الله حاله ٢٧ رجب سنة ٧٦٦.

والظّاهر أنّه هو المترجم. إنتهىٰ مانقلناه من أعيان الشيعة ج ٦.

وقال العلاّمة السيّد محسن الأمين أيضاً في كتابه أعيان الشيعة ج٩ ص ٤٢٦ في ذيل ترجمة الشّيخ ركن الدّين محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني محتداً، والإستراآبادي منشأ ومولداً، الحلّي الغرويّ مسكناً: ووجدنا في مجموعة من خطّه في مكتبة الشّيخ فضل الله النّوري في طهران كان يملكها السيّد كاظم العاملي سنة ١٢٩٤ فهرس تصانيفه كما يلي: .... إلىٰ أن قال بعد ذكر أسامي المصنّفات هكذا: ووجدنا بعض هذه المؤلّفات قد ذهب أوّله، وقال في آخره فرغ مصنّفها الملتجئ إلىٰ الحرم الغرويّ صلوات الله علىٰ مشرّفه، محمّد بن علي الجرجاني عن مغادرة فكرة فيها بعد وضعها وزيادتها ونقصها وترتيبها وتهذيبها سلخ محرّم سنة ٧٢٠ من الهجرة حامداً ومصلّياً ومستغفراً.

وفي آخرها أيضاً: وفرغ كاتبها من كتابته يوم الأحد ثالث ذي القعدة سنة ٧٦٢ وهو العبد الفقير الحقير المحتاج إلىٰ رحمة ربّه القدير الغريق في بحور الآثام، المتمسّك بولاية آبائه أهل اليمين عليهم السّلام، أضعف عباد الله جِرماً وأقومهم جُرماً حيدر بن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآملي غفر الله ذنوبه، بالمشهد المذكور أعني الغرويّ سلام الله علىٰ مشرّفه في المدرسة المرتضويّة رضوان الله عليه وعلىٰ جميع المؤمنين والمؤمنات.

مستدرك الوسائل:

قد أشار المحدّث النوري رحمه الله تعالىٰ في الفائدة الثالثة من الخاتمة في مستدرك الوسائل ج٣ ص ٣٧٦ باجازة فخر المحقّقين السيّد المؤلّف وقال:

وعندي مسائل السيّد المهنّا المدنيّ عن العلاّمة بخطّ السيّد حيدر الآملي قرأها علىٰ فخر المحقّقين وعلىٰ ظهرها بخطّه الشريف: هذه المسائل وأجوبتها صحيحة سئل عنها والدي، إلىٰ آخره، كما نقلناه عن السيّد الأمين.

فیض حقّ تعالی و دانش بی‌پایان

جناب مؤلّف مورد عنایت و تفضّل الٰهی بوده و از ناحیه قدس الٰهی برای او نورانیّت خاصّی و علم بی‌پایانی افاضه شده‌است، این حقیقت را جناب ایشان در مواردی از کتابهایشان بیان کرده‌است:

الف ـ در کتاب نصّ النّصوص ص ۱۲ ضمن بیان فهرست تألیفات خود از تفسیر المحیط اعظم یادکرده و در بارهٔ تألیف آن می‌گوید:

إنّه لیس بکسب ولا اجتهاد، بل إفاضة غیبیّة بطریق الکشف من حضرة الرّحمن.

ب ـ و نیز در خاتمهٔ مقدّمات کتاب نصّ النّصوص ص۵۳۶ ضمن بیان سکونت خود در نجف اشرف می‌گوید:

فرجعتُ بالسلامة إلیه، سکنتُ فیه، مشتغلاً بالرّیاضة والخلوة والطاعة والعبادة الّتي لایمکن أن یکون أبلغ منها ولا أشدّ ولا أعظم، ففاض علی قلبي من الله تعالیٰ ومن حضراته الغیبیّة في هذه المدّة غیر ما قلته من: تأویل القرآن، وشرح الفصوص، من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق الّتي لایمکن تفصیلها بوجه من الوجوه لأنّها من کلمات الله الغیر القابلة للحصر والعدّ والإنتهاء والإنقطاع.

ج ـ در فاتحة الکتاب و مقدّمهٔ کتاب جامع الأسرار ص۶ می گوید:

ترکت للنّاس دنیاهم ودینهم شغلاً بذکرك یا دیني ودنیائي!

ولیس ذلك بدعویٰ ولا رعونة، بل تحدّثاً بنعم الله تعالیٰ وألطافه، لقوله تعالیٰ:

﴿**وأمّا بنعمة ربّك فحدّث**﴾ [الضحیٰ/ ۱۱].

وتذکّراً بکرم الله تعالیٰ وأنعامه لقوله تعالیٰ:

﴿**وذکّر فانّ الذّکریٰ تنفعُ المؤمنین**﴾ [الذاریات/ ۵۵].

ومع ذلك، کلّ ماأتحدّث من هذه الأقسام في هذا الکتاب ـ ومثل هذا الکتاب ـ أضعافاً مضاعفةً بمرار متعدّدة لایکون إلاّ ذرّةً من جبل وقطرةً من بحر، لأنّ نعم الله تعالیٰ غیر قابلة للأحصاء، لقوله تعالیٰ:

﴿وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها﴾ [النحل/ ١٨].

والله! ثمّ والله! لو صارت أطباق السمٰاوات أوراقاً، وأشجار الأرضين أقلاماً، والبحور السبعة ـ مع المحيط ـ مداداً، والجنّ والإنس والملك كتّاباً لايمكنهم شرح عُشرٍ من عشير ماشاهدتُ من المعارف الإلٰهيّة والحقائق الربّانيّة الموصوفة في الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر».

المذكورة في القرآن:

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ [السجدة/ ١٧].

ولا يتيسّر لهم بيان جزء من اجزاء ماعرفت من الأسرار الجبروتيّة والغوامض الملكوتيّة المعبّر عنها في القرآن بما لم يعلم لقوله تعالىٰ:

﴿اقرأ وربّك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق/٣-٥].

المومىٰ إليها (أيضاً) بتعليم الرّحمن، لقوله تعالىٰ:

﴿الرّحمٰن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان﴾ [الرّحمٰن/ ١ ـ ٤].

المسمّاة بكلمات الله الّتي لاتبيد ولا تنفد لقوله تعالىٰ:

﴿قُل لو كان البحرُ مِداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مد داً﴾ [الكهف/ ١٠٩].

ولقوله تعالىٰ:

﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله انّ الله عزيز حكيم﴾ [لقمان/ ٢٧].

وأقلّ ذلك: هو أنّي شاهدت، بعد مشاهدة حقيقة الطائفتين المذكورتين، حقّية كلّ طائفة وباطليّتها، وأنّه من أيّ وجه كلّ واحدة، حقّ، ومن أيّ وجه كلّ واحدة، باطل.

وعلمت توجّه كلّ واحد منهم إلىٰ النقطة الحقيقيّة التوحيديّة، كتوجّه الخطوط من الدائرة المحيطة إلى النّقطة المركزيّة، واطّلعت علىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم﴾ [هود/ ۵۶].

وقوله تعالیٰ :

﴿ولكلٍّ وجهة هو مولّيها﴾ [البقرة/ ۱۴۸].

وقوله تعالیٰ :

﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولّو فثمّ وجه الله﴾ [البقرة/ ۱۱۵].

وعرفت سرّ قول نبيّنا صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم :

«الطرق إلیٰ الله تعالیٰ بعدد أنفاس الخلائق».

وقول أمير المؤمنين عليه السّلام :

«العلم نقطة كثّرها جهل الجهّال».

وصرت كالهيولیٰ القابلة صور العقائد كلّها، وهذا كثير جداً، لأنّه من قبيل قول النبيّ صلّیٰ الله عليه وآله وسلّم :

«أرِنا الأشياء كما هي».

الّذي هو أقصیٰ نهاية مراتب التوحيد، وأعلیٰ مدارج الكشف، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

البتّه این موهبت الهی اختصاص به جناب سیّد حیدر ندارد و تنها ایشان نیستند که اینگونه ادّعا می‌کند و مورد عنایت حقّ تعالی قرار گرفته است، جناب قونوی در کتاب مفتاح غیب الجمع و الوجود در ابتداء بحث انسان به افاضه حق سبحانه اشاره کرده و می‌گوید :

آنچه در بارهٔ انسان بحث خواهم کرد در محدودهٔ قدرت بیان و الفاظ و وقت است، و گرنه آنچه برای من در این بارهٔ حاصل است، توصیف و بیان آن از حدود نطق و عبارت خارج است.

او می‌گوید : الشرح لهذا الوارد بلسان الوقت والحال والمرتبة،

آنگاه ابن فناری در شرح عبارت فوق می‌گوید :

لا بلسان حقيقة كما ورد إذ لايسعه نطاق العبارة وفضاء الإشارة. [مصباح الأنس ص ۲۸۷].

و همچنین جناب شیخ اشراق در آخر کتاب حکمة الإشراق ص ۲۵۹ و ص ۵۶۲ في شرح حکمة الإشراق می‌گوید :

وسيعلم الباحث فيه أنّه قد فات المتقدّمين والمتأخّرين ما يسّر الله علىٰ لساني منه، ولقد ألقاه النافث القدسي في روُعي في يوم عجيب دفعةً، وإن كانت كتابته ما اتّفقت إلاّ في أشهر.

اكنون به كلمات نورانی جناب مجلسی اوّل (محمّد تقی مجلسی) در كتاب روضة المتّقين جلد ١٣ ص ١٢٧ توجّه كنيم:

والّذي وَجَدَ هذا الضعيف في أزمنة الرياضات انّي كنتُ في مطالعة التفاسير إلىٰ أن رأيتُ في ليلة فيما بين النوم واليقظة سيّد المرسلين صلّى الله وآله وسلّم، فقلتُ في نفسي: تدبّر في كمالاته وأخلاقه، فكلّما كنت أتدبّره تظهر لي عظمته صلّى الله عليه وآله وأنواره بحيث ملأ الجوّ واستيقظتُ فألهمتُ بأنّ القرآن خُلقُ سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله، فينبغي أن أتدبّر فيه فكلّما ازداد تدبّري في آية واحدةٍ كان تزدادُ الحقائق إلىٰ أن وَرَدَ عليّ من العلوم مالا تتناهىٰ دفعةً واحدةً، ففي كلّ آية كنت أتدبّرّ فيها كان يظهر مثل ذلك ولا يمكن التصديق بهذا المعنىٰ قبل الوقوع فانّه كالممتنع العادي، ولكن غرضي من ذكره الإرشادُ للإخوان في الله. إنتهى كلامه (رضي الله عنه).

فارجع إليه وفيه فوائد كثيرة، وتأمّل في الأحاديث التي نقلت في فضل قراءة القرآن وما قال بعد كلماته المذكورة.

ونيز جناب محيى الدّين بن عربى در كتاب فصول الحكم آخر فصّ آدمى (عليه السّلام) مى فرمايد:

ولمّا أطلعني الله تعالى في سرّي على ما أودع في هذا الإمام الوالد الأكبر، جَعلتُ في هذا الكتاب منه ما حُدَّ لي لا ما وقفتُ عليه، فإنّ ذلك لايسعهُ كتاب ولا العالَم الموجود الآن.

اين قبيل آگاهى و معرفت و دانش را علم لدّنى و علم ارثى و علم وهبى گويند كه از طريق طهارت باطن و رياضت‌هاى شرعى مداوم و نيز از طريق قرب نوافل و قرب فرائض، و در اثر اخلاص و اقدام به أربعين‌ها و غير ذلك كه همه حقيقت واحد هستند براى انسان پاك و مستعدّ افاضه مى شود.

بسيار روشن و واضح است اينكه اگر انسان، انسان قرآنى گردد، و قرآن در

وجود انسان پیاده‌شود، باطن و دانش و معرفت آن انسان به علم بی حدّ و بی نهایت پیوسته و دریچه مطلق بر روی و قلب او باز می‌شود، زیرا که قرآن کلام حقّ مطلق بوده و علوم و معارف و حقائق قرآن بی نهایت است، به آیات و روایات زیر توجه و در آنها دقّت شود:

﴿وعنده مفاتح الغیب لایعلمها إلاّ هو ویعلم مافي البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ یعلمها ولاحبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلاّ في کتاب مبین﴾ [الأنعام/ ۵۹].

﴿وما یعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أکبر إلاّ في کتاب مبین﴾ [یونس/ ۶۱].

﴿وکلّ شيء أحصیناه في إمام مبین﴾ [یس/ ۱۲].

﴿قد جاءکم من الله نور وکتاب مبین﴾ [المائدة/ ۱۵].

﴿الـر، تلك آیات الکتـاب المبین، إنّـا أنزلناه قرآناً عربیاً لعلّکم تعقلون﴾ [یوسف/ ۱ و۲].

﴿تلك آیات القرآن وکتاب مبین، هدیً وبشریٰ للمؤمنین﴾ [النمل/ ۱ و۲].

﴿حم، والکتاب المبین، إنّا أنزلناه في لیلة مبارکة إنّا کنّا منذرین﴾ [الدخان/ ۱ ـ ۳].

از تأمّل در آیات فوق و جمع آنها در کنار هم معلوم می‌شود که مراد از کتاب مبین قرآن است و نه لوح محفوظ ـ اُمّ الکتاب ـ خزائن الهی و غیر ذلك، آری همین قرآن است که حقائق و معارف آن بی نهایت است زیرا که او مرتبه نازله علم الٰهی و مطابق کلّ عوالم، یعنی وجود کتبی و کلامی آن است، همان‌گونه که انسان کامل کون جامع یعنی جامع تمام أکوان و عوالم است.

هرگز تفسیری در تاریخ اسلام نوشته نشده است که تمام حقایق آن کتاب را بیان‌کرده باشـد بلکه هنوز در آن اقیانوس بی‌کران آن غوّاصی که نشده است بلکه ساحل پیمائی هم انجام نگرفته است، اگر میلیونها مفسّر میلیونها سال بدون تکرار، قرآن را تفسیر کنند باز هم قرآن همچنان بکر و نو و دست نخورده خواهد بود.

آری فقط أهل بیت عصمت و طهارت هستند که خود عین قرآن بوده و حتی در مقام معنی ثقل أکبرند، گرچه در ظاهر و در مقام تشریع و شرعیّات، قرآن ثقل اکبر

خواهد بود، و اين حقيقت جز مفاد حديث متواتر فريقين، (ثقلين) نيست.

قال عليّ عليه السّلام:

«والله سبحانه يقول: مافرّطنا في الكتاب من شيء، وفيه تبيان لكلّ شيء، وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً...»، إلىٰ أن قال: «وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لاتفنىٰ عجائبه، ولاتنقضي غرائبه، ولاتكشف الظلمات إلاّ به». [نهج البلاغة/ الخطبة ١٨ ـ صبحي الصالح].

وعن عليّ عليه السّلام معروف أنّه قال:

«والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من (شرح) باء بسم الله الرّحمٰن الرّحيم».

قال السيّد الجليل السيّد ابن طاووس في كتابه سعد السعود ص ٢٨٤:

وذكر أبو عمر الزاهد واسمه محمّد بن عبدالواحد في كتابه باسناده: انّ عليّ ابن أبي طالب قال:

«يا أبا عبّاس إذا صلّيت عشاء الآخرة فالحقني إلىٰ الجبانة، قال: فصلّيت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال: فقال عليه السّلام لي: ماتفسير الألف من الحمد قال: فما علمت حرفاً أجيبه: قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال لي: فما تفسير اللاّم من الحمد قال: فقلت: لاأعلم، فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، ثمّ قال: فما تفسير الميم من الحمد، فقلت: لاأعلم، قال: فتكلّم فيها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال: ماتفسير الدال من الحمد قلت: لاأدري، قال فتكلّم فيها حتّى برق عمود الفجر». الحديث.

وهذا شاهد آخر بأنّ القرآن بحر موّاج لا نهاية لحقائقه ومعارفه ومعانيه.

تحصيل علم و دانش هرگز منحصر به روش همگانى كسبى يعنى از طريق تعليم و تعلّم و كتاب و مطالعه و غير ذلك نيست، بلكه براى عالم شدن راه ديگرى هم وجود دارد كه راه تزكيه و تصفيه، و راه توجّه و تقوى، و راه دل و فطرت، و راه شهود و كشف و ولايت است و اين راه غير راه حسّ و عقل، و تجربه و تفكّر است. به آيات كريمه زير توجّه كنيد:

﴿ومن يتق الله يجعل له مَخرجاً و يرزقه من حيث لايحتسب﴾ [الطّلاق/ ٢].

مسلّم اين روزى و رزق، روزى شكم و غرائز نيست زيرا كه آن احتياج به تقوى ندارد.

﴿وما من دابّة في الأرضِ إلاّ علیٰ الله رزقها﴾ [هود/ ۶].

بلکه مراد روزی مناسب و در شأن انسان است با حیثیّت انسانی، و آن معرفت و توحید است و این روزی است که زمینهٔ با طهارت و قلب سلیم می‌طلبد:

﴿یاأیُّها الّذین آمنوا إن تتّقوا الله یجعل لکم فرقاناً﴾ [الأنفال/ ۲۹].

حدیث أربعین حدیثی است که بطرق مختلف از طریق خاصّه و عامّه از حضرت رسول (ص) نقل شده‌است:

«من أخلص لله أربعین صباحاً ظهرت ینابیع الحکمة من قلبه علیٰ لسانه».

و نیز:

«ما أخلص عبدٌ لله أربعین صباحاً إلاّ جرت ینابیعُ الحکمة من قلبه علیٰ لسانه».

و نیز:

«من خلص أربعین یوماً فجّر الله ینابیع الحکمة من قلبه علیٰ لسانه».

این حدیث را در کنار آیهٔ شریفه:

﴿ومن یؤت الحکمة فقد أُوتي خیراً کثیراً﴾ [البقرة/ ۲۶۹].

قرار داده، توجّه کنید که قرآن تمام دنیا و متاع آن را قلیل حساب می‌کند:

﴿قُل متاع الدّنیا قلیل﴾ [النساء/ ۷۷].

معلوم می‌شود کسانی که صاحب حکمت شده‌اند چه موهبت بی کرانی به آنان عنایت شده‌است.

جناب مؤلّف سیّد حیدر آملی هم در ضمن بیان لزوم قرائت و مطالعهٔ کتب آفاقی ـ انفسی ـ قرآنی، می‌گوید تقوی بهترین وسیله فیضان نور بوده و موجب امکان مطالعه و مشاهده حقایق عالم، انسان، قرآن می‌شود، قسمتی از عبارت جناب ایشان را ذکر می‌کنیم:

أنّ عبداً من عبیده مثلاً إذا قام بالتقویٰ علیٰ ماینبغي المشار إلیه في قوله:

﴿واتّقوا الله حقّ تقاته ولاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران/ ۱۰۲].

وأدّیٰ حقّها علیٰ ما هو علیها في نفس الأمر وزال عن قلبه بعد ذلك حجاب الکثرة والتّفرقة، واضمحلّ عن مرآة نفسه رین الظّلمة والغفلة، ووصل إلی حدّ الصقالة والصفـاء التّـامّ الکامل، أفاض علیه تعالیٰ نوراً من أنواره وانفسخ به عین بصیرته،

وانكشف له عالم الملكوت والجبروت، ونزل عليه من سماء وجوده وفضله الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق.

فراجع في هذا أيضاً تمهيد القواعد لمؤلّفه صائن الدّين علي بن محمّد التركة ص ١٦٧ إلىٰ ص ١٧٥ متناً وشرحاً.

اشـاره كرديم كه اين نورانيّت و اين فيض الهى و معـرفت و علم و دانش را اصطلاحاً علم ارثى و علم لدنّى مى‌گويند، جناب مؤلّف در كتاب جامع الاسرار ص ٤٥١ مى‌گويد:

والعلم اللّدنّي يكون لأهل النبوة والولاية، كما حصل للخضر عليه السّلام حيث أخبر الله تعالىٰ فقال:

﴿وعلّمناه من لدنّا علماً﴾ [الكهف/ ٦٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنّ رسول الله أدخل لسانه في فمي، فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كلّ باب ألف باب». (إنتهىٰ كلامه (رضي الله عنه).

(ومعلوم ان الباب غير المدينة وهذه الأبواب ألف ألف (مليون) باب للورود إلىٰ ألف ألف مدينـة العلم ومعلوم أيضاً في المدينة انواع كثيرة لا تعدّ ولا تحصىٰ من الكليّات والجزئيّات من أقسام العلم ومعلوم أيضاً ينكشف من كلّ واحد من الكلّيات علوم كثيرة).

وذكـر الحـديث المذكـور السيّد الجليل ابن طاووس في كتابـه سعد السعـود ص ٢٨٤ نقـلاً عن الغزالي في كتابه بيان العلم اللدنّي ورسالة الغزالي في العلم اللّدنّي منقولة ومذكورة في هذا الكتاب فراجع.

جنـاب ابن فنارى در مصباح الأنس ص ٥ دربارهٔ علم وهبى از كتاب فكوك استادش جناب قونوى عبارتى را نقل مى‌كند:

امّا علم الأديان فقسمان علم الظّاهر وعلم الباطن وكلّ منهما مع تشعبهما من القرآن والحديث كأنّ علومهما نهران ينصبّان في حوض كوثر يتفرّق منه جداول علوم الكسب من جانب، وعلوم الوَهْب الّتي عبّر عن مظاهرها في الجنّة بالأنهار الأربعة من جانب آخر.

و در ص٣٠٧ از فكوك باز نقل مى‌كند:

إنّ الأنهار الأربعة المذكورة في قوله تعالىٰ:

﴿**فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى. . .**﴾ [محمّد/ ١٥].

مظاهر علوم الوَهْب وصورها.

تمثّلات ومنامات جناب سيّد

جناب سيّد حيدر آملى بيانى دربارهٔ منامات وتمثّلات خود داشته ومواردى را هم از دوران سلوك و جوانى نقل مى‌كند، از جمله در ص ١١٢ مقدّمات كتاب نصّ النصوص مى‌گويد:

اعلم أنّي كنت في حالة السلوك باصبهان وكنت عازماً على السفر إلىٰ بغداد لزيارة المشاهد المقدّسة للأئمّة وزيارة الأولياء والمشايخ، وزيارة بيت الله الحرام علىٰ سبيل الوجوب والمجاورة به، فرأيت ليلة من الليالي في النوم، أنّي واقف في وسط سوق البزازين به، وأُشاهد جسمي علىٰ الأرض مرمياً محدوداً (ممدوداً) بالطول، وهو ميّت ملفوف بالكفن الأبيض، وأنا أتفرج عليه، وأتعجّب من هذا: بأنّي كيف كنت واقفاً، وكيف أمسيت مرمياً؟ حتّىٰ أنتبهت من ذلك، وكان هذا في ابتداء الموت الإرادي والسلوك الروحاني، لقوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم:

«**موتوا قبل أن تموتوا**».

وقول الحكيم: مت بالإرادة تحيى بالطبيعة.

وقوله (تعالىٰ):

﴿**أو منْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس. . .**﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

والحمدُ لله علىٰ هذا، فإنّه كان سبب الحياة الأبديّة والدّولة السرمديّة، إنّ هذا لهو الفوز العظيم، لمثل هذا فليعمل العاملون.

ورأيت مرّة أخرى، أيضاً في اصبهان، أنّي قاعد علىٰ دكّان بعض الأصحاب في ذلك السوق، وعلىٰ كتفي ظرف من الرصاص المذهب كظرف بعض السقائين

الـذين هم يدورون علىٰ الناس ويسقونهم، وله ـ اي لهذا الظرف ـ رأس ذو وضع غريب، معمـول علىٰ شكل الظروف الكبار من الطين، وأنا أسقي منه الحاضرين هناك، وأنا أتفرج علىٰ نفسي : بأنّي كيف أنا قاعد وكيف أنا قائم؟ وكيف أسقي وكيف أشرب؟ وكل ساعة أضحك وأتعجب من هذه الصورة الغريبة والحالة العجيبة حتّىٰ انتبهت من النوم، وكان ذلك سبب انكشاف معارف كثيرة وحقائق جليلة من المعارف الإلٰهيّة والحقائق الربّانيّة.

ورأيت أيضاً مرّة أخرى، أنّي جالس ورأسي في يدي وهو مقطوع من غير علمي بقـطعـه، وأدوره علي يدي وأتفـرّج عليه وأضحك كلّ ساعة أيضاً من هذه الصورة العجيبـة حتّى انتبهت، وكـان هذا أيضاً سبب وصولي إلىٰ كنوز كثيرة من الجواهر العلويّة، ونقودٍ جمّة من الموائد الغيبيّة بطريق الفيضان والكشف، وكنت سمعت أبي في مثل هذا النوم، يعطي بحكم التعبير لصاحبه ألف دينار، لا أقلّ ولا أكثر، وقد حصل ذلك من بعض السلاطين الصوريين من غير تأجيل ولا تأخير بحسب الظاهر، ولكن بحسب الباطن حصل من السلطان المعنوي الحقيقي الّذي هو الله تعالىٰ ألف مسـألـة معتبـرة من طريق الشهـود والمكـاشفـات، كانت هي أصفىٰ من الـذهب المصفّىٰ، وأنقىٰ من الجواهر الموعودة في الجنّة الأعلىٰ.

﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد/ ٢١].
﴿وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم﴾ [فصّلت/٣٥].

وأمثال ذلك جرت كثيرة لنا ولأصحابنا العارفين كذلك، وهذا وأمثال هذا ليس ببعيد منهم ولا منّا ولا من الله تعالىٰ، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

و از جمله منامات سه مورد ديگر هم باز در مقدّمات كتاب نصّ النّصوص نقل مى كند.

در قاعـده ثالثة از آن كتاب، كه در مقام إثبات خاتميّت ولايت مطلقه براى حضـرت أميرالمؤمنين عليه السّلام، وهمچنين در مقام اثبات خاتميّت ولايت مقيّدة براى حضرت صاحب وليّ عصر أرواحنا فداه، بوده و ضمن اشكال به بيان جناب شيخ اكبر مدّعاى خود را از سه طريق عقل و نقل و كشف به اثبات مى رساند.

در قسمت سوّم كه مى خواهد مدّعاى خودرا از طريق كشف إثبات كند به نوم و

كشف جناب شيخ اكبر اشكال كرده و صحّت منامات و كشفيّات خود را با شواهد بيان مى كند.

آنچه در اينجا مورد نظر ما است نقل آن منامات است، در ص ٢٥٦ مقدّمات نصّ النّصوص مى فرمايد:

ومع ذلك كلّه، حصل لنا في النوم أيضاً كشف هذا وتحقيقه مراراً متعدّدة، منها، مارأيت ببغداد سنّة خمس وخمسين وسبعمائة - ٧٥٥ - وصورة ذلك هو أنّي كنت واقفاً عند رأس الجسر ببغداد من طرف الشرقي بحذاء المدرسة المغيثيّة، وأنظر إلىٰ السماء فرأيت من الطرف الشمالي منها هيئة مربعة، منقسمة إلى أربعة عشر دائرة مدوّرة، كلّ دائرة منها اسمٌ من أسماء هؤلاء الأئمّة الإثني عشر والنبيّ وفاطمة مكتوباً فيها بالذهب الأحمر ولها تحرير بلازّورد، بحيث كان علىٰ كلّ زاوية من الدوائر الكبيرة دائرة فيها إسم محمّد لأنّهم أربعة:

محمّد المصطفىٰ، ومحمّد الباقر، ومحمّد التقي، ومحمّد بن الحسن، ودائرة بين دائرتين من فوق، بين عليّ والحسن اسم فاطمة فيها عليها السّلام، لأنّهم بوجه إثنا عشر، وبوجه آخر أربعة عشر، والكلّ عند التحقيق واحد، كما قيل:

العين واحدة والحكم مختلف   وذاك سرٌ لأهل العلم ينكشف

وكان العالم حينئذ مضيئاً من أنوار تلك الدوائر والأشكال والناس يصلّون علىٰ النبيّ وأهل بيته عليهم السّلام بصوت عال، وكذلك أنا. ففي هذه الحالة سمعت من السماء صوت هاتف يقول لي:

هؤلاء هم المقصودون من الوجود والظهور بعد جدّهم رسول الله (ص) وهؤلاء هم الموسومون بالأقطاب والأبدال والأوتاد والأفراد، وبهم تختم الولاية المطلقة والمقيّدة، كما ختمت بجدّهم النبوّة المطلقة والمقيّدة، وهؤلاء هم الخلفاء في أرضه، والحاكمون المتصرّفون في بلاده وعباده، وبآخرهم الّذي هو المهدي، تختم الولاية المقيّدة المحمّدية، وبه تقوم الساعة، وبموته ينقلب أمر الدنيا إلىٰ الآخرة.

وهذه صورة الدائرة النوميّة الموعود بها المشتملة علىٰ أسماء النبيّ وفاطمة والأئمّة الإثني عشر من ذريّتهما عليهم السّلام. قال الله تعالىٰ:

﴿طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾ [طه/ ١ - ٢].

هو إشارة إلىٰ هؤلاء عليهم السّلام.

ورأيت مرّة أُخرىٰ في خراسان قبل ذلك، وكنت في أوان السلوك وابتداء التجريد، أنّي واقف وأنظر إلىٰ السماء فأرىٰ فيها من طرف شماليها، شكلاً مربعاً طوله أكثر من عرضه بحيث يكون طوله عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع مكتوباً فيه بالذهب محرّراً باللاّزَوَرد، بحروف طوال مقدار طولها بقدر عرض ذلك الشكل، وعرضها بغلظ ساعد الرجل المعتدل القامة، أسماء ثلاثة وهي: الله، ثمّ محمّد، ثمّ عليّ، وترتيبها هكذا: وهو انّ ميم محمّد كانت علىٰ هاء الله، وعين عليّ كانت علىٰ دال محمّد، وياء عليّ ممدودة من تحت إلىٰ أن وصلت إلىٰ آخر ألف الله، كانّه تركيب واحد وصورة واحدة، والعالم مملوء من ضوء ذلك الشكل والأسماء المكتوبة فيه، والناس يصلّون علىٰ النبيّ وأهل بيته عليهم السّلام وأنا كذلك، فسألت واحداً منهم عن كيفية هذه الحال، فقال: نحن ماندري سرّ هذا، فسمعت من هاتف يقول بأعلىٰ صوته من السماء:

هذا سرّ ان تحقّق عندك وعند العالمين انّ الوجود دائرة (قائمة) علىٰ هذه الأسماء الثلاثة، لأنّها صورة الحقّ تعالىٰ وصورة ظاهره وصورة باطنه، ويكون في هذه السنة موت الحيوانات وموت كثير من الناس.

وهذا كان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (٧٤٨).

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ هاتين الصورتين قد رأيتهما علىٰ وجه السماء الأُولىٰ. إحداهما من شمال المشرق، والأخرىٰ من شمال المغرب، **لكن مرّة ثالثة** كنت بالمشهد المقدّس والمرقد المطهّر لمولانا الحسين بن عليّ عليهما السّلام، فرأيت (انّي) أنا واقف في صحنه وأنظر إلىٰ السّماء، وإلىٰ كواكبها، فيقول لي هاتف: إقرأ ما عليها من الخطوط!، فرأيت خطوطاً مكتوبة بالنور الأبيض، علىٰ وجه الألواح الزمرّديّة، وهي من السماء لا منفردة عنها، وهي الإسم الأعظم لله تعالىٰ، والأسماء الخمسة المباركة من أوليائه وخواصّه، وهي إسم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليه وعليهم، فيقول لي الهاتف: هؤلاء هم خلاصة الوجود ومقصود المعبود، وهؤلاء هم الذين بأسمائهم والكلمات المنسوبة اليهم تاب الله علىٰ آدم وقبل توبته، وبهم الآن قبل الله توبتك، وأنت منهم ومن المحبوبين عند الله

الذين قال فيهم:

﴿فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحبّونه﴾ [المائدة/ ۵۴].

فانتبهت فرحان مسروراً، وشكرت الله تعالىٰ بذلك، وأمثال ذلك جرىٰ لي كثيراً.

مقایسه بین مؤلّف و حضرت سلمان از قول مؤلّف بزرگوار

جناب مؤلّف در کتاب مقدّمات نصّ النّصوص در مقام بیان اینکه جناب محیی الدین عربی از محبّان أهل بیت النبيّ(ص) بوده و نسبت به آنان حسن اعتقاد دارد، به عنوان شاهد قسمتی از باب ۲۹ فتوحات را دربارهٔ فضیلت حضرت سلمان و توضیح حدیث: سلمان منّا أهل البیت، نقل کرده و سپس تحت عنوان نکته شریفه، خود را از جهت نَسَب ظاهر و معنوی با حضرت سلمان فارسی مقایسه می کند، و از هر دو جهت برای خود فضیلت بیشتری را بیان می کند:

در ص۱۴۶ آن کتاب می گوید:

وهٰهنا نكتة شريفة ولطيفة عزيزة بالنسبة إلينا وهي أنّه ـ أي الشيخ الحاتمي ـ أثبت لسلمان نسبتين: إحداهما له خاصّة، والأخرىٰ لغيره من عباد الله المخلصين بمشاركة، **والنسبتان حاصلتان لنا وزيادة**، وهي نسبة النسب مع أهل البيت من حيث القرابة والأهليّة الصوريّة. **أمّا الّذي لسلمان**، فلأنّ الشيخ ابن العربي مدح سلمان لنسبته المعنويّة إلىٰ أهل البيت وأضافه إليهم، وحكم بأنّه لايضاف اليهم إلاّ طاهر مطهّر مثلهم في الدنيا والآخرة، وهذه النسبة حاصلة لنا بعناية الله تعالىٰ وحسن توفيقه.

أمّا النسبة المعنويّة فهي ظاهرة كالشمس في استوائها، من كمال العلوم الإلهيّة، والمعارف الرّبّانيّة، وعلية الأسرار الجبروتيّة والأنوار الملكوتيّة التي شهدت بها تصانيفنا وكتبنا في هذا الباب، وهذا الشرح (نصّ النّصوص في شرح الفصوص) وحده قد يشهد بذلك عند العارف به، وكفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم

الكتاب.

وأمّا النسبة الصوريّة، فتلك أيضاً ملأت أقطار الشرق والغرب شهرة وصحّة، وثبتت عند سادات العرب والعجم والنّسابة منهم، لأنّ نسبتنا إلىٰ أهل البيت عليهم السّلام قد تصل إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السّلام في اثنين وعشرين بطناً من أولاد عبيدالله الأعرج إلىٰ عليّ بن الحسين صلوات الله عليهم أجمعين، ويجوز لنا أن نتمثل في هذا المقام بما تمثل به من كان مثلنا في هذا وهو قوله:

أولئـك آبـائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامع

وهذه النسبة هي الّتي ليست لسلمان وهي زيادة في حقّنا، ونعم الزيادة.

فأمّا النسبة الّتي ثبتت لبعض عباده من غير سلمان مع الله تعالىٰ بالخصوصيّة والإضـافة، فتلك أيضاً حاصلة لنا بعناية الله تعالىٰ وحسن ألطافه: من التوجّه إلىٰ جنـابـه في حالة الشباب إلىٰ يومنا هذا الّذي هو أيّام الكهولة، والدخول في عشر السبعين من العمر، والقيام بمرضاته بكل مايمكن، وعدم الإلتفات إلىٰ ماسواه بنيّة خالصـة وهمّـة صادقة، فانّ كلّ هذه الأيّام مامضت إلاّ في العلم والعمل والإفادة والإستفـادة وزيارة المشـاهد المباركة، والمجاورة بها من الأئمّة المعصومين عليهم السّلام بعد زيارة بيت الله الحرام وجوباً وزيارة النبيّ والأئمّة الّذين هم جواره من أهل بيته وذريّته صلوات الله عليم أجمعين، وأمثال ذلك من العبادات الصالحة والزيارات الكاملة، حتىّ كانت ثمرة هذا كلّه ماأفاض علينا من جنابه العزيز من العلوم والمعارف الّتي هذه بعضها.

وبالجملة حصلت لنا المضاهاة مع سلمان الفارسي وزيادة بالنسبة المعنويّة والصوريّة، وحصلت لنا المضاهاة مع عباد الله الصالحين المخلصين المضافين إلىٰ الله تعالىٰ فقط بتحقق العبوديّة والعبودة والعبادة وتحقيق العبديّة الخالصة المؤدية إلىٰ الحرية المطلقة، والحمد لله علىٰ ذلك.

تأليف و تصنيف به عربى و فارسى

طبق روش غالب علماى اسـلام جنـاب سيّد حيدر آملى نيز بيشتر كتابها و

رساله‌های خود را به‌زبان عربی نوشته است، لکن در عین حال نوشته‌هائی هم به‌فارسی دارند.

البتّه این روش در عین حال که روش بسیار پسندیده بوده و زبان عربی زبان قرآن کریم و دین مبین اسلام و زبان دعا و عبادت و نماز و غیر ذلك می‌باشد، وعلاوه از اینها زبان عربی محور وحدت ملّت‌های اسلامی و امّت مسلمان جهان هم محسوب می‌گردد، و لکن در عین حال روش عربی نویسی احیاناً موجب اشتباه بعضی مستشرقین و حتّی بعضی از دانشمندان کشورهای عربی شده است، گاه به‌دلیل تألیفات عربی، عدّه‌ای از حکماء و علماء فارسی زبان ایرانی را به‌عنوان عرب و از اهالی کشورهای عربی معرّفی کرده و درباره هویّت نَسَبی و وطنی و ملّیت او اشتباه کرده‌اند:

البتّه این بیان نعوذ بالله به‌منظور ابراز تعصّب نیست، چه اینکه هدف همه مفسّران، فقها، حکما، عرفا وبالآخره، تمام دانشمندان اسلامی، اسلام و شناخت اسلام و بیان اسلام و اعتلای کلمهٔ اسلام است و آنچه برای همه أصل است و این‌گونه هم باید باشد اسلام و قرآن است و همه در محور و از برکت اسلام به حیات علمی رسیده و به حیات علمی خود ادامه می‌دهند و در مسئله اسلام و تبلیغ آن و دفاع از اسلام و مسلمین هرگز و هرگز عرب و عجم مطرح نیست و کشوری و ملّتی دون کشوری و ملّتی هم هرگز نباید مطرح گردد، حتّی در فروعات فقهی هم مثل تقلید، از آنجا که تقلید اعلم لازم است هر فقیهی که عدالت و اعلمیّت او مُحرز شود از هر کشوری و صاحب هر زبانی و رنگی که باشد، تفاوت نمی‌کند تقلید از او برای همه لازم و واجب است.

و لکن بحث در تراجم افراد و علماء است، در بخش ترجمه علماء و دانشمندان باید دقّت لازم بعمل آید تا در معرفی آنان اشتباهی رخ ندهد.

امّا موضوع وحدت و توحید، در عمل و عقیده، و در جامعهٔ مسلمین موضوعی نیست که کسی کمترین حقّی داشته باشد به آن خدشه وارد کند، به هیچ قیمتی نمی‌شود از وحدت و توحید صرف نظر کرد.

ایجاد وحدت و حفظ آن در بین مسلمین از أهم واجبات و اوجب واجبات است همچنان که توحید در عقیده و عمل.

﴿واعتصموا بحبل الله جمیعاً ولا تفرّقوا﴾ [آل‌عمران/ ١٠٣].

توحید در دعوت پیامبر خاتم صلّی الله علیه وآله وسلّم و قرآن کریم هم:

أساس دعوت است:

﴿قل إنّما یوحیٰ إليّ إنّما إلٰهکم إله واحد﴾ [الأنبیاء/ ١٠٨].

وهم محور دعوت است:

﴿قل هو الله أحد﴾ [التوحید/ ١].

وهم غایت دعوت است:

﴿وما أمروا إلاّ لیعبدوا إلها واحداً﴾ [التوبة/ ٣١].

همانگونه که توحید در خلقت:

هم اساس خلقت است:

﴿وما أمرنا إلاّ واحدة﴾ [القمر/ ٥٠].

وهم محور خلقت است:

﴿الله لا إلٰه إلاّ هو له الأسماء الحسنیٰ﴾ [طه/ ٨].

وهم غایت خلقت است:

﴿وإنّ إلیٰ ربّك المنتهیٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

وبه این بیان اعتبارات شرعی اساس واقعیتهای تکوینی دارند که برگشت بمبدأ و منتهای واحد است:

﴿إنّا لله وإنّا إلیه راجعون﴾ [البقرة/ ١٥٦].

که این مبدأ و نهایت عین هم بوده و نه حکایت از ترکیب کند:

﴿ هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحدید/ ٣].

برمیگردیم به اصل مطلب:

عذرخواهی از عُجمه در عبارت

قلم و نوشته‌های جناب سیّد حیدر در عین حال که بسیار روان بوده و ایشان در بیان مطلب آنچنان مهارت کافی دارد که غالب عبارات ایشان در تمام کتابها و رسائلش هیچ نیازی به شرح و توضیح ندارد، وخود به‌حدّکافی مطلب را در حدّ کمال تشریح

وتبیین می کند، ولکن در عین حال باکمال تواضع و فروتنی وجود عُجمه را انکار نکرده و از آن عذر خواهی می کند.

در کتاب جامع الأسرار ص ٦١٣ دربارۀ هر دو مطلب فوق می فرماید:

... أنّـه إذا وجد أحد في تركيبه وألفاظه عجمة أو لكنة (فيمكنه أن) يقوم باصلاحه إن كان من أهله، ولا ينسب صاحبه إلى الجهل بمعناه، فإنّ هذه الطائفة لاتعتبر بلاغة الألفاظ وجزالة التركيب (غرضا أصيلاً) بل غرضهم ايصال المعنىٰ (المقصود) إلىٰ المستحقين، خالصاً لله تعالىٰ، لا اظهاراً لفضيلة ولا اشتهاراً بالفصاحة والبلاغة، فعلىٰ أيّ وجه اتّفق وعلىٰ أيّ لسان ظهر فهو جيّد.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد   وكلّ إلىٰ ذاك الجمال يشير

لأنّه لايختلف باختلافه:

﴿ومن آياته خلق السّماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم/ ٢٢].

فإنّه لايختلف (أي قول الله تعالىٰ) باختلاف الألسنة حقيقة وإن اختلف مجازاً، حيث ظهر بالعبرانيّة والسريانيّة والعربيّة وغير ذلك:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾. [النّساء/ ٨٢].

فكذلك قول هؤلاء القوم، فإنّه لايختلف باختلاف العبارات وشتيت الألسنة، عربيّة كانت أو عجميّة، هنديّة كانت أو روميّة، فإذن لاينبغي (لهم) أن يذمّوه ـ أي كلام المصنّف ـ بركاكة الألفاظ وضعف التركيب، فإنّه ـ أي المصنّف ـ مقرّ بذلك وهو في قدم العذر، والعذر عند كرام الناس مقبول. وأيضاً لو لم يكن طالبو هذا الكتاب مستأنسين بالعربيّة آلفين بها، لما كتب ـ المصنّف ـ المعنىٰ المقصود بالعربيّة، فهو ماأظهره إلاّ بلسان أراده (منه) طالبوه لأنسهم به وسرعة تعقّلهم له، لقوله تعالىٰ:

﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾ [ابراهيم/ ٤].

ولقوله:

﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدىً وشفاء﴾ [فصّلت/ ٤٤].

ولهذا كم من كتب ورسائل كتبتها بالفارسيّة حيث كان طالبوها أعجام والتمسوا ذلك، مثل: جامع الحقائق، ورسالة التنزيه، وأمثلة التوحيد، وغير ذلك.

نقل المطالب عن كتب القوم

من جمله ماجرىٰ بقلمه الشريف نقل عبارات القوم ومطالبهم، استشهاداً في تبيين المطالب وتوضيحاً في المباحث وتأييداً في إثبات محمولات المسائل علىٰ موضوعاتها، مضافاً علىٰ ماذكَر من البراهين العقليّة والشواهد النقليّة والكشفيّة.

وأمّا نقله عن الغير في هذا الكتاب القيّم أعني تفسير المحيط الأعظم فهو نحوين:

أ ـ ما اختصّ به في هذا الكتاب وهو نقله عن التفسيرين:

مجمع البيان لأمين الإسلام الطّبرسي، والكشّاف للزمخشري، وعن التأويلين: لنجم الدّين الرّازي وللمولىٰ عبدالرزاق القاساني. هذا وإنّ قصده في نقله عنهم، أن يكون كتابه المحيط الأعظم جامعاً للتفسير والتأويل وناظراً على النظريّات العامّة والخاصّة إجمالاً.

ب ـ نقله عن غيره بما أنّ من دابه في غير واحد من كتبه ورسائله هكذا، وهذا واضح لمن راجع كتبه.

ولا يخفىٰ أنّ السيّد المؤلّف رضي الله عنه قد ذكر دلائل نقله تارةً دلائل كليّة شاملة علىٰ الموارد كلّها، وأُخرىٰ دلائل خاصّة بعد نقله الخاصّ، وإليك ماقال فيه:

قال في المقدّمة الأُولىٰ من المقدّمات السّبع في التفسير:

إنّ الغرض من مجمع البيان والنقل منه هو أنّه تفسير معتبر متّفق عليه العلماء الإماميّة بأجمعهم، لأنّه على طريقة أهل البيت عليهم السّلام.

والغرض من الكشّاف والنّظر فيه، وهو أنّه أيضاً تفسير معتبر متّفق عليه علماء المحقّقين بأجمعهم من المعتزلة وغيرهم، وكلّ نقل يكون منه لايقدر أحد علىٰ منعه، ويكون حجّة لنا علىٰ مخالفينا.

والجمع بين هذين التفسيرين عين الحكمة، ومن أعظم القربات، لأنّه من قبيل إصلاح ذات البيّن، وذلك بالإتّفاق معتبر، ويشهد به قوله تعالىٰ:

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النّساء/ ١١٤].

إلىٰ أن قال:

وأمّا التأويلين:

فالغرض من تأويل الشيخ نجم الدّين قدّس سرّه والتعرّض به ليس النّقل المجرّد فقط كالتفسير، فإنّي ما أنقل منه إلاّ قليلاً في النوادر، وذلك أيضاً للفرق بين كلامنا وكلامه، وكشفنا وكشفه، وللإعتراف أيضاً فيه، وإلاّ بعناية الله تعالىٰ وحُسن توفيقه فالإستغناء حاصل منه ومن غيره من هذه الحيثيّة، بل المراد منه غير ماقلناه، أنّ كلّ موضع يكون فيه نكتة، أو لطيفة أقول منها ما اتمكّن بحسب الجهد والطاقة.

وإن أوّله آية، أو سورة ولم يوافق مذهب المتأخّرين من أرباب التّوحيد، أبيّن صلاحه وفساده، وأؤوّله علىٰ الوجه الّذي ينبغي من طريق الأخوّة والشفقة، لا من طريق العصبيّة والجدال نعوذ بالله منهما.

إلىٰ أن قال:

«وأمّا الغرض من تأويل مولانا كمال الّدين قدّس سرّه، والتعرّض به، فهذا كلّه وزيادة أخرىٰ وهي أنّه أخذ في أكثر المواضع طريق التوحيد الإجمالي دون التّفصيل، وليس الطريق عند أهل الله وأهل التّحقيق هذا، بل الطريق أن نأخذ في طرف الحقّ، وقاعدة الجمع بينهما كما هو رأي أرباب التوحيد وأهل الذّوق».

«وشيء آخر وهو أنّه أوّل القرآن بأجمعه، والّذي أوّل أيضاً فيه ما فيه كما قال في أوّل تأويله، إلىٰ أن قال:

وشيء آخر، وهو أنّه مال في الأصول إلىٰ المعتزلة والشيعة، كما أنّ الشيخ نجم الّدين مال إلىٰ الأشعريّة والسنّة، والجمع بينهما يكون كالجمع في التفسيرين، أعني يكون من إصلاح ذات البين، ويكون تأويلنا هذا جمعاً للجمع شاملاً للكل، من غير ميل إلىٰ طرف وانحراف إلىٰ جانب غير طرف الحقّ وجانبه كما هو عادة أهل الله وأهل الذوق من أرباب التوحيد، إلىٰ آخره».

وأمّا ما ذكره من الدّلائل في نقله عن الغير (عموماً) وفي نقله الخاص عن كتاب، أو عن شخص خاص، نذكر هاهنا بعضها:

منها ما قال بعد نقله عن الغزالي رسالته في العلم اللّدنّي بتمامها في المقدّمة

المذكورة (وهي في هذا المجلّد من الكتاب بين يديك):

وكان لنا في نقل هذه الأقوال أغراض:

منها، أنّه لاينكر أحد فضيلة أهل البيت عليهم السّلام، إذا قلنا علومهم من هذا القبيل أعني من قبيل اللّدنيّات والإلهاميّات والكشفيّات الحاصلة لهم بالإرث المعنوي وأنّهم من الرّاسخين في العلم المشار إليهم في الكتاب الكريم.

ومنها، أنّه لاينكر أحد أيضاً علىٰ أرباب التّوحيد إذا قلنا إنّهم من الراسخين في العلوم الإلهيّة وإنّهم من تابعي أهل البيت علىٰ الحقيقة دون غيرهم، وعليهم يصدق قول الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله:

«العلماء ورثة الأنبياء».

ومنها أنّه لاينكر أحد علينا لما ذكرنا في الفهرس من إنعام الله تعالىٰ وإفضاله بالنّسبة إلينا، فإنّ الّذي قلنا ما أردنا به إلاّ حصول هذه المرتبة والوصول إلىٰ هذه العلوم الموجبة لمشاهدة في مظاهره الآفاقيّة والأنفسيّة.

ومنها، أنّه لايدّعي أحد آخر لنفسه أنّه من الرّاسخين في العلم بمجرّد العلم الصّوري، أو من الوارثين بمجرّد العلم الكسبي، فإنّ الإرثي غير الكسبي وبينهما بون بعيد.

وقال أيضاً في: رسالة نقد النقود في معرفة الوجود، ص ٦٣٥، بعد نقله كلاماً عن الشيخ العارف شرف الدين القيصري:

والحقّ أنّه كلام حسن، مشبع في هذا الباب، وغرضنا من نقل كلام الأصحاب الّذي هو مذموم عند البعض، ليس تكثير السواد، ولا تسويد البياض، ولا الإشتهار بكثرة التصنيف وجودته، كعلماء الظّاهر وأرباب القشور، بل (غرضنا بالأحرىٰ) إثبات مطلوبنا علىٰ أيّ وجه اتّفق.

وأيضاً، لأنّ كلامنا وكلامهم كلام واحد ومعنىٰ واحد، لا مغايرة بينهما، فكأنّه صدر عن شخص واحد، كما قيل: «الفقراء كنفس واحدة»، وما كان طريق أهل الله وخاصّته دائماً إلاّ كذلك، وسبب ذلك أنّ مطلوبهم واحد، وكلّهم متّفقون علىٰ إثباته وحقيقتـه، وكأنّهم شخص واحد، في معرض دعوىٰ واحدة، فعلىٰ أيّ وجه يمكن اثباتها، ويجتهدون فيه ويتظاهرون به.

وقال أيضاً في خاتمة كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار ص ٦١١:

انّ هذا الكتاب مشتمل علىٰ أعظم أقوال الصّوفيّة والشّيعة، ومعارضاتهم ومجادلاتهم، وأقوال علماء الظاهر أيضاً استشهاداً، وأقوال الأنبياء والأولياء عليهم السّلام، كذلك، وكان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيّة والصوفيّة شيعة، ومعلوم أنّ هذا أمر صعب وشغل خطير، إلىٰ أن قال:

فحينئذ لاينبغي أن يشنّع أحد علىٰ صاحبه بأنّه قد أكثر من نقل كلام الغير فيه، لأنّ في كلّ نقل حكمة بالغة ونكتة دقيقة لايعرفها إلاّ أهلها.

تذكرة: لايخفىٰ أنّ النقل عن الغير ليس مخصوصاً بالسيّد حيدر (رض) فقط ومن دأبه خاصّة، بل هو معمول في كتب القوم من القدماء والمتأخّرين ومن الفقهاء والمفسّرين والحكماء والعارفين وهذا واضح للمتتبّع المتأمّل.

ومن المعروفين في هذا صدر المتألهين الشيرازي، وهو رحمه الله قال عذراً وتوضيحاً لنقله عن الغير في كتابه: شرح أصول الكافي ص ۴۰۳:

فهذا ما قصدنا إيراده في شرح هذا الحديث بعبارة محرّرة ذكرها بعض الأماثل في مثل هذا المقام، فأوردناها بلا تبديل في أكثرها لضيق الوقت عن اختيار ألفاظ حسنة في كلّ مطلب، إذ الغرض الأصلي ليس إلاّ إظهار الحقّ وإعلام العلم وتبيين الحكمة، فأيّ عبارة اتّفقت لذلك كفت في هذا الغرض.

تکرار مطالب و بعضی از عبارات در کتب مؤلّف

از جمله ویژگی های جناب سیّد حیدر تکرار بعضی از مطالب و عبارات در یك کتاب و خصوصاً تکرار بعضی در چند کتاب است، این حقیقت در کتاب جامع الأسرار و تفسیر بیشتر به‌چشم می‌خورد، علاوه از آنکه در این کتابها گاهی مطلبی تکرارشده، مثلاً مقدّمهٔ ششم از مقدّمات هفتگانه تفسیر عیناً همان رسالهٔ اسرار الشریعه مؤلّف است، باتغییرات جزئی در بعضی از عبارات آنهم به‌جهت تطبیق مطالب با فصول وبحثهای مقدّمات تفسیر، آری در قسمت وسط و آخر مقدّمه (آنهم از قبیل نقل) مطالبی اضافه شده که آن رسالة فاقد آن مطالب است.

هدف از عنوان این مطلب این بود که مؤلّف بزرگوار این موضوع را توجیه و از آن

عذرخواهی کرده است.

در ص ۶۱۲ جامع الأسرار ضمن یادآوری بعضی سفارشات در مطالعهٔ آن کتاب و بیان بعضی از خصوصیّات آن می فرماید:

. . . ومنها أنّه لاينبغي أن يحكم أحد بتكرار فيه لفظاً أو معنىً، فانّه لو تحقّق، لعرف أنّه ليس تكراراً، بل فيه حكمة وسرّ ونكتة ورمز، ويتوهّم أيضاً بعض الجهال هذا المعنىٰ في القرآن الكريم لتكرار بعض الآيات فيه، كقوله:

﴿فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان﴾ [الرّحمن].

وكقوله:

﴿متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [الأنبياء/ ۳۸].

وأمثال ذلك، وليس هو في الحقيقة كذٰلك، لأنّ القرآن لايمكن فيه تكرار لفظ ولا كلمة ولا آية أصلاً، لأنّه علىٰ صورة الوجود كلّه، وليس فيه تكرار لا صورةً ولا معنىً، لأنّ الصورة الّتي وجدت لايمكن مثلها أبداً وأزلاً، وكذلك المعنىٰ، وهذا البحث مفروغ منه:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ علىٰ أنّه واحد

وهذا يعلم من تفسير:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورىٰ/ ۱۱].

ومع ذلك فحيث نحن في صدد إثبات مطلوب واحد الّذي هو التوحيد، فلو تكرّر لفظاً، أو تكرّر معنىً، فلا يكون فيه عيب، لأنّه بالحقيقة لايكون تكراراً بل يكون مشابهاً، أو يكون سهواً، أو يكون فيه معنى آخر، ومثاله إنّي ذكرت كلام عليّ عليه السّلام وهو قوله: أوّل الدين. . . . . ، في موضع لأجل إثبات الصّفات، وفي موضع لأجل تحقيق التوحيد، وفي موضع لأجل نفي الصّفات، ومعلوم أنّ هذا كلّه ليس بتكرار، والإعتماد في ذلك علىٰ أهله لا غير، والسّلام.

دوری از تعصّب در مباحث

از جمله ویژگی های نوشته های جناب سیّد حیدر اینکه در مباحث از تعصّب دوری کرده و مبرّی بوده است و علی الدّوام می خواهد مطالب خود را از طریق دلیل

عقلی و نقلی و کشفی به اثبات برساند، و در تمام مباحث اصلاح ذات البین را دنبال کرده و از معارضة و جدال غیر احسن پرهیز می کند.

اصولاً أو معتقد است باطن و نفس او در اثر ریاضات شرعیّة و توجّه، و رسیدن به مقامات ولایت، از ظلمات و درکات عصبیّت و معارضه، خارج شده است.

جناب مؤلّف در ذیل (القاعدة الرابعة) در کتاب جامع الاسرار، آنجا که بحثی را در اثبات ولایت و امامت وعصمت ائمهٔ اطهار علیهم السّلام عنوان کرده است شبهه‌ای را از بعضی از صوفیّه در ص۲۳۱ به عبارت زیر مطرح کرده:

«ولكن سمعت بعض الصوفيّة يقول: لِمَ يختصّ الشيعة أئمّتهم باثني عشر؟ ولِمَ يسمّونهم بالمعصومين؟ والعصمة أيّ شيء معناها؟».

آنگاه بطور مفصّل در جواب آن صوفی وارد شده و در آخر ص ۲۵۴ می گوید:

... وينبغي أن تعرف أيضاً أنّه ليس مرادنا من هذا البحث معك ومع غيرك العصبيّة والجدال، نعوذ بالله منه!، بل المقصود إصلاح ذات البين، وإيصال كلّ واحد منكم إلىٰ حقّه لقوله تعالىٰ:

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء/۱۱۴].

وإلاّ بعناية الله وحسن توفيقه فأنا فارغ من أمثال ذلك لأنّي منذ عشرين سنة شاهدت الحال علىٰ ما هي عليه، وخلصت من هذه الظلمات وخرجت عن هذه الدركات، أي ظلمات المعارضة والمجادلة، ودركات العصبيّة والجدال، والحمد لله علىٰ ذلك، الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يهدي الله لنوره من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وفيه ـ أي في هذا الحال الّذي أنا عليه ـ أقول ما قد قيل، فإنّه مناسب لحالي، وهذا أكثر الأوقات جارٍ علىٰ لساني، شعر:

أحبّك حبّين حبّ الهوىٰ	وحبّاً لأنّك أهل لذاكا
فأمّا الّذي هو حبّ الهوىٰ	فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأمّا الّذي أنت أهل له	فكشفك للحجب حتّىٰ أراكا
فلا حمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

تواضع و طلب اصلاح

جناب مؤلّف در نوشته‌های خود هرگز غرور نداشته و خود را بیرون از اشتباه حساب نمی‌کند، بلکه از ارباب علم و کشف در مورد تألیفات خود طلب اصلاح و دقّت نظر نیز کرده است.

در پایان مقدّمه و فاتحة الکتاب، کتاب جامع الاسرار می‌گوید:

فالمسؤول من عظماء أهل الذّوق وأساطينهم، والملتمس من ملوك أرباب الكشف، وسلاطينهم أن ينظروا في هذا الكتاب نظر اصلاح وتنقيح، لا نظر مسامحة واغماض، وأن يتصرّفوا فيه تصرّف الشيخ في تلميذه، لاتصرّف المحبّ في محبوبه، لأنّ ثمرة هذا بالحقيقة لاترجع إلاّ إليهم لقوله تعالىٰ:

﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون﴾ [الأنبياء/ ۹۴].

وفائدته لاتصل بالتحقيق إلاّ إلىٰ حضرتهم، لقوله تعالىٰ:

﴿أنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثىٰ بعضكم من بعض﴾ [آل‌عمران/ ۱۹۵].

شعر:

جزىٰ الله خيراً من تأمّل صنعتي — وقابل مافيها من السّهو بالعفو

وأصلح ما أخطأتُ فيها بفضله — وفطنته واستغفر الله من سهوي

شیعه و عارف ـ تشّیع و عرفان

از جمله خصوصّیات شخصیّتی علمی و عرفانی و تشیّعی جناب سیّد حیدر اینکه مدام در کتابهای خود خصوصاً در کتاب جامع الاسرار از حریم شیعهٔ امامیّه و از حریم عرفان واقعی دفاع می‌کند، واصولاً معتقد است بین مذاهب اسلامی فقط مذهب شیعهٔ اثنا عشریّه است که بر حقّ بوده و شیعیان امامیّه هستند که اهل سعادت

و تشیّع و مکتب اهل بیت عصمت و طهارت است که صراط مستقیم می باشد، زیرا که راهی جز راه و طریق أهل بیت علیهم السّلام راه حقّ و طریق خدای سبحان و پیامبر اسلام (ص) نیست.

و همچنین معتقد است: بین تشیّع حقیقی که امامیّه است و بین عرفان واقعی هرگز اختلافی نیست و عقائد و أصول هر دو از ائمّهٔ معصومین علیهم السّلام اخذ شده است، و لذا شیعه حقیقی عارف واقعی، و عارف حقیقی شیعه واقعی خواهد بود.

اینك به قسمتی از کلمات جناب ایشان در این زمینه توجّه فرمائید:

در فاتحه الکتاب و خطبه کتاب جامع الاسرار ضمن بیان سبب تألیف آن کتاب شریف ص ۳ می فرماید:

إلتمسَ منّي جماعة من إخواني الصالحين، السّالكين سبيل الله لطلب مرضاته، أن أكتب لهم كتاباً جامعاً مشتملاً علىٰ معظم أسرار الله تعالىٰ، وأسرار أنبيائه وأوليائه عليهم السّلام، إلىٰ أن قال:

مبنياً علىٰ قاعدة الموحّدين، المحقّقين من أهل الله، المسمّين بالصّوفيّة، موافقاً لمذهب الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة، مطابقاً لأصول كلّ واحد منهم وقواعدهم، بحيث يرتفع به التنازع من بينهم بالكليّة ولا يحتاجون بعده إلىٰ كتاب آخر فيه، لأنّ من بين الفرق الإسلاميّة والطوائف المختلفة المحمّديّة ليس أحد ينكر علىٰ الطائفة الصوفيّة مثل طائفة الشيعة، ولا علىٰ الشيعة مثل الطائفة الصوفيّة مع أنّ مأخذهم واحد، ومشربهم واحد، ومرجعهم إلىٰ واحد، لأنّ مرجع جميع الشيعة خصوصاً الطائفة الإماميّة ليس إلاّ إلىٰ أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، وبعده إلىٰ أولاده وأولاد أولاده صلوات الله عليهم أجمعين، وهو مأخذهم ومشربهم ومسند علومهم ومرجع أصولهم، وكذلك الصوفيّة الحقّة، لأنّهم أيضاً لايسندون علومهم ولاينسبون خرقتهم إلاّ إليه، وبعده إلىٰ أولاده وأولاد أولاده عليهم السّلام واحداً بعد واحد.

وسبب هذا الإلتماس منّي هو أنّهم.... عرفوا كيفيّة اطّلاعي علىٰ أصول الطائفتين وقواعدهم، وعلموا حسن مجموعيّتي بتحصيل قوانين الفرقتين وعقائدهم لأنّي.... كنت مجدّاً في تحصيل عقائد أجدادي الطاهرين الذين هم الأئمّة المعصومون عليهم السّلام، وطريقتهم بحسب الظاهر التي هي: الشريعة المخصوصة بطائفة الشيعة الإماميّة من أهل الفرق الإسلاميّة، وبحسب الباطن التي

هي: الحقيقة المخصوصة بالطائفة الصوفيّة من أرباب التوحيد وأهل الله تعالىٰ، والتوفيق بينهما ومطابقة كلّ واحد منهما بالآخر، حتىٰ تحقّقتُ حقيّة الطرفين، وعرفتُ حقيقة القاعدتين، وطابقتُ بينهما، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وصرتُ كما صرتُ جامعاً بين الشريعة والحقيقة، حاوياً بين الظاهر والباطن.

وهمچنين در كتاب جامع الأسرار ص ٢١٦ تحت عنوان:

في الشّبهات الواردة علىٰ التوحيد الوجودي وفي البحث عن الصّوفية وسرّ الولاية والإمامة، پس از آنكه قسمتى از عقائد باطل را به‌عنوان كفر و الحاد معرّفى مى كند علّت مخالفتهاى أهل اديان را با عرفا و سبب تخالف شيعه و عارف را بيان كرده و به رفع شبهات مى پردازد، آنگاه بيان مى كند كه شيعه و عارف در اصول و قواعد اصلى و در مأخذ آن اصول متّحد بوده و فقط شيعه اثنا عشريّه است كه در بين مذاهب مذهب حق بوده و اهل آن اهل سعادتند.

جناب ايشان ابتدا به بطلان و كفرآميز بودن مذاهب و عقائدى از قبيل: (الحاد = ملاحده وباطنيّة)، و حلول، و فرق، و جمع، و اجمال، و تفصيل، و تمثيل و تشبيه، و تنزيه و تعطيل، كه در بين بعض از فرق صوفيّه عنوان مى شده و سبب حمله صاحبان اديان و علماء ظاهر به عرفا گرديده است اشاره كرده و مى گويد.

ص ٢٢٠ از كتاب جامع الأسرار: وأمثال هذه المفاسد والشبهات كثيرة، لسنا محتاجين إلىٰ ذكر جميعها، وقد ذكرنا رؤوسها وأصولها والّتي هي المعظم منها، فينبغي أن تعرف أن هذه الجماعة المسمّاة بالصوفيّة عند أهل الله من الأنبياء والأولياء والمحققّين والموحّدين، هم محجوبون عن الحقّ وأهله، ملعونين أينما ثقفوا عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

و در مقام بيان عقيدهٔ حق در بين عقائد توحيدى مى گويد:

والحقّ من ذلك أن يكون العارف المحقّق في مقام ـ الفرق الثاني ـ الذي هو شهود قيام الخلق بالحقّ، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير احتجاجه بالآخر، ويسمّىٰ هذا المقام بالفرق بعد الجمع، وهو نهاية المراتب في التوحيد والعرفان، وفيه قيل بالنسبة إلى المراتب الثلاث المذكورة (في الكتاب):

إيّاكم والجمع والتفرقة، فإنّ الأوّل يورث الزندقة والإلحاد، والثاني يقتضي تعطيل الفاعل المطلق، وعليكم بهما، فإنّ جامعهما موحّد حقيقي، وهذا المقام هو

المسمّیٰ بجمع الجمع وجامع الجميع، وصاحبه له المرتبة والغاية القصویٰ.

وأيضاً قال في التفصيل والإجمال: إنّهما طرفا الإفراط والتفريط في التوحيد الحقيقي الّذي هو الحدّ الأوسط بينهما. . . لأنّ المعرفة التامّة الكاملة هي في الجمع بينهما أعني مشاهدة الحقّ علیٰ سبيل الإجمال في عين التفصيل، وعلیٰ سبيل التفصيل في عين الإجمال.

مخفی نماند اینکه اصطلاحات مذکور در کلمات جناب سیّد حیدر در غالب موارد تألیفات جناب ایشان مانند همین اصطلاح وحدت در کثرت و کثرت در وحدت و غیر ذلك از جمله مصطلحات رایج در حکمت متعالیه جناب صدر المتألّهین علیه الرّحمه والرضوان است که بسیاری از افکار و نظرات بلند جناب ایشان بر اساس همین اصطلاحات عمیق الهی استوار است، و البتّه مقایسه و تطبیق کلمات و مصطلحات رایج در نوشته‌های جناب سیّد حیدر و جناب صدر المتألّهین صاحب اسفار رضی الله عنهما به یك فرصت دیگر کافی و تحقیق و تفحص وافی نیاز دارد، و لو اینکه آن تحقیق و تطبیق مناسب این مقدّمه نویسی می باشد و لکن فرصت آن فعلاً در اختیار نیست، و اگر این مهمّ انجام بگیرد از هر قلمی مبارك که باشد بسیار جالب و مفید و زیبا خواهد بود ولعل الله سبحانه یحدث بعد ذلك أمراً.

جناب مؤلّف پس از بیان مطالب مذکور دربارهٔ شیعه عارف و تشیع و عرفان در ص ۲۲۰ جامع الاسرار می گوید:

فاعلم أنّ جميع التشنيع من أهل الأديان والملل علیٰ الموحّدين المحقّقين من أهل الله، فهو بسبب أقوال هؤلاء القوم وأفعالهم، الّذين ليسوا منهم لا قولاً ولا فعلاً، بل هم منسوبون إليهم بمجرّد النسبة الصوريّة من الخرقة المزوّجة والكلمات المزخرفة وبعض الأوراد الملوّثة بالرياء والسمعة، أمّا القول، فيما عرفته من أنّه خارج عن الشريعة والطريقة والحقيقة، وأمّا الفعل فأفعالهم مبنيّة على أقوالهم، فحيث ثبت فساد القول، ففساد الفعل لازم، وإذا كان كذلك فكيف تجوز نسبتهم إلیٰ الطائفة الحقّة مع عدم العلم بأصولهم وقوانينهم؟ نعوذ بالله منهم!

ومع ذلك فليس هذا بغريب ولا بشيء نادر ما وقع مثله، لأنّك إن تحقّقت، شاهدت هذه المفاسد في جميع الطوائف الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، لأنّ كثيراً من الناس يتشبّهون بقوم ليسوا منهم، ويفتخرون بأقوالهم وأفعالهم، ويشهرون بها

أنفسهم، وغيرهم يشنّعون عليهم بها وهم منزّهون عنها، مثل طائفة الشيعة مثلاً، فإنّ الطائفة الحقّة منهم طائفة واحدة، وهم: الإثنا عشريّة الإماميّة، وطوائف كثيرة تشبّهوا بهم وليسوا منهم، بل هم عندهم كافرون مثل: الغلاة، والإسماعيليّة، والزيديّة، والكيسانيّة، وشعبهم وفرقهم المذكورة في كتب الشيعة وأهل السنّة، والناس يشنّعون عليهم ـ أي على الامامية الإثنا عشريّة ـ بأقوالهم وأفعالهم ـ أي بأقوال الطوائف الأُخرىٰ من الشيعة ـ وهم منزّهون عنها.

والعجب كلّ العجب أنّ أكثر التشنيع علىٰ الموحّدين المحققّين من أهل الله صادر من الطائفة الشيعيّة الإثنا عشريّة بخلاف مجموع الطوائف الإسلاميّة، مع أنّ مأخذهم واحد، ومشربهم واحد ومرجعهم واحد، وهو قول الله تعالىٰ والنبيّ والأئمّة المعصومين عليهم السّلام، لأنّ هٰؤلاء أخذوا منهم ـ أي من الأئمّة عليهم السّلام ـ الأُصول بحسب الباطن، أي بحسب الطريقة، كما أخذ الشيعة منهم الاصول بحسب الظاهر أعني من حيث الشريعة، وكلاهما صحيح، وواجب عليهم بيانهما وعلينا القيام بهما.

وبالحقيقة سبب تشنيعهم عليهم وعلى أمثالهم ما كان إلاّ من عدم علمهم بأصولهم وقواعدهم وكيفيّة مأخذهم وترتيب اسنادهم، لأنّهم لو اطّلعوا علىٰ ذلك علىٰ ما ينبغي لما شنّعوا عليهم أصلا، ولا اعترضوا علىٰ كلامهم أبداً، لكنّ المرء عدوّ ما جهله.

وعلىٰ هذا التقدير وجب علينا تقريره وتحقيقه ليزول به التنفّر ـ أي النفور ـ عن خواطرهم، ويحصل لهم الإطلاع علىٰ أُصولهم وقواعدهم، لأنّ الله تعالىٰ ما أنعم بهذه النّعمة من بينهم إلاّ علينا، وما انكشف هذا الحجاب بخلافهم إلاّ عن أعيننا والحمد لله الّذي فضّلنا علىٰ كثير من عباده، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأيضاً قال في فاتحة كتاب جامع الأسرار ص ٨ دفعاً لدخل التهمة:

ولا شكّ أنّ هذا ـ أي إثبات حقيقة أمر الصوفيّة ـ يصعب علىٰ بعض الأذهان المحجوبة عن الحقّ من أهل الشيعة، لأنّه يتصوّر أنّي أساعد مذهب أهل الباطل بالباطل، وأجتهد في إثبات حقّيّتهم بغير الحقّ، مع إنّه ليس كذلك، لأنّي بالحقيقة ما أساعد إلاّ مذهب آبائي وأجدادي الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وذلك من

حيث الظاهر والباطن، لأنّ اكثر الصوفيّة من جهلهم يتصوّرون أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السّلام كانوا عارين عن هذه الفضيلة، وكذلك الشيعة فإنّهم أيضاً يتوهّمون أن فضيلة أئمّتهم كانت منحصرة في هذه العلوم المتداولة بينهم، وليس كذلك، لأنّ كلّ واحد منهما مخطئٌ في تصّوره غير مصيب في توهّمه، نعوذ بالله منهما ومن تصورّهما.

لأنّه ليس هناك علم إلاّ وهم منبعه، ولا سرّ إلاّ وهم معدنه، وهم رؤساء أرباب الشريعة، وأئمّة أهل الطريقة، وأقطاب أساطين الحقيقة، وهم خلفاء الله في أرضه وسمائه، ومظاهر كبريائه وجلاله في ملكه وملكوته، والله ثمّ والله لولاهم ما كانت السماوات قائمة ولا الأرضون ثابتة، ولا ما بينهما من المخلوقات موجودة.

فراجع في هذا إلى آخر الكتاب وخاتمته أيضاً ص ۶۰۹.

شریعت وطریقت وحقیقت

از جملهٔ ویژگی های قلم شریف جناب سیّد حیدر آملی و آثار وجودی ایشان جمع بین شریعت و طریقت و حقیقت، و بیان واقعیّت این سه امر نورانی است. در نوشته های جناب ایشان به این موضوع توجّه خاصّ و تأکید بسیار و اصرار زیاد شده، و مکّرر آن را مورد بحث و بّررسی قرار داده است.

در اصل سوّم کتاب جامع الاسرار طیّ چهار قاعده در بیان:

شریعت و طریقت و حقیقت.

نبوّت و رسالت و ولایت.

وحی و الهام و کشف.

اسلام و ایمان و ایقان.

موضوع را تقریباً به‌تفصیل دنبال کرده و بحث نموده است.

و نیز همین موضوع را در رسالهٔ (الوجود) به‌صورت مقدّمه بر آن رساله عنوان کرده است.

و همچنین در رسالهٔ (اسرار الشریعة و أطوار الطریقة و انوار الحقیقة) موضوع را بطور مستقل ومفصّل مورد بحث و برّرسی قرار داده و با مباحث مختلف پیرامون آن، مطلب را تکمیل کرده است.

و بالآخره همين موضوع شريعت و طريقت و حقيقت را در مقدّمه ششم تفسير المحيط الاعظم بطور تفصيل و بيشتر از آنچه در رساله مذكور آمده‌است عنوان مى كند.

جناب مؤلّف در بررسى اين موضوع هم بحثهاى بسيار متقن و زيباى خود را طبق روش دائمى خويش به آيات قرآن كريم وروايات مستند مى كند.

«براى مزيد فائده كلماتى هم از ديگر بزرگان، در اين زمينه نقل خواهيم كرد».

جناب سيّد حيدر در كتاب جامع الاسرار ص ۳۴۳ مى گويد:

إعلم أنّ هذه القاعدة مشتملة علىٰ بيان الشّريعة والطّريقة والحقيقة، والغرض منه أنّه لمّا كان أكثر أهل الزّمان، من خواصّهم وعوامّهم، يدّعون أنّ الشريعة خلاف الطّريقة، والطريقة خلاف الحقيقة، ويتصوّرون أنّ بين هذه المراتب مغايرة حقيقيّة. وينسبون إلىٰ كلّ طائفة منهم مالا يليق بهم، خصوصاً إلىٰ طائفة الموحّدين المسمّاة بالصوفيّة، وكان سبب ذلك عدم علمهم بحالهم وقلّة الوقوف علىٰ أصولهم وقواعدهم.

فأردتُ أن أبيّن لهم الحال علىٰ ما هو عليه، وأكشف لهم الأحوال علىٰ ما ينبغي، ليحصل لهم العلم بحقيّة كلّ طائفة منهم لاسيّما بالطائفة المخصوصة، وينكشف لهم أحوالهم في طبقاتهم ومدارجهم وأصولهم، ويتحقّقون أنّ: الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء مترادفة صادقة علىٰ حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، وليس فيها خلاف في نفس الأمر. . إلىٰ أن قال: وإذا تحقّق هذا، فاعلم أنّ الشريعة اسم موضوع للسّبل الإلهيّة، مشتمل علىٰ أُصولها وفروعها، ورخصها وعزائمها، وحسنها وأحسنها.

والطريقة هي الأخذ بأحوطها وأحسنها وأقومها، وكلّ مسلك يسلك الإنسان أحسنه وأقومه يسمّىٰ طريقة قولاً كان أو فعلاً أو صفة أو حالاً.

وأمّا الحقيقة، فهي إثبات الشيء كشفاً أو عياناً أو حالة ووجداناً.

إلىٰ أن قال:

ويشهد بذلك كلّه قول النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لحارثة وهو أنّه قال:

«ياحارثة! كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً، فقال عليه السّلام: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، وأهل النّار

يتعاوون، ورأيت عرش ربّي بارزاً، قال عليه السّلام: أصبت فالزم».
فإيمانه بالغيب حقّ وشريعة، وكشفه ووجدانه الجنّة والنّار والعرش حقيقة، وزهده في الدنيا وسهره وظمؤه طريقة، والشرع شامل للكلّ. إلىٰ ان قال:
وعن هذا الكشف في المراتب المذكورة أخبر الله تعالىٰ في كتابه:
﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين﴾ [التكاثر/ ۵ - ۷].
و:
﴿إنّ هذا لهو حقّ اليقين﴾ [الواقعة/ ۹۵].
لأنّ المرتبة الأُولىٰ بمثابة الشريعة، والثانية بمثابة الطريقة، والثالثة بمثابة الحقيقة.
و نيز در اوّل مقدّمه ششم از مقدّمات هفتگانه تفسير المحيط الاعظم پس ازقسمتى ازمطالب مقدّماتى مى گويد:
وإذا عرفت هذا فاعلم، أنّ هذا البحث بعينه ذكرنا في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار، ثمّ في رسالة الوجود، ثمّ في أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة، وهذا رابعها، والغرض شيء واحد وهو أن يتحقّق عندك وعند غيرك انّ هذه أسماء صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، وليس بينها تغاير في الحقيقة، وإثبات هذا علىٰ سبيل التّفصيل والبرهان يحتاج إلىٰ وجوه ثلاثة:
الأوّل، انّ تعريف الشريعة والطريقة والحقيقة، وتحقيق هذه الأسامي وتخصيصها، وبيان أنّها أسماء صادقة على حقيقة واحدة من غير اختلاف بينها.
الثاني، إلىٰ بيان انّ أهل الحقيقة أعظم من أهل الطريقة، وأهل الطريقة أعظم من أهل الشريعة، وإن لم يكن بين هذه المراتب مغايرة.
الثالث، إلىٰ بيان انّ الشّرع ليس بمستغنٍ عن العقل، ولا العقل عن الشّرع، وغير ذلك من الأبحاث المتعلّقة به. إنتهىٰ كلامه.
(فيأتي إن شاء الله في المجلّد الثالث من الكتاب المشتمل علىٰ المقدّمة السادسة بتمامها).

تبصرة:

العلم علمان: علم هو مقدّمة للتزكية، وعلم، التزكية مقدّمة له.

والأوّل هو علم الشريعة لأنّها تهدي إلىٰ طريق التزكية، ولابدّ على الإنسان أن يعلم أوّلاً طريق التزكية حتّىٰ يكون قادراً عليها، ولهذا قدّم العلم على التزكية في قوله تعالىٰ:

﴿ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم﴾ [البقرة/ ١٢٩].

وأمّا الثاني، علم هو المعرفة والحكمة، لأنّهما غاية للتزكية، ولا بدّ علىٰ الإنسان التزكية حتّىٰ يوفّق ويصل إلىٰ التوحيد والمعرفة والحكمة، قال تعالىٰ:

﴿إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال/ ٢٩].

﴿أقم الصلوٰة لذكري﴾ [طه/ ١٤].

ومعلوم أنّ المعرفة والحكمة لاتحصلان إلاّ بعد التزكية والعبادة والتقوىٰ والطهارة، ولذلك يكون للعلم وهو المعرفة تقدّماً علىٰ التزكية رتبةً، ولكون التزكية وسيلة ومقدّمة لهذا العلم قدّمت التزكية علىٰ العلم في قوله تعالىٰ:

﴿لقد منّ الله علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ [آل‌عمران/ ١٦٤].

ولعلّ في التعبير على المنّة وهي النعمة العظيمة والعزيزية، وفي التعبير بالمنّة على المؤمنين، إشارة وتأييداً لما قلنا والله هو العالم.

عزيز الدين نسفی در کتاب الانسان الکامل ص ٣ می گوید:

شریعت گفتِ انبیاست، و طریقت کِرد انبیاست، و حقیقت دیدِ انبیااست:

الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي.

سالك باید که اوّل از علم شریعت آنچه مالا بدّ است بیاموزد و یادگیرد و آنگاه از عمل طریقت آنچه مالا بدّ است بکند و بجای آورد تا از انوار حقیقت بقدر سعی و کوشش وی روی نماید.

هر که قبول می کند آنچه پیغمبر وی گفته است، از أهل شریعت است.

و هر که می کند آنچه پیغمبر وی کرده است، از أهل طریقت است.

و هر که می بیند آنچه پیغمبر وی دیده است، از أهل حقیقت است.

آن طایفه که هر سه دارند کاملان‌اند و ایشان‌اند که پیشوای خلایق‌اند، و آن طایفه که هیچ ندارند از این سه ناقصان‌اند، و ایشان‌اند که از حساب بهایم‌اند، قوله تعالیٰ:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾ [الأعراف/ ۱۷۹].

جناب صدر المتألّهين در تفسير سورهٔ بقره ج ۳ ص ۲۸۲ مى فرمايد:

و جميع مقامات الصالحين إنّما ينتظم من ثلاثة أُمور:

معارف وأحوال وأعمال، فإنّ القلب الإنساني بمنزلة مرآة بالقوّة.

فالأعمال بمنزلة تصقيلها وتنقيتها عن الريون والأخباث والطبائع والكدورات.

فالأحوال بمنزلة صفائها ونقائها ومواجهتها للمطلوب.

والمعارف عبارة عن حضور صور الحقّ المطلوب فيها.

فالأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للمعارف، ـ هذا نظر المحقّقين ـ.

وأمّا المحجوبين، فزعموا عكس ما ذكرناه وهو أنّ تحصيل العلوم للأحوال، وثمرة الأحوال الأعمال، لما سمعوا أنّ العلم بدون العمل وبال، وما ورد في الخبر:

«نعوذ بالله من علم لاينفع»، وأمثال ذلك.

ولم يعلموا أنّ المراد منه علوم الأعمال، لا علوم المكاشفات الحاصلة من الأحوال، ولم يتدبّروا في قوله تعالىٰ:

﴿واعبد ربّك حتّىٰ يأتيك اليقين﴾ [الحجر/ ۹۹].

وقوله:

﴿ربّ زدني علماً﴾ [طه/ ۱۱۴].

وقول الإمام علي عليه السّلام:

«نعوذ بكَ من أن أقول في العلم بغير علم، وأن أعمل في الدِّين بغير يقين».

وقوله عليه السّلام:

«قصمَ ظَهْري رَجُلان: عالم مُتهتّكٌ، وجاهل مُتَنَسّكٌ».

و نيز جناب ايشان در تفسير سورهٔ حديد ص۲۰۵ مى گويد:

وأمّا قوله تعالىٰ:

﴿فضرب بينهم بسورله باب، . . .﴾ [الحديد/ ۱۳].

فهو مثال لصورة الشريعة الحقّة الّتي ظاهرها حصن يحرس الناس عن المقاصد والأعمال القبيحة والعقائد الباطلة ومن تطرق إغواء المضلّين والشياطين من أهل البدع والمذاهب الجاهليّة.

وباطنها أسرار حقّة وأنوار محضة بها يصل العبد إلىٰ رحمة الله ورضوانه. فالشريعة سوط الله بها يسوق عباده إلى رضوانه، فمن نظر إلىٰ صورة السوط الّتي لأجل تأديب المستعدّين لم ير منه إلاّ عذاباً أليماً، ومن نظر إلىٰ الغرض المكمون في باطنه يعلم أنّه محض الشفقة.

كذا من اغترّ بظواهر الشريعة من غير تدبّر في أسرارها وبواطنها لم ير فيها إلاّ تعب الجوارح، ورياضة الجسد الموجب لظلمة الأعياء، ولا سير الفكر الموجب لزيادة النور في قلوب العقلاء، فيثقل عليه حملها والعمل بها، لعدم اطّلاعه علىٰ المقصود منها.

أولا ترىٰ إلىٰ الصلاة ﴿وانّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾ فإنّها قرّة عيونهم كما قال رسول الله (ص):

«قرّة عيني في الصلاة».

جناب فقيه و عارف بزرگوار شيخ محمّد بهاری که از شاگردان بزرگ مربّی اولياء جناب شيخ حسينقلی همدانی بوده و در بهار همدان تربت پاکش زيارتگاه مردم است در يکی از مراسلات خود (تذکرة المتّقين ص ۶۶) می نويسد:

تمام اخلاق مقدّمه معارف است بعد تعلّم الفقه.

راقم گويد:

يعنی فقه مقدّمهٔ اخلاق و اخلاق مقدّمهٔ توحيد و معرفت است، چه خسارت بزرگی است انسان تعلّم فقه کند (که صد البتّه خود نور است) و لکن از اخلاق انسانی و توحيد قرآنی بی‌خبر بماند.

فقه برای آشنايی با واجبات و محرّمات و عمل و ترك آنها است تا برای انسان تخليه صورت‌گيرد و زمينهٔ فضايل انسانی و اخلاق اسلام حاصل شده و موجب تحليه‌گردد و آنگاه در اثر مراقبت و توجّه بمقام معرفت و توحيد و تجليه نايل آيد.

خدای سبحان فرمود:

﴿إنّ الصلوٰة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت/ ۴۵].

این مرتبه‌ای از نماز است.

و نیز فرمود:

﴿أقم الصلوة لذِکري﴾ [طه/۱۴] که مرتبه‌ای دیگر از نماز خواهد بود و ﴿ألا بذکر الله تطمئنّ القلوب﴾ [الرعد/۲۸] و اگر فقه و نماز و عبادت موجب طهارت و معرفت نگردد:

﴿فویلٌ للمُصلّین الّذین هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون/ ۴ - ۵].

جناب علّامه طباطبائی در جلد ۵ المیزان ص ۲۸۱ ضمن بحثی تاریخی می فرماید:

... ظهر التصوّف بین المسلمین، وقد کان له أصل في عهد الخلفاء یظهر في لباس الزّهد، ثمّ بان الأمر بتظاهر المتصوّفة في أوائل عهد بني العبّاس بظهور رجال منهم کأبي یزید والجنید والشبلي ومعروف وغیرهم.

یریٰ القوم أنّ السبیل إلیٰ حقیقة الکمال الإنساني والحصول علیٰ حقائق المعارف هو الورود في الطّریقة، وهي نحو ارتیاض بالشّریعة للحصول علیٰ الحقیقة، وینتسب المعظم منهم من الخاصّة والعامّة إلیٰ عليّ علیه السّلام. إلیٰ أن قال:

والّذي یقتضي به في ذلك الکتاب والسنّة ـ وهما یهدیان إلیٰ حکم العقل ـ هو أن القول بأنّ تحت ظواهر الشریعة حقائق هي باطنها حقّ، والقول بأنّ للإنسان طریقاً إلیٰ نیلها حقّ، ولکن الطریق إنّما هو استعمال الظواهر الدینیّة علیٰ ما ینبغي من الإستعمال لا غیر، وحاشا أن یکون هناك باطن لایهدي إلیه ظاهر، والظاهر عنوان الباطن وطریقه، وحاشا أن یکون هناك شيء آخر أقرب ممّا دلّ علیه شارع الدّین (والشارع) غفل عنه أو تساهل في أمره أو أضرب عنه لوجه من الوجوه بالمرّة، وهو القائل عزّ من قائل:

﴿ونزّلنا علیك الکتاب تبیاناً لکلّ شيء﴾ [النحل/ ۸۹].

بیان عرفان به زبان برهان
و جمع بین برهان و عرفان و قرآن

از جمله سیرت و روش جناب سیّد حیدر آملی در تبیین معارف عرفانی؛ بیان

حقایق عرفان به‌زبان برهان بوده و علاوه از تحلیل وتثبیت مبانی عرفانی در قالب برهان، برهان و عرفان را در خدمت قرآن برده و علی الدّوام برای اثبات مطالب از قرآن استشهاد می کند و در حقیقت در عین حال که بین برهان و عرفان و قرآن جمع کرده قرآن را از طریق برهان و عرفان تفسیر کرد، و برهان و عرفان را در خدمت قرآن تکمیل و تصحیح می کند.

و این حقیقت با سیر اجمالی در کتب و رسائل جناب ایشان و بامطالعه و تأمّل دقیق در مطالب آن کتب و رسائل بوضوح روشن می شود.

بعضی از کلمات جناب ایشان را از رسالهٔ نقد النقود و کتاب جامع الاسرار ذیلا نقل می کنیم:

در ابتدا رسالهٔ نقد النّقود می گوید:

إعلم أنّ هذا الأصل مشتمل علىٰ بحث الوجود واطلاقه وبداهته، من طريق الموحّدين من أرباب التصوّف، عقلاً، ونقلاً، وكشفاً. جامع الأسرار ص ۶۲۳.

در قسمت دیگر از آن رساله در همان بحث: الوجود واطلاقه می گوید:

وقد سنح لنا هٰهنا، بعناية الله وحسن توفيقه، برهان حسن لطيف لايمكن فرار الخصم منه. جامع الأسرار ص ۶۲۸.

در ابتداء بحث: الوجود ووجوبه ووحدته که بخش دوّم از مباحث رساله نقد النّقود است می گوید:

الوجود من حيث هو وجود، ليس بقابل للعدم لذاته، وكلّ ماليس بقابل للعدم لذاته فهو واجب الوجود لذاته، فيجب أن يكون الوجود واجبا لذاته، إلىٰ أن قال:

أمّا بيان الصغرىٰ علىٰ سبيل البرهان، فلأنّه لو كان الوجود قابلاً للعدم للزم اتّصاف الشيء بنقيضه، واتصاف الشيء بنقيضه محال، فمحال أن يكون الوجود قابلاً للعدم، إلىٰ أن قال:

وأمّا بيان الكبرىٰ فمسلّم عند الخصم غير محتاج إلىٰ البيان والبرهان. جامع الأسرار ص ۶۴۷.

قابل ذکر است که اصولاً سبک بحث رساله نقد النّقود سبک برهانی است.

و همچنین در کتاب جامع الاسرار ص ۶۱۱ در توصیف آن کتاب می گوید:

إنّ هذا الكتاب مشتمل علىٰ أعظم أقوال الصوفيّة والشيعة ومعارضاتهم

ومجـادلاتهم، وأقوال علماء الظاهر أيضاً استشهاداً، وأقوال الأنبياء والأولياء عليهم السّلام كذلك، وكان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيّة والصوفيّة شيعة، ومعلوم أنّ هذا أمر صعب وشغل خطير، لأنّ كلّ واحد منهما في حيّز ضيّق لايمكن اخراجه إلاّ بألف حبـل من حبـال البـراهين العقليّة والإستشهـادات النقليّة، منضّمـة إليها الإستدلالات الكشفيّة والدلائل الذوقيّة.

این روش فلسفی در عرفـان نویسی که عارف در عرفان نظری به‌زبان آمده و می‌خواهد مشاهدات و معارف کشفیّات خود را بیان کند و احیاناً آنها را باسبك ولسان اهل نظر و برهان تحلیل و تبیین کرده و بااستشهاد از قرآن و احادیث به‌اثبات برساند؛ فوائـد و آثار بسیار داشته است، از جمله اینکه حکیم و عارف به‌هم نزدیك شده و حکمت و عرفان هم به‌هم آمیخته‌گردد، و همچنین سبك و روش جمع بین برهان و عرفان و قرآن یعنی عقل و کشف و وحی، هم موجب آن شده است که حکمت و عرفان در خدمت قرآن قرار گرفته و حقایق و معارف قرآن بیش از پیش کشف‌گردد، اصـولاً این قبیل کتـابهـا و رسـالـه‌ها را می‌شود بحقّ از بهتـرین تفسیرهـای قرآن به‌حساب آوردو اینگونه تحقیقات و مطالعات برای انسان نسبت به قرآن دید و شناخت تازه‌ای بدست می‌دهد.

از این قبیل است بعضی از کتابهای محیی‌الدین عربی خصوصاً فتوحات و بعضی از کتابهای شیخ اشراق و کتابهای سیّد حیدر آملی و قسمت زیادی از کتابهای صدرالمتألّهین از جمله مفاتیح الغیب، اسرار الأیات، شواهد الربوبیّه و اسفار اربعه.

از جمله کسانی که در بیان عرفان به‌زبان برهان تا حدّی موفّق بودند جناب شیخ الرئیس و خواجه طوسی در سه نمط آخر اشارات است.

و از آن جمله است جناب قیصری در مقدّمات شرح فصوص.

و ابن فناری در مصباح الأنس ص ۳ می‌گوید:

واجتهـدت في تأنيس تلك القواعد الكشفيّة حسب الإمكان بما يوافق عقل المحجوبين بالنظر والبرهان، إلىٰ أن قال:

وسمّيته مصباح الأنس بين المعقول والمشهود.

و از آن جمله است کتاب تمهید القواعد و قواعد التوحید که شرح و متن بوده

و تأليف صائن الدين بن تركه و صدر الدين ابوحامد اصفهانى است.

ابن تركه در ص ۱۰ تمهيد القواعد مى گويد:

وأمّا الرّسالة التي صنّفها مولاي وجدّي أبو حامد محمّد الاصفهاني المشتهر بتركه قدّس سرّه، فإنّه مع جعلها مشتملة علىٰ البراهين القاطعة والحجج الساطعة علىٰ أصل المسألة وِفْق ما ذهب اليه المحقّقون قد بالغ في دفع تلك الشبهات بلطائف بيانه، إلخ فراجع.

و از جمله آنان كه به موفقيّت بيشترى هم نائل شده است جناب صدر المتألّهين است، جناب علاّمه طباطبائى در مقاله اى كه درباره صدر المتألّهين نوشته و در يادنامهٔ ملاّصدرا چاپ شده است در ص ۱۷ آن يادنامه مى گويد:

صدر المتألّهين پايهٔ بحثهاى علمى و فلسفى خود را روى توفيق ميان عقل و كشف و شرع گذاشت و در راه كشف حقايق الهيّات از مقدّمات برهانى و مطالب كشفى و مواد قطعى دينى استفاده نموده، و اگر چه ريشهٔ اين نظر در كلمات معلم ثانى ابى نصر فارابى و ابن سينا و شيخ اشراق و شمس الدين تركه و خواجه طوسى نيز به‌چشم مى‌خورد ولى صدر المتألّهين است كه توفيق كامل انجام دادن اين مقصد را پيداكرد (آخر كلام علاّمه).

اصولاً جناب صدر المتألّهين در موارد متعدد به اين حقيقت اشاره مى كند و معتقد است كه عرفان به برهان و برهان به عرفان محتاج است و هيچكدام بدون ديگرى به كمال مطلوب نخواهندرسيد:

در مقدّمه كتاب اسفار ص ۹ مى گويد:

قد اندمجت فيه العلوم التألّهيّة في الحكمة البحثيّة وتدرّعت فيه الحقائق الكشفيّة بالبيانات التعليميّة، تَسَرْبَلَتِ الأسرار الربّانيّة بالعبارات المأنوسة للطباع، واستعملت المعاني الغامضة في الألفاظ القريبة من الأسماع، فالبراهين تَتَبَخْتَر اتّضاحاً، وشبه الجاهلين للحقّ تَتَضَأّل افتضاحاً.

و در جلد ۲ اسفار ص ۳۱۵ تحت عنوان: تثبيت و احكام مى فرمايد:

إيّاك وأن تظن بفطانتك البتراء أنّ مقاصد هٰؤلاء القوم خالية عن البرهان، . . . وعدم تطبيق كلامهم علىٰ القوانين الصحيحة البرهانيّة والمقدّمات الحقّة الحكمية ناش عن قصور الناظرين . . . وإلاّ فمرتبة مكاشفاتهم فوق مرتبة البراهين في

إفادة اليقين، بل البرهان هو سبيل المشاهدة في الأشياء الّتي يكون لها سبب. تا آخر.

در کتاب المبدا و المعاد در ص ۳۸۱ طبع جدید می فرماید:

من جملة هذه الأشياء الّتي لايمكن أن يصل إلىٰ معرفتها الإنسان بفطانته البتراء وبصيرته الحولاء، بل إدراكه يحتاج إلىٰ ولادة ثانية وفطرة مستأنفة، وطور آخر من العقل، هي أمور القيامة وأحوال الآخرة، لأنّه يستحيل جواب السائل عنه علىٰ وجهه مادام السائل مشتغل القلب بالدنيا، مسحوراً بسحر الطبيعة. إلىٰ أن قال:

انّ أكثر أحوال الآخرة أسرار غيبيّة يجب الإيمان بها تقليداً لمن لم يكن له قدم راسخ في المعارف الإلهيّة والأسرار القيّوميّة، ولا يمكنه أن يتجاوز عن استجلاء نظر الخلق وحبّ الرّياسة والإستيلاء علىٰ مآرب الدنيا، والشهرة عند الناس، لكن أكثر من رزق فطنة زكيّة يقوىٰ بها علىٰ المباحثة والإستدلال، لايكتفي بالتقليد الّذي يحصل به نوع من النجاة عن الضلال والإضلال والوبال في المآل، بل يتشرّف علىٰ شيء فوقه ويكثر تعبه في طلبه آناء اللّيل وأطراف النهار ويصرف عمره في تزايد النظر في المؤلّفات وتكرير التأمّل فيها، فالأولىٰ لمثله إذا اشتاق إلىٰ أن يفهم المطالب العلميّة بالبرهان اليقيني بعد أن عاد النظر في كتب القوم واستفاد كثيراً من فوائدهم وخصوصاً وجد في كتب الشيخين: (أبي نصر) و (أبي عليّ) في طريقة المشائين وكتب الشيخ الإلهي صاحب الإشراق، أن يرجع إلىٰ طريقتنا في المعارف والعلوم الحاصلة لنا بالممازجة بين طريقة المتألّهين من الحكماء والملّيين من العرفاء، فإنّ ماتيسّر لنا بفضل الله ورحمته وما وصلنا إليه بفضله وجوده من خلاصة أسرار المبدأ والمعاد، ممّا لست أظنّ أن قد وصل إليه أحد ممّن أعرفه من شيعة المشّائين ومتأخّريهم دون أئمّتهم ومتقدّميهم كأرسطو ومن سبقه، ولا أزعم إن كان يقدر علىٰ إثباته بقوّة البحث والبرهان شخص من المعروفين بالمكاشفة والعرفان من مشايخ الصوفيّة من سابقيهم ولاحقيهم، وظنّي أنّ هذه المزيّة إنّما حصلت لهذا العبد المرحوم من أُمّة المرحومة عن الواهب العظيم والجواد الرحيم.

این سبك یعنی جمع بین عرفان و برهان را پس از صدرالمتألّهین بزرگانی از پیروان مکتب ایشان از قبیل جناب حاجی سبزواری، و جناب محمّد رضای قمشه ای و جناب میرزا محمود قمّی و جناب میرزا هاشم اشکوری و دیگران و اخیراً جناب علاّمه

طباطبائی و حضرت امام خمینی ادامه‌دادند.

این بزرگان تحقیقات خود را به صورت تعلیقه به کتابهای اسفار وشواهد الربوبیّه صدرالمتألّهین، و تعلیقه به تمهید القواعد ابن ترکه، و تعلیقه به مصباح الأُنس ابن فناری، و شرح فصوص قیصری پیاده کردند، و جناب حاجی سبزواری علاوه از تعلیقه بر اسفار و شواهد الربوبیّه مطالب ارزنده و بلند و عمیقی هم در تعلیقه و حاشیه‌های خود به شرح منظومه‌دارد.

از جمله بزرگان عرفان که بین برهان و عرفان و قرآن، عقل و ذوق و نقل، جمع کرده و اصولاً به این جمع تأکید می کند جناب شیخ محمود شبستری در رساله: (حق الیقین) است.

جناب شبستری در گلشن‌راز می گوید:

ببین معقول و منقول و حقایق — مصفّا کرده در علم دقایق

و رساله حق الیقین را بر اساس جمع بین قرآن و عرفان و برهان تنظیم کرده است، در مقدّمه آن رساله می گوید:

ای جان عزیز این کتاب را که مسمّا است به حق الیقین فی معرفة ربّ العالمین، حضرت عزّت از خزانهٔ غیب بدین ضعیف مسکین کرامت فرموده، مشتمل بر هشت باب به ازای درهای بهشت، و هر بابی از آن مشتمل بر حقایق و دقایق ولطایف، و ترتیب بابها این است:

پس از ذکر عناوین ابواب هشتگانه می گوید:

بر اهل بصیرت پوشیده نیست که مبدأ جملهٔ مشکلات و معضلات نظری، و مادهٔ اختلاف موحّد و متکلّم و حکیم، منحصر است در این ابحاث که از فضل باری تعالیٰ در این کتاب به حدّ یقین رسیده، بر وفق نقل و عقل و ذوق، و به تصدیق هر حقیقتی از حقایق و اثبات هر دعویی از دعاوی دو گواه عدلِ عقلی و نقلی، اعنی برهان واضح و قرآن ناطق، قایل‌گشته. تمام شد کلام ایشان.

در اینجا بی فایده نخواهد بود به رساله ای که أخیراً بنام: «رساله ای در حکمت متعالیه و سیر و سلوك» از جناب شیخ ابراهیم امامزاده زیدی چاپ و منتشر شده است اشاره شود، مطالب رساله نامبرده بسیار شیرین و جامع برهان و عرفان و قرآن است، ولکن برای اهل تحقیق و تتبّع پوشیده نخواهد ماند که گویا آن رساله ترجمهٔ رساله حق

الیقین جناب شیخ شبستری باشد گرچه تفاوتهائی هم از حیث کمّیت «یعنی اضافه و کم بودن مطالب در بعضی از ابواب» با اصل دارد، احتمالاً آن مطالب اضافی از خود جناب امامزاده زیدی باشد و یا نسخه کاملتری از حق الیقین در اختیار ایشان بوده است.

رساله حق الیقین مشتمل بر هشت باب است و رساله نامبرده هم مشتمل بر مطالب همان هشت باب بوده و به ترتیب آن ابواب تنظیم و تألیف شده است.

در پایان این بحث جهت حسن ختام و تأیید مطالب مذکور کلماتی از جناب علّامه طباطبائی ذیلاً می آوریم، جناب ایشان در تفسیر قیّم المیزان ج ۵ ص ۲۸۲ ذیل یك بحث تاریخی در مورد کلام و فلسفه و عرفان می فرماید:

وبالجملة فهذه طرق ثلاثة في البحث عن الحقائق والكشف عنها: الظواهر الدينيّة وطريق البحث العقلي وطريق تصفية النفس، أخذ بكلّ منها طائفة من المسلمين، علىٰ مابين الطوائف الثلاث من التنازع والتدافع، وجمعهم في ذلك كزوايا المثلث كلّما زدت في مقدار واحدة منها نقصت من الآخرين وبالعكس.

وقد عرفت أنّ الكتاب يصدق من كلّ من الطرق ماهو حقّ، وحاشا أن يكون هناك باطن حق ولايوافقه ظاهره، وحاشا أن يكون هناك حق من ظاهر أو باطن والبرهان الحقّ يدفعه ويناقضه.

ولذلك رام جمع من العلماء بما عندهم من بضاعة العلم علىٰ اختلاف مشاربهم أن يوفقوا بين الظواهر الدينيّة والعرفان كابن العربي وعبد الرزاق الكاشاني وابن فهد والشهيد الثاني والفيض الكاشاني. وآخرون أن يوفقوا بين الفلسفة والعرفان كأبي نصر الفارابي والشيخ السهروردي صاحب الإشراق والشيخ صائن الدين محمّد تركه. وآخرون أن يوفقوا بين الظواهر الدينيّة والفلسفة كالقاضي سعيد وغيره.

وآخرون أن يوفقوا بين الجميع كابن سينا في تفاسيره وكتبه وصدر المتألّهين الشيرازي في كتبه ورسائله وعدّة ممّن تأخّر عنه.

علّت اقامهٔ برهان جهت اثبات حقایق عرفانی:

عرفا در ثبوت مبانی و معارفشان برای خویش نیازی به برهان ندارند زیرا که آنان با شهود آن معارف را مشاهده می کنند، و طریق مشاهده أمری نیست که انسان

در حال شهود کمترین شکّی به‌خود راه‌دهد، ولکن ایشان از جهاتی دیگر احتیاج به برهان دارند:

الف ـ اینکه مشهودات و مکاشفات خود را با بیان برهانی تحلیل کرده و به اثبات برسانند.

ب ـ و نیز احتیاج به برهان در تبیین مکاشفات برای خودشان هم احیاناً مورد نیاز است و آن در حالت پس از حال شهود و منامات است، زیرا شهود یك عارف احیاناً با شهود عارفی دیگر متفاوت می شود، و در این صورت آنکه حقّ است بطور مسلّم یکی از آن دواست و یا هیچکدام، ولذا از طریق برهان می تواند به آنکه شهود حق است پی برده و به دست آورد.

ج ـ در مقام اثبات مشهودات برای دیگران از قبیل حکما و فلاسفه و اهل کلام احتیاج به برهان دارند، زیرا شهود برای آنان ملاك صحّت مدّعای عرفا نخواهد بود و ناچار باید از طریق برهان وارد بشوند.

بحث اینکه آیا مکاشفه و تزکیه هم می تواند همچون عقل و تجربه و نقل ملاك تحقیق و ثبوت معارف و حقایقی باشد از حوصله این مقدّمه نویسی بیرون است و در بعضی از کتب عرفانی و فلسفی در این جهت بحث و بررسی شده است، از جمله در کتاب تمهید القواعد ص ۲۵ ـ ۲۳ و ص ۳۴۸ ـ ۲۷۴ و همچنین جناب صدرالمتألّهین هم در موارد متعدّدی در اسفار و کتابهای دیگر از آن بحث کرده است مراجعه گردد.

و لکن تذکّر این نکته لازم است که معیار و میزان صحّت کشف در نهایت امر قول معصوم علیه السّلام است زیرا که قول معصوم (نور لاظلمة فیه) و مراجعه نهائی عارف به معصوم تقلیدی است فوق برهان که تقلید اصطلاحی؛ تقلیدی است دون برهان، والوزن یومئذ الحقّ.

در خاتمه این بحث عبارتی از جناب قیصری از فصل ششم فصول مقدمه شرح فصوص ص ۳۲ ذیلاً می آوریم:

. . . . ومشاهدة الصّور تارةً يكون في اليقظة، وتارةً في النّوم، وكما انّ النوم ينقسم بأضغـاث أحـلام وغيرها، كذلك مايرىٰ في اليقظة ينقسم إلىٰ أُمور حقيقيّة محضـة واقعـة في نفس الأمر، وإلىٰ أُمور خياليّة صرفة لاحقيقة لها شيطانيّة، وقد

يخلّطها الشيطان بيسر من الأمور الحقيقيّة، ليضلّ الرّائي، لذلك يحتاج السالك إلىٰ مرشد يُرشده وينجيّه من المهالك.

والأوّل (أي الأمور الحقيقيّة المحضة) إمّا أن يتعلّق بالحوادث أو لا، فإنْ كان متعلّقاً بها فعند وقوعها كما شاهدها، أو علىٰ سبيل التعبير.

و (عند) عدم وقوعها يحصل التميز بينها وبين الخياليّة الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتهـا الأصليّة إنّمـا هو للمنـاسبات الّتي بين الصّور الظّاهرة هي فيها وبين الحقيقة، ولظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلىٰ أحوال الرّائي . . .

وأمّـا إذا لم يكن كذلـك، فللفرق بينها وبين الخياليّة الصّرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم كما أنّ للحكماء ميزاناً يُفرّق بين الصواب والخطأ، وهو المنطق.

منها (أي الموازين) ما هو ميزان عامّ وهو القران والحديث المُنبئ كلّ منهما علىٰ الكشف التّامّ المحمّدي صلّىٰ الله عليه وآله.

ومنهـا ما هو خاصّ وهو ما يتعلّق بحال كلّ منهم، الفائض عليه من الإسم الحاكم والصّفة العالية.

قرآن و مبانی شناخت و معرفت

آنچه مسلم است قرآن کریم در مورد مبانی شناخت ظنّ و تقلید کور را رد کرده و سخت مورد مذمّت قرار داده است، ولکن حسّ و تجربه، تعقّل و تفکّر، عقل و برهان، فطرت و دل، تزکیه و تقوی، شهود و وحی، شرح صدر، معرفت نفس، عبادت و یقین، علم لدنّی و حکمت والهام، جهاد و هدایت را مورد تأثید قرار داده، و در این موارد تأکید می‌کند، و اینك چند نمونه از موارد مذکور در آیات قرآن:

الف ـ ظنّ و تقلید:

﴿وما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظنّ لايُغني من الحقّ شيئاً﴾ [يونس/ ۳۶].

﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أوَلَو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون﴾ [البقرة/ ۱۷۰].

ب ـ حسّ:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية/١٧ ـ ٢٠].

ج ـ تجربه:

﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أوَلَم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئنّ قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثمّ آجعل علىٰ كلّ جبل منهنّ جزءاً ثمّ آدعهنّ يأتينك سعياً واعلم انّ الله عزيز حكيم﴾ [البقرة/ ٢٦٠].

د ـ تعقّل:

﴿إنّ في خلق السّمٰوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السّمٰاء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة/ ١٦٤].

هـ ـ تفكّر:

﴿إنّ في خلق السّمٰوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات لأُولي الألباب* الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّمٰوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل‌عمران/ ١٩٠ ـ ١٩١].

و ـ برهان و عقل:

صغرى =

﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾ [الأنبياء/ ٢٢].

كبرى و فساد تالى =

﴿ما ترىٰ في خلق الرّحمٰن من تفاوت فارجع البصر هل ترىٰ من فطور* ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ [الملك/ ٣ ـ ٤].

در تفسير قمّى تفاوت را بفساد معنى مى كند.

نتيجه =

﴿فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون﴾ [الأنبياء/ ٢٢].

﴿وهو الذي في السّمٰاء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف/ ۸۴].
آيه ديگر صغرىٰ =
﴿ألا يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير﴾ [الملك/ ۱۴].

كبرىٰ =
﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف/۵۴].
﴿الّذي أحسن كلّ شيء خلقه﴾ [السجدة/۷].
﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر/۳].
﴿الله خالق كلّ شيء﴾ [الزمر/۶۲].

نتيجة =
﴿إنّ الله بكلّ شيء عليم﴾ [العنكبوت/ ۶۲].
دو آيه ديگر:
﴿ومن يدع مع الله-إلهاً آخر لا برهان له به﴾ [المؤمنون/۱۱۷].
﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة/۱۱۱].

ز ـ فطرت و دل:
﴿فاقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها﴾ [الروم/ ۳۰].
﴿إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد﴾ [ق/ ۳۷].
﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن/۱۱].
﴿هو الّذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً﴾ [الفتح/۴].

ح ـ تزكيه و تقوى:
﴿اتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾ [البقرة/۲۸۲].
﴿ياأيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال/ ۲۹].

ط ـ شهود و وحي:
﴿انّ كتـاب الأبرار لفي علّيين* وما أدراك ما علّيون* كتاب مرقوم* يشهده المقرّبون﴾ [المطفّفين/ ۱۸ ـ ۲۱].
﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السّمٰوات والأرض﴾ [الأنعام/۷۵].
﴿فكان قاب قوسين أو أدنىٰ* فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ* ما كذب الفؤاد ما

رأىٰ﴾ [النجم/٩ ـ ١١].

﴿ما ينطق عن الهوىٰ* إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾ [النجم/٣ ـ ٤].

ی ـ شرح صدر:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربّه﴾ [الزمر/٢٢].

ك ـ معرفت نفس:

﴿وفي الأرض آيات للموقنين* وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات/ ٢٠ ـ ٢١].

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصّلت/٥٣].

ل ـ عبادت و يقين و علم:

﴿واعبد ربّك حتّىٰ يأتيك اليقين﴾ [الحجر/٩٩].

﴿آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ [القصص/١٤].

م ـ علم لدنّى و حكمت و الهام:

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علما﴾ [الكهف/٦٥].

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾ [لقمان/١٢].

﴿ونفس ما سوّاها* فألهمها فجورها وتقواها﴾ [الشمس/٧ ـ ٨].

﴿وأوحينا إلىٰ أمّ موسىٰ أن أرضعيه﴾ [القصص/٧].

ن ـ ايمان و جهاد و هدايت:

﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت/٦٩].

﴿انّهم فتيةٌ آمنوا بربّهم وزدناهم هدىٰ﴾ [الكهف/١٣].

جداول و دوائر

يكى از خصوصيّات بسيار ارزندهٔ آثار قلمى جناب سيّد حيدر آملى انشاء دوائر و جداول است، جناب ايشان در كتاب شرح فصوص ونيز در همين كتاب تفسير، در

موارد مختلفی مطالب بسیار مهم وپیچیده، و یا دارای شقوق را در صورت دائره و جدول بیان می کند.

بیان مطالب به‌صورت شکل دائره و جدول حاکی از ذوق و سلیقه بسیار لطیف و فکـر روشن و هنـری جنـاب ایشان است، حدود هفصد سال قبل توجّه به بیان تصویری مطالب جهت تسهیل در تفهیم مطالب بسیار تحسین انگیزاست.

در مقدّمات کتاب نصّ النصوص حدود ۲۸ جدول و دوائر وجود دارد که محقّق محترم آنها را در آخر کتاب آورده‌است.

از آنجـا که خط أکثـر آن تصویرها خوانا نبوده و قابل استفاده نیستند بسیار مناسب و لازم بود در مورد هر یکی از دوائر و جدوال حدّ اقلّ متن عبارت را در تعلیقه بطور معمـول می نوشتند، همان‌گونه که در این کتاب عمل شده‌است، هر جا که دائره ای را جناب مؤلّف انشاء کرده‌است، در تعلیقه متن آن دائره‌را به‌طور کامل جهت استفاده بیشتر نوشته ضمن اینکه تصویری هم از اصل دائره به‌خط مؤلّف آورده‌ایم.

مؤلّف بزرگوار در ص ۳۱ مقدمات نصّ النصوص مقصود و غرض خود را از دوائر به بیان زیر تقریر کرده‌است:

والغرض من الدوائر كلّها هو تشكيل ماحصل لنا من المعارف الإلهيّة والحقائق الـربّـانيّة بطريق الكشف والـذوق في صورة الأمثلة العقليّة، ثمّ في صورة الأوضاع الحسّيّة، تسهيلاً لإدراك المقصود وتحصيل المطلوب، فإنّ كمال التمكن من التقرير والتحرير من طريق الخطابة أو قاعدة البرهان، هو هذا النهج لا غير، وفي الحقيقة قوله تعالىٰ:

﴿الله نور السّمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزّجـاجة كأنّها كوكب دريّ. . .﴾ [النور/۳۵].

إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ، لأنّ المشكاة إشارة إلىٰ عالم الحسّ، والزجاجة إلىٰ عالم العقل، والمصباح إلىٰ عالم الكشف، ولله المثل الأعلىٰ.

اصولاً انشاء دوائر و بیان حقایق و معارف در قالب دائرة و جدول های مختلف فرضی؛ کاری است الهام گرفته از آیات و احادیث، البتّه تفصیل و توضیح این الهام، و بیان واقعیّت‌های دائـره، و مسئلهٔ قوس صعـودی و قوس نزولی و غیر ذلـك، از موضوعات بسیار زیبا و عمیق بوده و احیاناً در کتابهای عرفانی کم وبیش و به‌طور متفرّقه

اشاراتی به آن شده است.

در این مقام دو مورد از آیات وروایات به‌عنوان نمونه اشاره می شود:

الف ـ **﴿وهو بالأفق الأعلىٰ* ثمّ دنا فتدلّىٰ* فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾** [النجم/٧ ـ ٩].

أشار اليه السيّد المؤلّف في جامع الأسرار ص ٢٩٣ ونقد النّقود ص ٦٩٥، فراجع.

ب ـ از حضرت رسول اكرم منقول است كه فرمود:

«إنّ الزّمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله فيه السمٰاوات والأرض».

توضیحی دربارهٔ دائره‌های کتاب تفسیر.

بی فائده نخواهد بود كه عين عبارت جناب مؤلّف دربارهٔ دوائر موجود در تفسير (آن مقداری که در دست است) در اینجا نقل شود، مجموعاً نه دائره در نسخهٔ خطّی تفسير موجود است، سه دائره در مقدّمهٔ اوّل، دو دائره در مقدّمه ششم و چهار دائره در قسمت تفسير سوره حمد.

اينك ضمن ارائه تصويرى از آن دوائر اجمالی از سخنان مؤلّف را دربارهٔ آنها در اينجا نقل کرده و توضیح بیشتر و بیان محتوای آنها را به محلّ هر كدام محوّل می‌کنیم.

وامّا الدائرة الأولىٰ وهي دائرة الأسماء الحسنىٰ، وأمّا متن الدائرة فراجع التعليقة ٨٢ في المجلّد الأوّل فقد وضّحناها فيها تسهيلاً للقراءه، وأمّا ما قال السيّد المؤلّف فيها فهو هذا:

وأمّا الدائرة (الأسماء) فقد رتّبتها علىٰ الترتيب المذكور في أسماء الذات والصفات والأفعال، مشتملة علىٰ ثلاثة جداول، كلّ واحد منها مخصوص بقسم من الأقسام في هذه الأسماء بحيث يكون الجدول الأوّل القريب إلى الدائرة الوسطيّة المركزيّة الموضوعة للذات الأحديّة للأسماء الذاتيّة.

والجدول الثاني بعده للأسماء الوصفيّة.

والجدول الثالث بعدهما للأسماء الفعليّة.

وعيّنت فيها منشأ القران والحديث القدسي والحديث النبوي، ومنشأ الوحي والإلهام والكشف.

وطابقت هذا الباب بثلاثة من العوالم ، كالملك والملكوت والجبروت .

ووضعت فوق كلّ جدول من الجداول الثلاثة المذكورة في صورة الدوائر دائرة مخصوصة بتلك الأسماء أو الحضرة المخصوصة بها توضيحاً وتحقيقاً .

وأشرت إلىٰ أنّ هذه المراتب كلّها دائرة علىٰ الأسماء الأربعة من : الأوّل والآخر والظاهر والباطن :

وكتبت كلّ إسم من هذه الأسماء علىٰ طرف من أطراف الدوائر مشيراً إلىٰ أنّ الأسماء كلّها دائرة علىٰ هذه الأربع ، وإلىٰ أنّ معرفة الله تعالىٰ كبيت له أربعة أركان مايقوم ذلك البيت إلاّ بها ، وإلىٰ أنّ هذه الأسماء هي كلّيّات الأسماء كلّها .

وهذه هي صورة الدائرة :

[أنظر الصفحة التالية]

وأمّا الدائرة الثانية والثالثة فهما الدائرتان : الآفاقيّة والأنفسيّة ، تطبيقاً بالأقطاب والأئمّة صورةً ومعنىً .

أمّا متنهما فراجع تعليقتنا الرقم ١٦٨ في هذا المجلّد .

وأمّا ما قال السيّد المؤلّف فيهما فهذه عبارته :

إعلم أنّ رئيس المعارف كلّها ثلاثة ، معرفة الحقّ تعالىٰ ، ومعرفة العالم المسمّىٰ بالآفاق ، ومعرفة الإنسان المسمّىٰ بالأنفس ، لأنّ كلّ من حصلت له هذه المعارف الثلاث فقد حصلت له جميع المعارف من الملك والملكوت والجبروت ، وتحصيل هذه المعارف بدون تطبيق الآفاق بالأنفس مستحيل ممتنع . . . . وهذا التطابق يحتاج إلىٰ علم جمّ جامع للعلوم الظاهرة والباطنة أو إلىٰ كشف كامل جامع لكشف الصوريّ والمعنوي ، أو إلىٰ صحبة نبيّ كامل ، أو إمام معصوم ، أو إلىٰ صحبة من يكون علىٰ قدمهم .

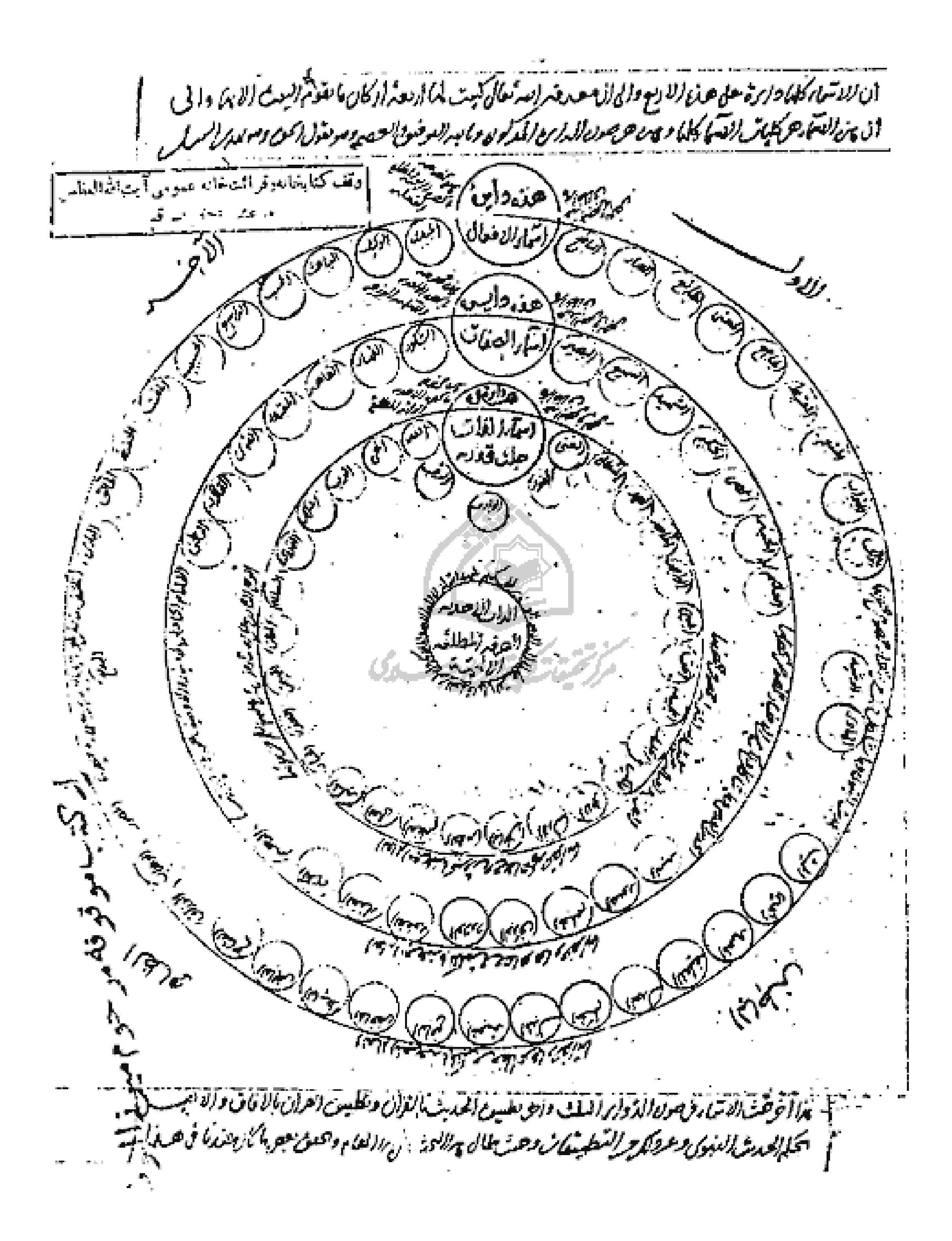
ونحن بعناية الله تعالىٰ وحسن توفيقه قد وضعنا لك دائرتين معتبرتين :

الأولىٰ مشتملة علىٰ الآفاقي وما يتعلّق به من العوالم صورةً ومعنىً .

والثانية علىٰ الأنفسي وما يتعلّق به من المراتب صورةً ومعنىً .

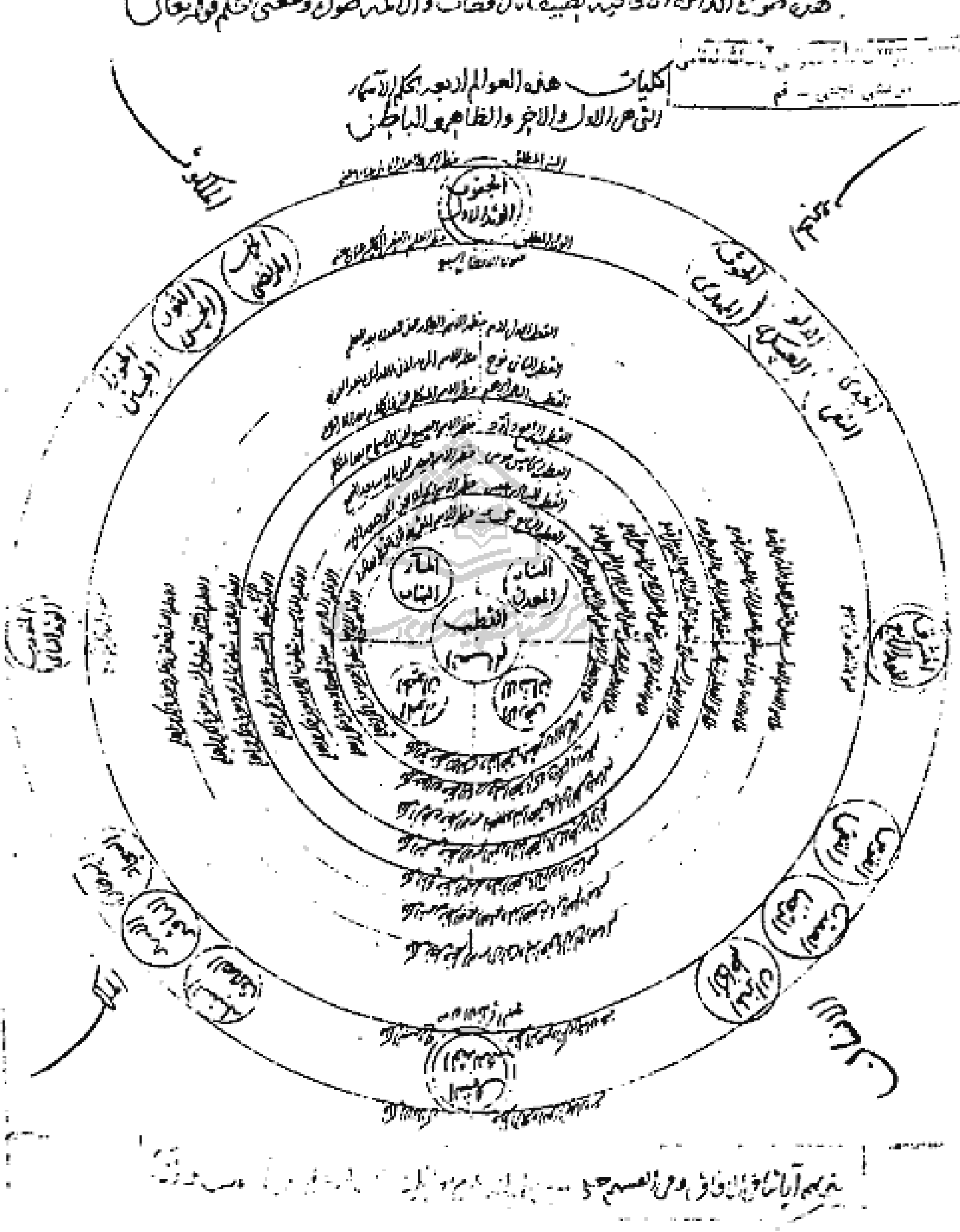
وقد بيّنا فيهما مراتب الأنبياء والأقطاب والأقاليم والبروج والكواكب والأئمّة والأوصياء علىٰ أحسن الوجوه .

فخذ بقدر استعدادك منهما ما شئت فإنّهما يعطيان لك ما أردت ، إلىٰ أن قال :



الدائرة الأولى: دائرة الأسماء الحسنى.

فارجع بجميع قلبك وخاطرك إلىٰ مطالعة الدائرتين الآفاقيّة والأنفسيّة اللّتين هذه صورتهما:



الدائرة الثانية: الدائرة الآفاقيّة.

وهذه صورة الدائرة الأنفسية تطبيقاً بالأقطاب والأسماء صورة ومعنى بحكم الطبائع

كليات هذه العوالم أربعة بحكم الطبائع
الأربعة في مظاهر العوالم أفراداً كما بالأسماء

العقل الكلي

العزام الجاذبة

الإنسان

الدائرة الثالثة : الدائرة الأنفسيّة.

وأمّا الدائرة الرابعة والخامسة وهما دائرتا الفرق من أهل الإسلام وأهل الكفر، يأتي متنهما في آخر المقدّمة السادسة أعني المجلّد الثالث من الكتاب.

وأمّا ما قال السيّد المؤلّف فيهما فيها، مع صورتهما:

إعلم انّ الدائرتين جعلناهما مشتملتين علىٰ اثنتين وسبعين فرقة من أهل الإسلام واثنتين وسبعين فرقة من أهل الكفر، ولم يتّفق لأحد من المتقدّمين والمتأخّرين بحسن هاتين الدائرتين ولا بلطفهما، وأشرنا إلىٰ تعريف كلّ واحدة واحدة من الطائفتين بشيء قليل لضيق المكان اختصاراً علىٰ مقدار تميّز هو من غيره، معتمداً علىٰ النقل الصريح والعقل الصحيح.

وفّقك الله تعالىٰ لفهم معانيهما ودرك فحاويهما، فإنّهما معظمتان معتبرتان مشتملتان علىٰ أبحاث كثيرة وأسرار جمّة.

وهذه صورة الدائرتين المجدولتين: [أنظر صورة الدائرتين في الصفحتين التاليتين]

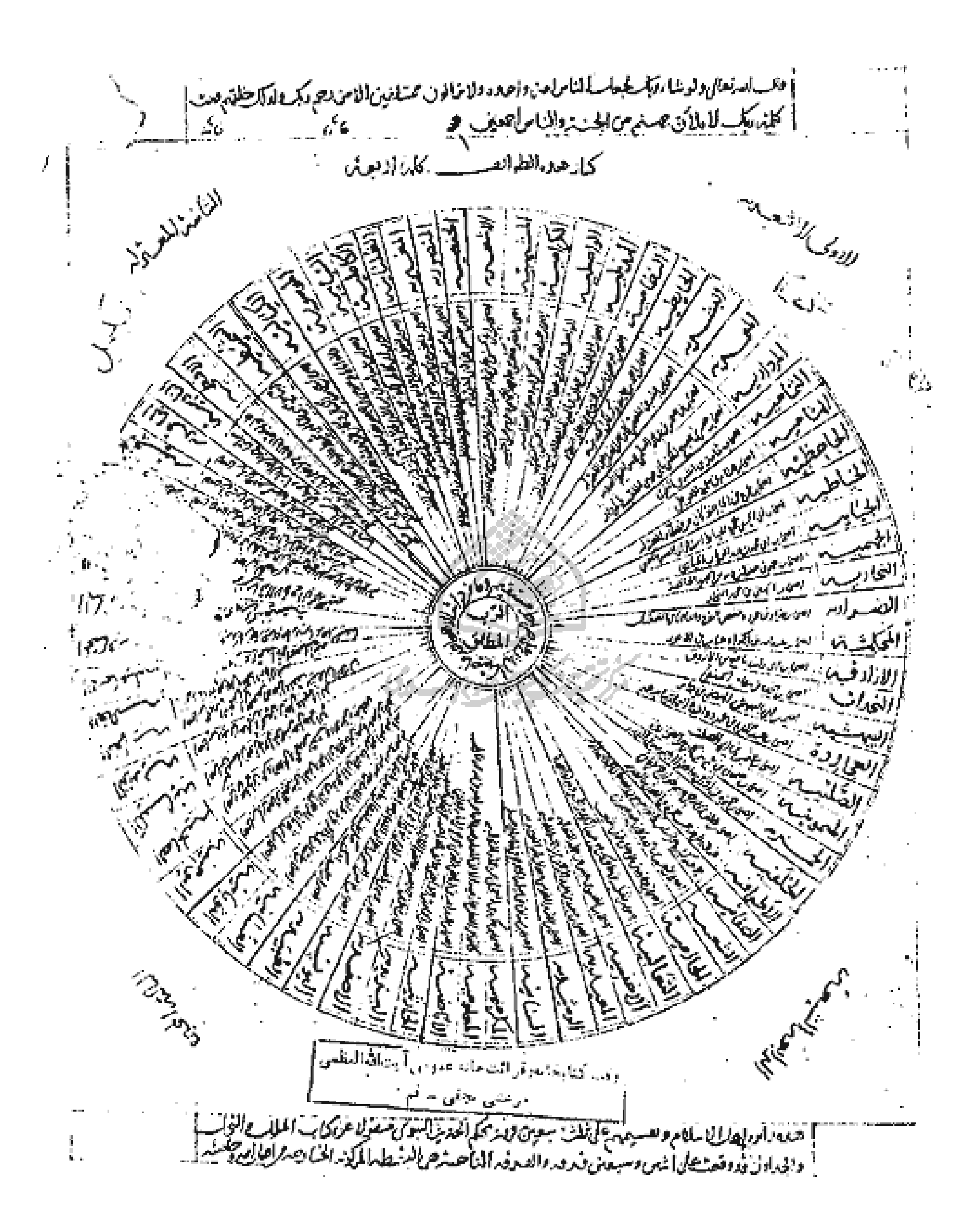
وأمّا الدائرة السادسة والسابعة وهما دائرتا العوالم الكليّة، يأتي متنهما في تفسير سورة الحمد في المجلّد الرابع إن شاء الله تعالىٰ.

وأمّا ما قاله السيّد المؤلّف فيهما وفي الغرض في انشاء الدائرة:

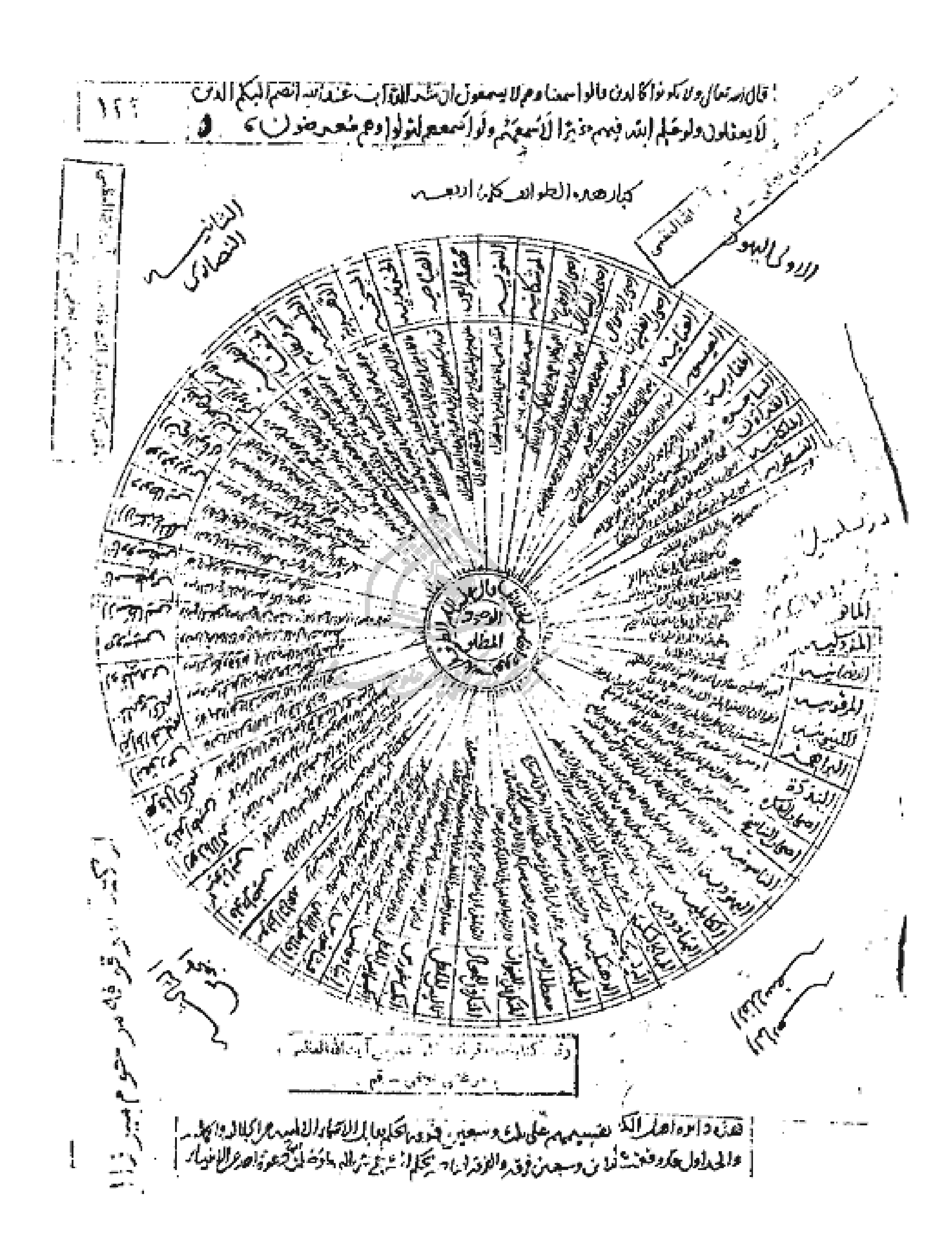
وإذا تحقّقت هذا وعرفت تطبيق العالم بحروف بسم الله الرّحمن الرّحيم مرّتين: الأُولىٰ علىٰ مذهب أهل الله وأهل التوحيد، والثانية علىٰ مذهب الحكماء من أرباب العقول.

فلنشرع فيه علىٰ سبيل التشكيل الصوري بطريق الدوائر والجداول، ونجعل لك هناك صورة دائرتين مشتملتين علىٰ هذه العوالم، الأُولىٰ علىٰ طريقة الطايفة الأُولىٰ، والثانية علىٰ طريقة الثانية.

والغرض من ذلك مؤانسة النفس بالقوى الخياليّة الحسّيّة وأخذ المعاني المعقولة عنها بواسطة الحسّ الخيالي، لأنّ التصرّف وإن كان للنفس في جميع الأمور لكن لها أسباب وآلات لاتتصرّف في شيء من الجزئيّات إلّا بها والحواس العشرة، هذه علّتها أي علّة إيجادها لتأخذ النفس بواسطتها حظّها من عالم عند تجرّدها عنها من عالم العقل، ومن هذا قيل إنّها مدركة للكلّيّات بذاتها وللجزئيّات بآلاتها لأنّها ما تتمكّن من التصرّف في شيء من عالم الحسّ إلّا بواسطة الحواس، وذلك لو لم يكن كذلك ما جعل الله تعالىٰ في كتابه الكريم أكثر الأخبار الغيبيّة والأسرار الأخرويّة



الدائرة الرابعة: دائرة الفرق من أهل الإسلام.



الدائرة الخامسة: دائرة الفرق من أهل الكفر.

في صورة مثال حسّي، وضرب مثل شهودي، كإخباره مثلاً عن اللّذات المعنويّة الحقيقيّة، والنعيم الجنانيّة الذوقيّة في صورة اللّبن والعسل والفاكهة والحور والقصور والغلمان والرضوان وأمثال ذلك، لأنّ هذه كلّها لو كانت من حيث الصورة كما تصوّرها المحجوبون لم يكن يقول في القرآن:

﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعلمون﴾ [السجدة/١٧].

ولم يكن يقول في الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر».

ولم يكن يقول العارف الرباني عليه السّلام:

«كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكلّ شيء من العقبىٰ عيانه أعظم من سماعه».

ولم يكن العارف يقول:

«إنّ لله تعالىٰ جنّة ليس فيها حور ولا قصور ولا لبن ولا عسل بل يتجلّىٰ فيها ربّنا ضاحكاً متبسّماً».

وهذا إخبار عن كمال الكشف ونهاية المشاهدة بالنسبة إلىٰ جماله وجلاله وإلاّ وهو منزّه عن الضحك الصوريّ والتبسّم الحسّي.

وكذلك قول النبيّ عليه السّلام:

«سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر».

فإنّه إخبار عن الكشف التامّ بحيث لايبقىٰ معه شك ولا شبهة المعبر عنه أيضاً بحق اليقين لقوله:

﴿إنّ هذا هو حقّ اليقين﴾ [الواقعة/ ٩٥].

وإلاّ وهو منزه عن رؤية البصريّة بمعاونة الحسّ، والدليل علىٰ هذا كلّه أنّه أخبر عن مشاهدته في صور الأسماء ومظاهرها الفعليّة بضرب مثل في صورة المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيتون وأمثال ذلك لقوله جلّ ذكره:

﴿الله نور السمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في

زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيّة﴾ [النور/٣٥].

فهذا لو لم يكن كذلك لم يكن نخبره عنه بهذا الوجه، فعرفنا أنّ المراد مثل هذا في جميع المواضع تقريب إلى المعاني المقصودة بالذات وإليه الإشارة بقوله أيضاً:

﴿ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون﴾ [الزمر/٢٧].

وسرّ هذه الأمثال المضروبة في صورة هذه الأشباح الحسّيّة وقد تقدّم (في الكتاب) مبسوطاً وسيجيء (في الكتاب) أبسط.

إلىٰ أن قال:

والغرض منه أن تعرف ان في أكثر المواضع من هذا الكتاب ذكر المعاني المعقولة والمعارف الكشفيّة في صورة أشكال ودوائر هذا هو لاغير أي ايصال المعاني إلىٰ الذهن بواسطة التشكيل الحسّيّ الصوريّ، وأيضاً قد ضربنا من أنفسنا وشاهدنا في عقولنا، أمّا إذا رأينا صورة مسألة عقلية في أشكال حسّيّة تميل قلوبنا إليها بعد أن كانت متنفّرةً عنها في غير تلك الصورة لأنّ كثيراً من المسائل قد رأيناه يشكل علينا في صورة المعقول ويسهل علينا في صورة المحسوس، وهذا أمر وجداني يجده كلّ عاقل من نفسه وأقلّ ذلك مشاهدة وحدة الوجود وكثرته في صورة البحر وأمواجه، فإنّ هذا من أشكل المسائل وأصعبها، ثمّ مشاهدته في صورة الواحد وكثرته العدديّة، وأمثال ذلك.

ويعرف صدق هذا أيضاً من الرؤيا في النوم، فانّ الرؤيا في الحقيقة ليست إلاّ مشاهدة عالم المعقول في صورة المحسوس لقوّة تصرّف الحسّ الباطن في تلك الحالة، سيّما القوّة الخياليّة المقيّدة المحاذية للقوّة الخياليّة المطلقة المعبّر عنها بعالم المثال المشتمل علىٰ العرش والكرسي والسمٰوات والأرضين وما بينهما من الموجودات.

وبالجملة بين النفس والحواس تعلّق العشق بسبب أنّها آلة لها بها تدرك المحسوسات وبها تحفظ المعقولات، فكلّما كانت المعاني في صورة الحواس أحسن والطف فأخذها منها يكون أسهل وأيسر. إلىٰ أن قال:

وأمّا الدائرة، فالدائرة الأولىٰ من الدائرتين وهي مشتملة علىٰ ثماني عشرة دائرة

ملصقة بالدائرة الكبرىٰ المحيطة فتلك صورة العوالم المعبّر عنها بثمانية عشر ألف عالم، والدائرة الوسيطة المخصوصة بالإنسان وهي تمام العدد المطابق لحروف بسم الله الّتي هي التسعة عشر، والدوائر الثلاث هي حواليها أعني علىٰ طرف الدائرة الوسيطة هي إشارة إلىٰ العوالم الثلاثة الإلهية المخفيّة بازاء الألفات الثلاثة المخفيّة في بسم الله الرّحمن الرّحيم، **الأولىٰ منها بين الباء والسين، والثانية بين لام الله وبين هائه، والثالثة بين ميم الرّحمن وبين نونه وعبّرت عنها الألفات الملفوظة لا الملكوته** هذا ترتيب الدائرة الأُولىٰ.

وأمّا الدائرة الثانية مرتبتها في الجداول هذا بعينه لكن يتغيّر بتعيّن العالم فيها بحسب الاصطلاح والعبارة، والعدد لايزيد علىٰ عدد حروف بسم الله الرّحمن الرّحيم، والدائرة بأسرها مشتملة علىٰ تسع عشرة دائرة فقط وهذه صورة الدائرتين وبالله التوفيق.

[أُنظر الصفحة التالية]

وأمّا الدائرة الثامنة وهي الدائرة الكليّة الوجوديّة (قاب قوسين) أمّا متنها وبيانها يأتي إن شاء الله في المجلّد الرابع في تفسير سورة الحمد، وأمّا ما قال المؤلّف (رض) فيها اجمالاً وهو هذا:

وإذا عرفت هذا (المطالب والضوابط والدلايل المذكورة فيه) فلنشرع في تحقيق تعيين الوجود وتقسيمه إلىٰ المطلق والمقيّد والواجب والممكن، وبيان أنّ الوجود في نفس الأمر واحد لكنّه بحسب الظهور والإعتبارات متكثّر وتلك الإعتبارات والظهور هي المسمّاة بالعالم، والعالم كالخط الوهمي الفرضي بين الدائرة الوجوديّة الواجبيّة كما سنشكّلها ونقرّرها في صورة جدول مشتمل علىٰ معنىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ.

إلىٰ أن قال:

ويعرف من هذا سرّ قاب قوسين، لأنّ نبيّنا صلّىٰ الله عليه وآله في آخر الأمر عند نهاية عروجه إلىٰ أوج السماء الأحديّة المعبّر عنه بالمعراج المعنويّ حيث حصل له هذا الشهود.

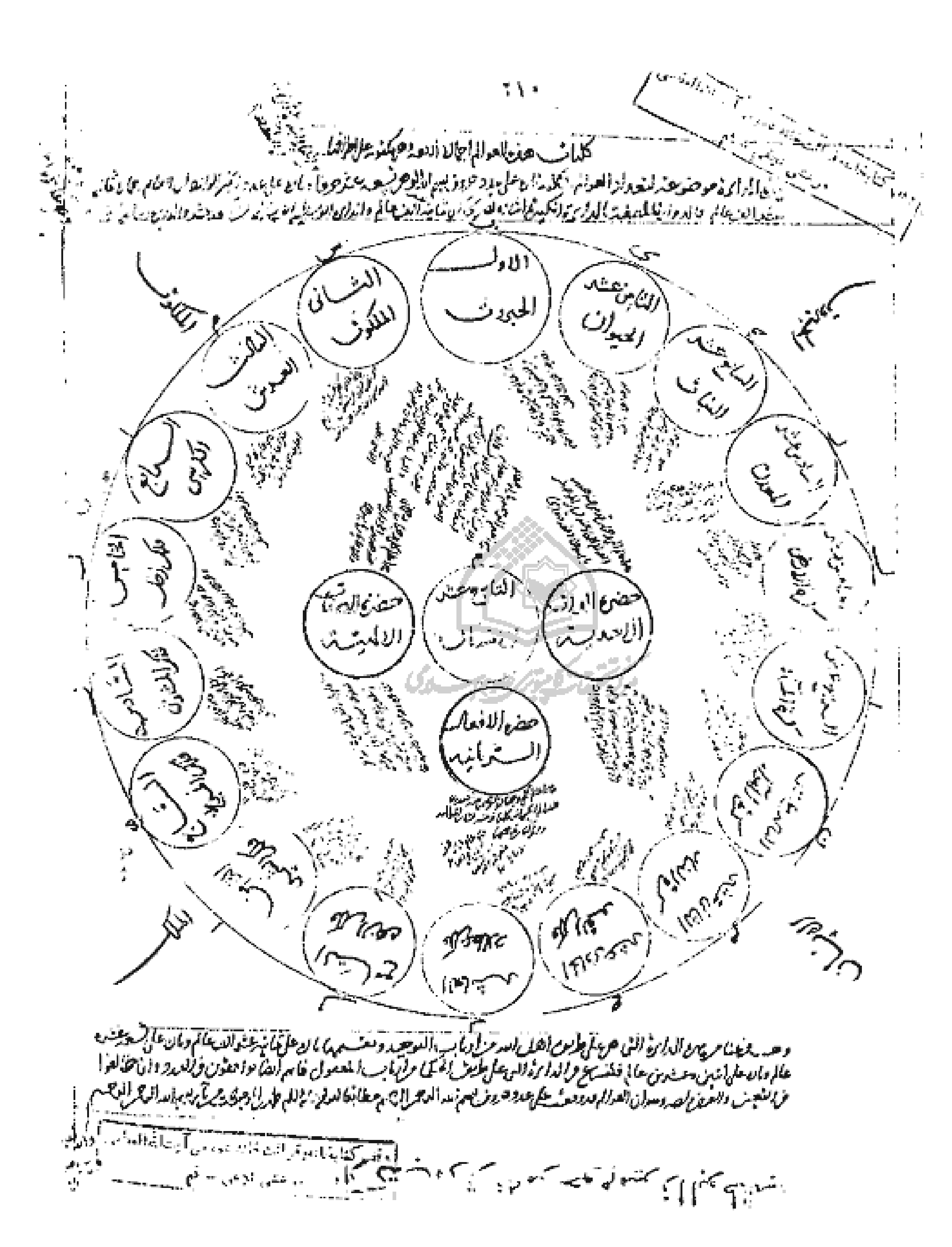
نجعل قوسي الوجوب والإمكان الذي يحصل من فرض خطّ وهميّ بين دائرة الوجود المطلق قوساً واحداً ودائرة واحدةً قال تعالىٰ في حقّه:

﴿ثمّ دنا فتدلّىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [النجم/٩].

لأنّ القوسين هٰهنا ليس إلاّ الوجود أي الوجود الواجبي الإلهي والوجود الإمكاني



الدائرة السادسة: دائرة العوالم الكلّيّة على مذهب أهل الله وأهل التوحيد.



الدائرة السابعة: دائرة العوالم الكلّيّة على مذهب الحكماء من أرباب العقول.

الخلقي اللّذان هما في الحقيقة واحد كما بيّناه:

إن الوجود من حيث هو وجود واحد والباقي موجود بالإضافة إليه.

إلىٰ أن قال:

وحيث إنّ بين الحسّ والعقل والكشف رابطة كلّيّة ومناسبة أزليّة وجوديّة نجعل هذه المعاني في صورة أشكال جمعيّة دوريّة، لأنّ الحقايق الكشفية مثلاً إذا لم يكن التعبير عنها كالذّوقيّات والبديهيّات يجب إنزالها إلىٰ المراتب العقليّة ليفهم بواسطتها المقصود منها، وكذلك المعارف العقليّة إذا لم يمكن التعبير عنها كالكشفيّات بالنسبة إلىٰ العقليّات يجب إنزالها إلىٰ المراتب الحسّيّة.

وبالله التوفيق والعصمة وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(وهذه هي صورة الدائرة والجدول: قاب قوسين:) [أُنظر الصفحة التالية]

وأمّا الدائرة التاسعة وهي دائرة النبوّة المطلقة، أمّا متنها وبيانها تفصيلاً يأتي إن شاء الله في المجلّد الرابع، وأمّا ما قال المؤلّف السيّد فيها إجمالاً وتلخيصاً منّا وهو هذا:

وحقيقة هذه الدوائر هي الروح الأعظم الّذي هو حامل معنىٰ النبوّة، وله بداية هي أوّل نقطة الإنباء وهو وجود آدم عليه السّلام، وحركة دوريّة في نقط وجودات الأنبياء عليهم السّلام، ونهاية منطبقة علىٰ البداية هي النقطة الأخيرة المحمّديّة صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وهذا البيان يرشد إلىٰ معنىٰ قوله:

«إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله فيه السمٰوات والأرض».

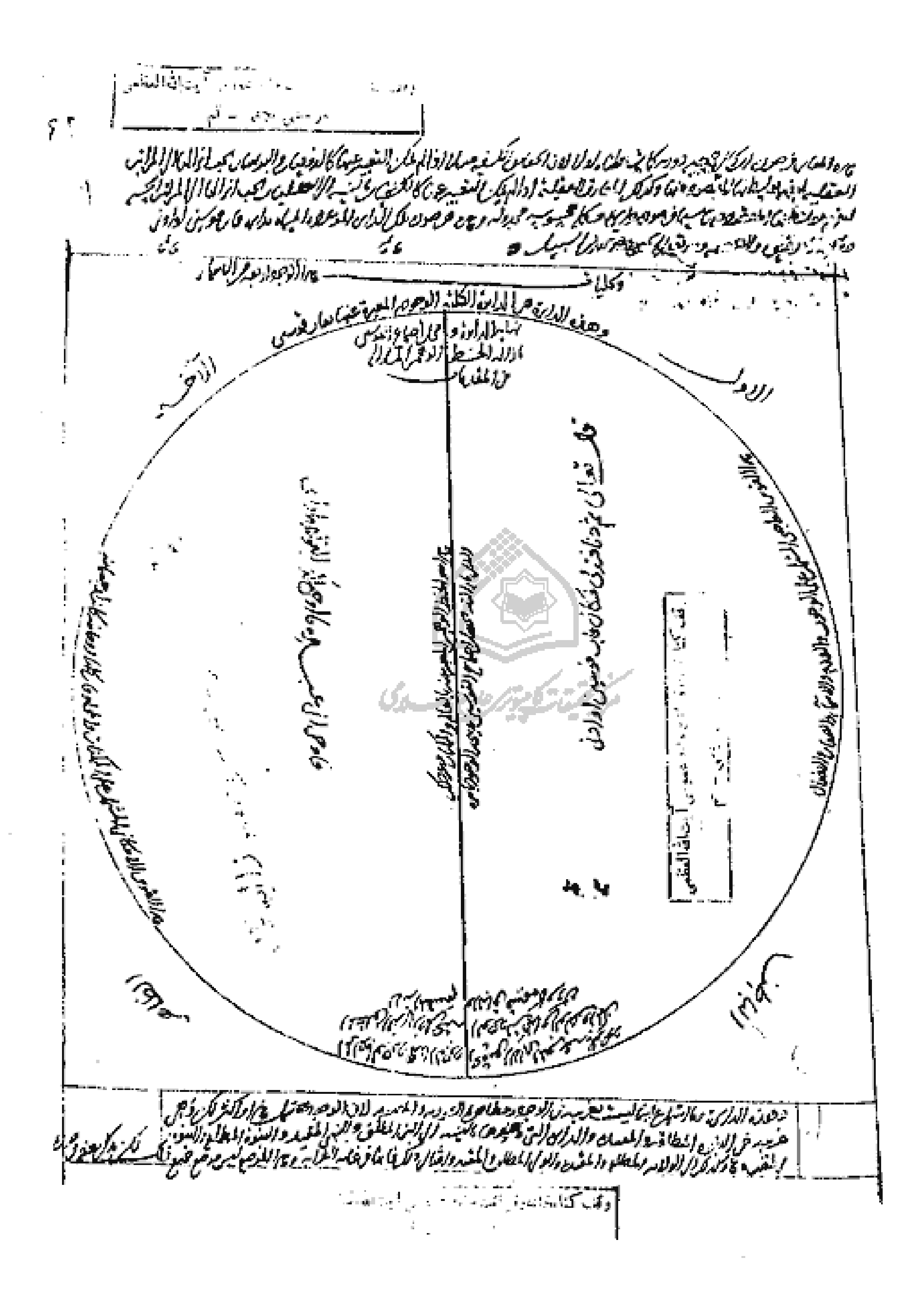
فظهر من ضرب هذا المثل أنّ نبوّة الرسول عليه أفضل الصلوات، ذاتيّة دائمة لأنّها المنتهىٰ ومنتهىٰ عين المبتدأ، والمبتدأ هو الروح الأعظم المتجلّي في كلّ نقطة من نقط الإنباء بوصف من أوصافها وفي نقطة الصورة المحمّدية بذاتها.

وكما انّ النبوّة دائرة متألّفة في الخارج من نقط وجودات الأنبياء كاملة بوجود النقطة المحمّديّة(ص) فالولاية ايضاً دائرة متألّفة في الخارج من نقط وجودات الأولياء، كاملة بوجود النقطة الّتي ستختم بها الولاية وهو المهدي عليه السّلام.

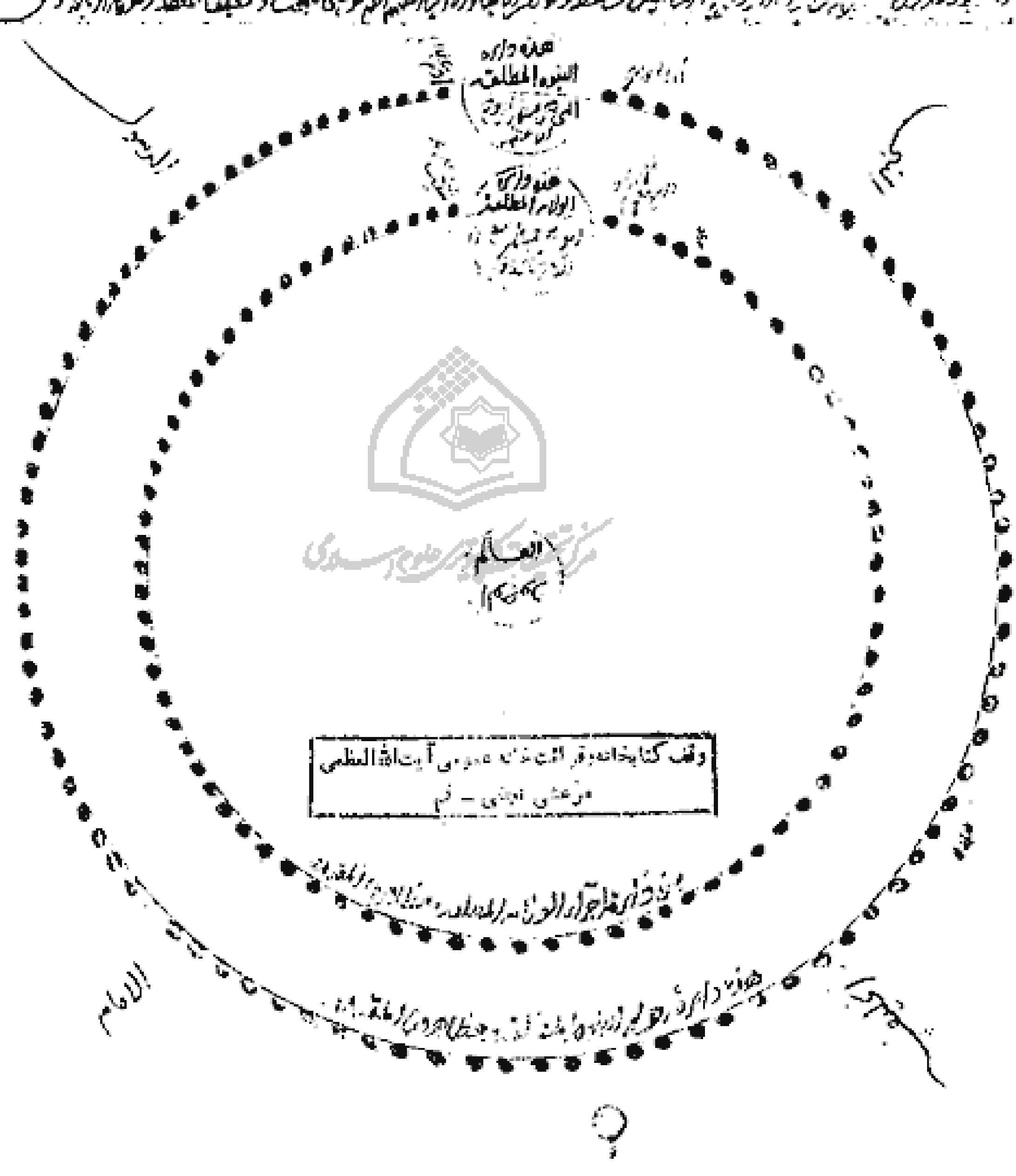
(وهذه هي صورة دائرة النبوّة المطلقة والولاية المطلقة:) [أُنظر الصفحة ١١٣]

وأمّا الدائرة العاشرة وهي دائرة الولاية المطلقة،

وهي مع الأسف غير موجودة في النسخة التي عندنا وهي مفقودة عنها، ويأتي



الدائرة الثامنة: الدائرة الكلّيّة الوجودية (قاب قوسين).



الدائرة التاسعة : دائرة النّبوّة المطلقة والولاية المطلقة .

بيان ما قال فيها المؤلّف من البيان تفصيلاً في المجلّد الرابع في تفسير سورة الحمد، وأمّا ما قال به تلخيصاً منّا وهو هذا:

وحيث إنّ هذه الدائرة (الدائرة التاسعة) وقعت مرموزة شديدة الفهم بعيدة الغور، نشكّل دائرة أُخرىٰ في هذا المعنىٰ أوضح منها ليسهل عليك وعلىٰ غيرك إدراكها وإدراك ماضمنها من الأمور والأسرار، لأنّ نظرنا ونظر أهل الله من أصحابنا دائماً علىٰ إيصال المعاني والمعارف إلىٰ الأذهان والأصماع، لا على الإغلاق والاشكال كما هو عادة الغير من علماء الظاهر وأرباب المعقول، ونريد أن نضيف إليها جدولاً آخر فوق الجدولين محيطاً بهما مشتملاً علىٰ الأسماء الإلهيّة الّتي النبوّة والولاية مطلقاً ومقيّداً من مظاهرها ومجاليها بحيث نجعل موضع كلّ نقطة من نقط الدوائر الثلاث أمّا إسماً من أسماء الله، أو إسم نبيّ من أنبياء الله، أو إسم ولي من أولياء الله، موضوعة في الدائرة الملصقة بالدائرة المحيطة بها، ونعيّن فيها الإسم الأعظم الّذي كلّ الأسماء تحته، ونعيّن فيها أوّل مظهر منها في الأنبياء، وكذلك آخر مظهرٍ منهم، ونعيّن أوّل مظهر من الأولياء وآخر مظهر منهم، ونعيّن أيضاً مظهر النبّوة المطلقة والمقيّدة، ومظهر الولاية المطلقة والمقيّدة، ومحلّ الفيض الخاصّ والعام، والتجلّي الخاصّ والعامّ.

وحيث تقرّر انّ أوّل مظهر من مظاهر النبوّة المطلقة بحكم الأسماء الإلهيّة وهو أبونا آدم عليه السّلام نجعل أوّل نقطة ودائرة مخصوصة به في أوّل الدائرة المحيطة بكلّ منهم، وحيث تقرّر أنّ آخر مظهر من مظاهر النبوّة المقيّدة محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم نجعل أوّل نقطة ودائرة مخصوصة به في آخر الدائرة المحيطة لكلّ منهم، وكذلك بالنسبة إلىٰ الأولياء أعني نجعل أوّل مظهر من مظاهر الولاية المطلقة شيث عليه السّلام ونجعل أوّل نقطة ودائرة مخصوصة به في أوّل الدائرة المحيطة لكلّ منهم ونجعل آخر مظهر من مظاهر الولاية المقيّدة المهدي عليه السّلام ونجعل آخر نقطة ودائرة مخصوصة به في آخر الدائرة المحيطة لكلّ منهم. إلىٰ أن قال:

وبناءاً علىٰ هذا يجب أن يكون خاتم الأولياء مطلقاً غير منفكّ عن خاتم الأنبياء حقيقةً ومعنىً، وكذلك حقيقته عن حقيقته، وليس هذا المعنىٰ صادقاً إلاّ علىٰ عليّ عليه السّلام عقلاً ونقلاً وكشفاً، فيجب أن يكون خاتم الأولياء مطلقاً هو لا غيره، وكذلك خاتم الأولياء مقيّداً لايجوز أن يكون إلاّ المهدي عليه السّلام فإنّه منهم ومن حقيقتهم، والحقايق الثلاث المذكورة في الحقيقة واحدة، فجميع الأنبياء يجب ان

يكونوا مظهراً لخاتم الأنبياء الّذي هو محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وجميع الأولياء يجب أن يكونوا مظهراً لخاتم الأولياء مطلقاً وهو عليّ عليه السّلام. . . ،

واذا عرفت هذا فلنشرع في صورة الدائرة المودعة وهي هذه:

(وهي كما ذكرنا مفقودة ولم نجدها في النسخة مع الأسف).

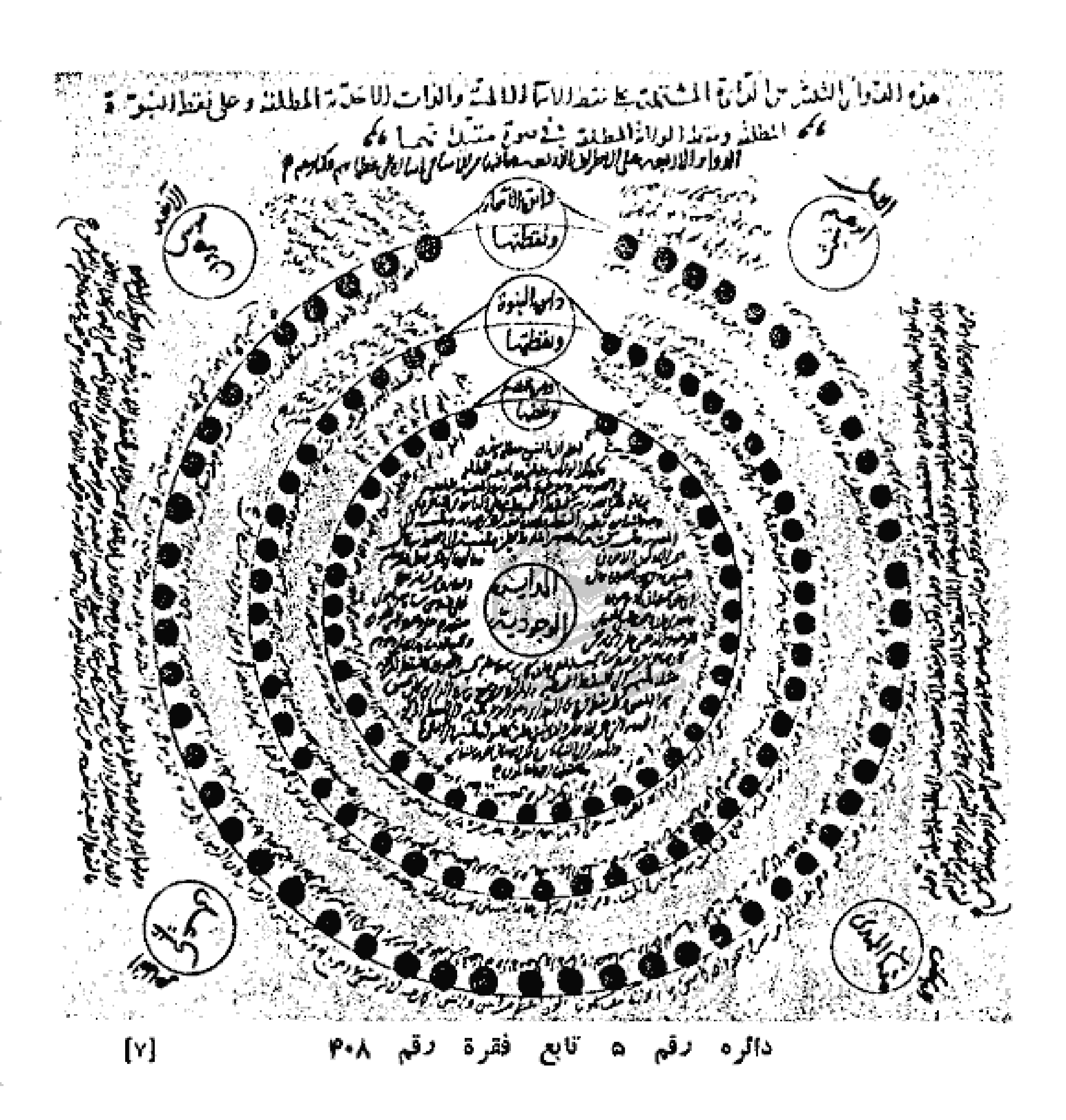
ولمشابهة الدائرتين الرقم ۵۹۶ في مقدّمات كتاب نص النصوص للدائرة العاشرة المذكورة مشابهة مّا في الجملة ضممناهما هٰهنا [أنظر الصفحتين التاليتين]

در تاريخ تأليف و تصنيف كتب و رسائل، بسيارى از علماء در علوم مختلف از جمله عرفان ـ فقه ـ اسطرلاب ـ هيئت و نجوم ـ علوم رياضى ـ انساب ـ طبقات و مشايخ رجالى ـ ادعيه ـ حروف و اعداد ـ علوم غريبه، كتابها ورساله‌هائى به‌صورت دوائر و جداول و مشجرات نوشته‌اند، جمع‌آورى نام و مشخصات اين كتب و مؤلّفين آنها مجموعاً يك كتاب قطور ترجمه و تذكره و فهرس مى تواند باشد، و حاكى از دقّت و عمق و در عين حال سليقه و ذوق و هنر علماء اسلام دارد، همان‌گونه كه از كلمات جناب سيّد حيدر و جناب محيى الدين هم استفاده مى‌شود، اينگونه نويسنده‌ها و مؤلّفين از علماء سعى و همّتشان اين بوده است كه مطالب غميق و دقيق را در قالبى بيان كنند كه براى متعلم آن علم و مطالعه كنندهٔ آن كتاب و رساله به‌سهولت قابل درك باشد.

و اين يك واقعيتى است كه بايد مورد توجّه قرار گيرد، خصوصاً در اين عصر كه وسائل مختلف هنرى و كامپيوترى وجود دارد و مى تواند براى تبليغ اسلام و نشر معارف قرآن و حقايق علوم أهل بيت عصمت وطهارت بسيار بسيار نافع و سودمند باشد.

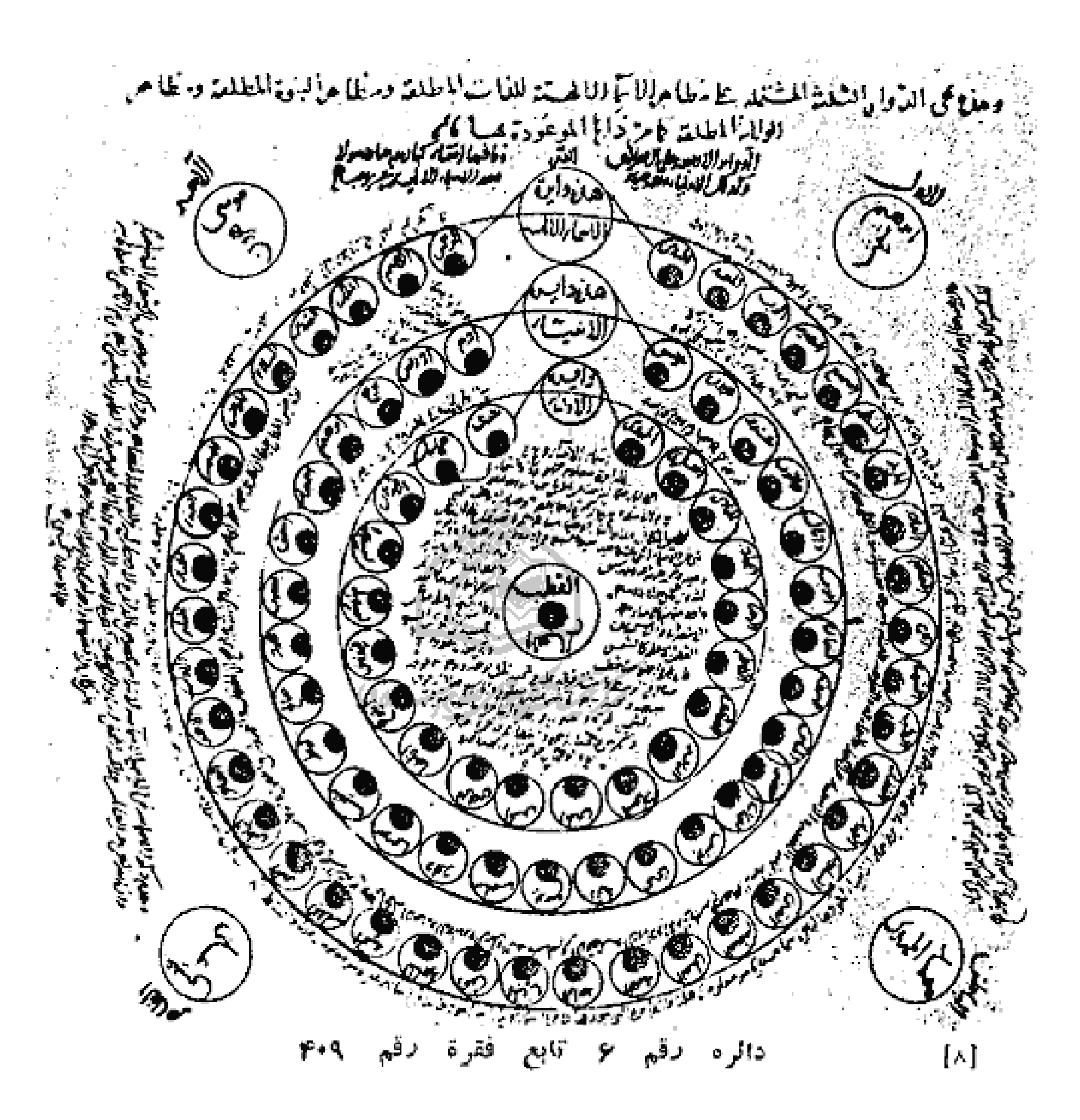
از جمله كتابهائى كه تحت عنوان دواير نوشته شده‌است كتاب انشاء الدوائر از جناب محيى الدّين عربى است، جناب محيى الدين در ص ۶ آن كتاب درباره انشاء دائره و نوشتن مطالب به صورت جداول مى گويد:

. . . . كل ذلك وأشباهه في ابواب مبوّبة في هذا المجموع وأشكال منصوبة بصناعة عمليّة ليقرب علىٰ الطالب مأخذ الفوائد والمعاني منها ويتصوّر المعنىٰ في نفسه صورةً متجسّدة تسهل عليه العبارة عنها لقوّة حصولها في الخيال ويحرص الناظر علىٰ استيفاء النظر حتّىٰ يقف علىٰ كلّيّة معانيها، إذ المعنىٰ إذا أدخل في قالب الصورة والشكل تعشّق به الحسّ وصار له فُرجة يتفرّج عليها ويتنزّه فيها فيؤدّيه ذلك إلىٰ



دائره رقم ٥ تابع فقرة رقم ٤٠٨ [٧]

الدائرة العاشرة: بالنظر لفقدان هذه الدائرة العاشرة فقد استعنّا بالدائرتين رقم ٥٩٦ من مقدّمات كتاب نص النصوص لوجود بعض التشابه.



[٨] دائره رقم ٦ تابع فقرة رقم ٤٠٩

تحقيق ما نصب له ذلك الشكل وجسّدت له تلك الصورة فلهذا أدخلناه في التصوير والتشكيل. إنتهىٰ كلامه.

نذكر هنا بعض الكتب التصويريّة والشجريّة والدائريّة.

منها كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين للفلكيّ الشهير أبي الحسين عبدالرحمن بن عمر الرّازي المعروف بالصّوفي المتوفّىٰ ٣٧٦ وهو كتاب مفيد وجميل جداً.

ومنها مشجرة إجازات العلماء الإماميّة للسيّد أبي القاسم الطباطبائي التبريزي المتوفّىٰ ١٣٦٢.

ومنها مشجرة مواقع النجوم للمحدث المتتبّع الحاج الميرزا حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل المتوفّىٰ ١٣٢٠.

ومنها دوائر العلوم وجداول الرسوم ويسمّىٰ تحفة الخاقان أيضاً وهو تأليف الميرزا محمّد الإخباري الإستراَبادي النيشابوري المتوفّىٰ قتيلاً ١٢٣٢، جمع فيه علوماً كثيرة غريبة وغير غريبة.

وفيه دوائر كثيرة في العوالم، والمعارف، والقرآن، والنبي(ص) والفلكيات، والرمل، والأعداد والحروف، وسائر العلوم الغريبة، والبروج، والملوك، واحكام النجوم، والعقل والجهل والقلب، والبلاد، والجواهر والأغراض، والفقه والأصول وغير ذلك فراجع المطبوع والمخطوط، والمخطوط منه محفوظ في المكتبة العامة للعلاّمة الحجّة المرعشي النجفي في بلدة قم تحت الرقم ٥٢٧٥.

ويليه رسالة مشجّرة في نسب النبيّ(ص) والوليّ عليه السّلام للشيخ يوسف بن حسن بن عبدالهادي الحنبلي.

كتمان الأسرار والوصيّة به

من جملة ما اختص به العرفاء والفلاسفة الأجلاّء والعلماء بالله الربانيّون هو كتمان الأسرار والوصيّة به، ومن هذا خصّ المؤلّف السيّد في مقدّمات كتابه نصّ النّصوص وفي كتابه جامع الأسرار فصلين في بيان هذا الكتمان وعلّته والوصيّة به، مضافاً على خاتمة كتابه جامع الأسرار وهي أيضاً في الوصيّة.

قال في عنوان الفصل في نصّ النّصوص ص ٣٢ ـ ٤٢ :

الوصيّة في كتمان العلوم الإلهيّة .

وقال في عنوان الفصل في جامع الأسرار ص ١٩ ـ ٤٨ :

مقدّمة مشتملة علىٰ كتمان الأسرار المودعة في هذا الكتاب عن غير أهلها .

نذكر هٰاهنا بعض كلمات المؤلّف اوّلاً وبعض الوصايا بالكتمان عن بعض الاعلام ثانياً .

قال في جامع الأسرار ص ١٩ :

وأسرار الله تعالىٰ كلّها أماناته في أرضه وقلوب أوليائه ، فأوصيك بكتمانها وإخفائها وصيّة واجبة ، تحفظ بها نفسك ونفس غيرك من الضرر العاجل الّذي هو القتل أو الصلب أو الرجم ، والضرر الآجل الّذي هو النار أو السخط أو العذاب ، لأنّ الإهمال بالأمر الواجب موجب للسياسة الشرعيّة في الظاهر ، والسياسة الإلهيّة في الباطن بمقتضىٰ حكمته ومشيئته وذلك تقدير العزيز العليم .

وهذا أمرٌ أمر الله تعالىٰ به عباده المخلصين من الأنبياء والأولياء عليهم السّلام ، وبالغ معهم ، وأمرهم أيضاً أن يأمروا بذلك ويبالغوا فيه ، ولذلك لم يزالوا آمرين به مبالغين فيه ، حتّىٰ قالوا : إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر ، وهتك أستار الإلوهيّة زندقة .

إلىٰ أن قال :

وبالجملة ، الخيانة في هذه الأمانة هي إيداعها عند غير أهلها ، وإمساكها عن أهلها ، وكلاهما غير جائز ، وإليه أشار جلّ ذكره في قوله :

﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ .

أي : لاتخونوا الله والرسول بإيداع أسرارهم عند غير أهلها .

إلىٰ أن قال :

ومنها قول النبيّ (ص) :

«من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ، ومن منع عن أهلها ظلم ، إنّ للحكمة حقاً وإنّ لها أهلاً فأعط كلّ ذي حقّ حقّه» .

إلىٰ أن نقل عن عليّ عليه السّلام :

«والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكنّي أخاف أن يكفروا برسول الله» .

إلىٰ أن قال:

انّه مرويّ برواية صحيحة، عن كلّ واحد منهم (عليهم السّلام):

«إنّ أمرنا صعب مستصعب، لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

وقال:

«خالطوا النّاس بما يعرفون، ودعوهم بما ينكرون، ولاتحملوا علىٰ أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب» الحديث.

إلىٰ أن قال:

وروىٰ محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن جابر، عن الصادق عليه السّلام، انّه قال:

«أمرنا سرّ مستور في سرّ، وسرّ مستتر، وسرّ لايفيده إلاّ سرّ، وسرّ علىٰ سرّ، مقنّع بسرّ».

وروىٰ أيضاً أنّه قال:

«انّ أمرنا سرّ مستور في سرّ، مقنّع بالميثاق، من هتكه أذلّه الله».

إلىٰ أن قال:

وإلىٰ كتمان هذا السرّ اشار بقوله عليه السّلام:

«التقيّة ديني ودين آبائي، فمن لا تقيّة له لا دين له».

إلىٰ أن قال:

وإذ تحقّق هذا، فعليك بحفظ هذه الأسرار وكتمانها وإخفائها عن غير أهلها، لأنّه ليس علينا غير الّذي فَعَلْناه، وما علىٰ الرسول إلاّ البلاغ.

فراجع أيُها القاريُ العزيز في توضيح كلّ مانقلناه جامع الأسرار ص ١٩ إلىٰ ٤٨ في مقدّمة الكتاب، وأيضاً خاتمة الكتاب.

وأيضاً قال في كتابه نصّ النّصوص ص ٣٤:

وعند التحقيق كلّ فساد حصل في الدين والإعتقاد، وكلّ طعن ظهر في حق العارفين والمحقّقين لم يكن إلاّ من عدم الفهم في كلمات الله وكلمات أنبيائه وأوليائه، وسوء التصرّف فيها وفي معانيها وحقائقها.

وذلك من كمال بعدهم عن مقامهم ـ أي بعد عامّة أصحاب الدين عن مقام

الأنبياء والأولياء ـ وطردهم عن منزلتهم، لقوله تعالىٰ:

﴿وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لايتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً﴾ [الأعراف/١٤٦].

ولقوله:

﴿ومنهم من يستمع إليك حتّىٰ إذا خرجوا من عندك قالوا للّذين أُوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله علىٰ قلوبهم واتّبعوا أهواءهم* والّذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم * فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ [محمّد(ص)/ ١٦ - ١٨].

ومن هنا كان دائماً أولياء الله وخلفاؤه يتبادرون في الوصيّة لمريديهم وأصحابهم وأُخوانهم وتابعيهم ويبالغون فيها، حتّىٰ لايتصرّفوا في كلامهم وكلام أمثالهم بغير الشروط الّتي قرّرناها من الإستعداد الجبلّي والمناسبة الذاتية والقرابة المعنويّة. . . .

والغرض انّ فهم كلام هٰؤلاء القوم في غاية الصعوبة، خصوصاً اذا كان من معدن النبوّة ومنبع الرسالة ومشرب الولاية، فيجب علىٰ الطالب تحصيل شرائط الفهم أوّلاً، ثمّ الشروع فيه كما بيّنّاه مراراً، وإذا فهم الطالب وعرف وأدرك وتحقّق يجب عليه وجوباً لازماً اخفاؤه عن الأغيار، واظهاره عند الأسرار، لئلا يتّصف بالظلم والسفه، لقولهم:

فمن منح الجهّال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

إلىٰ أن قال:

والمقصود كلّ المقصود هنا التأكيد في المحافظة علىٰ الأسرار الإلهيّة عن غير أهلها بعد الفهم، والمبالغة في إخفائها عن الأغيار بعد الإدراك، لقوله تعالىٰ:

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾ [النساء/٥٨].

ولقول عيسىٰ عليه السّلام:

«كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء موضع الداء».

وإلاّ فمن زمان آدم إلىٰ محمّد(ص) مانزل كتاب من السماء على نبيّ من الأنبياء إلاّ وأنكر عليه أكثر أُمّته وأغلب أهل زمانه، خواصّاً كانوا أو عواماً.

وكذلك ما صنّف أحد من الأولياء والمشايخ كتاباً إلاّ وأنكروا عليه كذلك.

ومنها القرآن الّذي هو أعظم الكتب وأجلّها، ونزل علىٰ أعظم الأنبياء وأجلّهم،

فإنّهم قالوا فيه:

﴿ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين﴾ [الأنعام/ ۲۵].

وقالوا:

﴿إن هذا إلاّ سحر مبين﴾ [الأنعام/۷].

حتّىٰ قال تعالىٰ فيهم:

﴿قل هو للّذين آمنوا هدىً وشفاء والّذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصّلت/۴۴].

وقال:

﴿يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين﴾ [البقرة/۲۶].

وأحواله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع أُمّته وأصحابه في حال حياته وبعد وفاته معلومة مشهورة غير خفيّة علىٰ أحد من المسلمين، لأنّهم في حال حياته نسبوه إلىٰ السحر والشعر والكذب والافتاء والجنون والجهل، وبعد وفاته قصدوا أهله وأولاده حتّىٰ أحرقوا كتابه، وقتلوا أولاده ونهبوا أمواله، وخرّبوا بلاده، مع أنّه عليه الصلاة والسّلام قال:

«إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» الحديث.

فراجع في تفصيل ما نقلناه نصّ النّصوص ص۳۲ ـ ۴۲.

البتّه كتمان أسرار همان حقيقى است كه حضرت رسول (ص) مى فرمود:

«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس علىٰ قدر عقولهم».

ولهذا حضرات معصومين عليهم السّلام هر مطلبى را به هر كسى نمى گفتند، غرر معارف و غرر احاديث را به افراد خاصّى بيان مى كردند.

معارفى كه به امثال سلمان، كميل، هشام بن سالم مثلاً، گفته مى شده به ديگران نمى فرمودند، و به‌همين جهت بعضى از احاديث و غرر اخبار كه متضمّن معارف بلند هستند، داراى سند واحد، يا احياناً بدون سند، و يا مجهول السند و گاهى هم بصورت نوادر، نقل شده‌است، و بعضى از راويان آنها را به غلوّ متّهم كردند.

جمع آورى اين قبيل از غرر احاديث خود احتياج به تحقيق و تتبّع و سعيى دارد و نهايتاً خدمت بزرگى خواهد بود.

اصـولاً موضـوع كتمان و اذاعه از جمله موضوعاتى هستند كه در روايات و سخنان حضرات معصومين عليهم السّلام مورد توجّه قرار گرفته و مطرح شده است، و جناب كلينى رحمة الله عليه در كتاب شريف اصول كافى در دو باب تحت عنوان باب الكتمان و باب الإذاعة رواياتى را نقل كرده است:

از جمله خبر ٣ و ٥ و ٨ و ١١ باب كتمان در ص ٥ ـ ٢٢٢ ج ٢ از باب كتمان و دو خبر ١ و ٧ از باب إذاعه ص ٣٦٩، را ذيلاً نقل مى كنيم.

الف ـ قال الصادق عليه السّلام:

«يا سليمان (سليمان بن خالد) إنّكم علىٰ دين من كتمه أعزّه الله، ومن أذاعه أذلّه الله».

ب ـ قال الصادق عليه السّلام:

«إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقطّ، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله».

ج ـ قال الصادق عليه السّلام:

«يا معلّىٰ (معلّى بن خُنيس) اكتم أمرنا ولاتذعه، فإنّه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزّه الله به في الدّنيا وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة، يقوده إلى الجنّة» الخبر.

د ـ قال الصادق عليه السّلام: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم:

«طوبىٰ لعبد نؤَمَةٍ، عرفه الله ولم يعرفه النّاس، أولئك مصابيح الهدىٰ وينابيع العلم ينجلى عنهم كلّ فتنة مظلمة، ليسوا بالمذاييع البذر ولا بالجفاة المرائين» الحديث.

هـ ـ قال الصادق عليه السّلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ عيّر أقواماً بالإذاعة في قوله عزّ وجلّ:

﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به**﴾ [النساء/٨٢] فإيّاكم والإذاعة».

و ـ قال الصادق عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ:

﴿**ويقتلون النبيّين بغير حقّ**﴾ [البقرة/٦١].

«أما والله ما قتلوهم بأسيافهم ولكن أذاعوا سرّهم، وأفشوا عليهم فقُتلوا».

فرمايش حضرت أميرالمؤمنين

قال علي عليه السّلام:

«ها إنّ هٰهنا لعلماً جمّاً (وأشار بيده إلىٰ صدره) لو أصبتُ له حملةً، بلىٰ أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ومستظهراً بنعم الله علىٰ عباده وبحججه علىٰ أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لابصيرة له في أحنائه ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللّذّة سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والإدّخار ليسا من رُعاة الدّين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة!».

لذلك يموت العلم بموت حامليه. [نهج البلاغة، الكلام ١٤٧ ـ صبحي الصالح].

صرّح عليه السّلام أنّ من فيه هذه الأوصاف ولو كان في العلوم متبحّراً أو مجتهداً مثلاً فإنّه لايليق علىٰ تحمّل العلوم الإلهيّة والمعارف الحقّة فإنّها لمن آمن بالحق سبحانه وجاهد فيه تعالىٰ فتأمّل في آيات القرآن ذيلاً:

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ [يوسف/١٠٦].

﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [العنكبوت/٦٩].

﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن/١١].

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور/٤٠].

وروى عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله:

«دبيب الشرك في أُمّتي أخفىٰ من دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصمّاء في اللّيلة الظلماء».

هذا فقد ظهر من ذلك كله معنى الكريمتين وما معنى العالم ومن هو وما معنىٰ الشكور ومن هو:

﴿انّما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾ [فاطر/٢٨].

﴿وقليلٌ من عباديَ الشكور﴾ [سبأ/١٣].

إشعار منسوب به حضرت على بن الحسين امام سجّاد عليه السّلام دربارهٔ كتمان:

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرىٰ الحقّ ذو جهل فيفتتنا

وقــد تقــدّمنــا فيهــا أبــو حســن مع الحسين ووصّي قبلهـا الحسنا
يا ربّ جوهــر علم لو أبــوح به لقيل لي: أنت ممّن يعبد الـوثنـا
ولاستحــلّ رجـال مسلمـون دمي يرون أقبــح ما يأتــونــه حسنــا

وأمّا كلمات غير المؤلّف من الأعلام في كتمان الأسرار فراجع أوّلاً كتاب بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله تعالىٰ ج ٢ ص ١٨٢ الباب ٢٦: باب أنّ حديثهم عليهم السّلام صعب مستصعب وانّ كلامهم ذو وجوه كثيرة وفضل التدبّر في أخبارهم عليهم السّلام والتسليم لهم والنهي عن ردّ أخبارهم.

وأيضاً الباب ٢٧ من المجلّد الثاني ص ٢١٢: باب العلّة الّتي من أجلها كتم الأئمّة عليهم السّلام بعض العلوم والأحكام.

ونذكر من الأعلام الشيخ الرئيس إبن سينا وشيخ الإشراق السهروردي، وصدر المتألّهين الشيرازي، والإمام الخميني وهو عارف الفقهاء وفقيه العرفاء وكان بالحق نائباً لوليّ الحقّ أرواح العالمين له الفداء.

أمّا الشيخ فقد قال في آخر كتابه الإشارات ج٣ ص٤١٩:

خاتمة ووصيّة:

أيّها الأخ إنّي قد مخضت لك في هذه الإشارات عن زبدة الحقّ، وألقمتك قفيّ الحِكَمْ في لطائف الكَلِم، فصنه عن الجاهلين والمبتذلين ومن لم يرزق الفطنة الوقّادة والدِّربة والعادة، وكان صغاه مع الغاغة، أو كان من ملاحدة هٰؤلاء المتفلسفة ومن همجهم، فإن وجدتَ من تثقُ بنقاءِ سريرته واستقامة سيرته وبتوقّفه عمّا يتسرّعُ اليه الوسواس وبنظره إلىٰ الحقّ بعين الرّضا والصدق، فآته مايسألك منه مُدرّجاً مجزّءاً مفرقّاً، تستفرس ممّا تُسلفه لما تستقبله وعاهده بالله وبأيمان لا مخارجَ لها ليُجزي فيما يأتيه مَجزاكَ مُتأسّياً بك، فإن أذعتَ هذا العلم أو أضعتَه فالله بيني وبينك وكفىٰ بالله وكيلا.

وأمّا الإمام الخميني رضي الله تعالى عنه، فقال في آخر كتابه مصباح الهداية إلىٰ الخلافة والولاية ص ٢١٣:

خاتمة ووصيّة:

إيّاك أيُّهـا الصـديق الروحاني، ثمّ إيّاك والله معينك في أولاك وأُخراك، أن تكشف هذه الأسرار لغير أهلها أوَ لا تضنن علىٰ غير محلّها، فإنّ علم باطن الشريعة

من النواميس الإلهيّة والأسرار الرّبوبيّة، مطلوب ستره عن أيدي الأجانب وأنظارهم، لكـونه بعيد الغور عن جليّ أفكارهم ودقيقها، وإيّاك وأن تنظر نظر الفهم في هذه الأوراق إلاّ بعـد الفحص الكـامـل عن كلمـات المتألّهين من أهل الذوق، وتعلّم المعارف عند أهلها من المشايخ العظام والعرفاء الكرام، وإلاّ فمجرّد الرجوع إلىٰ مثل هذه المعارف لايزيد إلاّ خسراناً ولاينتج إلاّ حرماناً.

وأمّـا صدر المتـألّهـين صاحب الكتـاب الكبير الشريف المبارك الأسفار الأربعة (الحكمـة المتعالية) والتفسير وشرح أُصول الكافي ومفاتيح الغيب وغيرها، فإنّ مسلكه غير ما كان متعارفاً عند العرفاء والمتألّهين غالباً فهو بذول وليس بكتوم وإن كان هو أيضاً موافق معهم في الكتمان في بعض الأحيان، قال في مقدّمة كتابه مفاتيح الغيب ص٨:

ولقد أتيتك بما يمكنني من الأسرار التي مازالت العرفاء الكبار والحكماء أُولي الأيدي والأبصار كتموها عن أهل الإغترار، ولمّا كثرت الأغيار وجب صون الأسرار عن الأشرار، إلاّ انّي لم أُناج بها إلاّ (أهل) الصدور المنشرحة بالنور، لا القلوب القاسية بظلمات عالم الغرور في صدور مضيقة كالقبور.

فعليك بتقديسها عن القلوب القاسية الميّتة، واحذر عن استيداعها إلاّ الصدور المنشرحة والأنفس الزكيّة الحيّة، واتل قوله جلّ ذكره:

﴿ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد/١٦].

وقوله:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أُولئك في ضلال مبين﴾ [الزمر/ ٢٢].

وراجع أيضاً في تفسيره لآية الكرسي ص ١٠.

جناب علاّمه آيه الله سيّد ابوالحسن رفيعى قزوينى در مقاله‌اى كه در شرح حال جناب صدرالمتألّهين نوشته‌اند و در يادنامه جناب ايشان چاپ شده‌است ص ٢ مى گويد:

به‌اعتقاد حقير باهمهٔ فضائل كه در صاحب ترجمه (صدر المتألّهين) بوده، قدرى ساده طبيعت بوده و عنان قلم را مالك نبوده است، چه كه بعضى از مباحث علمى كه هرچند حقّ دانسته شود نبايست در كتاب كه سند عمومى است ثبت بشود، زيرا

که به‌طورقطع در مباحث دقیقه علم الهی و فن أعلیٰ پاره حقائقی است که فهم و نیل آن در هر عصر مخصوص به‌یك یا دو نفر است، اذهان دیگران طاقت فهم و تحمل آن را ندارند، بلکه مطلبی بر خلاف واقع از کتاب تصوّر نموده به فهم قاصر خود آن را به مصنّف نسبت می‌دهند، بالأخصّ اگر به اغراض نفسانیّه و امراض روحیّه شخص توأم گردد، و البتّه تولید تشنیع و اهانت نسبت به مصنّف کتاب خواهد بود چنانکه صاحب ترجمه (صدر المتألّهین) خود گرفتار بوده است.

وهمچنین جناب صدر المتألّهین در ابتدا کتاب المبدأ والمعاد به مطلب اشاره کرده اضافه می‌کند: این کتمان ووصیّت به آن، نه از جهت بخل و خسّت است:

در ص ۸ مبدا و معاد می‌گوید:

فإنّ هذه المباحث ونظایرها غامضة دقيقة المسلك لايقف علىٰ حقيقتها إلاّ واحد بعد واحد من أكابر العرفاء، ولا يهتدي إلىٰ كنهها إلاّ وارد بعد وارد، من أماجد الحكماء كما قال الرئيس: «جلّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد أو يطّلع عليه إلاّ واحد بعد واحد».

وقال المعلم الأوّل: «من أراد أن يشرع في علومنا فليتحدّث لنفسه فطرة أخرىٰ». معناه: انّ العلوم الإلهيّة مماثلة للعقول القدسيّة لاتحاد العاقل والمعقول وإدراكها يحتاج إلىٰ لطف شديد وتجرّد تامّ وهو الفطرة الثّانية.

وأذهان الخلق من أوّل الفطرة غير ملطّفة ولا مرتاضة بل جاسية كثيفة فلا يمكنها إدراك المعقولات المحضة كما هي هي، وهو المسمّى بالفطرة الأولىٰ، ولهذا أولياء الحكمة وأبناء الحقيقة ارتاضوا بالرياضات الملطّفة وعالجوا أنفسهم بالمعالجات المصحّحة حتّىٰ تيسّر لهم الخوض في بحر المعارف الإلهيّة والتعمّق في الحقايق الربوبيّة وملاحظة المبدأ الأعلىٰ علىٰ نحو ما يستطيع المخلوق أن يلاحظ خالقه.

وليس انّ الحكماء الإلٰهيين حيث ستروا هذه العلوم وأمروا بالكتم عنها كان ذلك منهم ضنة (خسّة) وبخلاً، كلاّ.

فإنّهم لتقدّسهم وترفّع شأنهم عن الإتصاف برداءة الأخلاق وخباثة الملكات يتحاشون عن ذلك، وأنّ الّذين خلصت نفوسهم بصفائهم عن هذه المقبرة الظلماء وحصلت لهم ملكة خلع الأبدان والإرتقاء إلىٰ ملكوت السّماء، كيف منعوا المستحق عن حقّه ودفعوا السائل عن مستحقه، بل لمّا رأوا، عقول أكثر الخلق ضعيفة جاسية

مثوفة يلحقها عند ملاحظة المعاني الإلٰهيّة ما يلحق عيون الخفافيش إذا نظرت إلىٰ نور الشمس منعوا عن إيداع العلوم صدورهم الغير الزكيّة وإلقائه علىٰ عقولهم الغير القويّة إلاّ لمن يستنّ بسنن الحكماء ويتخلّق بأخلاق الأصفياء من رفض اللّذات الحسّيّة وترك المألوفات الطبيعيّة، لأنّ من لم تصف نفسه من الكدورات البدنيّة ولم يرتض عقله بالرياضات العلميّة والعمليّة فلا سبيل له إلىٰ السعادات الأبديّة ولا سلوك له في المناهج الإلٰهيّة.

قال صائن الدّين بن تركه في تمهيد القواعد ص ١٠٤ :

وهذا من جملة حكم الله البديعة أن جعل الوهم حارساً لحضرته المنيعة عن أن يكون شريعةً لكلّ بصيرة حولاء وفطانة بتراء، إلاّ لعباده المخلَصين الذين فتح الله بصيرتهم بنور اليقين حتىٰ رأوا الحقّ علىٰ ماهو عليه بنوره المبين :

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .

قال الشيخ الرئيس في آخر النمط التاسع من الإشارات ج ٣ ص ٣٩٤ :

جلّ جناب الحق عن أن يكون شريعةً لكلّ وارد، أو يطّلع عليه إلاّ واحداً بعد واحد، ولذلك فإنّ ما يشتمل عليه هذا الفنّ ضُحكةٌ للمُغفَّل، عبرةٌ للمحصِّل، فمن سمعه فاشمأزّ عنه فليتّهم نفسه لعلّها لاتناسبه، وكلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلق له.

قال الشارح الطوسي في ذيله :

والمُراد ذكر قلّة عدد الواصلين إلى الحقّ، والإشارة إلىٰ انّ سبب إنكار الجمهور للفنّ المذكور في هذا النمط هو جهلهم به فإنّ الناس أعداء ما جهلوا، وإلىٰ أنّ هذا النوع من الكمال ليس ممّا يحصل بالاكتساب المحض بل إنّما يحتاج مع ذلك إلىٰ جوهر مناسب له بحسب الفطرة.

ولنختم الكلام بما قاله شيخ الإشراق في وصيّته في كتابه حكمة الإشراق ص٢٥٧ :

أوصيكم إخواني بحفظ أوامر الله، وترك مناهيه، والتوجّه إلى الله مولانا نور الأنوار بالكلّيّة، وترك مالا يعنيكم من قول وفعل، وقطع كلّ خاطر شيطانيّ.

وأُوصيكم بحفظ هذا الكتاب والإحتياط فيه، وصونه عن غير أهله، والله خليفتي عليكم، . . . . فلا تمنحوه إلاّ أهله ممّن استحكم طريقة المشّائين وهو محبّ لنور الله.

مقاله ای دربارهٔ تفسیر، و مفسّر، و اسماء حسنی الهی و درجات و درکات انسان

در خاتمهٔ مقدّمه برای حسن ختام رساله‌ای دربارهٔ تفسیر و مفسّر، و أسماء حسنی الهی، و اسامی و اوصاف قرآن، و اسامی و اوصاف و مقامات حضرت خاتم صلّی الله علیه و آله و سلّم، و مقامات نورانی انبیاء علیهم السلام، و درجات و کمالات انسان صاعد و درکات و رفتارهای انسان ساقط، در قرآن، ضمیمه می کنیم.

از آنجا که کتاب، کتاب تفسیری بوده و از جمله مباحث آن دربارهٔ اسماء حسنی خدای متعال خواهد بود، برای تکمیل بحث، ضمیمه این رساله که از مدّتها قبل باتفحّص و استقصاء تقریباً دقیق، و مستقیم از قرآن کریم استخراج شده و آماده بود، ان شاء الله تعالی بی فائده نخواهد بود.

اصولاً (همان‌گونه که ضمن مقاله تا حدّی معلوم خواهدشد) محتوای مقاله متنی است برای تفسیر مفصّل و موضوعی قرآن در بیان آنچه محور و تمام محتوای قرآن است یعنی: خدا و انسان.

هر کدام از کلمه کلمه بخش‌های این مقاله احتیاج به تفسیر و تبیین دقیق و مستوفی، باستفاده از قرآن و روایات أهل بیت عصمت و طهارت دارد تا مفاهیم عالیه و حقایق نورانی آنها بیان‌گردد.

هیچیك از اسماء حسنی الهی، و اسامی و اوصاف قرآن و پیامبر عظیم الشأن (ص) و دیگر انبیاء، و نیز عناوینی که در قرآن در مورد کمال و سقوط انسان آمده‌است، مشابه اسامی و القاب، و عناوین اعتباری ما مردم عادی، که یا بعنوان تبرّك و یا برای شناسائی افراد از یکدیگر و حسب و نسب و یا به‌عنوان احترام می باشند، نیستند.

آن اسامی را نباید بصورت فقط (لفظ) به‌حساب آورد، بلکه هر کدام از آنها منطبق دقیقاً با مسمّی، و مرآت و تابلوی حقائقی نورانی و عینی بی کران هستند.

هر کدام از اسامی و اوصاف انبیا علیهم السّلام کلماتی هستند که از مقامات عینی و وجودی و نورانی در وجود آنان حکایت می کنند، اگر در بارهٔ قرآن (نور) یا

(حکیم) گفته‌میشود، لازم است توجّه شود که آن مقام نورانی و آثار آن چیست و حقیقت حکمت و مقام حکیم کدام است.

و همچنین اگر گفته می شود حضرت ابراهیم علیه السّلام مسلم است، یا مثلاً حضرت ایّوب علیه السّلام صابر است و یا حضرت خاتم صلّی الله علیه وآله وسلّم (عبده) است همه اینها حکایت از درجات عالی و فوق عالی وجودی آنان دارند، به‌طوریکه آن مقام و درجه نورانی با وجود آنان عینیّت پیدا کرده است و وجودشان عین همان مقامات بوده و نورانیّت آن مقامات را در وجود خود دارا هستند، و هرگز فقط به‌صورت تنها لفظ نبوده و برای احترام و یا به‌عنوان محبّت صرف، اطلاق نشده‌اند.

و نیز مقامات و درجاتی از قبیل: ابرار، مقرّبین ـ مخلَصین ـ مخلِصین و غیر ذلك، و یا درکاتی از قبیل: غافلین ـ سفهاء ـ طبع علی قلوبهم ـ مثلاً، که در قرآن دربارهٔ انسانهای صاعد و باکمال، و یا دربارهٔ انسانهای ساقط و رذل، بیان شده است، همه حکایت از ماهیّت و حقیقت وجودی آن انسانها دارد، زیرا انسان ساخته عمل و علم خودش بوده و می تواند با علم و عمل مثبت و یا منفی برای خود ماهیّت جدید و جدیدتر کسب کند.

و از همه مهمتر در مورد اسماء الٰهی، ـ ذکر و دعا از طریق آن اسماء که مورد سفارش و تأکید قرآن و روایات می باشد، حقیقی است و آثاری مخصوص به‌خود دارد ـ، ولکن واقعیّت آن اسما که هر کدام مرتبه‌ای از مراتب وجود بوده و ظهوری از مراتب ظهور وجود صمدی حضرت حق سبحانه و تعالی هستند، حقیقت و مطلب دیگری است، که این مورد دوّم مورد نظر این مقاله است.

امّا دربارهٔ مقامات أهل بیت عصمت و طهارت و أئمّه أطهار و حضرت صدیقه طاهره، سلام الله علیهم اجمعین، مقامات آنان فوق مقام انبیا علیهم السّلام بوده و با حضرت رسول اکرم(ص) نور واحدند.

بیان حتّی متنئ آن مقامات از طریق قرآن و أحادیث، خود به یك رساله دیگری نیازمند است، و به‌دلیل اینکه نباید مقدّمه بیش از حدّ طولانی گردد، این قسمت را برای محلّ مناسب دیگری واگذار می کنیم.

البتّه همان‌گونه که تفسیر و تبیین مقامات پیغمبران، و تفسیر کلّیه مقامات انسانهای صاعد (همه) در حقیقت تفسیر مراتب و شئون وجودی حضرت خاتم(ص)

است، تفسیر مراتب و شئون وجودی حضرات ائمه أطهار و اُم الأئمة حضرت زهرا علیهم السّلام هم خواهدبود.

پس از بیان این مجمل به اصل مقاله می پردازیم:

أوّلین مفسّر

علم تفسیر همزمان با نزول قرآن از طریق پیامبر اکرم(ص) آغازشده و أوّلین مفسّر و مبیّن قرآن شخص حضرت خاتم(ص) بوده و اصولاً تفسیر و تبیین آیات قرآن و ظیفه و رسالتی بود که از ناحیه حقّ تعالی برعهده آن حضرت گذاشته شده‌است:

﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون ﴾ [النحل/۴۴].

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفواْ عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة/۱۵].

مفسّر دوّم

در مرحله دوّم، پس از نزول آیات قرآن، خود قرآن است که مفسّر و مبیّن کامل ومطمئن، آیات قرآن خواهدبود، و این تفسیر و مفسّر علی الدّوام زنده و جاوید بوده و راهگشادر بیان معارف قرآن است.

و این حقیقت را قرآن یادآوری کرده، از آنجا که قرآن بیانگر همهٔ معارف و روشنگر همه تاریکی ها بوده و خود نور است و نور ذاتاً روشن بوده و مُظهر غیر است.

﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ [النحل/ ۸۹].

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة/۱۵].

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [الأنعام/۵۹].

آنچه بیانگر همه چیز است بیانگر خودش هم خواهد بود.

این حقیقت در سخنان نورانی حضرت أمیرالمؤمنین قرآن ناطق هم در نهج البلاغه خطبه ۱۳۳ آمده‌است:

«کتاب الله . . . وینطق بعضه ببعض ویشهد بعضه علیٰ بعض».

مفسّر سوّم

در مرحله سوّم، مفسّر حقیقی قرآن، أهل بیت عصمت وطهارت علیهم السّلام هستند، چه اینکه آنان باب علوم اوّلین و آخرین بوده، و وارثان علم نبیّ صلّی الله علیه وآله وسلّم، و ثقل اکبر در حقیقت و ثقل اصغر در ظاهر و ظهور، هستند.

اصولاً هر چه از منبع عصمت و اهل بیت نبوّت و صاحبان حقیقت ولایت، رسیده‌است، از قبیل أحادیث و اخبار و ادعیه و مناجات، همه تفسیر قرآن هستند.

عن الصادق علیه السّلام:

«نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعیبة وحي الله» [اصول‌کافی جلد ۱ ص ۱۹۲ حدیث ۱].

عن الباقر علیه السّلام:

«نحن خزّان علم الله ونحن تراجمة وحي الله» [اصول‌کافی جلد ۱ ص ۱۹۲ حدیث ۳].

عن الکاظم علیه السّلام:

«نحن الّذین اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الّذي فیه تبیان کلّ شيء» [اصول‌کافی ج ۱ ص ۲۲۶ حدیث ۷].

عن الرّضا علیه السّلام:

«فان محمّداً (ص) أمین الله في خلقه فلمّا قبض (ص) کنّا أهل البیت ورثته».

[اصول‌کافی ج ۱ ص ۲۲۳ حدیث ۱].

طریق استفاده از روایات در تفسیر قرآن

برای استفاده از روایات و سخنان أهل بیت علیهم السّلام در فهم و تفسیر قرآن، حدّ اقل مراعات اُمور زیر ضروری‌است:

الف ـ مراجعه به روایاتی که به‌طور خاصّ ذیل قسمتی از آیات قرآن و در تفسیر

و تطبیق و جری آنها وارد شده‌است، البتّه باتوجه به‌اینکه در غالب آن روایات (موارد یادشده) بیان مصداق و به‌عنوان نمونه بیان شده‌است، و این خود راهی برای کشف ضابطه و الگوئی برای تفسیر آیات خواهدبود.

قابل ذکر است: در بعضی از آیات بیان مصداق به‌عنوان مصداق منحصر به فرد است، مثل آیهٔ تطهیر که مخصوص اهل بیت علیهم السّلام است.

ب ـ لازم و ضروری است، با مراجعه به روایات و دقّت و تأمّل در احادیث تفسیری أهل بیت علیهم السّلام، روش و سبك تفسیری آن بزرگواران را به‌دست آورد، در صورتی که طرز استفاده از آیات قرآن، و تفسیر و تطبیق آنها بایکدیگر، و راه کشف معانی و معارف را از قرآن، از طریق روایات به‌دست آید، به‌راحتی می توان با همان روش در تفسیر قرآن وارد شده و به دریای بی کران نور راه پیداکرد.

ج ـ از آنجا که کلّیّهٔ فرمایشات حضرات معصومین علیهم السّلام تفسیر قرآن به‌حساب می آید، و نیز از آن جهت که آنان در بیان و تشریح موضوعی از موضوعات متنوع اسلامی و قرآنی و انسانی فروگذاری نداشته و تمام آنچه را که انسان از آن جهت که انسان است و در علوم و معارف انسانی احتیاج دارد، بیان کرده‌اند، باید آیات قرآن و موضوعات و عناوین قرآنی و حتّی کلمات آن باهمان بیانات ائمّه أطهار علیهم السّلام در مورد همان موضوعات و کلمات و عناوین تفسیرشود.

تفسیر در مرحله دوّم (دست دوّم)

آنچه تا کنون در بارهٔ تفسیر و مفسّر گفته‌شد تفسیر و مفسّرین دست اوّل بودند، و امّا در این مرحله از تفسیر، تفسیر و مفسّرین کلاّ از نوع دست دوّم هستند.

در این مرحله تفسیری کامل و جامع و خالص و مطمئن خواهدبود که متکّی و مستفاد و مستند به سه منبع مذکور بوده، و باأنس وتدبّر در آیات قرآن، آیات قرآن را تفسیر کرده و علوم و معارف و حقایق ظاهر و باطن آن را کشف و تبیین کند.

اُنس با قرآن و تدبّر در آن

اصولاً یکی از بهترین راههای آشنائی با قرآن و معارف آن اُنس گرفتن و مأنوس شدن با قرآن و تدبّر در آیات قرآن است، اُنس با قرآن «که در روایات هم به‌طور خاصّ به آن تأکید فراوان شده‌است» موجب نورانیت قلب و وجود انسان شده و باعث می شود انسان انسانِ قرآنی و نورانی گردد.

از طرفی تدبّر در قرآن از جمله وظائف انسان محسوب گردیده‌است:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء/٨٢].

و نیز فرمود:

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته و ليتذكّر أُولوا الألباب﴾ [ص /٢٩].

و فرمود:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾ [محمّد/٢٤].

در تلاوت آیات قرآن هرگز نباید بدون تدبّر و تأمّل رد شد زیرا آیات قرآن باتدبّر در آنها خودشان را نمایان می کنند.

تدبّر در آیات هرگز معطّل شدن و توقّف بی حرکت و تفکّر نیست، تدبّر در آیات قرآن در واقع تفسیر آیات به آیات دیگراست، تطبیق آیات بایکدیگر و توأم با حرکت فکری‌است، در اثر تدبّر در آیات همسوئی و هماهنگی معانی و معارف آنها نمایان می‌شود آنگاه انسان می‌تواند به معانی اصیل و ناب آیات قرآن دست یابد، البتّه لازم است تدبّر در آیات قرآن بافکر خالص و باذهن خالی و دلی پاك و همراه با تعقّل، انجام‌گیرد و گرنه:

﴿ولا يزيدُ الظالمين إلاّ خَساراً﴾ [الإسراء/٨٢].

از دو آیه فوق ظاهر است که تدبّر در آیات هم می‌تواند از طریق قلب پاك و هم می تواند از طریق عقل ناب به عمل آید.

مفهوم تدبّر:

تدبیر و تدبّر در شیء یعنی توجّه به عاقبت و پایان و ماورای آن شیء و رسیدن به باطن شیء:

التدبّر: النظر في عواقب الأمور، والفرق بين التدبّر والتفكّر: ان التدبّر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدلائل. [مجمع البيان ج ۳ ص ۱۳۴ ـ سورة يوسف].

التدبير: التفكّر في دُبُر الأمور (فالمدبّرات أمراً) يعني ملائكةً موكّلةً بتدبير أُمور. [مفردات راغب].

الدّبر بالتحريك: الجرح الّذي يكون في ظهر البعير، وقيل دِبارٌ جمع دُبر، وهو آخر أوقات الشيء، كالإدبار في قوله تعالىٰ: (وإدبار السجود). [النهاية ابن الأثير].

قوله: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾، أي أهلك آخر من بقي منهم، والدّابر: الآخر، قوله: ﴿أفلا يتدبّرون القرآن﴾، من التدبّر وهو النظر في إدبار الأمور و تأمّلها، والدّبْر: خلاف القبل من كلّ شيء، ومنه يقال لآخر الأمر: دَبْر، والتدبير في الأمر: أن تنظر إلىٰ ما تؤول إليه عاقبته، وتدبّر الأمر: التفكّر فيه. [مجمع البحرين].

الدبير من الرجل: ماخلفه، يقال: هو لايعرف قبيله من دبيره، أي لايعرف ما قدّامه وما خلفه، يكنّون بذلك عن فرط جهله، دبّر الأمر: تفكّر فيه ونظر في عاقبته، اعتنىٰ به ونظّمه، تدبّر الأمر: نظر في أدباره أي عواقبه وتفكّر فيه، استدبر الأمر: رأىٰ في عاقبته مالم يره في صدره. [المنجد].

غرض از نقل عبارات فوق این بود، که اطراف تدبّر در قرآن و شرایط و اثار آن معلوم گردد.

محتوای قرآن: خدا و انسان

در قرآن دو کلمه بیشتر نیامده است و آن دو کلمه عبارتند از:

الله و هو الحق سبحانه و تعالی، و انسان،

و سایر معانی و معارف و حقایق هر چه‌هست یا دربارهٔ اسماء حسنای خدای

سبحان و مظاهر اسماء و صفات و افعال حضرت حق تعالی بوده، و یا مربوط به افراد و مراتب انسان و درباره سیر تکاملی او صعوداً و نزولاً و یا از قبیل درجات و درکات انسانی و یا در مورد سایر شئون و عوالم انسان است، و آیات مربوط به انبیاء علیهم السّلام و افراد شیطانی در مقابل آنان و نیز مباحث مربوط به نبوّت و ولایت و معاد و اخلاق و احکام و و و همه برای انسان و مربوط به انسان است.

و از آنجا که انسان مظهر أسمّ جلال و جمال الٰهی می باشد بنا بر این قرآن فقط یك کلمه دارد و آن حقّ تعالی و مظاهر او، وهو الأوّل و الآخر والظاهر والباطن.

وبدین جهت همه جمیل و زیبا خواهندبود، عالم: نظام أحسن، قرآن: أحسن الحدیث، انسان: أحسن المخلوقین.

و این سه واحد: یك حقیقت بیش نیستند چه اینکه قرآن صورت کتبی انسان و عالم است، و عالم صورت تکوینی انسان و قرآن است، و انسان صورت نفسی عالم و قرآن است:

﴿الرّحمن علّم القرآن خلق الإنسان﴾.

بنابر آنچه گفته‌آمد، در عالم و انسان و قرآن جز او را نباید دید و جز او را نمی‌شود یافت و جز او را نمی‌شود خواند، یا هو یا من لا هو إلاّ هو.

من عرف نفسه فقد عرف ربّه

یستفاد من الحدیث أنّ نفس الإنسان هي مجلیٰ الحق سبحانه وتعالیٰ لمن تدبّر فیها وعرفها وعرف قدرها ومنزلتها، ولایظلمها بجهله في عدم معرفتها واضمحلال حقّها ولایغفل عن عظمتها ومرآتیّتها لربّها، ولكن الانسان كان ظلوماً جهولاً حیث قال تعالیٰ:

﴿إنّا عرضنا الأمانة علیٰ السمٰوات والأرض والجبال فأبین أن یحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

وهذا هو السرّ في قوله تعالیٰ:

﴿سنریهم آیاتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّیٰ یتبیّن لهم أنّه الحقّ﴾ [فصّلت/٥٣].

وقوله تعالیٰ:

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات/ ۲۱].

وكيف لا وخالق الإنسان هو أحسن الخالقين كما أنّ الإنسان هو أحسن المخلوقين، لقوله تعالىٰ:

﴿ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون/۱۴].

وقوله تعالىٰ:

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين/۴].

ولهذا لابدّ في تربيته وتزكيته وتعاليه إلىٰ مراتب كماله دستوراً أحسن الدستور وكتاباً هو أحسن الكتب وأكملها وهو القرآن الحكيم، لقوله تعالىٰ:

﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً﴾ [الزمر/۲۳].

وقوله تعالىٰ:

﴿واتّبعوا أحسن ماأُنزل إليكم من ربكم﴾ [الزمر/ ۵۵].

وقوله تعالىٰ:

﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف/۳].

وكان النبيّ المبعوث إليه هو خاتم الأنبياء يعني صمدهم وأكملهم وأفضلهم أي أحسنهم.

﴿ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب/ ۴۰].

ولهذا أيضاً لاينبغي للإنسان أن يقنع في سلوكه وعمله وفي جميع شؤونه وأطواره وحالاته المتنوّعة بالعمل علىٰ حَسَنِ الأعمال بل لابدّ عليه العمل بأحسنها وانتخاب أحسن الأحوال وأحسن الطرق والأقوال في جميع الأمور المتوقّعة منه والمتعلّقة له بما انّه انسان، هذا ماقاله به الحق سبحانه في القرآن الذي أنزله لهداية الإنسان، فانظر في الآيات التالية:

﴿الّذي خلق الموت والحيٰوة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك/ ۲].

﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو مُحسن﴾ [النساء/ ۱۲۵].

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة/۱۳۸].

﴿وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾ [النحل/۱۲۵].

﴿الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾ [الزمر/۱۸].

﴿وقل لعبادي يقولوا الّتي هي أحسن﴾ [الإسراء/۵۳].
﴿وإذا حُيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها﴾ [النساء/۸۶].

اسماء حسنی الهی و مقامات انبیاء و اسماء قرآن و صفات انسان

از آنجا که قرآن مشتمل بیان مظاهر خداوند متعال و مراتب انسان است، لذا اسماء حسنای الهی، و نیز مقامات انبیاء، و درجات انسانهای صاعد و به‌کمال رسیده و درکات انسانهای از راه‌مانده و نیز اسما و صفات خود قرآن کریم، به‌طور مشروح ضمن آیات قرآن بیان شده است.

در این رساله به‌ترتیب زیر به تفصیل عناوین مذکور می‌پردازیم:

الف ـ اسماء حسنی در قرآن.
ب ـ مقامات (اسما و اوصاف) حضرت رسول خاتم (ص) در قرآن.
ج ـ مقامات انبیا علیهم السلام در قرآن.
د ـ اسامی و اوصاف قرآن در قرآن.
هـ ـ صفات و درجات انسان صاعد در قرآن.
و ـ صفات و درکات انسان ساقط در قرآن.

الأسْماء الحُسْنىٰ

﴿ولله الأسماءُ الحُسْنىٰ فادعوه بها﴾ [الأعراف/۱۸۰].
﴿قل اُدعوا الله أو اُدعوا الرّحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ﴾ [الإسراء/۱۱۰].
﴿الله لا إلٰه إلاّ هو له الأسماء الحسنىٰ﴾ [طه/ ۸].
﴿هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنىٰ﴾ [الحشر/۲۴].

گرچه از آیهٔ سورهٔ اعراف مشکل است استفاده کنیم که لفظ جلاله ـ الله ـ هم از اسماء حسنی باشد، و لکن از بقیّه آیات به‌خوبی مستفاد است که مسمّی (هو) بوده و ـ الله ـ هم یکی از اسماء حسنی محسوب شده است.

ضابطهٔ ما در أسماء عبارت است از اشتقاق ـ ذو ـ و ظهور آیات و بر همین اساس و احتیاطاً لفظ جلاله (الله) و (هو) را خارج از اسماء می نویسیم.

در این صورت تعداد اسماء در قرآن ۱۱۴ خواهد بود، به‌تعداد سوره‌های قرآن.

و باید توجه‌داشت اسمائی مثل: السّریع، والشّدید والخیر مثلاً، یك بارانهم به‌صورت (مفرد) بحساب‌آمده و آنچه که بطور مرکّب مانند: خیر الحاکمین، سریع الحساب، شدید العقاب و امثال اینها در قرآن آمده است از آنجا که همان سه اسم مفرد شامل مرکّب‌ها هم می شود و اگر ذکر می شد تکرار محسوب می گردید، بنابر این در شمارش اسماء فقط صورت مفرد آن أسماء ذکر شده‌است.

بسم الله الرّحمن الرّحیم

هو ـ الله

ألف:

۱ ـ الأبقیٰ: ﴿والله خیرٌ وأبقیٰ﴾ [طه/ ۷۳].

۲ ـ الأحد: ﴿قل هو الله أحدٌ﴾ [التوحید/۱].

۳ ـ أحسن الخالقین: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقین﴾ [المؤمنون/۱۴].

۴ ـ أحکم الحاکمین: ﴿وأنت أحکم الحاکمین﴾ [هود/۴۵].

۵ ـ الآخر: ﴿هو الأوّل والآخر﴾ [الحدید/۳].

۶ ـ أرحم الراحمین: ﴿فالله خیر حافظاً وهو أرحم الراحمین﴾ [یوسف/۶۴].

۷ ـ أسرع الحاسبین: ﴿ألا له الحکم وهو أسرع الحاسبین﴾ [الأنعام/۶۲].

۸ ـ الأعلیٰ: ﴿سبح اسم ربّك الأعلیٰ﴾ [الأعلیٰ/۱].

۹ ـ الأکرم: ﴿إقرأ وربّك الأکرم﴾ [العلق/۳].

۱۰ ـ الأوّل: ﴿هو الأوّل والآخر﴾ [الحدید/۳].

۱۱ ـ أهل التقویٰ: ﴿هو أهل التقویٰ﴾. [المدثر/ ۵۶].

۱۲ـ أهل المغفرة: ﴿وأهل المغفرة﴾ [المدثر/۵۶].

ب:

۱۳ ـ البارئ: ﴿هو الله الخالق البارئ﴾ [الحشر/۲۴].

١٤ ـ الباطن: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد/٣].

١٥ ـ البديع: ﴿سبحانه وتعالىٰ عمّا يصفون، بديع السمٰوات والأرض﴾ [الأنعام/ ١٠٠ ـ ١٠١].

١٦ ـ البَرّ: ﴿إنّه هو البرّ الرحيم﴾ [الطور/٢٨].

١٧ ـ البصير: ﴿إنّ الله كان سميعاً بصيراً﴾ [النساء/٥٨].

ت:

١٨ ـ تبارك: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين﴾ [الأعراف/٥٤].

١٩ ـ تعالىٰ: ﴿فتعالىٰ الله الملك الحق﴾ [طه/١١٤].

٢٠ ـ التّواب: ﴿إنّ الله هو التّواب الرحيم﴾ [التوبه/١١٨].

ج:

٢١ ـ الجبّار: ﴿هو الله الّذي لا إلٰه إلاّ هو.... الجبّار المتكبّر﴾ [الحشر/٢٣].

٢٢ ـ الجاعل: ﴿الحمدُ لله فاطر السمٰوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً﴾ [فاطر/١].

٢٣ ـ الجامع: ﴿ربّنا إنّك جامع الناس ليوم لاريب فيه﴾ [آل‌عمران/٩].

ح:

٢٤ ـ الحسيب: ﴿كفىٰ بالله حسيباً﴾ [النساء/٦].

٢٥ ـ الحفيظ: ﴿والّذين اتّخذوا من دونه أولياء، الله حفيظٌ عليهم﴾ [الشورىٰ/٦].

٢٦ ـ الحفيّ: ﴿إنّه كان بي حفيّاً﴾ [مريم/٤٧].

٢٧ ـ الحقّ: ﴿ذلك بأنّ الله هو الحقّ﴾ [الحج/٦].

٢٨ ـ الحكيم: ﴿فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم﴾ [البقرة/٢٠٩].

٢٩ ـ الحليم: ﴿والله غنيّ حليم﴾ [البقرة/٢٦٣].

٣٠ ـ الحميد: ﴿واعلموا أنّ الله غنيّ حميد﴾ [البقرة/٢٦٧].

٣١ ـ الحيّ : ﴿الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم﴾ [البقرة/٢٥٥].

خ :

٣٢ ـ الخالق : ﴿هو الله الخالق البارئ﴾ [الحشر/٢٤].

٣٣ ـ الخبير: ﴿إنّ الله لطيف خبير﴾ [الحج/٦٣].

٣٤ ـ الخلاّق : ﴿إنّ ربّك هو الخلاّق العليم﴾ [الحجر/٨٦].

٣٥ ـ الخير: ﴿والله خيرٌ وأبقىٰ﴾ [طه/٧٣].

ذ :

٣٦ ـ ذو انتقام : ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ [المائدة/٩٥].

٣٧ ـ ذو الجلال والإكرام : ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ [الرّحمٰن/٢٧].

٣٨ ـ ذو الرّحمة : ﴿وربّك الغنيّ ذو الرّحمة﴾ [الأنعام/١٣٣].

٣٩ ـ ذو الطّول: ﴿غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب ذي الطّول﴾ [غافر/٣].

٤٠ ـ ذو العرش المجيد: ﴿وهو الغفور الودود* ذو العرش المجيد﴾ [البروج/١٤-١٥].

٤١ ـ ذو الفضل العظيم : ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [البقرة/١٠٥].

٤٢ ـ ذو القوّة المتين : ﴿إنّ الله هو الرّزّاق ذو القوّة المتين﴾ [الذاريات/٥٨].

٤٣ ـ ذو المعارج : ﴿سأل سائل بعذاب واقع* للكافرين ليس له دافع* من الله ذي المعارج﴾ [المعارج/١-٣].

ر :

٤٤ ـ الرؤوف : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رؤوف رحيم﴾ [النور/٢٠].

٤٥ ـ الربّ: ﴿الحمدُ لله ربّ العالمين﴾ [الفاتحة/١].

٤٦ ـ الرّحمان : ﴿وإلٰهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرّحمٰن الرّحيم﴾ [البقرة/١٦٣].

٤٧ ـ الرّحيم: ﴿وإلٰهكم إله واحد لا إلٰه إلاّ هو الرّحمٰن الرّحيم﴾ [البقرة/١٦٣].

٤٨ ـ الرّزاق: ﴿إنّ الله هو الرّزاق﴾ [الذاريات/٥٨].

٤٩ ـ رفيع الدرجات: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر/١٥].

٥٠ ـ الرّقيب: ﴿إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء/١].

س:

٥١ ـ السّبحان: ﴿فسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف/١٠٨].

٥٢ ـ السّريع: ﴿فإنّ الله سريع الحساب﴾ [آل‌عمران/١٩].

٥٣ ـ السّلام: ﴿هو الله الّذي لا إلٰه إلاّ هو الملك القدّوس السّلام﴾ [الحشر/٢٣].

٥٤ ـ السّميع: ﴿إنّ الله سميع عليم﴾ [البقرة/١٨١].

ش:

٥٥ ـ الشّاكر: ﴿فانّ الله شاكر عليم﴾ [البقرة/١٥٨].

٥٦ ـ الشديد: ﴿اعلموا أنّ الله شديد العقاب وأنّ الله غفور رحيم﴾ [المائدة/٩٨].

٥٧ ـ الشكور: ﴿والله شكور حليم﴾ [التغابن/١٧].

٥٨ ـ الشهيد: ﴿إنّ الله علىٰ كلّ شيء شهيد﴾ [الحج/١٧].

ص:

٥٩ ـ الصّمد: ﴿قل هو الله أحد* الله الصّمد﴾ [التوحيد/١-٢].

ظ:

٦٠ ـ الظّاهر: ﴿هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن﴾ [الحديد/٣].

ع:

٦١ ـ العالم: ﴿هو الله الّذي لا إلٰه إلاّ هو عالم الغيب والشهادة﴾ [الحشر/٢٢].

٦٢ ـ العزيز: ﴿فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم﴾ [البقرة/٢٠٩].

٦٣ ـ العظيم: ﴿وهو العليّ العظيم﴾ [البقرة/٢٥٥].

٦٤ ـ العفوّ: ﴿إنّ الله لعفوّ غفور﴾ [الحج/٦٠].

٦٥ ـ العلّام : ﴿قالوا لاعلم لنا إنّك أنت علّام الغيوب﴾ [المائدة/١٠٩].

٦٦ ـ العليم : ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع عليم﴾ [البقرة/١١٥].

٦٧ ـ العليّ : ﴿وهو العليّ العظيم﴾ [البقرة/٢٥٥].

غ :

٦٨ ـ الغافر: ﴿غافر الذّنب وقابل التّوب﴾[غافر/٣].

٦٩ ـ الغالب : ﴿والله غالبٌ علىٰ أمره﴾ [يوسف/٢١].

٧٠ ـ الغفّار: ﴿وإنّي لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ [طه/٨٢].

٧١ ـ الغفور: ﴿ألاّ إنّ الله هو الغفور الرحيم﴾ [الشورىٰ/٥].

٧٢ ـ الغنيّ : ﴿واعلموا أنّ الله غنيّ حميد﴾ [البقرة/٢٦٧].

ف :

٧٣ ـ الفاطر: ﴿الحمدُ لله فاطر السمٰوات والأرض﴾ [فاطر/١].

٧٤ ـ الفتاح : ﴿وهو الفتّاح العليم﴾ [سبأ/٢٦].

٧٥ ـ الفالق : ﴿إنّ الله فالق الحبّ والنّوىٰ﴾ [الأنعام/٩٥].

٧٦ ـ الفعّال: ﴿إنّ ربّك فعّال لِما يُريد﴾ [هود/١٠٧].

ق :

٧٧ ـ القابل : ﴿غافر الذنب وقابل التّوب﴾ [غافر/٣].

٧٨ ـ القادر: ﴿قل إنّ الله قادر علىٰ أن ينزّل آية﴾ [الأنعام/٣٧].

٧٩ ـ القاهر: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام/١٨].

٨٠ ـ القدّوس : ﴿هو الله الّذي لا إله إلاّ هو الملك القدّوس﴾ [الحشر/٢٣].

٨١ ـ القدير: ﴿إنّ الله علىٰ كلّ شيء قدير﴾ [البقرة/٢٠].

٨٢ ـ القريب : ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب﴾ [البقرة/١٨٦].

٨٣ ـ القويّ : ﴿إنّ الله قويّ شديد العقاب﴾ [الأنفال/٥٢].

٨٤ ـ القهّار: ﴿قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار﴾ [الرّعد/ ١٦].

٨٥ ـ القيّوم : ﴿الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم﴾ [البقرة/٢٥٥].

ك :

٨٦ ـ الكافي : ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر/٣٦].

٨٧ ـ الكبير: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرّعد/٩].

٨٨ ـ الكريم : ﴿لا إله إلاّ هو ربّ العرش الكريم﴾ [المؤمنون/١١٦].

ل :

٨٩ ـ اللّطيف: ﴿إنّ الله لطيف خبير﴾. [الحج/٦٣].

م :

٩٠ ـ المؤمن: ﴿هو الله الّذي لا إلٰه إلاّ هو... المؤمن المهيمن﴾ [الحشر/٢٣].

٩١ ـ المالك : ﴿قل اللّهمّ مالك الملك﴾ [آل‌عمران/٢٦].

٩٢ ـ المبين : ﴿أنّ الله هو الحقّ المبين﴾ [النور/٢٥].

٩٣ ـ المتعال : ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرّعد/ ٩].

٩٤ ـ المتكبّر: ﴿هو الله الّذي لا إله إلاّ هو... الجبّار المتكبّر﴾ [الحشر/٢٣].

٩٥ ـ المجيب : ﴿إنّ ربّي قريب مجيب﴾ [هود/٦١].

٩٦ ـ المجيد : ﴿إنّه حميد مجيد﴾ [هود/ ٧٣].

٩٧ ـ المحيط : ﴿ألاّ إنّه بكلّ شيء محيط﴾ [فصّلت/ ٥٤].

٩٨ ـ المحيي : ﴿إن الّذي أحياها لمحيي الموتىٰ﴾ [فصّلت/٣٩].

٩٩ ـ المستعان : ﴿والله المستعان﴾ [يوسف/١٨].

١٠٠ ـ المصوّر: ﴿هو الله الخالق البارئ المصوّر﴾ [الحشر/٢٤].

١٠١ ـ المقتدر: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر/٥٥].

١٠٢ ـ الملك : ﴿فتعالىٰ الله الملك الحقّ﴾ [المؤمنون/١١٦].

١٠٣ ـ المليك : ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر/٥٥].

١٠٤ ـ المهيمن: ﴿هو الله الّذي لا إله إلاّ هو... المؤمن المهيمن﴾ [الحشر/٢٣].

١٠٥ ـ المولىٰ : ﴿هو مولاكم فنعم المولىٰ ونعم النصير﴾ [الحج/٧٨].

ن :

۱۰۶ ـ النصیر: ﴿فاعلموا أنّ الله مولاکم نعم المولیٰ ونعم النصیر﴾ [الأنفال/۴۰].

۱۰۷ ـ النّور: ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ [النور/۳۵].

و:

۱۰۸ ـ الواحد: ﴿قل الله خالق کلّ شيء وهو الواحد القهّار﴾ [الرّعد/۱۶].

۱۰۹ ـ الواسع: ﴿فأینما تولّوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع علیم﴾ [البقرة/۱۱۵].

۱۱۰ ـ الودود: ﴿إنّ ربّي رحیم ودود﴾ [هود/۹۰].

۱۱۱ ـ الوکیل: ﴿حسبنا الله ونعم الوکیل﴾ [آل‌عمران/ ۱۷۳].

۱۱۲ ـ الوليّ: ﴿الله وليّ الّذین آمنوا﴾ [البقرة/۲۵۷].

۱۱۳ ـ الوهّاب: ﴿وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب﴾ [آل‌عمران/۸].

هـ:

۱۱۴ ـ الهادي: ﴿وکفیٰ بربّك هادیاً ونصیراً﴾ [الفرقان/۳۱].

اسامی و اوصاف (مقامات) حضرت خاتم الأنبیاء صلّی الله علیه وآله وسلّم در قرآن

(عبده ـ رسوله)

قبل از بیان اسامی و اوصاف آن حضرت و ذکر آیات مربوطه، به چند آیه شریفه از قرآن که بطور کلّی از مقام انسان کامل حکایت‌کرده و دلالت به مقام فوق عالی و افضلیّت‌حضرت خاتم(ص) برسایر انبیاء دارد، ذیلاً بدون توضیح و تفسیر ذکرکرده و سپس به ذکر اسامی و اوصاف حضرتشان در قرآن می‌پردازیم.

ضمناً از جمله مقامات اختصاصی حضرت رسول اکرم عبارت است از مقام: (عبده)، و مقام: (رسوله)، یعنی انتساب عبودیّت و رسالت حضرتشان به (هو) یعنی

هويّت مطلقه و حضرت غيب الغيوب، اين مقام، مخصوص به عبوديّت و رسالت پيامبر خاتم دارد، بنابر اين حضرت رسول گرامى محـمّد بن عبدالله صلّى الله عليه و آله و سلم عبد مطلق حضرت غيب مطلق و رسول او خواهدبود، و معلوم است كه اين مقام غير از مقام عبوديّت مضاف به اسم خاصّ مانند: عبدالله، عبدالرّحمٰن، عبدنا، و همچنين: رسول الله، رسول ربّ العالمين، بوده و با آن مقامها تفاوت غير قابل قياس دارد، اجمالاً و لعلّ (عبده) دلالت بر صادر اوّل بودن حقيقت محمّدى(ص) دارد، كه حتّى مقـام عقل اوّل و خلق اوّل، از جمله شئونات بى كران حضرت او خواهدبود، والله هو العالم.

أمّا آياتى كه وعدهٔ ذكر آنها داده‌شد:

الف ـ ﴿**وهو بالأفق الأعلىٰ، ثمّ دنا فتدلّىٰ، فكان قاب قوسين أو أدنىٰ، فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ**﴾ [النجم/۷ ـ ۱۰].

ب ـ ﴿**ويوم نبعث في كلّ أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً علىٰ هٰؤلاء**﴾ [النحل/۸۹].

ج ـ ﴿**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾ [النحل/۸۹].

د ـ ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافّة للناس**﴾ [سبأ/۲۸].

هـ ـ ﴿**ما كان محمّدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين**﴾ [الأحزاب/۴۰].

پس از ذكـر آيات فوق و توجّه اجمالى بمقام بلند و شامخ خدانماى پيامبر اكرم(ص) به ذكر اسامى و اوصاف آن حضرت در قرآن مى‌پردازيم، توجّه به اين نكته لازم است كه ما در صدد بيان اسامى و اوصاف هستيم و در اين زمينه فقط، از قرآن مجيد استقصاءكرده و آيات را بر اساس ظهور دلالت آنها ذيلاً آورديم و هرگز در مقام استقصاء تمام آيات مربوط به پيامبرعظيم الشأن(ص) نبوده‌ايم. و آنچه دربارهٔ او در قرآن آمده است بسيار بسيار بيشتر از آن است كه در اينجا نقل مى‌شود:

الف:

أحمد: ﴿**مبشراً برسول يأتي من بعدي آسمه أحمد**﴾ [الصف/۶].

أُسوة حسنة: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة**﴾ [الأحزاب/۲۱].

الأمّيّ: ﴿**الّذين يتّبعون النبيّ الأمّيّ**﴾ [الأعراف/۱۵۷].

الأمين : ﴿أبلّغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين﴾ [الأعراف/۶۸].
أوّل العابدين : ﴿قل إن كان للرّحمٰن ولد فأنا أوّل العابدين﴾ [الزخرف/۸۱].
أولىٰ بالمؤمنين : ﴿النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب/۶].
أوّل المسلمين : ﴿وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين﴾ [الزمر/۱۲].

ب :

برهان : ﴿ياأيّها النّاس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ [النساء/۱۷۴].
بشر صاحب وحي : ﴿ قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ﴾ [الكهف/۱۱۰].
بشير : ﴿فقد جاءكم بشير ونذير﴾ [المائدة/۱۹].

ح :

حريص : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ [التوبة/۱۲۸].

خ :

خاتم النّبيّين : ﴿ولكن رسول الله وخاتم النّبيّين﴾ [الأحزاب/۴۰].
صاحب خلق عظيم : ﴿وانّك لعلىٰ خلق عظيم﴾ [القلم/۴].

ر :

رؤوف : ﴿لقد جاءكم رسول.... بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/۱۲۸].
رحمة للعالمين : ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء/۱۰۷].
رحيم : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم.... بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/۱۲۸].
رسول الله : ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾ [الأحزاب/۴۰].
رسولنا : ﴿قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون﴾ [المائدة/ ۱۵].
رسول مبين : ﴿أنّىٰ لهم الذّكرىٰ وقد جاءهم رسول مبين﴾ [الدخان/۱۳].
رسوله : ﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره علىٰ الدّين كلّه﴾ [الفتح/۲۸].

د:

الداعي الىٰ الله: ﴿وداعياً الىٰ الله بإذنه﴾ [الأحزاب/ ٤٦].

س:

سراج منير: ﴿إنّا ارسلناك... داعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [الأحزاب/٤٦].

ش:

شاهد: ﴿ياأيُّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾ [الأحزاب/٤٥].

شهيد: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد وجئنا بك علىٰ هٰؤلاء شهيداً﴾ [النساء/٤١].

ص:

صاحب شرح صدر: ﴿ألَم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح/١].

ع:

عبدالله: ﴿وانّه لمّا قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾ [الجنّ/١٩].

عبدنا: ﴿وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا علىٰ عبدنا﴾ [البقرة/٢٣].

عبده: ﴿فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ﴾ [النجم/١٠]

ك:

صاحب كوثر: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر/١].

م:

مبشّر: ﴿ياأيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾ [الأحزاب/٤٥].

المبين: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين وقل إنّي أنا النذير المبين﴾ [الحجر/ ٨٨ ـ ٨٩].

محمّد: ﴿وما محمّد إلاّ رسول﴾ [آل‌عمران/١٤٤].

مدّثّر: ﴿ياأيّها المدّثّر * قم فأنذر﴾ [المدّثّر/ ١ ـ ٢].

مذكّر: ﴿فذكّر إنّما أنت مذكّر﴾ [الغاشية/ ٢١].

مزّمّل: ﴿یاأیّها المزّمّل* قم اللّیل إلاّ قلیلاً﴾ [المزّمل/ ۱ ـ ۲].

ن:

ناصح أمین: ﴿أبلّغکم رسالات ربّي وأنا لکم ناصح أمین﴾ [الأعراف/۶۸].
نذیر: ﴿یاأیّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذیراً﴾ [الأحزاب/۴۵].
نذیر مبین: ﴿قل یاأیّها الناس إنّما أنا لکم نذیر مبین﴾ [الحج/ ۴۹].
نور: ﴿قد جاءکم من الله نور وکتاب مبین﴾ [المائدة/ ۱۵].

ي:

یتیم: ﴿ألم یجدك یتیماً فآویٰ﴾ [الضّحیٰ/۶].

آیا معرفت مقام حضرت رسول اکرم(ص) ممکن است؟

چه کسی قدرت معرفت مقامات نورانی وجود حضرت خاتم الأنبیا را دارد؟ کسی که أوّلین انسان و آخرین پیامبر و کمال پیامبران و کامل آنان است. کسی که آئینهٔ تمام نمای جلال و جمال حق تعالی و بنده خاصّ و عبد مطلق اوست. هرگز و هرگز، احدی جز خدای سبحان و امیرالمؤمنین علی علیه‌السلام که نفس او وصیّ اوست، و یا از طریق قرآن، برای هیچکس قدرت شناخت او نیست.

او صاحب قاب قوسین او أدنیٰ بوده و حضرت جبرئیل امین قدرت همراهی او را نداشت، همهٔ انبیا موظف به ایمان به وجود و رسالت او را داشته و همه آمدند تا او را استقبال کنند و او را بشارت‌داده و زمینه بعثت او را فراهم آورند.

او باخدای سبحان خلوتی دارد و مجلس اُنسی، و مورد خطاب لولاك لما خلقت الأفلاك است.

چگونه معرفت او بجز برای خدای متعال که خالق اوست، و علی علیه‌السلام که نفس اوست و قرآن که تفسیر اوست، برای غیر امکان‌پذیر خواهدبود درباره گفته‌های فوق به آیات و روایات زیر توجه فرمائید:

﴿وإذ أخذ الله میثاق النّبیّین لما آتیتکم من کتاب وحکمة ثمّ جاءکم رسول مصدّق لما معکم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم علیٰ ذٰلکم إصري قالوا

أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل‌عمران/٨١].

﴿الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة/ ١٤٦].

﴿وإذ قال عيسىٰ آبن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي آسمه أحمد﴾ [الصّف/٦].

عن عليّ عليه السّلام قال:

«ما أعطىٰ الله عزّ وجلّ نبيّاً درجة ولا مرسلاً فضيلة إلاّ وقد جمعها لمحمّد(ص) وزاد محمّد(ص) علىٰ الأنبياء أضعافاً مضاعفة». [بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٨].

در حديث نبوى معروف آمده است:

«لي مع الله وقت لايسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان» [بحار الأنوار ج١٨ ص٣٦٠].

و نيز فرمود:

«لي وقت لايسعني فيه غير ربّي». [فتوحات ج٨ ص٣٠٨].

وأيضاً قال رسول الله(ص) مخاطباً لعليّ عليه السّلام:

«إنّك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرى» [نهج البلاغة خطبة القاصعة].

قال رسول الله(ص) مخاطباً لعلي عليه السلام:

«لايعرف الله إلاّ أنا وأنت، ولايعرفني إلاّ الله وأنت، ولايعرفك إلاّ الله وأنا» [مقتل الحسين (المقرّم) نقلاً عن مختصر البصائر ص١٢٥].

در احاديث معراج آمده است:

«فلمّا بلغ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، فانتهىٰ إلىٰ الحجب، فقال جبرئيل: تقدّم يا رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت» [بحار الأنوار ج١٨ ص٣٨٢].

قال رسول الله (ص):

«أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً» [عوالي اللّئالي ج٤ ص١٢٢].

وأيضاً قال (ص):

«كنت أوّل الناس في الخلق وآخرهم في البعث» [الجامع الصغير ج٢ ص٢٩٦/ حديث٦٤٢٣].

وأيضاً قال (ص):

«أنا وعليّ من نور واحد، وأنا وإيّاه شيء واحد» [عوالي اللّئالي ج۴ ص۱۲۴].

قوله تعالىٰ:

﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾.

[آل‌عمران/ ۶۱].

اسامی و اوصاف قرآن

أحسن الحديث: **﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾** [الزمر/۲۳].

أحسن ماأنزل: **﴿واتّبعوا أحسن ماأُنزل إليكم من ربّكم﴾** [الزمر/۵۵].

بُشرىٰ: **﴿فإنّه نزّله علىٰ قلبك بإذن الله مصدّقاً لما بين يديه وهدىً وبُشرىٰ للمؤمنين﴾** [البقرة/۹۷].

بصائر: **﴿هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾** [الأعراف/۲۰۳].

بلاغ: **﴿هذا بلاغ للنّاس ولينذروا به﴾** [إبراهيم/۵۲].

بيان: **﴿هذا بيان للنّاس وهدىً وموعظة للمتقين﴾** [آل‌عمران/۱۳۸].

بيّنة: **﴿فقد جاءكم بيّنة من ربّكم وهدىً ورحمة﴾** [الأنعام/۱۵۷].

تبيان: **﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾** [النحل/۸۹].

تذكرة: **﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ، إلاّ تذكرة لمن يخشىٰ﴾** [طه/۲-۳].

تفصيل: **﴿ما كان حديثاً يُفترىٰ ولكن تصديق الّذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون﴾** [يوسف/۱۱۱].

تنزيل: **﴿وإنّه لتنزيل ربّ العالمين﴾** [الشعراء/۱۹۲].

حبل: **﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾** [آل عمران/ ۱۰۳].

حديث: **﴿فليأتوا بحديث مثله﴾** [الطور/۳۴].

الحقّ: **﴿لقد جاءك الحقّ من ربك﴾** [يونس/۹۴].

حقّ اليقين: **﴿وانّه لحقّ اليقين﴾** [الحاقّة/۵۱].

حكيم: **﴿يٰس، والقرآن الحكيم﴾** [يس/۱-۲].

رحمة: **﴿فقد جاءكم بيّنة من ربّكم وهدىً ورحمة﴾** [الأنعام/۱۵۷].

روح: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى/٥٢].

ذكر: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ [الحجر/٩].

شفاء: ﴿قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس/٥٧].

صحف مطهّرة: ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة﴾ [البيّنة/٢].

صدق: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مُبدِّل لكلماته﴾ [الأنعام/١١٥].

عدل: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مُبدِّل لكلماته﴾ [الأنعام/١١٥].

عربيّ مبين: ﴿لتكون من المنذرين* بلسان عربيّ مبين﴾ [الشعراء/١٩٤ ـ ١٩٥].

عزيز: ﴿وإنّه لكتاب عزيز* لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه﴾ [فصّلت/٤١ـ٤٢].

عظيم: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر/٨٧].

علم: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا واق﴾ [الرعد/٣٧].

عليّ: ﴿وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم﴾ [الزخرف/٤].

غير ذي عوج: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ [الزمر/٢٨].

فرقان: ﴿تبارك الّذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان/١].

قرآن: ﴿شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة/١٨٥].

القول: ﴿ولقد وصّلنا لهم القول لعلّهم يتذكّرون﴾ [القصص/٥١].

قول رسول كريم: ﴿إنّه لقول رسول كريم* ذي قوّة عند ذي العرش مكين* مطاع ثمّ أمين﴾ [التكوير/١٩ـ ٢١].

قول فصل: ﴿إنّه لقول فصل﴾ [الطارق/١٣].

الكتاب: ﴿ألم* ذلك الكتاب لاريب فيه﴾ [البقرة/١ـ٢].

كريم: ﴿إنّه لقرآن كريم* في كتاب مكنون﴾ [الواقعة/٧٧ـ٧٨].

كلام الله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّىٰ يسمع كلام الله﴾ [التوبة/٦].

كلمة: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مُبدِّل لكلماته﴾ [الأنعام/١١٥].

مبارك: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الّذي بين يديه﴾ [الأنعام/٩٢].

مبین: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة/۱۵].

متشابه: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ [الزمر/۲۳].

مثاني: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ [الزّمر/۲۳].

مجید: ﴿ق* والقرآن المجيد﴾ [ق/۱-۲].

مصدّق: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ [المائدة/۴۸].

مفصّل: ﴿وهو الّذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلاً﴾ [الأنعام/۱۱۴].

موعظة: ﴿هذا بيان للنّاس وهدىً وموعظةً للمتّقين﴾ [آل‌عمران/ ۱۳۸].

مهيمن: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ [المائدة/۴۸].

ميزان: ﴿الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان﴾ [الشورى/۱۷].

نور: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة/۱۵].

الهدىٰ: ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتّقين﴾ [البقرة/۲].

تفاوت اوصاف و درجات (مقامات) پیامبران در قرآن

الف: ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة/۲۵۳].

ب: ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً شياطين الإنس والجنّ﴾ [الأنعام/۱۱۲].

ج ـ ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة/۴۸].

د ـ ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء إنّه عليٌّ حكيم﴾ [الشورىٰ/۵۱].

هـ ـ ﴿أنظر كيف فضّلنا بعضهم علىٰ بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ [الإسراء/۲۱].

و ـ ﴿آمن الرّسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله﴾ [البقرة/۲۸۵].

انبياء إلهی همه کلمات و اسماء حسنای الهی بوده و نمونه‌های انسانهای صاعد هستند، همه یك حقیقت و نور واحد بوده و همه به صراط مستقیم و توحید دعوت کرده‌اند.

همان‌گونه که اسماء حسنی مراتب دارند، انبياء هم در عین حال که همه وسائط فيض خدای سبحان و سفرای الهی هستند، و لكن مراتب باید محفوظ باشد، هر کدام مرتبه‌ای داشته و در رتبهٔ خاصّی قرار گرفته‌اند.

معنای أدقّ توقیفیّت اسماء الهی همین حفظ مراتب است، هر اسمی در رتبهٔ خاصّ خود مظهر و اسم حقّ تعالی بوده و در موطن خاصّی فعلیّت خاصّ دارد گرچه هر اسمی از آن جهت که حکایت ذات ووجود می کند، فی الجمله تمام ذات را نشان می دهد.

بلکه به این معنی همهٔ أجزاء عالم و همه موجودات نظام أحسن، توقیفی هستند، زیرا که در نظام تکوین هیچ موجودی از موطن خود قابل تغییر و تبدیل نیست.

أفضلیت پیامبر خاتم(ص) و همچنین تفاضل سایر پیامبران بر یکدیگر بر اساس فضیلت‌های حقیقی و عینی بوده و از تفاوت رتبه مقام ولایت آنان نشأت گرفته است.

انبیاء علیهم السّلام همان‌گونه که از نظر نبوّت و مقام أخذ، و رسالت و مقام ابلاغ باهم متفاوتند، از نظر مقام ولایت هم متفاوتند، واصولاً همان گونه که مقام نبوّت و رسالت متّکی به مقام ولایت بوده و بدون ولایت نبوّت ورسالت حاصل نمی گردد، تفاوت رتبه در نبوّت و رسالت هم مبتنی بر تفاوت رتبهٔ ولایت خواهد بود.

ولکن مقام ولایت بدون نبوّت و رسالت میسّر بوده و احیاناً انسانهائی همچون ائمّه اطهار علیهم السّلام در عین حال که مقام نبوّت و رسالت را ندارند در مقام ولایت از همهٔ انبیا و مرسلین بالاترند.

تفاوت درجات و تفاضل مقامات انبیا که ذیلاً از آیات قران استفاده شده و ذکر می گردد در اصل به تفاوت مقام ولایت آنان بر می گردد و الله هو العالم.

مقامات و اوصاف عینی پیامبران

حضرت آدم علیه السّلام:

تائب: ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم﴾ [البقرة/۳۷].

خلیفة: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة/۳۰].

مخلوق بیدي الله تعالىٰ: ﴿قال ياابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾ [ص/۷۵].

سجـود المـلائكة: ﴿ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ [الأعراف/۱۱].

مصطفىٰ: ﴿إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً﴾ [آل عمران/۳۳].

معلّم بالأسماء: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ [البقرة/۳۱].

منبّئ الأسماء للملائكة: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ [البقرة/۳۳].

إدريس علیه السّلام:

صابر: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصّابرين﴾ [الأنبياء/۸۵].

صالح: ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنّهم من الصالحين﴾ [الأنبياء/۸۶].

صدّيق: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدّيقاً نبيّاً﴾ [مريم/۵۶].

علوّ مرتبه: ﴿ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ [مريم/۵۷].

مرحوم: ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ [الأنبياء/۸۶].

حضرت نوح علیه السّلام:

أمين: ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتّقون* إنّي لكم رسول أمين﴾ [الشعراء/۱۰۶ ـ ۱۰۷].

رسـول ربّ العـالمين: ﴿قـال ياقـوم ليس بي ضلالة ولكنّي رسـول من ربّ

العالمين﴾ [الأعراف/٦١].

: ﴿سلام علىٰ نوح في العالمين﴾ [الصّافات/٧٩].

شكور: ﴿ذرّيّة من حملنا مع نوح إنّه كان عبداً شكوراً﴾ [الإسراء/٣].

صالح: ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ [التحريم/١٠].

عبد: ﴿إنّه كان عبداً شكوراً﴾ [الإسراء/٣].

عبدنا: ﴿كذّبت قبلهم قوم نوح فكذّبوا عبدنا﴾ [القمر/٩].

مؤمن: ﴿إنّه من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/٨١].

متوكّل: ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال... فعلىٰ الله توكّلت...﴾ [يونس/٧١].

محسن: ﴿سلامٌ علىٰ نوح في العالمين* إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾ [الصافّات/٧٩ ـ ٨٠].

مسلم: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس/٧٢].

مصطفىٰ: ﴿إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً﴾ [آل عمران/٣٣].

نذير مبين: ﴿إن أنا إلاّ نذير مبين﴾ [الشعراء/١١٥].

حضرت هود عليه السّلام:

أمين: ﴿إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتّقون* إني لكم رسول أمين﴾ [الشعراء/ ١٢٤ ـ ١٢٥].

رسول رب العالمين: ﴿قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسول من ربّ العالمين﴾ [الأعراف/٦٧].

متوكّل: ﴿إنّي توكّلت على الله ربّي وربّكم﴾ [هود/٥٦].

ناصح: ﴿أبلّغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين﴾ [الأعراف/٦٨].

حضرت صالح عليه السّلام:

أمين: ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتّقون* إنّي لكم رسول أمين﴾ [الشعراء/ ١٤٢ ـ ١٤٣].

رسول الله: ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيٰها﴾ [الشمس/١٣].

ناصح : ﴿وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لاتحبّون النّاصحين﴾ [الأعراف/ ٧٩].

حضرت ابراهيم عليه السلام:

أب المسلمين: ﴿ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾ [الحج/ ٧٨].

أُسوة: ﴿قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم﴾ [الممتحنة/ ۴].

إمام: ﴿واذ ابتلىٰ إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً﴾ [البقرة/ ١٢۴].

أمّة: ﴿إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً﴾ [النحل/ ١٢٠].

أوّاه: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾ [هود/ ٧٥].

أوّل المسلمين: ﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

أولو اليد والبصر: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أُولي الأيدي والأبصار﴾ [ص/ ۴۵].

صاحب حسنة: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [النحل/ ١٢٢].

حليم: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾ [هود/ ٧٥].

حنيف: ﴿إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً حنيفاً﴾ [النحل/ ١٢٠].

خليل: ﴿واتّخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء/ ١٢٥].

خير: ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/ ۴٧].

صاحب رؤيت ملكوت: ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السمٰوات والأرض﴾ [الأنعام/ ٧٥].

صاحب رشد: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ [الأنبياء/ ۵١].

صاحب سلام: ﴿سلامٌ علىٰ إبراهيم﴾ [الصافات/ ١٠٩].

شاكر: ﴿شاكراً لأنعمه اجتبٰه وهداه إلىٰ صراط مستقيم﴾ [النحل/ ١٢١].

صالح: ﴿وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [النحل/ ١٢٢].

صدّيق: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صدّيقاً نبيّاً﴾ [مريم/٤١].

عبدنا: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ [ص/٤٥].

قانت: ﴿إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً﴾ [النحل/١٢٠].

صاحب قلب سليم: ﴿وإنّ من شيعته لإبراهيم* إذ جاء ربّه بقلب سليم﴾ [الصافّات/ ٨٣ ـ ٨٤].

مؤمن: ﴿سلامٌ علىٰ إبراهيم* كذلك نجزي المحسنين* إنّه من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافّات/ ١٠٩ ـ ١١١].

مجتبىٰ: ﴿شاكراً لأنعمه اجتبٰه وهداه إلىٰ صراط مستقيم﴾ [النحل/١٢١].

محسن: ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ [الصافات/١١٠].

مخلص: ﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار﴾ [ص/٤٦].

مسلم: ﴿ماكان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ [آل عمران/٦٧].

مصطفىٰ: ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/٤٧].

منيب: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾ [هود/٧٥].

حضرت إسماعيل عليه السّلام:

حليم: ﴿فبشّرناه بغلام حليم﴾ [الصافّات/١٠١].

خير: ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار﴾ [ص/٤٨].

ذبيح: ﴿قال يا بُنيّ إنّي أرىٰ في المنام أنّي أذبحك﴾ [الصافّات/١٠٢].

صابر: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين﴾ [الأنبياء/٨٥].

صادق الوعد: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً﴾ [مريم/٥٤].

صالح: ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنّهم من الصالحين﴾ [الأنبياء/٨٦].

مجتبىٰ: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ [الأنعام/٨٧].

مرحوم: ﴿وأدخلناهم في رحمتنا إنّهم من الصالحين﴾ [الأنبياء/٨٦].

مرضيّ: ﴿وكان عند ربّه مرضيّاً﴾ [مريم/٥٥].

مسلم: ﴿ربّنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذرّيّتنا أمّة مسلمة لك﴾ [البقرة/١٢٨].

هبة الله : ﴿الحمدُ لله الّذي وهب لي علىٰ الكبر إسماعيل﴾ [إبراهيم/٣٩].

حضرت إسحاق عليه السّلام:

إمام : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا﴾ [الأنبياء/ ٧٢ ـ ٧٣].

أُولي اليد والبصر: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أُولي الأيدي والأبصار﴾ [ص /٤٥].

خير: ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/٤٧].

صالح : ﴿وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين﴾ [الصافات/١١٢].

عابد : ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء/٧٣].

عبدنا : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ [ص/٤٥].

محسن : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب... وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/٨٤].

مخلَص : ﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار﴾ [ص/٤٦].

مصطفىٰ : ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص٤٧].

هبة الله : ﴿الحمد لله الّذي وهب لي علىٰ الكِبَر إسماعيل وإسحاق﴾ [إبراهيم/٣٩].

حضرت لوط عليه السّلام:

حكيم : ﴿ولوطاً أتيناه حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء/٧٤].

رسول أمين : ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتّقون* إنّي لكم رسول أمين﴾ [الشعراء/ ١٦١ ـ١٦٢].

صالح : ﴿وأدخلناه في رحمتنا إنّه من الصالحين﴾ [الأنبياء/٧٥].

مجتبىٰ : ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ [الأنعام/٨٧].

مرحوم : ﴿وادخلناه في رحمتنا إنّه من الصالحين﴾ [الأنبياء/٧٥].

مهاجر: ﴿فآمن له لوط وقال إنّي مهاجر إلىٰ ربّي إنّه هو العزيز الحكيم﴾ [العنكبوت/٢٦].

حضرت يعقوب عليه السّلام:

إمـام: ﴿ووهبنـا له إسحـاق ويعقـوب نافلة وكـلاً جعلنـا صالحين* وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا﴾ [الأنبياء/ ٧٢ - ٧٣].

أُولي اليد والبصر: ﴿واذكـر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أُولي الأيدي والأبصار﴾ [ص/٤٥].

خير: ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/٤٧].

صالح: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين﴾ [الأنبياء/٧٢].

عابد: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء/٧٣].

عبدنا: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ [ص/٤٥].

متوكّل: ﴿إن الحكم إلاّ لله عليه توكّلت وعليه فليتوكّل المتوكّلون﴾ [يوسف/٦٧].

محسن: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً من قبل... وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/٨٤].

مخلَص: ﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار﴾ [ص/٤٦].

مصطفىٰ: ﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/٤٧].

نافلة: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة﴾ [الأنبياء/٧٢].

هبة الله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ [الأنبياء/٧٢].

حضرت يوسف عليه السّلام

حفيظ عليم: ﴿قال اجعلني علىٰ خزائن الأرض انّي حفيظ عليم﴾

[یوسف/۵۵].

حکیم: ﴿ولمّا بلغ أشدّه آتیناه حکماً وعلماً وکذلك نجزي المحسنین﴾ [یوسف/۲۲].

عبدنا: ﴿إنّه من عبادنا المخلصین﴾ [یوسف/۲۴].

محسن: ﴿وکذلك نجزي المحسنین﴾ [یوسف/۲۲].

مخلَص: ﴿إنّه من عبادنا المخلصین﴾ [یوسف/۲۴].

حضرت شعیب علیه السّلام:

حلیم رشید: ﴿قالوا یاشعیب... انك لأنت الحلیم الرشید﴾ [هود/۸۷].

رسول أمین: ﴿إذ قال لهم شعیب ألا تتقون* إنّي لکم رسول أمین﴾ [الشعراء/۱۷۷ - ۱۷۸].

صالح: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحین﴾ [القصص/۲۷].

متوکّل: ﴿وما توفیقي إلاّ بالله علیه توکّلت وإلیه أُنیب﴾ [هود/۸۸].

منیب: ﴿وما توفیقي إلاّ بالله علیه توکّلت وإلیه أُنیب﴾ [هود/۸۸].

حضرت موسیٰ علیه السّلام:

أوّل المؤمنین: ﴿قال سبحانك تبت إلیك وأنا أوّل المؤمنین﴾ [الأعراف/۱۴۳].

حکیم: ﴿ولمّا بلغ أشدّه واستویٰ آتیناه حکماً وعلماً وکذلك نجزي المحسنین﴾ [القصص/۱۴].

رسول أمین: ﴿أن أدّوا إليّ عباد الله إنّي لکم رسول أمین﴾ [الدخان/۱۸].

رسول ربّ العالمین: ﴿فأتیا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربّ العالمین﴾ [الشعراء/۱۶].

رسول کریم: ﴿ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول کریم﴾ [الدخان/۱۷].

رسول الله: ﴿وقد تعلمون أنّي رسول الله إلیکم﴾ [الصف/۵].

صاحب سلام: ﴿سلام علیٰ موسیٰ وهارون﴾ [الصافّات/۱۲۰].

صاحب شرح صدر: ﴿قال ربّ اشرح لي صدري* ویسّر لي أمري﴾

[طه/٢٥-٢٦].

عبدنا: ﴿إنّهما من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/١٢٢].

كليم: ﴿وكلّم الله موسىٰ تكليما﴾ [النساء/١٦٤].

مؤمن: ﴿إنّهما من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/١٢٢].

محسن: ﴿وكذٰلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/٨٤].

مختار: ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحىٰ﴾ [طه/١٣].

مخلَص: ﴿واذكر في الكتاب موسىٰ إنّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيّاً﴾ [مريم/٥١].

مصطفىٰ: ﴿قال يا موسىٰ إنّي اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين﴾ [الأعراف/١٤٤].

حضرت هارون عليه السّلام:

رسول ربّ العالمين: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين﴾ [الشعراء/١٦].

صاحب سلام: ﴿سلامٌ علىٰ موسىٰ وهارون﴾ [الصافات/١٢٠].

عبدنا: ﴿إنّهما من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/١٢٢].

مؤمن: ﴿إنّهما من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/١٢٢].

محسن: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/٨٤].

حضرت داود عليه السّلام:

أوّاب: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنّه أوّاب﴾ [ص/١٧].

حكيم: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء﴾ [البقرة/٢٥١].

خليفة: ﴿ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين النّاس بالحقّ﴾ [ص/٢٦].

ذو الأيد: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ [ص/١٧].

صاحب فضل: ﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً﴾ [سبأ/١٠].

صاحب فصل الخطاب: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [ص/٢٠].

عبدنا: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ [ص/۱۷].

محسن: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/۸۴].

حضرت سلیمان علیه السّلام:

أوّاب: ﴿ووهبنا لداود سليمان نِعْمَ العبد إنّه أوّاب﴾ [ص/۳۰].

حکیم: ﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء/۷۹].

محسن: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/۸۴].

نعم العبد: ﴿ووهبنا لداود سليمان نِعْمَ العبد﴾ [ص/۳۰].

هبة الله: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ [ص/۳۰].

حضرت ایوب علیه السّلام:

أوّاب: ﴿إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب﴾ [ص/۴۴].

صابر: ﴿إنّا وجدناه صابراً﴾ [ص۴۴].

عبدنا: ﴿واذكر عبدنا ايوب إذ نادىٰ ربّه﴾ [ص/۴۱].

محسن: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ [الأنعام/۸۴].

نِعْمَ العبد: ﴿إنّا وجدناه صابراً نِعْمَ العبد﴾ [ص/۴۴].

حضرت إلیاس علیه السّلام:

صاحب سلام: ﴿سلامٌ علىٰ آل ياسين﴾ [الصافات/۱۳۰].

صالح: ﴿وزكريّا وعيسىٰ وإلياس كلّ من الصالحين﴾ [الأنعام/۸۵].

عبدنا: ﴿إنّه من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/۱۳۲].

مؤمن: ﴿إنّه من عبادنا المؤمنين﴾ [الصافات/۱۳۲].

محسن: ﴿إنّا كذٰلك نجزي المحسنين﴾ [الصافات/۱۳۱].

حضرت الیسع علیه السّلام:

خیر: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار﴾ [ص/۴۸].

مجتبىٰ: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ [الأنعام/٨٧].

حضرت ذو الكفل عليه السّلام:

خير: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلّ من الأخيار﴾ [ص/٤٨].

صابر: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين﴾ [الأنبياء/٨٥].

صالح: ﴿إنّهم من الصالحين﴾ [الأنبياء/٨٦].

مرحوم: ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ [الأنبياء/٨٦].

حضرت يونس عليه السّلام:

مؤمن: ﴿فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء/٨٨].

مجتبىٰ: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ [الأنعام/٨٧].

مسبّح: ﴿فلولا أنّه كان من المسبّحين* للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون﴾ [الصافّات/ ١٤٣ ـ ١٤٤].

حضرت زكريّا عليه السلام:

خاشع: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

عبده (مقيّداً باسمه(ع)): ﴿ذكر رحمة ربّك عبده زكريّا﴾ [مريم/٢].

مجتبىٰ: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ [الأنعام/٨٧].

حضرت يحيىٰ عليه السّلام:

تقيّ: ﴿وحناناً من لدنّا وزكوٰة وكان تقيّاً﴾ [مريم/١٣].

حكيم: ﴿يا يحيىٰ خُذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ [مريم/١٢].

حَصور: ﴿انّ الله يبشّرك بيحيىٰ مصدّقاً بكلمة من الله وسيّداً وحَصوراً ونبيّاً من الصالحين﴾ [آل عمران/٣٩].

خاشع: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

صاحب سلام: ﴿وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً﴾

[مريم/١٥].

سيّد: ﴿وسيّداً وحَصوراً ونبيّاً﴾ [آل‌عمران/٣٩].

صالح: ﴿ونبيّاً من الصالحين﴾ [آل‌عمران/٣٩].

مصدّق: ﴿مصدّقاً بكلمة من الله﴾ [آل عمران/٣٩].

هبة الله: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ﴾ [الأنبياء/٩٠].

حضرت عيسىٰ عليه السّلام:

حكيم: ﴿ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل﴾ [آل‌عمران/٤٨].

رسول الله: ﴿إنّما المسيح عيسىٰ آبن مريم رسول الله وكلمته﴾ [النساء/١٧١].

رسولي: ﴿وإذ أوحيت إلىٰ الحواريّن أن آمنوا بي وبرسولي﴾ [المائدة/١١١].

روح الله: ﴿إنّما المسيح عيسىٰ آبن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الىٰ مريم وروح منه﴾ [النساء/١٧١].

صاحب سلام: ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً﴾ [مريم/ ٣٣].

شهيد: ﴿وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم﴾ [المائدة/١١٧].

صالح: ﴿وزكريّا ويحيىٰ وعيسىٰ و إلياس كلّ من الصالحين﴾ [الأنعام/٨٥].

عبدالله: ﴿قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً﴾ [مريم/٣٠].

كلمة الله: ﴿إنّما المسيح عيسىٰ آبن مريم رسول الله وكلمته﴾ [النساء/١٧١].

مبارك: ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ [مريم/٣١].

مؤيّد بروح القدس: ﴿وآتينا عيسىٰ آبن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس﴾ [البقرة/٨٧].

مقرّب: ﴿عيسىٰ آبن مريم وجيهاً في الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين﴾ [آل‌عمران/٤٥].

وجيه: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه آسمه المسيح عيسىٰ آبن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين﴾ [آل‌عمران/٤٥].

تفسیر انسان و بیان درجات ودَرَکات او در قرآن

ابتداء به چند آیه کریمه اشاره می‌کنیم:

الف ـ ﴿أفمن اتّبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنّم وبئس المصير* هـم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾ [آل‌عمران/۱۶۲ـ۱۶۳].

ب ـ ﴿أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم﴾ [الأنفال/۴].

ج ـ ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف/۱۷۹].

د ـ ﴿إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار ولن تجد لهم نصيراً﴾ [النساء/۱۴۵].

اگر چه تفسیر انسان که مظهر تامّ جلال و جمال خدای سبحان بوده و نهایتاً باید متخلق به اخلاق حق تعالی و آئینهٔ تمام نمای اسماء حسنای او گردد، از همان ابتدا این رساله شروع شده است، و لکن از آنجا که مطالب قبل هر کدام می بایست تحت عنوان خاصّ خود قرار می گرفتند، و از طرفی اوصاف و مقامات مذکور در این قسمت از رساله دربارهٔ انسان بما أنّه انسان خواهد بود، از این جهت این بخش از رساله را تحت عنوان تفسیر انسان بیان می کنیم.

هر کدام از کلمـات و مقـامات ذیل که دربارهٔ انسان خواهد آمد، در موارد متعدّدی از قرآن و ضمن آیات مختلفی ذکرگردیده و برای هر کدام شرایط و عوامل و آثار مختلفی بیان شده است. فهم درست و درك حقیقی هر کدام از آن اوصاف و مقامات وقتی میسّر خواهدبود که تمام موارد و تمام شرایط و آثار هر یك در کنار هم قرار گرفته و با توجّه به روایات و أحادیث و سخنان اهل بیت علیهم السّلام در همان زمینه‌ها جمعبندی گردد، البتّه در این صورت همان شرح و تفسیر خواهد بود که قبلاً به آن اشاره کرده‌ایم، و لکن از آنجا که فعلاً در مقام متن گوئی و متن نویسی هستیم،

برای هر مورد از اوصاف و مقامات انسانی فقط یك نمونه از آیات کریمه قرآن ذکر خواهیم کرد:

اوصاف و درجات انسانهای صاعد

﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر/۱۰]

الف:

أبرار: **﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾** [الأنسان/۵].

ابيّضت وجوههم: **﴿وأمّا الذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾** [آل‌عمران/۱۰۷].

أخيار: **﴿وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾** [ص /۴۷].

أصحاب الجنّة: **﴿لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة، أصحاب الجنّة هم الفائزون﴾** [الحشر/۲۰].

أصحاب الميمنة: **﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾** [الواقعة/۸].

أصحاب اليمين: **﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين* في سدر مخضود﴾** [الواقعة/۲۷ـ۲۸].

إمام مبين: **﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** [يس/۱۲].

الآمرون بالمعروف: **﴿الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾** [التوبة/۱۱۲].

أمّة وسط: **﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً﴾** [البقرة/۱۴۳].

أولو العزم: **﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل﴾** [الأحقاق/۳۵].

أولو العلم: **﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** [آل‌عمران/۱۸].

أولو الأمر: **﴿ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾** [النساء/۵۹].

أولو الأبصار: **﴿إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾** [آل عمران/ ۱۳].

أُولو النُّهىٰ: ﴿إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُّهىٰ﴾ [طه/ ٥٤].

ت:

تائبون: ﴿التّائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون﴾ [التوبة/ ١١٢].

توّابون: ﴿إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

الحافظون لحدود الله: ﴿والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾ [التوبة/١١٢].

ح:

الحامدون: ﴿الحامدون السائحون الراكعون﴾ [التوبة/١١٢].

حزب الله: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه... أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة/٢٢].

حكيم (من يؤت الحكمة): ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة/٢٦٩].

خ:

خاشعون: ﴿واستعينوا بالصبر والصلوٰة وإنّها لكبيرة إلاّ علىٰ الخاشعين﴾ [البقرة/٤٥].

من خاف مقام ربّه: ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾ [النازعات/ ٤٠ ـ ٤١].

من خشي الرّحمن: ﴿إنّما تنذر من آتبع الذّكر وخشي الرحمٰن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم﴾ [يس/١١].

خليفة الله: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة/ ٣٠].

ر:

راسخون في العلم: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران/٧].

راشدون: ﴿ولكنّ الله حبّب اليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ [الحجرات/٧].

راكعون: ﴿وأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة/٤٣].

ذ:

ذاكرون: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذّاكرات أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب/٣٥].

يذّكّرون: ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون﴾ [الأنعام/١٢٦].

س:

ساجدون: ﴿فسبّح بحمد ربّك وكن من الساجدين﴾ [الحجر/٩٨].

سائحون: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون﴾ [التوبة/١١٢].

سعيد: ﴿وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السمٰوات والأرض﴾ [هود/١٠٨].

صاحب سكينة: ﴿هو الّذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [الفتح/ ٤].

ش:

شاكرون: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين﴾ [الزمر/٦٦].

شاهدون: ﴿ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [ال‌عمران/٥٣].

صاحب شرح صدر: ﴿افمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربّه﴾ [الزمر/٢٢].

شكور: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ/١٣].

شهداء: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ النّاس﴾ [البقرة/١٤٣].

شهداء: ﴿الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء/٦٩].

شهداء بالقسط: ﴿ياأيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط﴾ [المائدة/٨].

شهداء لله: ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ [النساء/١٣٥].

ص:

صائمون: ﴿والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات﴾ [الأحزاب/٣٥].

صابرون: ﴿إنّما يوفّىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠].

صادقون: ﴿إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات/١٥].

صالحون: ﴿ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء/٦٩].

صبّار شكور: ﴿إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور﴾ [لقمان/٣١].

صدّيقون: ﴿فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أُولئك رفيقا﴾ [النساء/٦٩].

ط:

طيّبون: ﴿الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلامٌ عليكم﴾ [النحل/٣٢].

ع:

عابدون: ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ [التوبة/١١٢].

عاكفون: ﴿أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود﴾ [البقرة/١٢٥].

عاملون: ﴿والّذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنّهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ [العنكبوت/٥٨].

عبادُ الرّحمن: ﴿وعبادُ الرّحمٰن الذين يمشون علىٰ الأرض هوناً﴾ [الفرقان/٦٣].

عبادُ الله: ﴿عيناً يشرب بها عبادُ الله يفجّرونها تفجيراً﴾ [الإنسان/۶].
عبادي: ﴿فادخلي في عبادي* وادخلي جنّتي﴾ [الفجر/ ۲۹ - ۳۰].
عبد منيب: ﴿إنّ في ذلك لآية لكلّ عبد منيب﴾ [سبأ/۹].

ف:

فائزون: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون﴾ [النور/۵۲].

ق:

قانتون: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل‌عمران/۱۷].
صاحب قلب خاشع: ﴿ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الحديد/۱۶].
صاحب قلب سليم: ﴿ألاّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء/۸۹].
صاحب قلب منيب: ﴿من خشي الرحمٰن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ [ق/۳۳].
صاحب قلب مطمئن: ﴿الّذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد/۲۸].
صاحب قلب ممتحن: ﴿أولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ [الحجرات/۳].
صاحب قلب وجل: ﴿والـذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنّهم الىٰ ربّهم راجعون﴾ [المؤمنون/۶۰].
قوّامون بالقسط: ﴿ياأيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ [النساء/۱۳۵].
قوّامون لله: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله﴾ [المائدة/۸].

م:

مؤتون الزكوٰة: ﴿والمقيمين الصلوٰة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ [النساء/۱۶۲].
مؤمنون: ﴿أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربّهم﴾ [الأنفال/۴].

متصدّقون: ﴿والمتصدّقين والمتصدّقات والصائمين والصائمات﴾ [الأحزاب/٣٥].

متطهّرون: ﴿إنّ الله يحبّ التّوابين ويحبّ المتطهّرين﴾ [البقرة/٢٢٢].

متّقون: ﴿إنّ المتّقين في جنّات ونهر* في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

متوكّلون: ﴿فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين﴾ [آل عمران/١٥٩].

مجاهدون: ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ [النساء/٩٥].

محبوبون ومحبّون: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾ [المائدة/٥٤].

محسنون: ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت/٦٩].

مخلِصون: ﴿ونحن له مخلِصون﴾ [البقرة/ ١٣٩].

مخلَصون: ﴿قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين* إلاّ عبادك منهم المخلصون﴾ [ص/ ٨٢ - ٨٣].

مسلمون: ﴿وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت/٤٦].

مستغفرون: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران/١٧].

مصّدّقين: ﴿إنّ المصّدّقين والمصّدّقات واقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ [الحديد/١٨].

مصطفون: ﴿وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص/٤٧].

مصلحون: ﴿إنّا لانضيع أجر المصلحين﴾ [الأعراف/١٧٠].

مصلّون: ﴿إلاّ المصلّين* الّذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج/ ٢٢-٢٣].

مطهّرون: ﴿إنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لايمسّه إلاّ المطهّرون﴾ [الواقعة/ ٧٧ - ٧٩].

مفلحون: ﴿وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ [التوبة/٨٨].

مقرّبون: ﴿كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين* وما أدراك ما علّيون* كتاب

مرقوم* يشهده المقرّبون﴾ [المطففين/۱۸-۲۱].

مقسطون: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين﴾ [المائدة/۴۲].

مقيمو الصلاة: ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ [النساء/۱۶۲].

مكرمون: ﴿إلاّ عباد الله المخلصين* اولئك لهم رزق معلوم* فواكه وهم مكرمون﴾ [الصافات/۴۰-۴۲].

منفقون: ﴿والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل‌عمران/۱۷].

موقنون: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام/۷۵].

مهتدون: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة/۱۵۷].

ن:

نبيّون: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ [النساء/۶۹].

صاحب نفس مطمئنّة: ﴿يا أيّتها النفس المطمئنّة* إرجعي إلىٰ ربّك راضية مرضيّة* فادخلي في عبادي* وادخلي جنّتي﴾ [الفجر/۲۷-۳۰].

و:

وارثون: ﴿والّذين هم علىٰ صلواتهم يحافظون* أولئك هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون/ ۹ - ۱۱].

ي:

يؤمنون: ﴿إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ [الأنعام/۹۹].

يتفكّرون: ﴿إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون﴾ [النحل/۶۹].

يسمعون: ﴿إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ [النحل/۶۵].

يعقلون: ﴿إنّ في خلق السمٰوات والأرض... لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة/۱۶۴].

يعلمون: ﴿تلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون﴾ [البقرة/۲۳۰].

يفقهون: ﴿قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ [الأنعام/٩٨].

يوقنون: ﴿قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون﴾ [البقرة/١١٨].

اوصاف و درکات بشرهای ساقط

الف:

آثمون: ﴿ولا نكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين﴾ [المائدة/١٠٦].

أخسرون: ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ [النمل/٥].

أخلد إلىٰ الأرض: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد الىٰ الأرض واتبع هواه﴾ [الأعراف/١٧٦].

اسودّت وجوههم: ﴿فأمّا الّذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ [آل‌عمران/١٠٦].

اصحاب الجحيم: ﴿والّذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك اصحاب الجحيم﴾ [الحج/٥١].

أصحاب السعير: ﴿إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر/٦].

أصحاب الشمال: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ [الواقعة/٤١].

أصحاب المشئمة: ﴿وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة﴾ [الواقعة/٩].

أصحاب النّار: ﴿بلىٰ من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/٨١].

أفّاك أثيم: ﴿هل أنبئكم علىٰ من تنزّل الشياطين* تنزّل علىٰ كلّ أفّاك أثيم﴾ [الشعراء/ ٢٢١ ـ ٢٢٢].

أُولو الطول: ﴿وإذا أُنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله آستئذنك أُولوا الطّول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ [التوبة/٨٦].

أُولو النعمة: ﴿وذرني والمكذّبين أُولي النّعمة ومهّلهم قليلاً﴾ [المزمّل/١١].

أولياء الشيطان: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء/٧٦].

ج:

جاهلون: ﴿وعباد الرحمٰن الّذين يمشون علىٰ الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان/۶۳].

جبّار: ﴿كذلك يطبع الله علىٰ كلّ قلب متكبّر جبّار﴾.[غافر/۳۵].

ح:

حزب الشيطان: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أُولئك حزب الشيطان﴾ [المجادلة/۱۹].

حلّاف مهين: ﴿ولا تطع كل حلّاف مهين﴾ [القلم/۱۰].

خ:

خائضون: ﴿وكنّا نخوض مع الخائضين﴾ [المدثر/۴۵].

خائنون: ﴿إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾ [النساء/۱۰۵].

خاسرون: ﴿الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة/۲۷].

خبيثون: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ [النور/۲۶].

خصمون: ﴿وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلاّ جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ [الزخرف/۵۸].

خوّان أثيم: ﴿ولا تجادل عن الّذين يختانون أنفسهم إنّ الله لايحبّ من كان خوّاناً أثيماً﴾ [النساء/۱۰۷].

خوّان كفور: ﴿إنّ الله يُدافع عن الّذين آمنوا إنّ الله لايحبّ كلّ خوّان كفور﴾ [الحج/۳۸].

ذ:

ذليل: ﴿ضربت عليهم الذلّة أين ما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من النّاس وباءُوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ [آل‌عمران/۱۱۲].

ساخرون: ﴿أن تقول نفس ياحسرتىٰ علىٰ ما فرّطت في جنب الله وأن كنت لمن الساخرين﴾ [الزّمر/ ۵۶].

ساهون: ﴿فويلٌ للمصلّين* الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون/٤-٥].

سفهاء: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنّهم هم السّفهاء ولكن لايعلمون﴾ [البقرة/١٣].

ش:

شقيّ: ﴿ يوم يأت لاتكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد﴾ [هود/١٠٥].

ص:

صمّ بكم: ﴿إنّ شرّ الدّواب عند الله الصمّ البكم الّذين لايعقلون﴾ [الأنفال/٢٢].

ض:

ضالّون: ﴿فلّما أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالين﴾ [الأنعام/٧٧].

ضيّق الصدر: ﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنّما يصّعد في السّماء كذلك يجعل الله الرجس علىٰ الّذين لايؤمنون﴾ [الأنعام/١٢٥].

ط:

طاغوت: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾ [البقرة/٢٥٦].

طاغون: ﴿هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآب﴾ [ص/٥٥].

ظ:

ظالمون: ﴿وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً﴾ [الإسراء/٨٢].

ع:

عادون: ﴿فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون/٧].

عاكفون: ﴿فأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم﴾ [الأعراف/١٣٨].

غ:

غابرون: ﴿فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين﴾ [الأعراف/۸۳].

غافلون: ﴿لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف/۱۷۹].

غاوون: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعك من الغاوين﴾ [الحجر/۴۲].

ف:

فاسقون: ﴿ولاتكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ [الحشر/۱۹].

فجّار: ﴿وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾ [الانفطار/۱۴].

فرحون: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لايحبّ الفرحين﴾ [القصص/۷۶].

ق:

قاسطون: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً﴾ [الجنّ/۱۵].

قاعدون: ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون﴾ [النساء/۹۵].

آثم قلبه: ﴿وليتقّ الله ربّه ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه﴾ [البقرة/۲۸۳].

في قلوبهم رين: ﴿كلاّ بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين/۱۴].

في قلوبهم زيغ: ﴿فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ [آل‌عمران/۷].

طُبع علىٰ قلوبهم: ﴿أولئك الّذين طبع الله علىٰ قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ [النحل/۱۰۸].

القاسية قلوبهم: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للّذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ [الحج/۵۳].

صاحب القلب الغافل: ﴿ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان

أمر فرطاً﴾ [الكهف/٢٨].

صاحب القلب المتكبّر: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار﴾ [غافر/٣٥].

في قلوبهم مرض: ﴿اذ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم﴾ [الأنفال/٤٩].

ختم الله علىٰ قلوبهم: ﴿ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ [البقرة/٧].

صرف الله قلوبهم: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلىٰ بعض هل يراكم من أحد ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون﴾ [التوبة/١٢٧].

لم يُطهّر قلوبهم: ﴿أولئك الّذين لم يرد الله أن يُطَهّر قلوبهم لهم في الدّنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [المائدة/٤١].

ك:

كذّاب كفّار: ﴿إنّ الله لايهدي من هو كذّاب كفّار﴾ [الزمر/٣].

كاذبون: ﴿إنّما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ [النحل/١٠٥].

كافرون: ﴿فاتّقوا النّار الّتي وقودها النّاس والحجارة أعدّت للكافرين﴾ [البقرة/٢٤].

كفّار أثيم: ﴿يمحق الله الرّبا ويُربي الصدقات والله لايحبّ كلّ كفّار أثيم﴾ [البقرة/٢٧٦].

كفّار عنيد: ﴿ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد﴾ [ق/٢٤].

الكفرة الفجرة: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ [عبس/٤٢].

كفور: ﴿فاصبر لحكم ربّك ولاتُطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ [الإنسان/٢٤].

ل:

لايؤمنون: ﴿وما تغني الآيات والنّذر عن قوم لايؤمنون﴾ [يونس/١٠١].

لاعبون: ﴿قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام/٩١].

لايعقلون: ﴿وإذا ناديتم إلىٰ الصّلاة اتّخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم

لایعقلون﴾ [المائدة/۵۸].

لایفقهون: ﴿رضوا بأن یکونوا مع الخوالف وطبع علیٰ قلوبهم فهم لایفقهون﴾ [التوبة/۸۷].

لمزة: ﴿ویل لکلّ همزة لمزة﴾ [الهمزة/۱].

م:

ماکرون: ﴿واذ یمکر بك الّذین کفروا لیثبتوك أو یقتلوك أو یخرجوك ویمکرون ویمکر الله والله خیر الماکرین﴾ [الأنفال/۳۰].

متکبّرون: ﴿قیل ادخلوا أبواب جهنّم خالدین فیها فبئس مثوی المتکبّرین﴾ [الزمر/۷۲].

مجرمون: ﴿وکذلك نفصّل الآیات ولتستبین سبیل المجرمین﴾ [الأنعام/۵۵].

محضرون: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقیه کمن متّعناه متاع الحیاة الدنیا ثمّ هو یوم القیامة من المحضرین﴾ [القصص/۶۱].

مختال فخور: ﴿إنّ الله لایحبّ من کان مختالاً فخوراً﴾ [النساء/۳۶].

مرتاب: ﴿کذلك یضلّ الله من هو مسرف مرتاب﴾ [غافر/۳۴].

مرتدّون: ﴿ومن یرتدد منکم عن دینه فیمت وهو کافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنیا والآخرة﴾ [البقرة/۲۱۷].

مستکبرین: ﴿لاجرم أنّ الله یعلم ما یسرّون وما یعلنون إنّه لایحبّ المستکبرین﴾ [النحل/۲۳].

مستهزؤون: ﴿إنّا کفیناك المستهزءین﴾ [الحجر/۹۵].

مسحورون: ﴿لقالوا إنّما سکّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ [الحجر/۱۵].

مسرفون: ﴿وإنّ فرعون لعال في الأرض وإنّه لمن المسرفین﴾ [یونس/۸۳].

مشّاء بنمیم: ﴿همّاز مشّاء بنمیم﴾ [القلم/۱۱].

مشرکون: ﴿هو الّذي أرسل رسوله بالهدیٰ ودین الحقّ لیظهره علیٰ الدّین کلّه ولو کره المشرکون﴾ [التوبة/۳۳].

مضلّون: ﴿ودّت طائفة من أهل الکتاب لو یضلّونکم وما یضلّون إلاّ أنفسهم وما یشعرون﴾ [آل‌عمران/۶۹].

مطفّفون: ﴿ويل للمطففين﴾ [المطففين/١].

معتد أثيم: ﴿ويل يومئذ للمكذّبين* الّذين يكذّبون بيوم الدين* وما يكذّبُ به إلاّ كلّ معتد أثيم﴾ [المطفّفين/ ١٠ - ١٢].

معتد مريب: ﴿ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد* منّاع للخير معتد مريب﴾ [ق/ ٢٤ - ٢٥].

معتـدون: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل كذلك نطبع علىٰ قلوب المعتدين﴾ [يونس/٧٤].

مغضوب عليهم: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة/ ٧].

مفترون: ﴿إنّ الّذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ [الأعراف/١٥٢].

مفسدون: ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ [الأعراف/٨٦].

مقبوحون: ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ [القصص/٤٢].

مقتسمون: ﴿وقل إنّي أنا النذير المبين* كما أنزلنا علىٰ المقتسمين﴾ [الحجر/ ٨٩ - ٩٠].

مكذّبون: ﴿قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾ [الأنعام/١١].

ملعونون: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ [الاحزاب/ ٦٠].

ممترون: ﴿لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين﴾ [يونس/٩٢].

منّاع للخير: ﴿منّاع للخير معتد أثيم﴾ [القلم/١٢].

منافقون: ﴿يحذّر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم﴾ [التوبة/٦٤].

منكرون: ﴿قال إنّكم قوم منكرون﴾ [الحجر/٦٢].

هـ:

همزة: ﴿ويل لكلّ همزة لمزة﴾ [الهمزة/١].

من اتخذ الٰهه هواه: ﴿أفرأيت من أتّخذ إلٰهه هواه وأضلّه الله علىٰ علم﴾ [الجاثية/٢٣].

ي:

الـذين يأكلون أموال النّاس: ﴿إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله﴾ [التوبة/۳۴].

الّـذين يأكلون أمـوال اليتامىٰ: ﴿إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظُلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ [النساء/۱۰].

الذين يأكلون الرّبا: ﴿الّذين يأكلون الرّبا لايقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ﴾ [البقرة/۲۷۵].

الّذين يصدّون عن سبيل الله: ﴿ويصدّون عن سبيل الله﴾ [التوبة/۳۴].

يفرقون: ﴿ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولكنّهم قوم يفرقون﴾ [التوبة/۵۶].

يعكفون على الأصنام: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم﴾ [الأعراف/۱۳۸].

الّـذين يكنـزون الذهب: ﴿والّذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة/۳۴].

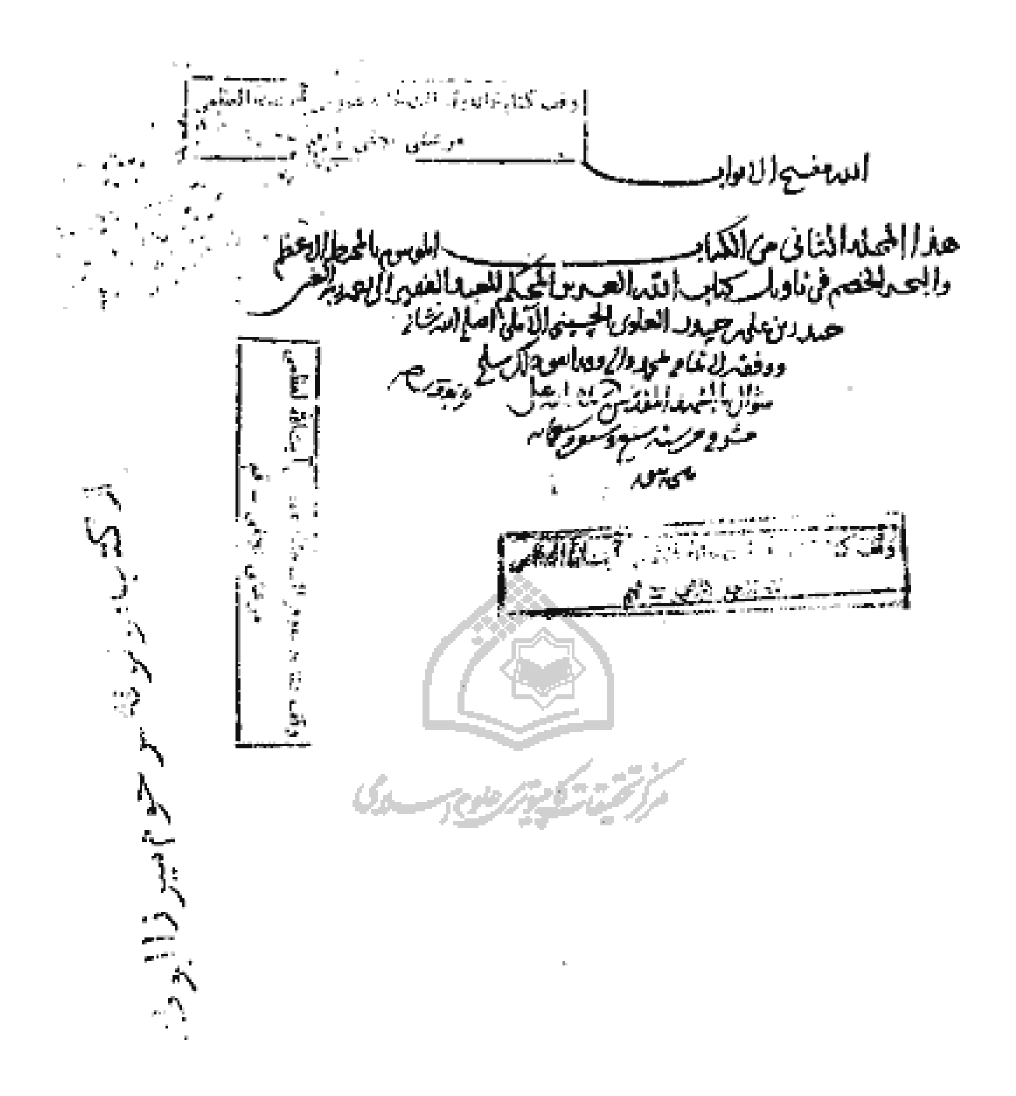
والحمدُ لله رب العالمين اللّهمّ لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين.

هذا ما عندنا من المقدّمة، حرّره أذلّ الأذلّين السيّد محسن
الموسوي التبريزي مستغفراً منيباً إليه سبحانه وتعالىٰ.
قم المشرّفة ۱۲ محرّم الحرام ۱۴۱۳ القمري من الهجرة النبويّة
المطابق ۲۲ تير ۱۳۷۱ الشمسي من الهجرة.

الصفحة الأولى من النسخة

الصفحة الأولى من المقدّمة من النسخة.

الصفحة الأخيرة من المقدّمة الأولى من النسخة.



الصفحة الأولى من المجلّد الثاني من النسخة.

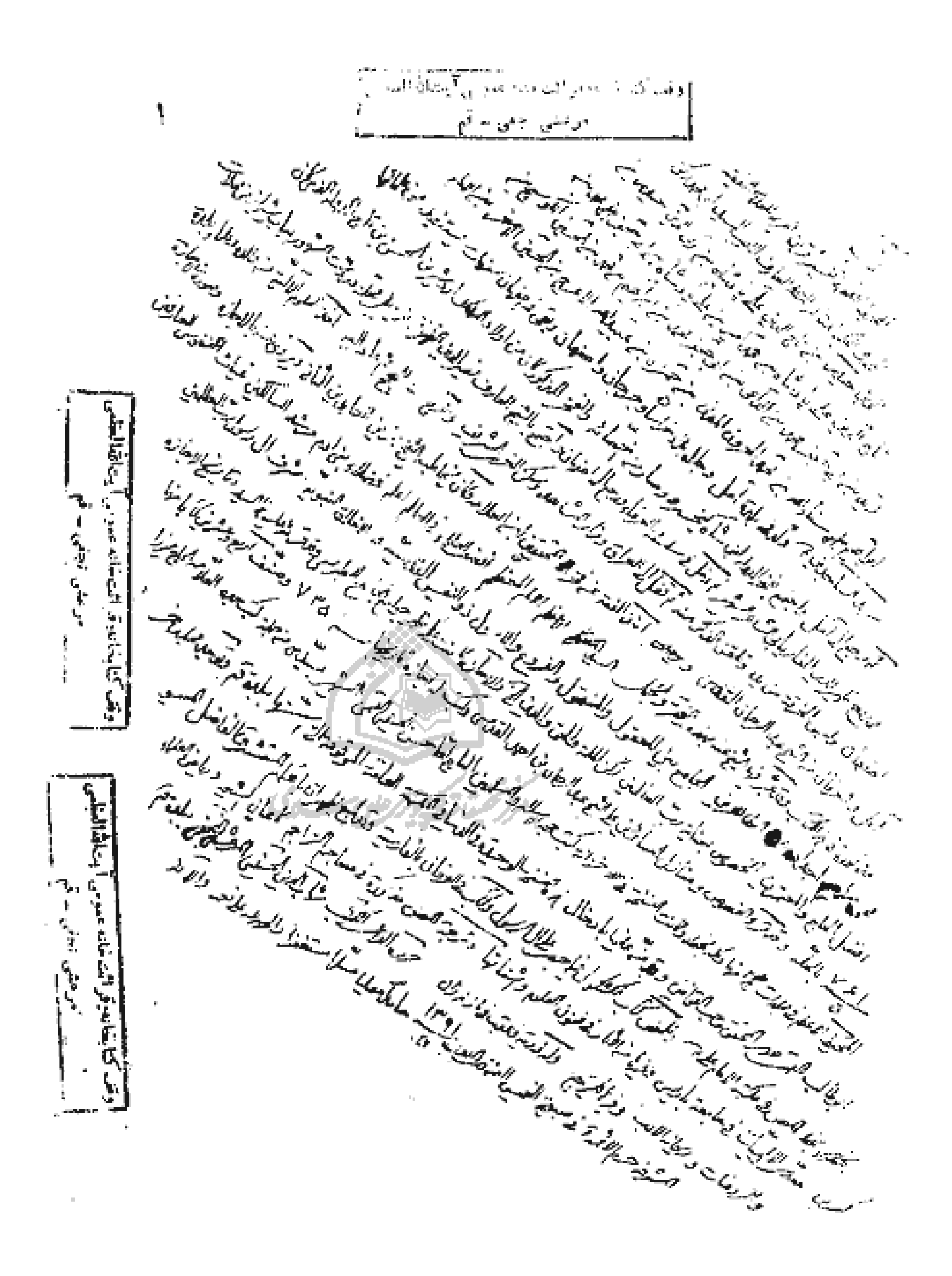
الصفحة الأولى من تفسير سورة الفاتحة وتأويلها من النسخة.

الصفحة الثانية من تفسير سورة الفاتحة وتأويلها من النسخة.

الصفحة الأخيرة من تفسير سورة الفاتحة وتأويلها من النسخة.

الصفحة الأولى من تفسير سورة البقرة وتأويلها من النسخة.

الصفحة الأخيرة من النسخة.



هذا ما كتبه بخطّه الآية الحجّة العلاّمة النسّابة المرعشي النجفي (رض) مؤسّس المكتبة العامّة وحافظ النسخة.

هذا خطّه رحمه الله كتبه بظهر النسخة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم
وبـه نستعين

الحمدُ لله أنزل القرآن علىٰ عبيده بلسان النبيّ الصّادق الكريم، وجعل افتتاحه تبرّكاً وتيمّناً باسمه الأعظم الّذي هو بسم الله الرّحمن الرّحيم، وجعله جامعاً للكتب السماويّة المنزّلة علىٰ أنبيائه ورسله من عيسىٰ وموسىٰ وداود وإبراهيم، ووشحه بجميع الحقائق والدقائق العلويّة والسفليّة من الحقير والعظيم، ليظهر علىٰ خلقه أسرار الشريعة والطريقة والحقيقة التي هي عبارة عن دينه القويم، ويحصل لكلّ واحد منهم الإستقامة علىٰ طريق الحقّ الذي أشار إليه بصراطه المستقيم.

وصلّىٰ الله علىٰ من خصّ أزلاً بمثل هذه الموهبة ولطفه الجسيم، وعلىٰ آله وأصحابه وأهل بيته أهل الفوز والجنّة والنعيم.



(بقيّة خطبة الكتاب)

(دليل تأليف الكتاب وجامعيّته بجميع المراتب المحمّديّة(ص))

. . . أن أكتب لهم كتاباً جامعاً للتأويل والتّفسير مشحوناً بتلك النحو، بحيث يكون التأويل مطابقاً لأرباب التّوحيد وأهل الحقيقة غير خارج عن قاعدة أهل البيت (ع) بحسب الظّاهر. أعني يكون جامعاً للشّريعة والطّريقة والحقيقة، لقول النبي (ص):

«الشّريعة أقوالي، والطّريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي» الحديث[1].

لأن كلّ كتاب يكون جامعاً لهذه المراتب الثّلاث الّتي هي جامعة لجميع المراتب المحمديّة يكون جامعاً لجميع المراتب الإلهيّة والكونيّة، حاوياً لمجموع الكمالات المنسوبة إلى الأنبياء والأولياء بأجمعهم لقوله (ع):

---

(١) قوله: «الشّريعة أقوالي الحديث».
في أسرار التّوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ج ٢، ص ٣٠٩: الشريعة أفعال في أفعال، والطّريقة أخلاق في أخلاق، والحقيقة أحوال في أحوال، فمن لا أفعال له بالمجاهدة ومتابعة السّنّة فلا أخلاق له بالهداية والطّريقة، ومن لا أخلاق له بالهداية والطّريقة فلا أحوال له بالحقيقة والاستقامة والسّياسة.
روى الحديث ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي «مجلد ٤، ص ١٢٤، ح ٢١٢، ورواه أيضاً مستدرك الوسائل عن النّبيّ (ص)، ج ١١، ص ١٧٣ كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس باب ٤، ح ٨، وتمام الحديث على ما في المستدرك هكذا: عن النبيّ (ص) قال:
الشّريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحبّ أساسي، والشّوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل

«أوتيت جوامع الكلم»(٢).

«وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٣).

زادي (ردائي)، والقناعة كنزي، والصّدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين. ويأتي نقل الحديث في المقدّمة السّادسة من الكتاب مع شرح وتبيين إن شاء الله فانتظر.

(٢) قوله (ص): «أوتيت جوامع الكلم».

نهج الفصاحة ص ١٩٥، حديث ٩٦٩. عوالي اللئالىء ج ٤، ص ١٢٠، حديث ١٩٤، وكنز العمال ج ١١، ص ٤٤٠، حديث ٣٢٠٦٨: أوتيت جوامع الكلم، واختصرت لي الأمور اختصاراً.

وفي صحيح مسلم ج ١، ص ٣٧١، حديث ٥٢٣ كتاب المساجد، بسنده عن رسول الله (ص) قال: فضّلت على الأنبياء بستّ: أعطيتُ جوامع الكلم (بعثت بجوامع الكلم) ونصرتُ بالرّعب، وأحِلّتْ لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلتُ إلى الخلق كافّة، وختم بي النبيّون. وفي مسند أحمد ج ٢، ص ٢٥٠، مثله في جملتين فقط، وفي ص ٢١٢ بسنده عن رسول الله (ص) فقال: أنا محمّد النبيّ الأميّ، أنا محمّد النبيّ الأميّ ثلاثاً، ولا نبيّ بعدي، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش، وتجوّز بي، وعوفيت وعوفيت أمّتي. الحديث.

وأيضاً في البحار ج ١٨، ص ٣٧٠، حديث ٧٧، عن الشيخ الطوسي في أماليه عن المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن سعد، عن عبد الله بن موسى، عن محمد بن عبد الرحمان العرزمي، عن المعلّى بن هلال، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:

أعطاني الله تعالى خمساً، وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً، وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه، وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه. الحديث وفي صحيح البخاري باب المفاتيح في اليد من أبواب باب التعبير ج ٩، ص ٤٧، وأيضاً في سنن النسائي كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد ج ٦، ص ٣، بسندهما عن النبيّ (ص) قال:

بعثت بجوامع الكلم، ونصرتُ بالرُعب، وبينا أنا نائم أتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي الحديث فراجع.

وفي الجامع الصغير للسيوطي ج ١، ص ٣٩٣، الحديث ٢٥٧٣: إنّما بعثت فاتحاً وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه الحديث.

(٣) قوله (ص): «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

رواه أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان ذيل الآية: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [من سورة القلم، الآية: ٤].

فحيث رأيت أنّ هذا أيضاً إلهام إلٰهي، وفيض ربّانيّ وارد على قلوبهم من عالم الغيب وحضرة القدس المشار إليه في قوله:

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

وتحقّقت أنّه من أعظم عبادة الله وأفضل طاعاته، لقوله:

﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٤].

شرعت فيه بموجب التماسهم، وسلكت مسلكاً مناسباً بحالهم، وشرطت على نفسي أن أكتب لهم هذا الكتاب، بعون الله وحسن توفيقه من غير إهمال ولا إخلال شيء يتعلّق به وأضفت إليه تلك اللطائف والنّكات كما سبق ذكره.

وروى عنه مستدرك الوسائل ج ١١، ص ١٨٧، باب استحباب التخلّق بمكارم الأخلاق من أبواب جهاد النفس.

والحديث معروف وروي مضمونه ومعناه بألفاظ مختلفة، روى البيهقي في باب بيان مكارم الأخلاق من كتاب الشهادات ص ١٩٢ بسنده عنه (ص): إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق. وروي أيضاً بسند آخر: بعثتُ لأتمّم صالح الأخلاق. ورواه أيضاً مالك في الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق ح ٨، ص ٤٧، من كتاب حسن الخلق ج ٢ وقال:

وحدّثني عن مالك، أنّه قد بلغه أنّ رسول الله (ص) قال: بعثت لأتمّم حسن الأخلاق.

ورواه أيضاً في المستدرك على الصحيحين ج٢، ص ٦١٣.

وفي جامع الصغير أيضاً ٢٥٨٤: إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق.

ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٣٨١.

وفي الأمالي للشيخ الطوسي (رض) ج ٢، ص ٢٠٩، بإسناده عن إسحاق بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه عن رسول الله (ص) قال: بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها.

وفيه ص ٩٢ أيضاً بإسناده عن محمد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي، عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه، عن آبائه عن رسول الله (ص):

عليكم بمكارم الأخلاق، فإنّ الله عزّ وجلّ بعثني بها الحديث.

وفي معاني الأخبار للصدوق (رض) ص ١٩١ باب معنى مكارم الأخلاق الحديث ٣: بإسناده عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله (ع) قال: إن الله تبارك وتعالى خصّ رسول الله (ص) بمكارم الأخلاق الحديث.

(ترتيب كتابته في نسخته رحمه الله)

وترتيبه، أن أكتب القرآن أوّلاً في كلّ موضع منه بالحمرة ليتميّز كلام الخالق عن المخلوق، ثمّ التفسير المنقول، ثمّ التأويل الّذي يفيض علينا من الله الجواد المطلق بحسب الوقت والحال مع إضافة تلك اللطائف والنّكات المذكورة، وجعلت علامة التفسير أن أكتبه بعد القرآن بلا فصل بينه وبينه، وعلامة التأويل: تأويلٌ، بالحمرة، لئلاّ يشتبه الكلام بعضه بالبعض، أعني التفسير بالتأويل والتأويل بالتّفسير، ووشحته بمقدّمات سبعة معتبرة متقدمة على الكتاب، وهي مقدّمات لا بدّ لهذا الكتاب منها بحيث لو خلّى عنها لم يكن تامّاً في طريقه ولا مشبعاً في فنّه.

(عناوين المقدّمات السبع)

المقدمة الأولى منها، في بيان التأويل والتفسير، والفرق بينهما وبيان أنّ تأويل القرآن واجب عقلاً وشرعاً.

المقدّمة الثانية، في بيان كتاب الله الكبير الآفاقي وتطبيقه بكتاب الله القرآني الجمعي.

المقدمة الثالثة، في بيان حروف الله الآفاقية وتطبيقها بحروف الله القرآنية.

المقدمة الرابعة، في بيان كلمات الله الآفاقية وتطبيقها بكلمات الله القرآنية.

المقدمة الخامسة، في بيان آيات الله الآفاقية وتطبيقها بآيات الله القرآنية.

المقدمة السادسة، في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان أنها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة.

المقدمة السابعة، في بيان التوحيد وأقسامه ومراتبه من التوحيد الفعلي والوصفي والذّاتي، انحصارها في التوحيد الألوهي والوجودي، وما اشتمل عليهما من الأبحاث الدقيقة والأسرار الشريعة.

ورتّبت هذه المقدمات... في مجلدات كبار بحيث تكون المقدّمات.. وسمّيته بالمحيط الأعظم في البحر الخضم[٤].

---

(٤) قوله: وسمّيته بالمحيط الأعظم في البحر الخضمّ أقول: نقل في عنوان الكتاب عبارات مختلفة:

جزى اللّه خيراً من تـأمّل صنعتي وقـابـل مـا فيهـا من السّهـو بـالعفـو
وأصلح مـا أخـطأتُ فيهـا بفضله وفـطنته واستغفـر اللّه من سهـوي

والعذر عند كرام الناس مقبول.

اللّهم اغفر لي رمزات الألحاظ(٥)، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات(٦) اللّسان، برحمتك يا أرحم الراحمين، إنك أنت الوهاب.

وإذا تقرّر هذا، وتحقق ترتيب الكتاب وعلّة تصنيفه وتأليفه؛

فاعلم: أن هذا المكان قبل الخوض في المقدمات، والتأويلات، يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أشياء:

الأوّل: إلى علّة تقديم المقدّمات ووجه انحصارها في السبع

والثاني: إلى علّة تطبيق التأويل.

والثالث: إلى علّة خصوصيّة التأويل بأهل التوحيد وأهل البيت (ع) دون غيرهم وبيان الأولويّة والتّرجيح وتخصيص الرسوخ بهم، وبيان تفضيلهم في جميع ذلك على غيرهم صورةً ومعنىً بحكم العقل والنقل.

(أ) المحيط الأعظم والبحر الخضّم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم.

(ب) المحيط الأعظم في البحر الخضمّ.

(جـ) المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم.

(د) المحيط الأعظم والطود الأشمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم.

ومن العناوين العنوان: ب والعنوان: د من المؤلّف، قال بالأول في المجلد الثاني من النسخة في تفسير سورة الحمد وبالثاني في مقدمة كتابه نصّ النصوص وفصّلنا التوضيح في عنوان الكتاب في مقدمتنا للكتاب فراجع. وأمّا معنى الخِضَمّ: البحر الواسع والبحر المحيط والبحر العظيم والجمع الكثير والسيف القاطع فراجع الصحاح ولسان العرب والمعجم الوسيط والمنجد.

(٥) قوله: رمزات الألحاظ:

أقول: لَحَظَه ولحظَ إليه، أي نظر إليه بمؤخّر عينه عن يمين ويسار أي من أحد جانبيه. اللّحاظ: مؤخّر العين ممّا يلي الصدغ. لَحظُ العين: باطنها، اللّحظ مصدر جمعه لِحاظ والْحاظ: باطن العين. لاحَظَ الشيء: راقبه، تلحّظ: ضاق.

(٦) قوله: وهفوات اللسان:

أقول: هفو، هفواً وهفوةً وهفواناً: اسرع. الهفوة جمعها هفوات يعني السقطة والزّلة، يقال: الإنسان كثير الهفوات. الأهفاء: الحمقى من النّاس.

وحيث إن تحقيق هذا البحث الأخير يحتاج إلى بسط تامّ، فالأصلح أن يجعل مكانه آخر المقدمة الأولى في فصل منفرد برأسه.



علّة تقديم المقدمات ووجه حصرها في السّبع

البحث الأوّل

في علّة تقديم المقدّمات ووجه حصرها في السّبع

(سبب تقديم المقدّمات)

إعلم، وفّقك الله تعالى لتحصيل مرضاته، أن كل من يريد أن يكتب تأويل القرآن على طريقة أهل الله، وأرباب التوحيد، لا بدّ له من تقديم هذه المقدمات السبعة، لأنها كالأسّ بالنسبة إلى تشييد(٧) أركانه وبنيانه، وكالسُّلّم للعروج إلى ذروة(٨) معانيه وعلوّ أسراره، لأن الطالب أو السالك إن لم يتحقّق هذه القواعد والأصول في أوّل الكتاب ولم يتبيّن له هذه الضوابط والقوانين في صدر الفصول والأبواب، لم يلتفت أصلاً إلى التأويل وإلى ما في ضمنه من الأسرار واللّطائف

---

(٧) قوله: لأنّها كالأسّ بالنسبة إلى تشييد:

أقول: شيّد البناء: رفعه وأعلاه. تشييد البناء: إحكامه قال تعالى: ﴿وقصر مشيد﴾ [الحج: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿في بروج مشيّدة﴾ [النساء: ٧٨]. كلّ ما أحكم من البناء، فقد شُيّد. شيّد قواعده: أحكمها. وفي حديث عن الرّضا (ع): إن الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم (ع) وأشاد بها ذكره الحديث (أصول الكافي ج١، ص١٩٨، ح١، يعني رفع بها قدره ومحلّه ومنزلته حتى كادت لا تخفى على أحد.

(٨) قوله: إلى ذورة:

أقول: الذروة: بالكسر والضمّ: من كلّ شيء اعلاه واسماه، والجمع الذُّرَى: العلوّ والمكان المرتفع.

والحقائق والمعارف، ويكون ذلك موجباً لتنفّره منه، وسبباً للطعن فيه وفي أهل الله خاصة، ويمكن أن يؤدّي إلى غير ذلك من المفاسد كالقصد بالقتل والبراءة وأمثالها، ودفع ذلك ورفعه عن الوجود واجب على كل عاقل مسلم، خصوصاً على العلماء والرّاسخين الذين هم في صدد إثبات هذه الدعوى، وفي موضع إظهار هذا المعنى.

والشيخ الكامل نجم الدين الرازي، وكمال الدين عبد الرزاق رحمة الله عليهما، قد غفلا عن ضبط هذه المعاني، وتمهيد هذه المباني، وحيث ما حصل لهما هذه السعادة العظمى والدرجة الشريعة الكاملة العليا، وكان الحق تعالى قد ادّخرها(٩) لأجلي، وأودعها خزائن سرّي، فها أنا أبرزتها على الوجه المذكور، وجعلتها متقدمة على الكل لاحتياج الكل إليها، ودوران الكل عليها.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هذا علة التقديم لها.

(وجه حصر المقدّمات في السبع)

وأما وجه حصرها في السبع فلعدم الاحتياج إلى أكثر منها وشدة الاحتياج إليها، وللتبرك والتيمّن أيضاً بسبع القرآن التي هي عبارة عن الأقسام السبعة القرآنية باتفاق القراء من حيث الصورة، ولاشتمال القرآن على العلوم السبعة الكلية القرآنية المطابقة للمراتب السبعة الآفاقية... والسبعة الآفاقية كالأقطاب بحسب المعنى، والأفلاك بحسب الصورة أو الأقاليم السبعة، والأرضين السبع، والكواكب السبعة السموات... الظاهر والباطن.

---

(٩) قوله: قد إدّخرها لأجلي،
أقول: ادّخر واذّخر: بمعنى ذَخَرَ، ذَخْراً الشيء: خبأه لوقت الحاجة.

بيان الأغراض من المقدمات إجمالاً

لقوله (ع):

إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن[١٠].

وأمّا التفصيل في موضعها، لكن ههنا على سبيل الاجمال والاختصار، فنقول:

الغرض من المقدمة الأولى التي في بيان التأويل وتعريفه وتحقيقه

(وجوب تأويل القرآن عقلاً ونقلاً)

فهو أن يتحقق عندك، أن تأويل القرآن واجب عقلاً ونقلاً (........)

---

(١٠) (١١) قوله (ع): إن للقرآن ظهراً وبطناً الخ،

رواه الفيض رحمه الله أيضاً في تفسيره الصافي عن النبيّ (ص) (ج ١، ص ١٨).

وأمّا مضمون الرّواية مرويّة عن الخاصّة والعامّة بتعابير مختلفة، ونحن نذكر بعضها إجمالاً:

١ ـ عن الصادق (ع) قال: إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، الحديث (فروع الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩، ح ٤).

أقول: راجع الحديث فتدبّر فيه فتعرف أنّ باطن القرآن ليس رزق كلّ أحد.

٢ ـ عن الباقر (ع) قال: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، الحديث. (علل الشرائع ص ٦٠٦، ح ٨١).

أقول: راجع الحديث فتدبّر جيداً ـ جعلك الله تعالى مؤمناً مستبصراً ـ حتّى تعرف ما قيمة الإيمان مع الولاية وما قيمة العمل بلا ولاية؟ وتجد فيه كيف يكون العلم علماً مكنوناً من خزائن علم الله سبحانه وتعالى، وما معنى البطون في القرآن، وبعض مصاديقه في بعض آياته.

....

٣ ـ عن الكاظم (ع) قال: إنّ القرآن له ظهر وبطن الحديث. (أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٤، ح ١٠).

٤ ـ عن الصّادق (ع)، عن آبائه، عن رسول الله (ص) قال: له ظهر وبطن فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم الحديث. (تفسير العيّاشي ج ١، ص ٢، ح ١).

٥ ـ عن الباقر (ع) قال: ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ ولكلّ حدّ مطلع. (تفسير العيّاشي ج ١، ص ١١، ح ٥) وقريب من ذلك في كنز العمال ج ١، ص ٥٥٠، الحديث ٢٤٦١.

٦ ـ عن حمّاد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إنّ الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. (تفسير العياشي ج ١، ص ١٢، ح ١١) الخصال ج ٢، ص ٣٥٨ الحديث ٤٣.

٧ ـ عن ابن عبّاس، عن رسول الله (ص) قال: أقرأني جبرائيل (ع) على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني، حتّى انتهى إلى سبعة أحرف. (صحيح مسلم ج ١، ص ٥٦١، ج ٨١٩، وصحيح البخاري ج ٤، ص ٢٢٧، والبيهقي ج ٢، ص ٣٨٣ قريب من ذلك).

أقول: لعلّ والله سبحانه العالم، أنّ المراد من النزول على سبعة أحرف هو هذا المعنى (أعني سبعة أبطن) وهذا لا ينافي ما روي عن الصادق (ع) بأنّه قال: إن القرآن واحد نزل من عند واحد. وما روي أيضاً عن الباقر (ع): نزل على حرف واحد من عند الواحد. (أصول الكافي ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٣ ـ ١٢).

لأنّ حقيقة القرآن واحدة ظهرت في مواطن ونزلت على مراتب، وما أمر الله إلّا واحدة، وقوله تعالى خطاباً لرسوله الأمين (ص): إقرأ، لعلّه يعني: أنزله على مرتبة القراءة أي المادة والطبيعة والتكلّم، هذا فتدبّر حتى تتبيّن لك الحقيقة إن شاء الله تعالى.

٨ ـ عن الباقر (ع) قال: تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، ذلك تعرفه الأئمّة. (بصائر الدرجات ص ١٩٦، حديث ٨).

٩ ـ عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر (ع) عن شيء من التفسير فأجابني، ثمّ سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال: يا جابر إنّ للقرآن بطناً وللبطن بطناً، وله ظهر وللظهر ظهر، يا جابر! ليس شيء أبعد من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إنّ الآية يكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل منصرف على وجوه. (المحاسن ص ٣٠٠، حديث ٥).

١٠ ـ عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الرواية: ما من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، فقال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله. الحديث. (بصائر الدرجات ص ١٩٦، حديث ٧).

والمراد بجاء ربّك، جاء أمر ربّك، فيكون تقديره: وجاء ثواب ربك والملائكة صفاً صفاً، والوجهان موجّهان وليس فيهما شيء من المفاسد، مع أن هذا على طريق أهل الظاهر وأرباب الأصول تنزيهاً للحق من النقائص وتقديساً له من العيوب اللازمة للإمكان والحدوث.

وأما على طريق أهل الباطن وأرباب التأويل فلهما معان، ستعرفها في موضعها إن شاء الله. هذا من حيث الدلائل العقلية.

وأما من حيث الشواهد النقلية، فمنها قوله تعالى:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾. [سورة آل عمران: ٧].

ومنها قول النبي (ص):

«ما من آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع»[١١].

فإن هذين القولين شاهدان على أن التأويل واجب ومع وجوبه مخصوص بالله والخواص عبيده، ومدار التأويل وأربابه على هذه الآية والخبر، فإنهما برهانان قاطعان على صدق دعواهم وسيجيء بيانهما أبسط من ذلك في موضعهما إن شاء الله.

---

١١ ـ عن الصادق (ع): كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء.
رواه الفيض في المقدمة الرابعة من تفسيره الصافي ج ١، ص ١٩ ورواه أيضاً الجيلاني في كتابه بيان الآيات ص ٦.
وفيه أيضاً عن المجمع: ما من حرف من حروف القرآن إلاّ وله سبعون ألف معنى.

وأما الغرض من المقدمة الثانية التي في بيان الكتاب الآفاقي وتطبيقه بالكتاب القرآني

(في أنّ العالم المعبّر عنه بالآفاق مصحف ربّاني)

فهو أن يتحقق عندك وعند غيرك أيضاً، أن العالم المعبّر عنه بالآفاق كلّه كتاب إلٰهي ومصحف ربّاني مشتمل على الآيات والكلمات والحروف، لأن البسائط والمفردات منه كالحروف البسيطة المفردة من القرآن، والمركبات منه من المواليد وأمثالهما كالكلمات الممكنة من القرآن، والكليات منه كالأفلاك والأجرام، والعلويات والسفليات مطلقاً كالآيات من القرآن لأن القرآن صورة إجماله وتفصيله وشهد بصحة الآيات الآفاقية الممكنة من الكلمات والحروف المذكورة في قوله تعالى:

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمًى يدبر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [سورة الرعد: ٢].

لأن الآيات لا تكون مركبّة إلا من الكلمات، ولا الكلمات إلا من الحروف، وشهد أيضاً بأن لقاء الله والوصول إليه موقوف على مطابقة آياته وكلماته في ضمن كتابه الآفاقي بموازنة كتابه القرآني، وقوله أيضاً:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد، ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾ [سورة فصّلت: ٥٣ ـ ٥٤].

شاهد على صدق هذه الدعوىٰ أي على صدق هذين المعنيين أعني على أن العالم صدق على كتابه الكريم ومصحفه المجيد، وعلى أن مشاهدة الكتاب موقوفة على مطالعته ومطالعة آياته وكلماته.

أما الأول فلأن الآية لا تنسب إلا إلى الكتاب، وقد نسب الحق تعالى الآية إلى الآفاق، فعرفنا أنه الكتاب، لأن الآية عبارة عن الهيئة الجامعة المركبة من

الكلمات، والكلمات عن الهيئة الجامعة من الحروف، والكل لازمة للكتاب لأن الكتاب هيئة جامعة عن هذه الثلاث، وصدق على العالم أنه كتاب إلٰهي ومصحف ربّاني.

وأما الثاني، فلقوله الدالّ عليه:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

(الآفاق والقرآن كلاهما مظهران لأسمائه وصفاته وأفعاله تعالىٰ)

وعند التحقيق إلى هذين الكتابين أي الآفاقي والقرآني الدالين على ذاته وصفاته من مظاهر أفعاله وأسمائه أشار بقوله:

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

لأن غير هذين الكتابين ليس هناك كتاب يدل على مشاهدته ومشاهدة أسمائه وصفاته، والذي قال: المراد به التوراة والإنجيل ليس بصحيح وإن جاز ذلك بحسب الظاهر مع أنه لا يخلو من فساد، وهو أن هدايتهما أعلى من هداية القرآن، وهذا غير جائز وعلّة ذلك قوله فيهما: **(أهدىٰ منهما)**، ومن هذا ذكرنا في الخطبة: أن معرفته علماً وبياناً ومشاهدته كشفاً وعياناً لا يمكن إجمالاً إلا بمطالعة هذين الكتابين ومشاهدة هاتين النسختين، إذا كانت المطالعة والمشاهدة على شرائط المطالعة والمشاهدة وذلك لأن مشاهدة الظاهر بدون المظاهر مستحيل ممتنع، وإدراك المعاني بدون الألفاظ ممنوع متعذر، فكما أنك إذا شاهدت الألفاظ شاهدت المعاني منها من غير منع، فكذلك إذا شاهدت المظاهر شاهدت الظاهر منها من غير مانع، وحجاب الحقّ بالمظاهر بعينه حجاب المعنى بالألفاظ، ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق (ع):

لقد تجلى الله لعباده في كتابه ولكن لا يبصرون[١٢].

(١٢) قوله: لقد تجلّى الله في كتابه ولكن لا تبصرون. (عوالي اللئالىء ج ٤، ص ١١٦، رقم

وفيه قيل:

ظهـرت فـلا تخفى عـلى أحـد إلا على أكمـه لا يعـرف القمـرا
لكن بـطنت بما أظهـرت محتجبـاً فكيف يعرف من بالعـرف مستترا؟

والقـرآن لو لـم يكن صورة إجمـالـة وتفصيلة والحقـائق التي تحـدّه آياتـه وكلماته المعبّرة عنهما بالعلويات والسفليات والبسائط والمركبات، لم يكن الحق يصفه بأنّه:

﴿لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].

لا والله لم يكن يصفه بل تعظيمه وتشريفه ليس إلا من هذا، وكذلك جميع الأقوال الواردة، فيه كقوله تعالى:

﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة يونس: ٦١].

فإنه عند البعض إشارة إلى اللوح المحفوظ الذي كان القرآن فيه مسطوراً أولاً لقوله:

الحديث: ١٨١، بحار الأنوار ج ٩٢، ص ١٠٧ باب فضل التدبر في القرآن).
وقد رواه العارف عبد الرّزاق القاساني في تأويلاته (المطبوع أخيراً باسم محيي الدين العربي سهواً) ج ١، ص ٤، إلاّ أنه نقل: في كلامه، عوض: في كتابه. وعن الوصيّ أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في خطبة له (ع) قال: فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه. (خطبة ١٤٧، نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٢٠٤، والوافي ج ٣، جـ ١٤، ص ٣٢).
وقد ذكر الرّواية العارف ميرزا جواد الملكي التبريزي في كتابه المراقبات ج ١، ص ٣١٧ ونقله عن الصدوق رحمه الله في كتابه التوحيد: إن الله تجلّى لعباده في كلامه ولكن لا تبصرون. وقد رواه أيضاً الإمام الخميني رضي الله عنه في شرح دعاء السحرص ٩٢.
هذا وقد ورد عن النبيّ (ص) أيضاً: «إن الله خلق آدم فتجلّى فيه». ذكره صدر المتألهين في تفسيره سورة يس، ص ٢٧٤.
أقول: فتدبّر في الحديثين وتطبيق الإنسان مع القرآن وبالعكس وكريمتين من القرآن الحكيم: ﴿لا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]. ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة يس: ١٢].

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [سورة البروج: ٢١، ٢٢].

وعند البعض إشارة إلى القرآن والكل صحيح.

وكقوله تعالى:

﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

(المقصود من الرّطب واليابس)

لأن المراد بالرطب بالنسبة إلى الآفاق: العلويات والروحانيات للطافتها ورطوبتها الجبلية، وباليابس: السفليّات الجسمانيات لكثافتها ويبسها الطبيعيّة، وبالنّسبة إلى القرآن المراد بالرطب: المعاني الخفيّة والتأويلات الباطنة، وباليابس: التفاسير الظاهرة والأحكام الشرعية.

وقوله أيضاً:

﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ [سورة الإسراء: ٥٨].

المراد به الكتاب الآفاقي المعبّر عنه من حيث الإجمال بالعقل الأوّل، والنفس الكلية. ومن حيث التفصيل بالآفاق والأنفس، كما قيل في معنى قوله:

﴿والطور وكتاب مسطور في رقّ منشور﴾ [سورة الطور: ١ - ٣].

لأنه أيضاً إشارة إلى هذا، ومن هذا قال العارف:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة ... فشاهدته في كلّ معنى وصورة
فقال: كذاك الأمر لكنما إذا ... تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي.

لأن هذا خطاب إلى الإنسان الكبير المسمّى بالآفاق، أو الإنسان الصغير المسمّى بالأنفس لأنّهما المظهران الأعظمان اللّذان لايمكن مشاهدة الحق إلاّ بهما، وهذه الأبيات تعضد جميع ما قلناه، والله أعلم وأحلم.

وأما الغرض من المقدمة الثالثة التي في بيان حروف الله الآفاقية وتطبيقها بحروف الله القرآنية

(الملكوت لاتنفكّ عن الملك كما أنّ الباطل لاينفكّ عن الظاهر)

فهو أن يتحقق عندك أن حروف الكتاب القرآني كما هي بسائط حروف التهجي ومفرداته، فكذلك حروف الكتاب الآفاقي فإنها عبارة عن بسائط حروف الموجودات ومفرداتها كما أشرنا إليها في أول الخطبة، وأن حروف القرآن ومفرداتها كما هي منحصرة في ثمانية وعشرين حرفاً، فكذلك حروف الآفاق ومفرداتها فإنّها أيضاً منحصرة في ثمانية وعشرين حرفاً، أما الحروف القرآنية فتلك معلومة مشهورة، وأمّا الحروف الآفاقية فتلك من حيث الملك عبارة عن الهيولى الكلية الأولية والعرش والكرسي والأفلاك السبعة والعناصر الأربعة، ومن حيث الملكوت عن بواطن هذه البسائط، لأن الملكوت قط لا تنفك عن الملك، كما أن الباطن لا ينفك عن الظاهر، ومعلوم أن ملكوت كل شيء هو باطنه لا غير، وإليه أشار الحق تعالى في قوله:

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ [سورة يس: ٨٣].

وذلك لو لم يكن كذلك ما قال النبي (ص):

«ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم»[١٣].

وما قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

---

(١٣) قوله: قال النبيّ (ص): «ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم».

أقول: قال الهمداني في كتابه بحر المعارف ص ٣٩٤:

ورد عن النبيّ (ص): ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرّحمن الرحيم.

وفيه أيضاً ص ٣٧٤: قال علي عليه الصلاة والسلام: ظهرت الموجودات عن بسم الله الرّحمن الرحيم.

وفي بيان الآيات للجيلاني ص ٣٢: عن أمير المؤمنين (ع): ظهرت الموجودات عن باء بسم الله الرّحمن الرحيم وأنا النّقطة الّتي تحت الباء.

أنا النّقطة تحت الباء(١٤).

وما قال العارف: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود(١٥).

وقال الآخر: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة(١٦). وإليه وردت الإشارة في الأبيات المتقدمة:

كنّا حروفاً عاليات لم نقل   متعلّقات في ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو   والكلّ في هو هو فسل عمن وصل(١٧)

---

(١٤) قوله: أنا نقطة تحت الباء.

أقول: قال الهمداني في كتابه بحر المعارف ص ٣٣٣: قال أمير المؤمنين (ع):
أنا نقطة باء بسم الله الرّحمن الرحيم، أنا جنب الله الّذي فرّطتم فيه، واللوح وأنا القلم، وأنا العرش وأنا الكرسي، وأنا السموات السبع والأرضون.

قال الشيخ البلخي في ينابيع المودّة ص ٦٩:
قال الإمام علي كرّم الله وجهه: أنا النّقطة الّتي تحت الباء. راجع ملحقات إحقاق الحقّ ج ٧، ص ٦٠٨، حديث ٢٤ وفي بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله ج ٤٠، ص ١٦٥: قال عليّ (ع): أنا النّقطة، أنا الخطّ، أنا الخطّ أنا النقطة، أنا النّقطة أنا الخطّ.

رواه أيضاً في مصابيح الأنوار ج ١، ص ٣٩٤، حديث: ٢١٦ مع توضيح فراجع وفي كتاب بيان الآيات للجيلاني ص ٣٣: سرّ الكتب المنزلة في القرآن وسرّ القرآن في فاتحة الكتاب وسرّ فاتحة الكتب في بسم الله الرحمن الرحيم، وسر بسم الله الرحمن الرحيم في نقطة تحت الباء وأنا نقطة تحت الباء.

وفي مصابيح الأنوار للشّبر ج ١، ص ٤٣٥، الحديث ٨٤ عن المحدّث الشريف الجزائري في شرح العيون، عن مولانا أمير المؤمنين (ع) قال: كلّ العلوم تندرج في الكتب الأربعة، وعلومها في القرآن، وعلوم القرآن في الفاتحة، وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم، وعلومها في باء بسم الله.

أقول: فتدبّر في الحديث فيأتي أيضاً من السيّد المؤلّف في تفسير الفاتحة بيان في هذا فانتظر.

(١٥) قوله: بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود.

أقول: وهو من كلمات صاحب الفتوحات قاله في المجلد الأوّل ص ١٠٢ سطر ١٠.

(١٦) قوله: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة.

أقول: قال الشيخ الأكبر ابن العربي في الفتوحات ج ١، ص ١٠٢: وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول: ما رأيت الخ.

(١٧) قوله: كنّا حروفاً عاليات الشعر.

الشاعر هو الشيخ الأكبر محيي الدين عربي، قاله في الفتوحات، انظر شرح فصوص الحكم للخوارزمي ج ١، ص ٣٨.

وستعرف تحقيق ذلك أكثر من ذلك في موضعه إن شاء الله.

وأما الغرض من المقدمة الرابعة التي في بيان كلمات الله الآفاقية وتطبيقها بكلمات الله القرآنية

فهو أن يتحقق عندك، أن كلمات القرآن كما هي عبارة عن الكلمات المركبة من الحروف المفردة والبسيطة التي هي حروف التهجّي، فكذلك كلمات الآفاق فإنها عبارة عن الكلمات المركبة من الحروف البسيطة الآفاقية، المشار إليها في قوله:

﴿ولو إنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [سورة لقمان: ٢٧].

(المقصود من الكلمات الآفاقيّة)

وهذه الكلمات إجمالاً، فهي عبارة عن المواليد الثّلاثة من المعدن، والنبات، والحيوان. وتفصيلاً، عن كل متعيّن بتعيّن شخصي صورياً كان أو معنوياً، من الملك والجن والإنس والحيوان والدّواب وغير ذلك.

وهذه الإشارة لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنية لم يكن يبالغ في عدم إنفادها إلى هذه الغاية، لأن الكلمات القرآنية بحسب الصورة تنفد بوقته من المداد فضلاً عن البحور، وإن فرض من حيث المعنى، فإنفادها وعدم إنفادها يرجع إلى ما قلناه، وهو أنه مشتمل على الكتاب الآفاقي وأسراره وحقائقه، وأنه نسخة إجماله وتفصيله، ويعضد ذلك ما ورد في اصطلاح القوم من تعريف الكلمة وتقسيمها، وهو قولهم:

الكلمة يكنّى بها عن كل واحدة من الماهيات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجية، وعلى الجملة عن كل متعيّن، وقد تخصّ المعقولات بين الماهيّات والحقائق والموجودات والأعيان بالكلمة المعنوية الغيبية، والخارجيات بالكلمة الوجودية، والمجردات المفارقات بالكلمة التامة.

والكل راجع إلى الكلمات الآفاقية دون القرآنية، وإليها الإشارة بقوله تعالى:

﴿وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾ [سورة الأنعام: ١١٥].

لأن كلماته الآفاقية الباقية الدائمة لا تبديل لها من حيث هي هي بل من حيث النقل من صورة إلى صورة أخرى، كما هو مقرر في بحث المعاد، وستعرفه في موضعه إن شاء الله.

(إطلاق الكلمة في القرآن على الموجودات الخارجيّة)

والكلمة والآية والحروف لو لم تصدق على الموجودات الخارجية لم يكن تعالى يسمّي الإنسان تارة بالحروف، لقوله في حق نبيّنا (ص): يٰس وطه وأمثال ذلك[18].

---

(١٨) قوله: في حق نبيّنا (ص)، يس وطه وأمثال ذلك.
في معاني الأخبار للشيخ الجليل الصدوق ص ٢٢ حديث ١ بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري، قال: قلت: لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع): ما معنى قول الله عزّ وجل: ﴿طه، ويس﴾؟ قال (ع): وأمّا (طه) فاسم من أسماء النبيّ (ص) ومعناه: يا طالب الحقّ الهادي إليه. وأمّا (يٰس)، فاسم من أسماء النبيّ (ص)، ومعناه: يا أيّها السامع للوحي. الحديث، والحديث مفصّل نقلنا منه ما يكفينا هٰهنا فراجع.
قال العلاّمة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره الميزان ج ١٤، ص ١٢٧: ورد عن أبي جعفر (ع) كما في روح المعاني وعن أبي عبد الله (ع) كما عن معاني الأخبار بإسناده عن الثوري أنّ طه من أسماء النبيّ (ص) كما ورد في روايات أخرىٰ أنّ يس من أسمائه، وروى الاسمين معاً في الدّر المنثور عن ابن مردويه عن سيف عن أبي جعفر.
أورد البحراني في تفسيره البرهان ج ٣، ص ٢٩ نقلاً عن بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله بإسناده عن الكلبي، عن أبي عبد الله (ع)، قال: قال: يا كلبي كم لمحمّد (ص) من اسم في القرآن؟ فقلت إسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلبي له عشرة أسماء: ﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقوله: ﴿ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [الصف: ٦]، ﴿وإنّه لما قام عبدُ اللّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ [الجنّ: ١٩]. و﴿طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾، و: ﴿يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ و: ﴿ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربّك بمجنون﴾، و: ﴿ياأيّها المدّثّر﴾، و: ﴿ياأيّها المزّمّل﴾. وقوله: ﴿فاتّقوا الله ياأولي الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا﴾ [الطلاق: ١٠].

ولم يكن يقول أمير المؤمنين علي (ع):

أنا النقطة تحت الباء. [قد مر بيانه ومرجعه في التعليقة رقم ١٤].

وتارة بالكلمة في حقّ عيسى (ع):

﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ [سورة النساء: ١٧١].

ولم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

أنا الم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا القرآن الناطق، أنا كلمة الله العليا(١٩).

وتارة بالآية، لقوله في حق عيسى ومريم (ع):

﴿وجعلنا ابن مريم وأمّه آية﴾ [سورة المؤمنون: ٥٠].

ولم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

أنا آية الجبار، أنا فلك الاقتدار، وأمثال ذلك مما ورد في خطبة الافتخارية(٢٠).

قال الذّكر من أسماء محمّد (ص) ونحن أهل الذّكر. الحديث.

(١٩) (٢٠) قوله (ع): أنا الم ذلك الكتاب الخ وقوله (ع): أنا آية الجبّار الحديث.

أقول: بما أنّ السيّد المؤلّف نوّر الله سرّه استشهد كثيراً بخطبة البيان، والخطبة الافتخاريّة المنسوبتين إلى أمير المؤمنين عليّ (ع)، في موارد عديدة في التفسير، وفي كتابه جامع الأسرار، نذكر بعد مقدّمة متن الخطبتين أوّلاً وبعض الأحاديث الواردة في مضمونهما في الجملة ثانياً.

أمّا المقدّمة، ذكر خطبة البيان والافتخاريّة والطتنجيّة وغيرها المنسوبة لمولانا علي بن أبي طالب عليه آلاف التحيّة والسلام، الحافظ البرسي في كتابه المعروف (مشارق الأنوار ص ١٥٩ إلى ص ١٧٢) وأشار بها أيضاً الفيض في كتابه قرّة العيون في الكلمة الثالثة من المقالة السابعة ص ٤٠٩ مع بيان وتأويل منه، وأيضاً ذكرها الهمداني في كتابه القيّم (بحر المعارف) مع توضيح قبل ذكرها ص ٣٦٦.

ألّف بعض العلماء شرحاً لخطبة البيان، منها شرح العلاّمة الدهدار والمسمّى (بخلاصة الترجمان في تأويل خطبة البيان) وهو شرح مبسوط ممتع وليس بمطبوع ومخطوطه موجود في بعض المكتبات العامّة والخاصّة منها في المكتبة العامّة للمدرسة الحجتيّة بقم، ومنها شرح للميرزا أبي القاسم الحسيني المسمّى بمعالم التأويل والتبيان في شرح خطبة البيان، ومنها للحكيم مير سيد

شريف، وهو رسالة موجزة مع متن الخطبة وليست بمطبوعة ظاهراً وبقيت مخطوطة.
على أنها خطبة معروفة أنشدها على ما نقل أمير المؤمنين في الكوفة أو في البصرة، وهي منقولة بتفاوت، وإنّا لم نجدها في الجوامع الروائية وليس لها سند متصل بل نقلت مرسلة، ولكن مع ذلك مضمونها متقن يمكن إثبات فقراتها عقلاً ونقلاً وردت في بعض معانيها آيات وروايات يمكن تطبيقها معها بسهولة، ورأيت لخطبة البيان نسخة مخطوطة في المكتبة العامّة للعلاّمة الحجّة المرعشي النجفي رضوان الله تعالى عليه تحت رقم ٢٤٥، نقلها وكتبها السيّد حسن بن السيد علي بن السيّد حسن بن السيد علي بن حسين الحسيني البحراني التوبلي التنكابني، كتبها في يوم الأحد ١٨ ذي حجّة الحرام في سنة ٩٦٧ في جزيرة جرون، وذكر لها سنداً وقال:
بسم الله الرّحمن الرحيم
حدثنا محمّد بن أحمد الأنباري، قال: حدثنا الحسن بن محمّد الجرجاني قاضي الريّ، قال: حدثنا طوق بن مالك عن أبيه عن جده، عن عبد الله بن مسعود، يرفعه إلى علي بن أبي طالب (ع).
قال: إنّه لمّا تولّى الخلافة بعد الثلاثة وأقام ما أقام وأتى البصرة، فرقى المنبر بجامعها، وخطب للناس خطبة بليغة تذهل منها العقول، وتقشعر منها الجلود، قال: فلمّا سمعوا منه ذلك أكثروا البكاء والنحيب، فكثر الصياح والصراخ، قال: وكان رسول الله (ص)، لمّا قرب أجله أسّر إلى علي (ع) السّر الخفيّ الّذي بينه وبين الله عزّ وجلّ، ولأجل ذلك انتقل النور الّذي كان في وجهه إلى وجه علي بن أبي طالب (ع)، قال: ومات النبيّ (ص) في مرضه الّذي أوصى فيه لأمير المؤمنين (ع) وكان قد أوصى أن يخطب للنّاس خطبة بليغة بعد موته تسمّى خطبة البيان، وفيها علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، قال: فأقام أمير المؤمنين بعد موت النبيّ (ص) صابراً على ظلم الأمّة الباغية إلى أن قرب أجله، وجاءت وصية النبيّ الّتي له بالخطبة الّتي تسمّى خطبة البيان، فأقام أمير المؤمنين (ع) بالبصرة ورقا المنبر وهي آخر خطبة خطبها، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر النبيّ (ص) وقال: أيّها النّاس: الخطبة... إنتهى كلامه، هذا ما في ذلك الكتاب المخطوط والله العالم.
وأمّا متن خطبة البيان (المسمّاة أيضاً بالخطبة الأنانيّة) على ما نقل الحكيم مير سيّد شريف في رسالة مخطوطة منه في شرح الخطبة في المكتبة العامة الهامّة للعلاّمة البارع الحّجة النجفي المرعشي (رض) الرقم ٢٢٩١، قال:
خطبة البيان من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام،
بسم الله الرحمن الرحيم
أنا الذي عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد محمّد(ص) غيري، أنا بكلّ شيء عليم، أنا ذو القرنين المذكور في الصّحف الأولى أنا الحجر الّذي انفجر منه اثنتا عشرة عيناً، أنا الذي عندي خاتم سليمان، أنا الّذي أتولّى حساب الخلائق أجمعين، أنا اللوح المحفوظ، أنا جنب الله، أنا قلب الله، إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم، أنا الّذي قال رسول الله (ص) الصراط صراطك والموقف

موقفك، أنا الّذي عنده علم الكتاب ما كان وما يكون، أنا آدم الأول، أنا نوح الأوّل، أنا إبراهيم الخليل حين أُلقي في النّار، أنا موسى مؤنس المؤمنين، أنا فتاح الأسباب، أنا منشىء السحاب، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مفجّر العيون، أنا مطرد الأنهار، أنا داحي الأرضين، أنا سمّاك السموات، أنا الّذي عندي فصل الخطاب، أنا قسيم الجنة والنّار، أنا ترجمان وحي الله، أنا معصوم من عند الله، أنا خازن علم الله، أنا حجّة الله على من في السّماء وفوق الأرضين، أنا دابّة الأرض، أنا الرّاجفة، أنا الرّادفة، أنا الصيحة بالحق يوم الخروج الّذي لا يكتم عنه خلق السموات والأرض، أنا الساعة الّذي اعتدنا لمن كذّب بها سعيراً، أنا ذلك الكتاب لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى، الّتي أمر الله أن يدعى بها، أنا الّذي اقتبس موسى منه فهدى، أنا هادم القصور، أنا مخرج المؤمنين من القبور، أنا المتكلّم بكلّ لغة في الدنيا، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه، أنا صاحب يونس ومنجيه، أنا أقمت السّموات السّبع بنور ربّي وقدرته، أنا الغفور الرحيم وعذابي هو العذاب الأليم، أنا الّذي أسلم إبراهيم الخليل لربّ العالمين وأقرّ بفضلي، أنا عصا الكليم وبه أخذ بناصية الخلق أجمعين، أنا الّذي نظرت في الملكوت فلم يعدّ غيري شيء وغاب غيري، أنا الّذي أحصى هذا الخلق وإن كثروا حتّى أؤدّيهم إلى الله، أنا الّذي لا يبدّل القول لديّ، وما أنا بظلّام للعبيد، أنا ولي الله في أرضه والمفوّض إليه أمره والحكام في عباده، أنا الّذي دعوت السبع السّموات بما فيها فأجابتني وأمرتها فانتصبت لأمري، أنا الّذي بعثت النبيّين والمرسلين، أنا الّذي دعوت الشمس والقمر فأجاباني، أنا فطرة العالمين، أنا داحي الأرضين والعالم بالأقاليم، أنا أمر الله والرّوح كما قال الله تعالى: ﴿**ويسئلونك عن الروح قل الرّوح من أمر ربّي**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٥] أنا الّذي قال الله تعالى لنبيّه: ﴿**ألقيا في جهنم كلّ كفّار عنيد**﴾ [سورة ق، الآية: ٢٤]، أنا الّذي أرسيت الجبال وبسطت الأرضين، أنا مخرج العيون ومنبت الزّروع ومغرس الأشجار ومخرج الثمار، أنا الّذي أقدّر أقواتها ومنزل القطر ومسمع الرعد ومبرق البرق، أنا مضيء الشمس ومطلع القمر ومنشىء النجوم، وأنا مجرى الفلك في البحور، أنا الّذي أقوّم السّاعة، أنا الّذي إن مُتّ فلم أمت، وإن قتلت فلم أقتل، أنا الّذي أعلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، أنا الّذي أعلم خطرات القلوب ولمع العيون وما تخفي الصدور، أنا صلاة المؤمنين وزكاتهم وحجّهم وجهادهم، أنا الناقور، أنا الّذي قال الله تعالى: ﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾ [سورة المدثر، الآية: ٨]، أنا صاحب النشر الأوّل والآخر، أنا صاحب الكوكب ومزيل الدولة، أنا صاحب الزلازل والرّجف، أنا الّذي أعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، أنا صاحب أرم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد ونازلها والمنفق بما فيها، أنا الّذي أهلكت الفراعنة والجبارين المتقدمين بسيف ذي الفقار، أنا الّذي حملت نوحاً في السفينة، أنا الّذي أنجيت إبراهيم من نار نمرود ومؤنسه، أنا مؤنس يوسف الصديق في الجبّ ومخرجه، أنا صاحب موسى والخضر ومعلّمهما، أنا منشىء الملكوت في الكون، أنا الباريء وأنا المصوّر في الأرحام، أنا الّذي أبرىء الأكمة والأبرص وأعلم ما في الضمائر، أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم، أنا البعوضة الّتي ضرب الله المثل، أنا الذي أقامني الله والخلق في الظلمة

ودعا إلى طاعتي فلمّا ظهرت أنكروا أمره ثم قال عزّ وجلّ: ﴿فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٩] أنا الّذي كسوت العظام لحماً ثمّ أنشأته بقدرته، أنا حامل لعرش الله مع الأبرار من ولدي وحامل العلم، أنا أعلم بتأويل القرآن والكتب السالفة، أنا المرسوخ في العلم، أنا وجه الله في السموات والأرض كما قال الله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٨] أنا صاحب الجبت والطاغوت ومحرقهما، أنا باب الله الّذي قال الله تعالى:

﴿إن الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٠].

ولا يكون ذلك أبداً. أنا الّذي خدمني جبرائيل وميكائيل، أنا الّذي ردّت عليّ الشمس مرّتين، أنا الّذي خصّ الله جبرائيل وميكائيل بالطاعة لي، أنا اسم من أسماء الله الحسنى والعليا، أنا صاحب الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البيت المعمور، أنا الحرث والنسل، أنا الّذي فرض الله على كلّ قلب ذي روح متنفّس من خلق الله، أنا الّذي أنشر الأوّلين والآخرين، أنا قاتل الأشقياء ومحرقهم بناري، أنا الّذي أظهرني الله على الدّين، أنا المنتقم من الظالمين، أنا الّذي أرى دعوة الأمم كلّها وكفرت وأصرّت ومسخت، أنا الّذي أرد المنافقين من حوض رسول الله، أنا باب فتح الله لعباده من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً، أنا الّذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران، أنا الّذي جهد الجبابرة بإطفاء نور الله وإدحاض محجّته. فيأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره وولايته، أعطى الله نبيّه نهر الكوثر وأعطاني نهر الحياة، إنا مع رسول الله في الأرض فعرّفني من يشاء ويمنع من يشاء، أنا قائم في ظلّة خضر حيث لا روح يتحرّك ولا نفس يتنفّس غيري، أنا علم صامت ومحمد علم ناطق، أنا صاحب القرون الأولى، أنا صاحب القرن، أنا جاوزت موسى الكليم في البحر وأغرقت فرعون، أنا عذاب يوم الظلّة، أنا الّذي أعلم هماهم البهائم ومنطق الطير، أنا آيات الله وحجج الله وأمين الله، أنا أحيي وأميت، أنا أخلق وأرزق، أنا السميع العليم، أنا الّذي أجوز السموات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، أنا ذو القرنين في هذه الأمّة كما قال رسول الله (ص): إنّك ذو القرنين في هذه الأمّة، أنا صاحب الناقة الّتي أخرجها الله لنبيّه صالح، أنا الّذي أنقر في الناقور ذلك يومئذ عسير على الكافرين غير يسير، أنا كهيعص، أنا المتكلّم على لسان عيسى في المهد صبيًّا، أنا المتكلّم على لسان الصبيّ، أنا يوسف الصديق، أنا الّذي تاب الله بي على داود، أنا الّذي يصلّي عيسى خلفي، أنا المتقلّب في الصور، أنا الّذي ليس كمثله شيء، أنا العذاب الأعظم، أنا الآخرة والأولى، أنا أبدأ وأعيد، أنا فرع من فروع الزيتونة وقنديل من قناديل النبوّة، أنا مصباح الهدى، أنا مشكوة فيها نور المصطفى، أنا الّذي أرى أعمال العباد لا يعزب عنّي شيء في الأرض ولا في السماء، أنا خازن السماوات وخازن الأرض، أنا قائم بالقسط، أنا عالم بتغيّر الزمان وحدثانه، أنا الّذي ليس شيء من عمل عامل إلاّ بمعرفتي، أنا الّذي أعلم عدد النّمل ووزنها وخفّتها، ومقدار الجبال ووزنها، وعدد قطر الأمطار، أنا آيات الله

الكبرى الّتي رآها فرعون، أنا الّذي أقتل القتلين وأحيي مرتين وأظهر كيف أشاء، أنا الّذي رميت وجه الكفّار كفّ تراب، فرجعوا الهلكى، أنا الّذي أحصى هذه الخلائق وإن كثروا، أنا الّذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الّذي جحد ولايتي ألف أمّة فمسخوهم، أنا المذكور في سالف الزمان والخارج في آخر الزمان، أنا قاصم فراعنة الأوّلين ومخرجهم ومعذّبهم في الآخرين، أنا معذّب الجبت والطاغوت ومحرقهم، ومعذّب يغوث ويعوق ونسراً، أنا معذّبهم عذاباً شديداً، أنا المتكلّم بسبعين لساناً، ومفتي شيء على سبعين وجهاً، أنا الّذي أعلم تأويل القرآن وما تحتاج إليه الأمّة، أنا الّذي أعلم ما يحدث بالليل والنهار أمراً بعد أمر شيئاً إلى يوم القيامة، أنا الّذي عندي اثنان وسبعون اسماً من أسماء الله العظام، أنا الّذي أرى أعمال الخلائق في مشارق الأرض ومغاربها ولا يخفى عليّ منهم شيء، أنا الكعبة والبيت الحرام، أنا البيت العتيق كما قال الله عزّ وجلّ:

﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت، الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [سورة قريش، ٣، ٤].

أنا الذي يملكني الله شرق الأرض وغربها أسرع من طرفة عين ولمح البصر، أنا محمّد المصطفى (ص): عليّ منّي وأنا منه، الممدوح بروح القدس أخلق وأرزق وأحيي وأميت، أنا المعنى الّذي لا يقع عليّ اسم ولا شبه، أنا أظهر كيف أشاء، أنا باب نصيبهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين، تمّت الخطبة المباركة بالخير والعافية.

وأمّا الخطبة الافتخارية فذكرها الحافظ رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ١٦٤ وقال: رواها الأصبغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين (ع) فقال في خطبته:

أنا أخو رسول الله ووارث علمه، ومعدن حكمه، وصاحب سرّه، وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلّا وقد صار إليّ، وزاد لي علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، أعطيت علم الأنساب والأسباب، وأعطيت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، ومددت بعلم القدر، وإن ذلك يجري في الأوصياء من بعدي، وما جرى الليل والنهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أعطيت الصراط والميزان واللواء والكوثر، أنا المقدّم على بني آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، إلى كلّ ذلك فضل من الله عليّ، ومن أنكر أنّ لي في الأرض كرة بعد كرة وعوداً بعد رجعة، حديثاً كما كنت قديماً، فقد ردّ علينا، ومن ردّ علينا فقد ردّ على الله، أنا صاحب الدعوات، أنا صاحب الصلوات، أنا صاحب النقمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البريات، أنا قرن من حديد، أنا أبداً حديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل، أنا المنادي لهم: ألست بربكم بأمر قيوم لم يزل، أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا آخذ العهد على جميع الخلائق في الصلوات، أنا غوث الأرامل واليتامى، أنا باب مدينة العلم، أنا كهف الحلم،

....

أنا عامّة الله القائمة، أنا صاحب لواء الحمد، أنا صاحب الهبات بعد الهبات، ولو أخبرتكم لكفرتم، أنا قاتل الجبابرة، أنا الذخيرة في الدنيا والآخرة، أنا سيّد المؤمنين، أنا علم المهتدين، أنا صاحب اليمين، أنا اليقين، أنا إمام المتقين، أنا السابق إلى الدين، أنا حبل الله المتين، أنا الّذي أملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً بسيفي هذا، أنا صاحب جبرائيل، أنا تابع ميكائيل، أنا شجرة الهدى، أنا علم التقى، أنا حاشر الخلق إلى الله بالكلمة الّتي بها يجمع الخلائق، أنا منشيء، (منشأ) الأنام، أنا جامع الأحكام، أنا صاحب القضيب الأزهر والجمل الأحمر، أنا باب اليقين، أنا أمير المؤمنين، أنا صاحب الخضر، أنا صاحب البيضاء، أنا صاحب الفيحاء، أنا قاتل الأقران، أنا سيد الشجعان، أنا صاحب القرون الأوّلين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا المتكلّم بالوحي، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربّي وعلم الله الّذي خصّني به، أنا صاحب الرايات الصفر، أنا صاحب الرايات الحمر، أنا الغائب المنتظر لأمر العظيم، أنا المعطي، أنا المبذل، أنا القابض يدي على القبض الواصف لنفسي، أنا الناظر لدين ربي، أنا الحامي لابن عمي، أنا مدرجة في الأكفان، أنا والي الرحمن، أنا صاحب الخضر وهارون، أنا صاحب موسى ويوشع بن نون، أنا صاحب الجنة، أنا صاحب القطر والمطر، أنا صاحب الزلازل والخسوف، أنا مروع الألوف، أنا قاتل الكفار، أنا إمام الأبرار، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم، هل من ناطق يناطقني، أنا النار، ولولا أنّي أسمع كلام الله وقول رسول الله (ص) لوضعت سيفي فيكم وقتلتكم عن آخركم، أنا شهر رمضان، أنا ليلة القدر، أنا أمّ الكتاب، أنا أفصل الخطاب، أنا سورة الحمد، أنا صاحب الصلاة في الحضر والنحر، أنا الواضع عن أمّة محمّد الوزر، أنا باب السجود، أنا العابد، أنا المخلوق، أنا الشاهد، أنا المشهود، أنا صاحب السندس الأخضر، أنا المذكور في السماوات والأرض، أنا الماضي مع رسول الله في السماوات، أنا صاحب الكتاب والقوس، أنا صاحب شيث بن آدم، أنا صاحب موسى وارم، أنا بي تضرب الأمثال، أنا السماء الخضر، أنا صاحب الدنيا الغبراء، أنا صاحب الغيث بعد القنوط، ها أنا ذا فمن ذا مثلي. أنا صاحب الرعد الأكبر، أنا صاحب البحر الأكدر، أنا مكلم الشمس، أنا الصاعقة على الأعداء، أنا غوث من أطاع من الورى والله ربّي لا إلّه غيره، الا وإن للباطل جولة وللحقّ دولة، وإني ظاعن عن قريب فارتقبوا الفتنة الأمويّة والدولة الكسرويّة، ثم تقبل دولة بني العباس بالفرح والبأس، وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، ملعون من سكنها، منها تخرج طينة الجبارين، تعلى فيها القصور، وتسبل الستور، ويتحلون بالمكر والفجور، فيتداولها بنو العباس ٤٢ ملكاً على عدد سني الملك، ثمّ الفتنة الغبراء، والقلادة الحمراء في عنقها قائم الحق، ثمّ أسفر عن وجهي بين أجنحة الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب، الا وإن لخروجي علامات عشرة، أولها تحريف الرايات في أزقة الكوفة، وتعطيل المساجد، وانقطاع الحاج، وخسف وقذف بخراسان، وطلوع الكوكب المذنب، واقتران النجوم، وهرج ومرج وقتل ونهب، فتلك علامات عشرة، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تمت العلامات قام قائمنا قائم الحقّ. . .

ثم قال: معاشر الناس نزهوا ربكم ولا تشيروا إليه، فمن حد الخالق فقد كفر بالكتاب الناطق، ثم قال: طوبى لأهل ولايتي الذين يقتلون فيّ، ويطردون من اجلي، هم خزان الله في أرضه، لا يفزعون يوم الفزع الأكبر، أنا نور الله الّذي لا يطفأ، أنا السرّ الّذي لا يخفى.

وأمّا ذكر بعض الأحاديث المنقولة عنهم (ع) الّتي تنطبق على بعض فقرات الخطبتين نأتي بها ذيلاً:

(أ) عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال:

قال أمير المؤمنين في خطبته:

أنا الهادي وأنا المهتدي (المهدي)، وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا العروة الوثقى وكلمة التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصّادق ويده، وأنا جنب الله الّذي يقول: ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله﴾ [الزمر: ٥٦]، وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة، من عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه لأني وصيّ نبيّه في أرضه، وحجته على خلقه، لا ينكر هذا إلاّ رادّ على الله ورسوله. كتاب التوحيد باب ٢٢ ص ١٦٤ الحديث ٢.

ونقله أيضاً المفيد رضي الله عنه بإسناده عن أبي بصير في كتابه الاختصاص ص ٢٤٨.

(ب) الصدوق بإسناده عن عبد الرّحمن بن كثير، عن أبي عبد الله قال: إنّ أمير المؤمنين (ع) قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله النّاطق، وعين الله، وجنب الله، وأنا يد الله. التوحيد ص ١٦٤ باب ٣٢ ح ١.

(جـ) المفيد، بإسناده عن الحسين بن عبد الله، عن الصّادق (ع) قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال فيما يقول: أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني، أيّها النّاس أنا قلب الله الواعي، ولسانه النّاطق، وأمينه على سرّه، وحجّته على خلقه، وخليفته على عباده، وعينه النّاظرة في برّيته، ويده المبسوطة بالرأفة والرّحمة، ودينه الّذي لا يصدّقني إلاّ من محض الإيمان محضاً، ولا يكذّبني إلا من محض الكفر محضاً، الاختصاص ص ٢٤٨.

(د) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٧٧ ح ٨٢ عن بصائر الدّرجات. إبراهيم بن هاشم، عن البرقي، عن ابن سنان وغيره، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله (ع): قال رسول الله (ص): لقد أسرى بي ربّي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وكلّمني، وكان ممّا كلّمني أن قال: يا محمّد، عليّ الأوّل، وعليّ الآخر، والظّاهر والباطن، وهو بكلّ شيء عليم، فقال: يا ربّ أليس ذلك أنت؟ قال: فقال: يا محمّد أنا الله لا إله إلاّ أنا الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون، إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا الخالق البارىء المصوّر، لي الأسماء الحسنى، يسبح لي من في السموات والأرضين، وأنا العزيز الحكيم، يا محمد إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا الأوّل ولا شيء قبلي، وأنا الآخر فلا شيء بعدي، وأنا الظاهر فلا شيء فوقي،

وأنا الباطن فلا شيء تحتي، وأنا الله لا إله إلاّ أنا بكلّ شيء عليم، يامحمّد، عليّ الأوّل: أوّل من أخذ ميثاقي من الأئمّة، يامحمّد، عليّ الآخر: آخر من قبض روحه من الأئمّة، وهي الدّابة الّتي تكلّمهم، يا محمد، عليّ الظاهر أظهر عليه جميع ما أوحيته إليك، ليس لك أن تكتم منه شيئاً، يا محمّد، عليّ الباطن: ابطنته سرّي الّذي أسررته إليك، فليس فيما بيني وبينك سرّ أزويه يا محمد عن عليّ، ما خلقت من حلال أو حرام إلاّ وعليّ عليم به.

(هـ) روى المفيد (رض) في كتابه الاختصاص ص ١٦٣ كتاب المحنة: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة، فقالوا له: حدثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم، ويحكم إنّ كلامي صعب مستصعب، لا يعقله إلاّ العالمون، قالوا: لا بدّ من أن تحدّثنا، قال: قوموا بنا فدخل الدّار، فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الّذي أحيي وأميت، أنا الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فغضبوا وقالوا: كفر وقاموا، فقال عليّ صلوات الله عليه وآله للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم: إنّ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلاّ العالمون؟ تعالوا أفسّر لكم.

أما قولي: أنا الّذي علوت فقهرت، فأنا الّذي علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتّى آمنتم بالله ورسوله.

وأمّا قولي: أنا أحيي وأميت، فأنا أحيي السنّة وأميت البدعة.

وأمّا قولي: أنا الأوّل، فأنا أوّل من آمن بالله وأسلم.

وأمّا قولي: أنا الآخر، فأنا آخر من سجّى على النبيّ ثوبه ودفنه.

وأمّا قولي: أنا الظاهر والباطن، فأنا عندي علم الظاهر والباطن. قالوا فرجّت عنّا فرّج الله عنك.

أقول: فتدبّر أيها القارىء العزيز هدانا الله وإيّاك بحقائق علومهم أنه (ع) كيف فسّر قوله بالظاهر حتّى يمنع عن ارتدادهم ويحفظ عن شرّهم وأن ليس لهم تحمّل الحقائق وغربته (ع) في أصحابه.

(و) فرات الكوفي، في تفسيره ص ٦٧ الحديث ٣٧، بإسناده عن عبد الواحد بن علي قال: قال أمير المؤمنين (ع):

أنا أؤدي من النبيّين إلى الوصيّين، ومن الوصيّين إلى النبيّين، وما بعث الله نبياً إلاّ وأنا أقضي دينه وأنجز عداته، ولقد اصطفاني ربّي بالعلم والظفر، ولقد وفدت إلى ربّي اثني عشر وفادة فعرفني نفسه وأعطاني مفاتيح الغيب.

ثم قال: يا قنبر مَنْ على الباب؟ قال: ميثم التمار! ما تقول أن أحدثك، فإن أخذته كنت مؤمناً، وإن تركته كنت كافراً؟ (ثمّ) قال: أنا الفاروق الّذي أفرق بين الحق والباطل، أنا أدخل أوليائي الجنّة وأعدائي النار، أنا الذي قال الله (تعالى):

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٠].

وللسيّد كاظم الرشتي شرح مبسوط للخطبة الطتنجيّة، قال بعد خطبة الكتاب:

اعلم، العلماء في هذه الخطبة الشريفة وأمثالها من الخطب، البيان وخطبة الافتخار وغيرها من الأخبار كخبر معرفتهم بالنورانيّة، وخبر بيان مقامات المعرفة وغيرها، تشعّبوا على أربع شعب:

الأولى، طرحوا هذه الأخبار وأسقطوها عن نظر الاعتبار، وقالوا: إنّها أخبار آحاد لاتفيد علماً ولا عملاً، ومن قال: بحجيّة الظنّ المطلق قال: وإن استفيد الظنّ بصحّة مضمون هذه الأخبار، إلاّ أنّه لا يعوّل عليه في مثل هذه المطالب، ومن قال: بحجيّة الخبر الواحد قال: إنّ ذلك هو الخبر الصحيح من العدل الإمامي، وتلك الأخبار أكثرها ضعيفة، سيّما الخطب، وأغلبها في «مشارق الأنوار» للشيخ رجب البرسي، وقد حكم العلماء بغلّوه، وما هذا شأنه لا حجيّة فيه، مع أنّ هذه الأخبار والخطب تخالفها العقول، وفيها رفع الإمكان عن مكانه وإثبات الربوبيّة للمخلوق، واستلزام التفويض الّذي أطبق العلماء وفقاً للأخبار الصحيحة الصريحة المحكمة على بطلانه، وتكفير القائل به، ومخالفة الكتاب الصريح حيث يقول الله سبحانه:

﴿هل من خالق غير الله﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣].

﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ [سورة فاطر، الآية: ٤٠].

﴿الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثم يميتكم ثمّ يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾ [سورة الروم، الآية: ٤٠].

وقد دلّت الأخبار وشهد صحيح الاعتبار أنّ الخبر إذا خالف الكتاب المجيد، يضرب على عرض الحائط، وقد شاع وذاع شيوع الغلاة القائلين بالألوهيّة لأمير المؤمنين وأولاده الطيّبين الطاهرين كالنصيريّةوالخطابيّة والشلمغانيّة وأمثالهم، وأغلب رواة هذه الأخبار هم، فثبت أنّ هذه الخطب ليست من أمير المؤمنين ولا الأخبار من أولاده المعصومين، وإنّما هي من موضوعات الغلاة المفوّضة.

الثانية، توقّفوا في تصديقها وتكذيبها، حيث رأوا شيوع هذه الأخبار وتكرّرها وتواردها في كتب الفرقة المحقّة، وورود الأدعية الكثيرة بمضمونها والزيارات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة، وورود الأخبار الكثيرة بمعناها عن أخبار الثقات أيضاً، إلاّ أنّ هنا أخبار بظاهرها تنفي هذه المضامين ويؤيّدها ظواهر بعض الآيات، مع أنّ العقل يقصر عن إدراكها ومعرفتها، فالتوقّف والسكوت فيها أولى. لما قال (ع):

الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

الثالثة، تلقّوها بالقبول وشهدوا على حقيّتها لكنّهم حاولوا معرفتها بالعقول، ولم يستندوا فيها إلى آل الرسول (ع) بباطن دعوتهم ولسان أعمالهم، وإن ادّعوا خلافه بظاهر مقالهم فجروا في بيان هذه الخطب مجرى الصوفيّة الملاحدة القائلين بوحدة الوجود «أقول: والظاهر أن المؤلّف لم يفهم معنى قول أهل المعرفة والتوحيد بوحدة الوجود أي وحدة وجود الواجب وكثرة مظاهره وآياته وهو سبحانه صمد أحد مطلق لا سبيل إلى تصور وجود الغير في مقابله، أينما تولّوا فثمّ وجه الله وهو معكم أينما كنتم وهو في السماء إلّه وفي الأرض إلّه، والقول به عين القول بالتوحيد القرآني توحيد أهل البيت (ع) ولعل عقله وقلبه قاصران عن فهم هذا التوحيد والحق هذا عسير

جداً بل كاد أن لا يمكن إلاّ لأوحدي من الموّحدين الطاهرين». قال الملاّ محسن في قرّة العيون: قال بعض العارفين: إذا تجلّى الله بذاته لأحد يرى كلّ الذوّات والصفات والأفعال متلاشية في أشعّة ذاته وصفاته وأفعاله، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها وهي أعضاؤه لا يلمّ بواحد منها شيء إلاّ وهو يراه ملمّاً به ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلّيّة في عين التوحيد، ولمّا انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ إلى أن قال: ولعل هذا هو السّر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين في خطبة البيان، وفي خطبته الموسومة بالطتنجيّة وغيرها من نظائرهما كقوله (ع): أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل إلى آخر ما قال من أمثال ذلك.انتهى كلامه.

الرابعة، عملوا بمقتضى قوله تعالى:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

فأولئك المؤمنون، الممتحنون الّذين امتحن الله قلوبهم للإيمان، وشرح صدورهم للإسلام، وهم المتّبعون لقادة الدّين الأئمّة الهادين الّذين يتأدّبون بآدابهم وينهجون نهجهم، بهم العلم على حقيقة الإيمان، فاستجابت أرواحهم لقادة العلم، واستلانوا من أحاديثهم ما استوعر على غيرهم، وآنسوا بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون، فانقطعوا إلى ربّهم وحاولوا قراءة الألواح الآفاقيّة والأنفسيّة الّتي قد نقش الله سبحانه فيها جميع الأسرار المخزونة في ملكوته وجبروته ولاهوته، فعرفوها بتعليم الله سبحانه وتعالى بألسنة أوليائه بعدما جاهدوا في الله حقّ جهاده، فنظروا في العالم والكتاب والسنّة من غير معاندة ولجاج، ولا قاعدة مأخوذة من غير أهل الحقّ (ع) ليتلوا ما يوافقها ويتركوا ما يخالفها، أو يؤلوا (إليها)، ولا استئناس بطائفة ليميلوا بقلوبهم ليمنعهم عن إصابة الواقع بتلون مرآة حقائقهم بلون ذلك الميل، بل نظروا إلى الكتاب والسنّة والآيات الآفاقيّة والأنفسيّة بخالص الفطرة وصافي الطويّة طالبي الحقّ والصواب من الله سبحانه بأهل فصل الخطاب عليهم سلام الله في المبدأ والمآب، فقابلت مرايا قلوبهم عالم النور الّذي هو وجه الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فظهرت في قلوبهم صور الحقائق المنتزعة من كتاب الأبرار في علّيين فنطقوا بالحق والصواب وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩].

وهذه كيفيّتها وطريقها، فعرفوا الشيء الواحد في مقامات عديدة هي خزائن وجوده قال الله تعالى:

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ [سورة الحجر، الآية: ٢١].

فعرفوا في جميع الخزائن وإن قال تعالى:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

لكنّه قال تعالى:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول﴾ [سورة الجنّ، ٢٤، ٢٧].
وقالوا: نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون، إذ كلّهم محمّد، أوّلهم محمّد وآخرهم محمّد، وأوسطهم محمّد (ص)، ولمّا كان الشيء الواحد له أطوار وأحوال قال تعالى:
﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ [سورة نوح، ١٣، ١٤].
طور الإجمال، وطور التفصيل، وطور البساطة، وطور التركيب، وطور التصوير، وطور التجريد، كما قال عزّ وجل:
﴿وما كان الناس إلاّ أمّة واحدة فاختلفوا﴾ [سورة يونس، الآية: ١٩].
وعرفوا كلّ هذه الأطوار وما تقتضيه الأوطار في عالم الأنوار بتعليم الأئمّة الأطهار (ع) صار لا يشتبه عليهم شيء في مقام الاختلاف والكثرة وعدم الائتلاف، فيعطون كلّ ذي حقّ حقّه من الأحكام وإن ظهر بألف طور مختلف إذ عرفوا اللطيفة السارية في المجموع الواحدة.
فلا يحصل عندهم تعارض ولا تناقض ولا تضادّ لا في الأكوان ولا في الصفات، ولا في الألفاظ والعبارات، ولا في أخبار سادة البريّات، ولا في الآيات من المحكمات والمتشابهات، فهم مطمئنّو القلب، باردو الفؤاد، بالغو المراد، يعرفون الغريب من القريب، ويأخذون النصيب من المعلّى والرقيب، فلا يحتاجون إلى طرح الأخبار ولا إلى اختلاف الأنظار، وهم الّذين قال الله تعالى فيهم:
﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣].
لأنّ أهل البيت (ع) علماء، حكماء، عارفون بمواقع الكلام، ولحن الخطاب، ولم يتكلّموا بشيء إلاّ جعلوا فيه من تسديدهم قرينة تنفيه أو تثبته، وإلاّ لم يكونوا حجّة بالغة.
إلى أن قال: وهؤلاء تلقّوا هذه الخطبة وأشباهها من الخطب والأخبار بالقبول وعرفوها وبيّنوها على ما فهموا من كلمات آل الرسول (ع) كما نبيّن إن شاء الله في خلال الشرح وقال في ردّ الأقوال الثلاثة:
وأمّا الطائفة الأولى الذين طرحوا هذه الخطبة وشبهها من الأخبار، وأسقطوها عن الاعتبار ونسبوها إلى الغلاة والمفوّضة وغيرهم من الأشرار فأخطأوا جدًّا واستعجلوا كثيراً، أمّا دعواهم بأنّها من أخبار الآحاد فليس بصحيح لأنّها فوق الاستفاضة بل لا يبعد تواترها معنى لكثرة تكرّرها، وورودها في الكتب في مواضع عديدة والأدعية المأثورة، سيّما في دعاء رجب المرويّ عن القائم (ع) على ما رواه الشيخ في المصباح، والزيارات سيّما الزيارة الرجبيّة، والزيارة الخارجة عن الناحية المقدّسة للحجّة (ع)، سلام على آل يس، وزيارات أمير المؤمنين، وشيوع أنّهم يد الله وعين الله ولسان الله، وأذن الله، والزيارة الجامعة، وأحاديث خلق أنوارهم قبل الخلق وأمثالها من الأمور الّتي لا يشكون ولا يختلفون في صحّتها، إلى أن قال:
وطرح الأخبار الكثيرة لعدم المعرفة والبصيرة ليس من شأن المؤمنين الممتحنين، ولو سلّمنا أنّها من أخبار الآحاد نقول: إنّ الخبر الواحد إذا طابق العقل الصحيح الصريح وجب القول به والعمل عليه، وكذلك هذه الأخبار فإنّ الأدلّة العقليّة القطعيّة دالّة على مضامينها ومدلولاتها، بل لا يستقيم

(المراد من عدم الإنفاذ للكلمات)

ويكفي في هذا قوله تعالى:

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [سورة الكهف: ١٠٩].

لأن كل شخص يكون له أدنى تأمّل يعرف أن هذا ليس إشارة لا إلى كلمات القرآن، ولا التوراة، ولا الإنجيل، ولا الزبور، ولا الصحف، ولا الكتب المنزلة من السماء مطلقاً، لأن كل ذلك وأمثالها قابل للإنفاد والانتهاء، فلم يبق إلا الكلمات الآفاقية المسماة بالموجودات والممكنات الغير القابلة للانتهاء والنفاد، وهذا ظاهر جليّ غير خفيّ. **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾** [سورة ق: ٣٧].



التوحيد إلاّ بالقول بها، إلى أن قال: ودعوى معارضتها ببعض الأخبار باطلة لصحّة الجمع بينها ووجدان الدليل عليه من الأخبار الصحيحة أو ما يقوم مقامها، والقول بأنّها من حيث السند ضعيفة، فيه أنّه ليس كلّها كذلك بل فيها أخبار صحيحة الأسانيد باصطلاحهم، والّذين حكموا عليهم بالغلو ما ثبت عندنا ذلك، وما وجدنا منهم شيئاً يدلّ عليه، وليس الحكم بغلوّهم إجماعيًّا حتّى يحصل القطع به، إلى أن قال: مع انّ القمّيّين الّذين كان أكثر الجرح والتعديل في الأخبار والرواة عنهم كانوا يحكمون بالغلوّ بأدنى شيء، فعلى قولهم نحن كلّنا غلاة عندهم كما قال الصدوق في الفقيه عن شيخه محمد بن الحسن بن الوليد: أن أدنى الغلوّ إنكار سهو الأنبياء والأئمّة، ولا شكّ إنّا ننكر ذلك بل نجعلهم معصومين مطهّرين عن كلّ دنس...

إلى أن قال:

وأمّا الطائفة الثانية، فهم وإن سلموا في ظاهر الأمر حيث أقرّوا بعجزهم وقصورهم عن إدراكها إلاّ أنّ دعوى معارضتها بالأخبار وظاهر الكتاب باطلة كما عرفت، وأمّا موافقة الجمهور فليست شرطاً سيّما في مثل هذه الأمور الّتي معرفتها حظّ المؤمنين الممتحنين الّذين هم أعزّ من الكبريت الأحمر.

إلى هنا كلام السيد كاظم الرشتي في أوّل كتابه شرح الخطبة الطتنجيّة نقلناه لأن فيه فائدة وإن كان في كلامه مواقع من النظر.

وأما الغرض من المقدمة الخامسة التي في بيان آيات الله الآفاقية وتطبيقها بكلمات الله القرآنية

(المراد من آيات الله الآفاقيّة)

فهو أن يتحقق عندك أن آيات الله القرآنية كما هي عبارة عن هيئة جامعة مركبة من كلمات قرآنية، فكذلك آيات الله الآفاقية، فإنها عبارة عن هيئة جامعة مركبة من كلمات آفاقية مسماة بالأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص، كما سبق ذكرها، كالعرش والكرسي، والأفلاك والأجرام، والسموات والجبال والعنصر والسّحاب وأمثال ذلك، المشار إليها في قوله تعالى:

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى يدبر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [سورة الرعد: ٢].

وفي قوله:

﴿إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

(المقصود من الآية)

هذا من حيث التعيّن وأما من حيث الاطلاق فكل ما في العالم، فإنه آية إلٰهية كلّياً كان أو جزئياً، أنواعاً كان أو أجناساً، مركباً كان أو بسيطاً، لأن الكل من حيث الكل، أو كل واحد واحد منه دالّ على معرفته، ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله، شاهد على وحدته ووجوبه ووجوده وبقائه كما قيل:

فـفي كـل شـيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه واحـد[21]

وليس المراد من الآية إلا ما تدل عليه وعلى معرفته، وما سمّى العالم عالماً

---

(٢١) قوله: وفي كلّ شيء له آية الشعر.

ذكره ابن العربي في الفتوحات ج ١، ص ١٨٤ وطبع القاهرة ج ٣، ص ١٧٣، ونسبه إلى ابي

إلّا لأجل ذلك أي لأنه مأخوذ من العلامة، فهو الدلالة فكأنه علم لذاته المقدسة ودلالة على معرفتها. وعند الأكثرين أسماء الله تعالى بمثابة الأعلام خصوصاً الاسم الله الذي هو اسم الذات مطلقاً كما سنبيّنه إن شاء الله. لأن العلم في الوضع هو ما يعلم به الشيء، ويدل على معرفة ذلك الشيء، والعالم يدل على ذاته ويعلم به صفاته وأسمائه وأفعاله كما قيل... فيكون العالم حينئذ عَلَماً على ذاته بالضرورة وشاهداً عليها، والذي ورد في اصطلاح المحققين من أهل الله يعضد ذلك كله، وهو قولهم بالنسبة إلى العالم وتعريفه:

العالم هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيّناتها سمّي باسم السّوى، والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة، وإلا فالوجود عين الحق، والحق هوية العالم وروحه، وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن، وأعظم شاهد في هذا قوله الذي سبق مراراً:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنه الحق﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

ونعم الشاهد القرآن، ونعم الدليل الوجدان، والله المستعان وعليه التكلان.

وأما الغرض من المقدمة السادسة التي في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة

(المقصود من الشريعة والطريقة والحقيقة وأن كلّها حقيقة واحدة)

فهو أن يتحقق عندك أن الشريعة والطريقة والحقيقة، أسماء مترادفة «الدلالة» على حقيقة واحدة التي هي حقيقة الشرع المحمّدي باعتبارات مختلفة، وليس بين هذه المراتب مغايرة أصلاً في الحقيقة لأن الشرع كاللّوزة مثلاً المشتملة على القشر، واللّبّ، ولبّ اللبّ، فالقشر كالشريعة الظاهرة، واللّبّ كالطريقة الباطنة،

العتاهيّة، وهو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، الشاعر العربي المشهور المتوفى ٢١٠.

ولبّ اللبّ كالحقيقة الباطنة للباطن، واللّوزة جامعة للكلّ، كما قيل في الصلوات ومراتبها المترتبة عليها:

الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة، والوصلة هي الحقيقة، واسم الصلاة جامع للكل.

وقيل أيضاً:

الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقوم بأمره، والحقيقة أن تقوم به.

ويعضد ذلك كله قول النبي (ص):

«الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتّوكّل ردائي، والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين» [قد مرّ بيانه ومرجعه في تعليقة رقم (١) فراجع].

وكذلك قوله تعالى:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وعند التحقيق، علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين، إشارة إلى المراتب المذكورة، وكذلك أصحاب الشمال، وأصحاب اليمين، والمقرّبين، وأهل الإسلام، والإيمان، والإيقان، وكذلك العام والخاص، وخاص الخاص، والمبتدى، والمتوسط، والمنتهى، وأمثال ذلك، كما سنفصّله في موضعه إن شاء الله تعالى.

وأما الغرض من المقدمة السابعة التي في بيان التوحيد وأسراره وحقائقه

(علم التأويل أعظم العلوم وسرّه أعظم الأسرار)

فهو أن يتحقق عندك أن التأويل لا يمكن إلا على قاعدته وأصوله وقوانينه، لأنه أصل في الدين وأساس في الإسلام، وعلمه أعظم العلوم وأشرفها، وسرّه أعظم الأسرار وأنفعها، وليس هناك سرّ إلا وهو معدنه، ولا علم إلا وهو مشربه، وهو أول الواجبات على الخلق في الدين، وآخر المقامات عند أرباب الكشف، وأصحاب اليقين، كما أشار إليه بعض العارفين في قوله:

كلّ المقامات والأحوال بالنسبة إلى التوحيد، كالطرق والأسباب الموصلة إليه.

وهو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى، وليس للإنسان وراء هذا المقام مرمى ولا مرتبة وفيه قيل:

ليس وراء عبّادان قرية.

ومن هذا قال سلطان الأولياء والوصيّين أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. [نهج البلاغة الخطبة الأولى].

(الإسلام هو التسليم وبعثة الأنبياء لإظهار التوحيد)

وقال أيضاً في تعريف الإسلام والحقيقة الذي هو التوحيد في الحقيقة، أبلغ من هذا وهو قوله:

لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء

هو العمل الصالح. [نهج البلاغة الحكمة ١٢٥].

وإن حقق عرف أن بعثة جميع الأنبياء والرسل، وإنزال جميع الكتب والصحف، لم يكن إلا لإظهار التوحيد ودعوة الخلق إليه، كما أشار إليه الإمام الكامل جعفر بن محمد الصادق (ع) في قوله:

اللهم إني أسألك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول، وأخذت به المواثيق، وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وجعلته أول فرائضك ونهاية طاعتك، فلم تقبل حسنة إلا معه، ولم تغفر سيئة إلا بعده[٢٢].

والكلام في التوحيد أكثر من أن يحتمل مثل هذا المكان، وسنشرع في تحقيقه وتفصيله في موضعه كما ينبغي إن شاء الله. هذا آخر الأغراض التي تجب المقدمات السبع إجمالاً.



(٢٢) قوله: كما أشار إليه الإمام الكامل الخ.

لم أعثر عليه في أدعيته (ع) ولكن دلّت على مضمونه آيات وروايات ومنها ما في خطبته الأولى من نهج البلاغة عن علي (ع).

أول الدين معرفته إلى أن قال: فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا إليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول الخ.

وأما البحث الثاني المخصوص بالكتب الأربعة من التفسيرين والتأويلين والأغراض التي تخص كل واحد منها

إن الغرض من مجمع البيان والنّقل منه هو أنه تفسير معتبر متّفق عليه علماء الإماميّة بأجمعهم لأنه على طريقة أهل البيت (ع)، وكل قول يكون منه يكون صحيحاً واقعاً من غير خلاف، وهو موافق في أكثر الأصول للمعتزلة.

والغرض من الكشّاف والنظر فيه وهو أنه أيضاً تفسير معتبر متفق عليه علماء المحققين بأجمعهم من المعتزلة وغيرهم، وكل نقل يكون منه لا يقدر أحد على منعه ويكون حجّة لنا على مخالفينا، والجمع بين هذين التفسيرين... عين الحكمة، ومن أعظم القربات، لأنه من قبيل إصلاح ذات البين وذلك بالاتفاق معتبر ويشهد به قوله تعالى:

﴿. لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[سورة النساء: ١١٤].

وعدم تعرّضي بغيرهما من التفاسير... أنهما عديما المثل في أنفسهما صورةً ومعنىً.

والثاني أن الكشاف مطابق لمجمع البيان ومجمع البيان للكشاف في أكثر الصور أصولاً فما كل واحد منهما على طريقة قوم يكون بينهما مغايرة مّا بوجه من الوجوه، وموافقة مّا بوجه من الوجوه، (وموافقتهما بوجه من وجوه أخر) وهذا حسن جداً.

(التفسير بالرّأي غير جائز)

والتفسير لولا أنه غير جائز إلا من حيث النقل والرواية الصحيحة من النبي (ص)، ما تعرضت شيء منه أصلاً، لا من التفسيرين المذكورين ولا من غيرهما. وإليه أشار النبي (ص) في قوله:

«من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده في النار»[٢٣].

وكذلك الأئمّة والعلماء وأرباب التفسير في أقوالهم، ومنهم الشيخ الكامل نجم الدين الرازي قدس الله سرّه، فإنه ذكر في أول تأويلاته هذا المعنى بعينه وقال:

التفسير علم نزول الآية وشأنها وقصّتها والأسباب التي نزلت فيها، وهذا واضرابه مخطور (محظور) على الناس القول فيه إلا بالسماع، وأما التأويل فصرف الآية إلى معنى تحتمله موافق لما قبلها وما بعدها، وليس بمحظور على العلماء

---

(٢٣) قوله (ص): من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار.
أقول: الحديث مشهور كما قال به صدر المتألهين رحمه الله في كتابه مفاتيح الغيب ص ٦٩، وورد مضمونه أيضاً بتعابير عديدة نورد بعضها ذيلاً لمزيد الفائدة:
(أ) في كمال الدين للصدوق رحمه الله ص ٣٦٩ الباب الرابع والعشرون الحديث الأول بإسناده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله (ص):
من فسّر القرآن برأيه فقد افترىٰ على الله الكذب.
(ب) في تفسير العيّاشي ج ١، ص ١٨ الحديث ٦: عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله (ع)، قال:
من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر.
(جـ) في تفسير البرهان ج ١، ص ١٨ الحديث ٣، عن محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن زيد الشحام عن الباقر (ع) قال:
ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت.
(د) الشهيد الثاني في كتابه منية المريد ص ٢١٦ قال: وعن النبي (ص):
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار.
وأخرجه بعينه أيضاً الترمذي ج ٥، ص ١٩٩ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه الحديث ٢٩٥٠.
وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص ٢٣٣.

استنباطه والقول فيه بعد أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، لقوله تعالى:

﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [سورة النساء: ٥٩].

ولقوله: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾** [سورة النساء: ٨٣].

ومع ذلك النقل من كتب المتقدمين والاستشهاد لكلام المحققين ليس ببعيد مني ولا بغريب عني، ولا هو مسلك ما سلكه غيري، فإن هذا سنة جارية بين العلماء وأصحاب الفضل خصوصاً المصنّفين منهم، ومن جملتهم الشيخ نجم الدين المذكور، فإنه ذكر في أول تأويله: بأنه أخذ التفسير من كتاب الثعلبي الذي جمعه من مائة كتاب أو أكثر، وأنه أخذ تأويله من أقوال المشائخ الثقات تلقّياً أكثر من ثلاثمائة شيخ، غير ما قرأ بنفسه من الكتب وطالع من الرسائل والمتفرقات من الأجزاء، والحمد لله أن نقلي ليس إلا من الكتابين فقط وذلك أيضاً في غاية القلة، ومن حيث اللفظ، كما قرّرناه أولاً. هذا بالنسبة إلى التفسيرين.

وأما التأويلين:

(موارد اختلاف التأويل بين المؤلّف والشيخ نجم الدين)

فالغرض من تأويل الشيخ نجم الدين قدّس سرّه والتعرّض به ليس النقل المجرّد فقط كالتفسير، فإني ما أنقل منه إلا شيئاً قليلاً في النوادر، وذلك أيضاً للفرق بين كلامنا وكلامه، وكشفنا وكشفه، وللاعتراف أيضاً فيه، وإلا بعناية الله تعالى وحسن توفيقه فالاستغناء حاصل منه ومن غيره من هذه الحيثيّة، بل المراد منه غير ما قلناه، أن كل موضع يكون فيه نكتة أو لطيفة أقول منها ما أتمكن بحسب الجهد والطاقة، وإن أوله آية أو سورة ولم يوافق مذهب المتأخرين من أرباب التوحيد، أبيّن صلاحه وفساده، وأؤوّله على الوجه الذي ينبغي، من طريق الأخوّة والشفقة، لا من طريق العصبية والجدال، نعوذ بالله منهما سيّما في موضع المشيّة والإرادة، مثل قوله تعالى:

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩].

ومثل قوله:

﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

فكذلك في مخاطبات الأنبياء والرسل (ع) مثل قوله بالنسبة إلى آدم:

﴿وعصىٰ آدم ربّه فغوىٰ﴾ [سورة طه: ١٢١].

ومثل قوله بالنسبة إلى نبيّنا:

﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [سورة الزمر: ٦٥].

لأنه ليس في القرآن أشد وأصعب من هذين الموضعين بعد الحروف المقطعة التي هي في أوائل السور، والقسم التي يفتتح بها بعض السور، وقلّ من خلص قدمه من هذه المزالق[٢٤] ووقع (وضع) نظره على فتح هذه المغالق[٢٥].

﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سورة سبأ: ١٣].

﴿وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم﴾ [سورة فصّلت: ٣٥].

وأكثر حاشيتنا المذكورة على كتابه لم يكن إلاّ في هذه المواضع، فإنّه في مثل هذا المقام يأخذ طرف الأشاعرة والجبريّة، ويحكم بعدم عصمة الأنبياء والرسل، ونحن نأخذ طرف الحق من طريق الأئمة من أهل البيت (ع)، ونضيف إليه اصول المعتزلة ونلزمه إلزاماً لا مفرّ منه ونعقبه بقوله تعالىٰ:

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [سورة يوسف: ٧٦].

---

(٢٤) قوله: المزالق.

الزَّلَق والزَّلل متقاربان، مكان زَلَق. أي دَحْض، وصعيد زَلَق، أي دحض لا نبات فيه، زَلِقَتِ القدم زَلَقاً، من باب تَعِبَ، لم يثبت حتّى سقطت، وهو في الأصل مصدر زَلِقَتْ رجله. أرض مَزْلقة ومُزلِقة وزَلَق وزَلِقٌ ومَزْلَق: لا يثبت عليها قدم.

(٢٥) قوله: الغالق.

غَلَقَ الباب غَلْقاً: ضدّ فتحه، غَلِقَ الباب غَلْقاً عكس فتح، وغَلَقٌ الباب جمعُهُ، والغَلَقُ في الرّهن: ضدّ الفكّ.

وكذلك بقوله:

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الحديد: ٢١].

وأمّا الغرض من تأويل مولانا كمال الدين قدّس سرّه والتعرّض له

فهذا كلّه وزيادة أخرىٰ هي أنّه أخذ في أكثر المواضع طريق التوحيد الإجمالي دون التفصيلي، وليس الطريق عند أهل الله وأهل التحقيق هذا، بل الطريق أن نأخذ في طريق الحق، وقاعدة الجمع بينهما كما هو رأي أرباب التوحيد وأهل الذوق، وشيء آخر وهو أنّه ما أوّل القرآن بأجمعه، والّذي أوّل أيضاً فيه ما فيه كما قال في أوّل تأويله:

ولا أزعم أني قد بلغت الحد فيما أوردته كلّا، فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت، وعلم الله لا يتقيّد بما علمت، إلى قوله: وعسى أن يتّجه لغيري وجوه أحسن منها طوع القيادة، فإن كلّ ذلك سهل لمن تيسّر له من أفراد العباد. [ج ٢ ص ٥ المطبوع أخيراً باسم ابن العربي سهواً]. وشيء آخر، وهو أنه مال في الأصول إلى المعتزلة والشيعة كما أن الشيخ نجم الدين مال إلى الأشعرية والسّنّة، والجمع بينهما يكون كالجمع في التفسيرين أعني يكون من إصلاح ذات البين ويكون تأويلنا هذا جمعاً للجمع شاملاً للكل من غير ميل إلى طرف وانحراف إلى جانب غير طرف الحق وجانبه كما هو عادة أهل الله وأهل الذوق من أرباب التوحيد، فإنّهم يشاهدون مقامهم ومرتبتهم كالنقطة المركزية، والطرق المتنوّعة من المذاهب والملل كالخطوط الناشئة من المحيط إلى المركز ويعذرون الكل من وجه، ويتمسّكون فيه، بقوله تعالىٰ:

﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [سورة هود: ٥٦].

وبقول النبي (ص):

«الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».

ويعضد ذلك قولهم نظماً:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن قلبي إلى دينه دان

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعىً لغزلان وديراً لرهبان

وبيتاً لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجّهت ... ركائبه، أرسلت ديني وإيماني[٢٦]

وهٰهنا أبحاث كثيرة وأسرار جليلة سيجيء أكثرها عند تأويل فاتحة الكتاب، وكان الغرض هٰهنا بيان الأعراض الكلية من المقدمات السبع والكتب الأربعة المذكورة والأغراض التي تحتها.

وإذا فرغنا من هذا البحث إجمالاً، فلنشرع فيه تفصيلاً كما شرطناه أولاً.

وأما البحث الثالث الذي في بيان الرسوخ وتعيين الراسخين منهم وتخصيصه بأهل البيت وأرباب التوحيد الموعود به في أوّل الفهرست فذلك بحث طويل إن شرعنا فيه الآن ضاع المطلوب وخرج الكلام عن المقصود، فالأولى أن نشرع أوّلاً في بيان التأويل وتعريفه ووجوبه وتحقيقه في أول المقدمة المخصوصة به، ثم نشير إلى ذلك البحث في آخر تلك المقدمة مبسوطاً إن شاء الله والمقدمة هذه، والله أعلم بالحقائق وإليه المرجع والمآب وهو يقول الحق فهو يهدي إلى صراط المستقيم (السبيل).

---

(٢٦) قوله: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي الخ.

أقول: وانظر ديوان ترجمان الأشواق لابن العربي الحاتمي بيروت، دار صادر ١٩٦١ ص ٤٣.

ذكره هنري كربن وعثمان يحيى في تعليقاتهما على جامع الأسرار للمؤلّف رضي الله عنه ص ٨٠٩.

المقدمة الأولى

في بيان التأويل وتعريفه وتحقيقه، وبيان أنّه واجب عقلاً ونقلاً، وبيان أنّه مخصوص بالعلماء والرّاسخين من أهل البيت وأرباب التوحيد دون غيرهم

(في بيان ترتيب مباحث المقدّمة الأولى)

إعلم أيها الطالب هداك الله إلى سبيله، وأرشدك إلى تأويل القرآن وتحقيقه، أن هذه المقدمة مشتملة على بيان التأويل وتعريفه، وبيان أنه واجب عقلاً ونقلاً، وإثبات هذا المعنى يفتقر إلى وجوه خمسة:

الوجه الأول: في بيان التأويل وتعريفه وتحقيقه، والفرق بين الحق والباطل منه.

الوجه الثاني: في بيان وجوب التأويل عقلاً ونقلاً والتمسك فيه بقول الله تعالى وقول أنبيائه وأوليائه (ع).

الوجه الثالث: في بيان أن القرآن مترتّب على ترتيب طبقات الخلق بأجمعهم مع أنه غير قابل للانتهاء والانقطاع بحسب المعنى.

الوجه الرابع: في بيان بعض المتشابهات منه وتطبيقه بالمحكمات، مضافاً إليه بيان المشيّة والإرادة والعلم والأمر والجبر والقدر.

الوجه الخامس: في بيان أن تأويله مخصوص بالعلماء والراسخين من أهل البيت وأرباب التوحيد دون غيرهم.

الوجه الأول

في التأويل وتعريفه وتحقيقه والفرق بين الحق والباطل منه

إعلم أن التأويل على قسمين، حق وباطل، أما الباطل فهو تأويل أهل الزّيغ والضّلال الذين يأخذون المتشابهات دون المحكمات ويعملون عليها ويأولونها على رأيهم واعتقاداتهم كالمجسّمة والمعطّلة وأمثالهم، وسنبيّن عقائدهم مفصّلاً إن شاء الله.

وأما الحق فالذي هو تأويل أرباب العلم وأهل الرسوخ منهم، وذلك ينقسم إلى قسمين، قسم يتعلق بأرباب الظاهر وأهل الشريعة، وقسم يتعلق بأهل الباطن وأرباب الطريقة، ولكل واحد منهما أقوال:

وأمّا قول أرباب الظاهر وأرباب الشريعة:

فهو أنّ التأويل هو صرف الآية إلى معنىً موافق لما قبلها وما بعدها ويطابق الكتاب والسّنّة، والتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها، والأسباب التي نزلت فيها.

وقيل: التأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.

والتفسير لغة: البيان من الفسر، وقيل: الفسر كشف المغطى، والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره، وروي عن النبيّ (ص) أنه قال:

«إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه»[٢٧].

وهذا يدل على التأويل، وروى عنه قال:

من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده في النار. [قد مرّ بيان مرجعه في تعليقة رقم ٢٣].

---

(٢٧) قوله: وروى عن النبي (ص) قال: إن القرآن ذلول الحديث رواه أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ص ٨١ في الفن الثالث ج ١.

وهذا يدل على عدم التفسير بالرأي من عند نفسه.

وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال:

قسم (اقسم) وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد، وأما الذي تعرف العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم، وأما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام، وأمّا الذي لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ فهو مايجري مجرى الغيوب وقيام الساعة(٢٨).

وقيل: التأويل هو التوفيق والتطبيق بين المحكمات والمتشابهات على قانون العقل والشرع وهذا حسن، وذلك يكون بردّ المتشابهات إلى المحكمات وتطبيقها بها بحيث لا يخرج عن القانون الأصلي الأصولي و الأساس الكلّي الكمّلي المقرر بينهم في العلوم العقلية والنقلية وتمسكهم في هذا بقوله تعالى:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

ومعناه على قول بعضهم آيات محكمات، أي آيات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، هنّ أمّ الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها، وأخر متشابهات محتملات من الوجوه الحقّة والغير الحقّة وقيل:

قوله: آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، جعل المحكم أمّاً، لأنه يرد إليه المتشابه من حيث إن المحكم موافق العقل، والمتشابه يرد إلى مايوافق العقل.

وقالوا: إنما قال أمّ الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في

---

(٢٨) قوله: وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: قسّم وجوه التفسير الخ. ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج ١ الفن الثالث ص ٨١.

تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وبل كل آية منهن أم الكتاب، لقوله تعالى:

﴿وجعلنا ابن مريم وأمّه آية﴾ [سورة المؤمنون: ٥٠].

وقالوا: المحكم هو الناسخ والمتشابه المنسوخ.

وقالوا: المحكم ما لا يحتاج إلى تأويل والمتشابه ما يحتاج إليه، ومثال المحكم قوله تعالى:

﴿فاعلم أنه لا إله إلّا الله﴾ [سورة محمّد: ١٩].

ومثال المتشابه قوله تعالى:

﴿الرّحمن على العرش استوى﴾ [سورة طه: ٥].

وعلة احتياجهم إلى هذا التأويل وإلى ردّ المتشابه إلى المحكم وغير ذلك، وهي أنهم وجدوا في القرآن: وجه الله، ويد الله، وجنب الله وروحه ونفسه وسمعه وبصره وقوله وكلامه ومجيئه واستواءه وغضبه، وسخطه ومكره واستهزاؤه وخدعه ونسيانه وغير ذلك من المتشابهات، وعرفوا أن هذه الإشارات لو فسّروها على الظاهر من غير تأويل لأدّى إلى كثير من المقايسة من التشبه والتعطيل والتجسيم والكفر والزندقة والإلحاد، فاحتاجوا إلى التأويل والتجاؤا إليه ليخلصوا من الوقوع في المقايسة المذكورة ونعم ما فعلوا، ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٤].

وأمّا قول أرباب الباطن وأهل الطريقة

فالتأويل عندهم هو التطبيق بين الكتابين، إلى الكتاب القرآني الجمعي وحروفه وكلماته وآياته، والكتاب الآفاقي التفصيلي وحروفه وكلماته وآياته كما مرّ ذكره في الخطبة إجمالاً. [إن الخطبة المشار إليها ليست موجودة في النسخة وهي مفقودة مع الأسف ولعل الله سبحانه يحدث بعد الأمر شيئاً].

(بيان أن أصول الحقائق ثلاثة: معرفة الحق، معرفة العالم، معرفة الإنسان)

وسيجيء في المقدمات المذكورة تفصيلاً. والعلة الغائيّة في ذلك وهي أن رئيس المعارف كلها وأصول الحقائق بأجمعها باتفاق الأنبياء والأولياء (ع): ثلاث:

معرفة الحق تعالى، ومعرفة العالم، ومعرفة الإنسان، وإن كان هذه الثّلاث في الحقيقة ترجع إلى واحدة منها هي معرفة الحق تعالى، لأن معرفة العالم ومعرفة الإنسان سلّم ومعارج إلى معرفة الحق التي هي المقصود بالذات من الكل وهذه الثّلاث موقوفة على معرفة القرآن وأسراره وحقائقه وعلى تطبيقه بالكتاب الآفاقي الذي هو العالم تفصيلاً، وبالكتاب الأنفسي الذي هو الإنسان إجمالاً، لقوله تعالى في الجميع:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد.ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾ [سورة فصّلت: ٥٣-٥٤].

(تأثير قراءة الكتاب القرآني الجمعي والآفاقي التفصيلي)

لأن من قرأ الكتاب القرآني الجمعي على الوجه الذي ينبغي أعني من حيث التطبيق بالكتاب الآفاقي إجمالاً وتفصيلاً، تجلّى له الحق تعالى في صورة كتابه بحسب ملابس حروفه وكلماته وآياته تجلّياً معنوياً حقيقياً، تجلّى المعنى في لباس الحروف والكلمات والآيات بمصداق قول من قال:

لقد تجلّى الله لعباده في كتابه ولكن لا تبصرون. [قد مرّ مرجعه في تعليقة رقم ١٢ فراجع].

ومن قرأ الكتاب الآفاقي التفصيلي أيضاً على ما هو عليه في نفس الأمر أعني من حيث الإجمال والتفصيل وطابقه بالكتاب القرآني حرفاً بحرف وكلمة بكلمة وآية بآية، تجلّى له الحق تعالى في صورة مظاهره الأسمائية وملابسه الفعلية تجلياً شهودياً كلياً تفصيلياً بمصداق قوله:

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [سورة الحديد: ٣].

وقوله المتقدّم:

﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ إلى آخره. [سورة فصلت: ٥٣].

وبمصداق قول العارفين من عبيده:

ليس في الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكل هو وبه ومنه وإليه(٢٩).

وفيه قيل:

تجلّى لي المحبوب من كل وجهة	فشاهدته في كلّ معنى وصورة
فقال كذاك الأمر لكنّما	إذا تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي

وقولهم:

أحد بالذات، كل بالأسماء. إشارة إلى هذا، وكذا قول الكامل المكمّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع):

نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

وكذا قوله تعالى أيضاً:

﴿الله نور السمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ إلى آخره. [سورة النور٣٥].

(تأثير تفسير الكتاب الأنفسي الإنساني تجلّي الحق)

ومن فسر الكتاب الأنفسي الإنساني أيضاً بحكم قوله تعالى:

﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [سورة الإسراء: ١٤].

على الوجه الذي ينبغي ـ أي تطابق الكتابين المذكورين أو الكتاب الآفاقي ـ تجلّى له الحق في الصورة الإنسانية الحقيقية، والنشأة الجامعة الكلية تجلّياً ذاتياً عيانياً، وشهوداً كشفياً ذوقياً، بمصداق قول النبيّ (ص):

---

(٢٩) قوله: ليس في الوجود سوى الله.

منقول عن جنيد، قال الرازي في مرصاد العباد ص١٦٨: يقول جنيد قدس الله سره: ما في الوجود سوى الله.

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»(٣٠).

---

(٣٠) قوله (ص): من عرف نفسه فقد عرف ربه.
حديث مشهور روى عن النبي (ص) إلا أن في الغرر رواه عن علي (ع).
مصباح الشريعة الباب الثاني والستون في العلم ص ٢٥٧ عن النبي (ص) ونقله أيضاً عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩ عن النبي (ص). وفي الغرر والدرر للآمدي عن علي (ع) ج ٥، ص ١٩٤، ح ٧٩٤٦. وأيضاً في شرح البحراني على المائة كلمة عن علي (ع) ص ٥٧ الكلمة الثالثة.
أقول: يستفاد من الحديث أن النفس الإنساني هي مجلي الحق سبحانه وتعالى لمن تدبر فيها وعرفها وعرف قدرها ومنزلتها في الخلق ولا يظلم نفسه بجهله على كرامتها ومرآتيتها لجلاله وجماله عزّ اسمه ولكن الإنسان ﴿كان ظلوماً جهولاً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢] وهذا هو السر في قوله تعالى:
﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].
وقوله تعالى:
﴿وسنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾ [سورة فصلت، الآية: ٥٣].
وكيف لا والإنسان هو أحسن المخلوقين وخالقه تعالى أحسن الخالقين لقوله تعالى:
﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [سورة التين، الآية: ٤].
وقوله تعالى:
﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١٤].
ولهذا لا بد له في تربيته وتزكيته وتعاليه إلى مراتب كماله المناسب شأنه، من دستور وقانون يكون أحسن الدستور وكتاباً أكمل الكتب وهو القرآن الحكيم وهذا هو قوله تعالى: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني الآية﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٣]. وقوله تعالى:
﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩]. وكان معلمه ومربيه ورسوله المذكر هو خاتم الأنبياء يعني صمدهم وأكملهم وأفضلهم وهو أحسنهم من كل جهة، قال تعالى:
﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠].
ولذلك لا بد للإنسان الإقدام بأحسن الأعمال وأحسن العاقبة وأحسن القول في سلوكه وعمله وعاقبة أمره وغيرها من شؤونه وأطواره وحالاته المتنوعة وجميع الأمور المتوقعة المتعلقة بالإنسان بما هو إنسان ولا ينبغي له ولا يكفي له الاكتفاء بخير الأعمال وحسن الأحوال في وصوله إلى أعلى مراتب الكمال، فانظر في القرآن الحكيم قال تعالى:
﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ [سورة الملك، الآية: ٢].
وقوله تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٣٨]. وأيضاً:

وبمصداق قوله أيضاً:

«خلق الله تعالى آدم على صورته»(٣١).

﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٥].

وأيضاً: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧].

وأيضاً: ﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٧] وغير ذلك من الآيات الكريمة.

ومعلوم أنّ هذا السير والسلوك والإقدام بأحسن الأعمال والأقوال والأحوال لا يمكن إلا بتكميل النفس وتزكيتها بعد استعلائها على قواها من الوهم والخيال والحس والبدن وانقيادها في سلوكها إلى معرفة ربّها، قال تعالى:

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [سورة النازعات، الآية: ٤٠ - ٤١].

وقال أيضاً:

﴿ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ [سورة الشمس، ٧ ـ ١٠].

فنذكر ههنا بعض الأحاديث في معرفة النفس لمزيد الفائدة:

(أ) دخل رجل على رسول الله (ص) فقال يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحق فقال: معرفة النفس. عوالي اللئالي ج ١، ص ٢٤٦، ح ١ ـ والبحار ج ٧٠، ص ٧٢ عن عوالي اللئالي.

(ب) قال علي (ع): أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه. الحديث ٣١٢٦ ـ شرح غرر الحكم ج ٢، ص ٤٢٢.

(جـ) عن علي (ع):

عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟ شرح الغُرر والدُّرر الحديث ٦٢٧٠ ـ ج ٤، ص ٣٤١.

(د) قال صدر المتألهين في تفسيره ج ٢، ص ٢٩٩:

جاء في الوحي الإلهي: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك، وفي كلام النبي (ص): أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه.

في مشارق أنوار اليقين للبرسي ص ١٨٨:

يقول الرب الجليل في الإنجيل: اعرف نفسك أيها الإنسان تعرف ربك، ظاهرك للفناء وباطنك أنا.

(٣١) قوله: وبمصداق قوله (ص) أيضاً: خلق الله تعالى آدم على صورته.

أقول: رواه الصدوق رحمه الله في التوحيد في باب أنه عز وجل ليس بجسم ولا صورة

الحديث ١٨، ص ١٠٣:
بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر (ع) عمّا يروون أن الله عز وجلّ خلق آدم على صورته، فقال: هي صورة محدثة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه، فقال: ﴿بيتي﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٥] وقال: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [سورة الحجر، الآية: ٢٩].
وأيضاً رواه في باب تفسير قول الله عز وجلّ: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ الحديث ١١ ـ ١٠، بإسناده عن أبي الورد بن ثمامة عن علي (ع) وبإسناده عن الحسين بن خالد: قال: قلت للرضا (ع) يا ابن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله (ص) قال: إن الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله (ص) مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال (ص): يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.
أقول: ليس المراد بالصورة الصورة الظاهرة والوجه البدني، لأنه تعالى ليس بجسم ولا له صورة بهذا المعنى وهذا ثابت عقلاً ونقلاً وثانياً هذه الصورة صورة واحدة متعلقة للإنسان بما أنه إنسان والصورة الظاهرة للآدميين متنوعة ومختلفة كثيرة عددها مطابق بتعداد الناس من الأولين والآخرين وليس فيهم أحد له مشابهة تامة للآخر منهم وهذا دليل على قدرته تعالى وحكمته سبحانه، بل المراد كما ذكرنا أن الإنسان بما أنه إنسان خلق طوراً له مظهرية ومرآتيّة تامة لجلاله وجماله تعالى وهذا ظاهر لمن ناله وطوبى لمن عرف قدره.
ونقل الحديث في البحار عن التوحيد عن الاحتجاج، ج ٤، ص ١٣ ـ ١٢ ورواه أيضاً البخاري ج ٨، ص ٦٢ وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٢٤٤ و٢٥١ و٣١٥ و٣٢٣ و٤٣٤ و٤٦٣ و٥١٩. ورواه أيضاً مسلم في كتاب الجنة الحديث ٣٨، ج ٤، ص ٢١٨٣.
أقول: هنا أحاديث أخرى في معناه.
حديث: خلق الله الإنسان على صورة الرحمن.
وحديث: إن الله خلق آدم فتجلّى فيه.
وحديث: وخمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً. عوالي اللئالي ج ٤، ص ٨٨.
وحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه.
وحديث: من رآني فقد رأى الحق.
وحديث أمير المؤمنين (ع) قال: ما لله عز وجلّ آية هي أكبر مني ـ رواه الكليني في الكافي ج ١، ص ٢٠٧، ح ٣.
وكل هذا معنى قوله تعالى:

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣١].

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٠].

(صورة الإنسان أحسن الصور وخلقته أحسن الخلقة)

وقوله ليلة المعراج:

«رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة»(٣٢).

إشارة إلى صورة نفسه التي هي الصورة الإنسانية الجامعة الكاملة فإنه ليس في الواقع أحسن منها، لقوله تعالى فيها:

﴿وصوّركم فأحسن صوركم﴾ [سورة التغابن: ٣]

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

ولقوله:

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [سورة التين: ٤ و ٥].

والكتابان المذكوران في القرآن بقوله:

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

إشارة إلى الكتاب الآفاقي والأنفسي المعبر عنهما بالكتاب الكبير والكتاب

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

روى الصدوق (ره) في التوحيد باب ذكر عظمة الله عزّ وجلّ الحديث ١٠، ص ٣٨١: بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (ع) في تفسير قوله تعالى: ﴿والطير صافات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ [سورة النور، الآية: ٤١] فقال (ع): إن الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتّى الحديث.

(٣٢) قوله (ص): رأيت ربي ليلة المعراج الحديث:

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٥٢ الحديث ٧٦، قال في الكتاب:

وروى عنه (ص) أنه قال: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة فوضع يده بين كتفي حتّى وجدت برد أنامله بين ثديي.

قال ابن أبي جمهور بعد ذكره:

وفي بعض كتب الأصحاب، عن بعض الصادقين، أنه (ع) قال: وضع يده بين ثديي، فوجدت برد أنامله بين كتفي، لأنه (ع) كان مقبلاً عليه ولم يكن مدبراً عنه.

الصغير، والإنسان الكبير والإنسان الصغير، لقولهم:

العالم إنسان كبير والإنسان عالم صغير، لا إلى التوراة والإنجيل أو غيرهما من الكتب بزعم المفسرين، وشرف القرآن أيضاً الجمعية بينهما لأنه نسخة كاملة لإجمالهما وتفصيلهما وآياتهما وكلماتهما..... قال:

﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ [سورة آل عمران: ٧].

ومن حيث إن مطالعته واجبة والتدبر فيه فريضة أمر بمطالعته والتدبر في مواضعه.. قوله:

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمد: ٢٤].

لئلّا يغفل عبيده عن مطالعته ويحرم عليهم مشاهدته، لأن مشاهدته بدون مطالعته مستحيل، ممتنع، ولهذا قال:

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

(بيان كيفيّة مطالعة الكتب: القرآن والعالم والإنسان يعني القرآني والآفاقي والأنفسي وتطبيق كلّ منهما مع الآخرين)

وإذا عرفت هذا، فيجب عليك كيفيّة مطالعة هذه الكتب لئلا يلزم منك الإخلال بالواجب، فإنه قبيح عقلاً وشرعاً.

فترتيبه، وهو أن تتوجه أولاً إلى معرفة ترتيب مفردات القرآن التي هي الحروف الإلٰهية، ثم إلى معرفة كلماته، ثم إلى معرفة آياته، لأنك إذا عرفت ترتيب حروف القرآن على الوضع الذي وضعها الواضع الذي هو الحق جلّ جلاله وطابقتها بكلمات الآفاق التي هي كلمات الله العليا، حصل لك العلم بمركّبات العالم كلها.

وإذا عرفت ترتيب آيات القرآن على الوجه المذكور أيضاً وطابقتها بآيات الآفاق التي هي آيات الله العظمى، حصل لك العلم بكلّيّات العالم كلّها.

وإذا رجعت إليك وإلى كتابك الجامع للكتابين المذكورين، وطالعته على

الترتيب المعلوم والتطبيق المذكور، عرفت أيضاً ترتيب حروف كتابك التي هي مفردات جسدك وطابقتها بحروف الآفاق ومفرداته، حصـل لك العلم بمفـردات الأنفس على التحقيق.

وإذا عرفت كلمات كتابك التي هي مركّبات خلقتك وطابقتها بكلمات الآفاق ومركّباته، حصل لك العلم بمركّبات الأنفس على التحقيق والتفصيل.

وإذا عرفت آيات كتابك التي هي كليات منشآتك وطابقتهـا بآيـات الآفاق وكلياته، حصل لك العلم بكليات الأنفس على التحقيق والترتيب.

(حصول معرفة الحق سبحانه علىٰ سبيل الكشف والوجود)

وإذا حصل لك هذه العلوم والمعارف كلها وتحققت هذه الحقائق والدقائق بأجمعها على الوجه الذي تقرر وتحقق، حصـل لك العلم بـوجود الحق تعـالى ومعرفته على سبيل الكشف والشهود والذوق والوجود، وشاهدته تحت كل حرف حرف، وكلمة كلمة، وآية آية، من حروف الآفاق والأنفس وكلماتهمـا وآياتهمـا مطابقاً لما في القرآن إجمالاً وتفصيلاً، وكشف لك سرّ قوله:

﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

لأن هـذا إشارة إلى الكتـابين المذكـورين أعني الكتاب الآفـاقي والكتاب الأنفسي المشار إليهما مراراً، وظهر لك معنى قوله:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنّه على كلّ شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنّه بكل شيء محيط﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

وتقرر عندك بلا ريب ولا شبهة أن بدون هذين الكتابين، ومشاهدة آياتهما وكلماتهما لا يمكن الوصول إلى جناب صمديّته وحضرة أحديته بوجه من الوجوه، وصرت بذلك من الذين أوّلوا القرآن صحيحاً، وقرؤا الكتابين صريحاً، ودخلت في جماعة قال الله تعالى فيهم:

﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وشاركت معه جلّ ذكره، ومع الملائكة وأولي العلم من عباده في هذه المشاهدة الكلية والرّؤية الصحيحة الحقيقية المسمّاة بالتوحيد الذاتي والشهود العيني، لقوله:

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

وباتفاق المحقّقين من أهل الله وأهل التوحيد، ليس فوق هذا المشهد مشهد، ولا فوق هذه المرتبة مرتبة، وقولهم:

ليس وراء عبّادان قرية. [قد مرّ الإشارة إليه في تعليقة ٢٦ فراجع].

إشارة إليها، وكذلك:

﴿فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [سورة النجم: ٩].

وكذلك:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً(٣٣).

والذي أشار إليه الشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي في فصوصه بقوله:

وإذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثم أصلاً وما بعده إلا العدم المحض(٣٤).

فهو إشارة إلى هذا، وكذلك قوله فيه:

وما كل أحد يعرف هذا وأن الأمر على ذلك إلّا آحاد من أهل الله، فإذا رأيت من يعرف ذلك فاعتمد عليه فذلك هو عين صفاء خلاصة خاصة الخاصّة من عموم

---

(٣٣) قوله (ع): لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. شرح الغُرر والدُّرر للآمدي ج ٥ ص ١٠٨ الرقم ٧٥٦٩، وأيضاً في شرح المائة كلمة للبحراني ص ٥٢ الكلمة الأولى.

(٣٤) قوله: والذي أشار إليه الشيخ الأعظم في فصوصه.
شرح فصوص الحكم القيصري الفصّ الشيثي (ع) ص ١٠٧ والعفيفي ص ٦٢.

أهل الله تعالى[٣٥].

وأمثال ذلك كثيرة في هذا الباب.

وإذا تقرر هذا وتحقق عندك ترتيب القراءة وكيفية المطالعة بالنسبة إلى الكتب الإلهية، فلنشرع في إثبات هذا المعنى عقلاً ونقلاً متمسّكاً بقول الله وقول أنبيائه وأوليائه (ع).

بيان المراد من التأويل وتشريح الكتابين: الآفاقي والأنفسي

أمّا الكتاب الكبير الآفاقي، فذلك قد عرفته من الآية المتقدمة الدّالة عليه وهو قوله تعالى:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

لأن الآيات هي صورة جامعة وهيئة كاملة مركّبة من الحروف، والحروف والكلمات والآيات لا تتصوّر إلا في ضمن الكتاب، لأن الكتاب عبارة عن هيئة جامعة مشتملة على الحروف والكلمات والآيات، فعلى هذا التقدير يكون الآفاق المسمّى بالعالم، كتاباً كبيراً إلهيّاً ومصحفاً جامعاً ربّانياً، وهذا هو المطلوب، ومع ذلك ما نكتفي بهذا بل نقول:

إعلم أن العوالم كلها، كلّيها وجزئيّها كتب إلهيّة وصحف ربانية، لإحاطتها بكلماتها التامات وآياتها الزاهرات، أما العقل الأول والنفس الكلية اللتان هما صورتا أم الكتاب إجمالاً وتفصيلاً، ومظهرا الحضرة العلمية، فهما كتابان إلهيّان مشتملان على كليات العالم وجزئيّاته.

وقد يقال للعقل الأول: أمّ الكتاب لإحاطته بالأشياء إجمالاً، وللنفس الكلية. الكتاب المبين لظهورها فيها تفصيلاً، وإلى الأول أشار الحق تعالى بقوله:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [سورة الرعد: ٣٩]. وإلى الثاني

---

(٣٥) قوله: وكذلك قوله فيه.

شرح فصوص الحكم القيصري الفصّ الشيثي (ع) ص ١٢٠ والعفيفي ص ٦٦.

بقوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وأما موجودات أُخر فكل ما في الوجود من العلويات والسفليات، فإنه بنفسه كتاب إلٰهي ومصحف رباني لانتقاشه بصور كلمات الله وآياته جزئياً كان أو كلياً، ولأحكامه المسطورة عليه وأحواله الحادثة لديه بقلم المشيّة والتقدير، وذلك لأن الوجود الإضافي الوحداني الإمكاني، كتاب كلي مسطور بنقوش الموجودات والمخلوقات كلها، وكل واحد واحد من تلك الموجودات، إما بمثابة الكتاب أو الكلمات أو الحروف كما مرّ ذكره، وعلى الكل يصدق أنه كتاب إلٰهيّ ومصحف ربانيّ لقول العارفين:

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

[قد مر ذكر شاعره ومرجعه في التعليقة ٢١ فراجع]

وقوله تعالى:

﴿والطور وكتاب مسطور في رقّ منشور﴾ [سورة الطور: ١ ـ ٣].

إشارة إلى الوجود الإضافي الوحداني وما انتقش عليه من صور الموجودات على سبيل الإضافة المسقطة عن درجة الاعتبار عند التوحيد الحقيقي لقولهم: التوحيد إسقاط الإضافات. وهذه دقيقة شريفة مخصوصة بالمستعدّين من أهل الله لا غير، وأما المناسبة بين الوجود الإضافي وبين الرق فلوحدته في ذاته وسراحته في نفسه حين خلوّه عن الإضافات المنسوبة إليه، لأنّه عند التحقيق كالهيولىٰ القابلة للصّور والأشكال، فالهيولىٰ حين خلوّها عن الصور، إن سمّيت بالرّق جاز. وإن سمّيت بالجوهر جاز، لأنّ ذلك الوجود كالجوهر بالنسبة إلى الأعراض العارضة عليه، ومعلوم أنّ بقاء الأعراض بدون وجود الجوهر محال، وكأنّه تعالى إلى هذا الوجود المضاف أشار وقال:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [سورة النساء: ١] وفيه ما فيه من الأسرار.

وأمّا قوله بالنسبة إلى الكتاب الكبير الآفاقي:

﴿وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة يس: ١٢].

﴿وكلّ في كتاب مبين﴾ [سورة هود: ١١].

فالمراد منه أنه ليس هناك شيء من الكليات والجزئيات واللطيف والكثيف والجليل والحقير والكبير والصغير، إلا وهو ثابت في كتابنا الكلي، المسمى بالآفاقي.

وأما قوله بالنسبة إلى الكتب والصحف الجزئية التي هي في ضمن الكتاب الكبير الكلّي:

﴿في صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [سورة عبس: ١٦].

(ليس في الوجود سوىٰ الله)

فالمراد منه أنه ليس هناك موجود من الموجودات، ولا شيء من الأشياء إلا وهو صحيفة أسرارنا وأحكامنا، ونسخة أسمائنا وأفعالنا، وبل مظاهر ذاتنا وصفاتنا، لأنه ليس في الوجود حقيقة غيرنا وغير أسمائنا وصفاتنا وأفعالنا بموجب قولنا:

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾.[سورة الحديد: ٣].

وبمقتضى قول عارفي عبادنا:

ليس في الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلّ هو وبه ومنه وإليه. [أشير إليه في التعليقة ٢٩] وإليه أشاروا أيضاً في قولهم نظماً:

كل الجمال غدا لوجهك مجملاً   لكنه في العالمين مفصل

وفي قولهم:

فكلّ مليح حسنه من جماله   مُعار له بل حسن كلّ مليحة

وفي قولهم:

لقد كنت دهراً قبل أن يكشف الغطا   أخالك أنّي ذاكر لك شاكر

فلمّا أضاء الليل أصبحتُ عارفاً بأنك مذكور وذكر وذاكر

ومن هذا أشرنا إلى عدم الانتهاء لقولنا:

﴿ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [سورة لقمان: ٢٧].

ولقولنا:

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [سورة الكهف: ١٠٩].

مشخصات الممكنات ومركّباتها وانتهاء مثل هذه الكلمات مستحيل أبداً لأن الممكنات غير متناهية بالاتفاق.

ومعلوم أن هذه لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنيّة لم يكن تنال هذه الغاية لأنه يعرف يقيناً أن الكلمات القرآنية تنفد، فافهم جدّاً فإنه ينفعك كثيراً، وسيجيء هذا البحث مبسوطاً في المقدمة الثانية عند بيان التطبيق بين الكتابين.

وأما الكتاب الصّغير الأنفسي. فذلك قد عرفته من الآية المذكورة أيضاً، خصوصاً عند قوله: ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [سورة الإسراء: ١٤].

لأن معناه وهو أنه يقول: إقرأ كتابك الجامع لجميع هذه الكتب لتعرف يقيناً أنك نسخته العظمى وصحيفته الكبرى ولست في مشاهدته محتاجاً إلى كتاب غيرك، وذلك لأنك من حيث روحك الجزئي الذي هو صورة كتابك المجمل بمثابة العقل الأول الذي هو أمّ الكتاب، لإحاطته بالأشياء إجمالاً، كما مرّ ذكره، ومن حيث قلبك المسمّى بالنفس الناطقة الذي هو صورة كتابك المفصّل، بمثابة النفس الكلية التي هي الكتاب المبين، لظهور تلك الأشياء فيها مفصّلاً، ومن حيث نفسك المنطبعة في جسدك المسمّاة بالنفس الحيوانية بمثابة النفس المنطبعة في الجسم الكلّي الذي هو جسد الإنسان الكبير وكتاب المحو والإثبات، وكذلك كل من الكتب الآفاقية، كليّاً كان أو جزئياً، فإن لكل منها فيك أنموذج وآثار، لقول عارفي عباده فيه من لسانه المتقدّم ذكره:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة

فقال كذاك الأمر لكنّما إذا تعيّنت الأشياء بي كنت نسختي

ويقول أمير المؤمنين (ع):

دواءك فيك وما تشعر وداؤك منك وتستكثر

وتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وأنت الوجود ونفس الوجود وما فيك موجود لا تحصر

ولقوله أيضاً بالنسبة إلى نفسه القدسية:

أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، أنا العلم الأعلى، أنا اللوح المحفوظ، أنا ألم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطواسيم، أنا طه ويس، إلى آخر الخطبة. [فقد مرّت الإشارة إلى الخطبة ومرجعها في التعليقة ٢١ فراجع].

(الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله علىٰ خلقه)

ولقول ولده المعصوم، جعفر بن محمد الصادق (ع):

إعلم أنّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجّة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشّاهد على كل غائب، وهي الحجّة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنّة والنار.

ونظراً إلى هذا قال تعالى في الآية: كفى، لأنه عرف أن معرفة نفسك يكفي في معرفته، لأنك إذا قرأت كتابك على الوجه المذكور، كأنك قرأت الكتابين بأسرهما، وشاهدت المقصود فيهما، لأنك من حيث مجموعيتك وجامعيتك للحقائق كلها، كتاب جامع للجميع ومصحف كامل للكلّ، وبل الكل لك ولأجلك، وليس شيء بخارج عنك كما قيل:

ليس على اللّه بمستنكر ان جمع العالم في واحد

ومن هذا قال العارف أيضاً(٣٦):

فالكل مفتقر ما الكل مستغن هذا هو الحق قد قلناه لا نكني
فالكل بالكلّ مربوط وليس له عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي

(الإنسان نسخة كاملة وصحيفة جامعة)

وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾ [سورة فصّلت: ٥٣]، شرطيّة، ومعناه: حتى يتحقق عندهم، أي عند عبيده، أن معرفته الحقيقة التي هي شهوده في مظاهره الآفاقية والأنفسية، موقوفة على معرفة أنفسهم وقراءة كتاب ذواتهم، ويتحقق عندهم أيضاً من قراءة كتابهم يعلمون ما يعلمون، ومن مشاهدة ذواتهم يشاهدون ما يشاهدون، وليس هناك غير كتابهم كتاب يصلح لهذا المعنى بالانفراد، أعني ليس هناك موجود يكون له استعداد أن يكون مظهراً لذاته الكاملة، ومحلاً لكمالاته غير المتناهية، إلا الإنسان، فإنه نسخته الجامعة، وصحيفته الكاملة، وله استعداد أن يكون مظهراً لذاته، لقوله سبحانه: ﴿إنا جعلناك خليفة﴾ [سورة ص: ٢٦].

ولقول نبيّه (ع): خلق الله تعالى آدم على صورته. [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٣١ فراجع]. وقابليته أن يصير محلاً لأوصافه وأخلاقه، لقوله سبحانه: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [سورة البقرة: ٣١]. ولقول نبيه (ع): تخلّقوا بأخلاق الله(٣٧)، وذلك لأن من في السموات والأرض وما بينهما، مظهر لبعض أسمائه وقابل لبعض كمالاته، لقوله: وما منّا إلا وله مقام معلوم، والإنسان مظهر للكل، أي الذات

---

(٣٦) قوله: ومن قال العارف أيضاً الشعر. العارف القائل هو ابن العربي محيي الدين، قال به في فصوصه، الفص آدمي، شرح القيصري ص ٩٣.

(٣٧) قوله: ولقول نبيه (ع): تخلّقوا بأخلاق الله.
روى الحر العاملي في الجواهر السنّية ص ٧٨ عن كتاب مسكن الفؤاد، عن زيد بن أسلم، قال: قيل أوحى الله إلى داود (ع): تخلّق بأخلاقي وإن من أخلاقي الصبر.
وذكره أيضاً الزمخشري في ربيع الأبرار ج ٢، ص ٥٢٩.

والصفات والأفعال، كما مر تقريره، ويعضد ذلك قوله في الحديث القدسي: لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن(٣٨).

وقوله تعالى في القرآن:

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

(المقصود من الأمانة المعروضة على السمٰوات والأرض والمحمولة على الإنسان)

لأن الأمانة باتفاق المحققين هي الخلافة الإلٰهية التي ما حملها إلا الإنسان لعدم قابليتهم وقلّة استعدادهم، والظلومية والجهولية أيضاً مدح لهم وتعظيم لقدرهم من غير تصور مذمّة ولا منقصة لأجل شأنهم، وقد كتبنا في هذا المعنى رسالة موسومة برسالة الإمامة في تعيين الخلافة، وقد أثبتنا فيها هذا عقلاً ونقلا وكشفاً، والغرض من ذلك كله أن تعرف: أن ليس هناك كلمة إلٰهية كاملة إلا أنت وحقيقتك التي هي مظهر ذاته الأحدية وأسمائه وصفاته العلية، ولا يمكن مشاهدته على ما هو عليه في نفس الأمر إلا من كتابك وما اشتمل عليه من الآيات والكلمات والحروف، لقول العارف مثلك:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند مشهودي مقيم يشاهده وعندكم لساني

[للشيخ ابن العربي في الفتوحات ج ١ ص ٩ وراجع أيضاً الفتوحات الطبعة الحديثة ج ١ ص ٧٠].

ونعم التأويل الذي يرشدك إلى هذه المكاشفات، ونعم القراءة التي توصلك إلى هذه المشاهدات.

---

(٣٨) قوله في الحديث القدسي: لا يسعني أرضي ولا سمائي الحديث.
رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٧، وذكره الفيض في المحجة البيضاء ج ٥، ص ٢٦، وذكره الغزالي أيضاً في إحياء العلوم ج ٣، ص ١٥ وفي البحار للمجلسي (ره) ج ٧٠، ص ٦٠، الحديث ٤٠ عن نوادر الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص): إن لله آنية في الأرض فأحبّها إلى الله ما صفا منها ورقّ وصلب، وهي القلوب الحديث.

وعند التحقيق هذا هو التأويل المخصوص بأهل الله والراسخين منهم، وهذا هو التأويل الواجب على الأنبياء والأولياء (ع) وعلى تابعيهم من العلماء الراسخين في العلوم الإلٰهيّة والمعارف الربانية لقوله جلّ ذكره:

﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وهذا يحتاج إلى أبحاث أخر تكون متعلقة بالأبحاث المذكورة من بحث الكتاب الكبير والكتاب الصغير والتطابق بينهما، وهذه الأبحاث مرجوعة إلى المقدمة الثانية موكولة إليها لكن ههنا ضروري من بحث القراءة بالنسبة إلى هذه الكتب الثّلاث وكيفية قراءتها وبأيّ وجه يمكن تحصيلها بالعلم الظاهر أو بالعلم الباطن أو بالكشف الحاصل من الله خاصة أو بالكل دون البعض أو بوجه غير هذه الوجوه، ومعلوم أن هذه الأبحاث تريد بسطاً عظيماً وبياناً كاملاً، فرأينا المصلحة أن نشرع فيها بطرق مختلفة ونبيّنها في أبحاث متنوعة وهي على سبيل الإجمال ثلاثة:

البحث الأول

في معرفة أسباب القراءة بالنسبة إلى هذه الكتب

إعلم أن قراءة هذه الكتب على الوجه المذكور خصوصاً قراءة الكتاب الكبير الآفاقي ليست بالعلم الظاهر ولا بالعلم الباطن أيضاً إذا لم يكن على أصل صحيح حقيقي وأساس كلي إلٰهي، بل قراءة تتعلق بعناية الله تعالى خاصة بأن يفيض على بعض عبيده أنوار تجلياته العينية وتنفتح عين بصيرتهم بكحل العناية الأزلية بحيث يحصل لهم استعداد قراءة هذا الكتاب دفعة أو تدريجاً وينكشف لهم معناه وفحواه إجمالاً وتفصيلاً، وهذا الفيض قد يكون بواسطة، وقد يكون بغير واسطة، أما الثاني وكما كان بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء (ع) فإنه تعالى كان يفيض على قلوبهم من غير واسطة سابقة ولا علّة متقدمة، بل بمحض العناية وحسن الشفقة ما أراد من العلوم والحقائق دفعة كان أو تدريجاً كما أفاض على نبيّنا (ص)، وقال:

﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله

عليك عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٣].

ومعلوم أن هذا ليس إشارة إلى القرآن، لأن القرآن ما نزل مفرداً بل أنزله الله نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة وعلى تقدير أن المراد به القرآن وكان تدريجياً بحسب النزول والشرع ودفعياً بحسب الفيض والتجلّي، وقد تقرّر هذا في علم الأصول عند المحققين وسنبيّنه مفصّلاً إن شاء الله، وبحسب نزول القرآن وكيفيته من غوامض الأبحاث وأصعبها، وقوله (ص) ليلة المعراج:

«علمت علوم الأوّلين والآخرين»(٣٩).

شاهد على أنه كان دفعيّاً بحسب الفيض، تدريجياً بحسب النزول، وكما أفاض على عيسى (ع) في المهد لقوله جلّ ذكره:

﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً﴾ [سورة مريم: ٢٩ ـ ٣١].

وكما أفاض على يحيى (ع) في الصغر لقوله فيه:

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة، وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ [سورة مريم: ١٢].

ومعلوم أنه لم يكن المراد بالكتاب بالنسبة إليهما التوراة ولا الإنجيل، لأنه لو كان كذلك ما قال في حقّ عيسى (ع) بعد الآية:

---

(٣٩) قوله (ص) ليلة المعراج: علمت علوم الأولين والآخرين.
رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، الحديث ١٩٥، ص ١٢٠. وأخرج الترمذي ج ٥، ص ٣٦٦، الحديث ٤ و٣٢٣٣ بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله (ص) قال: أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك وسعديك، قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: ربي لا أدري، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديّ، فعلمت ما بين المشرق والمغرب (ما بين السموات والأرض).
أخرجه أيضاً الدارمي ج ٢ ص ١٧٠ كتاب الرؤيا، باب ١٢، الحديث ٢١٤٩، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص٣٦٨، وج ٤، ص ٦٦، وج ٥، ص٢٤٣، والسيوطي في الدر المنثور ج ٣، ص ٣٠١.

﴿ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ [سورة آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩].

وحيث قال هذا وفصّل بالكتاب والحكمة بين التوراة والإنجيل فعرفنا أنه ليس كذلك وأن المراد بالكتاب الكتاب الآفاقي الكبير أو الأنفسي الصغير اللذان هما التوراة والإنجيل صادران منهما فائضان عنهما أو أم الكتاب واللوح المحفوظ بمدعى البعض مع أن أمّ الكتاب واللوح المحفوظ داخلان في الكتابين المذكورين، لأنّ أم الكتاب الذي هو العقل الأول، واللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلية كسورتان من سور القرآن بالنسبة إليهما كالبقرة وآل عمران مثلاً، وأيضاً لو كان المراد بالكتاب التوراة والإنجيل ما عطفهما على الكتاب والحكمة وحيث عطفهما علمنا أنه غيرهما لأن العطف دال على المغايرة هذا على الخصوص.

وأمّا على العموم، فكقوله فيهم:

﴿أولئك الذين آتينٰهم الكتاب والحكم والنّبوّة فإن يكفر بها هٰؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرى للعالمين﴾ [سورة الأنعام: ٨٩ ـ ٩٠].

وقد نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال:

قوله تعالى: ﴿فإن يكفر بها هٰؤلاء﴾، أراد به العرب، وقوله: ﴿فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾، أراد به العجم.

(تفضيل العجم على العرب)[٤٠]

وذلك صحيح لأنّ العجم قط ما أنكروا نبيًّا، ولا أنكروا وحياً إن أراد بالعجم قوماً معلومين، وإن أراد كلّ ما ليس بعرب فهذا بحث آخر لأنّ أكثر الأنبياء وأممهم كانوا عجماً ولم يكن منهم عرب إلاّ إسماعيل وأولاده (ع)، ولسان العبرانيّة

(٤٠) قوله: وقد نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: الحديث.راجع في ذلك بحار الأنوار ج ٦٧، ص ١٦٦، باب ٩ أصناف الناس في الإيمان وج ٢٤، ص ٣٠٨، الحديث ١٠ فيهما مناسبة لقول الصادق (ع).

والسّريانيّة ليس بلسان العرب، ولا هم من العرب، وقوله تعالى:

﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾ [سورة إبراهيم: ٤].

دال على هذا، ومع ذلك ورد عن النبيّ (ص) خبر يؤكّد هذا المعنى وهو قوله: «لو كان العلم في الثّريّا لناله الفرس»(٤١).

وهٰذا تصريح بتفضيلهم وترجيحهم، وتنبيه على ذكائهم وفطنتهم، وكذلك على شوقهم وسعيهم في تحصيل العلوم وكسب الكمالات ويقوم بجواب العرب ويقومه العجم قوله تعالى:

﴿ولو جعلناه قرآناً أعجميًّا لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ وعربي﴾ [سورة فصّلت: ٤٤].

وقوله:

﴿ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ [سورة الشعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩].

لأنه دالّ بأنّ القرآن لو كان عجميًّا لم يكن يلتفت إليه العرب أصلاً إمّا لعدم الاستعداد والقابليّة، وإمّا لعدم الإيمان في قلوبهم الّذي هو رئيس الكمالات كلّها، وإليهم أشار أيضاً في قوله:

﴿الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً﴾ [سورة التّوبة: ٩٧].

(فضل العرب على العجم)

وهٰذه الدّعوى ليست كليّة فإنّ الكل من حيث الكل إذا تعارضا وتقابلا،

---

(٤١) قوله: ورد عن النبي (ص) خبر يؤكد هذا المعنى وهو قوله: لو كان العلم الحديث.
روى المجلسي في البحار ج ١، ص ١٩٥، الحديث ١٦ عن قرب الإسناد بإسناده عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه (ع) أن رسول الله (ص)، قال: لو كان العلم منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس، وأخرج قريب منه، أحمد بن حنبل في مسنده ص ٤٢٠ و٤٢٢ و ٤٦٩ بإسناده عن أبي هريرة، والسيوطي أيضاً في جامع الصغير ج ٢، ص ٤٣٤، الحديث ٧٤٦٤، وأيضاً أخرجه في كنز العمال ج ١١، ص ٦٩١، الحديث ٣٣٣٤٣، ج ١٢، ص ٩١، الحديث ٣٤١٣١ بإسناده عنه.

فالعرب أفضل وأكمل لأنّ فيهم نبيّنا (ص)، وكذلك أولاده من الأئمّة المعصومين (ع) وليس في العجم مثلهم وإن كان فيهم أيضاً الأنبياء والأولياء (ع) كما تقرّر ولكن هذه دعوى جزئيّة بالنسبة إلى بعض القوم منهم، ومن هذا لا يلزم ترجيح أحد على نبيّنا وأولاده (ع)، ومع ذلك كلّه هذا بحث لا دخل في هذا المقام، وتلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت، وبالجملة نرجع ونقول:

(بيان سلوك المحبوبيّة وسلوك المحبيّة)

هذه الطّريقة والعروج أعني حصول الفيض من الفائض بغير واسطة يسمّى سلوك المحبوبيّة، وأمّا الأوّل الّذي يكون بواسطة فيسمّى ذلك سلوك المحبيّة، وذلك بأن يفيض الحق تعالى على قلب بعض عبيده بواسطة التقوى الّتي هي سيّد الأعمال كلّها، علماً فارقاً بين الحق والباطل، وسرّاً كاشفاً بين الظّاهر والباطن، لقوله تعالى فيهم:

﴿إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

أي يجعل لكم علماً فارقاً بين الحقّ والباطل، وكشفاً مميّزاً بين الظّاهر والباطن، ولقوله في موضع آخر:

﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣].

أي يجعل له مخرجاً من الشّبهات والشّكوك ويرزقه من العلوم الحقيقيّة والأسرار الرّبانيّة من حيث لا يحتسب أي من جهة لا يعرفه هو ولا غيره، وذلك عالم الغيب وحضرة القدس بعالم العقول والنّفوس، لقوله أيضاً:

﴿اقرأ وربك الأكرم الّذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق: ٣ ـ ٥].

ولقوله: ﴿الرّحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ [سورة الرّحمن: ١ ـ ٤].

وإلى هذا أشار بقوله:

﴿الم.ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين﴾ [سورة البقرة: ١، ٢].

وخصّ هدايته بالمتّقين مع أنّه هدايـة للعالمين ليعلم أنّ هـدايته الخـاصّة مخصوصة بالمتقّين دون غيرهم لأنّ الهداية على ثلاثة أنواع: هداية العام، وهداية الخاص، وهداية خاصّ الخاصّ كما سنبيّنه إن شاء الله.

(التقوىٰ وسيلة فيضان النور من حضرة الحق إلى قلب المتّقي)

وبيان ذلك، وهو أن عبداً من عبيده مثلاً إذا قام بالتّقوىٰ على ما ينبغي المشار إليه في قوله:

﴿واتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

وأدّى حقّها على ما هو عليها في نفس الأمر وزال عن قلبه بعد ذلك حجاب الكثرة والتّفرقة، واضمحلّ عن مرآة نفسه ومن الظّلمة والغفلة، ووصل إلى حدّ الصقالة والصّفاء التّام الكامل، أفاض عليه تعالى نوراً من أنواره وانفسح به عين بصيرته، وانكشف له عالم الملكوت والجبروت، ونزل عليه من سماء جوده وفضله الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق، كما قال النبيّ (ص):

«من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمـة من قلبه على لسانه»[٤٢].

---

(٤٢) قوله (ص): من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً الخ الحديث فقد نقل الحديث بعبارات مختلفة نقلناه ذيلاً:

(أ) أصول الكافي ج ٢ ص ١٦ حديث ٦:

عن الباقر (ع) قال: ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّ وجلّ أربعين يوماً، أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عزّ وجلّ أربعين يوماً، إلا زهّده الله عزّ وجلّ في الدنيا وبصّره داءها ودواءها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه الحديث، نقله عن الكافي أيضاً البحار ج ٧٠، ص ٢٤٠، حديث ٨.

(ب) عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢، ص ٦٨:

عن الرضا (ع) قال: قال رسول الله (ص): ما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

نقله في البحار أيضاً ج ٧٠، ص ٢٤٢، الحديث ١٠.

(جـ) بحار الأنوار ج ٧٠، ص ٢٤٩، الحديث ٢٥، عن عدّة الدّاعي عن النبي (ص) قال:

وأشار الحقّ تعالى في كتابه بقوله:

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكّر إلّا أولوا الألباب﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩].

وصارت له معينة على مطالعة كتابه المسمّى بالكتاب الكبير، ومقوية على مشاهدة ما في ضمنه من الآيات والكلمات المسمّاة بالموجودات والمخلوقات، وكذلك على مطالعة كتابه الأنفسي ومشاهدة ما في ضمنه من الآيات والكلمات، وإلى هذا المعنى كلّه أشار أميرالمؤمنين عليّ (ع) في بعض أقواله وهو قوله:

قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتّى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطّريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السّلامة ودار الإقامة، وتثبتث رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والرّاحة، بما استعمل قلبه وأرضى ربّه(٤٣).

وأمثال ذلك كثير في هذا الباب.

وهذه الأبحاث تلزمنا بالبحثين الأخرين فنجعل البحث الثاني في بيان السّلوك وتقسيمه بالمحبّية والمحبوبيّة، وكيفيّة ترتيبهما، والبحث الثّالث في بيان التقوى ومراتبها ومدارجها وهو هذا:

من أخلص لله أربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(د) إحياء العلوم للغزالي ج ٤، ص ٢٧٤: عن النبي (ص): قال: ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

أقول: قال العراقي في ذيله: أخرجه ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى.

(هـ) عوارف المعارف (المترجم) ص ٩٩ والعربي في ملحق إحياء العلوم ج ٥، ص ١٢١: على أن الأربعين خصّت بالذّكر في قول رسول الله (ص): من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

أقول: قال الأنصاري في ذيل المترجم: جامع الصغير ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤٣) قوله: وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (ع): قد أحيا عقله وأمات نفسه الخ.

أقول: هذا من كلامه (ع) في نهج البلاغة ط صبحي الصالح الخطبة ٢٢٠، وفيض الإسلام الخطبة ١٠ في وصف السالك إلى الله سبحانه.

البحث الثّاني

في بيان السّلوك وتقسيمه إلى المحبيّة والمحبوبيّة

إعلم أنّ السلوك سلوكان: سلوك المحبوبيّة، وسلوك المحبيّة.

أمّا سلوك المحبوبيّة فهو أن يكون وصول الشّخص سابقاً على سلوكه أعني يصل إلى كماله المعيّن له من الله تعالى بغير واسطة عمل من الرّياضة والتّقوى والمجاهدة والسّلوك، وذلك يكون بمحض العناية من الله وعين الهداية منه كما سبق ذكره وإليهم أشار في قوله:

﴿ومن آبائهم وذرّياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ [سورة الأنعام: ٨٧].

وأمّا سلوك المحبيّة فهو أن يكون السّلوك سابقاً على الوصول أعني يكون حصول كماله المعيّن له بواسطة الرّياضة والتّقوى والمجاهدة والسّلوك مع قطع المنازل وطيّ المراحل لقوله تعالى:

﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

وإلى الطائفتين أشار بقوله:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

(بيان مصاديق المحبوبين من الإنسان)

فالطائفة الأولى الذين هم المحبوبون هم الّذين عرفتهم الآن من الأنبياء والأولياء (ع) وتقرّر أنّهم وصلوا إلى الله من غير سبب سابق وعمل لاحق بل بمحض العناية وكمال المحبّة لهم ولكمال شوقه إليهم، وتحنّنه لديهم كما قال:

ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي وإنّي لأشدّ شوقاً إليهم(٤٤).

---

(٤٤) قوله: كما قال: ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي الحديث.
أخرجه الحافظ الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء ج ١٠، ص ١٩٣، بإسناده عن سلمة النيسابوري، قال: سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله التستري يقول:
قال الله لآدم: يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم إن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي أعزّهم بعزّي، وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي، فبهم أمطر السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء، هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة، صحت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإنّي إليهم لأشد شوقاً، الخ.
وذكره أيضاً الميبدي بلا سند عن قوله جلّ جلاله في تفسيره كشف الأسرار (خواجة عبد الله الأنصاري) ج ٦، ص ٢٢٢.
وأيضاً الغزالي في إحياء العلوم ج ٣، ص ٩ مرسلاً، وقال العراقي في ذيله: لم أجد له أصلاً إلا أن صاحب الفردوس خرجه من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسناداً، انتهى.
هذا وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٢٥٩ بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، يقول حدثني فلان بن فلان، سمع رسول الله (ص) يقول: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قال فأكبّ القوم يبكون، فقال: ما يبكيكم، فقالوا: إنّا نكره الموت، قال: ليس ذلك ولكنه إذا حضر فإمّا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنّة نعيم، فإذا بشّر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحبّ، الحديث.
ونورد ههنا قطعات من بعض الأدعية الواردة عن المعصومين (ع) تتميماً للفائدة وتوضيحاً للحديث ومصداقاً لحديث سهل بن عبد الله، ورد في المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين (ع) التي قال المجلسي في البحار ج ٩٤، ص ١٤٢: وقد وجدتها مروية عنه (ع) في بعض كتب الأصحاب رضوان الله عليهم:
ففي المناجاة الثالثة مناجاة الخائفين: ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك.
وفي المناجاة الثامنة مناجاة المريدين: ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبّتك وَلَهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بُغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي (طلبي)، وقربك غاية سؤلي.
وفي المناجاة التاسعة مناجاة المحبّين: إلهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودّك ومحبّتك، وشوّقته إلى لقائك.
وفي المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين: وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك.
وأيضاً في الدعاء السابع والأربعين من أدعية الصحيفة السجاديّة (ع) في يوم عرفة: وشوّقني

ولقول النبيّ (ص):

جذبة من جذبات الحقّ توازي عمل الثقلين.

وأصحاب الجذبات على أربعة أقسام: مجذوب غير سالك، وسالك غير مجذوب، وسالك مجذوب، ومجذوب سالك، فهؤلاء من القسم الأوّل وإن كان هم أجلّ من أن يسمّى مجذوباً، لأنّ الكامل المكمّل أعظم من أن يسمّى من أسماء السّالكين والمجذوبين، فكأنّ هذا مجاز بالنّسبة إليهم، وإليهم أشار قطبهم ورئيسهم، سلطان العارفين أمير المؤمنين علي (ع) بقوله:

إنّ لله تعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا أخلصوا، وإذا أخلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم. وقوله تعالى:

﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً﴾ [سورة الإنسان: ٥ - ٦].

وقوله: ﴿عيناً يشرب بها المقرّبون﴾ [سورة المطففين: ٢٨].

وقوله: ﴿وسقهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [سورة الإنسان: ٢١].

وقوله:

لقاءك، والدعاء طويل، الصحيفة السجّادية للفيض ص ٣٥٦، الفقرة ١٢٦.

وأيضاً روى الكليني (رض) في الأصول الكافي ج ٢ باب الدّعاء في أدبار الصلوات الحديث ٦ ص ٥٤٧ بإسناده عن محمد بن الفرج قال: كتب إليّ أبو جعفر ابن الرضا (ع) بهذا الدعاء وفيه: وأسألك لذّة المنظر إلى وجهك، وشوقاً إلى رؤيتك ولقائك من غير ضرّاء مضرّة، والدّعاء طويل.

وأيضاً في دعاء أبو حمزة الثمالي: اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك، وخشية منك، وتصديقاً بكتابك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك، يا ذا الجلال والإكرام، حبّب إليّ لقائك وأحبب لقائي، واجعل في لقائك الراحة والفرج والكرامة.

وروى الحر العاملي في الجواهر السنيّة ص ٧٤ عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي عن وهب بن منبه قال: أوحى الله إلى داود (ع): يا داود ذكري للذاكرين، وجنّتي للمطيعين، وحبّي للمشتاقين، وأنا خاصة المحبّين.

﴿يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [سورة المطففين: ٢٥ ـ ٢٦].

إشارة إلى ذلك الشّراب الأزلي الإلٰهي الّذي يسقيهم من غير سبب ولا طلب، وقول العارف نظماً:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

كذٰلك إشارة إليه، وقول النّبي (ص):

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»(٤٥).

وكذٰلك قول الولي (ع):

كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين(٤٦).

---

(٤٥) قوله (ص) كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين.

أقول: الحديث معروف بين الألسنة والكتب ذكره جمع غفير من العلماء في كتبهم، ومن جملتهم العلامة الأميني تغمّده الله في رحمته في كتابه الشريف الغدير ج ٧، ص ٣٨ وقال فيه: وتواتر عنه (ص) من طرق صحيحة:

كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. أو: بين الروح والجسد. أو: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه. انتهى كلامه قدس سره. ورواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢١، ح ٢٠٠.

وذكره أيضاً محمد بن علي بن شهراشوب في كتابه مناقب ج ١، ص ٢١٤ فراجع، وروى عنه بحار الأنوار ج ١٦، ص ٤٠٢، ح ١.

وأخرجه أيضاً الترمذي في الجامع ج ٥، ص ٥٨٥ بإسناده:

قالوا: يا رسول الله متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده مرة ج ٤، ص ٦٦ بإسناده عن رجل قال: قلت يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

ومرة أخرى في ج ٥ ص ٥٩، بإسناده عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبيّاً؟ قال: وآدم (ع) بين الروح والجسد.

أخرجه أيضاً في كنز العمال ج ١١، ص ٤٥٠، الحديث ٣٢١١٧.

(٤٦) قوله (ع): كنت ولياً وآدم بين الماء والطين.

أقول: قد وردت أخبار كثيرة يستفاد مضمون الحديث منها ونورد بعضها ذيلاً لمزيد الفائدة والتأمل فيها.

(أ) الصدوق رضي الله عنه بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه (ع) عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: قال رسول الله (ص) في

حديث طويل: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك إلى قوله (ص) يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم (ع) ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجلّ أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا. الحديث. عيون أخبار الرضا (ع) ج ١، ص ٢٦٢، الحديث ٢٢.

(ب) قال الحر العاملي في الجواهر السنيّة ص ٢٣٧:

وقد نقل جماعة من العلماء عن ابن شيرويه الديلمي أنه روى في كتاب الفردوس عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (ص): لو يعلم الناس متى سمّى علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمّي أمير المؤمنين وآدم بين الماء والطين، الحديث.

(جـ) عنه أيضاً في المصدر ص ٢٣٥: قال الحافظ البرسي: وروى الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): جاءني جبرائيل فنشر جناحيه فإذا على أحدهما مكتوب: لا إله إلا الله محمد النبي، وعلى الآخر: لا إله إلا الله علي الولي، وعلى أبواب الجنة مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) علي أخوه ولي الله، أخذت ولايته على الذّر قبل خلق السموات والأرض بألفي عام.

ونقل مثله أيضاً عن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي.

(د) في نفس المصدر قال الحر العاملي:

وفي كتاب العلل قال: بإسناده عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة عن الصادق (ع) في حديث طويل قال: أما علمت أن محمداً وعليّاً كانا نوراً بين يدي الله قبل خلق الخلق بألفي عام، وأن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد انشعب منه شعاع لامع فقال: إلهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأما الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي ولولاهما ما خلقت خلقي.

ورواه أيضاً في كتاب معاني الأخبار بهذا الإسناد مثله. الجواهر السنية للحر العاملي رحمه الله ص ١٨٧.

أقول: قال الشيخ الأكبر في الفصّ الشيثي (ع) من فصوص الحكم: (شرح القيصري ص ١١٢).

فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبيّ ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيّين، وإن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث، وكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان ولياً إلا بعد تحصيله شرائط الولاية الخ. انتهى كلامه.

نقلناه لأجل أن الشيخ الأكبر محيي الدين العربي، قال به بما أنه أصل وأساس كلّي ثابت مع

يقوم بجواب الكلّ لأنّ النبوّة والولاية كانتا حاصلتين لهما قبل إيجاد العالم وآدم بما شاء الله، وهذا معلوم عند أهله غير خفي على أحد من العارفين.

(بيان المصاديق المحبّون من الإنسان)

وأمّا الطّائفة الثانية الّذين هم المحبّون فقد عرفتهم أيضاً وهم الّذين يسلكون سبيل الحقّ على قدم السّلوك والتّقوىٰ والرّياضة، ويكون سلوكهم سابقاً على وصولهم لقوله تعالى فيهم:

﴿إن الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

ولقوله:

﴿إنّ المتّقين في جنّات ونهر۞في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [سورة القمر: ٥٤ - ٥٥].

ولقوله:

﴿الّذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً - إلى قوله -: فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [سورة الكهف: ١٠٧ - ١١٠].

ولقوله في حديثه القدسي:

قطع النظر عن مصداقه في الولاية وهو يحتاج إلى بحث آخر وتحقيق وتتبّع في كلماته لا يناسب المقام.

روى الحديث: كنت ولياً وآدم بين الماء والطين عن أمير المؤمنين عليه آلاف التحية والسلام، الفاضل التوني قدّس سرّه في تعليقته على مقدّمة فصوص الحكم ص٩٣ في الفصل الثاني عشر.

وفي عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢٠٨:

وقال (ع): كنت وصيّاً وآدم بين الماء والطين.

(هـ) في أمالي المفيد رضي الله عنه في المجلس الأول ص ١٥، الحديث ٣ (حديث الحارث الهمداني) بإسناده عن الأصبغ ابن نباتة عن أمير المؤمنين (ع)، قال:

ألا إني عبد الله، وأخو رسوله، وصديقه الأول، صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقّاً، الحديث.

من تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن تقرب إليّ باعاً مشيت إليه هرولة(٤٧).

(في أن الإنسان خلق جامعاً للعالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة)

وإذا عرفتَ هذا فاعلم، أن الله تعالى خلق الإنسان جامعاً للعالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة، أو الملك والملكوت، أو الأمر والخلق، إذ لا مشاحّة في الألفاظ، وأعطاه لمشاهدة كلّ عالم عيناً مناسبةً لذلك العالم، فالعين الّتي هي لمشاهدة عالم الغيب سمّاها بالبصيرة لقوله:

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

والقلب والفؤاد والصدر عبارة عنها لقوله تعالى:

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [سورة الحج: ٤٦].

---

(٤٧) قوله: في حديث قدسي: من تقرب إليّ شبراً، الحديث.

في صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ج ٩، ص ١٤٨ روى بإسناده وقال: قال النبي (ص): يقول الله تعالى... وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.

وفي مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٥٣ روى بإسناده عن أبي ذر عن رسول الله (ص) أنه قال: يقول الله عز وجل: من اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، الحديث.

وفي المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ج ٥، ص ١٥ رواه بعبارة الكتاب.

وأخرجه مسلم ج ٤ باب الذكر والدعاء حديث ٢٢ روى بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله (ص): من تقرب منّي شبراً، تقربت منه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً. ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة.

ورواه أيضاً بعبارات أخرى في الأحاديث ٢ ـ ٣ ـ ٢٠ ـ ٢١.

ورواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٦، حديث ١٨٢ وفي ذيله: ومن ذكره في ملأ ذكره في ملأ أشرف، ومن شكره شكره في مقام أنسي، ومن دعاه بغير لحن أجابه، ومن استغفر غفر له.

وأخرجه أيضاً الغزالي في إحياء العلوم ج ٣، ص ٩، وقال العراقي في ذيله: حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

والعين الّتي هي لمشاهدة عالم الشهادة سمّاها بالبصر لقوله:

﴿هو الّذي أخرجكم من بطون أمّهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون﴾ [سورة النحل: ٧٨].

فكما أنّ العين الّتي هي لمشاهدة الشّهادة وشأنها الرؤية والمشاهدة لم يتمكّن من رؤيتها ومشاهدتها إلّا بعد إزالة الموانع ورفع الحجاب بينها وبين مرئيلتها وحصول نور آخر مضافاً إليها كنور الشّمس أو نور القمر أو الكواكب أو النّار وأمثال ذلك.

فكذلك العين الّتي هي لمشاهدة عالم الغيب فإنّها وإن كانت من شأنها رؤية ذلك العالم ومشاهدته لكن لم يمكن منها إلّا بعد إزالة الموانع ورفع الحجاب بينها وبين ذلك العالم وحصول نور آخر مضافاً إليها كنور الحقّ تعالىٰ أو نور القدس أو الرّوح الأعظم أو العقل الكلّي وأمثال ذلك لقوله تعالى:

﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ [سورة الحديد: ١٣].

ولقوله:

﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء عليم﴾ [سورة النور: ٣٥].

ولقوله:

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [سورة النور: ٤٠].

(الحجب مختصّ بالمحبّين ووجوب الإزالة مخصوص عليهم)

فالتقوى والرّياضة والخلوة والعزلة لإزالة تلك الموانع والحجب، وتحصيل تلك الأنوار والشهب ليشاهد بها العالم الروحاني وما فيه من الغرائب والعجائب، فالمحبوبون بحصول هذه الأنوار لهم أزلاً كما مرّ ذكره، مستغنون عن إزالة الموانع ورفع الحجب لأنّهم في مشاهدتهم الأزليّة ومكاشفاتهم الحقيقيّة على الدّوام والاستمرار لقوله تعالى:

﴿الذين هم على صلواتهم دائمون﴾ [سورة المعارج: ٢٣].

كما قال الإمام (ع):

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. [فقد مرّ مرجعه في التعليقة ٣٣].

وقال العارف:

مذ رأيت ربّي ما شككت فيه.

وأمّا المحبّون فيجب عليهم إزالة تلك الموانع ورفع تلك الحجب ليحصل لهم تلك الأنوار ويشاهدون بها تلك العوالم وما فيها من الأسرار والأنوار والعجائب والآثار، والنقليّات الدّالة على ذلك أكثر من أن تحصىٰ:

منها قول النبيّ (ص): «ما من قلب إلّا وله عينان وأُذنان فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين هما للقلب ليشاهد بهما الملكوت»(٤٨).

وقوله أيضاً:

لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت(٤٩).

---

(٤٨) قوله ما من قلب إلا وله عينان، الحديث.

رواه الخوارزمي في شرحه للفصوص ج ١، ص ٢٣٠ مع اختلاف، قال: قال (ع):

ما من عبد إلا ولقلبه عينان هما غيب ينظر بهما الغيوب فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح عيني قلبه ليرى بهما ما أخفى عن بصره.

(٤٩) قوله: وقوله أيضاً: لولا الشياطين يحومون الحديث رواه الغزالي في إحياء علوم الدين في موضعين: تارة ج ١، ص ٢٣٢ كتاب أسرار الصوم، وأخرى ج ٣ ص ٩ كتاب شرح عجائب القلب. ورواه المجلسي أيضاً في بحار الأنوار ج ٧٠، ص ٥٩، الحديث ٣٩ باب القلب وصلاحه وفساده. ورواه أيضاً الفيض في المحجّة البيضاء كتاب أسرار الصيام ج٢، ص ١٢٥، كلّ هذا نقلوه مرسلاً.

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٣٥٣ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): ليلة أسري بي . . . فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منّي فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت ما هذا يا جبرائيل، قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكّروا في ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب.

وفي أصول الكافي للكليني (ره) ج ٢، ص ٤٢٣ باب في تنقل أحوال القلب الحديث ١ بإسناده عن سلام بن المستنير قال: قال أبو جعفر (ع): إن أصحاب محمد (ص) قالوا: يا

ومنها قول عيسى (ع):

يا بني إسرائيل، لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به، ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به، ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به، العلم مجبول في قلوبكم تأدّبوا بين يدي الله بآداب الروحانيّين وتخلّقوا بأخلاق الصّديقين يظهر العلم في قلوبكم حتّى يغطيكم ويغمركم.

ومنها قول أمير المؤمنين علي (ع) في خطبة من خطبه: إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله ـ عزّت آلاؤه ـ في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة، يذكرون بأيّام الله، ويخوّفون مقامه، بمنزلة الأدلّة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشّروه بالنجاة، ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطريق، وحذّروه من الهلكة. [نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ٢٢٢].

ومنها قوله أيضاً:

أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله الّذي منه ابتداء خلقكم، وإليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم، وإليه منتهىٰ رغبتكم، ونحوه قصد سبيلكم، وإليه مرامي مفزعكم فإنّ تقوى الله دواء قلوبكم وبصر عمىٰ أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشى أبصاركم وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم. إلى آخره. [نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٩٨].

رسول الله نخاف علينا النفاق، قال: فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا، وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتّى كأنّا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحوّل عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنّا لم نكن على شيء أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله (ص) كلّا إن هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء.

(في بيان من عمل على خلاف التقوىٰ وهو من الذين ختم الله على قلوبهم)

وسيجيء ذكر التقوىٰ أكثر من ذلك في البحث الثّالث الّذي بعد هذا البحث لكن الحقّ تعالى حيث ذكر التّقوى في الآية المتقدّمة ومدح المتّقين الموصوفين بها وذكر ثمرات تقواهم ومجاهداتهم الّتي هي الأنوار الملكوتيّة والآثار الجبروتيّة بعد فتح عين بصيرتهم لمطالعة كتابه الآفاقي والأنفسي مطابقاً لما في كتابه القرآني، أراد أن يذكر جماعة هم على عكسهم، في الضّلال والعمىٰ والكفر والطّغيان فقال في موضع:

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ [سورة البقرة: ٧]. وقال في موضع آخر:

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمّد: ٣٤]، وقال: **﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾** [سورة الكهف: ١٠١].

إلى قوله: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتهاوكذلك اليوم تنسى﴾** [سورة طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

وقال تأكيداً لهذا:

﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٧٢].

ومعلوم أن بين الذكر والعين الباصرة ليست مناسبة بوجه من الوجوه فالمراد بهما العين القلبيّة، وبالغطاء الحجب المانعة لها عن رؤيتها ومشاهدتها وبالذّكر المعرفة الحاصلة من تلك المشاهدة كشفاً وشهوداً، وذلك لأنّ الإعراض عن ذكر الله لا يمكن بالعين الباصرة لعدم المناسبة، وكذلك النّسيان المنسوب إليها فإنّ النّسيان من عوارض القلب وعماه كما هو الذّكر من خواصه ولوازمه، وأيضاً لو كان المراد بالعمى عمى البصر لكان خارجاً عن الحكمة والعدل، أمّا الحكمة فلأنّها تقتضي صدور الأفعال على الوجه الأصلح والأنفع وليس من الحكمة إضافة النسيان

والذكر والإعراض إلى العين الباصرة الّتي ليست هي من شأنها تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وقطّ لاينسب (مانسب) أحد من العقلاء العلم والجهل إلى الحجر أو الحائط وغير ذلك من الجمادات لأنّ هذا ليس من شأنها، وأمّا العدل فإنّ عدله يقتضي أن يحشر الإنسان في القيامة مستوي الخلقة والقامة ولو كان في الدّنيا ناقصاً، وخصوصاً إذا كان من أهل الجنة وكان ورعاً صالحاً فإنه لا يجوز أن يكون هو ناقص الخلقة.

وسلمنا أنه صفة الكفار فيجب أن يكون تمام الخلقة تأكيداً للحّجة عليه مع أنّه مقرّ بأنّه كان بصيراً في الدّنيا فكيف يحشر أعمى من حيث الصّورة بل عماه وحشره عليه يكون من حيث المعنى لا غير، ويعرف هذا من صفة الكفّار في الدنيا لأنّ الله تعالى وصفهم بالصمّ والبكم والعمى وبأنّهم لا يعقلون. [هذا في سورة البقرة: ١٧١، ﴿مثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾].

والحال أنّهم يسمعون وينطقون ويبصرون ويعقلون فيكون حينئذ تقديره: أنّهم لا يسمعون في الحقيقة ولا يبصرون على التّحقيق بعين البصيرة، وكذلك النّطق والتعقّل، ولهذا يقولون في معادهم يوم القيامة:

﴿لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير﴾ [سورة الملك: ١٠].

والّذي قال تعالى أيضاً:

﴿فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٧٢].

مطابق لما سبق من قوله، لأنّ المكلّف إذا رأى نفسه أنّها فارقت الأسباب والأدوات الّتي كانت يمكن أن تحصل بها نوراً يكون سبب افتتاح عين بصيرته، وجلاء قلبه وبقيت على حاله لم يتمكّن من الرّجوع إلى تلك الحالة فلا بدّ وأن يكون أعمى وأضلّ مما كان لعدم الأسباب والأدوات، وهذا ظاهر جليّ، ولهذا قال إخباراً عن حالهم:

﴿فيقول ربّ لولا أخرّتني إلى أجل قريب فاصّدق وأكن من الصّالحين﴾

[سورة المنافقون: ١٠].

وقال جواباً لهذا السؤال:

﴿ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما يعملون﴾ [سورة المنافقون: ١١].

وما اكتفى بذلك بل قال علّة ذلك وسببه وهو قوله:

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون﴾ [سورة الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

جلّ من قائل.

فإنّ الكلّ محض الحكمة وإظهار القوّة والقدرة والله عزيز ذو انتقام.

(بيان الطوائف الثلاث: أصحاب الشمال واليمين والسابق بالخيرات)

وعند التّحقيق قوله جلّ ذكره:

﴿ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

إشارة إلى الطوائف الثلاث والكتب الثلاث، لأنّ الظّالم لنفسه يكون المراد به هذه الطائفة المعدودة من أهل الضّلال والعمى، والمقتصد الطّائفة الثّانية المسمّاة بالمحبّين، والسّابق بالخيرات الطائفة الثّالثة المسمّاة بالمحبوبين، فحينئذ مطالعة كتبه الآفاقي والأنفسي والقرآني على الوجه المذكور تكون مخصوصة بالطّائفتين الأخيرتين دون الأوّل وذلك صحيح لأنّهم في حكم العميان، والحكيم لا ينسب إلى العميان مطالعة الكتاب أصلاً وإن نسب يكون جهلاً، وتصديق هذا التّقسيم يعرف من تقسيم آخر من كتابه وهو قوله:

﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون﴾ [سورة الواقعة: ٧ ـ ١١].

لأنّ أصحاب الشّمال في صدد العميان من أهل الضّلال والطّغيان، وأصحاب

اليمين في صدد المقتصد من أهل الكمال والعرفان، والسّابق المقرّب في صدد السابق بالخيرات الّذين هم الأنبياء والأولياء (ع).

وإلى هذا التّقسيم أشار أيضاً أمير المؤمنين (ع) في قوله مخاطباً لكميل بن زياد النّخعي رضي الله عنه:

النّاس ثلاثة فعالم ربّانيّ، ومتعلّم على سبيل النّجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق(٥٠).

لأنّ العالم الربّاني في حكم المحبوب والسابق بالخيرات، والمتعلّم على سبيل النّجاة في حكم المحبّ المعلوم والمقتصد، والهمج في حكم العميان والظالم لنفسه.

وتقسيم العلماء والمحققين من أرباب التّوحيد موافق لهذا التقسيم أيضاً، وهو أنّهم قسّموا الخلق ثلاثة أقسام: عامّ، وخاصّ، وخاصّ الخاصّ، أمّا: أهل بداية، وأهل وسط، وأهل نهاية، والكلّ صحيح، لأنّ العوام منهم بمثابة الطائفة الأولى من أهل الحيل والضّلال، وهذا يوافق مرتبة البداية، والخواصّ بمثابة الطّائفة الثّانية من أهل الكمال والعرفان وهذا يوافق مرتبة الوسط، وخاصّ الخاصّ بمرتبة الطّائفة الثّالثة من الأنبياء والأولياء (ع) وهذا يوافق مرتبة النّهاية، وسنشير لك في المقدّمات أبسط من ذلك عند بحث الشّريعة والطّريقة والحقيقة.

والغرض من ذلك كلّه أن مطالعة الكتاب الآفاقي والأنفسي والقرآني من حيث التأويل والتحقيق موقوفة على افتتاح عين البصيرة بكحل العناية الإلٰهية إن كان السالك من المحبوبين، وإن كان من المحبين فعلى المجاهدة والرياضة والتقوى كما قررناه.

وإذا تحقق هذا وتقرر، فلنشرع في بيان التقوى ومراتبها ومدارجها المخصوص بالبحث الثالث وهو هذا، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو

---

(٥٠) قوله (ع): الناس ثلاثة فعالم رباني، الحديث.

الخصال باب الثلاثة ح ٣٥٧ ص ١٨٦، نهج البلاغة، قصار الحكم ١٤٧.

دستور معالم الحكم للإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة الشافعي المتوفى ٤٥٤، ص ٨٣.

يهدي السبيل.

البحث الثالث

في بيان التقوى ومراتبها ومدارجها

إعلم، أن للتقوى مراتب ومدارج وفيها أقوال بحسب الظاهر والباطن.

أما قول أهل الظاهر فالتقوى عندهم عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى والقيام بما أوجبه عليهم من التكاليف الشرعية، والمتقي هو الذي يتّقي بصالح عمله عذاب الله، وهو مأخوذ من اتّقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه، كما يقال:

إتّقى السّهم بالترس، أي جعله حاجزاً بينه وبين السّهم.

وأما قول أهل الباطن فالتقوى عندهم عبارة عن الاجتناب المذكور مع ما أحلّ الله تعالى عليهم من طيّبات الدنيا ولذاتها على حسب طبقاتها ومراتبها إلا بقدر الضرورة فضلاً عن الاجتناب عن محارمه، والشاهد على ذلك ما أشار إليه سيّد العارفين وإمام المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، بالنسبة إلى نفسه الشريفة في بعض خطبه وهو قوله:

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟ أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، إلى آخره[٥١].

---

(٥١) قوله (ع): ولو شئت لاهتديت الطريق، الحديث.
نهج البلاغة صبحي الصالح كتاب ٤٥.

كما أشار بالنسبة إلى الأنبياء الكبار مثل موسى وعيسى وداوود ونبيّنا صلى الله عليهم وعلى أرواحهم وأجسادهم، وهو قوله في خطبة له في نهج البلاغة:

«ولقد كان في رسول الله(ص) كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذمّ الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطّئت لغيره أكنافها، وفطم من رضاعها، وزوى عن زخارفها.

وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله صلوات الله وسلامه عليه، حيث يقول:

ربّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير.

والله ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه.

وإن شئت ثلّثت بداود صاحب المزامير (ص)، وقارىء أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وإن شئت قلت في عيسى بن مريم (ع)، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه.

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر (ص)، فإن فيه أسوة لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى، وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً، أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، إلى قوله:

فإن الله جعل محمّداً (ص) علماً للساعة، ومبشّراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة، خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتّبعه، وقائداً نطأ عقبه، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل:

ألا تنبذها عنك، فقلت أغرب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السُّرىٰ». [نهج البلاغة، خطبة ١٦٠ صبحي و ١٥٩ فيض].

ومثل ذلك في كلامه كثير، وله خطب كثيرة مخصوصة ببحث التقوى، وليس يحتمل هذا المكان غير هذا والغرض أن كمال التقوى في ترك الحلال وترك الدنيا لا في ترك الحرام وطلب الدنيا.

وحيث تحقق هذا وعرفت مقصدنا فيه، فاعلم، أن للتقوى عشر مراتب من حيث التفصيل وترتيب السلوك وتطبيقها بالمقامات العشرة التي هي:

البدايات، والأبواب، والمعاملات، والأخلاق، والأصول، والأودية، والأحوال، والولايات، والحقائق، والنّهايات.

وثلاث مراتب من حيث الإجمال ومراتب الخلق وتطبيقهم بها، أما الإجمال فمرتبة العوام، ومرتبة الخواص، ومرتبة خاص الخاص أعني المبتدى، والمتوسط، والمنتهي، لأن الخلق بأسرهم لا يخرجون عن هذا الحصر كما أشرنا إليه الآن، وقوله تعالى:

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحبّ المحسنين﴾ [سورة المائدة: ٩٣].

إشارة إلى هذه المراتب الثلاث لأن قوله: ليس على الذين آمنوا إلى قوله: وعملوا الصالحات، إشارة إلى تقوى العوام وأهل البداية من عموم المسلمين والمتّقين وأنه ليس عليهم جناح فيما طعموا أي فيما فعلوا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، وتقديره أي ليس على الذين آمنوا بحسب التقليد أو التصديق القلبي جناح أي عتاب وخطاب فيما فعلوا من الصغائر بالجهل أو الغفلة التي هي إضافة الأفعال إلى غير الحقّ إذا ما اتّقوا بعده بالتوبة والرجوع من رؤية أفعال الغير وآمنوا بشهود الأفعال من فاعل مطلق، ثمّ عملوا الصالحات أي عملوا الأعمال القلبية دون القالبيّة التي هي التوكل والتسليم والرضا ووصلوا بها إلى التوحيد الفعلي وأثبتوا عليه وقالوا: لا فاعل إلا هو، وإلى هذا أشار النبيّ (ص) في دعائه:

(في الإشارة إلى التوحيدات الثّلاث: الفعلي والوصفي والذّاتي)

«أعوذ بعفوك من عقابك»[٥٢].

وهذا بالاتفاق إشارة إلى التوحيد الفعلي، وقوله تعالى: ثم اتقوا وآمنوا، إشارة إلى الإيمان الحقيقي دون التقليدي الذي هو مقام الخواص والمتوسطين من أهل السلوك على طريقة المحبة بقدم التقوى.

الثانية التي هي رؤية صفة واحدة والعمل بموجبها التي هي الاتقاء عن رؤية صفات الغير مطلقاً، وشهود صفات الحق وحدها والوصول إلى التوحيد الصفاتي المشار إليه في قول النبي (ص).

«أعوذ برضاك من سخطك».

لأن هذا أيضاً إشارة إلى التوحيد الصفاتي، وقوله تعالى:

﴿ثم اتّقوا وأحسنوا والله يحبّ المحسنين﴾ [سورة المائدة: ٩٣].

إشارة إلى التقوى الحقيقية والإيمان الكشفي الشهودي الذي هو مقام خاصّ الخاصّ وأهل النهاية من أهل الله الواصلين إلى جناب عزّته لقوله فيهم:

﴿أولئك هم المؤمنون حقّاً﴾ [سورة الأنفال: ٤].

---

(٥٢) قوله (ص): أعوذ بعفوك من عقابك إلى آخر الفقرات.

قال في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٤.

وروى في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: واسجد واقترب، سجد النبي (ص) فقال في سجوده: أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ورواه مستدرك الوسائل ج ٤، ص ٣٢١، باب ٣٩ باب استحباب الدعاء في سجود التلاوة بالمأثور ح ٢، نقلاً عن العوالي. رواه أيضاً أحمد بن حنبل بإسناده عن علي (ع) ج ١ ص ٩٦ و ١١٨ و ١٥٠، وج ٦، ص ٥٨ وص ٢٠١.

ورواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب ٤٢، ح ٢٢٢، ص ٣٥٢ بإسناده عن عائشة.

ورواه أيضاً بإسناده عن عائشة في سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الدعاء باب ٣، ح ٣٨٤١، ص ١٢٦٢.

أقول: الدعاء مرويّ أيضاً عن الصادق (ع) في دعائه عند حضور شهر رمضان، رواه بتمامه ابن طاوس (ره) في إقبال الأعمال ص ٤٨ فراجع.

لأنها إشارة إلى اتقاء العارف عن شهود وجود الغير مطلقاً المسمّى بالتوحيد الذاتي، لقول النبي (ص) فيه: «أعوذ بك منك».

(في بيان معنى الإحسان)

لأن هذا بلا خلاف إشارة إلى التوحيد الذاتي، وذلك لو لم يكن كذلك لم يقيده بالإحسان، لأن الإحسان عبارة عن مشاهدة الحق في مظاهر الأسماء والصفات المسماة باللقاء والرؤية وغير ذلك، لقول النبي (ص) حين سئل عن الإحسان:

«أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٥٣).

وعند التحقق عن هذه المشاهدة في المراتب الثلاث، أخبر إبراهيم (ع):

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾ إلى آخره. [سورة الأنعام: ٧٦].

وسيجيء بيانه في موضعه إن شاء الله. ولهذا قال عقيب مشاهدته:

﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [سورة الأنعام: ٧٥].

ومقام الإحسان لو لم يكن مقام المشاهدة ما ذكره بعد التوحيدات الثلاث واتقاءات الثلاث التي هي من نهاية المقامات كلها وإلى منكري هذه المراتب وجاحديها أشار بقوله أيضاً في المراتب الثلاث وقال:

﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ [سورة

---

(٥٣) قوله (ص): ان تعبد الله كأنك تراه.
رواه أيضاً ابن العربي في الفصّ الشعيبي ص١٢٣ عفيفي، وشرح فصوص القيصري ص٢٨٢، ورواه الكليني في أصول الكافي باب الخوف والرجاء مع اختلاف عبارات بإسناده عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبدالله (ع) يا إسحاق خف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترىٰ أنّه لايراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك (إليك) ج٢، ص ٦٧، حديث ٢.

النساء: ١٣٧ ـ ١٣٨].

لأنّ الإيمان الأوّل، إيمان بالشريعة والتوحيد الفعلي وكفر به بعد الايمان، والإيمان الثاني إيمان بالطريقة والتوحيد الوصفي وكفر به، والإيمان الثابت إيمان بالحقيقة والتوحيد الذّاتي وكفر به ولهذا وصفه بالزّيادة لأنّه في آخر المراتب وبإزاء التّوحيد الذّاتي الذي هو نهاية المراتب كلّها، وليس خلاف عند المحقّقين من أرباب التوحيد، إنّ من أنكر التوحيدات الثلاث الحاصلة من التقوىٰ في المراتب الثلاث فهو كمن أنكر الشريعة والطريقة والحقيقة، لأنّ التوحيد الفعلي من مقتضىٰ مقام أهل الشريعة، والتوحيد الوصفي من مقتضىٰ مقام أهل الطريقة، والتوحيد الذاتي من مقتضىٰ مقام أهل الحقيقة، وبالحقيقة منكر الشريعة والطريقة والحقيقة وهو منكر النبوّة والرسالة والولاية، لأنّ الشريعة من اقتضاء الرسالة، والطريقة من اقتضاء النبوّة، والحقيقة من اقتضاء الولاية، والمنكر لهذه المراتب مطلقاً فهو كافر مطلقاً، نعوذ بالله منه ومن أمثاله، وهنا أبحاث كثيرة ستعرفها في موضعها إن شاء الله وهي عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وبحث التوحيد الفعلي والوصفي والذّاتي في المقدّمتين اللّتين هما، السادسة والسابعة.

(بيان المراتب العشر للتقوىٰ)

وإذا عرفت مراتب التقوى في الدرجات الثلاث إجمالاً فيجب عليك أن تعرف مراتبها في الدرجات العشر تفصيلاً.

فنقول: إعلم أن التقوى في المرتبة الأولى عبارة عن الاجتناب من المحارم الشرعية مطلقاً، وفي المرتبة الثانية عن المحلّلات الشرعية إلا بقدر الضرورة، الثالثة عن الرياء مع الإخلاص، الرابعة عن الكثرة في الوحدة، الخامسة عن التفرقة مع الجمعة، السادسة عن الشك مع اليقين، السابعة عن الشرك مع التوحيد، الثامنة عن الوقوف مع ظواهر القرآن دون بواطنه، التاسعة عن رؤية النفس مع مشاهدة الرب، العاشرة عن مشاهدة الوجودات المقيدة مع الوجود المطلق أعني عن مشاهدة وجود الخلق مع وجود الحق.

(في الإشارة إلى الشّرك الجليّ والشّرك الخفيّ)

والمراد من هذا المجموع هو الأخير لأن حق التقوى في مشاهدته ومعرفته هو الاتقاء عن مشاهدة الغير كما قال:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أي ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون بهذا الإسلام، متّقون بهذه التقوى، لأن كل من لم يمت على هذا الإسلام والتقوى فهو يموت مشركاً بالشرك الخفي الذي هو أعظم الشرك وأرداه، وعن خفائه وكمونه في المؤمنين والمسلمين دون الكافرين والمشركين أخبر الله تعالى بقوله:

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [سورة يوسف: ١٠٦].

وكذلك النبي (ص) في قوله:

«دبيب الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء»(٥٤).

ومعلوم أن الكافر والمشرك ما له دخل في هذا الشرك لأن الشـرك الجلي

---

(٥٤) قوله (ص): دبيب الشّرك في أمتي أخفى الخ.

عوالي اللئالي ج ٢، ص ٧٤ رقم الحديث ١٩٨ ورواه أيضاً مع تفاوت في العبارة، المستدرك ج ١، ص ١١٣ رقم الحديث ١٢٦، ١٣٠ أبواب مقدمة العبادات باب ١٢.

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٤٠٣ بإسناده عن أبي علي رجل من بني كاهل، عن رسول الله (ص) أنه قال في خطبة: أيها الناس اتّقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟! قال: قولوا اللّهم إنّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم.

ورواه أيضاً الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ج ٤، ص ٣٤٧ في تفسير قوله تعالى **﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله﴾** [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

قال: سئل أبو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص): إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء، فقال كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفار إله المؤمنين، فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون.

والإيمان لا يجتمعان أصلاً فلم يبق إلا الشرك الخفي الذي يجتمع مع الإسلام والإيمان، بحكم قوله تعالى: وقول نبيه ثم أكد ذلك القول بأبلغ منه وقال:

﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربّه أحداً﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

والمراد به الشرك الخفي لأنه لو كان الشرك الجلّي لكان يقول: ولا يشرك بربه أحداً، فحيث ما قال هذا وقال: بعبادة ربه، عرفنا أن المراد به الشرك الخفي لأن المشرك بالشرك الجلّي ليس له عبادة ولا طاعة، كما هو مقرر في الأصول حتى يكون صالحاً وغير صالح.

وبحث الشرك الجلي والخفي والتوحيد الألوهي والوجودي والإسلام المجازي والحقيقي سيجيء في موضعه مستوفى إن شاء الله.

وإذا عرفت حقيقة التقوىٰ فنرجع إلى الغرض ونقول: إعلم أنه لو لم يكن مشاهدة الحق في مظاهره الآفاقيّة والأنفسية المسمّاة بالكلمات والآيات موقوفة على التقوى ما قيّد هداية كتابه بالمتقين دون غيرهم في قوله:

﴿الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين﴾ [سورة البقرة: ٣].

لأن كتابه في الحقيقة ليس إلاّ هدىً للعالمين، فتقييده بالمتّقين لابدّ له من فائدة وحكمة وإلاّ كان عبثاً، والعبث على الله تعالى محال وتلك الفائدة ليست إلا الهداية المذكورة المخصوصة بالمتّقين من أرباب التوحيد كما تعرفه وستعرفه. وبناء علىٰ هذا المكان يحتاج إلى تحقيق ثلاثة أشياء أوّلها الكتاب وقد سبق تحقيقه، وثانيها إلىٰ التقوىٰ وقد عرفت معناها، وثالثها إلىٰ الهداية وقد تكلمنا فيها إجمالاً. وأمّا التفصيل:

(في بيان الهداية ومراتبها ومعانيها)

فاعلم، أن فيها أقوال:

فقول أهل الظاهر، وهو أنّهم قالوا هداية الله تعالى للإنسان علىٰ أربعة أوجه:

الأوّل: الهداية التي عمّ بجنسها كل مكلّف من العقل، والفطنة، وإزاحة

العلّة، ونصب الأدلّة.

الثاني: الهداية التي جعل للإنسان بدعائه إيّاه على ألسنة الأنبياء والأولياء وإنزال الفرقان، نحو قوله:

وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم.

الثالث: اللطف الخاص الذي يخصّ به من سلك طريق السعادة الأخرويّة وهو المعنى بقوله:

﴿والذين اهتدوا زادهم هدىً﴾ [سورة محمد: ١٧].

وقوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [سورة التغابن: ١١].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة للثواب، في قوله:

﴿سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة﴾ [سورة محمد (ص): ٥-٦].

ثم قالوا: إنّ قوله:

﴿هدىً للمتقين﴾ [سورة البقرة: ٢].

معناه أن القرآن نور وضياء ودلالة للمتّقين من الضلال وإنما خصّ المتقين بذلك لأنهم هم المنتفعون بالقرآن دون الجاحدين، وإن كان القرآن لطفاً للمؤمنين والكافرين إلا أن الكافرين لما جحدوا آيات الله فوّتوا على أنفسهم اللطف، فكأنّهم لا لطف لهم في القرآن وهذا كقوله:

﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ [سورة النّازعات: ٤٥].

والنبي كان منذراً للمؤمن والكافر، والذي يخشى والذي ما يخشى، وههنا دقيقة لطيفة بالنسبة إلى الوجه الرابع لا بد منها وهي أنه نسب الهداية الرابعة إلى الهداية إلى الجنة والثواب، وهذا بعيد عن الحق وخارج عن الأصول لأن دخول الجنة عند البعض ليس إلا بالإيمان، وعند البعض بالإيمان مع الأعمال الصالحة وعلى كلا التقديرين إذا حصل الإثنان وجب الدخول في الجنة بلا خلاف وليس صاحبها يحتاج إلى هداية وإرشاد إليها، وإن لم يكن كذلك ويكون الحال بالعكس، فلا هداية ولا جنّة ولا ثواب، لقوله تعالى:

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً﴾ [سورة الفرقان: ٢٣].

أي جعلناه هباءاً منثوراً لعدم الإيمان الذي هو الأصل في هذا الباب ومعلوم أن الفرع بغير الأصل لا اعتبار له عند أهل الأصول، فالهداية حينئذ لا تصح نسبتها إلى الآخرة، لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل، فيكون تقدير قوله تعالى بناءاً على هذا: إنه يقول: سيهديهم ربّهم ويصلح بالهم في الدنيا ويدخلهم الجنّة بسبب ذلك، وهذا صحيح لأن السين فيه للاستعجال لا للاستقبال ويعضد ذلك أيضاً قوله:

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة وندخلهم ظلاًّ ظليلاً﴾ [سورة النساء: ٥٧].

وهذا مضى.

وأما قول أهل الباطن، فالهداية عندهم على ثلاثة أقسام: هداية العام، وهداية الخاص، وهداية الأخص، أما هداية العام فبالإسلام والإيمان، وأما هداية الخاص فبالإيقان والإحسان، وأما هداية الأخص، فبالكشف والمشاهدة من حيث العيان، وقالوا: الهداية تكون على قدر التقوى، والتقوى على ثلاثة أوجه، فتكون الهداية كذلك، أما تقوى العام فعن الشرك والكفران، وأما تقوى الخاصّ فعن الذنوب والعصيان، وأما تقوى الأخص فعن ملاحظة غير الرّحمن، وهذا على طريق السلف.

وأما على قاعدة المتأخرين والمختار عندنا: فالهداية الحقيقية هي الهداية من الكثرة إلى الوحدة، ومن التفرقة إلى الجمعية، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الوجودات المقيّدة إلى الوجود المطلق، ومن مشاهدة الخلق إلى مشاهدة الحقّ، ومن معرفة النّفس إلى معرفة الرّب، ومن معرفة القرآن إلى معرفة الفرقان(*)، ومن البقاء إلى الفناء، ومن الصفات إلى الذّات، وهذه كلّها موقوفة على التقوى التي أدناها الاتّقاء عن

(*) [هكذا في النسخة ولكن لابدّ أن يكون بالعكس يعني ومن معرفة الفرقان إلى معرفة القرآن، والله سبحانه عالم].

المحرّمات الشرعية، وأعلاها الاتّقاء عن رؤية وجود الغير مطلقاً.

(في بيان المراد من الكتاب في الآيات)

وإذا تقرر هذا كله، إعلم أن مراده تعالى بالكتاب في قوله:

﴿آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين﴾ [سورة البقرة: ٣].

الكتاب الكبير الآفاقي الجامع للكتاب الإنساني الصغير كما مرّ تقريرهما، ومراده بالهداية، الهداية التي هي الهداية من الكثرة إلى الوحدة ومن المقيّد إلى المطلق، ومراده بالتقوى، التقوى الحقيقية التي هي الاتقاء عن رؤية وجود الغير مع وجود الحق، لأن غير هذا الكتاب والكتاب الذي في ضمنه ليس له صلاحية هذا المعنى، وهذا أيضاً لاشتماله على الكتاب المذكور لأن كل واحد منهما له هذه الصلاحية لقوله:

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

وعلى هذا التقدير يكون معناه، أنه تعالى يقول: الم ذلك الكتاب، أي بحق ذاتي وذات وليّي وذات نبيّي، لأن هـذه الحروف الثلاث بإزاء هـذه الذّوات الثلاث، أن ذلك الكتاب المعهود في ذهنك من الأزل الذي هو الكتاب الكبير ليس فيه شك أنّه هدىً للمتقين، أي سبب هداية المتقين إلى مشاهدة ذاتي وصفاتي وأفعالي في مظاهري العلوية والسفلية وما بينهما، فإن من لم يتق في طريق معرفتي ومشاهدتي عن رؤية الغير، ليس بمؤمن حقيقي ولا بمسلم يقينيّ ولا دخل له في زمرة المتقين المذكورين أبداً، ولهذا شرعت في أوصافهم بعد هذا وقلت:

﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدىً من ربّهم وأولئك هم المفلحون﴾ [سورة البقرة: ٣ ـ ٥].

لئلاّ يشتبه على أحد من العارفين حالهم، ومعناه، أي الذين يؤمنون بما غاب عنهم من القيامة والملائكة والجنة والنار والحشر والنشر، والأسرار الملكوتية،

والآثار الجبروتية، وغير ذلك من الغيوب، ويقيمون الصلاة الحقيقية التي هي التوجه الكلّي إلى جنابي، والإقبال الحقيقي إلى كعبة ذاتي، لقولي فيهم:

﴿الذين هم علىٰ صلواتهم دائمون﴾ [سورة المعارج: ٢٣].

لأنهم دائماً في توجّههم إلينا وتبتّلهم لدينا، وممّا رزقناهم ينفقون، أي مما رزقناهم من العلوم والحقائق والمعارف والدقائق ينفقون علىٰ المستعدين من عبادي والمستحقين من طلاّبي، ويؤمنون بما أُنزل إليك من كتابي الذي هو القرآن، وبما أُنزل من قبلك الذي هو التوراة والإنجيل، ويوقنون بالآخرة، أي يوقنون بوقوعها ساعة فساعة من كمال صدقهم بأقوالي وقوة إيمانهم بأفعالي، أولئك علىٰ هدىً منّي وأولئك هم المفلحون من عبادي، أي أولئك علىٰ هدىً حقيقته منّي، التي هي الهداية إلىٰ مشاهدة ذاتي وصفاتي في مظاهر أسمائي، وكمالاتي، وأولئك هم المفلحون أي **المحجوبون** من بين عبادي من حجاب البعد والحرمان، وظلمة الكفر والطغيان، ببركة المشاهدة الحاصلة لهم، بطريق الكشف والفيضان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وسيجيء بحث هذا الكتاب في المقدّمة الثانية مستوفىً، فإنّ فيه اختلاف كثير وهو عند البعض إشارة إلىٰ القرآن، وعند البعض إلىٰ التوراة والإنجيل، وعند البعض إلىٰ اللّوح المحفوظ، وعند البعض إلىٰ الجفر والجامعة، وعند البعض إلىٰ الوجود المضاف الإمكاني المطابق إلىٰ ماذهبنا إليه.

وكذلك الم، فإنّه عند البعض قسم، وعند البعض اسم، وعند البعض صفة، وعند البعض عدد، وعند البعض، الألف إشارة إلى الذات الأحديّة، واللاّم إلى جبرئيل (ع)، والميم إلى محمّد (ص)، وعند البعض الألف إشارة إلى الذات الإلهية، واللام إلى الولي المطلق، والميم إلى النبيّ المطلق، وهو الذي نحن ذهبنا إليه، وذكرناه الآن مجملاً وسنذكره مفصّلاً.

وعند الشيخ نجم الدين الرازي قدّس الله سرّه، الألف إشارة إلىٰ القيام في الصلاة، واللام إلىٰ الركوع، والميم إلى السجود، والكتاب إشارة إلىٰ فاتحة الكتاب، لأنّها أمّ الكتاب، وقال: يجوز أن يكون إشارة إلىٰ كتاب العهد الذي أخذ يوم الميثاق، بإقرار العبد علىٰ التوحيد ليوم التلاق. وقال: يدل علىٰ هذا قرينة الم لأن الألف واللاّم حرفان مقدّمان من قوله: ألست والميم المؤخّر منه حرف الآخر من قوله: بربكم ومعناه، إنّي في عهد ألست بربكم، أخذت منكم ذلك الكتاب في الميثاق علىٰ التوحيد والربوبية وعلىٰ

العبودية بالعبادة لي دون غيري لقولي فيه:

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ [سورة يس: ٦٠-٦١].

فيجب عليكم الوفاء به والقيام بما جرى فيه، وهذا الكلام وإن كان حقاً لكن بعيد عن المقصود الحقيقي والمراد الذي نحن فيه.

والغرض من ذكر غيره تعيين الاختلاف وتحقيق الاستعداد وإذا تحقّق هذا، فنرجع ونقول: إعلم، أنّه قد تقرّر لك المراد بهذا الكتاب، الكتاب الآفاقي، وأنّ قراءته موقوفة على التقوى للسالك الذي يكون على قدم المحبيّة دون المحبوبيّة، فحينئذ عليك بالتقوى ليحصل لك مطالعة هذا الكتاب على ما هو عليه ويحصل بسببه مشاهدة الحق تعالى، في ضمن آياته وكلماته وحروفه المسمّاة بالموجودات والمخلوقات كما مرّ تقريره مراراً، ونقول مرّة أخرى وهو أنّ الله تعالى يقول:

(في معنى القرآن والفرقان)

﴿إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

والفرقان هو القرآن عند البعض والقرآن مقام الجمعيّة الإلهيّة المشار إلى التوحيد الجمعي المحمّدي. وعند البعض الفرقان علم فارق بين الكثرة والوحدة والإجمال والتفصيل والجمع والتفرقة وهو مقام التوحيد التفصيلي الأسمائي الهادي إلى مشاهدة الحق في مظاهر صفاته وكمالاته، ومعناه أنّه يقول لعبيده: إن اتّقيتم واحترزتم في طريق معرفتي وتوحيدي ومقام شهودي وعياني عن مشاهدة الغير مطلقاً، فقد هديتكم إلى علم الفرقان بعد القرآن ومطالعة الكتاب الآفاقي بعد الكتاب القرآني، ووهبتكم علماً كاشفاً بين الحقّ والباطل ونظراً جامعاً بين الكثرة والوحدة، وفهماً فارقاً بين الحقّ والخلق بمقتضى قوله:

﴿وعلّمك مالم تكن تعلم﴾ [سورة النساء: ١١٣].

وحصل لكم الإخراج من ظلمات الشكوك والشّبهات، والخلاص من ورطات الجهل والغفلات، بمصداق قولي أيضاً:

﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ [سورة

الطلاق: ٢، ٣].

وذلك لأن من حصل له مطالعة القرآن علىٰ ماهو عليه في نفس الأمر، حصل له مطالعة الفرقان علىٰ ماهو عليه في نفس الأمر، أعني من حصل له مطالعة كتابه الأنفسي الذي هو القرآن حقيقة، لقولهم: أنا القرآن الناطق. [قد مرّ بيانه في التعليقة ٢١ فراجع] ولقولهم:

أنــا القــرآن والسبــع المثــاني وروح الــروح لا روح الأواني

حصل له مطالعة الكتاب الآفاقي الذي هو الفرقان حقيقة، لقوله:

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

ومن حصل له هذا صعد من درجة الإجمال إلى التفصيل ومن درجة الوحدة إلى الكثرة ومن درجة الذات إلى الأسماء والصفات ومن درجة الجمعية إلى التفرقة وجمع بين كل مرتبتين منهما بحيث لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، ولا يخالف الأول الآخر، ولا الظاهر الباطن، ولا الكثرة الوحدة، ولا الجمع التفرقة، وصار به كاملاً، مكمّلاً، عارفاً، موحداً، محقّقاً، واصلاً مقام الاستقامة والتمكّن، متخلّقاً بأخلاق الحق وأرباب اليقين، وحصل له من أهل الله وأرباب التوحيد الدرجة العليا والغاية القصوى، المعبّر عنها بأحدّية الفرق بعد الجمع المشار إليها: ليس وراء عبّادان قرية.

وإليها أشار الشيخ الأعظم قدس سرّه في قوله: إيّاكم والجمع والتفرقة، فإن الأول يورث الزندقة والإلحاد، والثاني تعطيل الفاعل المطلق، وعليكم بهما، فإنّ جامعهما موحّد حقيقيّ وهو المسمّى بجمع الجمع، وجامع الجمع، وله المرتبة العليا والغاية القصوى.

(المراتب الثلاث: ذو العقل، ذو العين، ذو العقل والعين)

وإلى هذه المشاهدة الجمعيّة المحمّدية في المراتب الثلاث، أشار الشيخ الكامل كمال الدين عبد الرزاق قدس الله سره في اصطلاحات القوم وسمّى صاحبها في المرتبة الأولى ذو العقل، وفي المرتبة الثانية ذو العين، وفي المرتبة الثالثة ذو العقل والعين، وهو قوله:

ذو العقل، هو الذي يرى الخلق ظاهراً ويرى الحق باطناً، فيكون الحق عنده مرآة للخلق لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه احتجاب المطلق بالمقيّد.

ذو العين، هو الذي يرى الحق ظاهراً والخلق باطناً، فيكون الخلق عنده مرآة الحق، لظهور الحق عنده واختفاء الخلق فيه اختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل والعين، هو الذي يرى الحق في الخلق والخلق في الحق، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود الواحد بعينه حقّاً من وجه، وخلقاً من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، ولا يزاحم في شهوده كثرة المظاهر، أحديّة الذات التي يتجلّى فيها، ولا يحتجب بأحديّة وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقيّة، ولا يزاحم في شهوده أحديّة الذات المتجلّية في المجالي كثرتها(٥٥).

والحقّ أن هذا نظر شريف وتقسيم لطيف حسن، وإلى المراتب الثلاث أشار العارف (محيي الدين العربي) نظماً وهو قوله:

ففي الخلق عين الحق إن كنت ذا عين
وفي الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل
وإن كنت ذا عين وعقل فما ترى
سوى عين شيء واحد فيه بالشكل(٥٦)

هذا آخر ما أردنا إيراده من بحث التأويل وتعريفه وبحث كيفيّة القراءة بالنسبة إلى الكتاب الآفاقي والكتاب الأنفسي والجامع بينهما الذي هو القرآن، وبحث الأسباب لهذه القراءة، من التقوى والرياضة والهداية الحاصلة منهما، وحيث تحقق هذا، فلنشرع في الوجه الثاني، وبحث وجوب هذا التأويل وهو هذا:

---

(٥٥) قوله: أشار الشيخ الكامل كمال الدين عبدالرزاق، أشار به في رسالة الاصطلاحات المطبوعة في حاشية شرح منازل السائرين ص ١٧٩.

(٥٦) قوله: ففي الخلق عين الحق إن كنت عين الخ.

من أشعار صاحب الفتوحات، الفتوحات ج ٢، ص ٢٩٠.

الوجه الثاني

في بيان وجوب التأويل عقلاً ونقلاً، والتمسك فيه بقول الله تعالى وقول أنبيائه وأوليائه (ع)

إعلم أن هذا الوجه مشتمل على بيان وجوب التأويل عقلاً ونقلاً، والاستشهاد فيه بقول الله تعالى، ثم بقول أنبيائه، ثم بقول أوليائه، ثم بقول المشائخ رضوان الله عليهم أجمعين.

أما قول الله تعالى، فالذي قال:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربّنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

والذي قال:

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدىً ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ [سورة الأعراف: ٥٢ - ٥٣].

لأن هذين القولين من أعظم الدلالات على وجوب التأويل، فإن القول الأول، يشهد بأن التأويل واجب، لكن يشير إلى أن التأويل على قسمين كما سبقت الإشارة إليهما: الأول تأويل للفتنة والفساد في الدين والاعتقاد، وهو تأويل أهل الزّيغ والضلال الذين يأخذون المتشابهات دون المحكمات، ويأوّلون على آرائهم واعتقادهم.

والثاني: تأويل للخير والصواب والهداية والإرشاد، وهو تأويل أهل العلم وأرباب الكمال من العلماء الرّاسخين في العلوم الإلٰهيّة الذين يأخذون المحكم أصلاً والمتشابه فرعاً، ويوافقون بينهما ويأوّلونهما على الوجه الذي ينبغي، وعلى

القاعدة التي أمرهم الله تعالى بها، كما قال: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والرّاسخون في العلم﴾ وذلك لكمال رسوخهم في العلم الإلهي، وحسن تصرفهم في الكلام الرباني، فبناءاً على هذا كما يجب على الإنسان العاقل البالغ المكلّف ترك القسم الأوّل، يجب عليه القيام بالقسم الثاني على وجه لا يلزم منه الفساد المذكور ليدخل به في العلماء الراسخين، ويشارك مع ربه في تأويل كلامه على الوجه المأمور، والدليل على ذلك ما مرّ في الوجه الأوّل، وهو أن العلماء عرفوا حقيقة أن القرآن لو فسّروه على الظاهر للزم منه فساد كثير، من التشبيه والتجسيم وغير ذلك، فوجب عليهم تأويله تنزيهاً للحق وتعظيماً له.

والقول الثاني، أيضاً يشهد بأن التأويل واجب، لكن يشير إلى أن التأويل حق التأويل موقوف على حضور خليفته الذي لا يحكم إلا بالتأويل وهو المهدي (ع)، ويدل عليه قوله النازل فيه وفي ظهوره:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة النور: ٥٥].

وكذلك قوله:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وقوله:

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين﴾ [سورة القصص: ٥].

لأن هذه الآيات باتفاق أكثر المفسرين واردة فيه وفي ظهوره، و:

﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق﴾ إلى آخره. [سورة الأعراف: ٥٣] دالّ على يوم ظهوره، ويعضده قوله تعالى أيضاً:

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون﴾ [سورة النمل: ٨٣].

لأن هذا إشارة إلى القيامة الصغرى عند البعض، وعند البعض إلى الوسطى، وقد كتبنا فيها رسالة وأثبتنا فيها أنها القيامة الصغرى، لأن المراد بها لو كان القيامة الكبرى لما قال يوم نحشر من كل أمة فوجاً، بل قال كما قال فيها:

﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ [سورة الواقعة: ٤٩ - ٥٠]

والذي قال:

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا منتظرون﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨].

(القيامة الكبرىٰ والوسطىٰ والصّغرىٰ)

إشارة إلى القيامة الصغرى وإخبار عن ظهوره، لأن المراد بالآية لو كان في القيامة الكبرى ما قال: بعض آيات ربك، لأن القيامة الكبرى يوم ظهور الآيات والعلامات كلها لا بعضها، فظهور البعض لا يكون إلا في الصغرى الذي هو يومه (ع)، ومن هذا صار أحد أسمائه الإمام المنتظر، ووجه آخر وهو أنه قال: لا ينفع نفس إيمانها، والقيامة الكبرى ليس فيها إيمان ولا إسلام، بل هي دار جزاء لا دار عمل، فلا كفر ولا يكون الإيمان إلا في الصغرى عند ظهوره، وإن لم تنفع، والذي ورد: من مات فقد قامت قيامته.

وورد: أنّ المراد به القيامة الصغرىٰ صحيح، إلاّ أنّ ذلك القيامة الأنفسي المعنوي لا الآفاقي الصوري، وكلامنا في الآفاقي الصورة فافهم جدّاً.

وقول نبينا (ص):

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطّول الله تعالى ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت

جوراً وظلماً»(٥٧).

وقوله لعلي (ع) في حديث طويل:

«ثم تجاهد في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»(٥٨).

ـ (بيان أن حرب عليّ (ع) مع معاوية لم تكن إلاّ على تأويل القرآن)

دال على ذلك صريحاً، ومعلوم أن حربه مع معاوية وطلحة والزبير، لم يكن إلا على تأويل القرآن، وتحقيقه بأنه الإمام الحق المفترض على كافة الأنام طاعته، وهم كانوا يمنعون هذا ويتمسّكون بالقرآن وظواهره حتى قال في جوابهم بعد كلام طويل:

---

(٥٧) قوله: وقول نبيّنا (ص): لو لم يبق من الدنيا، الحديث.
رواه الشيخ الصدوق (ره) في كتابه كمال الدين وتمام النعمة باب ٣٠، ص ٤٣٤ بإسناده عن عبد الله بن عمر عن أبي عبد الله الحسين بن علي (ع) عن رسول الله (ص).
لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.
وروى مثله أيضاً في باب ٣٦ و٣٣ فراجع وأخرجه أيضاً ابن ماجه ج ٢، ص ٩٢٨، الحديث ٢٧٧٩ في ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري (كان شيخ الشافعية) ص ١٣٦: عن حذيفة: أن النبي (ص) قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه كاسمي، فقال سلمان: من أي ولدك يا رسول الله قال: من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين.
وأخرجه أيضاً مع تفاوت أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ عدة مواضيع منهاج ١، ص ٩٩ وانظر في مصادر الحديث مزيداً للفائدة احقاق الحق وملحقاته ج ١٩ ص ٦٥١ إلى ص ٦٨٤ وأيضاً ج ١٨، ص ٥٥٦. وأيضاً كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة ج ١، ص ١٦ إلى ١٩، وراجع أيضاً في تعليقتنا ١٩١.

(٥٨) قوله لعلي (ع) في حديث طويل: فتقاتل على تأويل القرآن الحديث.
روى الصدوق في أماليه ص ٢٧٢ الحديث ١٣ المجلس الثالث والخمسون بإسناده عن أبي سعيد عقيصا عن أبي عبد الله الحسين (ع) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص):
يا علي أنت أخي وأنا اخوك، أنا المصطفى للنبوّة، وأنت المجتبىٰ للإمامة، وأنا صاحب التنزيل

وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفّتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنما ينطق عنه (عنه) الرجال(٥٩).

وقال أيضاً: أنا القرآن الناطق والبرهان الصادق [فقد مرّ في التعليقة رقم ٢١]. ونقل عنه أيضاً أنه قال نظماً:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

(بيان أن المهدي (ع) مأمور بالتأويل في زمان ظهوره)

وبالجملة كل ما هو مأمور به من الله تعالى ومن نبيّه، فالمهدي كذلك، فإنه أيضاً مأمور به، ويشهد بذلك قوله:

وأنت صاحب التأويل الحديث.

وفي تفسير العياشي ج ١ ص ١٥ الحديث ٦، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ص): إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وهو علي بن أبي طالب (ع).

رواه أيضاً في مقدمة التفسير الحبري نقلاً عن عدة من الكتب العامة ص ١٦٠.

وفيه أيضاً ص ١٥٩: أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله (ص) قال لعليّ: إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

وروى الخوارزمي في المناقب ص ٨٨ الحديث ٧٨، بإسناده عن أبي ذر الغفاري (رض) قال: كنت مع رسول الله (ص) وهو ببقيع الغرقد، فقال: والذي نفسي بيده إن فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله فيكبر قتلهم على الناس، حتى يطعنوا على وليّ الله ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة، وقتل الغلام وأمر الجدار، وكان خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رضى، وسخط موسى، أراد بالرجل علي بن أبي طالب (ع).

وأخرجه أيضاً في كنز العمال ج ١١، ص ٦١٣ الحديث ٣٢٩٦٩. وأحمد بن حنبل في مسنده ص ٣٣، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص): إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، قال: فقام أبو بكر وعمر فقال: لا ولكن خاصف النعل، وعليّ يخصف نعله.

وأخرج مثله أيضاً الحاكم في المستدرك ج ٣، ص ١٢٣ مع تفاوت يسير.

راجع في هذا أيضاً تعليقتنا الرقم ١١٠: حديث الصدوق (رض) عن الحسن المجتبى (ع).

(٥٩) قوله (ع): وهذا القرآن إنما هو خط مسطور الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٢٥ وفي المصدر: مستور.

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان متّصلان، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً» [تأتي الإشارة إليه في تعليقة رقم ١٦٣ فراجع].

لأن هذا يصدق على أمير المؤمنين، وعلى كل واحد من أولاده المعصومين (ع)، وهذا هو حكمة رفع المصاحف إلى السماء بعد ظهور المهديّ (ع)، وغيبته ورجوع الدنيا إلى دار الآخرة، وصرّح بهذا المعنى كمال الدين عبد الرزاق رحمة الله عليه في أوّل تأويله وهو قوله في تأويل الم ذلك الكتاب قال: الم ذلك الكتاب، أشار بهذه الحروف الثلاثة، إلى كل الوجود من حيث هو كل، لأن الألف إشارة إلى ذات الله الذي هو أول الوجود، واللام إلى العقل الفعّال المسمّى جبرائيل وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى، والميم إلى محمّد الذي هو آخر الوجود، ويتمّ به دائرته، وتتّصل بأوّلها، ولهذا ختم وقال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله فيه السموات والأرض، إلى قوله: فمعنى الآية: الم ذلك الكتاب الموعود، أي صورة الكل المؤمى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتملة على كل شيء، الموعود بأنه يكون مع المهدي في آخر الزمان، لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلا هو[٦٠].

والغرض من هذا الكلام كلّه القول الأخير، تأكيداً لصحّة قوله. والله أعلم وأحكم.

(نقل كلام الشيخ الأكبر محيي الدين في ظهور المهدي (ع))

وقد ذكر هذا، الشيخ الأعظم محيي الدين العربي قدّس الله سرّه في فتوحاته في فصل مفرد، يجيء تمامه في المقدمة السابعة من هذه المقدمات، عند بحث التوحيد، وأما بعضه فهو قوله[٦١]:

---

(٦٠) قوله: وصرّح بهذا المعنى كمال الدين عبد الرزاق الخ.
مجلد ١ تفسير القرآن المطبوع أخيراً باسم محيي الدين العربي.

(٦١) قوله: وقد ذكر هذا الشيخ الأعظم.
الفتوحات ج ٣ ص ٣٢٧.

إعلم، أيّدنا الله، أن لله خليفة، يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة، من عترة رسول الله (ص)، من ولد فاطمة، يواطىء اسمه اسم رسول الله (ص)، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الرّكن والمقام، يشبه رسول الله (ص)، في الخلق (بفتح الخاء) وينزل عنه في الخلق (بضم الخاء)، لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله (ص) في خلقه، والله يقول فيه:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [سورة القلم: ٤].

إلى قوله: فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله (ص)، يحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلا الدين الخالص، أعداءه مقلّد العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً، تحت حكمه، خوفاً من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه، يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق، عن شهود وكشف، بتعريف إلهي، له رجال إلهيّون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلّده الله، ينزل إليه عيسى بن مريم بالمنارة البيضاء، بشرقي دمشق بين مهرودتين، متكياً على ملكين، ملك عن يمينه وملك عن يساره.

والغرض من هذا النقل وغيره، أن تأويل القرآن واجب عقلاً ونقلاً ولكن حق التأويل مخصوص به وبأجداده (ع)، وظهور ذلك لا يكون إلا يوم ظهوره، وقد ورد عن عيسى (ع) كلام دال على هذا وهو قوله:

نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به الفارقليط في آخر الزمان[٦٢].

---

(٦٢) قوله (ع): نحن نأتيكم بالتنزيل الخ.

عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٤، ح ٢٠٩.

أقول: جاء الحديث مضموناً في احتجاج الإمام الرضا (ع) على الجاثليق ورأس الجالوت، ذكره الطبرسي في الاحتجاج ج ٢، ص ١٩٩ تفصيلاً فراجع وفيه:

قال الرضا (ع): يا نصراني أهل تعرف في الإنجيل قول عيسى: إني ذاهب إلى ربكم وربي، والبارقليط، جائي هو الذي يشهد لي بالحقّ كما شهدت له، وهو الذي يفسّر لكم كل شيء وفيه أيضاً:

والمراد بالفارقليط، هـو المهدي (ع) على ما نقلوا عن أصحاب عيسى وأمّته.

وأمثال ذلك كثير في هذا الباب، وإذا تحقق هذا بهذا الوجه، فلنشرع فيه بوجه آخر متمسّكاً بقول الله تعالى أيضاً كما شرطناه أوّلاً فنقول:

بيان الآيات المتشابهات في القرآن واحتياجها بالتأويل وجوباً

إعلم، أن في القرآن متشابهات ومتناقضات:

أما المتشابهات فكقوله تعالى: ﴿**الرّحمن على العرش استوى**﴾ [سورة طه: ٥].

وكقوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً**﴾ [سورة الفجر: ٢٢].

وكقوله: ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣].

وكقوله: ﴿**فأينما تولّوا فثمّ وجه الله**﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

وكقوله: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ [سورة الفتح: ١٠].

وكقوله: ﴿**يد الله مغلولة**﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

وكقوله: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

وكقوله: ﴿**الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

وكقوله: ﴿**فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي**﴾ [سورة ص: ٧٢].

وكقوله: ﴿**تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك**﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

قال الرضا (ع): وفي الإنجيل مكتوب: إنّ ابن البرّة ذاهب والفارقليط، جائي من بعدي، هو يخفف الآصار، ويفسّر لكم كل شيء، ويشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل.

وكقوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله﴾ [سورة الزمر: ٥٦].

وكقوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: ١١].

وكقوله: ﴿اسمع وأرىٰ﴾ [سورة طه: ٤٦].

وكقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ [سورة القمر: ١٤].

وهذه كلها محتاجة إلى التأويل وجوباً، وإلا لأدّى إلى مفاسد كثيرة: كالتجسيم، والتحيّز، والإمكان، والحدوث، المؤدّي إلى الكفر والزندقة والإلحاد وغير ذلك من الغيّ والضّلال، والحنابلة ما وقعوا فيما وقعوا إلا من عدم التأويل، والحكم بظواهر القرآن دون بواطنه.

وأما المتناقضات:

فكقوله: ﴿قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكّل بكم﴾ [سورة السجدة: ١١].

ونقيضه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

وكقوله: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ [سورة النبأ: ٣٨].

ونقيضه: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥].

وكقوله: ﴿قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ [سورة ق: ٢٨].

ونقيضه: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [سورة ص: ٦٤].

وكقوله: ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [سورة الأعراف: ٥١].

ونقيضه: ﴿وما كان ربك نسياً﴾ [سورة مريم: ٦٤].

وكقوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ [سورة هود: ١١٨].

ونقيضه: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩].

وكقوله: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾ [سورة الإنسان: ٣].

ونقيضه: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩].

ومعلوم أيضاً أن هذه المتناقضات لو لم تكن مؤوّلة على طريق العقل والشّرع لكان يلزم منها(فيه اختلافاً كثيراً..) أورد فيه:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء: ٨٢].

ونحن إن شاء الله نقوم بتأويل هذه كلها في هذه المقدمة عند تأويل المتشابهات في الوجه الرابع من الوجوه المذكورة وبالله التوفيق.

بيان أن للقرآن ظهراً وبطناً والمراد من البطون السبعة

(في بيان أنّ للقرآن ظهراً وبطناً والمراد منهما)

وأما قول الأنبياء (ع) فالذي ورد عن نبينا (ص):

«إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن». [فقد مرّ بيان مصدره تفصيلاً في التعليقة ١١ فراجع].

والذي ورد منه أيضاً:

ما من آية إلا ولها، ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكلّ حد مطلع، وهذان الخبران دالان على أن للقرآن ظواهر تجب التفسير، وبواطن تجب التأويل، إلى أن يصل التأويل إلى نهاية المراتب السبع، وبل لكل آية منه، وبل لكل حرف، وعلى هذا التقدير يجب الشروع في بيانهما حتى يتحقق بعض هذا المعنى عندك وعند غيرك.

أما الخبر الأول، فالغالب أنه (ع)، أراد أن يخبر أصحابه وأمته أن الخلق بأجمعهم كما أنهم منحصرون في طبقات سبع فكذلك القرآن، فإنه أيضاً منحصر في مراتب سبع، ليجتهدوا في تطبيقهما ويحصل لهم المعارف الإلٰهيّة بذلك.

وأمّا الخبر الثاني فسيجيء بيانه في موضعه إن شاء الله.

وهذا التطبيق يحتاج إلى مقدمة، وهي أن تعرف: أن النبي (ص) قال ليلة

المعراج: «عُلّمت علوم الأولين والآخرين» [مرّ في التعليقة ٣٩].

وكل ما يقول النبي المعصوم، يكون صحيحاً واقعاً.

لأنه ما يقول من تلقاء نفسه بل بوحي نازل من عند ربه.

لقوله تعالى:

﴿وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾ [سورة النجم: ٣، ٤].

فعرفنا بهذا أنه كان عالماً لجميع الكليات والجزئيات التي تتعلق بتكميل الخلق وبهدايتهم من الأزل إلى الأبد، وكان عالماً بأن الخلق بأجمعهم لا يخرجون عن المراتب السبع الكلية الشاملة لجميع المراتب الجزئيّة، لقوله أيضاً:

أرنا الأشياء كما هي(٦٣) وعلى هذا التقدير لا بد وأن يكون عالماً بالقرآن وبأنه شامل للطوائف السبع الآتية أسماؤهم وأقسامهم، ويشهد بصحّته أيضاً الخبر المذكور كما سنبيّنه إن شاء الله، وحيث إن كلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأوليائه (ع)، يجب أن يكون محتملاً على معان مختلفة وأسرار متنوعة ليشمل الكل بقدر فهمهم واستعدادهم ويأخذ كل أحد من العباد منه حظّه ونصيبه، ولا يلزم منه ومن نفيه الإخلال بالواجب بالنسبة إلى بعض العبيد، نشرع فيه بوجوه مختلفة ممّا ذهب إليه أهل الظاهر وأهل الباطن، ليحصل المقصود في الوسط.

أما أهل الظاهر وأهل الشريعة، فذهب بعضهم إلى أن المراد في الخبر بالبواطن السبعة، القراءات السبع لا غير، وهذا نصيبهم وحظّهم من القرآن.

---

(٦٣) قوله (ص): اللهم أرنا الأشياء كما هي.

روى في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٣٢، حديث ٢٢٨: وقال (ع): اللهم أرنا الحقائق كما هي.

وروى أيضاً: ربّ أرني الأشياء كما هي، ذكره صدر المتألهين في تفسيره ج ٢ ص ٣٤٢ استشهاداً لشرف العلم وفضله.

وذكره أيضاً في المجلد الأول ص ٣٢١ وقال: واعلم إنّ أكثر أصحاب البحوث قد تركوا وصيّة ربّهم ونصيحة نبيّهم سلام الله عليه وآله فيما أمروا من تزكية نفوسهم وتصفية بواطنهم وإصلاح قلوبهم وتعديل قواهم وتهذيب أخلاقهم وتصقيل مرآة قلوبهم ليتجلّى فيها خبايا عالم الملكوت وينكشف لديها خفايا أسرار الجبروت، وأدركوا الأشياء كما هي، كما وقع دعاء نبيّهم (ص) له ولأمته:

اللهم أرنا الأشياء كما هي.

وذهب بعضهم إلى أن المراد منه، العلوم السبع التي تعرف من القرآن بحسب التصرف فيه، كاللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والفروع، لأن القرآن عندهم مشتمل على هذه العلوم السبعة لا غير، وهذا حظّهم من القرآن، وذهب بعضهم إلى أن المراد منه، بأن كل آية من القرآن لها هذه الصلاحية، وهذه القابلية، أعني بأن يخرج منها سبعة معان، أو سبعة علوم، وقالوا أيضاً كما يمكن حصول هذه السبعة في آية واحدة من القرآن، يمكن حصول هذه السبعة من العلوم في شخص واحد من العلماء، وذهب بعضهم إلى أن المراد منه أن القرآن، له بحسب الإجمال، سبعة معان، تطبيقاً بطبقات العالم والخلق، لكن بحسب التفصيل له معان غير متناهية، وهذا ليس ببعيد، فإنه قريب إلى الحق وكل ميسر لما خلق له(٦٤).

---

(٦٤) قوله: كل ميسر لما خلق له.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، ص ٢٠٤ الحديث ٩ بإسناده عن عمران بن حصين عن رسول الله (ص).

وأخرجه أيضاً البخاري في صحيحه ج ٩، ص ١٩٥ في قوله تعالى: ولقد يسّرنا القرآن للذكر، مرسلاً.

وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص ١٥٧ بإسناده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فانطلقنا نمشي حتّى جلسنا على شط الفرات، فقال علي رضي الله عنه: قال رسول الله (ص): ما من نفس منفوسة إلا قد سبق لها من الله شقاء أو سعادة، فقام رجل فقال: يا رسول الله فيم إذا نعمل؟ قال: اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فأما من أعطى واتّقى وصدق بالحسنى﴾ إلى قوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾.

ورواه أيضاً في مجلد ٤، ص ٤٧ بإسناده عن ذي اللحية الكلابي عنه (ص). وأيضاً في مجلد ١، ص ٦ مرسلاً عن أبي بكر عنه (ص).

وفي سنن أبي داود كتاب السّنة باب في القدر الحديث ٤٦٩٤، ج ٤، ص ٢٢٢ بإسناده عن عليّ (ع) قال: كنا في جنازة فيها رسول الله (ص) ببقيع الغرقد، فجاء رسول الله (ص) فجلس ومعه مخصرة، فجعل ينكث بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه فقال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من النار أو من الجنة إلا قد كتبت شقيّة أو سعيدة، قال: فقال رجل من القوم: يا نبي الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة ليكوننّ إلى السعادة ومن كان من أهل الشقوة ليكونن إلى الشقوة؟ قال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، وأما أهل الشقوة فييسرون للشقوة، ثم قال نبي الله:

﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [سورة الليل، الآية: ٥ ـ ١٠].

وأما أهل الباطن وأرباب الطريقة المخصوصون بالتأويل، فذهب بعضهم إلى أن المراد من الخبر أن لكل كلمة من كلمات القرآن سبعة معان على حسب استعداد كل طائفة من الطوائف السبع، لئلاّ يقع الإخلال بالواجب من الله تعالى بالنسبة إلى طائفة منهم.

وذهب بعضهم إلى أنّ المراد منه بعد العلوم السبعة المذكورة العلوم السبعة الإلهيّة المعلومة لأهلها التي هي، علم التوحيد والتّجريد والفناء والبقاء، وعلم الذات والصفات والأفعال، وعلم النبوة والرسالة والولاية، وعلم الوحي والإلهام والكشف، وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنّشر، وعلم الأخلاق والسياسة والتهذيب والتأديب، وعلم الآفاق والأنفس والتطبيق بينهما. فإنه أعظم العلوم وأشرفها، وهذا حظّهم من القرآن ونصيبهم منه، ونعم الحظ ونعم النصيب،

﴿وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا، وما يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم﴾ [فصّلت: ٣٥].

وذهب بعضهم إلى أن المراد منه، الطوائف السبع المذكورة في القرآن، من المسلمين، والمؤمنين، والموقنين، وذوي العقول، وأولي الألباب، وأولى النهي، والرّاسخين في العلم، وإن كان هناك طوائف كثيرة مذكورة فيه، مثل المنذرين

وفيه أيضاً الحديث ٤٧٠٩ بإسناده عن عمران بن حصين قال: قيل لرسول الله (ص): يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنّة من أهل النار؟ قال: نعم قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسّر لما خلق له.

وفيه أيضاً الحديث ٤٦٩٦ بإسناده عن يحيي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قال: لقينا عبد الله بن عمر فذكرنا له القدر وما يقولون فيه، فذكر نحوه، زاد قال: وسأله رجل من مزينة، أو جهينة، فقال: يا رسول الله فيما نعمل أفي شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال: في شيء قد خلا ومضى، فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار.

وفي توحيد الصدوق (ره) ص ٣٥٦، الحديث ٣ باب السعادة والشقاوة، بإسناده عن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (ع): فما معنى قوله (ص): اعملوا فكل ميسّر لما خلق له؟ فقال: إن الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] فيسّر كلاًّ لما خلق له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى.

والمتفكّرين والمتوسّمين وغير ذلك، فإن ذلك كله عند التحقيق يرجع إلى هذه الطوائف السبع إذا أُلحِقَ كل طائفة منهم إلى أخواتها بحكم المناسبة التي بينهم وبينهم، وحيث إن الطوائف كلها من السعداء السبع، فجعل في معرضها سبعاً أخر من الأشقياء ليكون الحصر صحيحاً، ولا يخرج أحد من حكم القرآن حقاً كان أو باطلاً، لأن القرآن شامل للكلّ، بحكم قوله:

﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

وورد في القرآن ذكر الطائفتين معاً في مواضع كثيرة منها قوله:

﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود.وما نؤخّره إلا لأجل معدود﴾ [سورة هود: ١٠٤].

﴿يوم يأت لا تكلّم نفس إلا بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد﴾ [سورة هود: ١٠٥].

وههنا دقيقة وهي أن تعرف أن فهم كل طائفة منهم ليس مخصوصاً بتلك الطائفة فقط بحيث لا يكون لطائفة أخرى منه نصيباً، بل يفهم منه كل ما يفهم الأدون، الأعلى من غير العكس، وهكذا إلى آخر المراتب، أعني كما قلنا في علماء الظاهر وعلومهم بأنه يجوز لأحدهم أن يعرف الكل من العلوم السبعة المذكورة، نقول في علماء الباطن وعلومهم بأنه يجوز لأحدهم أن يعرف الكل من العلوم السبعة الإلٰهيّة المتقدم ذكرها بإزاء تلك العلوم، فإن العارف والراسخ يعرف ما يعرف غيره وزيادة أخرى مخصوصة به، لقوله تعالى:

﴿للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾ [سورة يونس: ٢٦].

(في بيان الدرجات الثمان للجنّة والدركات السّبع للجحيم)

وتلك الزيادة هي المعارف الحاصلة من اللقاء إلى جناب المحبوب المسمّى بالبقاء والسرّ في الله وبالله، لأن في هذه الحضرة يشاهد العارف شيئاً ما شاهده أبداً، ويسمع شيئاً ما سمعه أبداً، ويعرف شيئاً ما عرفه أبداً، لقوله تعالى في حديثه القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٦٥].

ولقوله في القرآن الكريم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ [سورة السجدة: ١٧]

وإليها الإشارة في قوله تعالى:

﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [سورة القمر: ٥٤-٥٥].

ولهذا صارت الجحيم سبعة، وصارت الجنّة ثمانية، لأنّ السبعة من السعداء بإزاء سبعة من الأشقياء بحكم التطابق الأسمائي، والترتيب الوجودي، والمرتبة الثامنة تبقى للعارفين الراسخين الذين هم من أهل تلك الزيادة، وإلى هذه الجنة، أشار النبي (ص):

«إن لله تعالى جنة ليس فيها حور ولا قصور ولا عسل ولا لبن بل يتجلّى فيها ربنا ضاحكاً متبسّماً».

(أقسام الجنّة: جنّة الأفعال والصفات والذات)

والجنّة الحقيقية الإلهيّة باتفاق الموحدين ثلاثة: جنة الأفعال، وجنة الصفات، وجنة الذات، وهذه الجنة هي الموسومة بجنة الذات، رزقنا الله الوصول إليها، بحق من خصّص بها ودخل فيها، ولوصول سلمان الفارسي إليها دون غيرها من الجنان، قال النبي (ص): «الجنّة أشوق إلى سلمان من سليمان إلى الجنّة»[٦٦].

---

(٦٥) قوله تعالى في حديثه القدسي: أعددت لعبادي الحديث، الجواهر السنيّة للحر العاملي رحمة الله عليه ص ٢٨٤ و٢٨٢ وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب [illegible] (٥١) الحديث ٥-٢ والمجلسي في البحار عن عدة الداعي ج ٨ باب الجنة والنعيم ص ١٩١ الحديث ١٦٨ وفي عدة الداعي لأحمد بن فهد الحلّي ص ١٠٩ قال: في الوحي القديم، الحديث.
ورواه ابن أبي جمهور في غوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، الحديث ١٤٨ وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه ج ٢، ص ١٤٤٧، الحديث ٤٣٢٨ وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٤٩٥.

(٦٦) قوله (ص): الجنّة إلى سلمان، الحديث.
عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، ح ١٤٧، وتمام الحديث على ما في بحار الأنوار ج ٢٢،

ومعناه أنّ جنّة النّعيم وما فيها من الحور والقصور واللّذات الحسيّة، أشوق إلى سلمان من سلمان إليها، لأنّ سلمان في جنّة اللّذات، ومشاهدة الحضرات الإلٰهيّة، ومن جنّة النّعيم إلى جنّة الذّات درجات غير متناهية، كما قال تعالى:

﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

وقال بالنسبة إلى العلماء:

﴿يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ [سورة المجادلة: ١١].

وإلى هذا أشار النبي (ص) في قوله:

«للعلماء درجات فوق المؤمنين، ما بين كلّ درجتين مسيرة خمسمائة عام».
ومن هذا العلم سعة الجنّة مطلقاً، بمصداق قوله تعالى:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

وقول نبيّه (ع): يعطى كلّ مؤمن يوم القيامة من الجنّة بقدر الدنيا سبع

ص ٣٤١، ح ٥٢ نقلاً عن روضة الواعظين ص ٦ ـ ٣٤٠ عن ابن عباس، عن رسول الله (ص) قال:

إن الجنة لأشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة، وإنّ الجنّة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة.

وروى أيضاً في الاختصاص ص ١٢ المفيد (ره) بإسناده عن عيسى بن حمزة قال: قلت لأبي عبد الله (ع) الحديث الذي جاء في الأربعة، قال: وما هو؟ قلت الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة، قال: نعم منهم، سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار، قلت: فأيّهم أفضل؟ قال: سلمان، ثم أطرق، ثم قال: علم سلمان علماً لو علمه أبو ذر لكفر.

وأيضاً في البحار عن كشف اليقين بإسناده عن أنس بن مالك، أنه سأل عن أمير المؤمنين عن الأربعة التي اشتاقت إليهم الجنة فقال (ع) والله لأسألنّه، فدخلا على النبي (ص) فسأله علي (ع) عن سؤال مالك، فقال (ص): أنت والله أوّلهم، أنت والله أولهم، أنت والله أولهم، ثلاثاً، فقال له: بأبي وأمّي فمن الثلاثة؟ فقال له: المقداد وسلمان وأبو ذر.

مرّات[٦٧]، وسعة جنّة العارف مقيّداً بأنّه لا يلتفت إلى هذه الجنّات كلّها، ولا يرضىٰ بها، كما سبق إليه الإشارة. وورد عن النبيّ أيضاً (ص) في خبر صحيح أنّه قال:

«الدّنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله»[٦٨].

فالعاقل يرجع إلى نفسه ويتوجّه إلى ربّه، ويتدبّر بقلبه معنى هذه الآيات والأخبار لينكشف عليه أنّ سعة جنّتهم إلى هذه الغاية من أين، وأنّ عدم التفاتهم إلى غيرها من الجنّات من أين، ولِمَ قال تعالى فيهم:

﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً﴾ [سورة الإنسان: ٢٠].

وجميع العالم وما فيه من الدّنيا والآخرة ما يزن عند الله جناح بعوضة، وأنت تعرف بالحقيقة أنّ كلّ من يرجع إلى نفسه على الوجه المذكور ويتوجّه إلى جانب ربّه على ما ينبغي، ينكشف له حقيقة هذا الحال، ويشاهد محبوبه ومقصوده في حضرة العزّة والعظمة والجلال، بقوله جلّ ذكره: **العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما كسرته**[٦٩].

---

(٦٧) قوله: وقول نبيّه (ص): يعطى كل مؤمن، الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠١، الحديث ١٤٦ وروى المجلسي في البحار ج ٨، ص ١٤٧، الحديث ٧٣ نقلاً عن جامع الأخبار مرسلاً: قال: عن النبي (ص) قال: للرجل الواحد من أهل الجنة سبعمائة ضعف مثل الدنيا. الحديث.

(٦٨) قوله: وورد عن النبي (ص) أيضاً في خبر صحيح أنه قال: الدنيا حرام، الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١١٩، الحديث ١٩٠، وأخرجه أيضاً السيوطي في الجامع الصغير ج ٢، ص ٦٥٧، الحديث ٤٢٦٩.

(٦٩) قوله جل ذكره: العظمة إزاري، الحديث.

روى في أصول الكافي ج ٢ باب الكبر، الحديث ٣، ص ٣٠٩ بإسناده عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبد الله (ع) قال: قال أبو جعفر (ع):

العزّ رداء الله، والكبر إزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبّه الله في جهنم.

وروى في تحف العقول في وصيّة الكاظم (ع) لهشام ص ٣٩٦ قال (ع) لهشام: يا هشام إيّاك والكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبر، الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبه الله في النار على وجهه.

وقد يعبّر عن هذه الحضرة، حضرة الجلال والجمال، لقولهم:

جمالُك في كلّ الحقائق سائر   وليس له إلاّ جلالك ساتر

وقد يعبّر بها عن حضرة القدس وجنّة الذّات، كما سبقت الإشارة إليها، لقوله تعالى:

﴿إن المتقين في جنّات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [سورة القمر: ٤٢].

وها هنا أسرار كثيرة لسنا مأمورين بإظْهارها أكثر من ذلك، ومع ذلك فهي لا تخفىٰ على أهلها، وقوله تعالى:

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [سورة النساء: ٥٨].

تأكيد تامّ في هذا الباب والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل، وتلك شقشقة هدرت ثم قرّت. إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإذا تحقق هذا، فنرجع إلى ما كنّا بصدده.

(إنّ علة حصر معاني القرآن بالسبعة هي انحصار طوائف الخلق ومراتب العالم في السبعة)

ونقول: إعلم أنّ العلّة في حصر معاني القرآن في الأبطن السّبعة، وهي أن الخلق بأجمعهم منحصرون في الطّوائف السبع الكليّة المشتملة على مراتب أهل العالم كلّها، وبيانه بعد قول النبيّ (ص).

يكون بقول الله تعالى، الّذي في كتابه الكريم من قوله:

وروى أيضاً ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٣٥٩، الحديث ٣٢، قال: وقال الباقر (ع): العزّ رداء الله، والكبر إزاره، فمن جادل شيئاً منهما أكبّه الله في جهنم.

وأخرجه السيوطي في تفسيره الدرّ المنثور ج ٧، ص ٤٣١، آخر سورة الجاثية وقال:

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن رسول الله (ص) قال: يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار.

وأخرجه ابن ماجه في سننه ج ٢، الحديث ٤١٧٥، ص ١٣٩٨ بإسناده عن ابن عباس.

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [سورة الحاقة: ٣٢].

لأنّ هذا إشارة إلى ضرب الكواكب السّبعة المترتّبة على الأقاليم السّبعة وما يتضمّن من أهلها في البروج العشرة الّتي تتعلّق بالإنسان وأحواله وأسبابه دون البرجين الخارجين عنها بالحساب المقرّر عند أهله كما سنبيّنه إن شاء الله.

وقد كتب بعض الفضلاء في تطبيق هذا المعنىٰ رسالة وضمّ إليه قول النبي (ص):

«إن لله تعالىٰ سبعين ألف حجاب من نور وظلمة الحديث»(٧٠).

وطابق به، وقد اتّفق لنا أيضاً رسالة في هذا الباب بالتماس بعض الأصحاب بالعجميّة ورسالة أخرى بالعربيّة، والكلّ موافق لهذا المكان، مطابق لهذا البيان، فالأوّل نشرع في قول ذلك الفاضل على التّرتيب بعبارته، ثم نرجع إلى قولنا كذلك، أمّا قوله فهو أنّه قال:

(بيان الأصناف السّبعة للإنسان)

إعلم أنّ النّاس يتعيّنون إلى سبعة أصناف، عدد الكواكب السبع السيّارة.

الأوّل: أصحاب الأمر والنّهي من السّلاطين والملوك ولهم تعلّق بالشّمس.

والثّاني: أصحاب السّيف والسّلاح من الأمراء والأجناد ولهم تعلّق بالمرّيخ.

الثّالث: أصحاب القلم والحساب والمتصرفين ولهم تعلّق بعطارد.

الرّابع: أصحاب العلم والرأي والتّدبير وإصلاح أمور النّاس كالوزراء والقضاة والعلماء ولهم تعلّق بالمشتري.

الخامس: أصحاب البنايات والزّراعات، وأهل الكهوف والجبال ولهم تعلّق

---

(٧٠) قوله (ص): إن لله تعالى سبعين ألف حجاب، الخ.

روى الحديث بألفاظ مختلفة، فراجع:

عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٠٦، الحديث ١٥٨. وبحار الأنوار ج ٥٨، ص ٣٩ باب الحجب والأستار والسرادقات. وانظر أيضاً سنن ابن ماجه ج ١، ص ٧١ - ٧٠. وإحياء العلوم للغزالي ج ١، ص ١٠١.

بزحل.

السّادس: أصحاب اللّهو والطّرب واللّذة والـزّينة والنّسـاء والخواتين ولهم تعلّق بالزّهرة.

السّابع: أصحاب السّفر في البحار والرّسل وغيرهم ممن يشبههم ولهم تعلّق بالقمر، ولا يخرج من هذه الأصناف أحد من النّاس، فإن خرج ألحق بالأنسب من المذكورين.

(بيان التعلّقات العشرة للإنسان)

وإذا تقرّر ذلك فاعلم، أن كلّ واحد من هذه الأصناف له تعلّقات عشرة: الأوّل ما يستعين به في إقامة البدن وهو الدّنانير والدّراهم وله تعلّق بالبرج الثّاني من الطّالع.

الثاني: الإخوة والأخوات والأنساب والأصهار، ولهم تعلّق بالبرج الثالث من الطّالع.

الثالث: الأملاك من الدّور والعقار والبساتين والمزارع والآباء والأمهات، ولها تعلّق بالبرج الرّابع.

الرّابع: الأولاد ودخل الأملاك والهدايا والرّسل ولها تعلق بالبرج الخامس.

الخامس: العبيد والحيوانات الصّغار ولهم تعلق بالبرج السّادس.

السّادس: الأزواج والشّركاء والأضداد ولهم تعلّق بالبرج السابع،

السابع: ما يعرض للإنسان في هذا الوجود من المصائب والنكبات وأقوال الزّوجات والملبوسات وغير ذلك ولها تعلّق بالبرج الثّامن.

الثامن: الّذين لهم عليه ولاية من ذوي الأمر والنهي وطلب الارتفاع على الأقران والشّهرة والأمّهات ولها تعلّق بالعاشر.

التّاسع: الأصدقاء والأصحاب والمعارف ولهم تعلّق بالحادي عشر.

العاشر: الأعداء والحيوانات الكبار، ولهم تعلّق بالثاني عشر، وإنّما سقط

برج الطالع عن درجة الاعتبار، لأنّه بيت النفس لا بيت التّعلّق والغرض ذكر أسباب التعلّقات، وسقط البرج التّاسع، لأنّه برج العلوم والفضائل والنبـوّة، وهي كمال النّفس، لا بيت التعلّق، وإذا تقرّر ذلك فاضرب الخصوصيّات الأصناف السّبعة، فإنها تعلّقات أيضاً في التعلقـات العشرة، نعم سبعـة تعلّقات مـانعة للنّفس عن وصولها إلى كمالاتها أو عن وصولها إلى الباري تعالى، وكما أنّ الشّخص الّذي غلب كوكب في مولده وهو على طبيعة ذلك الكوكب، كذلك إذا غلب وقوى برج في مولده، هو من أهل ما يتعلق بذلك البرج في التّعلّقات، وكذلـك القول في البلدان والأقـاليم والأمم والتعلّقات المـذكورة هي السّلسلة الّتي ذرعهـا سبعون ذراعاً، كما قال تعالى:

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾،

وهي الحجب السّبعون المشار إليها في الحديث النّبويّ:

إنّ لله تعالى سبعين حجاباً من نور وظلمة [قد مرّ في التعليقة ٧٠].

والحجب النوريّة هي النّفوس والأولاد والأزواج والأمّهات وغيرهم، والعلوم إذا كانت لغير الله، والظلمانيّة هي الدّنانير والدّراهم والأملاك والحيوانات وغيرها، ولا منافاة بين هذا الخبر وبين مـا ورد أنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نـور وظلمة، لأنّ المراد أنّ كلّ واحد من السّبعين لـه ألف حجاب، وهـو الألف من الاشتغال الّتي احتاج إليه آدم (ع) لمّا خرج إلى الأرض ليأكل لقمة. كما ورد في خبر آخر، وكلّها مندرج في السّبعين، اندراج الخبرين تحت الكلّ.

وقال بعد هذا الكلام بكلام يسير:

إعلم أنّا بعد أن وفّقنا الله للكلام في هذه الحجب، وبيّنا وجه حصرها في سبعة وسبعين ألف على اختلاف المقامات، وبيّنا أنّها هي التعلّقـات المذكـورة المسمّاة بالسّلاسل والأغلال، ووصلنا إلى هذا الموضع، اطلعنا على كلام الإمام حجّة الإسلام محمد الغزالي، وكلام الشيخ العارف نجم الدين الرازي، تغمّدهما الله برحمته، من كتابهما مشكاة الأنوار ومرصاد العباد في الحجب الإلهيّة، ما ينافي ما حقّقناه، ويتنافيان أيضاً، وجب علينا حينئذٍ أن ننظر فيهما، لتبيين الحقّ، ثمّ نعدل إلى غيره إن شاء الله.

قال الإمام الغزالي في المشكاة ما هذه عبارته: أن الله تعالى متجلّى في ذاته لذاته، فيكون الحجاب بالإضافة إلى المحجوبين لا محالة، [المحجوب ن س مشكاة الأنوار] وإنّ المحجوبين [من الخلق ن س] ثلاثة أقسام: منهم من حجب بمجرّد الظّلمة، ومنهم من حجب بالنّور المحض، ومنهم من حجب بنور مقرون بالظّلمة.

وأصناف هذه الأقسام كثيرة أتحقق كثرتها، ويمكنني أن أتكلّف حصرها في سبعين، لكن لا أثق بما يلوح لي من تحديد وحصر، إذ لا أدري أنّه المراد بالحديث أم لا.

وأمّا الحصر إلى سبعين [سبعمائة ن س] وسبعين ألفاً فذلك لا يستقل به غير [إلاّ ن س] القوّة النبويّة، مع أن ظاهر ظنّي أنّ هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا للتّحديد، وقد تجري العادة بذكر عدد ولا يراد به الحصر بل التكثير والله يعلم بتحقيق ذلك، فذلك خارج عن الوسع(٧١).

وقال الشيخ الرّازي ما هذا معرّبه، أنّ الأرواح في المبدأ لما أمرت بالنّزول إلى أسفل سافلين الّذي هو تعلّقها بالقالب قد عبرت بعوالم الملك والملكوت حتّى وصلت إلى قوالبها، فتعلّق بها في كلّ عالم مرّت به ما هو زبدته، فصارت تلك التعلّقات حجباً لها في المعاد إليه تعالى، وهي الحجب النورانيّة والظّلمانيّة السّبعون ألفاً كما هو في الخبر(٧٢).

(الإشكال على قول الإمام الغزالي ونجم الدين الرازي)

أقول: هذان الإمامان وإن كانا في محلّ عال في العرفان، إلاّ أنّه لا تقليد لمثلي ولا حجاباً في طلب الحقّ ولا مسامحة في إرشاد الخلق.

أمّا الإمام الغزالي فحيث اعترف بعجزه أوّلاً في فهم مراده من الحديث، لا بحث معه فيه، إذ البحث إنّما هو مع الحاكم، والعاجز لا حكم له.

---

(٧١) قوله: قال الإمام الغزالي في المشكاة.. الخ.
مشكاة الأنوار ص ٨٤ المطبوع في القاهرة (عفيفي).

(٧٢) قوله: وقال الشيخ الرازي.. الخ.
مرصاد العباد ص ٥٧.

وقوله: أمّا الحصر في سبعين وسبعة الآف فذلك لا يستقلّ به إلاّ القوّة النبويّة، إن أراد به العلم بجزئيّات الأشياء، فهو غير مدّعٍ، إذ ليس إدراك جزئيّات الأشياء شرط الكمال، بل ولا شرطاً في النبوّة، وإن أراد العلم بالكليّات، فهو غير مسلّم، إذ لا يلزم من عدم علمه عدم علم غيره، ومن حقّق ما أشرنا إليه من تعلّقات النّفس بسبب تعلّقها بالبدن، انكشف له سرّ ذلك.

وقوله: ظاهر ظنّي أنّ هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا التّحديد، ليس بمرضيّ، لأنّ كلام الشارع يجب أن يحمل على أصول معقولة وقواعد مضبوطة غير مختلّة، لا على مجرى الغرابة من الجزاف والتّسامح والتّقريب والتّخمين، وهب أنه قصد التّكثير فما وجه تخصيصه بالسّبعين أو سبعين ألفاً وهلاّ خصّصه بمائة مثلاً أو ألف أو أقلّ منهما أو أكثر، فإنّه في ذلك يحصل غرض التكثير، وهل الكلام إلاّ في خصوصيّة لأعداد، وليس السرّ في الحقيقة إلاّ في خصوصيّة السبعة وخصوصيّة العشرة.

وأمّا كلام الشيخ الرّازي، فالكلام عليه أمّا أوّلاً، فقوله مبنيّ على قدم الأرواح البشريّة كما هو رأي أفلاطون ومن وافقه فيه، ولم يثبت ذلك بالبراهين، واتّفق محقّقو الحكماء بعد أفلاطون كأرسطو ومن تبعه على حدوثها، وذكروا عليه براهين مذكورة في مواضعها، وأبطلوا التّناسخ اللاّزم لقدمها.

وأمّا ثانياً فقدمها إمّا أن يكون مبنيّاً على النّقل عندهم مثل ما يروُونه عن النبيّ (ص):

أوّل ما خلق الله نوري أو عقلي[٧٣] على اختلاف الرّوايتين، ومثل قوله:

---

(٧٣) قوله: مثل مايروونه عن النبي (ص): أول ما خلق الله نوري، أو عقلي.
رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٩٩، الحديث ١٤٠ وقال: وفي حديث آخر أنه قال: أول ما خلق الله العقل.
وفي البحار ج ١، ص ٩٦ عن علل الشرائع للصدوق (ره) في سؤالات الشامي عن أمير المؤمنين: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى، فقال: النور.
وأيضاً في البحار ج ٢٥، ص ٢٢ عن جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى:
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠] قال: قال رسول الله (ص): أول ما خلق الله نوري... الحديث، يأتي تمام الحديث وأحاديث أُخر في

خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربع آلاف سنة، أو بألف ألف سنة[٧٤]، على اختلاف الرّوايتين أيضاً.

أو يكون مبنياً على الكشف والمشاهدة، ووجه الحصر عدم تعرّضهم للبرهان على مدّعاهم وليسوا من أهله.

تعليقنا ١٦٧ و ٧٥ و ١٥٩ فراجع.

قال الأميني في كتابه الغدير ج ٧، ص ٣٨ نقلاً عن السيرة الحلبيّة ج ١، ص ١٥٩: وجاء عنه (ص): أول ما خلق نوري.

واعلم أنه ورد في الأحاديث أيضاً أن أول ما خلق الله روح النبي وأرواح أهل البيت: منها، روى الصدوق في كمال الدين ج ١، ص ٣٦٦، الباب الثالث والعشرون في نصّ الله تبارك وتعالى على القائم (ع) الحديث ٤، بإسناده عن عبد السلام الهروي عن مولانا علي بن موسى الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص)، والحديث طويل وفيه: إن أول ما خلق الله أرواحنا.. الحديث، يأتي الحديث بتمامه في تعليقتنا ١٦٧ فراجع.

ومنها، روى الكليني في أصول الكافي ج ١، ص ٤٢٢، الحديث ١٠ بإسناده عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر (ع): يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمّد (ص) وعترته الهداة المهتدين الحديث ذكرناه في تعليقتنا ١٥٩.

اعلم أنه قد ورد في أن النبي (ص) أول الناس في الخلق أحاديث قد نذكر ههنا بعضها مزيداً للفائدة: منها، قال النبي (ص):

كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث ذكره الأميني في كتابه الغدير ج ٧، ص ٣٨ نقلاً عن ابن سعد في الطبقات، والطبري في تفسيره ٢١، ٧٩، وأبي نعيم في الدلائل ١، ٦، والسيوطي في الخصائص الكبرى وعن غيرها فراجع. وأخرجه أيضاً السيوطي في الجامع الصغير ج ٢، ص ٢٩٦، الحديث ٦٤٢٣. ومنها، فيه أيضاً عن مجمع الزوائد ج ١، ص ٧١ في حديث الإسراء.

إنك عبدي ورسولي وجعلتك أوّل النبيّين خلقاً وآخرهم بعثاً.

ومنها - في عوالي اللئالي ج ٤، ص ١٢٢، الحديث ٢٠٢، قال النبي (ص): أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً.

ومنها - في كنز العمال ج ١١، الحديث ٣٢١٢٦، ص ٤٥٢:

كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث.

(٧٤) قوله: ومثل قوله: خلق الله الأرواح قبل الأجساد.. الخ.

روى الصدوق في معاني الأخبار ص ١٠٨ باب معنى الأمانة التي عرضت.. الحديث ١ بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (ع): إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (بعدهم) صلوات الله عليهم الحديث.

فإن كان الأوّل فالنّصوص غير قطعيّة متناً ولا دلالةً، أمّا متناً فلعدم تواترها، وأمّا دلالة فلأنّها قابلة للتّأويل، لاحتمال أن يريد بقوله: روحي، الرّوح الذي منه (يستمد) يشهد روحه الشريف في الأرواح العالية وهي العقول المجردة، بل يجب هذا التّأويل، لئلاّ يناقض ما ورد أيضاً:

أوّل ما خلق الله العقل... الحديث(٧٥)، ويكفي في الإضافة أدنى ملابسته.

---

(٧٥) قوله: ما ورد أيضاً: أول ما خلق الله العقل.. الحديث.

رواه في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٩٩، الحديث ١٤١.

روى الصدوق (ره) في كتابه من لا يحضره الفقيه ج ٤، ص ٢٦٧ باب النوادر الحديث ٨٢١/١ عن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب (ع)، عن النبي (ص) أنه قال له: يا علي: أوصيك بوصيّة فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيّتي، - إلى أن قال -:

يا علي! العقل ما اكتسب به الجنة وطلب به رضى الرحمان، يا علي! إن أول خلق خلقه الله عز وجل العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال الله: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب.. الحديث، وهو طويل فراجع.

وفي الجواهر السنية للحرّ العاملي ص ٢٥٩ عن الكليني بإسناده عن سماعة بن مهران، عن الصادق (ع) قال: إن أول ما خلق الله العقل، فقال له أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي.. الحديث، قال: ورواه البرقي في المحاسن، والصدوق في العلل.

وفي أصول الكافي ج ١، ص ٢٠ بإسناده عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله (ع): إن الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره.. الحديث.

رواه أيضاً الصدوق (ره) في الخصال ج ٢، ص ٥٨٨، الحديث ١٣. ورواه أيضاً في علل الشرائع ص ١١٣، الحديث ١٠. ورواه أيضاً أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة في كتابه تحف العقول في حديث وصيّة الإمام الكاظم (ع) لهشام ص ٤٠٠.

روى أيضاً في أول ما خُلق القلم والماء وغيرها نذكر بعضها ههنا وذكرنا البعض الآخر في تعليقتنا ١٠٠ و ١٠١ فراجع.

أما الماء:

روى الصدوق (ره) في كتابه التوحيد باب التوحيد ونفي التشبيه الحديث ٢٠، ص ٦٦ بإسناده عن جابر الجعفي قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر (ع) فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يفسّرها لي، وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف غير ما قال الآخر، فقال أبو جعفر (الباقر) (ع): وما ذلك؟ فقال: أسألك: ما أول ما خلق الله عزّ وجلّ من خلقه؟ فإن بعض من سألته قال: القدرة، وقال بعضهم: العلم، وقال بعضهم: الروح، فقال أبو

جعفر (ع): ما قالوا شيئاً، أخبرك أن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عزّ لأنه كان قبل عزّه وذلك قوله:

﴿سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٨٠]

وكان خالقاً ولا مخلوق، فأول شيء خلقه من خلقه، الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء، فقال السائل: فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، ولو خلق الشيء من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء.

وأما القلم:

روى القمي في تفسيره، ج ٢ ص ١٩٨ في قوله تعالى:

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣] بإسناده عن هشام عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقريب منه في كنز العمال ج ٦، ص ٦٢٢، الحديث ٨ ـ ١٥١١٥.

وروى أيضاً أبو داود في سننه ج ٤، ص ٢٢٥، الحديث ٤٧٠٠ بإسناده عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: ربّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. . الحديث. رواه البيهقي أيضاً ج ١٠، ص ٢٠٢ وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ٣١٧ وقريب منه في المستدرك للحاكم ص ٤٩٨، ح ٢. أخرج جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور في أول سورة القلم ج ٨، ص ٢٤٠ أحاديث عن طرق ومصادر مختلفة في القلم فراجع وإنا نذكر حديثين منها في هذا المقام:

قال: وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

وقال الحكيم الترمذي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن أول شيء خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، ثم قال له: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ثم ختم على في (فم) القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق الله العقل، فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنّك فيمن أبغضت.

وروى أيضاً البيهقي ج ٩، ص ٣ كتاب السير باب مبتدا الخلق بإسناده عن ابن عباس أنه كان يحدث: إن رسول الله (ص) قال: إن أول شيء خلق الله جل ثناؤه القلم وأمره فكتب كل شيء يكون.

وأخرج المستدرك للحاكم ج ٢، ص ٤٥٤ بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما

وكذا الخبر الثّاني، فإنّ الأرواح أعم من الأرواح البشريّة، ولا يلزم من إثبات العامّ قبل الأجساد، إثبات الخاصّ.

إن قال اقتران الأرواح بالأجساد قرينة تدلّ على أن المراد بالأرواح أرواح الأجساد.

قلنا: إن سلّمنا ذلك، يحتمل أن يكون المضاف محذوفاً، أي خلق الأرواح قبل أرواح الأجساد بكذا ويكون المراد بالأرواح العقول وبأرواح الأجساد النّفوس، وفي الجملة، دلالـةُ الألفاظ ظنيّـة بعد صحّـة متنها، فمـا أظـنّك تقبـل صحتـه والمطلوب قطعي.

وإن كان الثّاني، قلنا إذا شاهد ثمّ أرواحاً بالكشف، بِمَ عرفتم أنها أرواح بشريّة؟ وعلى تقدير كونها بشريّة بِمَ عرفتم أنّها كانت قبل الأجساد؟ ولِمَ لا يجوز أن تكون هي الأرواح المفارقة لأبدانها بعد حدوثها وكمالها؟

وأمّا ثالثاً، فلأنّا إن سلّمنا قدم الأرواح البشريّة أو أنّها موجودة قبل أبدانها، فما وجه حصرها في الأعداد المذكورة؟ فإنه هو المعضل الّذي كـلامنا فيـه ولم نتعرض له والله أعلم.

هذا آخر كلام ذلك الفاضل وكان الغرض من إيراده علمك بعدم علم العلماء والمشائخ بحصر الحجب والسّلاسل وغيرها وإذا عرفت هذا فأقول: وبالله التّوفيق:

أمّا اعتراض هذا الفاضل على الشيخ أكثره غير مـوجه خصـوصاً في قـدم الأرواح، لأنّ الشيـخ إذا قال: إن الأرواح خلقت قبـل الأجساد بكـذا كذا سنـة متمسكاً بالنقل والكشف بدعواه فما يلزم من هذا قدمها لأنّه إذا قال خلقنا (خلقت) لارتفع القدم وثبت الحدوث، وكذلك قول النبيّ(ص)، وقول الله عزّ وجلّ، فإنّه لا يلزم من قولهما الفساد الذي قال: لأنّ قولهما شاهدان على أن الأرواح، مخلوقة قبل الأبدان، فيبطل القدم.

خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصور قلماً من نور، فقيل له أجر في اللوح المحفوظ قال: يا ربّ بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، الحديث.

واعتراض آخر وهو قوله إذا شاهدتم أرواحاً بم عرفتم أنها أرواح بشريّة، فهو أيضاً غير موجّه، وهو في غاية البعد لأنّهم إذا قالوا شاهدنا بالكشف كذا وكذا فكلّ من قال بم عرفتم صحّته، قالوا بالكشف، وذلك الوقت تسقط جميع الاعتراضات عليهم، ومثل هذا الكلام من مثل هذا الفاضل، ومن الحكماء أيضاً بعيد، لكن إذا حقّقنا قوله تعالى:

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [سورة يوسف: ٧٦].

وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ [سورة الإسراء: ٨٥].

عرفنا أنّ هذا ليس ببعيد، فإن استعداده وفهمه ما تعدّى عن هذا المكان.

والحمد لله الذي وفّقنا لجوابه على أحسن الوجوه وأعطانا القوّة والقدرة على منعه في غاية الوضوح، فحينئذٍ يجب علينا أن نقول بلسان الحال والمقال: الحمد لله الّذي فضّلنا على كثير من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وحيث فرغنا من هذا وظفرنا بما أردنا منه فلنشرع فيه بما سنح لنا من الله الجواد بموجب ما شرطناه أوّلاً وهو هذا:

فنقول: لا شك ولا خفاء، إنّ الناس قد اختلفوا في تحقيق الآية والخبر وحصرهما في سبعة وسبعين ألفاً، وقال كلّ واحد منهم ما يمكن منه بقدر فهمه واستعداده كما عرفت بعضه، وإلى الآن ما ظفر أحد منهم بعلّة الحصر والتعيين، بل أكثرهم ذهبوا إلى أنّ هذا للتغليب والتكثير، لا للحصر والتّعيين، والحال أنّ التّغليب والتّكثير بالألف والألفين كان أنسب كما تقرّر، والّذي عرفت من بحث ذلك الفاضل أيضاً، ليس على أصل صحيح، وفيه ما فيه، ولكن الحقّ تعالى لمّا أنعم به علينا قبل هذا وكتبنا فيه رسالة كما ذكرناه، فنذكر ها هنا منها ما يحتاج إليه، قياماً بشكر نعمته وإظهاراً لحقّ خدمته وهو هذا.

(بيان أنّ الأسماء هي الحجب، والعالم هو الأسماء والذّات لا اسم له)

إعلم، أنّ هذه الحجب والسّلاسل في الحقيقة عبارة عن مظاهر الأسماء الإلٰهيّة المسمّاة بالعالم، كما عرفت من قولهم: حجب الذّات بالصّفات، وحجب الصّفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان، ولقولهم:

فلا عبث والخلق لم يتركوا سدى ... وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة
على سمة الأسماء تجري أمورهم ... وحكمة وصف الذّات للحكم أجرت[٧٦]

وذلك لأن الذات من حيث هي هي ما لها اسم ولا رسم، فالاسم من حيث الظهور، أو البطون، ومن حيث التعلق بالمخلوق أعني أسماءه بحسب صفاته الذاتية والصفات بحسب كمالاته اللازمة لتلك الذات، وكمالات تلك الذات غير متناهية لأنها من اقتضائها واقتضاء الذات غير منفك عن الذات والذات غير متناهية، فتكون كمالاتها أيضاً غير متناهية، فالأسماء من هذه الحيثيّة لا تكون قابلة للانتهاء، وكذلك العالم لأنه مترتب عليها، لكن أسماءها من حيث كلياتها وأمّهاتها المتقدّم ذكرها، وكذلك العالم فإن انتهاءه وانقطاعه في بعض الأطوار والأفعال يكون من حيث انقطاع تلك الأسماء ومن حيث انقطاع حكمها لأن للأسماء أحكام ودول تدوم بدوامهما وتنقطع بانقطاعهما، كالأوّل والظاهر بالنسبة إلى الآخر والباطن، وكالمبدىء بالنسبة إلى المعيد وأمثال ذلك، وبالجملة كما أن الصفة مظهر للكمالات والأسماء مظهر للصفات، والأفعال مظهر للأسماء والأكوان مظهر للأفعال، فكذلك الكل مظهر للحق من حيث هو الكل ومن هذا قيل: أحد بالذات، كل بالأسماء، وقيل: ليس في الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكل هو وبه ومنه وإليه.

فإذا تقرّر هذا فاعلم أن هٰهنا قولان: الأول، أنها عبارة عن الموجودات

---

(٧٦) قوله: فلا عبث والخلق لم يتركوا سدى الشعر.
القائل هو ابن الفارض، مشارق الدراري ص ٦٣١.

والمخلوقات الآفاقية، روحانية كانت أو جسمانية، وأما عن التعلقات الإنسانية، صورية كانت أو معنوية، والعبارتان صحيحتان، أما العبارة الأولى فهي أن تعرف أن العوالم كلها منحصرة في ثمانية عشر ألف عالم، بمصداق الخبر الوارد فيه، والعالم عالمان، عالم الملك وعالم الملكوت، أو الغيب والشهادة، فيكون المجموع ستّةً وثلاثين ألف عالم، يسقط منها العالم الإنساني المضاف إليه تلك الحجب فيبقى خمسة وثلاثون ألف عالم الخ، ويضاف إليها من الأنفس بحكم التطابق مثل ذلك بعد إسقاط نفسه عنه فيبقى سبعون ألف عالم وسبعون ألف حجاب آفاقاً وأنفساً، ويظهر أن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة الحديث، ثم يفرض السبعين المذكور كليات العوالم ليظهر سرّ الآية وهو قوله:

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [سورة الحاقة: ٣٢] الخ.

أو سرّ الخبر الوارد بعبارة أخرى وهي قوله:

إن لله تعالى سبعة الآف حجاب من نور وظلمة [قد مرّ في التعليقة ٧٠]. هذا على سبيل الإجمال. وأما على سبيل التفصيل، فاعلم، أن الملك عند البعض عبارة عن العرش، والكرسي، والسمٰوات السبع، والهيولىٰ، والطبيعة، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة.

وعند البعض عن الجبروت، والملكوت، والعرش، والكرسي، والسموات السبع، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، إذا أعدّها واحدة.

وعند البعض، عن العقل الأول، والنفس الكلي، والطبيعة، والأفلاك التسعة، وهيولى العالم السفلي، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة المحسوبة بواحدة.

وعلى جميع التّصاوير، وهي ثمانية عشر عالماً، فيقدّر هذا المقدار من الملكوت أيضاً التي هي روح هذه العوالم وحقيقتها لقوله تعالى فيها:

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ [سورة يس: ٨٣].

فيكون المجموع ستّة وثلاثين عالماً، يسقط منها العالم الإنساني المضاف إلى هذه الحجب، فيبقى خمسة وثلاثون عالماً، فيضاف إليها من الأنفس كذلك

بحكم المطابقة صورة ومعنى بعد إسقاط نفسه عنها، فيبقى سبعون عالماً مطابقاً لقوله تعالى وقول النبي (ص)، وحيث إن هذه العوالم كليات مشتملة على جزئيات كثيرة يفرض بحسب كل كلّي ألف جزئي بحكم:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [سورة الحج: ٤٧] يصير سبعين ألف عالم من نور وظلمة ولطيف وكثيف، المعبر عنها بسبعين ألف حجاب، وحسن هذا التطبيق لا يخفى على أحد من العقلاء خصوصاً على أهل الله وخاصّته والحمد لله على ذلك، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هذا مضى وهو وجه من الوجوه، وأما بوجه آخر، وهو أن الله تعالى أخبر بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لقوله:

﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [سورة السجدة: ٤]

وقال:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [سورة الحج: ٤٧].

(عالم الأجسام مظهر لعالم المعنىٰ)

وترتيب الطبيعي الوجودي على وفق الحكمة، والنظام الإلهي عند المحقق العارف، وهو أن عالم الأجسام مظهر لعالم الأرواح وعالم الأرواح مظهر لعالم العقول، أعني عالم الملك مظهر للملكوت، الملكوت مظهر للجبروت.

وعند البعض الآخر وهو أن عالم الأجسام ظل شجرة عالم النفوس وعالم النفوس ظل شجرة عالم العقول، وعالم العقول ظل شجرة عالم الأمر.

وعلى هذا التقدير يصدق على عالم العقول الذي هو أول المخلوقات بأنه مخلوق في ستة أيام كلية إلهية التي هي عبارة عن مراتب ستة وجودية كل واحدة منها مشتملة على ألف جزئي بحكم قوله:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [سورة الحج: ٤٧].

وحيث إن عالم النفوس مظهر، وظله، يكون هو أيضاً كذلك وكذلك عالم

الأجسام، لأن منشأ عالم الأجسام من عالم النفوس كما أن منشأ عالم النفوس من عالم العقول، فيكون المجموع ثمانية عشر ألف عالم، ويفرض بإزائه من الملكوت مثل ذلك، لأن الملك غير منفك عن الملكوت كما تقرر، أعني يفرض بإزاء ظاهر كل عالم باطناً، فيصير المجموع ستةً وثلاثين ألف عالم، فيسقط منها عالم واحد الذي هو العالم الإنساني فيبقى خمسة وثلاثون ألف عالم ويجعل في مقابلها من الأنفس مثل ذلك بحكم التطابق يصير سبعين ألف عالم، مطابقاً للخبر المذكور، هذا مع اعتبار الجزئيات بهذه الكليات، وأما مع عدم اعتبارها، فيبقى سبعون ألف عالم بوجه وسبعون بوجه آخر.

(الصور المعقولة في ذهن الإنسان مثال لترسيم الخلق من الحق تعالىٰ)

وهذا التقرير لصعوبة إدراكه يحتاج إلى مثال محسوس فهو أن تعرف أنّ مثال عالم العقول بالنسبة إلى أذهاننا مثال صورة معقولة ترتسم في أذهاننا أو عقولنا إرتساماً عقليًّا علميًّا يقينيًّا، ثم نخرجها من الذّهن وننقشها على فصّ الخاتم بإعطائنا لها الوجود الخارجي، ثمّ نطبعها من الخاتم في جرم الشمع بإعطائنا لها الوجود الحسّي على طريق الانطباع، فالصورة الّتي في جرم الشمع بطريق الانطباع هي عكس الصورة الّتي في الخاتم بطريق الانتقاش، والصورة الّتي في الخاتم عكس الصورة الّتي في العقل فافهم جداً. فالحقّ تعالىٰ جلّ ذكره خصّ توجّهه إلى إيجاد العالم لقوله: كنت كنزاً مخفيًا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق(٧٧).

---

(٧٧) قوله: لقوله: كنت كنزاً مخفياً.. الحديث. راجع تعليقتنا ١٠٥.

قال بديع الزمان في كتابه: أحاديث مثنوى ص ٢٩ نقلاً عن منارات السائرين لنجم الدين أبو بكر محمد بن شاهاور الأسدي الرازي المعروف بداية المتوفى ٦٥٨، المخطوط في مكتبة (ملّي ملك) بطهران:

قال داود (ع): يا ربّ لماذا خلقت الخلق، قال: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أعرف.

وقال مؤلّف اللؤلؤ المرصوع ص ٦١: قال ابن تيمية (حديث: كنت كنزاً) ليس من كلام النبي (ص) ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي وابن حجر ولكن معناه صحيح ظاهر وهو بين الصوفيّة دائر.

أقول: لعلّه يوجد في العهدين وفي الزبور في أسئلة داود النبي (ع) وجوابه تعالى والله العالم.

رسّم أوّلاً صور الموجودات كلّها في عالم العقول رسماً كلّيًا إجماليًا المشار إليه في قوله:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [سورة الرعد: ٣٩].

ثم انتقش منه بطريق الفيض بحكم قوله:

﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [سورة القلم: ١].

إلى ألواح عوالم النفوس نقشاً جزئيًا تفصيليًا لقوله:

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [سورة البروج: ٢١ ـ ٢٢].

ثمّ أوجدها في عالم الأجسام مطابقاً لما في العالمين بحكم:

﴿والطور. وكتاب مسطور. في رقّ منشور﴾ [سورة الطور: ١ ـ ٣].

فعالم الأجسام وما فيه من الموجودات والمخلوقات يكون عكس الصّور الّتي في عالم النّفوس وما فيه من الرّوحانيّات، وعالم النّفوس وما فيه يكون عكس الصّور الّتي في عالم العقول وما فيه من المجرّدات، وعالم العقول والمجرّدات يكون عكس عالم الأسماء والصّفات، وعالم الأسماء والصّفات يكون عكس عالم الذّات وما فيها من الكمالات، وإن شئت قلت: هذا بالنّسبة إلى الملك والملكوت والجبروت والأسماء والصّفات والذّات، فإنّ الكلّ واحد.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

وإن قلت: إنّ من قوله الإجمالي وإن كان يفهم أنّه خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام، لكن من قوله التّفصيلي يفهم أنّه خلق السموات وما بينهما في ثمانية أيّام وهو قوله:

﴿قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواءً للسائلين. ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض

ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهنّ سبع سمٰوات في يومين وأوحىٰ في كلّ سماء أمرها وزيّنا السماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [سورة فصّلت: ٩ ـ ١٢].

وهذا متناقض والتناقض في قوله تعالىٰ غير جائز، لقوله تعالى:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء: ٨٢].

قلت: هـذا ليس متناقضاً لكن يحتاج إلىٰ تدبّر وتفكّر، فإن قوله جلّ ذكره (حمال) ذو وجوه كما قرّرناه لقوله:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء: ٨٢].

ولا ينبغي أنْ يقف الشّخص على وجه واحد بل يجب...... حتّىٰ يصل إلىٰ نهاية الأبطن السّبعة وإن لم يتمكّن فإلى البعض وبالجملة.

قوله جلّ ذكره: **﴿خلق الأرض في يومين﴾** صحيح،

وأمّا قوله:

﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسّائلين﴾ [سورة فصلت: ١٠].

فذلك إشارة إلى أنّه خلق الأوّلين في تتمّة أربعة أيّام بحيث تكون الأرض في يومين، والأقوات في يومين فهذا ظاهر مذكور في التفاسير، وأمّا قوله:

﴿فقضاهنّ سبع سمٰوات في يومين﴾ [سورة فصلت: ١٢].

فذلك صحيح والحساب مطابق مرتّب لأنّه تعالىٰ يشير إلىٰ أنّه خلق الأرض في يومين، وخلق السّموات في يومين، وخلق ما بينهما المسمّاة بالأقوات في يومين، والكلّ يكون ستّة وليس هناك تناقض، وذلك تقدير العزيز العليم.

(إيجاد العالم بيومين):

وها هنا دقيقة، وهي أنّ الله تعالىٰ أخبر في هذه الآيات ترتيب ما قرّرناه في إيجاد العالم لأنه قيّد تقدير إيجاد الأرض بيومين، والمراد بها عالم الأجسام وما فيها من الموجودات الجسمانيّة، وقيّد تقدير الأقوات بيومين آخرين، والمراد بها عالم النّفوس والأرواح وما فيها من الرّوحانيّات، لأن الأرواح والنّفوس هي الأقوات

الحقيقيّة للأجسام لقوله تعالى:

﴿وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنةً﴾ [سورة لقمان: ٢٠]. ولقوله:

﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [سورة الذّاريات: ٢٢].

وقيّد تقدير خلق السموات بيومين أيضاً، والمراد بها عالم العقول والمجرّدات، لعلوّ قدره وعظم شأنه، ويصدق هذا على ترتيب إيجاد الملك والملكوت والجبروت، وما شاكل ذلك من العوالم المذكورة، وهذا التّرتيب التّفصيلي والتّرتيب الإجمالي المذكور في الآية المتقدّمة، وهذه الآية كلها مطابق موافق، والمراد من المجموع واحد، وهو أنّ هذه العوالم مظاهر الأسماء الإلٰهية والأسماء مظاهر للصّفات الأزليّة والأفعال المسمّى بالعالم والكون، وغير ذلك مظاهر لتلك الأسماء والصّفات، والكل حجب وسر لتلك الذّات كما سبق ذكره في قول العلماء (العارف):

حجب الذّات بالصّفات، والصّفات بالأسماء، والأسماء بالأفعال، والأفعال بالأكوان.

(ليس في الوجود إلاّ هو):

وتقرّر أنّه ليس في الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلّ هو وبه ومنه وإليه.

وحيث يجب العبور عن الكلّ حتّى يصل الشّخص إلى الذّات الأحديّة الإلٰهيّة المستورة تحته لقوله:

﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾ [سورة الحديد: ٣].

وحيث هذه العوالم، والحجب والأستار من حيث غير الكليّات أشار القرآن إلى كلّيّاتها بقوله:

﴿ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [سورة الحاقّة: ٣٢].

وأشار الخبر إلى بعض جزئيّاتها بقوله:

إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(طريق الوصول إلى حضرة الحق للسالك رفع الحجب)

السالك يرفع هذه الحجب والسّلاسل، وإزالة تلك الموانع والعوارض يصل إلى حضرة الذّات الهويّة الأحديّة الجمعيّة، ولو لم يكن حجاباً على وجهه الكريم، ومانعاً عن الوصول إلى جنابه القديم ما أخبر الله تعالى عنها في كتابه مجملاً، وما أخبر النّبيّ (ع) عن جزئيّاتها مفصّلاً حيث وافق الخبر القرآن، والقرآن مشتمل على هذه الأسرار كلّها لقوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

فيجب على السّالك تأويله وتأويل تأويله إلى أن يصل إلى نهاية المراتب السبع بحكم الخبر وهو قوله:

إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن [قد مرّ بيانه في التعليقة ١١].

ويطلع به على هذه الأسرار ببركته من هذه الحجب والأستار، وقد سبقت كيفيّة مطالعته ومشاهدته ويخلص في عالمي الآفاق والأنفس وكتابي الكبير والصغير تحت ملابس أسمائه وصفاته وأفعاله المسمّاة بالآيات والكلمات والحروف وسيجيء أكثر من ذلك إن شاء الله.

(المقصود من الخلقة: المعرفة)

وعند التحقيق عن هذه المراتب السبعة القرآنيّة المنطبقة على العالم كلّها، والّتي بإزائها من المراتب السّبعة الآفاقيّة الموجبة لمشاهدته بعد رفع الحجب والأستار، أخبر الله تعالى بقوله:

﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهنّ لتعلموا أن الله على كلّ شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً﴾ [سورة الطلاق: ١٢].

لأنّ السّمٰوات إشارة إلى عالم العقول والمجردات والنفوس والأرواح

المفارقات المسمّاة بالجبروت والملكوت. والأرض إشارة إلى عالم الأجسام والمحسوسات والمركّبات، المسمّاة بالملك والشهادة، والأمر النّازل بينهما إشارة إلى الإنسان الحقيقي الكبير المعبر عنه بالخليفة الأعظم، أو إلى الإنسان الصغير، المعبّر عنه بآدم وذرّيته.

(المراد من اللقاء)

والمراد من هذا التفصيل والترتيب والجمع بينهما، أن يُعرف عبيده المخلصون على الوجه المذكور، أعني بحسب ملابس الأسماء والصّفات، ومظاهر الأفعال والأكوان كشفاً وشهوداً أو بحسب حجب الملك والملكوت والجبروت، ذوقاً ووجداناً ومشاهدةً وعياناً، لقول بعض العارفين فيه:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة

ولقوله تعالى في كتابه:

﴿فأينما تولّوا فثّم وجه الله﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

وقوله: لتعلموا بعد الآية إشارة إلى هذا، وتقديره أي لتعلموا أنّ المقصود من جميع ذلك معرفته وعبادته بموجب قوله في الأوّل:

كنت كنزاً مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق [قد مرّ مرجعه والإشارة إليه في التعليقة ٧٧].

وبمقتضى إشارته في الثاني:

﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

لأنّ اللاّم، لام التّعليل فالعلّة لا تكون فيه إلاّ هذا، ولهذا قال عقيبه: ﴿أنّ الله على كل شيء قدير، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً﴾ [سورة الطلاق: ١٢].

ومراده: أي لتعلموا أنّ المقصود معرفته وعبادته، لكن على الوجه المعلوم. وهو أن يعرفوه من حيث الكشف والشهود ويتحققوه، أنّه قادر على كلّ شيء من الممكنات بالإيجاد والإعدام والتّفجير والتبديل والظّهور والخفاء وأنّه قد أحاط بكل شيء علماً وذاتاً ووجوداً وماهيّة وحقيقةً وصفةً وفعلاً، وليس في الوجود غيره،

وغير مظاهره المسمّاة بالعالم والإنسان وغيرهما، لأنّ هذا هو اللقاء الحقيقي الموعود في القيامة الكبرى عند التّحقيق، وهذا هو الوصول الكلّ إلى جنابه عند النظر الصحيح، كما أشار إليه في قوله مفصّلاً:

﴿أو لم يكف بربك أنّه على كلّ شيء شهيد ألا إنّهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنّه بكل شيء محيط﴾ [سورة فصلت: ٥٣ ـ ٥٤].

وأيّ لقاء يكون أعظم من مشاهدته في كل شيء كشفاً وعياناً والوصول إليه ذوقاً ووجداناً وذلك لأنه المشهود في كل شيء والمشهود في كل شيء لا ينتظر شهوده ولقاءه في شيء معيّن أو وقت معيّن فإنّه محال ضرورة لأن المحيط لكلّ شيء لا يمكن شهوده إلا في كل شيء وذلك لأن الكل من حيث الكل لا يظهر إلا في الكل كما قيل:

الكلّ بالكلّ مربوط وليس له ... عنه انفصال خذوا ما قلته عني(٧٨)

واحد بالذّات، الكلّي بالأسماء إشارة إلى هذا.

ومع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة(٧٩) كذلك.

ومعلوم أيضاً أنّ المحيط لا كلّ ينفك عن المحاط ولا المحاط عن المحيط فيلزم من مشاهدة كل واحد منهما مشاهدة الآخر، وهذا هو سرّ قوله:

﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [سورة الحديد: ٣].

وسرّ قوله:

﴿فأينما تولّوا فثم وجه الله﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

لأنّ الوجه هو الذّات الكاملة المحيطة بالكلّ لقوله:

---

(٧٨) قوله: الكل بالكل مربوط وليس له.

القائل به محيي الدين العربي، فصوص الحكم القيصري ص ٩٣ فصّ آدمي والعفيفي ص ٥٦.

(٧٩) قوله (ع): ومع كل شيء لا بمقارنة الخ.

نهج البلاغة الخطبة الأولى.

﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [سورة القصص: ٨٨].

وتقديره أي كل شيء غيره هالك في نفسه غير موقوف على زمان ولا مكان، له الحكم، أي له البقاء الدّائم وإليه ترجعون. فهذه الموجودات القائمة بالاضافات، والنّسب المعدومات في نفس الأمر بعد إسقاط الاضافات لقولهم:

التّوحيد إسقاط الاضافات. لأنّ العارف إذا نظر إلى حقيقة الوجود ووحدته سقط عن نظره ما سوى الوجود مع كثرته وفيه قيل:

كل شيء فيه معنى كلّ شي فتفطّن واصرف الذّهن إليّ
كثرة لا تتناهى عدداً قد طوتها وحدة الواحد طيّ

وفي مثل هذا الكشف ورد عن الكاشف الحقيقي والعارف اليقيني:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً [قد مرّ مرجعه في التعليقة ٣٣].

لأنّ الغطاء المذكور ليس غطاءاً حاجباً بشيء يتوهّم أنّه مخصوص بالكاشف بل هو غطاء مطلقّ، والغطاء المطلق ليس إلاّ المظاهر مطلقاً المسمّى بالعالم والخلق وغير ذلك، والألف واللاّم فيه دال على عموم (عموميّته) هيئته لأنّه للجنسيّة، وإن كان للعهد أو الاستغراق فكذلك، فإنّ الغطاء في الذّهن لا يتصوّر إلاّ مطلقاً والمطلق لا يصدق إلاّ على العالم كلّه، وعلى جميع التقادير ليس فيه حكم الخصوصي ولا حكم الاضافة إلى القائل به، لأنّه لو كان كذلك لقال: لو كشف غطائي، فحيث ما قال إلاّ الغطاء المحلى بالألف واللام عرفنا أنّه أراد الغطاء مطلقاً، وفيه قيل:

لقد كنت دهراً قبل أن يكشف الغطا إخالك أنّي ذاكر لك شاكر
فلمّا أضاء الليل أصبحتُ عارفاً بأنّك مذكور وذكر وذاكر

(المراد من الغطاء والحاجب والشاهد ومقابليها)

وها هنا دقيقة شريفة تحتاج إلى نظر دقيق وهي أنّه إذا قرّرناه أنّه ليس في الوجود غيره، فمَن الغطاء ومَن المغطىٰ، ومَن الحاجب ومن المحجوب ومن الشاهد ومن المشهود. والجواب عنه، أنّه الغطاء من حيث الظهور والكمالات وأنّه

المعطى من حيث الوجود والذات وأنّه الحاجب من حيث الأسماء والصّفات، وأنّه المحجوب من حيث الوجود والذّات وأنّه الشاهد من حيث النزول في صور المخلوقات وأنّه المشهود من حيث الوجود والذّات، وإلى هذا أشار الشيخ الأعظم قدس الله سرّه في قوله:

فإن قلت بالتّنزيه كنت مقيّداً وإن قلت بالتّشبيه كنت محدّدا
وإن قلت بالأمرين كنت مسدّداً وكنت إماماً في المعارف سيّدا
فإيّاك والتّشبيه إن كنت ثانياً وإياك والتّنزيه إن كنت مفردا

وفي قوله تعالى:

﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [سورة الأنعام: ٧٥].

إشارة إلى هذه المشاهدة الجليّة الغير القابلة للشك والحيرة الجامعة بين الكثرة والوحدة.

وبهذا صرنا مأمورين في قوله:

﴿واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين﴾ [سورة الحجر: ٩٩].

وبهذا كنّا موعودين في قوله:

﴿إنّ هـذا لهو حق اليقين﴾ [سورة الواقعة: ٩٥].

والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، هذا آخر العبارة الأولى من العبارتين في معنى الحديث النّبوي بالنسبة إلى الآفاق.

(الحجب صوريّة ومعنويّة)

وأمّا العبارة الثانية.... من أن للإنسان حجباً وموانع موسومة بالسلاسل والأغلال، مانعة عن الوصول إلى حضرة العزّة الموصوفة بالعظمة والجلال، وتلك الحجب والموانع ليست..... الصّوريّة والمعنويّة.

أمّا الصوريّة فقد عرفت حقيقتها عند تطبيق المراتب السبع القرآنية بالطّبقات

السبع الآفاقيّة وضرب الكواكب السّبعة في البروج العشرة وإخراج الحجب السّبعين من بينهما بحسب الكلّ وتقسيمها إلى سبعين ألف بحسب (الجزئيّ) ما قد سبق.

وأمّا المعنويّة، فقيل إنّها أخلاقه وصفاته لأنّ كلّ واحدة منها بمثابة حجب من الحجب المعلومة، أمّا إجمالاً فمن حيث أنّه نسخة جامعة لكلّ ما في الآفاق صورة ومعنى، فتكون هذه الحجب والأستار المشتملة على العوالم كلّها مندرجة فيه، فيسدون عن وجهه الحقيقي ويكون هو مغلولة بها مسلسلة بآثارها وتبعاتها في كل يد، وإلاّ التطبيق لا يكون صحيحاً والحال أنّه صحيح واقع.

وأمّا تفصيلاً، فالأخلاق الذّميمة والحميدة المركوزة في جبلّته، والأوصاف الحسنة والسّيئة اللازمة لطبيعته، من العلم والجهل، والحلم والغضب، والشهوة والعفّة، والشّجاعة والجبن، والعدل والظلم، والبخل والكرم، فإنّها تزيد على السّبعة وسبعين ألف، وعلى هذا التقدير يكون العلم من الحجب النّورانيّة والجهل من الحجب الظلمانية، وكذلك الحلم والغضب، وكل متقابلين من الصفات، ومن حيث إنّ الأوصاف والأخلاق التي في الإنسان بحسب القوى المركوزة في طبعه، والإنسان نسخة جامعة للإنسان الكبير صورة ومعنى، جعل الشيخ الأعظم قدس سرّه في فصوصه[٨٠] أصناف الملائكة التي في العالم بمثابة القوى التي في الإنسان الصغير، وهو قوله:

فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبّر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير، فكانت الملائكة له كالقوى الروحانية والحسيّة التي في النشأة الإنسانيّة، وكل قوّة منها محجوبة بنفسها لا ترى أفضل من ذاتها.

وستعرف تفصيلها وتحقيقها عند تقابل الآفاق بالأنفس في المقدمة الثّانية إن شاء الله.

---

(٨٠) قوله: ومعنى جعل الشيخ الأعظم قدس سره الخ، فصوص الحكم القيصري ص ٦٦، والعفيفي ص ٤٩ في فص آدمي.

(القوى في الإنسان بمثابة الملائكة في العالم فلا يعرف مقدارها)

والغرض من هذا النقل وهو أنه إذا كانت القوى في الإنسان الصغير بمثابة الملائكة في الإنسان الكبير، فكيف يمكن معرفة قلّة قوى الإنسان وكثرتها، فإنّ الملائكة غير قابلة للحصر والعدّ كقوله تعالى:

﴿**وما يعلم جنود ربك إلاّ هو**﴾ [سورة المدّثر: ٣١].

غاية ما في الباب يعرف أنّ هناك ملائكة سماويّة وملائكة أرضيّة، وأنّ هناك قوّة روحانيّة وقوّة جسمانيّة، وأنّها حجب وموانع، من المطلوب الحقيقي في الصورتين ويسمّى اللطيف منها بالنّورانيّة والكثيف بالظّلمانية، وإلاّ حصرها وعدّها بحسب الجزئي ما يمكن، لأنّه خارج عن وسع الإنسان، وليس أيضاً شرطاً في حصول كله ومعرفته كما هو مقرّر عند أهله، وحجب الإنسان لو لم يكن مع الإنسان ولم يكن له (أنّه) مانعة من الوصول إلى الحق لم يكن يقول الله (تعالى) في حقه:

﴿**ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً**﴾ [سورة الحاقّة: ٣٢].

(دعوة الإنسان إلى معرفة نفسه)

فإنّه إشارة إلى حجبه المذكورة وتعلّقاته المعلومة، وكماله ومعرفته ووصوله إلى المطلوب لو لم يكن موقوفاً على عبوره عن هذه الحجب ووصوله إلى معرفة النّفس، لم يكن يقول الله عزّ وجلّ مخاطباً له:

﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ [سورة الذّاريات: ٢١].

ولم يكن يقول:

﴿**إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ [سورة الإسراء: ١٤].

ولم يكن يقول الله:

﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبين لهم أنّه الحق**﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

ولم يكن يقول النبيّ (ص):

«**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**» [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٣٥ فراجع].

ولم يكن يقول أمير المؤمنين (ع):

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وتستكثر

(بيان أن الحجب على قسمين: آفاقي وأنفسي وعددهما)

وبالجملة الحجب على قسمين، آفاقيّ، وأنفسي، وكلّ واحد منهما منحصر في السبع وسبعين ألف، مطابق للقرآن والخبر، لكن من حيث الكل المضاف إلى بعض الجزئي لا مطلقاً، ولم يكن الغرض من هذا البحث إلاّ هذا، وقد تقرّر هذا وتحقق، والله أعلم وأحكم.

وإذا تحقق هذا فلنشرع في بعض آخر مطابقاً للخبر بحكم الأسماء وأئمّتها السّبعة، ثمّ في المثال المحسوسة في دائرة مجدولة مشكّلة مترتّبة على أسماء الذّات وأسماء الصّفات وأسماء الأفعال مطابقاً لقولهم: حجب الذّات بالصّفات، والصّفات بالأفعال، حيث يقرّر أنّ هذه الحجب كلّها مظاهر إلٰهيّة على حسب كليّات الأسماء وجزئيّاتها.

(بيان أئمة الأسماء وتطبيق الأنفس والآفاق بالقرآن)

فنقول: إعلم أنّ الأسماء الإلٰهيّة وإن كانت غير متناهية بحسب الجزئيّات، لكن هي متناهية بحسب الكليّات الّتي هي إمّا ألف، أو مائة، أو عشرة، كما سنبيّن تفصيلها عند عمليّات التّصوّف في الجداول العشرة، وحيث إنّ هذه الكليّات فيها كثرة، والكثرة مظنّة التّنازع وجب أن يكون لها أئمّة يقتدى بهم، كما يقرّر هذا في بحث الإمامة واللّطف عند المتكلمين، وتلك الأئمة باتّفاق المحققين سبعة، وهي الحيّ، العليم، المريد، المتكلّم، القادر، الجواد، المقسط، وبعبارة أخرى، الحيّ، والعالم، والمريد، والقادر، والسميع، والبصير، والمتكلّم، كلاهما صحيح وبناءاً على هذا طابق تطبيق الكلّ بالكلّ حيث قلنا: إنّ العالم مظاهر الأسماء الإلٰهيّة ومجاليها، أعني تطبيق الأسماء بالآفاق، وتطبيق الآفاق بالأنفس، وتطبيقهما بالقرآن، وتطبيق الأسماء السّبعة بالكواكب السّبعة وتطبيق الكواكب السّبعة، بالأقاليم السّبعة والطّوائف السبع المخصوصة لكلّ إقليم منها.

وكذلك في الأنفس وتطبيقهما بالآفاق في السّبعات المذكورة وغير ذلك من التطبيقات. ونبيّنا (ص)، حيث كان عالماً بالكل بما قال: علّمت علم الأوّلين والآخرين [فقد مرّت الإشارة إليه في تعليقه ٣٩]. وبما قال: أرنا الأشياء كما هي[٨١]. قال: إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن [قد مرّت الإشارة إليه في تعليقة ١١ فراجع].

ليعلم أنّ اشتمال القرآن على المراتب السبع من اشتمال الآفاق والأنفس على مراتبهما السّبع المذكورة بحكم الأسماء السّبعة، أو الخلق أعني اشتمال الخلق على الطوائف السّبع بحكم الآفاق والأسماء السّبعة ومراتبها، ومن هذا قلنا مراراً: إنّ القرآن صورة إجمال القرآن وتفصيله، كما أنّ الإنسان صورة إجماله وتفصيله، ومعلوم أنّه قد سبق أنّ وضع هذا الكتاب على هذه التّطابيق الثلاثة الّذي هو القرآن، والآفاق والأنفس، فحينئذٍ يجب عليك دقّة النّظر في جميع الأقوال الإلهيّة والنّبويّة، بعد تحقيقه حتّى يحصل لك مثل هذه التحقيقات، ويتحقّق عندك أنّ أدنىٰ كلام الكامل وأنّ أسهل ما أشار له الحق تعالى، مشتمل على أعلى أسرار الّهيّة وأسنىٰ معارف ربّانيّة.

(تفاوت الموجودات في مظهريّتها لاسماء الذات والصفات والفعل)

وإذا عرفت فاعلم، أنّ بعض الموجودات والمخلوقات صاروا مظهر أسماء الذّات كالإنسان والعقل الأوّل والأنبياء والرّسل والأولياء والكمّل، وأمثالهم، رضوان الله عليهم أجمعين، وبعضهم مظهر أسماء الصّفات اللّطفيّة والقهريّة، أعني الجلاليّة والجماليّة.

أمّا مظهر الأسماء الجماليّة والصّفات اللطفيّة كالملائكة السّماويّة،

---

(٨١) قوله: وبما قال: أرنا الأشياء كما هي.
ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير في سورة طه ذيل الآية الكريمة: ربّ اشرح لي صدري، ج ٢٢، ص ٣٩، وذكره أيضاً الرازي نجم الدين في مرصاد العباد ص ١٧٠، الفصل ١٧، الباب ٣.
وروى ابن أبي جمهور عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٣٢، الحديث ٢٢٨، قال: وقال (ع): اللّهم أرنا الحقائق كما هي.

والمجردات العلويّة من العقول والنّفوس.

وأمّا مظهر الأسماء الجلاليّة والصّفات القهريّة كالشّياطين، والمردة من الجنّ وأمثالهم من الفراعنة والنّماردة، كما سيجيء تفصيلهما مشكلاً في الدائرة التوحيدية. وبعضهم مظهر الأسماء الفعليّة كالمواليد الثلاثة من المركّبات كالمعدن والنّبات والحيوان، أو عالم الأجسام والأكوان مطلقاً.

وأصل الكلّ ومرجعهم، الأسماء السبعة الأول المسمّاة بالأئمّة. فوجب أن يكون القرآن كذلك لأنّه على صورة العالم والعالم على صورة الأسماء، وهما على صورة موجدهما، لقوله (ع): خلق الله تعالى آدم على صورته [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٣١].

وها هنا أسرار وإشارات.

﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون**﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

وقوله: ﴿**إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [سورة ق: ٣٧].

(تعداد أسماء الذّات والصّفات والأفعال)

وأما أسماء الذّات على سبيل التعداد على ما ذهب إليه الشيخ الأعظم قدس الله سرّه، وأكثر المشائخ:

الله، الحيّ، الربّ، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبر، العليّ، العظيم، الظاهر، الباطن، الأوّل، الآخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحق، المبين، الواحد، الماجد، الصمد، المتعال، النور، الوارف، الرّقيب.

وأمّا أسماء الصّفات، فعلى ما ذهب إليه الشيخ وغيره: الشّكور، القهّار، القاهر، المتعذّر، القوي، القادر، الرّحمٰن، الرّحيم، الغفّار، الغفور، الودود، الرّؤوف، الحليم، الصّبور، البرّ، العليم، الخبير، المحصى، الحكيم، الشّهيد، السّميع، البصير،

وأمّا أسماء الأفعال، فعلى رأيهم أيضاً: المبدىء، الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، البارىء، المصوّر، الوهاب، الرزّاق، الفتّاح، القاسط، الباسط، الحافظ، الرّافع، المعزّ، المذلّ، الحكيم، العدل، اللّطيف، المعيد، المحيي، المميت، الوالي، التّواب، المنعم، المقسط، الجامع، المغني، المانع، الضّارّ، النّافع، الهادي، البديع، الرّشيد، وتفصيل هذه كلّها قد ذكره الشيخ في رسالته الموسومة بالرقائق في جداول حاضرة ذكرتها بلا تغيير ولا تبديل.

وأمّا الدائرة الّتي هي لنا فقد رتّبتها على التّرتيب المذكور في أسماء الذّات والصّفات، والأفعال، مشتملة على ثلاث جداول، كل واحد منها مخصوص بقسم من الأقسام في هذه الأسماء، بحيث يكون الجدول الأول القريب إلى الدائرة الوسطية المركزيّة الموضوعة للذّات الأحديّة، للأسماء الذاتيّة، والجدول الثّاني بعده للأسماء الوصفيّة، والجدول الثّالث بعدهما للأسماء الفعليّة، وعيّنت فيها منشأ القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي، ومنشأ الوحي والإلهام، والكشف، وطابقت هذا الباب بثلاثة من العوالم، كالملك والملكوت والجبروت، ووضعت فوق كل جدول من الجداول الثالثة المذكورة في صورة الدوائر دائرة مخصوصة بتلك الأسماء أو الحضرة المخصوصة بها توضيحاً وتحقيقاً، وأشرت إلى أنّ هذه المراتب كلّها دائرة على الأسماء الأربعة: من الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وكتبت كل اسم من هذه الأسماء على طرف من أطراف الدوائر مشيراً إلى أنّ الأسماء كلها دائرة على هذه الأربعة، وإلى أنّ معرفة الله تعالى كبيت له أربعة أركان، ما يقوم ذلك البيت إلّا بها، وإلى أنّ هذه الأسماء هي كلّيات الأسماء كلّها.

وهذه هي صورة الدائرة المذكورة، وبالله التوفيق والعصمة وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل: [راجع التعليقة ٨٢ تسهيلاً للقراءة][٨٢].

---

(٨٢) قوله: وهذه هي صورة الدّائرة المذكورة.

أقول: وليعلم القارىء العزيز أنّ ما هو في نسخة المؤلف رضي الله عنه هو شكل الدائرة والأسماء مكتوبة في خلالها، وإذاً أقدم لكم ما في الدائرة من العبارات والأسماء تسهيلاً وتسريعاً للمطالعة والقراءة على التّرتيب الّذي فيها وهو هذا:

هذه دائرة أسماء الأفعال

هذه دائرة أسماء الصفات

هذه دائرة أسماء الذات جلّ قدره

....

الذّات الأحديّة الصّرفة المطلقة الإلهيّة
﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨].
دائرة أسماء الذّات جلّت قدرته
هذه مخصوصة بالحضرة الأحدية الذّاتيّة المطلقة.
العالم المعبر عنها بالجبروت من مظاهرها وحضرتها.
الوحي النازل على الأنبياء والرّسل (ع) من حضرتها.
القرآن وأمثاله من كتب الله المنزلة مخصوصة بحضرتها.
(الأسماء المخصوصة بهذه الدائرة):
عند البعض في بعض هذا خلاف.
الله، الحيّ، الرّبّ، الملك، القدّوس، السّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، الظّاهر، الباطن، الأوّل، الآخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحقّ، المبين، الواجد، الماجد، الصمد، المتعال، الغني، النّور، الوارف، الرّقيب.
دائرة أسماء الصّفات.
هذه مخصوصة بالحضرة الواحديّة الأسمائيّة البرزخيّة.
العالم المعبر عنه بالملكوت من مظاهرها وحضراتها.
الإلهام الحاصل للأولياء والأوصياء (ع) من حضرتها.
الحديث القدسي وما شاكل ذلك من الأخبار مخصوص بحضرتها.
(الأسماء المخصوصة بهذه الدّائرة):
عند البعض في بعض هذا خلاف.
الشّكور، القهّار، القاهر، المقتدر، القوي، القادر، الرّحمن، الرّحيم، الكريم، الغفّار، الغفور، الودود، الرّؤوف، الحليم، الصبّور، البرّ، العليم، الخبير، الحكيم، الشّهيد، السّميع، البصير.
دائرة أسماء الأفعال
هذه مخصوصة بالحضرة الرّبوبيّة المطلقة الفعليّة.
العالم المعبر عنه بالملك من مظاهرها وحضراتها.
الكشف الحاصل للورثة وتابعيهم من العلماء من حضرتها.
الحديث النّبوي وما شاكل ذلك من الأخبار مخصوص بحضرتها.
(الأسماء المخصوصة بهذه الدّائرة):
عند البعض في بعض هذا خلاف.
المبدي، الوكيل، الباعث، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، الباري، البديع، المصوّر، الوهّاب، الرّزاق، الفتاح، القابض، الباسط، الخافض، الرافع ـ المعزّ،

العالم والقرآن على طبقات سبع

هذا آخر بحث الأسماء في صورة الدّوائر الثلاث، وآخر تطبيق الحديث بالقرآن، وتطبيق القرآن بالآفاق والأنفس بحكم الحديث النّبوي، وغير ذلك من التّطبيقات.

وحيث طال هذا البحث في هذا المقام وتحقّق بعض ما كان عندنا في هذا الباب، وثبت أنّ القرآن لا يجوز أن يكون مرتّباً إلاّ على الطبقات السّبع المذكورة مطابقاً لطبقات الخلق بأسرهم، أو طبقات العالم بأسرها، لأنّه لو كان على غير هذا الوضع لكان يلزم منه الإخلال بالواجب عليه وعلى النبيّ (ع)، لعدم حظ بعض الخلق منه،

(تطبيق الآفاق والأنفس، بالقرآن في كلمات الأولياء)

فلنشرع فيه بكلام الأولياء والأوصياء (ع)، كما شرطناه، ونثبت هذا المعنى أيضاً من فحوى كلامهم إن شاء الله وهو هذا: وبالله التّوفيق والعصمة وهو يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.

وأمّا قول الأولياء (ع):

فالأعظم قدراً والأحسن تركيباً والألطف ترتيباً قول قطبهم ورئيسهم وإمامهم ومقدّمهم، سلطان الأولياء والوصيّين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فإنّه في هذا الباب بل في كلّ الأبواب عديم النّظير والمثل بعد نبيّنا (ص)،

فمن ذلك قوله في بعض خطبه[83]:

واعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لا يغش والهادي الّذي لا يضلّ

المذلّ، الحكم، العدل، اللطيف، المعيد، المحيي، المميت، الهادي، الرّشيد، الوالي، التّوّاب، المنتقم، الجامع، المغني، المانع، الضّار، النّافع.

(٨٣) قوله ممن ذلك قوله في بعض خطبه الخ، نهج البلاغة الخطبة ١٧٦ صبحي الصالح.

والمحدّث الّذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً، أو نقصان من عمىً. واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنىً، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء: وهو الكفر والنّفاق، والغيّ والضّلال، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى الله تعالى بمثله. واعلموا أنه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدّق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن. فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم. العمل، العمل، ثم النهاية النهاية، والاستقامة، ثم الصبر الصبر، والورع الورع!، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن لكم علماً فاهتدوا بعلمكم، وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته. واخرجوا إلى الله بما افترض عليكم من حقه، وبيّن لكم من وظائفه. أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم.

ألا وإن القدر السابق قد وقع، والقضاء الماضي قد تورّد، وإنّي متكلم بعدة الله وحجّته، قال الله تعالى:

﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾ [سورة فصلت: ٣٠].

وقد قلتم: ربنا الله، فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، . . . . إلى قوله: وإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون، وبقي النّاسون أو المتناسون.

(القرآن وأسراره وشرط قراءته ولمسه)

والغرض من هذا اطّلاعك على أسرار القرآن ودقائقه، وعلمك بلطائف التّأويل وحقائقه من كلام أعلم الخلق، بعد رسول الله (ص) بالقرآن وبمعضلاته

وأقدرهم بحلّ رموزه ومشكلاته لأنّه القرآن الناطق والبرهان الصادق، كما أشار إليه في خطبته الافتخاريّة بقوله:

أنا آية الجبّار، أنا أنيس الفلك الدوّار، أنّا القرآن الناطق، أنا البرهان الصّادق، أنا حاء الحواميم، أنا طاء الطّواسم إلى آخر الخطبة فإن أكثرها على هذا الأسلوب [فقد مرّت الإشارة إليها في التعليقة ٣١].

وقوله أيضاً في موضع آخر:

وهذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرّجال [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٥٩].

إشارة إلى هذا أي أنّ القرآن ليس بناطق بل يحتاج هو إلى ناطق ينطق عنه، وذلك الناطق أنا وأمثالي من أهل بيت النّبي (ع) المعبّر عنهم بالرّجال، وتقديره أن هذا الكتاب الإلهي والكلام الرّباني المسطور بين الدّفّتين أعني بين الجلدتين ما له قوّة النّطق ولا قابليّة التّكلّم، بل يحتاج هو في نفسه إلى متكلّم يتكلّم عنه ومترجم يترجم منه، وإنما ينطق عنه الرّجال، أي الرّجال الإلهيّون المشار إليهم في قوله:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [سورة النور: ٣٧].

الموسومون بأولى الألباب، الموصوفون بالرّسوخ في جميع الأبواب، لقوله أيضاً:

﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكـر إلّا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

ومعلوم أن إنما للحصر، وأن الرجال فيه ألف ولام وذلك من علامة العهد، ومن علامة أنّه تعالى خصّ لهم تأويله وتحقيقه، لأنّهم من رجال ورد فيهم:

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]. ويدلّ على هذا أيضاً قوله تعالى:

﴿وإنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهرون﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٩].

لأنه إشارة إلى أن القرآن لا ينطق عنه وعن تأويله وتحقيقه، ولا يحصل مسّه

الحقيقي الذي هو عبارة عن الاطلاع على ظاهره وباطنه وباطن باطنه إلى أن يصل إلى الأبطن السبعة، إلا لرجال مطهّرين من أنجاس الشرك الجليّ والخفيّ ودنس رؤية الغير في الوجود مطلقاً، واللاّم في لا يمسه لام النّفي لا لام النّهي كما ذهب إليه أرباب الظاهر، وذلك لأن الإنسان لا يصير محبوباً لله تعالى إلا إذا صار طاهراً في الظاهر بالتوحيد الألوهي والقيام بأركان الشريعة، وفي الباطن بالتوحيد الوجودي والقيام بأركان الطريقة والحقيقة، لأنّه طاهر منزّه عن جميع النقائص ولا يحبّ الطّاهر إلا الطّاهر، من كمال النسبة بينه وبينه وطريق المؤانسة بأخلاقه وأوصافه، ولهذا قال:

﴿إن الله يحبّ التّوابين ويحبّ المتطهّرين﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

وقال النبيّ (ع): إن الله جميل يحبّ الجمال[٨٤].

وقال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

يعني كان عارفاً أزلاً بطهارتهم في الأبد ومحبّتهم له ومحبّته لهم.

---

(٨٤) قوله: وقال النبيّ (ص): إنّ الله جميل يحبّ الجمال.

أقول: ورد الحديث عن رسول الله (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) وعن الصادق (ع) وكلّهم نور واحد عليهم آلاف التحيّة والسلام، الكليني في الفروع ج ٦ ص ٤٣٨ باب التجمّل وإظهار النعمة الحديث ١ بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع): إن الله جميل يحبّ الجمال، ويحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده. وأيضاً الحديث ٤ بإسناده عن علي بن أسباط، عمّن رواه، عن الصادق (ع) قال: إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحبّ أن يراها عليه، لأنّه جميل يحبّ الجمال.

وروى النوري في المستدرك ج ٣، باب ١٥ من أبواب أحكام الملابس ص ٢٥٤، الحديث ١، عن دعائم الإسلام ج ٢، ص ١٥٥، الحديث ٥٥١ عن الصادق (ع) أنّه قال: قال عليّ (ع): مثل قبله.

وروى ابن أبي جمهور في عوالي اللئالىء ج ٢، ص ٢٨، الحديث ٦٧ عن رسول الله (ص). وأيضاً أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ١٣٤ و ١٥١ بإسناده عن أبي ريحانة في الأوّل وعن عقبة بن عامر عن رسول الله (ص)، ومسلم في صحيحه ج ١، ص ٩٣، الحديث ١٤٧، بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص). وأيضاً في المستدرك للحاكم ج ١، ص ٣٦، وج ٤، ص ١٨١، وأيضاً أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٢٦٣، الحديث ١٧٢٠.

ومن هذا ورد في الحديث القدسي:

لا يزال العبد متقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبه، فإذا أحببته فكنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق بي يبطش وبي يمشي(٨٥).

ولطلب المناسبة قال أيضاً مخاطباً لنبيّه (ع):

﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

وأخبرعن قوم يوجدون بعده على هذه الأوصاف ويكونون من (محبّيه) بقوّة المناسبة وحسن الأخلاق، بقوله:

---

(٨٥) قوله: ومن هذا ورد في الحديث القدسي: لا يزال لعبد متقرّب إليّ بالنوافل الحديث.

أقول: الحديث بمضمونه متفّق عليه بين الفريقين ومشهور بين العامّة والخاصّة ومرويّ في جوامع روائيهم، ويعبّرون عن مضمونه بحبّ النوافل أو قرب النوافل ولا يخفى أفضليّة قرب الفرائض وحبّها كما هو مصرّح في الحديث وغيره.

وأمّا لفظ الحديث:

رواه الكليني (رض) في الأصول ج ٢، ص ٣٥٢، الحديث ٨ و ٧ بإسناده عن حمّاد بن بشير قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: قال رسول الله (ص): قال الله عزّ وجلّ: من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به، ولسانه الّذي ينطق به، ويده الّتي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، الحديث.

والحديث ٨ قريب منه ومثله، ورواه البرقي بإسناده عن حنان بن سدير، عن الصادق (ع) عن رسول الله (ص) ص ٢٩١، الحديث ٤٤٣، والصدوق (رض) في التوحيد ص ٣٩٩، الحديث ١، باب ٦٢ بإسناده عن أنس، عن النبيّ (ص) عن جبرائيل، عن الله عز وجلّ، قال: قال الله تبارك وتعالى: من أهان وليّاً لي بارزني بالمحاربة، وما تردّدت في شيء أنا فاعله مثل ما ترددت في قبض المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له منه، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنفّل لي حتّى أحبّه، ومتى أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيّداً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته الحديث.

وأخرج في صحيح البخاري قريب منه ومثله ج ٨، ص ١٣١ بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ (ص)، وأخرج أيضاً أحمد في مسنده ص ٢٥٦ بإسناده عن عائشة عن رسول الله (ص)، وأخرجه أيضاً الغزالي في إحياء العلوم ج ٤، ص ٣٢٧.

وورد أيضاً في أفضليّة قرب الفرائض في أصول الكافي ج ١، ص ٨٢، الحديث ٥ بإسناده عن الحلبي، عن الصادق (ع)، قال:

قال الله تبارك وتعالى: ما تحبّب إليّ عبدي بأحبّ ممّا افترضت عليه.

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم الآية﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

لأن هذا إخبار عنهم وعن المناسبة الحقيقيّة والطّهارة الذاتيّة الجبليّة، أي جبّلة لهم بالذّات، وبالجملة لا يمسّ كتابه الكريم بالحقيقة، أي لا يطّلع عليه إلّا الطّاهرين من النّجاسات المذكورة والمنزّه عن الأخلاق الذّميمة، ومن هذا قال: وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم، لأنّ .... مناسبة حقيقية من هذه الوجوه، رزقنا الله الاتّصاف بها وبأمثالها .... إلى تحصّل الطهارات الحقيقيّة والكمالات الأخرويّة، ووفقنا للقيام بتأويل القرآن والحقيقة.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ القرآن كحكم نازل من سلطان مجازي على عبيده وأرباب دولته، فإن لم يحصل لهؤلاء مثلاً الاطّلاع على جميع ما في ذلك الحكم، كيف يمكن لهم الحكم به أو ببعضه، لأنّهم لو حكموا ببعض ما فيه دون اطّلاعهم على ذلك البعض الآخر، يمكن أن يكون هذا البعض مخالفاً لذلك البعض الباقي، ويحصل لهم الضّرر من السلطان حيث إنّ الحكم كان بعضه متعلّقاً بالبعض ومنوطاً به وهم ما رعوا هذا الأمر، وحكموا بالبعض دون البعض، فإن قالوا في الجواب كان الحكم مشتملاً على أسرار كثيرة ودقائق جليلة وما كنّا نتمكّن من الاطلاع عليها، يقول لهم السلطان: ما كنت بعثت إليكم مع الحكم وزيري يعلم الكلّ؟ لِمَ ما سألتم عنه كلّ ما كان يشكل عليكم وقد قلت:

﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقلت:

﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة النحل: ٤٣].

ومعلوم أنّ هذا يكون لهم إلزاماً تامّاً مسكتاً عن الجواب مطلقاً، فكذلك القرآن فإنّه حكم إلٰهي نازل من سلطان حقيقيّ على عبيده وأرباب دولته كالخلق والرّسل، ليقوموا بجميع ما فيه من الأحكام والأسرار لقوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وليعلم بعضهم بعضاً كلّ ما فيه، فإذا قام أحدهم ببعضه الّذي هو التّفسير

وقعد عن بعضه الّذي هو التّأويل، يمكن أن يخالف ذلك البعض الّذي قام به هذا البعض الّذي قعد عنه فكيف يكون حاله عند سؤال السلطان عن هذا الحال والقيام بتأديبه لذلك الإهمال، نعوذ بالله من سخطه وغضبه وإلى هذا أشار بقوله:

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة المائدة: ٤٧].

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [سورة المائدة: ٤٥].

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

فإن قال في الجواب ما قال العبيد المجازي للسلطان المجازي فيكون جوابهم أيضاً تلك الآيات التي كانت جواباً لهم، وقد ورد كثيراً في القرآن مثل هذه الآيات في مذمّتهم ومنقصتهم عن ترك تدبّر القرآن وترك تأويله وتحقيقه وترك التوجّه إلى تحصيل ما فيه من الأحكام والأسرار، كقوله:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمد: ٢٤].

وكقوله: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنّما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنّا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جاءكم بيّنةٌ من ربّكم وهدىً ورحمة فمن أظلم ممّن كذّب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾** [سورة الأنعام: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وكقوله: **﴿لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير﴾** [سورة الملك: ١٠].

وكقوله: **﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها حتّى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين﴾** [سورة الأنعام: ٢٥].

وعلى هذا التّقدير يجب عليك وعلى كلّ أحد الاطلاع على ما في ضمن القرآن إجمالاً وتفصيلاً، ويجب على كلّ أحد تفسيره وتأويله وتأويل تأويله إلى أن يصل إلى نهاية الأبطن السّبعة بحكم الآية أو الخبر، لئلاّ يلزم منه الإخلال بالواجب

ويستحقّ به العذاب الدّائم، وهذا مثل شريف في هذا الباب والله أعلم بالصواب وإلى الله المرجع والمآب.

﴿ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلهم يتذكّرون﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

هذا أبحاث وأسرار ليس يحتمل هذا المكان أكثر من ذلك، والله أعلم وأحكم، وبه العصمة والتوفيق.

وأمّا قول العلماء والمشائخ رضوان الله عليهم أجمعين، فأحسنه وألطفه ما قال الغزالي رحمة الله عليه في جواهر القرآن[٨٦]: إنّ القرآن بحر لا ساحل له، والنّاس غوّاصون فيه بقدر فهمهم واستعدادهم في علم الغوص والسّباحة، وفيه أنواع الجواهر واللآلي وأصناف اليواقيت والزّبرجد، والنّاس متفاوتون في طلبها بقدر معرفتهم وفطنتهم وذكائهم وحدسهم، وقد أوّل كل آية بجوهرة أو درّة بما عرف من المناسبة بينها وبينها حتّى عدّ من الآيات الّتي سمّاها جوهرة سبعمائة وثلاث وستّون آية، ومن الآيات التي سمّاها درّة سبعمائة وإحدى وأربعون آية، وأوّل ذلك قوله:

فإنّي أنبّهك أيّها المسترشد في تلاوتك المتّخذ دراسة القرآن عملاً المتلقّف عن معانيه ظواهر وجملاً.

فأقول: إلى كم تطوف على ساحل البحر مغمضاً عينيك عن غرائبها أو ما حان لك أن تركب متن لجّتها لتبصر عجائبها وتسافر إلى جزائرها واجتناء أطايبها، بل تغوص في عمقها فتستغني بنيل جواهره، أو ما تستغبن نفسك في الحرمان عن درّرها وزواهرها بإدمان النّظر إلى سواحلها وظواهرها، أو ما بلغك أنّ القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأوّلين والآخرين كما ينشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها أو ما تغبط أقواماً خاضوا لجة غمرة أمواجها فظفروا بالكبريت الأحمر وغاصوا في أعماقها واستخرجوا اليواقيت الأحمر والدّر الأزهر

---

(٨٦) قوله: ما قال الغزالي الخ.

جواهر القرآن ص ٥ بعد الخطبة.

والزّبرجد الأخضر وساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبر الأشهب والعود الرّطب الأنضر وتغلغلوا إلى جزائرها، فاستدرّوا من حيواناتها التّرياق الأكبر، والمسك الأذفر، فها أنا أرشدك قاضياً حق أخاً بك ومرتجياً بركة دعائك إلى كيفيّة سياحتهم وغوصهم وسباحتهم.

(بيان الكبريت والياقوت والترياق)

فأقول: إعلم أن معرفة الله تعالى هي الكبريت الأحمر وتشتمل معرفته على معرفة الذّات ومعرفة الصّفات ومعرفة الأفعال، وهذه الثلاث هي اليواقيت فإنّها أخصّ فوائد الكبريت الأحمر وكما أن لليواقيت درجات، فمنها الأحمر والأكبر والأصغر وبعضها أنفس من بعض فكذلك هذه المعارف الثلاث، ليست على رتبة واحدة، بل أنفسها معرفة الذّات وهو الياقوت الأحمر، ثم تليها معرفة الصفات وهو الياقوت الأكبر، وتليها معرفة الأفعال وهو الياقوت الأصغر.

ثم اعلم، أنّ الكبريت الأحمر عند الخلق في عالم الشّهادة عبارة عن الكيمياء الّتي يتوصّل بها إلى قلب الأعيان من الصّفات الخسيسة إلى الصّفات النّفيسة حتّى ينقلب به الحجر ياقوتاً والنّحاس ذهباً، ليتوصّل به إلى لذّات في الدّنيا مكدّرة منغصة في الحال منصرمة على قرب من الاستقبال، افترى إنّما تقلب جوهر القلب من زواله البهيميّة وضلالة الجهل إلى صفاء الملكيّة وروحانيّتها لترقّى من أسفل سافلين إلى أعلى عليّين وينال به لذّة القرب من ربّ العالمين والنّظر إلى وجهه الكريم أبداً دائماً سرمداً، بل هو أولى باسم الكبريت الأحمر أم لا؟ فلهذا سمّيناه بالكبريت الأحمر، فتأمّل وراجع نفسك وأنصف لتعلم أن هذا الاسم بهذا المعنى أحقّ وأصدق، ثم أنفس النفائس الّتي يستفاد من الكيمياء، اليواقيت وأعلاها الياقوت الأحمر، فلذلك سمّينا به معرفة الذات.

وأمّا الترياق الأكبر فهو عند الخلق عبارة عمّا يشفي عن السّموم المهلكة الواقعة في المعدة مع أنّ الهلاك الحاصل بها ليس إلا هلاكاً في حق الدّنيا الهالكة الفانية.

فانظر إن كان سموم البدع والأهواء والضّلالات الواقعة في القلب مهلكاً،

هلاكاً يحول بين المسموم به وبين عالم القدس ومعدن الرّوح والرّاحة، حيلولة دائمة أبديّة سرمديّة، وكانت المحاجات البرهانيّة تشفى عن تلك السّموم وتدفع ضررها، بل هي أولى أن تسمّىٰ بالتّرياق الأكبر أم لا؟

وأمّا المسك الأذفر فهو عيان في عالم الشّهادة عن شيء يستصحبه الإنسان فتثور منه رائحة طيّبة يشهره وتظهره حتّى لو أراد اخفاءه لم يختف لكن يستطير وينتشر، فانظر إن كان في المقتضيات العلميّة ما ينتشر منه الاسم الطيب في العالم ويشتهر به صاحبه اشتهاراً لو أراد الاختفاء وإيثار الخمول لم يقدر عليه بل يشهره ويظهره، فاسم المسك الأذفر عليه أحق وأصدق أم لا؟، وأنت تعلم أن علم الفقه ومعرفة أحكام الشّريعة يطيب الاسم وينشر الذّكر ويعظم الجاه وما ينال القلب من روح طيب الاسم وانتشار الجاه أعظم كثيراً ممّا ينال المشام من طيب رائحة المسك.

وأمّا العود الأنضر فهو عبارة عند الخلق عن جسم من الأجسام لا ينتفع به لكن إذا ألقى على النّار حتّى احترق في نفسه تصاعد منه دخان فينتشر ينتهي إلى المشام فيعظم نفعه وجدواه ويطيب بجواره وملقاه، فإن كان في المنافقين وأعداء الله أظلال كالخشب المسنّدة لا منفعة لها ولكن إذا نزل بها عقاب الله ونكاله من صاعقه وخسف وزلزلة حتّى يحترق ويتصاعد منه دخان الخوف فينتهي إلى مشام القلوب فيعظم نفعه في الحث على طلب الفردوس الأعلى وجوار الحقّ تعالى والصرف عن الضّلال والغفلة واتّباع الهوى، فاسم العود عليها أصدق وأحق أم لا؟

فيكفيك من شرح هذه الرّموز هذا القدر، فاستنبط الباقي من نفسك وحلّ الرّمز فيه إن أطقت وكنت من أهله والله أعلم وأحكم، هذا آخره وآخر النقليّات وأمثال ذلك كثيرة في هذا الباب.

وإذا كان كذلك ويكون القرآن مشتملاً على هذه العلوم والأسرار واللطائف والأركان والجواهر والأزهار يكون له هذه الحقائق الشّريفة والدّقائق العظيمة والكنوز الكثيرة والدفائن الجليلة والنّفائس الكريمة ويكون حرف واحد منه يحتمل من المعاني حمل سبعين.... كفاتحة الكتاب مثلاً بأنّها جامعة لجميع علوم الأوّلين والآخرين، وكسورة الإخلاص بأنّها تعدل ثلث القرآن وبل عقول جميع

العقلاء وعلوم جميع العلماء لم يتجاوز عن الأسرار المودعة فيها، فكيف لا يكون له تأويل وتأويل تأويل إلى أن يصل إلى نهاية الأبطن السّبعة وكيف لا يكون تأويله واجباً وتأويل تأويله فرضاً لازماً، لئلاّ يلزم من عدم تأويله تعطيل هذه الأحكام وإبطال هذه المقاصد وانهدامه وإهمال قواعد الحلال والحرام ويؤدّي إلى الفسق والظّلم والكفر المذكورة في الآية السّابعة من كلام الملك العلاّم، وحيث ثبت هذا بهذه الوجوه عقلاً ونقلاً وكشفاً. فلنشرع فيه بوجه آخر أحسن منه وهو وجه التّفصيل والبسط من طريق الخطاب ممزوجاً بالمعقول وأصول الكلام موافقاً للحكمة في بعض المقام لإثبات أنّ القرآن بحسب المعنى غير قابل للانتهاء والانقطاع وإن كان بحسب الصورة كذلك وهو هذا:

الوجه الثالث

في بيان أنّ القرآن مترتّب على ترتيب طبقات الخلق بحسب الصّورة مع أنّه غير قابل للانتهاء والانقطاع بحسب المعنى

إعلم أنّ هذا البحث من حيث تطبيقه بطبقات الخلق إجمالاً وتفصيلاً قد سبق، فلم يبق إلا تطبيقه بالعالم مطلقاً وبيان أنّه غير قابل للانتهاء والانقطاع وفيه بحثان.

(سبب نزول الكتاب وعلّة خلقة الخلق)

البحث الأوّل: في بيان علّة الكتاب وسبب نزوله وله مقدّمات تجمعها مقدّمة واحدة وهي أن تعرف أنّ الله تعالى خلق الخلق لغرض وهو معرفته وعبادته لقوله في الأوّل:

كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٠٤ فراجع].

ولقوله في الثّاني: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [سورة الذّاريات: ٥٦].

وذلك لئلاّ يقع فعله مهملاً وعبثاً لأنّ (كلّ شيء) يكون بغير غرض صحيح يكون عبثاً، والعبث عليه (منه) تعالى محال ولهذا قال:

﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥].

وقال: **﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾** [سورة الأنبياء: ١٦].

فحينئذ يجب أن يكون فعله لغرض صحيح حتى لا يقع منه العبث والإهمال ولكن لا يجوز أن يكون ذلك الغرض عائداً إلى ذاته المقدّسة بحيث يكون كماله منه بل إلى عبيده الّذين خلقهم لأجل ذلك الغرض كما سبق ذكره لأنّه لو كان عائداً إليه للزم النقص والاحتياج لاقتضاء الاستكمال بالغير الّذي هو من لوازم الممكن لا الواجب، وهذا غير جائز فلا يكون عائداً إليه أصلاً، فإذا لم يكن عائداً إليه فلا بدّ وأن يكون عائداً إلى عبيده ولا يلزم منه الفساد المذكور، وأمّا فائدة العود إلى العبيد فهو أنّهم إذا عرفوه وقاموا بعبادته على ما ينبغي صعدوا من درجة النّقصان إلى درجة الكمال ومن دَرَك الشّقاوة إلى درج السّعادة وحصل لهم الخلود في الجنّة والفوز بالوصول إلى لقاء ربّ العزّة، وذاته المقدّسة جلّ جلاله منزّه عن أمثال ذلك بكماله الذّاتي واستغنائه الحقيقي، لأنّه من حيث الذّات غنيّ عن إيجادهم وتكليفهم، منزّه عن كونهم وإسلامهم، كما أشار إليه في كتابه العزيز بقوله:

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد﴾ [سورة إبراهيم: ٨].

لأنّ من إيجادهم وتكليفهم ما زاد في كماله شيء ولا من إعدامهم وارتفاع تكليفهم ينقص عن (من) كماله شيء تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل هو الآن على ما كان عليه في الأزل، لقول النبيّ (ص): «كان الله ولم يكن معه شيء»(٨٧)

---

(٨٧) قوله: لقول النبيّ (ص): كان الله ولم يكن معه شيء.

روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ١٤٥، الحديث ١٢، بإسناده عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر (ع)، قال: سمعته يقول: كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما كوّن، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعدما كوّنه.

وروى أيضاً ص ٦٦ الحديث ٢٠، بإسناده عن جابر الجعفي، قال: جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر (ع)، فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يفسّرها لي، وقد سألت

ولقول عارف أُمّته وهو الآن كما كان(٨٨).

ثلاثة أصناف من النّاس، فقال كلّ صنف غير ما قال الآخر، فقال أبو جعفر (ع): وما ذلك؟ فقال: أسألك: ما أوّل ما خلق الله عز وجلّ من خلقه؟ فإنّ بعض من سألته قال: القدرة، وقال بعضهم: العلم، وقال بعضهم: الروح، فقال أبو جعفر (ع): ما قالوا شيئاً، أخبرك أنّ الله علا ذكره، كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا عزّ لأنّه كان قبل عزّه، وذلك قوله: ﴿**سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون**﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٨٠] وكان خالقاً ولا مخلوق فأوّل شيء خلقه من خلقه الشيء الّذي جميع الأشياء منه، وهو الماء، فقال السائل: فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال: خلق الشيء لا من شيء كان قبله، ولو خلق الشيء من شيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الّذي جميع الأشياء منه، وهو الماء.

وأخرج البخاري في صحيحه ج ٤، ص ١٢٨، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وهو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده**﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٧]، من كتاب بدء الخلق الحديث ٣ بإسناده عن عمران بن حصين عن النبيّ (ص) قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء الحديث.

وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ٤٣١.

(٨٨) قوله: ولقول عارف أمّته: وهو الآن كما كان.

أقول: القول حديث مرويّ عن الكاظم عليه الصلاة والسلام ولعل مراد السيد المؤلف من عارف الأمّة هو الإمام المعصوم (ع)، روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ١٧٨، الحديث ١٢، باب ٢٨، بإسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفريّ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع) أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يحلّ في مكان، ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا**﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٧]، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلّا هو الكبير المتعال.

وفي معناه حديث آخر رواه البرقي في المحاسن ج ١، ص ٢٤٢ الحديث ٣٢٨، باب جوامع من التوحيد، بإسناده عن جابر عن الباقر (ع) قال: إن الله تبارك وتعالى كان وليس شيء غيره، نوراً لا ظلام فيه، وصدقاً لا كذب فيه، وعلماً لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه، وكذلك هو اليوم وكذلك لا يزال أبداً.

وذكره الصدوق في التوحيد باب صفات الذات وصفات الأفعال حديث ٥، ص ١٤٠ وفيه: وعالماً لا جهل فيه وحيًّا لا موت فيه.

والقول، منقول ومعروف عن الجنيد البغدادي وهو قاله حين سمع حديث: كان الله ولم يكن معه شيء.

(الغرض من التكليف وإرسال الرسل)

وبالجملة فإذا خلقهم وكلّفهم بتكليف وليس لهم علم بكيفيّة ذلك التّكليف ولا استعداد تعلمه منه تعالى بأنفسهم ولا قابليّة تحصيله بعقولهم الضّعيفة وأفكارهم الرّكيكة، فلعدم إيفاء عقولهم بحقيقة ذلك التكليف وضعف نفوسهم عن دركه.

وأمّا الأوّل فلعدم المناسبة بينه وبينهم وعدم القابليّة لذلك في أكثرهم أمّا بالذّات أو بالعرض، أو بكليهما لأنّ الفاعل والقابل لا بدّ بينهما من مناسبة مّا حتّى يقع الفعل من الفاعل والقبول من القابل (ويحسن) ويحصل الغرض من الطرفين، وإلّا الفاعل بدون القابل لم يمكن من الفعل أصلاً، ولذلك يمتنع عليه تعالى إيجاد شريكه لأنّه مستحيل الوجود في ذاته كما هو واجب الوجود في ذاته، ومحال أن يقبل العدم المطلق، الوجود، كما أنّه محال أن يقبل الوجود المطلق العدم، ومن هذا انحصرت الفاعليّة والقابليّة في الواجب والممكن، وهذا لممتنع، فإنّ الممتنع ليس له هذه القابلية في ذاته لأنّه لو كان كذلك لم يكن ممتنعاً، فالفاعل الحقيقي هو الواجب دائماً والقابل هو الممكن دائماً، وهذا بحث مفروغ عنه عند أهله وليس له دخل في هذا المقام لكن لا يخلو من فوائد. والغرض أنّ هؤلاء المكلّفين إذا لم يكن لهم قابليّة أخذ التكليف منه تعالى بأنفسهم لقوله جلّ ذكره:

﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنّه عليّ حكيم﴾ [سورة الشورى: ٥١].

وإنّه تعالى كلّفهم بذلك ولا بدّ منه فيجب عليه تعالى حينئذٍ تعيين جماعة يكون بينه وبينهم مناسبة ما من حيث التّقدس والتجرّد والتّنزّه والطّهارة الحقيقيّة والتخلّق بأخلاقه والاتّصاف بصفاته، وكذلك بينهم وبين المكلّفين من الإمكان والحدوث والبشريّة والخلقة والاتحاد في النوع والمشاركة في الوضع والشّكل، ملكاً كان أو بشراً أو كلاهما حتّى يأخذون التكليف من الأوامر والنّواهي والعلوم والحقائق المتعلّقة بالشّرع منه تعالى بحكم المناسبة ويوصلونها إليهم أيضاً بحكم المناسبة، لقوله:

﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [سورة الأنعام: ٩].

فإذا عيّن مثل هؤلاء الجماعة وسمّاهم أنبياء ورسلاً وبعثهم إلى الخلق والمكلّفين من العباد وأمرهم بالدّعوة والإرشاد مشتملاً على البشارة والإنذار وعلى اللّطف والقهر من حضرة الملك الجبّار،

لقوله: ﴿مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرسل﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

(لابدّ مع بعثة النّبي بالأمرين: إظهار المعجزة وإنزال الكتاب)

فحينئذٍ لا بد له من شيئين آخرين: **الأوّل** إظهار معجزات وكرامات على أيديهم وألسنتهم تكون موجبةً لتصديقهم وعدم تكذيبهم بأنّهم رسل من عند الله، لأنّه لو لم يفعل ذلك لم يحصل غرضه ويقع فعله عبثاً كما مرّ، لأنّ النّاس إذا لم يكن لهم وقوف بقول هؤلاء الجماعة وأفعالهم لا يلتفتون إليهم ولا يقبلون قولهم في شيء أصلاً كما أخبر الله تعالى في قوله مفصلاً:

﴿وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خِلالها تفجيراً﴾ [سورة الأسراء: ٩٠- ٩١]. إلى آخر الآيات.

ومعلوم أنّ مع الإنكار والجحود لا يحصل الإقرار والشّهود، ومن هذا قلنا يجب عليه تعالى إظهار أمثال ذلك على أيديهم وألسنتهم، لكي يقبلوا قولهم ويعرفوا قدرهم ويقوموا بالأمر على ما ينبغي، لأنّه فرق كثير بين شخص يرى مثل هذا منهم حساً ومشافهة وبين شخص ما يرى منهم شيء من هذا لا حسًا ولا مشافهة، لأنّ المحسوسات لها حظّ كثير في إدراك المعقولات، لأن كل عاقل يكون في دركه كاملاً يعرف حقيقة أنّ الله تعالى لا يظهر المعجز على هذا الكذّاب والسّاحر والكاهن، لأنّ هذا يكون من قبيل إغراء الخلق وإغوائهم، وهذا عليه تعالى محال عقلاً ونقلاً.

وإذا عرف هذا فلا بدّ وأن يقبل معجزتهم خصوصاً إذ كانت المعجزة مع التّحدّي فلهذا شرط في المعجزة التّحدّي ولو لم يشرط ذلك في الكرامات وغيرها

لأنّ صاحب الكرامات ليس بمتمكّن من التحدّي في كلّ وقت، بل الكرامات سهل منه في بعض الأوقات من غير اختيار وإن صدر بالاختيار أيضاً، وإذا قبل معجزتهم وتحقّق عنده صدقهم فلا بدّ أن يقبل قولهم، ويحصل المقصود منه، هذا إذا كان الشخص عاقلاً في نفسه وله تصوّر صحيح ويعرف هذه القاعدة على الوجه المذكور، ويفرّق بين المعجزة والكرامات والسّحر والكهانة، فأمّا إذا لم يكن من هذا القبيل ولمّ يكن له تصوّر ولا تعقّل، مثل الكفّار والمشركين الّذين أخبر الله تعالى بسلب عقولهم وعدم فهمهم لقوله:

﴿**صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون**﴾. [سورة البقرة: ١٧١].

فهناك لا ينفع معجزة ولا كرامات ولا دليل ولا برهان ولا عقل ولا نقل، وفيهم وفي أمثالهم ورد:

﴿**وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].

والثاني: إنزال كتاب يكون مشتملاً على ترتيب أمورهم في المعاش والمعاد وما بينهما ويبقىٰ بينهم في حياة ذلك النبيّ ولا تهمل الأمور المشكلة والأحكام الشرعيّة في زمان الفترة والغيبة كما قال أمير المؤمنين (ع) بالنّسبة إلى نبيّنا (ص):

وخلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح ولا عَلَم قائم كتاب ربّكم فيكم مبيّناً حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه إلى آخره. [نهج البلاغة الخطبة الأولىٰ].

(وجوب نصب الإمام على الأنبياء)

ومن هذا وجب أيضاً تعيين الإمام ونصبه على الله تعالى وعلى الأنبياء والرّسل (ع) ليحفظ أحكام الشّرع ويبيّن ما في الكتاب النّازل على النبيّ الّذي هو من قبله كما أشار إليه النبيّ (ص) في قوله:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض

ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً» [فقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة رقم ٨٤ فراجع].

هذا من حيث النقل. فأمّا من حيث العقل فواجب (عند) الشيعة الإماميّة لمّا أمكن وقوع الشّر والفساد وارتكاب المعاصي بين الخلق وجب في الحكمة وجود رئيس قاهر آمر بالمعروف وناه عن المنكر، مبيّن لما يخفى على الأمّة من غوامض الشرع.... ليكونوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد ويأمنوا وقوع الفتن والفساد، وكلّ من كان كذلك يكون وجوده لطفاً واللطف واجب على الله تعالى، فيكون نصب الإمام بعد النّبي واجباً على الله تعالى، ويكون وجود هذا الإمام لطفاً بين الأمّة.

والدليل على أنّه يجب نصب الإمام على الله تعالى، وهو أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً ليحصل غرض الحكيم من نصبه، والعصمة أمر خفيّ لا يطّلع عليه أحد غيره جلّ ذكره، فيجب عليه تعيينه لئلاّ يلزم الإخلال بالواجب، ومن هذا يجب أن يكون الإمام منصوصاً ومعصوماً، ومن هذا ومع الاختلاف بين الناس في نصب الإمام، وقال بعضهم بوجوبه عقلاً وبعضهم بوجوبه سمعاً وبعضهم بوجوبه عقلاً وسمعاً وبعضهم لا عقلاً ولا سمعاً وبعضهم بوجوبه على الله وبعضهم بوجوبه على الخلق، وأمّا القائلون بوجوبه عقلاً فهم المعتزلة والإماميّة، وأمّا القائلون بوجوبه سمعاً فهم الأشاعرة، وأمّا القائلون بوجوبه عقلاً وسمعاً فهم المحققون من أهل الله، وأمّا القائلون بوجوبه لا عقلاً ولا سمعاً فهم الخوارج، وأمّا القائلون بوجوبه على الخلق فهم الأشاعرة لأنّهم قالوا بالإجماع والقياس، وأمّا القائلون بوجوبه على الله تعالى فهم الشيعة الإماميّة لأنهم قالوا بالنصّ والعصمة كما سبق ذكرهما، وبالجملة لا بدّ من نبيّ معصوم وبعده من إمام معصوم ليبيّن للخلق الكتاب المتخلّف من النبيّ ويعلّمهم أحكامه من الأوامر والنّواهي ويرشدهم إلى تفسيره وتأويله.

(وجوب كون الكتاب وافياً بالمطالب ومفيداً لكلّ طبقة من طبقات الناس)

ولا بدّ من أن يكون ذلك الكتاب وافياً بالمطالب الإلهيّة في الشّرع والمقاصد النبويّة في الإسلام مشتملاً على الأذكار الجاذبة إلى الله تعالى محتوياً على أنواع

الوعد والوعيد والثّواب والعقاب والبشارة للمطيع لله ولرسوله، والإنذار للعاصي لأوامرهما ونواهيهما ويكون مترتّباً على الأسرار الملكوتيّة والحقائق الجبروتيّة والغوامض الإلهيّة والدّقائق الرّبانيّة، ليشمل الخاصّ والعامّ، وعلى أحكام الحلال والحرام والفرائض والسّنن والقصص والعبر والنّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأمثال ذلك إلى غير النّهاية من الأسرار والأحكام،

وحيث أنّ الخلق مختلفون في الاستعدادات والحقائق والماهيّات لقوله تعالى:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [سورة هود: ١١٨].

وليسوا على طبقة واحدة فيجب أن يكون هذا الكتاب شاملاً للكلّ مترتّباً على ترتيب طبقاتهم ودرجاتهم في المرتبة والاستعداد ليصل كلّ واحد منهم إلى حقّه المعيّن له في الأزل بحسب القابليّة.

لقوله تعالى: **﴿قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾** [سورة التّوبة: ٥١].

ولا يلزم من الحكيم الكامل الإخلال بالواجب والعبث في أقواله وأفعاله، لأنّ من الخلق بأجمعهم إلى يوم القيامة أو إلى غير النّهاية عند البعض، لو خرج شخص واحد من الدّنيا ولا يكون له حظّاً من الكتاب ولا نصيباً من اللطف الواجب عليه تعالى الّذي أوّله الكتاب يلزم الفساد المذكور الّذي هو الاخلال بالواجب والإهمال والعبث في الأقوال والأفعال، والّذي ورد عن مولانا جعفر بن محمّد الصادق (ع) أنه قال:

كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللّطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ واللّطائف للأولياء والحقائق للأنبياء(٨٩)،

---

(٨٩) قوله: والّذي ورد عن مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) رواه مرسلاً الشيخ تاج الدين محمد بن محمد الشعيري من أعلام القرن السادس في كتابه جامع الأخبار ص ٤١ عن مولانا الحسين بن عليّ عليه الصلاة والسلام، ونقل عنه المجلسي في البحار ج ٩٢، ص ٢٠، الحديث ١٨. وأيضاً رواه المجلسي عن الدرة الباهرة في البحار ج ٩٢، ص ١٠٣، الحديث ٨١، وعن كتاب الأربعين ج ٧٢، ص ٢٧٨، الحديث ١١٣، كلاهما عن مولانا الصادق عليه الصلاة والسلام.

إشـارة إلى هذا، أي إلى أنّ هذا الكتـاب (لا بدّ أن يكـون) شاملاً للكلّ بحسب استعداداتهم وقابليّاتهم.

وأيضاً قد تقرّر في الأصول كما بيّناه مراراً أنّ اللطف واجب على الله تعالى بحيث لا يخلو أحد منه من خلق الله ولا زمان من الأزمنة المتعاقبة المتتالية ولو طَرفة عين، ومن جملة ألطافه بعد النبيّ والإمام، الكتاب النّازل على الخلق المشتمل على مصالح معاشهم ومعادهم، فإن لم يكن هذا الكتاب شاملاً للكلّ، وهذا النّبيّ والإمام باقياً لبيانه ما دام التّكليف باقياً على وجه الأرض أو إلى يوم القيامة، يكون الحقّ تعالى مخلاً بالواجب وهذا محال، لأنّه حكيم كامل والحكيم الكامل لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب، وعلى هذا التّقدير يجب أن يكون هذا الكتاب باقياً وهذا الإمام المسمّى بالخليفـة عند البعض، وبـالقطب عنـد البعض، موجـوداً ما دام المكلّف موجوداً.

وإن قلت: لا يلزم الاخلال بالواجب من الله تعالى إن لم تصل دعوة نبيّ من أنبيائه أو إرشاد كتب من كتبه إلى جميع المكلّفين، فإنّ كثيراً من الأنبياء كـانوا مبعوثين إلى بعض النّاس ولم يكونوا مأمورين بإرشاد الكلّ، كيونس وذي النّون وجرجيس وغيرهم.

قلنا: لا نسلّم ذلك فإنّه قد تقرّر في الأصول، أنّ كلّ زمان لا بدّ له من نبيّ معصوم أو إمام معصوم من قبله، يكون وجوده لطفاً بالنّسبة إلى ذلك الزّمان وأهله، وجميع الأنبياء كانوا كذلك، والمراد ها هنا بالأنبياء، الرّسل، لأنّ كلّ نبيّ ليس برسول، ويجوز أن يكون في زمان واحد كم من نبيّ، ولا يجوز أن يكون في زمان واحد رسولين ولا إمامين، لكن حيث كانوا في بقعة أو عند قوم خصّصوا بهم كما قال تعالى في حق نبيّنا (ص):

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الّذي بين يديـه ولتنذر أم القـرىٰ ومن حولها﴾ [سورة الأنعام: ٩٢].

ومعلوم أنّ نبيّنا كان مبعوثاً إلى الكلّ لقوله تعالى:

﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

لكن خصّص بمكّة وأهلها تخصيصاً بمولده ومنشئه وإلّا كلّ نبيّ أو رسول أو إمام يكون بعدهم يكون لطفاً في حقّ الجميع أعني من المشرق إلى المغرب، وكلّ من لم يصل إلى هذا اللطف يكون المنع منه لا من الرّسول والإمام أو الحقّ تعالى جلّ ذكره، وإلى هذا أشار في كتابه بقوله:

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

وأمثال ذلك في القرآن كثيرة، وهذه قاعدة مطّردة بين العلماء لا سيّما بين الإماميّة والمعتزلة والصّوفيّة الحقّة أيضاً، وليس المراد هذا البحث بل المراد أنّ هذا الكتاب النّازل على نبيّنا يجب أن يكون شاملاً للكلّ أي كلّ ما في هذا العالم، إنساناً كان أو حيواناً، نباتاً كان أو جماداً، أعني يكون محتوياً على مصالحهم في معاشهم ومدارجهم ومراتبهم مطلقاً، لئلّا يخرج أحد من حكمه ويلزم الفساد المذكور، وعلى هذا ذهب أهل الله وخاصّته وأهل الكمال بأجمعهم، لكن بعض المنحرفين عن الحقّ وأهله انحرفوا عن هذا المقام ومالوا إلى ظاهر التّفسير ورضوا بأن يكونوا موصوفين بما قال الله تعالى:

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [سورة الروم: ٧].

نعوذ بالله منهم، والقرآن لو لم يكن كما قلناه، ما صدق قوله تعالى:

﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وما صدق قوله:

﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدىً ورحمة وبشرىٰ للمسلمين﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وما قال فيه:

﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربّهم يحشرون﴾ [سورة الأنعام: ٣٨].

ولم يكن يصفه أيضاً بأنّ كلماته لا تنفد بالبحور السّبعة وما بعدها لقوله:

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [سورة لقمان: ٢٧].

(شرطيّة التقوىٰ لفهم القرآن)

نعم القرآن شامل على جميع ما قلناه، لكن الكلام في المتصرّف فيه والنّاظر إليه، كما قال أمير المؤمنين (ع):

وهذا الكتاب المسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بدّ له من ترجمان وإنّما ينطق عنه الرجال[٩٠].

وكما قال رسول الله (ص): «ولله شيئاً كتمه عن الناس إلّا أن يؤتى الله عبداً فهما في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم وكيف بك وقد قال الله تعالى:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

وقول أمير المؤمنين: فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم. إشارة إلى طلب ذلك الفهم بالتوجّه إلى الله تعالى حسن التوجّه، والتّوجّه إلى كتابه كذلك ليحصل التّوجّه، وبالتّوجه المذكور فهم كتابه على ما ينبغي كما أشار الحقّ تعالى في قوله:

﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ [سورة الرّحمن: ١-٤].

وفي قوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم الّذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق: ٣-٥].

وفي قوله: ﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

ومن هذا قال أمير المؤمنين (ع): تعلّمت من رسول الله ألف باب ففتح لي بكلّ باب ألف باب[٩١]. ومراده منه وهو أنّه تعلّم من رسول الله معنى آية واحدة أو

---

(٩٠) قوله: كما قال أمير المؤمنين (ع): وهذا الكتاب المسطور الخ.
نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٢٥.
وفي الأصل: وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور الخ.

(٩١) قوله: ومن هذا قال أمير المؤمنين: تعلّمت من رسول الله ألف باب ففتح لي بكلّ باب ألف باب.

كلمة واحدة ففتح له من الله من تلك الآية أو تلك الكلمة ألف معنىً بقوّة الفهم الّذي أعطاه الله ببركة ذلك التّعليم ولولا فهمه إلى هذه الغاية ما قال:

والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرحمن الرحيم(٩٢). فعليك حينئذٍ بطلب مثل هذا الفهم أو بعضه وليس هذا فهمنا إلّا منه وببركته حسباً كان أو نسباً والحمد لله وحده.

(القرآن موجب للشفاء كما هو سبب للشقاء)

ومن كمال هذا القرآن وهو أنّه بالنسبة إلى بعض النّاس سبب الهداية والإرشاد من الضّلالة والكفر، وموجب للشّفاء والصّحة من المرض الحقيقي الّذي هو الجهل، وبالنّسبة إلى البعض الآخر سبب الإضلال والإغواء والمرض والدّاء، لقوله تعالى في الصورتين:

﴿قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [سورة فصلت: ٤٤].

ولقوله: أيضاً:

رواه الصدوق عليه الرحمة في الخصال فيما بعد الألف باب علّم رسول الله (ص) عليّاً ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب، بإسناد متفرقة كثيرة وبتعبيرات مختلفة فراجع ص ٦٤٢ إلى ص ٦٥٢، ورواه أيضاً الكليني (رض) في الكافي مع تفاوت في اللفظ ج ١، ص ٢٣٨، الحديث ١، باب فيه ذكر الصحيفة الخ، وص ٢٩٢، ح ٩ و٦ و٥ فلاحظها ورواه أيضاً المجلسي في البحار ج ٤٠، ص ١٢٧، باب علمه (ع) وأن النبيّ (ص)... الخ.
فلاحظ تعليقتنا ١٣٨.

(٩٢) قوله: ولولا فهمه إلى هذه الغاية ما قال: والله لو شئت الخ، أقول روى عنه (ع) في ذلك المعنى أحاديث نذكرها ذيلاً.
(أ) لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.
(ب) لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم.
(جـ) لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى الباء.
رواه في إحقاق الحق ج ٧، ص ٥٩٣ الحديث التاسع عن عدّة من أعلام القوم وكتبهم فلاحظه، ورواه أيضاً ابن شهرآشوب في المناقب ج ٢، ص ٤٣.

﴿يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلّا الفاسقين﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

وبالجملة يجب عليك وعلى كلّ أحد أن يعتقد أوّلاً ثمّ يتحقّق ثانياً أنّ القرآن مشتمل على مراتب جميع العالمين ومدارجهم بحسب الاستعدادات والقابليّات التّي لهم ليشمل الكلّ، ولا يخرج من حكمه أحد وأنّه مشتمل على معان مختلفة وأسرار متنوّعة غير قابلة للانتهاء والانقطاع دنياً كان أو آخرة، ظاهراً كان أو باطناً، وأنّ تأويله وتأويل تأويله واجب من جميع الوجود، وأنّ الأخذ والفهم منه بحسب الاستعداد والاعتقاد وإدراك كلّ شخص وعدمه فيه، والخلق كلّهم مأمورون بالتّدبّر فيه والتفكّر في معانيه ليصل كل واحد منهم إلى حقّه المعيّن له بقدر سعيه. ويجب عليك أيضاً أن تعرف أنّه ليس على الله تعالى بعد إنزاله القرآن وتكليف الخلق بتعليمه وتفهيمه وبعثه الرّسل ونصب الأدلّة وتمييز الحقّ عن الباطل، إيصال فهمه إلى كلّ أحد وإلى كلّ إقليم، ولا حفظ عبيده من الضّلال والكفر والفسق والفجور، لأنّه لو كان كذلك لارتفع التّكليف وبطل الثّواب والعقاب، والجنّة والنّار، والوعد والوعيد، وكانت جميع الأحكام المترتّبة على التّكليف هملاً وعبثا تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وستعرف هذا البحث عند بيان المشتبهات من الآيات أكثر من ذلك.

وإذا عرفت حكمة نزول القرآن وأنّه مترتّب على ترتيب العالم أعلاه وأسفله.

فلنشرع في البحث الثّاني في... ما يتعلّق به من الأسرار والرّموز والدّقائق.

البحث الثّاني:

تعليقة: [مع الأسف أنّ في النّسخة ههنا سقطت كلمات كثيرة وفيها كلمات وخطوط عديدة لا يمكن قراءتها والباقية ناقصة ليست بمفيدة].

(وجوب تعظيم كلّ موجود من الآفاق):

فكذلك يجب تعظيم كلّ شخص وكلّ موجود بالنّسبة إلى الكتاب الآفاقي كالكلب والخنزير وفرعون والشّيطان وغير ذلك من الموجودات، لأنّ هؤلاء في

الكتاب الآفاقي كأسماء أولئك في القرآن وكما أنّ صحّة القرآن، وتكميله بأسماء أولئك فكذلك صحّة الكتاب الآفاقي ونظامه بوجود هؤلاء لأنّ القرآن مثلاً لو كان خالياً من هذه الأسماء لم يكن تامّاً ولا كان الله صادقاً في قوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

لأنّ أسماءهم في القرآن إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات وكلّما نقص القرآن من حرف أو كلمة أو آية لم يكن تاماً، فكذلك الكتاب الآفاقي المسمّى بالعالم، فإنّ هؤلاء لو لم يكونوا فيه لم يكن تامّاً لأنهم إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات وكلما نقص منه واحد منهم لم تنتظم أحواله ولم يكن تامّاً في نفس الأمر، فافهم جدّاً وذلك تقدير العزيز العليم.

وفيه قيل:

لا تنكر العالم في طوره فإنّه بعض ظهوراته
وأعطه منك بمقداره حتّى توفّي حقّ إثباته

(ليس في الوجود شيء خارج عن الحكمة وكل العالم وجود واحد)

وذلك لأنّه ليس في الوجود شيء زائد خارج عن الحكمة حتى يحكم ببطلانه بل الكلّ عند التّحقيق وجود واحد في غاية الكمال.

(العالم بأسره مظهر أسماء الله سبحانه حتى الشيطان وهو مظهر اسم المضلّ)

والنّظام، كما قيل: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنّه لو كان وادّخره لكان عجزاً يُنافي القدرة وبخلاً ينافي الجود، وجلّ جناب الحقّ أن يكون متّصفاً بهاتين الصفتين.

وأيضاً إذا تقرّر أنّ العالم بأسره مظهر أسماء الله تعالى وصفاته، وكما كان آدم مظهر أسماء الهادي، يكون إبليس مظهر اسمه المضلّ، وكما كان موسى مظهر اسمه النّافع يكون فرعون مظهر اسمه الضّار، وكذلك جميع الموجودات غيرهم من الحيوانات والنّباتات والجمادات، حتّى النّملة والبقّة، وفيه قيل:

على سمة الأسماء تجري أمورهم وحكمة وصف الذّات للحكم أجرت[٩٣]
وإن لم تفهم هذه الإشارة بهذه العبارة،

(الوجود خير محض والعدم شر محض وليس له تحقق في الخارج)

فاعلم أنّ جميع أرباب العقول، وأهل العلم، وجميع أرباب الشهود، وأهل الكشف، اتّفقوا على أنّ الوجود خير محض والعدم شرّ محض، واتّفقوا على أنّ الشرّ المحض ما له وجود في الخارج أصلاً، والشرّ الخارجي ليس إلّا الشرّ الإضافي، يجوز رفعه وإزالته، ويجوز بقاؤه ودوامه، وعلى جميع التّقادير الشرّ المحض ليس بموجود في الخارج، والموجود في الوجود الخارجي هو الخير المحض فقط، وها هنا أيضاً دقيقة، وهي أنّه قد ثبت بالعقل والنّقل والكشف. أنّه ليس في الوجود الخارجي إلّا الحقّ تعالى، أو الوجود المسمّى بالمطلق، فكيف يتصوّر مع هذا الوجود الخارجي شيء آخر حتّى يسمّى شرّاً أو خيراً ومعلوم أنّ الوجود من حيث هو وجود خير محض فلا يكون للشرّ وجود أصلاً، ومن هذا ليس هناك شيء تعدّه أنت شرّاً إلّا وفيه ألف خير وألف منفعة. كالحيّات والعقارب مثلاً، والسّموم القاتلة، وأمثال ذلك فإنّ فيها خيراً كثيراً ومنافع كثيرة.

(مقتضى التوحيد الفعلي مشاهدة الكلّ خيراً)

وإذا رجعت إلى التّوحيد الفعلي رأيت الكلّ صادراً من فاعل واحد، محبوب بالذّات، مقصود في نفس الأمر، كيف تنسب شيئاً من أفعاله إلى الشرّ وإن كان ذلك الفعل في صورة الشرّ بل تشاهد الكلّ خيراً محضاً موافقاً لمرادك ومطلوبك، كما قيل: وكلّ ما فعل المحبوب محبوب، بل تجده في غاية الإتقان والإحكام، وقد قام البرهان عند أرباب النّظر أيضاً أن أفعاله تعالى كلّها في غاية الاتقان والإحكام وليس فيها ضعف ولا وهن، ومن هذا ما يشاهد العارف في الوجود شيئاً خارجاً عن الحكمة ولا شيئاً يكون وجوده شرّاً محضاً مطلقاً، لأنّه ما يشاهد الفعل

---

(٩٣) قوله: على سمه الأسماء تجري أمورهم الشعر.
قائله ابن الفارض ،مشارق الدراري ص ٦٣١.

إلّا من فاعل واحد محبوب بالذات كما مرّ، وفيه قيل:

وكلّ الّذي شاهدتُه فعل واحد ... بمفرده لكن بحجب الأكنة
إذا ما أزال الستر لم ترَ غيره ... ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة

(قوى النفس بمثابة القوىٰ والموجودات في الآفاق)

ومع ذلك كلّه لا ينكشف لك هذا السرّ على ما هو عليه في نفس الأمر إلّا إذا رجعت إلى نفسك وإلى حواسّك وقواك الّتي هي مظاهرك، لأنّك إذا رجعت إليك رأيت عقلك الجزئي بمثابة آدم ورأيت هواك بمثابة إبليس، وقلبك بمثابة موسىٰ، ونفسك الأمّارة بمثابة فرعون، وقوّتك الغضبيّة بمثابة الكلب وقوّتك الشّهويّة بمثابة الخنزير، وكذلك كلّ القوى والأعضاء فإنّ كلّ واحدة منها بمثابة كلّ واحدة واحدة من أجزاء العالم وقد عرفت هذا عند تطبيقهما في البحث السّابق، وكما لا ترى في نفسك شيئاً زائداً خارجاً عن وجودك، فكذلك لا ينبغي أن ترى شيئاً زائداً خارجاً عن الوجود وكما لا ترى في نفسك شيئاً هو يكون شرّاً بالنّسبة إليك فكذلك لا ترى في الوجود شيئاً هو يكون شرّاً بالنّسبة إلى الوجود مطلقاً، فإنّ وجودك كما يحتاج إلى عقلك الّذي هو بمثابة آدم فكذلك تحتاج قوّتك الوهميّة الّتي هي بمثابة إبليس، فإنّ عمارة الباطن والآخرة كما يتعلّق بالعقل الّذي هو بمثابة آدم، فكذا عمارة الظّاهر والدّنيا يتعلّق بالوهم الّذي هو بمثابة إبليس، وكذلك القلب والنّفس الأمّارة والقوّة الشّهويّة والغضبيّة وغير ذلك من القوى والأعضاء، فإنّ كلّ واحدة منها في نفسها سبب نظام وجودك بحيث لو فرض زوال وجود واحد منها لم يمكن إقامة بدنك ولا بقاؤه، وأيضاً هذا فرض محال لأنّا لو فرضنا هذا ما يمكن مع هذا فرض وجود تامّ كامل بل يجب مع هذا الفرض فرض وجود ناقص وليس الفرض كذلك بل الفرض وجود تام كامل من جميع الوجوه، كما ثبت عقلاً ونقلاً.

أمّا عقلاً فلأنّه قد تقرّر أنّ الإنسان أشرف الموجودات وأكمل المخلوقات صورة ومعنىً وبل جامع لجميع ما في العالم فكيف لا يكون كاملاً وتامّاً في الخلق والخلق.

وأمّا نقلاً، فقد أخبر أو يعلل عنه أنّه أحسن الصّور وأكمل الخلق في قوله:

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [سورة التين: ٤].

وفي قوله: ﴿وصوّركم فأحسن صوركم﴾ [سورة غافر: ٦٤].

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

(الخير والشرّ كلاهما عين الكمال)

فالشرّ والخير حينئذ يكونان عين الكمال ومحض النّفع، من حيث إنّ الوجود لا يتمّ إلاّ بهما، وأيضاً هما أمران إضافيّان زايلان في نفس الأمر، فإن الوهم بالنّسبة إلى العقل، وإن كان شريراً ناقصاً، لكن بالنّسبة إلى البدن وعمارته يكون كاملاً خيراً، وكذلك القلب والنّفس الأمّارة، فإنّ النّفس الأمّارة وإن كانت شريرة ناقصة بالنّسبة إلى القلب الّذي هو الكامل الخير، لكن بالنّسبة إلى البدن وعمارته تكون خيرة كاملة، وإذا فرض زوال الاعتبارين لا يكون هناك لا خير ولا شر، ولا نقص ولا كمال، بل يكون وجوداً واحداً في غاية الكمال والشّرف والقدر والمنزلة، ويمكن تصوّر هذا المعنى في عالم الحسّ بالحسّ بالنّسبة إلى الشّمس وشعاعها مثلاً، فإنّ الشّمس عند الخفافيش مظلمة كدرة مانعة من رؤيتهم ومشاهدتهم، والحال أنّها في نفس الأمر مشرقة نيّرة موجبة لرؤية أهل العالم ومشاهدتهم.

(تقابل الأسماء)

وكذلك الأنبياء والأولياء بالنّسبة إلى الكفّار والمشركين، فإنّ الأنبياء والأولياء حيث أنّهم دائماً يقصدون أنفسهم وأموالهم ويقتلون أهلهم وأولادهم لا يكون بالنّسبة إليهم أشرّ وأنقص منهم، وكذلك هم بالنّسبة إلى الأنبياء والأولياء أيضاً، حيث إنّهم لا يقصدون إلاّ أنفسهم وأموالهم ولا يطلبون إلاّ أهلهم وأولادهم، ولهذا كانوا يقتلون الأنبياء ويحسبون هذا من أعظم الخيرات، وكذلك الأنبياء، والآن ليس عند اليهود والنّصارى أنقص من نبيّنا(ص) مع أنّه ليس في الوجود أكمل منه، وهذا يسمّى تقابل الأسمائيّة والمحاذاة الوجوديّة آفاقاً كان أو أنفساً ولا يزال الوجود كذلك ولم يزل أزل الآزال وأبد الآباد،

﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾

[سورة الأنعام: ١١٥].

إشارة إليه، لأنّ الأسماء الجلالية لا بدّ لها من مظاهر، والأسماء الجماليّة كذلك، فهذان المظهران لا بدّ لهما من تقابل كآدم وإبليس وموسىٰ وفرعون وإبراهيم ونمرود ومحمّد(ص) وأبي جهل وعلي (ع) ومعاوية، والحسين ويزيد، والمهدي والدّجال، وأمثال ذلك ولهذا قال:

﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبي عدوّاً شياطين الإنس﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وكذلك في الأنفس من تقابل العقل والوهم والقلب والنّفس والعلم والجهل والحلم والغضب والشّهوة والعفّة إلى آخر القوى والحواسّ والتّقابل الواقع بينهما كما مرّ تفصيلهما وحيث أنّ كلّ واحدة من هذه المظاهر، آفاقاً كان أو أنفساً، فهي إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات كما ثبت عقلاً ونقلاً وكشفاً، وفي كلّ واحدة منها آية وعلامة تدلّ على كمال معرفته ووحدته، لقولهم:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

ليتبيّن عند كلّ عاقل عارف أنّه ليس في الوجود غيره وغير أسمائه المتقابلة وأن الوجود خير محض والشرّ إضافي، ولا يكون رجوع الكلّ في آخر الأمر إلّا إلى الخير الّذي هو الرّحمة، كما قال:

سبقت رحمتي غضبي(٩٤).

---

(٩٤) قوله: كما قال: سبقت رحمتي غضبي.
أخرجه أحمد في مسنده ج ٢، ص ٢٤٢، ومسلم في صحيحه ج ٤، ص ٢١٠٨ كتاب التوبة، باب ٤، الحديث ١٥ وفي البخاري ج ٩، ص ١٦٤:
إن رحمتي سبقت غضبي، وأخرج ابن ماجه في سننه ج ٢، كتاب الزهد الباب ٣٥، الحديث ٤٢٩٥: إنّ رحمتي تغلب غضبي.
ومسلم أيضاً في الباب الحديث ١٦ و ١٤.
وجاء في دعا جوشن الكبير المرويّ عن النبيّ (ص) في مصباح الكفعمي: يا من سبقت رحمته غضبه.

ومعلوم أن الابتداء في الإيجاد كان من الرّحمة المحضة، فيكون في الإعادة كذلك، ليطابق الأوّل الأخير والمبدأ والمعاد، بحكم قوله:

﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤].

وها هنا أبحاث كثيرة وأسرار جليلة، وهذا كلّه من بعض أسرار القدر المنهيّ إفشاؤها كلّ الإفشاء، والغرض من جميع ذلك بعد إثبات أنّ القرآن غير قابل للانتهاء والانقطاع، أن ثبت أن العالم كلّه كتاب الله وكلّ ما فيه إمّا بمثابة الحروف أو الكلمات أو الآيات ويجب تعظيم كلّ واحدة منها بقدرها كما يجب تعظيم كلّ واحدة من حروف القرآن وآياته وكلماته، وقد ثبت هذا بوجوه كثيرة، والحمد لله على ذلك.

هذا آخر الدّقيقة وآخر البحث الثّاني في هذا المقام، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.

الوجه الرابع

في تأويل بعض المتشابهات وتطبيقها بالمحكمات

وبيان الفرق بين المشيّة والعلم والإرادة والأمر والجبر والقدر.

إعلم أنّ هذا الوجه مشتمل على تأويل بعض المتشابهات وتطبيقها بالمحكمات وتوابِعُهُ ولوازمه من الأبحاث، وفيه مقالات.

(لا اختلاف بين الأمم بحسب المعنى كما لا اختلاف بين آيات القرآن)

المقالة الأُولى

في نقل بعض المتشابهات ورفع الاختلاف من القرآن عقلاً ونقلاً

فمنها قوله تعالى:

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم في ماءاتكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

ومنها قوله تعالى:

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلّا الذين أوتوه بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

ومنها قوله تعالى:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين﴾ [سورة يونس: ٩٩].

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربّك ولذلك خلقهم﴾ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

فنقول: لا شكّ ولا خفاء أنّ هذه الآيات كلّها بحسب اللّفظ وتفسير الظّاهر، متناقضات مختلفات لكن ليس من حيث المعنى والأصول المقرّر بين العلماء الحقّة كذلك، كما بيّنا بعضه وسنبيّن البعض الآخر إن شاء الله، وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

في كتاب الله عزّ وجلّ ما يحسبه الجهّال مختلفاً متناقضاً وليس بمختلف ولا بمتناقض.

ومراده أنّه ليس في نفس الأمر تناقض ولا تخالف وإن كان بحسب اللّفظ يلزم ذلك.

وهذه الآيات لها أجوبة إجمالية وتفصيليّة، أما التّفصيل فستعرفه في المقالات الآتية.

وأمّا الإجمال، فقوله تعالى:

﴿ربّنا الّذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى﴾ [سورة طه: ٥٠].

وقوله: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾ [سورة الإنسان: ٣].

يقوم بجواب تلك الآيات، لأنّ تلك الآيات تشهد بأنّ الهداية بعد ما حصلت وإن حصلت ما حصلت إلاّ للبعض، وهذه الآيات تشهد بأنّ الهداية قد حصلت للكلّ.

وقوله في موضع آخر:

﴿قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدىٰ فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنَا عليكم بوكيل﴾ [سورة يونس: ١٠٨].

وقوله: ﴿قد جاءكم بصائر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

(الهداية والضلالة باختيار العبد وإرادته)

يشهد بأنّ الهداية والضّلالة تتعلّق باختيار العبد وإرادته لا غيره بل يضاف تلك الهداية الحاصلة لهم إلى القرآن الّذي بعث إليهم رحمة وشفقة في حقّهم، وتلك الضّلالة الحاصلة لهم بترك هذه الألطاف إلى تقصيرهم وتركهم التّدبّر والتفكّر في القرآن،

كقوله فيهما:

﴿يا أيّها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون﴾ [سورة يونس: ٥٧].

وكقوله: ﴿هو للذين آمنوا هدىً وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [سورة فصّلت: ٤٤].

وكقوله: ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمد: ٢٤].

وكقوله: ﴿فما لهٰؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ [سورة النساء: ٧٨].

والحديث هو القرآن، لقوله تعالى:

﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ [سورة الشعراء: ٥].

وقوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ [سورة النور: ٢١].

يشهد بأن الكل من فضله ورحمته وعنايته بعبيده والكلّ صحيح وليس فيه اختلاف، ويعرف هذا السرّ من قوله:

﴿وما رميت إذ رَمَيتَ ولكن الله رمىٰ﴾ [سورة الأنفال: ١٧].

لأنّه نفي من غير الإثبات وإثبات من غير نفي وإدراكه صعب.

(تصور الاختلاف في القرآن يرجع إلى عدم فهم المتصرّف فيه)

وبالجملة إضافة الهداية إلى نفسه تارة وإلى العبد تارة وإلى القرآن تارة ليس بمتناقض ولا بمختلف عند التّحقيق وسيّما ورد في كتابه:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء: ٨٢].

والمراد أنه ليس فيه اختلاف في نفس الأمر وإن كان فيه اختلاف بحسب اللّفظ والتّركيب، وبيان ذلك وهو أنّ تصوّر الاختلاف في القرآن يرجع إلى عدم فهم المتصرّف فيه والمفسّر له وإلّا لو كان التصوّر صحيحاً يعرف أن الله تعالى ما نفى الاختلاف من القرآن مطلقاً بل نفى الاختلاف منه في نفس الأمر بالنّسبة إلى الأصول الجمليّة والقوانين الكلّية المقرّرة بين الأنبياء والأولياء (ع) الّتي لا يمكن الاختلاف فيها أصلاً، ومعلوم أن الأنبياء والأولياء قطّ ما وقع خلاف بينهم في أصول الدين وأركان الشّرع، لقوله:

﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [سورة الشورىٰ: ١٣].

وكقوله: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

ويكون حينئذٍ تقديره أنّه ليس فيه اختلاف في نفس الأمر، وأصول الدين والشرع، وإن كان فيه اختلاف في اللّفظ والتّركيب والأحكام الشّرعيّة من حيث

الفروع والجزئيّات بالنّسبة إلى بعض الأزمان والأشخاص ولو كان هذا الكتاب من عند غير الله لوجدوا اختلافاً في جميع ذلك لعدم إحاطة علمه بجميع الأمور على ما هيَ عليها، كما قال في هذا:

﴿وقل ربي زدني علماً﴾ [سورة طه: ١١٤].

وقال: ﴿وفوق كلّ ذي علم عليم﴾ [سورة يوسف: ٧٦].

وقال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ [سورة الإسراء: ٨٥].

والأنبياء والرّسل حيث إنّهم لا يقولون شيئاً بأنفسهم، بل لا يتكلّمون إلاّ بإذنه وأمره، لقوله:

﴿وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاّ وحي يوحىٰ﴾ [سورة النّجم: ٣ - ٤].

وكان الكلّ وحياً خصوصاً القرآن ما وقع الاختـلاف بينهم، وفي هذا ورد الحديث القدسي:

بي ينطق وبي يسمع وبي يبصر [مرّ ذكر مرجعه في التعليقة ١٢٠ فراجع].

وكل من كان نطقه به وسمعه وبصره بنور، لا يمكن صدور الاختلاف ولا الخلاف منه، ويجب عليـك أن تعرف أن الأنبيـاء والأولياء والـرّسل (ع) قطّ مـا اختلفوا في القوانين الكلّية الإلٰهيّة والأوضاع الجمليّة الرّبانيّـة الّتي هي التّوحيـد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد، وإيصال الخلق إلى كمالهم المعيّن لهم بحسب استعدادهم وقابليّاتهم، وإن وقع الخلاف بينهم في تبيين الحلال والحرام وتعيين الكفر والإسلام وتحقيق الفروع والأحكام وأمثال ذلك، لأنّ الاتفاق في الأصول كما هو مصلحة كليّة دينيّة مشتملة على مصالح الخلق في المعاش والمعاد، فكذلك الاختلاف في الفروع فإنّه أيضاً مصلحة جزئيّة مشتملة على مصالح جزئيّة مشتملة على مصـالحهم في المعاش والمعـاد، ومثال ذلـك مثال الأطبـاء الصّوريّـة مـع الأمراض الصوريّة فإن مراد الأطباء، ولو كانوا مئة ألف طبيب، من المرض مراد واحد وهو الصّحة، فاختـلاف الأشربـة والمعاجين في معـالجاتهم لا يـدل على اختلافهم في المقاصد الكلّية الّتي هي الصّحة والقوّة، واختلاف بعض المرض مع بعض الأطباء من هنا يقع، فإنّهم ما يعرفون أنّهم في المقاصد واحد، بل يقولون

هذا معالجته ما هو موافق، وذاك الآخر خير منه، فتختلف الآراء والأهواء بحسب الملائم وغير الملائم، وإلاّ مقصودهم واحد في نفس الأمر فافهم جدّاً، فإنّه مثال شريف دقيق، وقس على هذا أطباء النّفوس مع الأمراض المعنويّة واختلافاتهم في القبول والمنع وميلهم إلى بعض الأنبياء دون البعض حتّى تعرف أيضاً سرّ الاختلاف كما عرفت سرّ الاتّفاق، وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلا العالمون.

(في معنى اختلاف أمتي رحمة)

وسيجيء بيان الضّوابط الكلّيّة الإلهيّة والقوانين الجمليّة الرّبانيّة في المقدّمة السّادسة من هذه المقدّمات عند بحث الشّريعة والطّريقة والحقيقة أكثر من ذلك مع بحث الأصول والفروع وترتيبها في المراتب الثّلاث، واختلاف القرآن في الفروع عند التحقيق، عين الاتّفاق في الأصول كما عرفته وستعرفه أيضاً وكأنّ النبيّ(ص) نظراً إلى هذا المعنى قال:

اختلاف أمّتي رحمة[٩٥].

وتقديره: أي اختلاف أمّتي في القرآن من حيث استخراج المعاني والحقائق، واستنباط اللطائف والدّقائق، وتطابق المتشابهات بالمحكمات، ورجوع التّفسير إلى التّأويل، والتّأويل إلى التّحقيق بالنّسبة إلى كلّ زمان مشخّص وإلى كلّ رأي واعتقاد، رحمة نازلة من الله فيهم لقوله:

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته (بإنزال القرآن عليكم) ما زكىٰ منكم من أحد أبداً﴾ [سورة النور: ٢١].

أي ما زكّى أحد منكم من نقصه وجهله ورذيلته وخسّته الغالبة على نفسه،

---

(٩٥) قوله: نظراً إلى هذا المعنى قال: اختلاف امّتي رحمة.
رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٢٨٦، الحديث ١٣٧. والصدوق (رض) في معاني الأخبار ص ١٥٧، باب معنى قوله (ع): اختلاف أمّتي رحمة.الحديث ١.
وأخرجه أيضاً السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٤٨، الحديث ٢٨٨.

من الفسق والفجور والبخل والشّحّ والبلادة والجربزة لصعوبة الملكات الرّديّة ورسوخها فيها، وشدّة إزالتها عنها، إلاّ بفضل الله ورحمته الّتي هي عبارة في هذا المقام عن إرشادهم إلى فهم كتابه واستخراج معانيه واستنباط حقائقه، وإليه أشار أيضاً بقوله:

﴿يا أيّها النّاس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً. فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ [سورة النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥].

وبقوله:

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ [سورة ص: ٢٩].

ولقوله:

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الّذي بين يديه﴾ [سورة يونس: ٣٧].

﴿وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربّهم يؤمنون﴾ [سورة الأنعام: ١٥٤].

وسبب ذلك، لأنّ أمثال هذه الاستخراجات من المعاني والاستنباطات من الحقائق يزيد في ذكائهم وفطنتهم وصفاء خواطرهم وأفكارهم وتهيئة أسبابهم واستعدادهم، لتحصيل كمالاتهم ومقاماتهم عاجلاً بالفيض، والتجلّيات والكشف والإلهامات، وفي ثوابهم ودرجاتهم في الجنان، وكرامتهم ومنزلتهم عند الله، آجلاً، ببركة أعمالهم وأفعالهم الصّادرة من تلك التجلّيات والكشوف والفيضان، وهذه الأنواع كلّها نعمة عظيمة ورحمة واسعة على عباده، وورد عن النبيّ(ص) أنّه قال:

«ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن لا نبيّ ولا ملك ولا غيرهما»(٩٦).

---

(٩٦) قوله: وورد عن النبيّ (ص): ما من شفيع أفضل الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١١٢، الحديث ١٧١، وأخرجه الغزالي في

ويلوح من سرّ هذه الإشارة، أنّ ذلك إنّما هو في حقّ من يدبّره ويحقّق معناه وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل إلى جناب الله وجوار الملائكة، ولا غاية في الشّفاعة إلاّ الوصول إلى نيل الرضوان من المشفوع إليه، ومعلوم أنّ تمام رضوان الله بغير سلوك الطّريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع شفاعة شافع كما قال جلّ ذكره:

﴿فما تنفعهم شفاعة الشّافعين فما لهم عن التّذكرة معرضين﴾ [سورة المدّثر: ٤٨ ـ ٤٩].

وهذا أيضاً تأكيد آخر على سبيل التعجّب والإنكار على طائفة أعرضوا عن القرآن وعن استخراج معانيه واستنباط حقائقه وعن الاطلاع على اختلاف رموزه وإشارته وتحصيل درره وغرره والغوص في بحار حكمته وعرفانه ليصلوا بها إلى الجواهر المكنونة في عمقها والنفائس الشّريعة المستورة تحت سواحلها وسواقيها ويستحقوا بها الكرامة والمنزلة عند الله والثواب الجزيل والأجر الجميل في الجنّة، كما سبق ذكره، وأشار الحقّ تعالى إليه في قوله:

﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٤].

والمراد من هذا البحث من الأوّل إلى الآخر في هذه المقالة هو أنّ القرآن لا اختلاف في حقيقته، والاختلاف الّذي فيه بحسب الاستخراج والاستنباط إذا كان موافقاً للعقل والشّرع والكشف فهو عين الرّحمة، ولا يجوز تركه، وبل هو واجب على كلّ أحد.

وإذا تحقّق هذا فلنشرع في المقالة الثّانية وبيان بعض المتشابهات فهو هذا:

إحياء العلوم ج ١، ص ٢٧٣، كتاب آداب تلاوة القرآن الباب الأوّل؛ وقال العراقي في ذيله: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً.

المقالة الثانية في تأويل قوله:

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة﴾ [سورة هود: ١١٨]:

إعلم، أنّ قوله: ولو شاء ربك معناه أي ولو شاء ربّك أن يجعل النّاس أمّة واحدة على سبيل الإلجاء والجبر والقهر لأمكن لأنه قادر على كلّ شيء من الممكنات، وهذا من الممكنات، لكن ما يشاء إلاّ على سبيل الاختيار والإرادة، لأنّ التّكليف الإلجائي ينافي الغرض منه، ونقض الغرض على الحكيم محال، فمحال أن يفعل الحكيم مثل هذا، وذلك لأنّ الهداية على سبيل الجبر والقهر تؤدّي إلى عدم القدرة والاختيار وارتفاع التّكليف مطلقاً، ويلزم منه إبطال الأحكام الشّرعيّة والأوضاع الكلّية الإلهيّة من الدّعوة والإرشاد والنبوّة والرّسالة والمعاد واستغناء الخلق عن الأصول والفروع والثّواب والأجر وعدم خوفهم من الجحيم والعذاب وأمثال ذلك، لأنّ كل ذلك مبنيّ على القدرة والاختيار فإذا ارتفعا ارتفع الكل، وإذا ذهبا ذهب المجموع لأنّ العبد لو لم يكن مختاراً لم يكن محتاجاً إلى نبيّ ولا رسول ولا فروع ولا أصول، لأنّ الاحتياج إلى الرّسول والنبيّ، أن يعلم الناس واجبات الدين من الأصول والفروع ويرشدهم إلى الحقّ تعالى ويقرّبهم إلى الجنّة والثّواب ويبعّدهم عن الجحيم والعقاب فإذا لم يكن في نفسه مختاراً لم يكن له في ذلك اختيار وبل يكون معذوراً عند الله وعند الخلق وليس الحال كذلك لأنّ هذا جبر محض وإلجاء صرف وجلّ جناب الحقّ أن يفعل مثل ذلك وإلى هذا أشار بقوله:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين﴾ [سورة يونس: ٩٩].

ليكون جواباً لذلك القول وتقديره: لو شاء ربك أن يحكم على جميع النّاس جبراً وقهراً بالالجاء والإكراه أن يؤمنوا به وبك لحكم عليهم حكماً جزماً وانفصل الأمر وانقضى الدّهر وظهر يوم القيامة ولكن ما يشاء إلاّ أن يؤمنوا بأنفسهم اختياراً وإرادة ليستحقّوا به الثّواب الدّائم بأفعالهم الحسنة وأعمالهم الصّالحة ويستوجبوا العقاب الدّائم بأفعالهم وأعمالهم الرديّة، لأنّ إجبارهم وإكراههم على الإسلام والإيمان

ينافي الغرض من التّكليف كما مرّ، والحكيم الكامل لا يفعل فعلاً ينافي غرضه ولهذا قال:

﴿قد جاءكم الحقّ من ربكم فمن اهتدىٰ فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ [سورة يونس: ١٠٨].

ليتيقّنوا أنّ أمرهم في التّكليف إليهم لا إلى غيرهم، وليسوا هم بمجبورين في أفعالهم وأعمالهم، وبل يقوم كلّ واحد منهم بالتّكليف المأمور به على ما ينبغي، ويرجو من الله تعالى بالطاعة، الثّواب والجنّة، وبالمعصية العقاب والجحيم، لقوله:

﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى وأن سعيه سوف يرى﴾ [سورة النجم: ٣٩ ـ ٤٠].

(مشيّة الحقّ لا تنافي اختيار الخلق)

وإذا عرفت هذا فاعلم، أنّ قيد الأحكام الإلٰهيّة بالمشيّة الأزليّة لم يمنعهم عن أفعالهم الاختياريّة، لأنّ عند أرباب النّظر والمعقول وعند أهل الكشف والشّهود، كثرة الإضافة والنّسبة ليست بقادحة في وحدة الذّات ولا كثرة الاعتبارات والأحكام في وحدة الحكم، كما أنّ كثرة الاضافات الأسمائيّة والنّسب المعنويّة ليست بقادحة في وحدة ذات الحق ووجوده، وكذلك تعلّقات العلم بالمعلوم فإنّها أيضاً ليست بقادحة في حقيقة العلم، والمراد أن مشيّة الله تعالى واحدة في جميع الصّور لقوله:

﴿وما أمرنا إلّا واحدة﴾ [سورة القمر: ٥٠].

لكن لها تعلّقات وأحكام بحسب الاضافات، والنّسب إلى المعلومات والمخلوقات هي المتكثرة لها والمتعدّدة لأحكامها، لأنّ هذه المشيّة الواحدة لو أضفتها إلى الموجود جاز وإن أضفتها إلى المعدوم جاز، وكذلك إلى الحقّ والباطل والممكن والواجب والممتنع والمستحيل وغير ذلك، لأنّه لا يلزم من هذه الاضافات وتكثّرها وتعدّدها تغيّر في ذاتها وحقيقتها، لأنّ نسبة الكلّ إليها واحدة، والكل بالنّسبة إليها واحد، والكثرة والاختلاف في الاضافات والنّسب، لا في الذّات والحقيقة،

ومثال ذلك مثال النّار في تصرفاتها لأنّ النّار لها طبيعة واحدة وتصرّفات متنوّعة كتصرّفها مثلاً في الشمع بالإذابة، وفي البيض بالانعقاد، وفي الجلود بالاجتماع، وفي الخشب بالافتراق، وكذلك الشّمس فإنّ لها طبيعة واحدة أيضاً وتصرّفات متنوّعة، كالتّجفيف في موضع، والتّحليل في موضع آخر، والتّجميد في موضع، والتّذويب في موضع آخر من غير تغيّر في طبيعتها ولا تبدّل في ذاتها،

ولدقّة هذه المعاني وصعوبة إدراكها منع الحقّ تعالى إضافة كفرهم إلى مشيّته من حيث التّأثير والتأثّر في قوله:

﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين﴾ [سورة النحل: ٣٥].

(المشية بمعنى العلم وأن الله سبحانه عالم في الأزل بكفر الكافر)

لأنّ المشيّة عند التّحقيق، فهي بمعنى العلم خصوصاً على رأي أهل البيت (ع)، والعلم ليس له تأثير في المعلوم بالاتّفاق، فلا يكون كفرهم بإرادته وأمره بل بعلمه ومشيّته، وحينئذ يكون معنى المشيّة في جميع المواضع القرآنيّة بمعنى العلم ويكون تقديره لو علم الله في الأزل كذلك لكان ذلك الأمر كذلك ولكن ما علمه إلاّ بعكس ذلك، فلا يكون إلاّ كذلك، وهذا دقيق يحتاج إلى فهم دقيق، والإشكال والشّبهة في هذا المقام وجميع المقامات المتعلّقة بالمشيّة والإرادة، ما وقع إلاّ من عدم الفرق بين المشية والإرادة، وبين العلم والأمر والجبر والقدر، لأنّ الله تعالى ذكر في بعض المواضع المشيّة وأراد العلم وذكر العلم وأراد المشيّة، وذكر الإرادة وأراد الأمر، وذكر الأمر وأراد الإرادة، وكذلك الجبر والقدر، وكلّ عاقل يعرف بالتّحقيق أن الله تعالى كان عالماً في الأزل بكفر الكافر وظلم الظّالم لكن لم يكن راضياً بهما عنهما، لقوله في الأوّل:

﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [سورة الزّمر: ٧].

ولقوله في الثّاني: **﴿ألا لعنة الله على الظّالمين﴾** [سورة هود: ١٨].

وكذلك كان عالماً بقتل الأنبياء (ع)، ولكن لم يكن له في ذلك إرادة ولا

رضىً، لأنّ إرادة الفسق فسق وإرادة القبيح قبيح سيّما من الحكيم الكامل، ومعلوم أنّ قتل الأنبياء فسق والراضي به فاسق، لقوله:

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [سورة المائدة: ٤٧].

ومن جملة ما أنزل الله، منع الكفّار عن قتل الأنبياء فلو حكموا به ما قتلوا أحداً منهم أصلاً ولعدم رضائه بإضافة مثل هذا إليه، قال:

﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [سورة الأعراف: ٢٨].

والأشعريّة والمجبّرة وغيرهم لو عرفوا هذه المعاني وتحقّقوا هذه الأصول والمباني، وظهر لهم أنّ المشيّة بمعنى العلم والعلم بمعنى المشيّة، والإرادة خلاف المشيّة والمشيّة خلاف الإرادة، والإرادة خلاف الأمر والأمر خلاف الإرادة ما نسبوا إليه تعالى جميع القبائح والفواحش بقولهم: الكلّ من عند الله وتقديره ومشيّته وإرادته متمسّكين بقوله:

﴿قل كلٌّ من عند الله﴾ [سورة النّساء: ٧٨].

لأنّ في قوله: قل كلّ من عند الله خبر راجع إلى ما سبق من القصّة، ينبغي أن يعلم ذلك الخبر أوّلاً ثم يحكم به، والقصّة وهي أنّ أهل المدينة لمّا جاء إليهم نبيّنا(ص) من مكّة وحصل لهم في تلك السّنة القحط والغلاء، قالوا للنبيّ (ع):

إنّ هذا القحط والغلاء والعسر والبلاء الّتي حصلت لنا، كانت من مجيئك إلينا وبشؤم قدمك علينا، قال تعالى:

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عند الله﴾ [سورة النّساء: ٧٨].

أي قل لهم هذا الّذي تقولون وتنسبون إليّ من القحط والغلاء وغير ذلك وهو من عند الله لا من عندي ولا من عند غيري لأنّ أفعاله الّتي تتعلّق به خاصة، ما يقدر عليها أحد غيره، والأرزاق، والآجال، والرّخص والغلاء، والسعة والضيق من أفعاله تعالى وليس لأحد فيها مدخل ومن هذا أضاف الكلّ إلى نفسه، لا بمعنى الّذي يضاف فعل العبد إلى نفسه ويقول:

الكلّ من عندي، جلّ جنابه أن يتّصف بمثل هذا ولهذا قال عقيبه:

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩].

ليعرفوا الفرق بين أفعال الحقّ وبين أفعال الخلق، ومعنى الآية لو كان على الوجه الّذي فسّره، الأشاعرة لم يقل عقيبه هذا الكلام ولم يقل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. لأنّ هذا كلام على سبيل الاستهزاء والسخريّة والتعجّب والإنكار، والمراد منه أنّ كلّ من لم يفرق بين أفعال الله تعالى وأفعال عبيده، ما له تفقّه ولا تعقّل أصلاً ولا يدخل هو في حكم العقلاء، وجلّ من قائل قال في مثل هذا المقام من لسانهم:

﴿لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير﴾ [سورة الملك: ١٠].

لأنّ هذا إقرار منهم بعدم التّعقّل والتّفقّه بعد كشف حالهم عليهم في القيامة، وندامتهم على أفعالهم وعدم قبول القول من الله ومن رسوله وهذا القدر يكفي لتنبّه العاقل الّذي يعدّ نفسه من العقلاء، وها هنا أبحاث كثيرة والكلّ يرجع إلى شيء واحد وهو أنّ الكفر والفسق والظّلم وأمثال ذلك ليس بإرادة الله وأمره بل بعلمه ومشيّته، والعلم والمشيّة لا تأثير لهما فيه أصلاً وقد ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) في الفرق بين المشيّة والعلم والأمر والإرادة والمحبّة والهنا وغير ذلك من المتقابلات والمتناقضات كلام حسن وإن كان كلّ كلامه حسناً وهو في غاية اللّطف بالنّسبة إلى هذا المكان، نذكره بعبارته ثمّ نرجع إلى غيره وهو قوله:

إعلم أنّ الله تعالى خلق للخلق ثلاثاً فرائض ومعاصي وفضائل، أمّا الفرائض فهي بقضائه وبعلمه وبأمره وبمشيّته وبمحبّته وإرادته وباختياره، وأمّا المعاصي فهي بقضائه لا برضاه وبعلمه لا بأمره وبمشيّته لا بمحبّته وبتقديره لا باختياره، ولا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون، وأمّا الفضائل فليست بأمره بل بإرادته وقضائه ورضاه وبعلمه ومشيّته وبمحبّته وباختياره.

وهذا كلام يكشف جميع المشكلات الواردة في هذا الباب ويحل جميع المعضلات النّاشئة من هذا الخطاب، صلّى الله على نفسه القدسيّة وذاته الكاملة، وقد أشار إلى هذا المعنى أيضاً ولده المعصوم جعفر بن محمد الصّادق (ع) في

قوله:

شاء الله وأراد ولم يحبّ ولم يرض، شاء الله عز وجلّ ألّا يكون شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحبّ أن يقال له ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر(٩٧).

وهذا أيضاً كلام حسن دقيق ولا يصدر مثل هذا إلّا منهم، لأنّهم معدن العلوم ومنبعها، ومصدر المعارف ومنشأها، والحقّ أنّ الفرق بين المشيّة والإرادة والعلم والأمر والمحبّة والرّضا والجبر والقدر في غاية الصّعوبة، وكأنّ هذا البحث ممنوع بالنّسبة إلى بعض الأذهان الجامدة البعيدة عن الفهم، لأنّ هذا البحث من أدّق أبحاث القدر وأجلّها وأعظم أسرار الحقّ وأشرفها، وإفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر وإظهار سرّ القدر محظور منهيّ عنه، ومن هذا قال النبيّ (ص):

«إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر وهتك أستار الألوهيّة شرك».

ومن هذا قال أمير المؤمنين (ع) في جواب سائل سأله عن القدر:

القدر بحر عميق فلا تلجه، القدر طريق مظلم فلا تسلكه، القدر سرّ من سرّ الله عزّ وجلّ فلا تتكلّفه(٩٨).

---

(٩٧) قوله: وقد أشار إلى هذا المعنى أيضاً الحديث.

رواه الكليني (رض) في الأصول ج ١ ص ١٥١، باب المشيئة والإرادة الحديث ٥. بإسناده عن فضيل بن يسار عن الصادق (ع)، ورواه أيضاً الصدوق (رض) في التوحيد باب ٥٥ باب المشيئة والإرادة الحديث ٩، ص ٣٣٩، والحديث ١٢، ص ٣٤٣.

(٩٨) قوله: ومن هذا قال أمير المؤمنين (ع) في جواب سائل الخ نهج البلاغة (ط: صبحي الصالح) الحكمة ٢٨٧: وسئل عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه.

روى الصدوق (رض) في التوحيد ص ٣٨٣، الحديث ٣٢ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين (ع) في القدر: ألا إنّ القدر سر من سرّ الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطويّ عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة ولا بقدرة الصمدانيّة ولا بعظمة النورانيّة ولا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيّات والحيتان، يعلو مرّة ويسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع إليها إلّا الله الواحد

وإذا تحقق هذا فنرجع إلى ما كنّا بصدده ونقول:

إعلم أنّ الشّيخ الأعظم محيي الدّين الأعرابي قدّس الله سرّه قد أشار إلى بحث المشيّة بإشارة شريفة وقد قال فيه ما قلناه مطابقاً لما ذهبنا إليه، نذكره ها هنا ونقطع هذا البحث عليه وهو قوله:

وبالكشفين معاً ما يحكم علينا إلاّ بنا، لا بل نحن نحكم علينا بنا ولكن فيه ولذلك قال: فلله الحجّة البالغة، يعني على المحجوبين إذ قالوا للحقّ لم فعلت بنا كذا وكذا ممّا لا يوافق أغراضهم فيكشف لهم غير مناف، وهو الأمر الّذي كشفه العارفون هنا ويرون أنّ الحقّ ما فعل بهم ما ادّعوه أنّه فعله وأنّ ذلك منهم، فإنّه ما عليهم إلاّ على ما هم عليه فتندحض حجّتهم وتبقىٰ الحجّة لله البالغة.

فإن قلت: ما فائدة قوله فلو شاء لهديٰكم أجمعين قلت: لوشاء، لو: حرف امتناع، لامتناع ما شاء إلا ما هو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشّيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأيّ الحكمين المعقولين وقع، ذلك هو الّذي كان عليه الممكن في حال ثبوته، ومعنى لهديٰكم ليبيّن لكم وما كلّ ممكن من العالم فتح الله عين بصيرته لإدراك الأمر في نفسه على ما هو عليه فمنه العالم والجاهل، فما شاء فما هديٰكم أجمعين ولا يشاء وكذلك إن يشاء فهل يشاء هذا ما لا يكون فمشيئته أحديّة التّعلّق وهي نسبة تابعة للقلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت

الفرد، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ الله عزّ وجلّ في حكمه ونازعه في سلطانه، وكشف عن ستره وسرّه، وباء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير.

وروى أيضاً في التوحيد ص ٣٦٥ الحديث ٣، بإسناده عن عنترة الشيباني عن أبيه، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): بحر عميق فلا تلجه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): طريق مظلم فلا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال (ع): سرّ الله فلا تكلّفه قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين (ع): أما إذا أبيت فإنّي سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين (ع) قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافراً. الحديث.

وأخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين (ع) من تاريخ دمشق بسنده عن عبد الله بن جعفر، قاله الخطيب في مصادر نهج البلاغة ج ٤، ص ١٠١.

وأحوالك فليس للعلم أثر في المعلوم بل للمعلوم أثر في العالم فيعطيه عن نفسه ما هو عليه في عينه وإنّما ورد الخطاب الإلهي بحسب ما تواطأ عليه المخاطبون وما أعطاه النّظر العقلي ما ورد الخطاب على ما يعطيه الكشف ولذلك كثر المؤمنون وقلّ العارفون أصحاب الكشوف وما منّا إلاّ له مقام معلوم.

وهذه الكلمات لها شروح وفيها أسرار والمراد منها قوله:

فإن قلت: ما فائدة قوله: فلو شاء لهديٰكم أجمعين إلى قوله: فمشيئته أحديّة التّعلّق إلى آخره، أمّا قوله: فما هديٰكم أجمعين، فمعناه أنّه ما شاء هداية الكلّ لعدم قبول بعض الأعيان الهداية من أنفسهم وذواتهم، ولا يشاء هداية الجميع أبداً لامتناعهم القبول لتلك الهداية وذلك لأنّ شؤون الحقّ كما تقتضي الهداية كذلك تقتضي الضّلال بل نصف شؤونه يترتّب على الضّلال كما يترتّب النّصف الآخر على الهداية ولذلك قسم الدّار الآخرة بالجنّة والنّار وخلق آدم بيديه وهما الصّفات الجماليّة التي مظهرها في الآخرة الجنّة والجلاليّة التي مظهرها فيها النّار فطابق الأوّل الآخر، وأمّا قوله: فمشيئته أحديّة التّعلّق وهي نسبة تابعة للعلم إلى آخره، فمعناه أن تعرف أنّ للحقّ مشيئة واحدة عامة يتجلّى بها فتأخذ كلّ عين نصيبها منها بحسبها فيظهر بمقتضاها هداية كانت أو ضلالة كما قال:

﴿وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر﴾ [سورة القمر: ٥٠]

وإذا كان الواقع في الوجود أحد النّقيضين باقتضاء العين ذلك، فمشيئته أحديّة التّعلّق لأنّها نسبة للعلم إذ ما لايعلم بوجه من الوجوه لايمكن تعلّق الإرادة والمشيئة به والعلم نسبة تابعة للمعلوم من حيث تغايرهما وامتياز كلّ واحد منهما عن غيره والمعلوم الأعيان الثّابتة وأحوالها وهي لاتقتضي إلاّ وجود أحد الطرفين من النّقيض فالمشيئة أيضاً لاتتعلّق إلاّ به، وقوله: ليس للعلم أثر نتيجة لقوله: والعلم نسبة تابعة للمعلوم وأثر المعلوم في العالم اقتضاؤه وطلبه من العالِم القادر على ايجاده على ما هو عليه كما مرّ مراراً، وقوله: إنّما ورد الخطاب الإلهي بحسب ما تواطأ عليه المخاطبون إلى آخره، معناه أنه لمّا كان أكثر الأشخاص الإنسانية عقلاء وأصحاب النّظر الفكري ما ورد الخطاب الإلهي إلاّ بحسب ما تواطأوا أي توافقوا عليه وهو العقل ومقتضاه ولم يرد على ما يعطيه الكشف لعدم وفاء الاستعدادات بذلك ولقلّة العارفين أصحاب

الكشوف الواقفين على سرّ القدر، ولورود الخطاب الإلٰهي بحسب إدراك المخاطبين وعقولهم كثر المؤمنون وقلّ العارفون، لأنّ طور المعرفة فوق طور الإدراك العقلي وهو الكشف عن حقائق الأمور على ما هي عليه وكلّ ميسّر لما خلق له.

(وجود كل شخص مطابق لسؤاله وطلبه بلسان استعداده)

وحاصل هذا الكلام والكلام السّابق من الله تعالىٰ وكلام الأئمّة (ع)، شيء واحد وهو أنّ المشيئة إمّا أن تكون بمعنى العلم الإلهي في الأزل بوجود الموجودات وماهيّاتها وأعيانها من غير تأثير فيها بما يقرّر أنّ العلم ليس له تأثير في المعلوم، وإمّا أن تكون بمعنى المنع من طرف القابل وامتناع التصرّف فيه من عدم قابليّته، وإمّا أن تكون بمعنى الإرادة ورجوع الأمر إلى اختياره مطلقاً، فإن كان الأوّل فما شاء هدايتهم إلاّ على الوجه الذي كان عالماً بهم وباقتضاء أعيانهم وحقائقهم وطلبهم منه الوجود الخارجي واعطائهم ما طلبوا منه بمقتضى ذواتهم لقوله:

﴿وآتاكم من كلّ ما سألتموه﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].

أي وآتيكم من كلّ ما سألتموه بلسان استعدادكم وقابليّتكم،

وإن كان الثّاني فإعطاؤهم الوجود على قدر قابليّتهم واستعدادهم من غير جبر ولا إكراه على شيء خارج عن استحقاقهم لأنّ العدل لا يقتضي غير هذا أي إعطاء وجود كلّ موجود على قدر قابليّته واستعداده كما ورد عن داود (ع) أنّه قال:

قلت لربّي ياربّ! لماذا خلقت الخلق؟ قال: لما هم عليه.

ويشهد بذلك: ﴿قل كلّ يعمل علىٰ شاكلته﴾ [سورة الإسراء: ٨٤].

وإن كان الثّالث ففي الأزل ما أراد الله إلاّ أن يهديهم ويرشدهم إرادة واختياراً لا جبراً ولا قهراً حتّى لا يناقض فعله غرضه كما تقدّم ذكره.

وعلى جميع التقادير، تفسير المشيّة بالعلم أولىٰ وأنسب من تفسيرها بالأمر والإرادة، لأنّ بهذا ترتفع الشّبهات كلّها ويتّضح الأمر عليها على ما هو عليه في نفس الأمر، وبذلك تزيد الشّبهات ويكثر الإغواء والإضلال للخلق نعوذ بالله منه والله يقول الحقّ وهو يهدي سواء السّبيل، وسيجيء هذا البحث أبسط من ذلك

في هذه المقالة الآتية بعد المقالة الثانية، وهو هذا:

المقالة الثّالثة في تحقيق قوله تعالى:
﴿ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمّة واحدة إلى قوله ولذلك خلقهم﴾

[سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩].

إعلم، أنّ هذا البحث مشتمل على بيان اختلاف الحقائق والماهيّات، واختلاف النّاس في ذواتهم وحقائقهم وآرائهم وعقائدهم، متمسّكاً بقوله:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [سورة هود: ١١٨].

(هل الاختلاف والكثرة في الماهيات بجعل الجاعل أم لا؟)

وهذا البيان مفتقر إلى تقديم مقدّمتين، الأولى إلى أنّ الأعيان والماهيّات بجعل الجاعل، والثّانية إلى أنّها ليست بجعل الجاعل، والمذهب الأول مذهب أهل الظاهر والعلماء وأرباب التّقليد منهم، والمذهب الثّاني مذهب أهل الله من العارفين الموحدين وبعض الحكماء.

أمّا الطائفة الأولى، فقالوا أنّ الله تعالى عليم حكيم لا يفعل إلّا على الوجه الأصلح والأنفع وعلى الوجه الّذي يقتضي علمه وحكمته **﴿ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون﴾** [سورة الأنبياء: ٢٣]، وعلى هذا التّقدير فاختلاف الماهيّات والأعيان يكون من مقتضى علمه وحكمته وكذلك جعلهم في الخارج وتخليقهم في عالم الشّهادة يرجع إلى علمه بهم في الأزل وجعله لهم على ما هم عليه مطابقاً لما في علمه لقوله:

﴿ويفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧].

لكن تبقىٰ ههنا اعتراضات واحتجاجات كثيرة لأنّ كلّ ماهيّة من الماهيّات وكلّ عين من الأعيان له أن يعترض عليه ويقول: بلسان الحال أو القال لم جعلتني كذا وكذا وما جعلتني كذا وكذا كالشّقيّ مثلاً بالنّسبة إلى السّعيد، فإنّ له أن يقول: لِم جعلتني شقيّاً وما جعلتني سعيداً، وكذلك الجاهل بالنّسبة إلى العالم والفقير إلى الغنيّ.

ويهذا يكون لهم على الله حجّة من غير العكس، وقد قال الله تعالى: ﴿فللّه الحجّة البالغة﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩]، وليس لهم من هذا الإلزام مفرّ ولا مرجع إلّا التّسليم والرّضىٰ بما قضى ورجوع (الأمر إلى) علمه وحكمته بمقتضى إرادته ومشيّته ولا شكّ أنّ هذا الجواب غير موجّه ومن هنا قال:

﴿لا تسْألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ [سورة المائدة: ١٠١].

والحق أنه اعتقاد غير مطابق.

(المعلومات الأزليّة لا يجوز أن تكون مجعولة)

وأمّا الطّائفة الثّانية، فقالوا: إنّ الحقائق والأعيان والماهيّات ليست بجعل الجاعل لأنّها معلوماته الأزليّة والمعلومات الأزليّة لا تجوز أن تكون مجعولة، لأنّها لو كانت مجعولة لزم سبق العلم على المعلوم بزمان أو أزمنة أو عدم العلم بالمعلومات الأزليّة قبل أن يجعلها مجعولة له، والقسمان بأسرهما باطلان، فلم يبق إلّا أن تكون معلومة غير مجعولة له، وأيضاً قد تقرّر في الأصول، أن العلم تابع للمعلوم ووجود التّابع الّذي هو العلم بغير وجود المتبوع الّذي هو المعلوم محال، لأنّ العلم لا يصدق عليه أنّه علم إلّا إذا طابق المعلوم وإلّا يسمّى جهلاً تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، والمراد من قولهم: إن العلم يجب أن يكون مطابقاً للمعلوم، هذا (...) لأنّ كلّ علم لا يكون مطابقاً للمعلوم في الخارج يكون جهلاً، وبناءً على هذا لا يجوز أن تكون معلوماته الأزليّة مجعولة له وإلّا ما يثبت له العلم، ويلزم الفساد المذكور وهذا هو المطلوب في هذا البحث، ووجه آخر وهو أنّه تعالى عالم بالمعدومات وعالم بالموجودات، وكلامنا في المعلومات المعدمة أزلاً أعني المعدومة في الخارج الثّابتة في العلم قبل وجودها في الخارج فإنّها لا يصدق عليها أنّها مجعولة لأنّ الجعل إنّما يتعلّق بالوجود الخارجي لا بالوجود العلمي أو الذّهني، والموجودات لا بالمعدومات، وإذا تقرّر هذا فالأولىٰ أن نرجع إلى الأصول والقواعد الكليّة، ونبحث على الأصل الصّحيح والأساس الكلّي، وهو أن نقول: لا شك ولا خفاء أن الأعيان والحقائق والماهيات من معلوماته الأزلية وقبل الوجود الخارجي لم يكن لها أثر إلّا في العلم، فالوجود لو كان بجعل لم يكن الجاعل عالماً بها في الأزل لأنّها لو كانت بجعله لم تكن أزليّة والحال أنّها أزليّة، فحينئذ لا

يكون بجعله أصلاً نعم يصدق عليها أنّها مجعولة بالنّسبة إلى الوجود الخارجي لا الوجود العلمي وكلامنا في الوجود العلمي فلا تكون مجعولة بهذا المعنى وقد أشار إلى هذا بعض الفضلاء أوضح من هذا وهو قوله:

(عدم مجعوليّة الأعيان الثابتة والماهيّات المعدومة)

حقيقة كلّ موجود عبارة عن نسبته بعينه في علم ربّه أزلاً ويسّمى باصطلاح المحققين عيناً ثابتة، وباصطلاح الحكماء ماهيّة معدومة، ومعلوميّة الحقائق وعدميّتها لا توصف بالجعل إذ المجعول هو الموجود في الخارج فما لا وجود له في الخارج لا يكون مجعولاً: فلو كان كذلك لكان للعلم القديم في تعيّن معلوماته فيه أزلاً أثر مع أنّها خارجة عن العالم بها فإنّها معدومة لأنفسها لا ثبوت لها إلاّ في نفس العالم بها ولو قيل بجعلها لزم أمّا مساوقها للعالم بها في الوجود أو أن يكون العالم بها محلاً لقبول الأثر في نفسه وظرفاً لغيره، وكلّ ذلك محال، لأنه قادح في صرافة وحدته أزلاً تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقد أشار شارح الفصوص في مقدّماته[٩٩] أيضاً إلى هذا وقال: الأعيان والحقائق من حيث إنها صور علمية لا توصف بأنها مجعولة لأنّها حينئذ معدومة من الخارج والمجعول لا يكون إلاّ موجوداً كما لا توصف الصّور العلميّة والخياليّة الّتي في أذهاننا بأنّها مجعولة ما لم توجد في الخارج ولو كانت كذلك لكانت الممتنعات أيضاً مجعولة، لأنها صور علميّة، فالجعل إنما يتعلّق بها بالنّسبة إلى الخارج وليس جعلها إلاّ إيجادها في الخارج.

فلا تكون حينئذٍ قبل إيجادها مجعولة وهو المطلوب.

وقال أوضح من هذا وهو قوله[١٠٠]:

إعلم أنّ للأسماء صوراً معقولة في علمه تعالى لأنّه عالم بذاته لذاته وأسمائه

---

(٩٩) قوله: وقد أشار شارح الفصوص في مقدماته الخ.
شرح القيصري ص ٢٠ فراجع.

(١٠٠) قوله: وقال أوضح من هذا الخ.
شرح القيصري ص١٨ الفصل الثالث.

وصفاته، وتلك الصّور العقليّة العلميّة من حيث إنّها عين الذّات المتجليّة بتعيّن خاصّ، ونسبة معيّنة هي المسمّاة بالأعيان الثّابتة، سواء كانت كليّة أو جزئيّة في اصطلاح أهل الله، وتسمّىٰ كليّاتها بالماهيّات والحقائق، وجزئيّاتها بالهويّات عند أهل النّظر، فالماهيّات هي الصّور الكليّة الأسمائيّة المتعيّنة في الحضرة العلميّة (تعيّناً أوّليّاً)، وتلك الصور فائضة عن الذّات الإلهيّة بالفيض الأقدس والتجلّي الأوّل بواسطة الحبّ الذّاتي، وطلب مفاتح الغيب الّتي لايعلمها إلاّ هو ظهورها وكمالها، فإنّ الفيض الإلهي ينقسم بالفيض الأقدس والفيض المقدّس، وبالأوّل تحصلُ الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصليّة في العلم، وبالثّاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها.

(اتحاد العقل والعاقل والمعقول)

وهذا بحث مبنيّ على أنّ الفاعل والقابل يكون شيئاً واحداً، ولا يكون في الوجود إلاّ هو وكمالاته فيكون فاعلاً من جهة وقابلاً من جهة أخرى، كما قالت الحكماء في العقل والعاقل والمعقول فإنّها شيء واحد في الحقيقة وكثيرة بالاعتبار، وكذلك في العشق والعاشق والمعشوق، وإلى هذا أشار الشّيخ الأعظم في فصوصه أيضاً في قوله:(١٠١).

ومن شأن الحكم الإلهي أنّه ما سوّىٰ محلاً إلاّ ولا بدّ أن يقبل روحاً إلهيّاً عبّر عنه بالنفخ، وما هو إلاّ حصول الاستعداد من تلك الصّورة المسوّاة لقبول الفيض التجلّي الدّائم الّذي لم يزل ولا يزال، وما بقي إلاّ قابل، والقابل لا يكون إلاّ من فيضه الأقدس، فالأمر كلّه منه ابتداؤه وانتهاؤه ـ وإليه يرجع الأمر كلّه ـ كما ابتدأ منه.

وعلى هذه التّقادير لا يجوز أن تكون الأعيان والماهيّات والقوابل بجعل الجاعل، لأنّا إذا فرضنا القابل والفاعل شيئاً واحداً وفرضنا الفاعل ذاته والقابل أسماءه وصفاته وسمّينا الأول بالوجود المطلق الحقّ، والثاني بالوجود المقيّد

---

(١٠١) قوله: وإلى هذا أشار الشيخ الأعظم الخ.
شرح القيصري للفصوص ص ٦٣، وفصوص العفيفي ص ٤٩.

الخلق، وسمّينا الكلّ مظهر أسمائه وصفاته وأفعاله والأعيان والماهيّات والحقائق صورة معلوماته الأزليّة الأوّليّة فلا يكون حينئذٍ هذا الوجود جاعلاً لشيء يتعلّق بذاته وكمالاته لأنّه كان دائماً على هذه الصّفة فكيف يصير غير هذا وقلب الحقائق محال خصوصاً بالنّسبة إلى الواجب، والشيء قطّ لا يكون جاعلاً لنفسه أصلاً، وكذلك لكمالاته الذّاتيّة وخصوصيّاته الأسمائيّـة، لأنّ الشيء لا يخلو من وجهين إمّا أن يكون واجباً لذاته أو ممكناً لذاته فإن كان واجباً لذاته فكمالاته وخصوصيّاته وجميع ما يترتّب عليها تكون حاصلة له بالذات. . . فيه أصلاً، وإن كان ممكناً فماهيّاته العلميّة وأعيانه المعقولة لا تكون بجعله ولا بجعل غيره، فإن ذلك من المعلومات الأزليّة الإلهيّة كما تقرّر، وأمّا المترتب. . . الوجود الخارجي وتوابعه من الكمالات والنقائص فذلك يجوز أن يكون مجعولاً للحقّ وليس كلامنا فيه مع أنّه تابع للوجود العلمي، بل كلامنا في الوجود العلمي الّذي هو من معلوماته الأزليّة والممكن ليس له إلّا الطلب بلسان الحال الوجود الخارجي على حسب قابليّتـه واستعداده من الفاعل الحقيقي مطابقاً للوجود العلمي وهذا هو مطلوبنا من هذا البحث ولهذا قال:

﴿وآتاكم من كلّ ما سألتموه﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].

بلسان استعدادكم وقابليّتكم تابعاً للوجود العلمي الغير المجعول وعلى هذا التّقدير لا يكون شيء بجعله من ذلك الوجود بل في الوجود الخارجي المذكور ولا يصدق الجعل إلّا عليه أي على الوجود الخارجي فافهم فإنّه ينفعك كثيراً في مواطن كثيرة بالنّسبة إلى هذا الكتاب وحيث إنّ هذا البحث من أعظم أسرار القدر والحقيقة من الضروريّات بالنّسبة إلى هذا المكان فلنشرع فيه بمثال مناسب تقـريباً للفهم وتوضيحاً للمبحث ونقول:

(الأعيان والماهيّات في علم الحق بمثابة الحروف وماهيّاتها في ذهن الكاتب)

إعلم أنّ مثال الأعيان والماهيّات الممكنة في علم الحقّ تعالى مثال أعيان الحروف وماهيّاتها في ذهن الكـاتب مثلاً، فـإنّ ثبوتهـا ليس بجعل الكـاتب لأنّ الكاتب ليس له إلّا العلم بوجودها وماهيّاتها أي وجودها العلمي وماهيّاتها الذّهنيّة على ما هي عليها في أنفسها من الأوضاع والأشكال، ومعلوم أنّ العلم ليس بمؤثّر

في العلوم فلا تكون حينئذٍ مجعولة للكاتب من هذا الوجه، نعم يصدق عليها أنّها مجعولة للكاتب إذا أوجدها في الخارج مطابقاً لما في الذّهن، فالحق تعالى كذلك، فإنّه إذا أوجد شيئاً في الخارج مطابقاً لما في علمه الأزليّ السّابق على وجود ذلك الشيء. يسمّى مجعولاته ومخلوقاته، فأمّا إذا كان في علمه الأزليّ الذّاتي وكان من معلوماته الأوّليّة فلا يسمّى مجعولاً ولا يصدق عليه أنّه من مجعولاته، لأنّه تعالى ما صار عالِماً به في الأزل إلاّ على الوجه الّذي كان هو عليه في نفسه حالة العدم، لأنّه لو جعله موجوداً ثمّ صار به عالماً للزم الفساد المذكور الّذي هو سبق العلم على المعلوم أو الجهل به في آنٍ من الآنات، والأقسام بأسرها باطلة كما عرفتها فلا تكون معلوماته الأزلية مجعولاته وهو المطلوب، ﴿**وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون**﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

(الأعيان والماهيّات من شؤون ذات الحق تعالى وكمالاتها غير المتناهية)

ومثال آخر، وهو أنّ الأعيان والماهيّات من شؤونه الذّاتيّة الّتي هي عبارة عن كمالاتها غير المتناهية الكامنة في ذاته المسمّاة بالصّفات والأسماء والكمالات والشؤون، كما أنّ الأعضاء والأوراق والأثمار كلّها من كمالات الشّجر وأنّها حال علمها بذاتها في النّواة لا تُسمّىٰ شجراً ولا موجوداً في الخارج، بل يسمّى هذا العلم علم النّواة بكمالاتها الذّاتية ومراتبها الشّجريّة فكما لا ينسب علم النّواة مثلاً بتفاصيل كمالاتها الذّاتيّة في صور أوراقها وأغصانها وأزهارها وأثمارها إلى جعلها، كذلك لا ينسب علم الحق تعالى بتفاصيل كمالاته الذّاتية في صور أسمائه وصفاته وأفعاله ومظاهره ومجاليه الّتي هي المخلوقات العلميّة أزلاً والمكونات الذّاتيّة المكتفية في الذات إلى جعله ولهذا قال:

﴿**إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ [سورة يس: ٨٢].

وتقديره إذا أراد إيجاد شيء من هذه الموجودات العلميّة في الخارج يشير إليه بإبرازه من العدم إلى الوجود ومن الكتم إلى الظّهور...

﴿**وله المثل الأعلى في السمٰوات والأرض**﴾ [سورة الرّوم: ٢٧].

وقوله:

﴿هل أدّلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [سورة طه: ١٢٠].

كأنّه إشارة إلى شجرة الوجود المطلق الّذي هو العالم تفصيلاً والإنسان إجمالاً كما سبق تقريره، وإلى أغصانها وأوراقها وأزهارها الّتي هي الموجودات المقيّدة الخارجيّة، لأنّ كلّ من يشاهد هذه الشّجرة على ما هي عليه من الكمالات والأسماء والصّفات يكون في ملك لا يبلىٰ ولا يزول أزلاً وأبداً وسنبيّنه أبسط من ذلك إن شاء الله عند بيان قوله:

﴿الله نور السّمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة، إلى قوله: يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة﴾ [سورة النور: ٣٥].

لأنّها أيضاً كناية عن هذه الشجرة وأغصانها وأوراقها وقد ورد في اصطلاح المحقّقين هذا المعنى بعينه بحيث نسبوا الوجود العلمي إلى الأعيان الثابتة والوجود الخارجي إلى الأكوان الخارجيّة، ونسبوا الأوّل إلى التّجلّي الأوّل الذّاتي والثّاني إلى التجلّي الثاني الصّفاتي، كقولهم:

(في بيان التجلّي الأول الذاتي والتجلّي الثاني الصفاتي)

التّجلّي الأوّل هو التّجلّي الذّاتي أي تجلّي الذّات وحدها لذاتها وهي الحضرة الأحديّة الّتي لا نعت فيها ولا رسم إذ الذّات الّتي هي الوجود الحقّ المحض وحدته عينه لأنّ ما سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلّا العدم المطلق وهو اللّاشيء المحض فلا يحتاج في أحديّته إلى وحدة وتعيّن يمتاز به عن غيره ولا عن شيء مطلقاً فوحدته عين ذاته، وهذه الوحدة منشأ الأحديّة والواحديّة لأنّها عين الذّات من حيث هي هي أعني لا بشرط شيء معه أي المطلق الّذي يشمل كونه أن لا شيء معه وهو الأحديّة، وكونه بشرط أن يكون معه شيء وهو الواحديّة، والحقائق في الذّات الأحديّة كالشجرة في النواة وهي غيب الغيوب، والتّجلّي الذّاتي هو الّذي تظهر به أعيان الممكنات الثّابتة الّتي هي شؤون الذّات لذاته تعالى وهو التعيّن الأوّل بصفة العالميّة والقابليّة لأنّ الأعيان معلوماته الأول الذّاتيّة القابلة للتجلّي الشّهودي، وللحقّ بهذا التجلّي تنزّل من الحضرة الأحديّة إلى الحضرة الواحديّة بالنّسب الأسمائيّة.

وكلّ هذا الكلام مطابق موافق لما ذهبنا إليه، والغرض من الاستشهاد والاعتضاد بكلام الأكابر من أولياء الله، وجهان: الأوّل اطمئنان قلب السّامع واستظهاره في إزالة الشّبهات. والثّاني دفع أقوال الجهّال والمنكرين لأهل الله بقدر الوسع والطّاقة وإن لم ينفع.

وههنا أبحاث كثيرة ليس هذا موضعها وهذه كلّها مقدّمات لغرض نريد أن نبيّنه وهو تأويل قوله تعالى:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [سورة هود: ١١٨].

وإذا عرفت هذه الأصول والقواعد في كلامنا وكلام غيرنا، فاعلم أنّ قوله تعالى:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [سورة هود: ١١٨].

(اختلاف الأعيان الثابتة في الحضرة العلميّة الغيبيّة وحضرة الشهادة)

إشارة إلى الاختلافات الذّاتيّة المعنويّة للأعيان الثابتة في الحضرة العلميّة الغيبيّة، وإلى الاختلافات الصّوريّة الخارجيّة المطابقة لتلك الاختلافات في حضرة العينيّة الشهاديّة، وتقديره وهو أنّ الأعيان والماهيّات العلميّة الأزليّة الغير المجعولة لا يزالون مختلفين في الموجودات المجعولة الخارجيّة وتوابعها ولوازمها من النّقائص والكمالات والآراء والاعتقادات والأوضاع والتشكّلات.

إلاّ ما رحم ربّك:

أي إلاّ ما كان في علم ربّك إنّه من أهل الرّحمة والهداية والعناية، وبقى على صرافة فطرته ولطافة جبلّته دون أهل الخلاف والجدال والإغواء والإضلال وما اختلف في شيء من تلك الاختلافات وإن كان في الحقيقة هذه كلّها يرجع إلى اقتضاء ذات ذلك الموجود، لأنّ الله تعالى له علم بحاله على ما يكون في استقباله والعلم ليس بموثّر كما مرّ وقوله:

﴿ولذلك خلقهم﴾ [سورة هود: ١١٨].

أي ولذلك الاختلاف خلقهم، والمراد بالخلق الجعل يعني خلقهم

وجعلهم مختلفين في الصّور والأشكال والآراء والاعتقادات كما كانوا مختلفين في الذّوات والماهيّات والحقائق. . . الوجود الخارجي مطابقاً للوجود العلمي لئلاّ يخالف علمُه فعلَه وغيبُه شهادتَه، ولا يكون لأحد عليه اعتراض بأنّك لِمَ جعلتني كذا وكذا وما جعلتني كذا وكذا، لأنّ الفاعل ليس له إعطاء وجود القابل إلاّ على الوجه الّذي هو علمه في نفسه ويطلب من الفاعل ذلك الوجود بلسان الحال، وقد سبق في صورة المثال الّذي كان في الكتاب والكتابة والحروف الذّهنيّة والخارجيّة هذا المعنى بعينه، ومع ذلك نرجع إليه ونقول مرّة أخرى:

(طلب الأعيان الثابتة الوجود الخارجي)

اعلم أنّ هذه الأعيان والماهيّات المعدومة في الخارج، الثّابتة في العلم دائماً تطلب الوجود الخارجي من الفاعل الحقيقي بلسان الحال والاستعداد والفاعل أيضاً يقتضي ذاته دائماً إفاضة الوجود الخارجي على القوابل الّتي هي الأعيان والماهيّات لأنّه جواد مطلق والجواد المطلق هذا شأنه أعني يكون مفيضاً للخيرات دائماً، وجوداً كان أو صفة، علماً كان أو حالاً، قولاً كان أو فعلاً، فإذا طلب مثلاً عين من تلك الأعيان منه تعالى - الّذي هو الفاعل الحقيقي - الوجود الخارجي بلسان الحال والاستعداد فالحقّ تعالى جلّ ذكره لا بدّ أن يفيض عليه ذلك الوجود الخارجي على حسب ما اقتضى استعداده وقابليته، لأنّ الفاعل المطلق لا يتصرّف في القابل مطلقاً إلاّ على الوجه الّذي هو عليه من القابليّة، وكذلك الجواد المطلق بالنّسبة إلى السائل مطلقاً فإنّه لا يجود عليه إلاّ على الوجه الّذي ينبغي أي على الوجه الأتمّ والأكمل، أعني على قدر قابليّته واستعداده من غير إمساك وبخل، لأنّ البخل ممتنع في حضرته تعالى الله عن ذلك.

(النقص والكمال اقتضاء الذات ومطابق للسؤال والقابليّة)

وعلى هذا التّقدير فإذا أفاض عليهم الوجود الخارجي على الوجه المذكور أعني بقدر القابليّة والاستعداد من غير زيادة ولا نقصان، لأنه لو أفاض عليهم فوق قابليّتهم ما قبلوا وكانت إفاضته عليهم عبثاً والعبث عليه تعالى محال، وكذا لو أفاض دون قابليتهم فأيضاً ما قبلوا من عدم قابليتهم وكانت عبثاً فلا يكون لموجود

من الموجودات عليه اعتراض بوجه من الوجوه بأنّك لم جعلتني كذا وكذا فإنّه يعلم حقيقة أنّ هذا الاعتراض غير موجّه لعلمه به بأنّ هذا كان منه ومن اقتضاء عينه وحقيقته وأنّه حكم عليه تعالى بلسان حاله بجعله كذا وكذا كما سبق ذكره في صورة الحروف، فإنّ الجيم أو الدّال أو أيّ حرف أردت، يحكم على الكاتب بأن تخطّني كذا وكذا في الخارج وكلام الشّيخ الّذي تقدّم عند بحث المشيّة إشارة إلى هذا وهو قوله(١٠٢):

ما يحكم علينا إلاّ بنا، لا، بل نحن نحكم علينا بنا ولكنّ فيه، ولذلك قال: ﴿فللّه الحجّة البالغة﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩].

يعني على المحجوبين إذا قالوا للحقّ لم فعلت بنا كذا وكذا ممّا لا يوافق أغراضهم، فيكشف لهم عن ساق وهو الأمر الّذي كشفه العارفون هنا ويرون أنّ الحقّ ما فعل لهم ما ادّعوه أنّه فعله وأنّ ذلك منهم، فإنّه ما علّمهم إلاّ على ما هم عليه فتندحض حجّتهم، وتبقى الحجة لله البالغة.

ومثل العرب الّذين قالوا: يداك أوكتا وفوكَ نَفَخ، مناسب بهذا المقام، لأنّه مثل مشهور واقع في مثل هذا الحال.

وبناء على هذا فكلّ ما يظهر من موجود من الموجودات مثلاً، من الفعل أو القول كمالاً كان أو نقصاناً، حسناً كان أو قبيحاً يكون راجعاً إليه وإلى اقتضائه الذّاتيّة لا إلى الله ولا إلى غيره، نعم يرجع إلى الله في هذا إعطاؤه على حسب ما طلبهُ أعني يكون وجود ذلك الشيء من الله والطلب على الوجه المعلوم منه، وهذا معنىٰ قوله تعالى:

﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ [سورة الإسراء: ٨٤].

ومعنىٰ قول النبيّ (ص): «كلّ ميسّر لما خلق له» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٦٤ فراجع].

ويعضد هذين القولين قود داود (ع) الذي قال: قلت: يا ربّ لماذا خلقت

---

(١٠٢) قوله: وكلام الشيخ الذي تقدّم الخ.
شرح الفصوص للقيصري ص ١٧٦.

الخلق؟ قال: لما هم عليه.

أي لما هم عليه من الاستعدادات والقابليّات والنقائص والكمالات ويكفي في هذا قوله: ولذلك خلقهم، لأنه يقوم بجواب الكلّ عند العارف المحقّق كما سبق ذكره بأنّ اللام الّذي في ذلك للعلّة فيكون تقديره: أي للاختلاف خلقهم، وقد عرفت أنّ الخلق بمعنى الجعل فيرجع القول إلى ما قلناه مراراً بأنّه يقول: جعلتهم كذا وكذا بمقتضى ما كانوا عليه في العالم الذّوات والماهيّات وإذا بيّن الاختلافات في الذّوات بيّن الاختلافات في الصّفات، وإذا بيّن الاختلافات في الصّفات والذّوات ارتفع التساوي بينهم في جميع الحالات، ولهذا نطق بالحقّ والعدل وصدق في القول والفعل من قال بعدم المثليّة في الأشياء مطلقاً دون واجب الوجود لأنّه شاهد حقاً ونطق عدلاً، وقد تقرّر في الأصول عند أرباب التوحيد أنّ التجلّي غير متكرّر وان الحق لا يتجلّى أبداً في صورة مرّتين. ولا بمعنى واحد فيه.

وكذلك أزل الآزال وأبد الآباد والباقي باق في الأزل والفاني فانٍ لم يزل وإذا رجعت إلى القاعدة الكليّة: أنّه ليس في الوجود غيره ولا غير أسمائه وصفاته والكلّ هو وبه ومنه وإليه عرفت أنّ كمالاته غير متناهية من غير تكرار والوجود كلّه مظهر كمالاته الغير المتناهية وعرفت أنّ هذا صحيح وقط لا يمكن في الوجود مساواة من جميع الوجوه أصلاً وأبداً وعرفت معنى قوله:

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [سورة هود: ١١٨].

وعرفت سرّ إشارته ولذلك خلقهم، وقد صنّفنا رسالة في المبدأ والمعاد أكثرها مشتملة على هذه الأبحاث ورتّبنا لها خطبة أيضاً مشتملة على هذا المجموع والخطبة لها مناسبة بهذا الكلام نذكرها ونختم هذه الأبحاث وهي هذه: الحمد لله الموجد بجوده العام وجود الموجودات والمخلوقات من المبدعات والمكوّنات، المعطي حقّهم من حيث اقتضائهم الذّاتي في عالم الأعيان والماهيّات، الظّاهر فيهم على حسب اختلافاتهم في الاستعدادات والذّوات، الحاكم عليهم بحسب حكمهم عليه في عالم الأسماء والصّفات، لئلا يكون لأحد منهم عليه حجّة بظهور أفعالهم من الحسنات والسيّئات، ويصل كلّ واحد منهم إلى مقامه المعيّن له بحسب اختلاف الملكات، وصلّى الله على من هو أكمل منهم في تطبيق هذه الطبقات، المخصوص من بينهم ذاتاً وصفةً بأشرف المقام وأعظم

الدّرجات، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته الّذين اصطفاهم الله لنفسه من سائر المخلوقات، المخصوصين منهم آناً فآناً بأعظم السّلام وأشرف الصّلوات، خصوصاً على من هو نقطة هذه الدائرة بعده من جميع الجهات، القائم بقيام مراتبه التّوحدّية من الوحدات والكثرات.

وبالجملة هذا آخر ما كان عندنا في تأويل قوله تعالى:

﴿ولا يزالوان مختلفين﴾، بقدر هذا المقام، وحيث ثبت اختلاف الأعيان والماهيّات وثبت اختلاف الموجودات والمخلوقات، سبقت اختلافها في عالم الأسماء والصّفات، ثبت اختلاف القرآن المترتّب على هذه العوالم كلّها ليشمل الكلّ ولا يخرج أحد من حكمه وإن لم يختلف هو في نفس الأمر كما بيّناه غير مرّة.

وإذا فرغنا من تأويل هذه الآية، فلنشرع في باقي الآيات المتشابهات حسب ما قرّرناه في الفهرست وهو هذا:

المقالة الرابعة في تطبيق المتناقضات والمتشابهات الواردة في الكلمات والآيات المتقدّم ذكرها في المقدّمات

(المراد من وحدة الناس واختلافهم وبيان التطبيق بين الكريمتين):
﴿كان الناس أمّة واحدة﴾ و﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة﴾

اعلم أنّ قوله تعالى:

﴿كان النّاس أمّةً واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وقوله: **﴿ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك الآية﴾** [سورة هود: ١١٨ ـ ١١٩].

ليس فيه تناقض ولا تعارض، لأنّ مراده بالقول الأوّل وهو أنّ النّاس كانوا في زمان آدم (ع) على ملّة واحدة وطريقة واحدة وهي الملّة التّوحيديّة والفطرة الإسلاميّة، لقربهم من عالم الغيب ونزولهم عنه وعدم الاختلاط بشياطين الأنس

والجنّ حتّى اختلف بعضهم بمخالطتهم لأهل الأهواء والبدع والإغواء والضّلال من أتباع الشّياطين الصّوريّة أوالمعنويّة واختلطوا في اعتقادهم ﴿وضلّوا عن سواء السبيل﴾ [سورة المائدة: ٧٧].

لقوله تعالى فيهم:

﴿يا ويلتىٰ ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ [سورة الفرقان: ٢٨ ـ ٢٩].

وبقي بعضهم على صرافة فطرتهم ولطافة عقيدتهم من غير اختلاف في شيء أصلاً رعاية للمشهد الأزلي المشار إليه في قوله:

﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

وعناية في حقّه من الله ورحمة منه، لقوله:

﴿إلا من رحم ربك﴾ [سورة هود: ١١٩].

ولقوله أيضاً:

﴿إن الّذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١].

وقيل: هذا الاختلاف إشارة إلى اختلاف هابيل وقابيل من أولاد آدم(ع)، والّذي جرى بينهم وقضيّتهم مشهورة، وذلك راجع إلى تقابل الأسماء وتعارضها من الأسماء الجلاليّة والجماليّة والقهريّة واللّطفيّة المشار إليهما في قوله:

﴿خلقت بيديّ﴾ [سورة ص: ٧٥].

وفي قوله:

خمّرت طينة آدم بيديّ أربعين صباحاً(١٠٣).

---

(١٠٣) قوله: وفي قوله: خمّرت طينة آدم بيديّ الحديث.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالىء ج ٤، ص ٩٨، الحديث ١٣٨.

وذكره نجم الدين الرازي في مرصاد العباد ص ٤٨ وذكره أيضاً الغزالي في إحياء العلوم ج ٤،

(في بيان المقصود من اليدين المنسوبتين إلى الله سبحانه)

لأنّ المراد باليدين الصّفتان المذكورتان لا غير، لأنّ اليد هي الآلة الّتي بها يتصرف صاحبها في الأفعال، والحقّ تعالى جلّ جلاله بهاتين الصّفتين يتصرّف في العالم كيفما شاء فكأنّهما كاليدين بالنّسبة إليه، وقوله جواباً لليهود:

﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

إشارة إلى هذا، ويداه عند التّحقيق العالم العلوي والعالم السفلي وما أشار عليهما لقوله بالنّسبة إلى العلوي:

﴿والسّموات مطويّات بيمينه﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

ولقوله بالنّسبة إلى السّفلي:

﴿والأرض جميعاً قبضته﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

وذلك أيضاً لأنّ العالمين المذكورين هما مظهران لاسمي الجلاليّة والجماليّة والقهريّة واللّطفيّة.

(المقصود من إرسال الرسل حلّ اختلاف النّاس وهدايتهم)

وهنا أبحاث كثيرة ستعرفها في موضعها، والغرض أنّهم لمّا اختلفوا في العقائد وتشتّتوا في الآراء بعث إليهم الأنبياء والكتب بعد آدم (ع) ليحكموا عليهم ويردعوهم عن الضّلال والإضلال والإغواء والاختلاف، لقوله تعالى:

﴿فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

ومعناه، الّذي سبق، أعني بعث النبيّين وأنزل الكتاب معهم ليحكموا بين هؤلاء المختلفين من النّاس ويقولوا ما هو الحقّ والصّدق في نفس الأمر لكي

ص ٢٧٧ وقال: قال (ع): إن الله خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً، وقال العراقي في ذيله: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي الخ، وذكره أيضاً السهروردي في عوارف المعارف الباب السادس والعشرون ج١، إحياء العلوم ج ٥، ص ١٢١.

يرجعوا عمّا هم عليه من الضّلال والإغواء ويتوجّهوا إلى الحقّ والطّريق المستقيم المأمور به، وأكّد أيضاً القول السّابق بالقول اللاحق وقال:

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [سورة النحل: ٦٤].

ليتحقّقوا أنّ الخلاف والاختلاف كان منهم بتبعيتهم الشياطين، والإرشاد والهداية كانت من الله تعالى بإنزاله الكتاب عليهم، وإرساله الأنبياء إليهم، ويجوز أن يكون آدم (ع) من جملة هؤلاء النّبيّين ويكون قد وقع هذا الاختلاف في زمانه وزمان أولاده (ع)، كشيث وإدريس ونوح وأمثالهم، وعلى جميع التّقادير لا بدّ من الاختلاف بحكم قوله الثّاني:

لا يزالون مختلفين، إن كان في الماهيّات والحقائق، وإن كان في الصور والعقائد، وإن كان في الكلّ أو البعض، والاختلاف في الكل لا يمكن أصلاً بل لا بدّ وأن يكون دائماً الاختلاف في البعض والاتّفاق في البعض، وإن كان هذا الاختلاف في البعض وهذا الاتّفاق في البعض عين الاتّفاق في الكلّ، لأنّ الكلّ من حيث هو الكلّ لا بدّ وأن يكون مشتملاً على المتناقضات والمتخالفات بحكم الأسماء والصّفات الّتي هو مظهرها وجامعها والكلّ لا يكون كلاًّ إلا أن يكون كذلك، أي مشتملاً على المتناقضات والمتخالفات والنّاقص والكامل والشريف والخسيس، وقول العارف المتقدم ذكره:

فالكلّ مفتقر، ما الكلّ مستغن ... هذا هو الحق قد قلناه لا نكني
الكلّ بالكلّ مربوط فليس له ... عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي[١٠٤]

إشارة إلى هذا، وقوله تعالى:

﴿ولا يزالون مختلفين. ولذلك خلقهم﴾ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

أيضاً إشارة إليه، ومعناه: أي ولذلك الاختلاف الواقع فيهم من حيث الحقائق والماهيّات والأعيان والأشكال والآراء والاعتقاد في عالم الشّهادة، ولا

(١٠٤) قوله: فالكلّ مفتقر، الكلّ مستغن الخ.
قائله محيي الدين بن العربي في فصوصه ـ شرح الفصوص القيصري ص٩٣.

يزالون مختلفين على هذه الصورة من غير اتّفاق بينهم من جميع الوجوه، فإنّ ذلك ممكن.

وهذا البحث يرجع إلى أنّ الحقائق بجعل الجاعل أم لا؟ وقد سبق ذكره مراراً، وسيجيء مرّة أخرى، والحاصل أن الاختلاف في الوجود واقع أيضاً.

الاختلاف في العقائد وذلك تقدير العزيز العليم لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، وحيث كلامنا بحكم الآية كان في العقائد، فنرجع ونقول:

(سبب اختلاف العقائد بين الناس)

إعلم، أنّ النّاس كانوا في أوّل العهد على ملّة واحدة ولكنهم اختلفوا في آخر العهد بمخالطتهم لأهل الأهواء والإغواء لقوله تعالى:

﴿وما اختلفَ فيه إلاّ الّذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وهذا تصريح بأنّ الاختلاف كان في البعض دون البعض وكان سبب اختلافهم بغياً بينهم أي إضلالاً وإغواءاً لبعضهم بعضاً، وإن ذلك البعض وقفوا على هذه الحالة والبعض الآخر منهم رجعوا عن حالهم إمّا بواسطة الكتاب النّازل عليهم، أو الأنبياء والرّسل المبعوثين إليهم، أو بغير واسطة، كما أشار إليه جلّ ذكره في قوله:

﴿فهدى الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وهذا الرّجوع دالّ على قوّة استعدادهم، وبقاء نور فطرتهم أوّلاً، ثمّ إلى عناية الله تعالى بهم، وكمال فضله ورحمته في حقّهم كما قال:

﴿إلاّ من رحم ربّك﴾ [سورة هود: ١١٩].

وقال:

﴿إن الّذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١].

وكأنّه تعالى عن الطائفتين المذكورتين أخبر في قوله:

﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النّور والّذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

وقوله في موضع آخر:

﴿وما كان النّاس إلاّ أمّة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾ [سورة يونس: ١٩].

يشهد بأن ارتفاع هذا الاختلاف مستحيل وجوداً كان أو اعتقاداً، لأنّ معنى قوله: ولولا كلمة سبقت من ربّك، وهو أنّه يقول: لولا علم ربّك السّابق بوجود كلّ موجود وما يصدر منه، لقضي بينهم فيما هم فيه يختلفون أي لارتفع الاختلاف من بينهم بالقهر والجبر من حيث القدرة والقوّة والتمكّن، لكن خلاف علمه القديم وخلاف ما هو المعلوم عليه مستحيل ممتنع، لأنه يؤدي إلى الجهل بالمعلومات أو بغير المعلومات ممّا كانت عليهما، وكلّ ما يؤدّي إلى أمثال ذلك لا يصدر من ربّك، تعالى الله عن ذلك.

وتقديره مرّة أخرى: وهو أنّه تعالى يقول: لولا علمي السّابق بهم وبوجودهم بأنّه لا يظهر منهم شيء من الأفعال والأحوال إلاّ ما يقتضي ذواتهم وحقائقهم، لقضيت بينهم برفع الاختلاف والتّنازع الواقع، وجوداً كان أو اعتقاداً، لكن هذا مستحيل منّي، لأنّه يخالف علمي بالمعلومات وكلّ ما يخالف علمي بالمعلومات صدور ذلك يكون من المستحيلات.

(في معنى العدل والظلم)

وعلّة ذلك أنّ العدل والحكمة والعلم الأزلي بوجود الأشياء، ما يقتضي إلاّ وضع الشيء في موضعه، وهذا لو فعلناه لكان وضع الشيء في غير موضعه، ولا يصدر منّا أمثال ذلك أصلاً، لأنّه يوجب الاتّصاف بالظّلم والجهل، وما أنا بظلاّم للعبيد، وأيضاً على الفاعل المطلق إعطاء وجود القابل ليعمل لا على وفق الّذي هو علمه، كما بيّناه مراراً، فلو أعطي بدون ذلك لم يكن يقبله، لعدم قابليّته، وإن قَبِل كان ظلماً صريحاً، لأنّه كان وضع الشّيء في غير موضعه، ووضع الشّيء في غير

موضعه ظلم بالاتفاق، وقوله:

﴿ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هدٰيها ولكن حقّ القول منّي لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين﴾ [سورة السجدة: ١٣].

يؤكّد هذا المعنىٰ لأنّه يقول: ولو شئنا على سبيل الجبر والقهر من كمال القدرة والقوّة لآتينا كلّ نفس هديٰها، لكن سبق في علمنا، أنّ هذا محال، لأن هذا يخالف علمنا بهم ويخالف غرضنا من تكليفهم مع أنّه مستحيل، فحقّ القول منّا، أي سبق العلم الأزلي القديم منّا بإملاء جهنّم منهم، بالأفعال الصّادرة منهم اختياراً لا إجباراً، فخلاف ذلك محال.

وأيضاً قد سبق علمنا بعدم قابليّتهم واستعدادهم لهدايتهم وإرشادهم، فكيف يمكن هدايتهم وإرشادهم، وكيف يمكن التّصرف في القابل بدون قابليّته، فمن هذا لا يمكن هداية الكلّ كما لا يمكن إضلال الكلّ، وبالنّسبة إلى عدم قابليّة البعض للهداية قال:

﴿وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لا يتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].

وبالنّسبة إلى البعض الآخر الّذي يكون بعكسهم أعني يكون قابلاً للهداية من غير دفع ولا منع قال:

﴿فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون. الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [سورة الأنعام: ٨١ ـ ٨٢].

لأن هناك طائفة لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي شرك وكفر ولا يمكن منهم هذا، كما لا يمكن من الطّائفة الأولى بعكس ذلك، وقوله جلّ ذكره:

﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ [سورة الإسراء: ٨٤].

وقول النبيّ (ع):

«كلّ ميسر لما خلق له» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٩].

يقومان بجواب الكلّ.

وإن قلت: عدم قابليتهم وقلّة استعدادهم يرجع إلى علم الحق بهم، وعدم إعطائهم القابليّة في الأزل.

قلنا: قد مرّ مراراً أنّ العلم ليس له تأثير في المعلوم باتّفاق العقلاء، وأنّ القابليّة في القوابل ليس من الفاعل، وإلاّ لبقي الاعتراض والحجّة من كلّ واحد واحد من القوابل على الفاعل! بأنّك لم ما جعلتني كذا كذا وجعلتني كذا، وقد سبق هذا البحث أيضاً في صورة الحروف والكاتب وغير ذلك.

والله لو لم يكن في القرآن إلا قوله:

﴿كلّ يعمل على شاكلته﴾ [سورة الإسراء: ٨٤].

لكفى برهاناً في صدق هذه الدّعوى وتطبيق هذا المعنى.

وبالجملة ليس في هذه الآيات تناقض ولا تخالف، وقول الله تعالى:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [سورة النساء: ٨٢].

يحكم لصدق هذا، لأنّ الاختلاف لو فرضنا في زمان آدم (ع) وآخر غير زمان آدم وهو عين الاتّفاق في نفس الأمر، لأن الاختلاف في زمان والاتّفاق في زمان آخر هو عين الاتّفاق في الكلّ، لأنّ الكلّ لا يكون كلاًّ إلاّ كذلك وإدراكه يحتاج إلى كشف سرّ القدر، وذلك دقيق رزقك الله الفهم فيه فإنّه قادر على ذلك وما ذلك على الله بعزيز، هذا معنى قوله:

﴿كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيّين﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وأمّا معنى قوله:

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة إلى آخره﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وقد سبق معناه مراراً، والكلام غير مستحسن من العقلاء، لكن الضّرورات تبيح المحظورات، والمراد به أنّه ولو شاء ربّك أن يجعل النّاس أمّةً واحدة على سبيل الجبر والقهر لأمكن، ولكن ما شاء هذا إلاّ على سبيل الاختيار والإرادة لئلا يناف التّكليف ويخالف الغرض من الحكيم الكامل.

لقوله: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

أي ليعـرفوني[١٠٥] ويعبدوني بإرادتهم واختيارهم وسعيهم واجتهادهم، ليحصل لهم الثّواب والجنّة بفعلهم، والعقاب والجحيم بتركهم، لأنّهم لو كانوا مجبورين على الأفعال، ما استحقّوا شيئاً من هذا، وكان التّكليف عاطلاً، وإرسال الرسل باطلاً، والجحيم والجنة عبثاً، والخير والشّر لعباً، وليس هذا من حكمتنا، ولا ما يقتضي ذلك علمنا وعدلنا، ولهذا قلنا:

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

هذا وجه.

(في بيان أنّ الإختلاف واقع في المظاهر وهو عين الاتفاق في الحقائق)

وبوجه آخر يمكن أن يريد بالأمّة الواحدة، أمّة آدم لا غيـر، كما أنّ أمّـة موسى (ع) تسمّىٰ أمّة واحدة، وكذلك أمّة عيسى (ع)، وكذلك أمّة محمد (ص)، كما قال تعالى فيهم:

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢].

وقال في إبراهيم (ع):

﴿إنّ إبراهيم كان أمّـة قـانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشـركين﴾ [سـورة النحل: ١٢٠].

---

(١٠٥) قوله: أي ليعرفوني الخ.

روى الصدوق (رض) في العلل ص ٩، باب ٩، الحديث ١ بإسناده عن سلمة بن عطاء عن أبي عبد الله (ع) قال: خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه فقال: أيها النّاس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادتـه عن عبادة من سـواه الحديث.

قال البغوي في معالم التنزيل ج ٥، ص ٢٣٠: وقال مجاهد: إلا ليعرفوني وهذا حسن، لأنّه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨٧].

ذكره أيضاً الميبدي في كشف الأسرار تفسير خواجه عبد الله الأنصاري ج ٩، ص ٣٢٤ وأيضاً ذكره القرطبي في تفسيره عن مجاهد وتحسينه عن الثعلبي، ج ١٧، ص ٥٦.

وقول النّبي (ع) في حقّ أويس القرني بأنّه:

يحشر يوم القيامة أمّة وحده، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر[١٠٦].

يشهد بذلك أيضاً، ومع ذلك كلّه إذا كان النّاس في زمان نبيّ مثلاً متّفقين، وفي زمان نبيّ آخر مختلفين، أو في زمانين متّفقين وفي زمانين مختلفين، فهذا لا يدل على عدم اختلافهم مطلقاً، أو عدم اتّفاقهم كذلك، لأن اتّفاقهم في زمان واختلافهم في زمان آخر هو عين الاختلاف في الكلّ بوجه وعين الاتفاق في الكل بوجه آخر، لأنّ الكلّ من حيث هو الكلّ مظاهر للحقّ وليس في الحقيقة منها إلاّ الحقّ، فلا يمكن الاختلاف أصلاً وقاعدة مقرّرة أن الوجود خير محض وأن العدم شرّ محض، ومقرّر أيضاً أنّه ليس الوجود إلاّ هو وغيره عدم محض، فلا يكون الوجود إلاّ الخير، والخير من حيث هو الخير لا اختلاف فيه فلا يكون في الوجود اختلافاً في نفس الأمر، وإن اختلف مظاهره ومراتبه بحسب الكمالات اللاّزمة لذاته، وذلك لأنّ الأسماء واقعة بحسب الصّفات، والصّفات بحسب الكمالات، والكمالات من لوازم الذّات، فالذّات كما تقتضي الظّهور فكذلك تقتضي

(١٠٦) قوله: وقول النبيّ (ص) في حق أويس القرني الخ.

روى المفيد (رض) في الإرشاد ص ١٦٦ عن أمير المؤمنين (ع) في حديث عنه (ع) بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة، إنه قال:

أخبرني حبيبي رسول الله (ص): إنّي أدرك رجلاً من أمّته يقال له: أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

نقل المجلسي رحمه الله في البحار ج ٤٢، ص ١٥٥، الحديث ٢٢ عن كتابي الروضة والفضائل وقال: روي عن رسول الله (ص) أنّه كان يقول: تفوح روائح الجنّة من قبل قرن، واشوقاه إليك يا أويس القرني، ألا ومن لقيه فليقرأه منّي السلام، فقيل: يا رسول الله ومن أويس القرني؟ فقال (ص) إن غاب عنكم لم تفتقدوه، وإن ظهر لكم لم تكترثوا به، يدخل الجنّة في شفاعته مثل ربيعة ومضر، يؤمن بي ولا يراني، ويقتل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) في صفّين.

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٧ ـ ٤٠٥ بإسناده عن هشام عن الحسن قال: قال رسول الله (ص) يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من ربيعة ومضر، قال هشام فأخبرني حوشب عن الحسن أنّه أويس القرني. وأيضاً أخرج بإسناده عن عبد الله بن أبي الجدعاء، أنّه سمع رسول الله (ص) يقول: يدخل الجنّة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم، قال الثقفي قال هشام سمعت الحسن يقول: إنّه أويس القرني.

الاختلافات في المظاهر، والاختلافات في المظاهر هو عين الاتّفاقات في الحقائق، والتّجلّي غير مكرّر، والوجود غير قابل لذلك، فلا يكون هناك اختلاف أصلاً، ومن هذا قيل:

لا يتجلّى الحقّ في صورة مرّتين ولا يتجلّى في صورة للاثنين. وإن فرضنا أنّ الله تعالى ظهر بصور المظاهر والقوابل على حسب اختلافهم الذّاتي واستعدادهم الجبلّي بموجب ما يقرّر مراراً، فكيف يمكن أيضاً الاتّفاق من غير الاختلاف، والذّوات مختلفة والقوابل متنوّعة، فلا جرم يقول:

﴿ولا يزالون مختلفين. ولذلك خلقهم﴾ [سورة هود: ١١٨، ١١٩].

والّذي سبقت من قولنا: إنّ هذا هو عين الاتّفاق، معناه أنّ الوجود لو كان على وتيرة واحدة، لم يكن فيه اختلاف ولا تفاضل في الدّرجات والمراتب صورةً ومعنىً، لم يكن كاملاً في نفسه، ولا جامعاً بين الظّاهر والباطن بل كان ناقصاً غير تامّ محتاجاً إلى الغير، خارجاً عن صفة الوجوب الذّاتي داخلاً في صفة الإمكان الذّاتي، لأنّ الاحتياج إلى الغير والنّقص من لوازم الممكن لا الوجوب، والوجود من حيث هو وجود واجب باتّفاق المحقّقين، فلا يكون محتاجاً إلى الغير أصلاً ولا ناقصاً.

وإلى هذا المعنى وهذا التّرتيب والنّسق الإلهي والحكمة الّتي فيه أشار الحقّ تعالى في قوله مفصّلاً وقال:

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدةً ولكن ليبلوكم في ما آتكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

لأنّ قوله: لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً دالّ على اختلافهم في الاستعدادات والذّوات، وكذلك في الآراء والاعتقاد، لأنّ الآراء والاعتقادات توابع للذّوات والاستعدادات، كما أنّ الظّاهر تابع الباطن والصورة للمعنى.

وفيه قيل: الظّاهر عنوان الباطن.

وإليه أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله:

إعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرّسول الصّادق صلوات الله عليه وآله:

إنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله ويحبّ العمل ويبغض بدَنَه. واعلم أنّ لكلّ عمل نباتاً، وكلّ نبات لا غناء به عن الماء، والمياه مختلفة، فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرّت ثمرته(١٠٧).

وقوله تعالى عقيب قوله: ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة، دالّ على ما سبق من البحث كلّه، وهو أنّه لو شاء أن يجعل النّاس بأسرهم أمّة واحدة وملّة واحدة على سبيل الإلجاء والقهر لأمكن، لكن ما شاء إلاّ على سبيل الاختيار والإرادة، لأنّه لو كان كذلك لكان خارجاً عن العدل والقسط خلافاً للعلم والحكمة، وقوله: ولكن ليبلوكم فيما آتيكم إلى آخره، يؤكّد هذا صريحاً لأنّه يقول على سبيل التهكّم والحكم، والتّعليل أنّ المقصود من هذا الأمر كان ابتلاؤكم واختباركم ليمتحنكم بأنّكم كيف تقومون بأمره وتكليفه وكيف تجهدون في تحصيل رضائه، وإجراء أحكامه، لقوله أيضاً فاستبقوا الخيرات، لأنّه إشارة إلى سبق الخير وتأخير الشرّ وتحصيل الكمالات بالسّعي والاجتهاد، فالعبد لو لم يكن مختاراً في فعله لم يكن مخاطباً بهذه الأمور المبتنية على اختياره، ولهذا قال عقيبه: إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون، لأنّه إشارة إل أنّ مرجع الجميع إليّ فأنا أُنبّئهم فيما كانوا فيه من الاختلاف، والحكمة البالغة فيه ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السّماء ولا في الأرض كما أشار إليه في كتابه:

﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾ [سورة القمر: ٤٩].

---

(١٠٧) قوله: وإليه أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله:

اعلم أن لكلّ ظاهر الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٥٤ ص ٢١٦، ورواه أيضاً ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ١، ص ٢٧٧، الحديث ١٠٧، وقول النبيّ (ص) في عوالي اللئالي فقط.

﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نَبرأها إنَّ ذلك على الله يسير﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

وفي هاتين الآيتين الأخيرتين كفاية لمن يريد أن يحقّق هذا البحث من أوّله إلى آخره، وقد اجتهدنا في توضيحه حقّ الاجتهاد فعليك بتحقيقه والقيام بما فيه من الأسرار والأحكام، وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين، وحيث تحقّقت تطبيق القولين المتناقضين وهو قوله:

﴿ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمّة واحدة﴾ [سورة هود: ١١٨].

وقوله: ﴿كان النّاس أمّة واحدة﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

فلنشرع في باقي الآيات المتناقضات بحسب اللّفظ المتّفقات بحسب المعنى، كما شرحناه، ونستمدّ من الله تعالى العون والتّوفيق.

(في بيان معاني الهداية وتطبيق الآيات المتناقضات في الهداية)

ومنها، قوله: ﴿ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾ [سورة طه: ٥٠].

وقوله: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾ [سورة الإنسان: ٣].

ونقيضهما قوله:

﴿قد جاءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ [سورة يونس: ١٠٨].

وقوله: ﴿قد جاءكم بصائر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

وعند التّحقيق ليس هذا بتناقض لأنّ المراد بهداية الله تعالى، وبل جميع المخلوقات، هداية عامّة مشتملة على الهدايات الأربع المذكورة عند بحث التّقوى الّتي هي هداية كلّ شيء أوّلاً إلى مصالحه في المعاش وتدبيره في الحياة الدّنيا من الإنسان والحيوان والوحوش والطّيور والسّباع والبهائم والملك والجنّ وغير ذلك.

ثمّ إلى توحيد خالقهم ورازقهم لقوله:

﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولنّ الله﴾ [سورة لقمان: ٢٥].

ولقوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبّح بحمده﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

ويؤكّد هذا المعنى قوله في الأزل:

﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

ثم إلى الدّين والإيمان والمذاهب والملل، لقوله:

﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

ثمّ إلى الصّراط المستقيم في كلّ مذهب وملّة، لقوله:

﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين﴾ [سورة الحمد].

وليس المراد بالهداية من هذه الهدايات إلاّ الأخيرة الّتي هي الهداية إلى الصّراط المستقيم الحقيقي والدّين القويم المحمّدي، وذلك بعد عناية الله تعالى وحسن توفيقه، موقوف على اجتهاد العبد وسعيه، لقوله تعالى:

﴿الّذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا إنّ الله مع الذين اتّقوا والّذين هم محسنون﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

وهذه الهداية مخصوصة بذوي العقول من الإنسان وبعض الجنّ وليس لغيرهم دخل في هذا الصراط.

وغير المغضوب عليهم، إشارة إلى اليهود والنصارى كما ستعرفه عند تأويل الفاتحة إن شاء الله.

(ملاك استحقاق الثواب والعقال فعل العبد وأنّ الهداية وعدمها أيضاً يتعلّقان بفعله)

فالتّفاوت والاختلاف في الهداية وعدم الهداية إشارة إلى هذه الهداية لا غير، ولا شكّ أنّ هذه الهداية تتعلّق بفعل العبد وإلاّ لم يكن مستحقاً للثّواب بحصولها، ومستحقاً للعقاب بتركها، ولم يكن مأموراً من عند الله أن يقول كلّ يوم وليلة سبع عشرة مرّة بالوجوب: ﴿إهدنا الصّراط المستقيم . صراط الّذين أنعمت

عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين﴾ لأنّ هذا تأكيد في التّخصيص.

وهذا لو لم يكن كذلك لم يكن الله تعالى يقول عن لسان عبيده: قالوا:

﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّناولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

ولم يكن يقول:

﴿ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ [سورة الأعراف: ٢٣].

لأنّ هذا القول يحكم بالنّسيان منهم والخطأ عنهم، وبأنّ عدم الهداية منسوب إليهم وإلى تقصيرهم، ويؤكّد هذا أيضاً قوله:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ [سورة طه: ١١٥].

لأنّ هذا خبر إلى أولاد آدم لا إلى آدم، لأنّ آدم (ع) نبيّ معصوم لا يجوز عليه الخطأ والنّسيان وأمثال ذلك منه، يعرف هذا من الأصول بالدّلائل العقليّة والبراهين القطعيّة.

ثم لقوله تعالى:

﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

لأنّ نسيانهم ليس إلا نسيان العهد الأزلي والإقرار الجبلّي، بمتابعة الشّيطان ومطاوعة النّفس والهوى اللّذين هما من جنوده أيضاً.

وقوله تعالى: **﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين﴾** [سورة يس: ٦٠].

إشارة إلى هذا.

وإن قلت: إنّ آدم شخص واحد وأولاده كثيرون وضمير نسي لا يدلّ على أنّه إلى الأولاد.

قلنا: إنّ المراد بآدم نوع الإنسان لا الشّخص، والنّوع واحد، والضّمير

صحيح، ويجوز عند العرب الرّجوع والالتفات من الغيبة إلى الحضور ومن الجمع إلى المفرد، وقد ورد في القرآن أمثال ذلك كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ [سورة الأعراف: ١١].

لأنّ هذا رجوع من الجمع إلى الواحد ومن الأولاد إلى الأب ومن الأشخاص إلى النّوع، وفي الحقيقة ليس المراد إلّا الأولاد المسمّى بالأشخاص الّتي تحت الأنواع. فافهم جدّاً فإنّه ينفعك كثيراً، وسيجيء هذا البحث مستوفىً في موضعه.

وبناءاً على هذه القواعد فقوله:

﴿قد جاءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدىٰ فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها﴾ [سورة يونس: ١٠٨].

يكون صحيحاً، ويكون تقديره، أنّه يقول: من اهتدى أوّلاً إلى هدايته الأزليّة ومعرفته الجبليّة، ثمّ إلى هدايته التّكليفيّة وقام بالأمر على ما ينبغي، فإنّما يهتدي لنفسه وترجع ثمرة تلك الهداية إليه لا إلى غيره، ومن لم يهتدي إلى هذه الهدايات ويضلّ عن هذه الحكايات ولم يفهم معناها ولم يقبل فحواها، فإنما يضلّ على نفسه ويرجع وبالها ووزرها إليه لا إلى غيره وليس الحقّ تعالى بوكيل له ولغيره بأن يحفظه من الخطأ والنسيان والفجور والعصيان، لأنّ هذا يؤدّي إلى ارتفاع التّكليف ونقض الغرض من الحكيم وإسقاط الثّواب والعقاب وغير ذلك من المفاسد، وهذا لا يجوز، فلم يبرّ إلّا أن يكون الكلّ راجعاً إليهم، أعني من الجدّ والتقصير كما قال:

﴿وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [سورة النساء: ٧٩].

نعم يجب عليه تعالى هدايتهم أوّلاً في المعاش كما قلنا، وقد هداهم إليه بإعطائهم العقل والفهم والإدراك وكلّ ما يتعلّق بالتكليف، وقبوله، ثمّ هدايتهم إلى التّوحيد، فهداهم بقوله: ألست بربكم، ثمّ إلى الدّين والإسلام، فهداهم بالنبيّ والكتاب، ثمّ إلى الطريق المستقيم، فهداهم بالدّعوة والإرشاد، وقد فعل ذلك كلّه

ولم يبق من طرفه شيء، وإلاّ لكان مخلاً بالواجب، وإليه أشار بقوله أيضاً تأكيداً:

ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإنزال الكتب وإرسال الرّسل وإقامة البراهين العقليّة والدّلائل النقليّة، ما زكّى منكم واحد أبداً من الضّلالة والجهالة والكفر والطّغيان، وتقديره وهو أنّه يقول: لولا عنايتي بكم في الأبد بإنزال الكتب وإرسال الرّسل، والأمر بالتكليف، مع عنايتي بكم في الأزل بالهداية والإرشاد، ما زكّى منكم أحداً أبداً بذلك، لأنّ كل ما يكون من وجود بالقوّة، وهو يحتاج إلى إبرازه بالفعل، والإنسان ليس بعامل بذلك من نفسه إلاّ النوادر، فلم يبق إلاّ أن يكون المبرز لذلك أمر خارج، وذلك الأمر هو الكتب والرّسل والتكليف والدّعوة والإرشاد، وإنّ الكلّ من الله، فيصّح قوله: لولا عنايتي بنور العناية الأزليّة بكم في الأبد ما زكّى منكم من واحد أبداً، ويعلم من هذا وجوب بعثة الرّسل والكتب والدّعوة والإرشاد وأمثال ذلك، ومن هنا قال:

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمُهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤].

وإذا عرفت هذا وتحقّق أنّه ليس تناقض في القولين المذكورين، فقس أكثر الأقوال القريبة عليهما والله أعلم وأحكم.

(في بيان التطبيق بين الكريمتين النسيان ومعنىٰ النسيان فيهما)

ومنها قوله:

﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [سورة الأعراف: ٥١].

وقوله: ﴿وما كان ربك نسيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٤].

فإنّ فيهما تناقض بحسب الظّاهر، وفي الحقيقة ليس فيهما تناقض، لأنّ مراده بالنّسيان الأوّل هٰهنا التّرك، وتقديره أي نتركهم في الآخرة وأعمالهم الرديّة، كما تركونا في الدّنيا وأوامرنا ونواهينا، فمن هذا المعنى بعينه قال:

﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك

اليوم تنسى﴾ [سورة طه: ٦ ـ ١٢٥].

وبالنّسيان الثّاني، عدم العلم بالشيء، ومعناه أنّ الله تعالى ليس بناس للشّيء أصلاً وليس النّسيان من شأنه لأنّه عليم بكلّ شيء قبل وجوده وبعد وجوده، ومع وجوده في الزّمان الحاضر ويعلم الأشياء كلّها من الأزل إلى الأبد على ما هي عليها من غير تغيير وتبديل، وزيادة ونقصان، وكان غرضه من هذا القول تصريح الكفّار الّذين يعتقدون أنّه تعالى مثل الخلق ينسى ويتذكّر ويتنبّه ويغفل، ولهذا قال بالنّسبة إليهم:

﴿والله محيط بالكافرين﴾ [سورة البقرة: ١٩].

﴿إنّه بكلّ شيء محيط﴾ [سورة فصّلت: ٥٤].

﴿والله بكلّ شيء عليم﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

لأنّهم كانوا يتوهّمون أنّ إله العالم مثلاً كآلهتهم الّتي في بيوتهم من الأصنام والأوثان، وليس لهم علم بما يفعلون هم خارج البيت ليعلموا يقيناً أن الله تعالى محيط بهم وبما في ضمائرهم وقلوبهم من العقائد والنيّات، كما أشار إليه بقوله:

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أين ما كانوا﴾ [سورة المجادلة: ٧].

وعلى جميع التّقادير، النّسيان، والغفلة، والجهل، والتّذكّر، والتيقّظ، على الله تعالى محال.

﴿لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السمٰوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة سبأ: ٣].

(المراد من كلام الله سبحانه والملائكة والأنبياء والكفّار في يوم القيامة)

ومنها قوله:

﴿يوم يقوم الرّوح والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلاّ من أذن له الرّحمن وقال صواباً﴾ [سورة النّبأ: ٣٨].

وقوله:

﴿يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥].

فإنّهما أيضاً غير متناقضان، لأنّ المراد بالتّكلّم الأوّل النّطق باللّسان والقول به، كشفاعة الأنبياء والأولياء في حقّ أمّتهم وتابعيهم من المسلمين والمؤمنين، لقوله تعالىٰ:

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

لأنّ القول الموصوف بالصّواب في الأغلب لا يكون إلّا في الشفاعة سيّما في الآخرة، والمراد بالتكلّم الثاني النّطق بالقوّة من حيث الاعتقاد والآراء لا النّطق بالفعل ولهذا قال فيهم:

﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾ [سورة آل عمران: ٧٧].

ومعلوم أنّ كلام الله معهم ليس بالنّطق الظّاهر ولا بالقول اللساني بل بمعنىٰ عدم الالتفات إليهم وقلّة التعرّض بهم لحقارتهم وخسارتهم كما جرت العادة بأنّ كلّ من لم ينظر إلى المخاطب ولا يلتفت إليه يقال: ما تكلّم معه ولا جعله مستحقاً للكلام، فأحوال الضّالّين والمضلّين تكون كذلك، أعني ما يحتاجون إلى التكلّم باللّسان، لأنّ اعتقاد كلّ واحد منهم إذا انكشف له حقيقته وباطنه فكأنّه كفر بغيره ولعن لمن هو علىٰ غير طريقه لحسن اعتقاده وقبح اعتقاد غيره وإن لم يكن في الواقع كذلك لقوله تعالى:

﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [سورة الروم: ٣٢].

ولقوله: ﴿إذ تبرّأ الذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار﴾ [سورة البقرة: ١٦٦ - ١٦٧].

والذي قال: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ [سورة الرّحمن: ٤١].

وقال: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم﴾ [سورة

السجدة: ١٢].

يدل أنّ المجرم والعاصي لا يحتاج إلى النّطق والتكلّم وذلك لأنّ حالهم معلوم من غير تكلّم، لأنّهم بلسان الحال يتكلّمون ومالهم سعود بذلك، والشّاهد عليه قوله:

﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم﴾ [سورة الأعراف: ٤٦].

وقوله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وذلك لو لم يكن كذلك، لم يكن الله تعالى يقول:

﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [سورة النور: ٢٤].

لأنّ الأيدي والأرجل ما لها قوّة النطق الإنساني، وإن كان الله على كلّ على أهل النار، وتحقّق أحوالهم وأفعالهم وعرفوا أنّهم من أهل النار فحقّ لهم أن يتخاصموا بعضهم مع بعض ويلعن بعضهم بعضاً، كالتابع للمتبوع، والمتبوع للتابع، والإمام للمأموم. وبالعكس، كما قال تعالى:

(المتّقون هم طائفة واحدة وليس بينهم تناكر)

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين﴾ [سورة الزخرف: ٦٧].

لأنّ المتّقين هم طائفة واحدة في الحقيقة وليس بينهم تناكر ولا تخالف حتىٰ يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً بل مطلوبهم واحد وسلوكهم واحد ومقصدهم واحد كما بيّنّاه في الوجه المتقدّم علىٰ هذا الوجه، والله أعلم وأحكم.

(في بيان التطبيق بين الكريمتين التخاصم)

ومنها قوله:

﴿لا تختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ [سورة ق: ٢٨].

وقوله: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [سورة ص: ٦٤].

فإنهما أيضاً متناقضتان، لكن ليس في الحقيقة بينهما تناقض، لأن قوله: لا

تختصموا لديّ إلى آخره، بمعنى أنه لا تختصموا لدي الآن فإنه لا ينفعكم وإني قد قدمت إليكم بالوعيد في الدنيا وبيّنتُ لكم الفساد والصلاح، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

وقوله: وإنّ ذلك لحق تخاصم أهل النار، بمعنىٰ أنّه إذا ظهر حال أهل النار علىٰ أهل النار، وتحقّق أحوالهم وأفعالهم وعرفوا أنّهم من أهل النار فحق لهم أن يتخاصموا بعضهم مع بعض ويلعن بعضهم بعضاً، كالتابع للمتبوع، والمتبوع للتابع، والإمام للمأموم. وبالعكس، كما قال تعالى:

﴿وقال الذين كفروا ربّنا أرنا الذين أضلّانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ [سورة فصّلت: ٢٩].

وهذا البحث قريب إلى ما سبق أعني كل ذلك يكون بلسان الحال دون لسان المقال والحديث وحده.

(المراد من النظر إلىٰ الرّبّ في يوم القيامة)

ومنها قوله: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** [سورة القيامة: ٣٢].

وقوله: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾** [سورة الأنعام: ١٠٣].

فإن هذان القولان متناقضان بحسب الظاهر، لأن قوله: إلى ربها ناظرة، مراده إلى ثواب ربها أو إلى نعم ربّها ناظرة، أو إلى جنة ربها ناظرة، وهذا غير دال على أنه ينظر إلى الله بعين الباصرة، لأن الباصرة إدراكها موقوف على شرائط، منها التقابل وعدم البعد المفرط والقرب المفرط، ورفع الموانع، واللون وأمثال ذلك، وجل جناب الحق عن مثل هذه النّقائص، فحينئذ لا تدركه الأبصار أبداً، والذي قال تعالى مخاطباً لموسى (ع) ـ وإن كان المراد به في الحقيقة الأمّة كما سنبيّنه ـ بقوله:

﴿لن تراني﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].

دال على عدم الرؤية بالبصر أبداً لأن لن لنفي الأبد، فأبداً على هذا التقدير

لا يمكن إدراكه بعين الباصرة، وهذا هو الحق والصدق في هذا المقام، لأنه تنزيه الله عن صفة الجسميّة والتحيّز والإمكان وأمثال ذلك، كما وصف نفسه به.

وقال:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: ١١].

ويكفي في هذا قوله:

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣].

لأن هذا برهان قاطع على عدم الرؤية بالبصر، والله أعلم وأحكم، هذا تأويل الآيات التي ذكرنا في الوجه الأول مجملاً، وشرطنا أن نفسّرها مفصلاً.

(المراد من وجه الرّبّ في القرآن)

وأما الآيات التي ما سبق ذكرها وتحتاج في هذا المكان إلى التأويل، فكقوله عزّ وجل:

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

فإن الوجه ها هنا ليس بمعنى الوجه الذي للإنسان أو الحيوان بل المراد به عند أهل الظاهر، الطاعة والدين والرضا وأمثال ذلك، لقوله:

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [سورة الإنسان: ٩].

وعند أهل الباطن الوجود والذات الحقيقة، لقوله:

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [سورة الرحمن: ٢٦-٢٧].

ولقوله: ﴿فأينما تولّوا فثم وجه الله﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

لأنه المطلق والمطلق لا يتقيد بجهة من الجهات، بل يحيط بالكل لقوله:

﴿بكل شيء محيط﴾ [سورة فصلت: ٥٤].

ومن هذا قيل:

تجلّى لي المحبـوب من كـل وجهـة فشـاهـدتـه في كـل معنى وصـورة

وهٰهنا أبحاث كثيرة ستأتي في موضعها إن شاء الله .

(المراد من النفخ والروح)

وكقوله : ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾ [سورة الحجر: ٢٩].

فإن معناه : إني نفخت من روحي الأعظم الكلي الحقيقي المشار إليه في قول حبيبي وخليفتي ورسولي :

أول ما خلق الله تعالى الروح، وأول ما خلق الله تعالى نوري، وأول ما خلق الله تعالى العقل [قد مرت الإشارة إليه في التعليقة ٧٣ فراجع].

لأن الكل بمعنى واحد وهو الروح الأعظم، ويكون تقديره، إني نفخت من الروح الأعظم الكلي روحاً جزئياً في آدم وذرّيته، والنفخ هٰهنا بمعنى وهبت، أو بمعنى : أضفت إليهم من الـروح الكلي الروح الجـزئي، فهذه الإضـافة تكـون كإضافتي إلى نفسي السماء والأرض والعبد والبيت والجنة والنار، فكما لا يلزم من هذه الإضافات أن السماء والأرض والبيت والعبد، يكون جزءاً مني، فكذلك لا يلزم من هذه الإضافة أن روح آدم كان جزءاً منفصلاً منّي، جلّ جنابي عن أمثال ذلك، ما للتراب وربّ الأرباب،

﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

المراد من النفس في قوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي﴾

وكقـوله عـزّ وجلّ :

﴿**تعلم مـا في نفسي ولا أعلم ما في نفسـك**﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

فإن معناه أنه يقول: تعلم ما في ذاتي وطبيعتي من الأفكار والأسرار والعلوم وغير ذلك، ولا أعلم ذاتك وحقيقتك من العلوم والحقـائق والأسرار. وقـوله في موضع آخر:

﴿**ويحذّركم الله نفسه**﴾ [سورة آل عمران: ٢٨].

فإن معناه، أي ويحذّركم الله عقابه وانتقامه، إذا نسبتم إليه شيئاً لا يليق به، والأصح أن المراد بالنفس حقيقة الشيء وذاته، لكن تطلق النفس تارة على الحقيقة، وتارة على الذات، وتارة على الوجود، وتارة على الأفعال الصادرة من ذي النفس، ولا يلزم من هذا تناقض ولا تعارض.

(المراد من يد الله سبحانه في القرآن)

وكقوله عزّ وجلّ: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [سورة الفتح: ١٠].

بل: ﴿يداه مبسوطتان﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

فإن معناه، قدرة الله فوق قدرتهم ونعمته فوق نعمتهم، لأنّ اليدان عبارتان عن النعمتان المعبرتان من نعمته الظاهرة والباطنة، لقوله:

﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [سورة لقمان: ٢٠].

والعادة قدجرت أنّه إذا كان هناك رجل كريم يقال له يد (يده) مبسوطة والمراد: تكون النعمة المبسوطة، هذا على طريق أهل الظاهر، وأمّا على طريقة أهل الباطن، فالمراد باليدين الصفتان المتقابلتان، كالصفة الجلالية، والصفة الجمالية المتقدم ذكرهما، وفي هذا قال جل ذكره:

﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [سورة ص: ٧٥].

وورد الحديث القدسي:

خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً [وقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٠٣ فراجع].

والمراد هما الصفتان المذكورتان اللتان تشملان العالم كله من السموات والأرض وما بينهما بدلالة قوله:

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

لأنه أضاف الأرض إلى اليد اليسرى والسموات إلى اليد اليمنى، وليس هناك غير هذين المظهرين شيء آخر، لأن السموات عبارة عن جميع الروحانيات

والمجرّدات والعقول والنفوس وما شاكل ذلك، والأرض عبارة عن جميع الجسمانيات والعنصريات والمركبات المشار إليها وغير ذلك.

ومن هذا ذهب أهل الباطن إلى أن الأرض بالنسبة إلى آدم الحقيقي الذي هو العالم والإنسان الكبير، كاليد اليسرى، والسموات كاليد اليمنى لمناسبة فيضان البركات والنعمة من اليمين إلى اليسار ومن العلو إلى السفل، ومن الجمال إلى الجلال، ومعلوم أن اليمين ما سمّي يميناً إلا لليمن والبركة التي فيه، واليسر يساراً إلاّ لسهولة الأخذ والتصرف فيه لأنّ الجمادات والعنصريات أقرب إلى السهولة في التصرف من الروحانيات العلويات سيما بالنسبة إلى أهل الظاهر، وههنا أبحاث.

وحيث كانت الأرض، وأكثر من عليها مائلاً إلى الشر والفساد والفتنة، كما قالت الملائكة:

﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك**﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

نسب أهلها إلى أصحاب الشمال وجعلهم من أهل النار.

وحيث كانت السموات ومن عليها مائلاً إلى الخير والصلاح كما قالت الملائكة أو قال تعالى فيهم:

﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [سورة التحريم: ٦].

نسب أهلها إلى أصحاب اليمين وجعلهم من أهل الخير، وقال في أصحاب اليمين:

﴿**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾ [سورة الواقعة: ٢٧ ـ ٣٣].

وقال في أصحاب الشمال:

﴿**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**﴾ [سورة الواقعة: ٤١ ـ ٤٥].

وفي خلق أشرف الموجودات الذي هو الإنسان في الأرض، وجانب اليسار من الإنسان الحقيقي، المنسوب إلى أهل الشمال سر عظيم يعرف في خلق أشرف

الأعضاء الذي هو القلب في الجسد في جانب اليسار من الإنسان الصغير المنسوب إلى أهل الشمال،

﴿ولله المثل الأعلى، في السموات والأرض﴾ [سورة النحل: ٦٠ وسورة الروم: ٢٧].

(المراد من جنب الله)

وكقوله عزّ وجلّ: ﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ [سورة الزمر: ٥٦].

الجنب عند أهل الشريعة الطاعة، ومعناه أي ما قصرت في طاعته ومرضاته، وعند أهل الحقيقة الجانب اليسار من الإنسان الكبير الحقيقي الذي هو الأرض كما سبق ذكره في معنى اليد، ومعناه أي ما قصرت في الأرض الذي جنب الله في الحقيقة إذا كنت فيها وكنت متمكّناً في طاعة الله وتحصيل مرضاته، وجنب الله وجنب أنبيائه وأوليائه يكون بمعنى واحد إذا أردناه الطاعة، لقوله:

﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [سورة النساء: ٨٠].

ولقوله:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وورد تأويل الجنب بالنبي والإمام والخليفة والقطب، والكل صحيح، ويكون حينئذ تقديره:

واحسرتا على ما فرّطت في جنب الله أي في معرفة جنب الله الذي هو الرسول والإمام والخليفة، وطاعتهم ومتابعتهم، وورد في بعض خطب أمير المؤمنين (ع):

أنا جنب الله التي فرّطتم فيها وأنا وجه الله الذي يتوجّه به إليه[١٠٨].

---

(١٠٨) قوله: وورد في بعض خطب أمير المؤمنين: أنا جنب الله التي الحديث.

أقول: ورد في مضمونه ومعناه أيضاً أحاديث متعددة وبألفاظ مختلفة وأسانيد متفرقة نذكر ههنا بعضها مزيداً للفائدة:

(أ) روى محمد بن يعقوب الكليني في كتابه أصول الكافي ج ١، ص ١٤٥ بإسناده عن

(المقصود من سميعية الحق سبحانه)

وكقوله عزّ وجلّ:

﴿وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: ١١].

فإن معناه بحسب الشريعة، العالم بالمسموعات والمبصرات، فيكون سميعاً

هاشم بن أبي عمارة الجنبيّ قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله.

ومثله في بصائر الدرجات، باب ٣، ص ٦١، الحديث ٢.

(ب) وأيضاً روي بإسناده عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله﴾ [سورة الزمر، الآية: ٥٦]. قال جنب الله: أمير المؤمنين (ع)، وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم.

ومثله في بصائر الدرجات باب ٣، ص ٦٢، حديث ٦، و ٨ و ١٢.

(جـ) في بصائر الدرجات ص ٦٤ ح ١٣ بإسناده عن عبد المزاحم بن كثير عن الصادق (ع) قال: كان أمير المؤمنين (ع) يقول: أنا علم الله، أنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظر، وأنا جنب الله، وأنا يد الله.

(د) في علل الشرائع للشيخ الصدوق (رحمه الله) ص ١٦٤، ح ٣، باب ١٣٠ بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال: قال أمير المؤمنين (ع): أنا قسيم الله بين الجنّة والنّار، وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم.

(هـ) في الأمالي للشيخ الطوسي الجزء الثامن ص ٢٠٩ بإسناده عن سعيد الأعرج عن الصادق (ع) قال:

ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يؤخذ بهْ وما نهى عنه ينتهي عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله (ص)، ولرسوله الفضل على جميع من خلق الله، العائب على أمير المؤمنين في شيء كالعائب على الله وعلى رسوله (ص)، والرادّ عليه في صغير أو كبير على حدّ الشّرك بالله، كان أمير المؤمنين (ع) باب الله لا يؤتى إلاّ منه، وسبيله الّذي من تمسّك بغيره هلك، كذلك جرى حكم الأئمّة (ع) بعده واحد بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض وهم الحجّة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، أما علمت أنّ أمير المؤمنين (ع) كان يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنّار، وأنا الصادق الأكبر، وأنا صاحب عصا والميسم، ولقد أقرّ لي جميع الملائكة والرّوح بمثل ما أقرّوا لمحمّد (ص)، ولقد حملت مثل حمولة محمّد وهي حمولة الربّ، وإنّ محمّد يدّعى فيكسى ويستنطق وأدّعى فأكسى وأستنطق فأنطق، ولقد أعطيت خصالاً لم يعطها أحد قبلي، علمت البلايا، والقضايا، وفصل الخطاب.

فلاحظ في هذا تعليقنا، ١١٥ و ١١٦ و ٢٠ ـ ١٩ ـ ٢٠ أيضاً.

بصيراً بهذا المعنى، وأما بحسب الحقيقة فهو أنه السميع والبصير حقيقة، بمعنى أنه هو السميع البصير في الحقيقة لا غير، لأن الألف واللام في السميع والبصير، يفيد الحصر في السّميعيّة والبصيريّة، كقولك: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من خيار الخصال، أو لقولك هو العالم أي الكامل في العالمية الجامع لما يكون في العالم من فنون العلوم.

وورد في الحديث القدسي:

لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته فكنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي. [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٥ فراجع].

وبيان ذلك وهو أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء وحصل له البقاء بعد الفناء وشاهد الكل بعين الحق، والحق بعين الكل، عرف أنه السامع والمستمع والناظر والمنظور والكلام والمتكلّم والمريد والمراد والطالب والمطلوب والعاشق والمعشوق، كما قال بعضهم:

فلمّا أضاء الليل أصبحت عارفاً بأنّك مذكور وذكر وذاكر

(المراد من مجيء الربّ)

وكقوله عزّ وجلّ:

﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾ [سورة الفجر: ٢٢].

وكقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [سورة البقرة: ٢١٠].

فإنّ المراد بالمجيء ليس مجيئه بنفسه، كمجيء الإنسان برجل بل المجيء هو مجيء أمره، أمّا في الدنيا بالتكليف والإبتلاء، وأمّا في الآخرة بالثواب والجزاء وغيرهما، لأنّ المجيء المعهود من الإنسان والحيوان يوجب الإمكان والمكان والتحيّز والجهة وجنابه منزّه عن أمثال ذلك.

(المراد من استوىٰ الربّ علىٰ العرش)

وكقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [سورة طه: ٥].

فإن معناه أن الرحمن على العرش استوى أي غلب عليه وظهر فوقه بالقوة والقدرة، وتخصيص التغلب (التغليب) والقدرة بالعرش مع استواء هذا المعنى في الكـلّ، لأنّ العرش أعظم الأشياء في هذا العالم، والغالب على الأعظم يكون غالباً على الأصغر بطريق أولى، وهذا من طريق المفسّرين وأهل الظّاهر، وأمّا في طريق المحقّقين وأرباب الباطن وفيه بسط وتأويل طويل، سيجيء في موضعه إن شاء الله، لأنّ هذا المكان لايحتمل مجموعه وإن شرعنا في بعضه لاينفع، لأنّ البعض بدون الكـلّ في أكثر المـواضـع غير مفيد خصـوصـاً بالنسبة إلى هذا الموضع، والله أعلم وأحكم.

وأما قوله عزّ وجلّ:

﴿ومن يحلل عليه غضبي﴾ [سورة طه: ٨١].

وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [سورة آل عمران: ٥٤].

وقوله: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم﴾ [سورة البقرة: ١٥].

وأمثال ذلك من الأقوال الدالـة على التشبيه والتجّسيم والاتّصـاف بصفات الخلق، فالكل راجع إلى شيء واحد، وهو جزاؤه لهم في كل ذلك يوم القيامة بالعذاب والنكال، أو في الدنيا بالابتلاء في الأموال والأنفس، فيكون تقديره: أنه المعطي جزاء المكر والسّخريّة والاستهزاء والخدع.

والغضب من الله ليس إلاّ من عدم الرّضا وحلول العذاب على المغضوب عليه، وهذا من حيث الظاهر، وأمّا من حيث الباطن، فتقابل الأسماء، كالجلاليّة والجماليّة، واللّطفيّة والقهريّة، فإنّ الوجود مترتّب على ترتيب الأسماء، فبإزاء كل اسم من أسماء الله الجماليّة اسم آخر من الأسماء الجلاليّة، وكذلك مظاهرهما، وتـارة يغلب مظهر الاسم القهّار على اللّطيف، وتارة مظهر الاسم اللّطيف على

القهّار، كإبليس مثلاً على آدم، ونمرود على إبراهيم، وفرعون على موسىٰ، وأبو جهل علىٰ محمّد (ص)، وإليه الإشارة بقوله:

﴿وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الإنس والجن﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وفي الحقيقة ليس الحشر في الآخرة إلا كذلك، لقوله تعالى:

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ [سورة مريم: ٨٥].

والمراد أن حشر المتّقين كله يكون إلى الرحمن، وحشر المجرمين يكون إلى القهار، وكذلك جميع المظاهر.

وفي هذا المعنى قيل:

فلا عبث والخلق لم يتركوا سدى ... وإن لم تكن أفعالهم بالسّديدة
على سمة الأسماء تجري أمورهم ... وحكمة وصف الذات للحكم أجرت[١٠٩]

وفيه قيل:

جمالك في كل الحقائق سائر ... وليس له إلّا جلالك ساتر
تجلّيت للأكوان خلف ستورها ... فنمّت بما ضمّت عليه السّائر

هذا آخر تأويل بعض المتشابهات في القرآن الموعودة في المقدمات على سبيل الأنموذج والاختصار. وأمّا على سبيل البسط والتطويل فسيجيء تأويل كل آية في موضعها إن شاء الله.

وحيث فرغنا من هذا في هذا الوجه، فلنشرع في الوجه الخامس وبيان أن التأويل حق التأويل مخصوص بالعلماء الراسخين من أهل البيت (ع) وتابعيهم من أرباب التوحيد دون غيرهم، هذا وبالله التوفيق.

---

(١٠٩) قوله: فلا عبث والخلق لم يتركوا سدى الشعر.
قائله ابن الفارض، مشارق الدراري ص ٦٣١.

الوجه الخامس
في بيان أن التأويل مخصوص بالعلماء الراسخين من أهل بيت النبي (ص) وتابعيهم من أرباب التوحيد دون غيرهم

إعلم أن إثبات الشيء لا يخلو من وجوه ثلاثة، إما أن يكون بالنّقل أو العقل أو الكشف، وقد ثبت بهذه الوجوه الثلاثة عند المحققين من أهل الله، أن الرسوخ في العلم، مخصوص بأهل البيت (ع) وتابعيهم من أرباب التوحيد لا غير.

وإثبات هذا المعنى هٰهنا يحتاج إلى أبحاث كثيرة مشتملة على النقل والعقل والكشف، فإن كل عالم من علماء الإسلام ينسب هذا المعنى إلى نفسه، ويعد نفسه من العلماء الراسخين وإن لم يكن كذلك.

فالبحث الأول منها، في إثبات خصوصية التأويل بهم متمسّكاً بقول الله تعالى وقول رسوله وقول الأئمة وأهل البيت من ذرّيته (ع)

وأما قول الله تعالى:

فالذي قال:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله وباليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقال:

﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ [سورة النساء: ٨٣].

(المراد من أولي الأمر)

وبيان ذلك، وهو أن أولى الأمر المشار إليه وبمتابعته وجوباً، إمّا أن يكون شخصاً معيّناً أو أشخاصاً معيّنين، أو يكون المراد به السّلاطين الصورية، كما هو رأي بعض الناس.

فإن كان الأول يجب أن يكون هذا الشخص المشار إليه معيّناً في زمان الرسول (ع) وإلا يلزم هناك الأمر بالإجمال والإهمال من غير تحقيق وتعيين، وهذا عبث منه والعبث على الله تعالى محال، لقوله:

﴿أفحسبتم إنّما خلقناكم عبثاً وإنّكم إلينا لا ترجعون﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥].

لأن الناس إذا لم يكن لهم علم بوجود هذا أُولي الأمر فكيف يطيعونه ومتابعة المجهول من جميع الوجوه مستحيلة.

ومثال ذلك مثال ملك من الملوك يقول لعبيده: أطيعوا الأمير ولم يعيّن لهم أيّ أمير، فإنّه لا بدّ وأن يحصل لهم من هذا تحيّر في الأمير، لأن الأمراء كثيرون وليس لهم علم بمراد الملك، فيجب على الملك حينئذٍ تعيين أمير وإلا لا يمكن مطاوعتهم له ويقع فعله عبثاً، وكذلك في تعيين أولى الأمر المذكور، فإنه يجب على الله تعالى تعيينه في زمان الرسول حتى لا يلزم الفساد المعلوم، فإذا عيّنه الله تعالى، فهذا المعين إمّا كان واحداً أو كان جماعة أو كان كلّ الأمة.

إن كان كل الأمة فهذا محال لأن الكل لا يقدر أن يطيع الكل لأنه ممتنع، الخليفتين والإمامين نافذَي الحكم في زمان واحد غير جائز، وكذلك في الرسل دون الأنبياء (ع).

وإن كان واحداً فذلك الواحد كان معصوماً أو لا، فإن كان معصوماً فثبت بدعوى الخصم أنّه كان علياً (ع)، لأنّ بعد النبيّ لم يكن في صدد الخلافة باتّفاق المهاجرين والأنصار إلاّ ثلاثة: عليّ وأبا بكر وعبّاس، وبقول الخصم أبا بكر وعبّاس ليسا معصومين، بل ليس عنده أحد بمعصوم، فلا يبقىٰ إلاّ عليّ.

(إثبات مقام العصمة لعليّ (ع)

وأما ثبوت العصمة لعلي (ع) فلوجهين:

أما الأوّل فلأنّه أثبت العصمة لنفسه ولا يثبت الشيء لنفسه خليفة الله ورسوله، إلاّ أن يكون واقعاً حقّاً، وعليّ خليفة الله وخليفة رسوله بالاتفاق، أما عند الشيعة فالأوّل وأما عند السنة فالرابع، فيكون قوله حقاً واقعاً، فإن الكذب يستحيل صدوره عنه سيّما إذا تحققت عصمته، والصدق وعدم الكذب لو لم يكن من لوازم خلفاء الله وأمنائه ما صرنا مأمورين بمتابعتهم وجوباً لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

وبيان هذا القول يعضد القول الأول، لأنّا نقول هذا الصادق الذي يجب علينا متابعته وجوباً، يجب أن يكون صادقاً في جميع ما قال وإلا لكان يجب علينا متابعته فيما لا يكون صادقاً فيه، وذلك لا يجوز.

وإذا كان صادقاً في كل الأمور، فذلك الصادق إما أن يكون معيناً أو غير معيّن، والثاني باطل وإلا لزم الإجمال والتعطيل، والأول إما أن يكون ذلك المعين جميع الأمة أو بعضهم، والأول باطل بالضرورة فبقي الثاني، فيجب أن يكون في الأمة شخص معين معصوم لا يجوز عليه خطأ، عمداً كان أو سهواً، صغيراً كان أو كبيراً، وهذا هو المطلوب.

وأما الثاني فلأنه قد ثبت بالبراهين العقلية أن الزمان قط لا يجوز أن يكون خالياً من إمام معصوم وإلا يلزم منه الإخلال بالواجب عن الله تعالى والإخلال بالواجب عن الله تعالى محال، فمحال أن يكون زمان من الأزمنة خالياً عن الإمام المعصوم ويعرف هذا من سرّ بقاء المهدي (ع) كل من أقر بوجوده وبقائه.

وبيان ذلك، وهو أن اللطف واجب على الله تعالى عقلاً، واللطف في الاصطلاح هو الذي يكون العبد به إلى الطاعة أقرب ومن الفساد أبعد، كإنزال الكتب وبعثة الرسل وتعيين الإمام، وإعطاء العقل والقدرة ووجوب التكليف وغير ذلك، وهذا كله واجب على الله تعالى لأنه لو لم يفعل ذلك يكون ناقضاً لغرضه ونقض الغرض على الحكيم محال.

أما الأول فلأنه قال:

﴿ما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

فالجن والإنس إن لم يبعث إليهم الكتب والرسل ليعلمونهم التكليف والعبادة فكيف يعبدونه؟ فوجب عليه اللطف حينئذ بالضرورة.

وأما الثاني فلأنه لو لم يفعل ذلك لا يحصل غرضه الذي هو العبودية فيكون مخلاً بشيء يوجب نقض غرضه وهذا محال عن الحكيم، لأن الحكيم هو الذي لا يفعل القبيح، ولا يخلّ بالواجب، فإذا أخلّ بالواجب لا يكون حكيماً لأنه قبيح عقلاً.

ووجه آخر وهو أنه لو فرض زمان لا يكون فيه من هذه الألطاف شيء، يلزم منه الفساد المذكور، فيجب أن لا يكون زمان إلا ويكون فيه إمّا نبيّ معصوم أو إمام معصوم، فبعد الرسول (ع) لا يجوز أن يكون الزمان خالياً من إمام معصوم بعد أن ثبت أن النبوة ختمت بنبيّنا ولا يجوز وجود نبيّ بعده، وأبوبكر وعباس لم يكونا معصومين بمدّعى الخصم وغيرهما بطريق الأولى مع أن عنده ليس أحد بمعصوم، فيجب أن يكون المعصوم في ذلك الزمان علياً لا غير، وكذلك الإمام، أعني لا يجوز أن يكون الإمام إلا هو، وهذا كله دلائل عقلية على عصمته وعلى أنّه هو(أولي الأمر) المشار إليه في الآية (سورة النساء ٥٩)، هذا على تقدير أن يكون المشار إليه بأولي الأمر يكون معصوماً.

وأما إن كان غير معصوم فلا يجوز متابعته أصلاً ولا يأمر الحق تعالى به أيضاً لأن الأمر بمتابعة غير المعصوم الذي يمكن وقوع الفسق منه لا يجوز من الحكيم الكامل، لأن الأمر بمتابعة الفاسق فسق، وقد تحقق هذا المعنى في عدم متابعة غير الصادق وغير المعصوم، بعد أنه مقرر في العلوم العقلية والبراهين القطعية، أن تقدّم المفضول على الفاضل قبيح ومعلوم أن المعصوم أفضل من غير المعصوم، فيكون تقدمه أولى، فيلزم من هذا أن في زمان النبي وبعده لا يستحقّ اسم الإمارة ولا اسم (أولي الأمر) إلاّ الذي يكون معصوماً من الخطأ والخلل، وعليّ كان كذلك فيكون هو أولى الأمر، وبعده ولديه الحسن والحسين، لأنهما كانا معصومين أيضاً كما ستعرف، ولقول النبي (ع):

هذان ابناي، إمامان، قاما أو قعدا[١١٠].

وهذا برهان قاطع على عصمتهما وإمامتهما، لأن قول المعصوم حجّة على جميع التقادير.

وأما القسم الثاني الذي هو السلاطين الصورية فهذا لا يجوز بوجوه:

الأول، أنه قد ثبت أن أُولي الأمر يجب أن يكون معصوماً والسلاطين الصورية ليسوا بمعصومين.

والثاني، أن أكثر السلاطين الصورية يصدق عليهم اسم الفسق مع الجهل، والحق تعالى لا يأمر عبيده بمتابعة الفاسق وجوباً، والفسق أعمّ من أن يكون بشرب الخمر أو الزّنا، فإنّ الله تعالى سمّى الشيطان فاسقاً، لقوله: ﴿وكان من الفاسقين﴾ [أقول: لم نجد في القرآن مثل هذا ولكن في سورة الكهف ٥٠]:

---

(١١٠) قوله: لقوله: هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا.

أقول: قال ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٣ ص ١٢٩ حديث ١٤: وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبيّ (ص) أنّه قال للحسن والحسين (ع):

هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا.

وفي علل الشرائع للصدوق (رض) باب ١٥٩، حديث ٢، ص ٢١١ قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد رحمه الله قال: حدثنا محمّد بن موسى بن داود الدقاق قال: حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا أبو العلاء الخفاف، عن أبي سعيد عقيصاً قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا ابن رسول الله لِمَ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنّ الحق لك دونه، وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد ألست حجّة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي(ع)؟ قلت: بلى، قال: ألست الّذي قال رسول الله (ص) لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذ قعدت، يا أبا سعيد علّة مصالحتي لمعاوية، علّة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبيّة، أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، الا ترى الخضر (ع) لما خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار؟ سخط موسى (ع) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتّى أخبره فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض احد إلاّ قتل. ذكره أيضاً المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٤ ص١ ح٢.

﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾.

والشيطان لم يشرب خمراً ولم يفعل زناً، والمراد أن كل من خالف الله بشيء من الأوامر والنواهي وهو فاسق، والفسق هو الخروج عن أمر الله مطلقاً.

(في بيان أنّ أُولي الأمر الذين ثبتت عصمتهم وتجب متابعتهم بعد النبي(ص) هم أهل البيت(ع))

وإذا تقرّرت هذه القواعد وتحققت هذه الضوابط، فنقول:

هذا (أُولي الأمر) الذي كان بعد النبي، وثبتت عصمته وأمرنا الله تعالى بمطاوعته ومتابعته وأمرنا بطاعة أهل بيت الرسول (ص) وسمّاهم بأولى الأمر بعده بقول الله وقول الرسول.

أما قول الله تعالى فالذي سبق الآن:

﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [سورة النساء: ٨٣].

وقوله: ﴿وإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وأما الذي سبق في الخطبة فقوله:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة النحل: ٤٣].

فإنه دليل واضح على صدق هذا، لأن أهل الذكر ليس إلا أهله، لقوله تعالى فيهم:

﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [سورة الزّخرف: ٤٤].

وهذا إشارة إلى القرآن بالاتفاق وبناء على هذا لا يجوز السؤال في القرآن حق السؤال إلا منهم ومن تابعيهم على قدم الصدق والمحبة ولهذا أمر نبيّه أن يأمر أمّته بمحبّتهم في قوله:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [سورة الشورى: ٢٣].

لأن المودة توجب المتابعة والمتابعة توجب المحبة لقوله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

والمحبة توجب المناسبة والدخول في المحبوب، لقوله:

﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾ [سورة الفجر: ٣٠].

والدخول في العباد بغير المناسبة مستحيل والمناسبة موقوفة على المحبة والمحبة على المتابعة، فتجب المتابعة حتى يحصل الكل، وما حصل سلمان هذا المقام إلا من المحبة والمتابعة، لقول النبي (ص):

«سلمان منّا أهل البيت»(١١١)، وسيجيء ذكره وسرّه من قول غيرنا لك في هذا عقيب هذا البحث إن شاء الله.

---

(١١١) قوله: لقول النبيّ (ص): سلمان منّا أهل البيت.

روى الصدوق (رض) في أماليه المجلس الثالث والأربعون ص ٢٠٨ في حديث بإسناده عن المسيب بن نجيّة عن علي (ع) قيل له (ع): فحدثنا عن سلمان الفارسي قال: أدرك علم الأوّل والآخر وهو بحر لا ينزح وهو منّا أهل البيت. وروى الكشي ص ١٧ بإسناده عن الحسين بن صهيب عن أبي جعفر (ع) قال: ذكر عنده سلمان الفارسي، فقال أبو جعفر (ع) مه لا تقولوا: سلمان الفارسي ولكن قولوا: سلمان المحمدي ذلك رجل منا أهل البيت. وروى مثله أيضاً في ص ٢٢.

وأيضاً ص ١٧ بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزح وهو منّا أهل البيت.

في البحار ج ٢٢ ص ٣٢٩، ح ٣٨ عن الاحتجاج عن الأصبغ في حديث قال: قال ابن الكوّا: يا أمير المؤمنين أخبرني عن سلمان الفارسي قال: بخّ بخّ، سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم؟ علم علم الأوّل، وعلم الآخر الحديث.

وأيضاً ص ٣٣١ عن بصائر الدرجات بإسناده عن الفضل بن عيسى الهاشمي قال: دخلت على أبي عبد الله (ع) أنا وأبي فقال له: أمن قول رسول الله (ص): سلمان رجل منّا أهل البيت؟ فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: أي من ولد أبي طالب؟ فقال: منّا أهل البيت، فقال له: إنّي لا أعرفه، فقال: فاعرفه يا عيسى فإنّه منّا أهل البيت، ثمّ أومأ بيده إلى صدره، ثمّ قال: ليس حيث تذهب، إنّ الله خلق طينتنا من علّيين وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منّا، وخلق طينة عدوّنا من سجّين، وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك، وهم منهم، وسلمان خير من لقمان.

فلاحظ في ذلك أيضاً تعليقتنا ٦٦ و١٤٣ وفي الأخير حديث يوضح ما هو معنى كون سلمان منهم أهل البيت (ع) فراجع ورواه أيضاً في الجامع الصغير للسيوطي ص ٥٢، ٤٦٩٦، ج ٢ والحاكم في المستدرك ج ٣، ص ٥٩٨ في كتاب معرفة الصحابة.

وأما قول الرسول (ص)، فقوله:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من أهل بيتي، حبلان متّصلان لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»(١١٢).

---

(١١٢) قوله: وأمّا قول الرّسول (ص) فقوله (ص):
إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الحديث.
الحديث مرويّ عن النبيّ (ص) متواتراً بل فوق التواتر، وأنّه (ص) قاله في مواضع عديدة بألفاظ متفرقة، رواه أكابر علماء الإسلام من المحدثين والمفسّرين وغيرهم من العامّة والخاصّة مسنداً ومرسلاً وبطرق كثيرة عن عدّة من الصحابة رضي الله عنهم وعن طريق أهل البيت (ع) في كتبهم المختلفة كثيراً، فإنّ الحديث ثابت عند المسلمين ومتسالم عليه لدىٰ علمائهم وهو من أعرف الأحاديث التي صدرت منه (ص)، ومن الموارد التي صدرت منه (ص) هذا الحديث: يوم عرفة على ناقته القصوىٰ، وفي مسجد خيف، وفي خطبة يوم الغدير في حجّة الوداع، ويوم قبض في خطبته على المنبر، هذا ونذكر ههنا أمور:
الأوّل، أسامي أصحاب النبيّ (ص) الذين يروون الحديث عنه (ص).
الثاني، لفظ الحديث عن بعض المصادر.
الثالث، بعض ما يستفاد منه من الحقائق.
أمّا الأمر الأوّل، أسامي رواة حديث الثقلين عن النبيّ (ص) على ما في أسانيده المنقولة هكذا:
١ ـ علي بن أبي طالب (ع)، ٢ ـ فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص)، ٣ ـ الحسن بن علي (ع)، ٤ ـ سلمان الفارسي، ٥ ـ أبو ذر الغفاري، ٦ ـ ابن عباس، ٧ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري، ٨ ـ أبو سعيد الخدري، ٩ ـ زيد بن ثابت، ١٠ ـ زيد بن أرقم، ١١ ـ ثابت، ١٢ ـ زيد بن ثابت، ١٣ ـ حذيفة بن أسيد الغفاري، ١٤ ـ أبو هريرة، ١٥ ـ أمّ هانئ، ١٦ ـ أبو رافع، ١٧ ـ جبير بن مطعم، ١٨ ـ أنس بن مالك، ١٩ ـ ابن أبي الدّنيا، ٢٠ ـ عبدالله بن حنطب، ٢١ ـ حمزة الأسلمي، ٢٢ ـ عبد بن حميد، ٢٣ ـ أمّ سلمة، ٢٤ ـ محمّد بن فلاد، ٢٥ ـ أبو الهيثم بن التيهان، ٢٦ ـ حذيفة بن اليمان، ٢٧ ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، ٢٨ ـ البراء بن عازب، ٢٩ ـ طلحة بن عبيدالله التيميمي، ٣٠ ـ عبدالرّحمن بن عوف، ٣١ ـ سعد بن أبي وقّاص، ٣٢ ـ عمرو بن العاص، ٣٣ ـ سهل بن سعد، ٣٤ ـ عدي بن حاتم، ٣٥ ـ عقبة بن عامر، ٣٦ ـ أبو أيّوب الأنصاري، ٣٧ ـ أبو شريح الخزاعي، ٣٨ ـ أبو قدامة الأنصاري، ٣٩ ـ أبو ليلى الأنصاري، ٤٠ ـ ضميرة الأسلمي، ٤١ ـ عامر بن ليلى بن ضمرة.
وأمّا الأمر الثاني، فروى الصدوق في أماليه ص ٣٣٨، الحديث ١٥، من المجلس الرابع والستّين، عن الحسن بن علي بن شعيب الجوهري، عن عيسى بن محمد العلوي، عن أبي عمرو أحمد بن أبي حازم الغفاري، عن عبيد الله بن موسى، عن شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (ص): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.
وأيضاً في كتابه الخصال باب الاثنين الحديث ٩٨، ص ٦٥، عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، ويعقوب بن يزيد جميعاً، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: لمّا رجع رسول الله (ص) من حجّة الوداع، ونحن معه، أقبل حتّى انتهى إلى الجحفة فأمر أصحابه بالنزول فنزل القوم منازلهم، ثمّ نودي بالصلاة فصلّى بأصحابه ركعتين، ثمّ أقبل بوجهه إليهم فقال لهم:
إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير: إنّي ميّت وأنكم ميتون، وكأنّي قد دعيت فأجبت، وإنّي مسؤول عمّا أرسلت به إليكم، وعمّا خلّفت فيكم من كتاب الله وحجّته، وأنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون لربّكم؟ قالوا: نقول: قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء، ثمّ قال لهم: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله إليكم، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النّار حق، وأنّ البعث بعد الموت حقّ؟ فقالوا: نشهد بذلك، قال: اللّهمّ اشهد على ما يقولون، ألا وإنّي أشهدكم أنّي أشهد أنّ الله مولاي، وأنا مولى كلّ مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرّون لي بذلك، وتشهدون لي به؟ فقالوا: نعم نشهد لك بذلك، فقال: ألا من كنت مولاه فإنّ عليًّا مولاه (فعلي مولاه) وهو هذا، ثمّ أخذ بيد عليّ (ع) فرفعها مع يده حتّى بدت آباطهما: ثمّ قال: اللهمّ وال من ولاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ألا وإنّي فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، حوضي غداً وهو حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه أقداح من فضّة عدد نجوم السماء، ألا وإنّي سائلكم غداً ماذا صنعتم فيما أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا إذا وردتم عليّ حوضي، وماذا صنعتم بالثقلين من بعدي فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني؟ قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟ قال: أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ سبب ممدود من الله ومنّي في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو عليّ بن أبي طالب وعترته (ع)، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.
وأيضاً فيه الحديث ٩٧ عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، عن محمّد بن حمدان القشيريّ، عن المغيرة بن محمّد بن المهلّب، عن أبيه، عن عبد الله بن داود، عن فضيل بن مرزوق، عن عطيّة العوفيّ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله (ص):
إنّي تارك فيكم أمرين أحدهما أطول من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فقلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته.
وأيضـاً روى الصدوق في كتابه معاني الأخبار ص ٩١، الحديث ٥، عن أحمد بن الحسن القطّان، عن الحسن بن علي بن الحسين السكريّ، عن محمّد بن زكريّا الجوهريّ، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمد بن علي، عن

أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص):

إنّي مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين، وضمّ بين سبّابتيه، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله! ومن عترتك؟ قال: عليّ، والحسن، والحسين، والأئمّة من ولد الحسين إلى يوم القيامة.

أقول: راجع في تفسير أهل البيت كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣، ص ١٤٦ فيه أحاديث عن النبيّ (ص) تفسّر أهل البيت مثل ما في رواية الصدوق (رض). وأيضاً انظر في بيان معنى أهل البيت الأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) في تفسير آيات المباهلة والتطهير والمودّة في تعليقتنا ٨ و ١٥٦.

وروى الصدوق أيضاً في كتابه كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٤٥، عن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس، عن العباس بن الفضل، عن أبي زرعة، عن كثير بن يحيى أبي مالك، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عامر بن واثلة، عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع فنزل بغدير خمّ، ثمّ أمر بدوحات فقمم ما تحتهن، ثمّ قال كأنّي قد دعيت، فأجبت، إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) ثم قال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

قال: فقلت لزيد بن أرقم: أنت سمعت عن رسول الله (ص) فقال ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأذنيه.

وفيه أيضاً عن محمّد بن عمرو البغدادي، عن محمّد بن الحسن بن حفص الخثعمي، عن محمد بن عبيد، عن صالح بن موسى، عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): إنّي قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدي أبداً ما أخذتم بهما وعملتم بما فيهما كتاب الله وسنتي وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وفيه أيضاً، عن محمد بن عمرو الحافظ، عن القاسم بن عباد، عن سويد، عن عمرو بن مصالح، عن زكريا، عن عطيّة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (ص):

إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا كتاب الله جل وعزّ حبل ممدود وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وفيه أيضاً، عن أبي محمّد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوري، عن عمّه أبي عبدالله محمد بن شاذان، عن الفضل بن شاذان، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، أبي إسحاق، عن عيسى بن معتمر، قال: رأيت أبا ذر الغفاري (ره) آخذاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر جندب بن السكن، سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّي خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا

وإن مثلهما فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.
وروى الكليني في الأصول الكافي ج ١، ص ٢٩٤، الحديث ٣، بإسناده عن عبد الحميد بن الديلم، عن الصادق (ع) قال في الحديث: قال رسول الله (ص):
إنّي تارك فيكم أمرين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله عز وجلّ وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلّغت، إنّكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم عمّا فعلتم في الثقلين، والثقلان: كتاب الله جلّ ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.
وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ١٤، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص):
إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.
ومثله عنه أيضاً في ص ٢٦.
وأيضاً في ج ٥، ص ١٨٢ بإسناده عن زيد بن ثابت مثله إلّا أن فيه: إني تارك فيكم خليفتين.
ومثله أيضاً عن أبي سعيد الخدري ص ١٧ مع زيادة: وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما.
وأيضاً في ص ٥٩ بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص):
إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين أحدهما الحديث.
وأخرج مثله السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٤٠٢، الحديث ٢٦٣١، وأخرج الدارمي في سننه ج ٢، ص ٥٢٤، الحديث ٣٣١٦ بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله (ص) يوماً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
أيّها النّاس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيبه، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فتمسّكوا بكتاب الله وخذوا به، فحثّ عليه ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.
وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤، ص ٣٦٦، ومسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٧٣، الحديث ٣٦.
قد سبق منّا الإشارة إلى مرجع أحاديث النبيّ (ص) في تفسير أهل البيت في المستدرك للحاكم فراجع.
وانظر أيضاً في الحديث بأسانيد مختلفة وألفاظ متفرقة كنز العمال ج ١، ص ١٨٥ إلى ١٨٩، أحاديث ٩٤٣ إلى ٩٦٠.
وراجع أيضاً في مصادر الحديث وبأسانيده وطرقه إحقاق الحق وملحقاته ج ٩، ص ٣٠٩ إلى ٣٧٥، وأيضاً ج ١٨، ص ٢٦١ إلى ٢٨٩، ورسالة حديث الثقلين للشيخ محمّد قوام الدين القمي الوشنوي سلمه الله المطبوعة في دار التقريب بالقاهرة.
أمّا الأمر الثالث، أنّه قد يستفاد من الحديث أمور: منها، يفهم منه وجود من يكون أهلاً للتمسك

من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثُّ المذكور إلى التمسك به، كما أن الكتاب كذلك، فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.
قاله الشريف السمهودي، راجع رسالة حديث الثقلين للوشنوي ص ٢٢، والغدير ج ٣، ص ٨٠.
ومنها، دلّت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب والخطأ لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته في أنهم أحد الثقلين المخلفين في الناس، وفي الأمر بالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن، ولو كان الخطأ يقع منهم لما صح الأمر بالتمسك بهم الّذي هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجّة، وفي أن المتمسّك بهم لايضل كما لا يضل المتمسّك بالقرآن ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل، وأنّ في اتّباعهم الهدى والنور كما في القرآن ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال، وفي أنّهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن وهو كناية عن أنّهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وأنّ أقوالهم عن الله تعالى ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، وفي أنّهم لن يفارقوا القرآن ولن يفارقهم مدّة عمر الدنيا ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم، وفي عدم جواز مفارقتهم بتقدم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم أو تقصير عنهم وائتمام بغيرهم، كما لا يجوزالتقدم على القرآن بالافتاء بغير ما فيه أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفيه، وفي عدم جواز تعليمهم وردّ أقوالهم، ولـو كانـوا يجهلون شيئاً لـوجب تعليمهم ولم ينه عن ردّ قولهم.
ودلّت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كلّ عصر وزمان بدليل قوله (ص) أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وأن اللطيف الخبير أخبره بذلك، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.
قاله العلاّمة السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ج ١، ص ٣٧٠.
ومنها، أنّه نعلم من الكتاب الحكيم والسنّة أنّ رسول الله (ص) بلغ رسالته بكمالها وتمامهاحتى قال (ص): لم أترك من أموركم شيئاً، (بحار الأنوار ج ٢٢، ص ٤٧٨). مع أنّا نعلم أيضاً أنّه (ص) ما قال كثيراً من الأحكام، فإذن لا يصح قوله (ص) إلاّ بضميمة هذه الأحاديث وأمثالها مثل قوله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها (راجع التعليقة ١٣٦) فإنّ عليّاً وأولاده(ع) هم وارثوا علمه (ص)، فظهر أنّ كمال الإسلام وتماميّة رسالته(ص) يتحقّق بالتمسّك بهم ويأخذ العلم عنهم وأنّ علمهم علم النبيّ وقولهم (ع) قوله(ص).
ومنها، يستفاد من هذه الأحاديث أنّ الكتاب والعترة توأمان معاً ولن يفترقا في العمل بهما وأخذ المعارف عنهما، يعني أن الهداية تكون في أخذهما معاً والضلالة في التفريق بينهما والأخذ بأحدهما فقط، فمن أخذ الكتاب بدون العترة فقد ضلّ، ومن أخذ العترة بدون الكتاب فقد ضلّ، فلا بد من أخذهما معاً والعمل بهما معاً والإيمان بحقّانيّتهما معاً والتمسّك بهما معاً حتى يكون من الفائزين والمهتدين.
﴿أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدى﴾ [سورة يونس، الآية: ٣٥].

وقوله: «إن أولى الناس بكتاب الله أنا وأهل بيتي من عترتي» لأن هذه الأقوال كلها إشارة إليهم وإلى أنهم هم أولو الأمر المأمورين بمتابعتهم المستنبطين لعلوم القرآن وحقائقه ودقائقه.

وأما قوله الدال على متابعتهم ومطاوعتهم في جميع الأحكام الشرعية، خصوصاً في علم القرآن وأسراره كثيرة.

منها قوله في بعض خطبه(١١٣):

(فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة! فأين يتاه بكم؟ وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيّكم؟! وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق! فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيّين (ص): إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجّة لكم عليه، وأنا هو (وهو أنا)، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، (قد) وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر).

﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون﴾ [سورة النور، الآية: ٥٢].
ومنها، دلّت هذه الأحاديث أنّ إطاعتهم (ع) والعمل بقولهم والأخذ بسنّتهم هي اطاعة رسول الله والأخذ بقوله وسنّته (ص) بل هي عين السنّة وتكميلها كما بيّناه، على أن ملاك العمل بعد الكتاب هو سنّة نبيّنا (ص) وأن قوله وفعله وتقريره حجّة علينا، والسنّة تثبت بكل نقل وطريق موثق أو متواتر عنه (ص) وأيّ طريق أوثق من طريق العترة(ع)؟ والحال أنّ قربهم من النبيّ وعلمهم بالقرآن والسنّة وتقواهم وطهارتهم ووثاقتهم موضع وفاق عند المسلمين، هذا مضافاً إلى تأكيد النبيّ (ص) على التمسك بهم في هذه الأحاديث وغيرها المنقولة عنه (ص) متواتراً بل فوق التواتر كما مرّ.

(١١٣) قوله: منها قوله (ع) في بعض خطبه: أين تذهبون؟
نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ٨٧، وفيض الإسلام ٨٦.

ومنها قوله بعد كلام طويل(١١٤):

(وإنما الأئمة، قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، إن الله خصّكم بالإسلام واستخلصكم له، وذلك لأنه اسم سلامة، وجماع كرامة. اصطفى الله تعالى منهجه، وبين حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم. لا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه مرابيع النعم، ومصابيح الظّلم، لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه. قد أحمى حماه، وأرعى مرعاه، فيه شفاء المستشفي، وكفاية المكتفي).

والكل إشارة إلى القرآن وحامليه الذين هم الأئمة الهداة من أولاده المعصومين (ع)، وقد عرفت من قوله في حق القرآن في أول المقدمة أكثر من ذلك.

وأما قول أولاده المعصومين المشار إليهم بأهل البيت (ع) في أنفسهم، فكثيرة.

منها قولهم بحذف الأسانيد الصحيحة المعتبرة: نحن قوم فرض الله تعالى طاعتنا على خلقه في قوله: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** [سورة النساء: ٥٩]، وأمرهم بمحبّتنا ومودّتنا في قوله: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** [سورة الشورى: ٢٣] ونحن الراسخون في العلم في قوله: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾** [سورة آل عمران: ٧] ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾** [سورة النساء: ٥٤] ونحن الورثة والخزّان الذين قال تعالى فيهم: **﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** [سورة المؤمنون: ١١] ونحن المهديّين الهادين الذين ورد فيهم: **﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾** [سورة الزمر: ١٨](١١٥)، وهذا منقول من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

---

(١١٤) قوله: ومنها قوله (ع) بعد كلام طويل: وإنّما الأئمة الخ.

نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة ١٥٢.

(١١٥) قوله: منها قولهم بحذف الأسانيد: نحن قوم فرض الله الحديث إلى قوله: وهذا منقول من

وأما من كتاب بصائر الدرجات لأبي جارود، ورد عن أبي جعفر (ع) بأسانيد صحيحة الرجال:

نحن جنب الله التي فرطتم فيها، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله في خلقه ونحن حجّة الله على عباده، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدّجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنّا غرق، ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن ورثة سيّد المرسلين، ونحن الطريق القويم، ونحن الصّراط المستقيم، ونحن من نعمة الله على خلقه أجمعين، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، نحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن الذين أنزل الكتاب علينا، ونحن الذين خصّ تفسيره وتأويله بنا، ونحن السراج لمن استضاء بنورنا، ونحن السبيل إلى الله لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة والصراط المستقيم، ونحن الذين قال تعالى فيهم:

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

ونحن الذين ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء المشار إليه في قوله:

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [سورة النمل: ٧٥].

ونحن المقتصد في الآية، والسابق بالخيرات بإذن الله[١١٦]

كتاب سليم بن قيس الهلالي.

انظر في أمثال هذا الحديث في المعنى بحار الأنوار ج ٢٥، باب بدء خلقهم وطينتهم وأرواحهم وأنّهم نور واحد، الحديث ٤، ص ٢ والحديث ٧، ص ٤ والحديث ٣١، ص ١٧ والحديث ٣٨، ص ٢٢ والحديث ٤٦، ص ٢٥ وغيرها في الباب.

(١١٦) قوله: وأمّا من كتاب بصائر الدرجات إلى أن قال: نحن جنب الله التي فرطتم فيها الحديث.

الحديث مذكور في بصائر الدرجات باب ٣ ص ٦٣، حديث ١٠ مع تفاوت في اللفظ.

أقول: وقد ورد أحاديث كثيرة بأسانيد مختلفة في أنهم (ع) جنب الله وعين الله ويد الله، وهكذا ونذكر ههنا بعضها لمزيد المعرفة والفائدة.

(أ) أصول الكافي ج ١، ص ٥ ـ ١٤٣ باب النوادر الحديث ٧ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٣:
محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي سلام النّحاس (مرسلاً) عن أبي جعفر (ع) قال: نحن المثاني الذي أعطاه الله نبيّنا محمّداً (ص) ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا وإمامة المتقين.
رواه الصدوق في التوحيد باب ١٢، ح ٦، ص ١٥٠ وفيه: فأمامه اليقين.
(ب) وروى أيضاً بإسناده عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٠].
قال: نحن والله الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا.
(جـ) وروى أيضاً بإسناده عن مروان بن صبّاح قال: قال الصادق (ع): إنّ الله خلقنا فأحسن خلقتنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرّحمة، ووجهه الّذي يؤتى منه، وبابه الّذي يدلّ عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عبد الله.
(د) وروى أيضاً بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر الباقر (ع)، فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله: نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.
ومثله في بصائر الدرجات ص ٦١، حديث ١، باب ٣.
(هـ) روى شيخ القميين الشيخ الصدوق محمد بن الحسن الصفّار في كتابه بصائر الدرجات في الجزء الثاني باب ٣ ـ ٢ ـ ١، ص ٦٤ ـ ٥٦: بإسناده عن خيثمة الجعفي قال: قال لي أبو عبد الله (ع):
يا خيثمة! نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بذمّة الله، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده.
أقول: رقم هذا الحديث ٦ ومثله الحديثان ٣ و ٢ من الباب ٢، خفر أي نقض.
وفي أمالي المفيد رضي الله عنه المجلس الأول حديث ٣، ص ١٧ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (ع) في خطابه للحارث الهمداني:
إنّي عبد الله، وأخو رسوله، وصدّيقه الأوّل، صدّقته وآدم بين الرّوح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في أمتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن خاصّته يا حارث وخالصته، وأنا صنوه ووصيّه ووليّه وصاحب نجواه وسرّه، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب يفضي كلّ باب إلى ألف عهد،

وأمثال ذلك كثيرة في أقوالهم، نكتفي منها بهذا المقدار، وقد ذهب أكثر المفسّرين من الإماميّة وبعض المفسّرين من غيرهم: أن فيهم نزل قوله تعالى:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [سورة التوبة: ١١١].

﴿التائبون العابدون الحامدون السّائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾ [سورة التوبة: ١١٢].

وأيّدت واتّخذت وأمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذرّيّتي، ما جرى اللّيل والنّهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها. الحديث.

وفي معاني الأخبار للصدوق (رضي الله عنه) ص ٣٥، باب معنى الصراط ح ٥، بإسناده عن ثابت الثمالي عن سيّد العابدين علي بن الحسين (ع) قال: ليس بين الله وبين حجّته حجاب، فلا لله دون حجّته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه.

وفيه أيضاً ص ١٣، ح ٢، باب معاني ألفاظ الخ بإسناده عن صالح بن سهل، عن الصادق (ع) في قول الله عزّ وجلّ:

﴿كل شيء هالك إلّا وجهه﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٨]: نحن.

وفي الغيبة للطوسي ص ١٧٣ في توقيع من الصاحب (ع)، بإسناده عن علي بن إبراهيم الرازي عن الشيخ الموثوق به عنه (ع) في توقيعه:

نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا الحديث فراجع.

أقول: هذا مثل ما قال أميرالمؤمنين(ع) في كتابه إلى معاوية عليه الهاوية، ذكره الرضي في نهج البلاغة الكتاب ٢٨ في الفيض وصبحي الصالح: «ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرميّة، فإنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائع لنا الخ».

وفي إحقاق الحق ج ٥، ص ٢٤٦ الحديث الثاني عن حسن بن المولوي في كتابه «تجهيز الجيش» ص ٢٤، عن أحمد بن حنبل في «الفضائل والمسند» والديلمي في «فردوس الأخبار» عن رسول الله (ص) قال:

كنت وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه أربعة عشر ألف عام، فلم يزل يتمحّض في النور حتّى إذا وصلنا إلى حضرة العظيمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ خلق الخلائق من نورنا، فنحن صنائع الله والخلق كلّهم صنائع لنا.

والحق أن هذه الأوصاف لا تليق إلا بهم، وهذه الأخلاق لا تتناسب إلا بكمالهم، وبناء على هذه الآيات والأخبار والأحاديث لا يصدق اسم الرسوخ إلا عليهم، ولا يجوز أخذ التأويل والتفسير إلا منهم ومن تابعيهم على قدم الصدق كما مرّ، وفيهم قيل:

أنتم تراجمة الكتاب وعندكم يا آل بيت المصطفىٰ تأويله

الشرع قول أنتمُ مفتاحه ويذهل الخليل عن خليله

ورُوِيَ عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

نحن ضربناكم علىٰ تنزيله فاليوم نضربكم علىٰ تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقليه ويذهل الخليل عن خليله

وروى عن عمرو بن العاص قطعة طويلة في هذا الباب، منها ما سبق في الخطبة وهو قوله:

بآل محمّد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

وهم حجج الإله على البرايا بهم وبجدّهم لا يستراب

هو النّبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب(*)

ومعلوم أن المراد بفلك نوح الإشارة النبوية فيهم وهو قوله:

«إن مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، مَن ركب فيها نجى ومن تخلّف عنها غرق»(١١٧).

(*) أقول: الظاهر والله العالم المشهور أنّ الأشعار عن عليّ بن عبدالله بن وصيف الناشي المتوفّى ٣٦٥، وهو شاعر مشهور وعالم نحويّ، راجع تأسيس الشيعة ص٢١١ والغدير ج ٤ ص ٢٤.

(١١٧) قوله: وهو قوله: إنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح الحديث. رواه عن النبيّ (ص) من الصحابة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو ذر، وأبوسعيد الخدري، وعبد الله بن زبير، وعامر بن واثلة، وأنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع، وإياس بن سلمة.
والحديث معروف عند الفريقين ومنقول في طرقهم، ذكره السيد العلامة الحجّة المرعشي النجفي في ملحقات الإحقاق وتعليقاته ج ٩، ص ٢٩١ ـ ٢٧٠، وج ١٨، ص ٣٢٢ ـ ٣١١، والمجلسي في البحار ج ٢٣، باب ٧ من كتاب الامامة، فراجع وراجع أيضاً عيون أخبار الرضا ج ٢، ص ٢٧، الحديث ١٠، الباب ٣١، وذخائر العقبى للطبري ص ٢٠، والجامع الصغير للسيوطي ج ٢، ص ٥٣٣، الحديث ٨١٤٢، والمستدرك للحاكم ج ٢، ص ٣٤٣.

وتقديره ومعناه، أن من تخلّف عنهم في أمر من الأمور الشرعية، سيّما في القرآن وأسراره الحقيقية غرق في بحر الهلاك والضلال والجهل والشقاوة، كما أن من تخلّف عن نوح (ع) يوم الطوفان فإنه غرق في بحر الصّورى الذي هو بإزالة البحر المعنوي ومن هذا وجب متابعتهم وإطاعتهم في الكل، لقوله تعالى فيهم:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [سورة النساء: ٥٩].

لأن هذا لا يصدق إلا عليهم كما سبق.

ولقوله:

﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

ومعلوم أن هذا أيضاً ورد في جدّهم وكل ما ورد في جدّهم فهو وارد فيهم، لأنهم بمثابة نفس واحدة، لقولهم:

أوّلنا كآخرنا فمن أنكر واحداً منّا كمن أنكر الكلّ وكفرنا(١١٨).

---

(١١٨) قوله: لقولهم: أوّلنا كآخرنا الحديث.

روى الصدوق (رض) في كمال الدين ج ٢ الباب الحادي والأربعون الحديث ٧، ص ٨٠ بإسناده عن موسى بن جعفر البغدادي قال سمعت أبا محمد الحسن بن علي (ع) يقول: كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منّي، أما إنّ المقرّ بالأئمّة بعد رسول الله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد رسول الله (ص)، والمنكر لرسول الله (ص) كمن أنكر جميع الأنبياء لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها النّاس إلّا من عصمه الله.

وروى المفيد (رض) في أماليه المجلس التاسع الحديث ٥، ص ٩٧ بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: أوّلنا دليل على آخرنا، وآخرنا مصدّق لأوّلنا، والسنّة فينا سواء، إنّ الله تعالى إذا حكم حكماً أجراه.

وروى الكليني (رض) في أصول الكافي ج ١، ص ٣٧٣، الحديث ٧ بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله (ع): رجل قال لي: اعرف الآخر من الأئمّة ولا يضرّك إن لا تعرف الأوّل، قال: فقال: لعن الله هذا، فإنّي أبغضه ولا أعرفه، وهل عرف الآخر إلّا بالأوّل؟

وروى الصدوق (رض) في كمال الدين بإسناده عن علي بن أبي حمزة الثمالي عن الصادق (ع)، عن آبائه، عن النبيّ (ص) قال: حدّثني جبرائيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال: من علم أنّه لا إله إلّا أنا وحدي وأنّ محمّداً عبدي ورسولي وأن علي بن أبي طالب خليفتي وأنّ الأئمّة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتي، إلى أن قال: فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله

وقوله تعالى :

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣].

إشارة إليهم، وقوله تعالىٰ :

﴿أولئك الّذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

بعد الأنبياء إشارة إليهم، وقوله تعالىٰ :

﴿أولئـك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [سورة البقرة: ١٥٧].

إشارة إليهم، وقوله تعالىٰ :

﴿ومن آبـائهم وذرّيّـاتهم وإخـوانهم واجتبينـاهم وهـدينـاهم إلى صـراط مستقيم﴾ [سورة الأنعام: ٨٧].

إشارة إليهم بعد الأنبياء والرسـل، لأنهم أيضاً من ذرّيّتهم وذرّيّـة أعظمهم وأشرفهم صلى الله عليهم وعلى آبائهم الطاهرين المطهرين إلى يوم الدين.

وستعرف هذا المعنى أكثر من هذا في الأبحاث الآتية بعد هذا، وخصوصاً عند بحث المهدي (ع) الذي هو منهم، ويكون (مَن) في المشرق والمغرب من (في) حكمه طوعاً وكرهاً، وبالله التوفيق والعصمة.

هذا آخر البحث الأول في هذا الباب.

ومن الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ سيد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمّد بن عليّ، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقيّ محمّد بن علي، ثمّ الهادي علي بن محمّد، ثمّ الزكيّ الحسن بن عليّ، ثمّ ابنه القائم بالحق مهدي أمّتي الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها.

البحث الثاني في إثبات طهارتهم وعصمتهم وإثبات المناسبة بينهم وبين القرآن وحقائقه متمسّكاً بقول الله تعالى ورسوله والمشائخ الثّقات من أمّته

إعلم، أن أسرار القرآن وحقائقه أسرار إلٰهيّة وحقائق ربّانية منزلة من عالم القدس والطهارة على النفوس المقدسة الطاهرة والذوات الشريفة المنزهة، لقوله:

﴿وإنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهرون﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٩].

ولقوله:

﴿كلاّ إنها تذكرة. فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [سورة عبس: ١١ - ١٦].

فلا يكون لها نزول ولا ظهور إلا في نفوس كاملة وذوات طاهرة من الذنب والمعاصي المعبر عنها بالرّجس، لقوله تعالى:

﴿الخبيثات للخبيثين والطيّبات للطيّبين﴾ [سورة النور: ٢٦].

وليس هذه النفوس الطاهرة والذوات الكاملة إلا للأنبياء والرسل وبعدهم لهؤلاء الأئمة التابعين لهم على قدم الصدق والطهارة من أرباب التوحيد، ومن هنا قلنا ونقول: إن الراسخين في العلم على الإطلاق، هم الأنبياء ثم الرسل، ثم الأولياء، ثم الأئمة، ثم العلماء الورثة، المسمّين بأرباب التوحيد حتى لا يدخل أحد آخر في هذا الحكم بغير الحق، لأن الدخول في هذا مشروط بشرط الطهارة الذاتية وليس هذا إلا لأهل التوحيد، فلا يدخل فيهم غيرهم كما ستعرفه الآن في قول المشائخ الثّقات، وقوله تعالى:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

إشارة إلى طهارة أهل البيت وتقدّسهم وتنزّههم من الذنب والمعصية، لأن

هذا الرّجس لا يخلو من وجهين، إما أن يكون بمعنى الكفر والشّرك وإما أن يكون بمعنى الذنب والفسق، فإن كان بالمعنى الأول فطهارتهم وتنزّههم من ذلك معلوم بالضرورة، وإن كان بالمعنى الثاني، فلو لم يكونوا طاهـرين منه، مـطهرين عن أمثاله، لا يصدق عليهم الطهارة، لأن الذنب والفسق من أقذر النّجاسات وأنجسها، وقد شهد الحق بطهارتهم منه، فيجب أن يكونـوا طاهـرين بالضّـرورة وإلا يلزم الخلاف في قول الله تعالى، وذلك مستحيل.

وأيضاً قد تقرّر في الأصول الكلامية والعقائد الشرعية، أن الإمام والرسول، والنبي يجب أن يكونوا معصومين، وإلا لم يبق الوثوق بقولهم وفعلهم، وتبـطل بعثتهم ودعوتهم ويلزم منه الإهمال والعبث، ونقض غرض الحكيم الكامل وقـد أثبتنا أن كل هذا باطل، فيجب أن يكون الإمام معصوماً من الخطأ مطلقاً، وكذلك النبي والرسول، وهذا هو المطلوب، وكل من يريد البسط فيه فيرجع إلى مظانّه، فإن الكتب الكلامية منا ومن غيرنا مملوّة بهذا. وأما من المشائخ الصوفية، فالشيخ الأعظم محيـي الدين الأعـرابي قدّس الله سـرّه، قد أشـار إلى هذا المعنى في الفتوحات المكيّة من الجلد الأول في الباب التاسع والعشرين في معرفة سرّ سلمان وسرّ إلحاقه بأهل البيت، وهو باب وسيع وفيه فوائد كثيرة، نريد أن نذكر مجموع ذاك الباب في هذا المقام استشهاداً واعتقاداً وحجّة على جاحدي أقوالنا السابقة وهو هذا:

(التوجّه إلى غيره سبحانه ينافي التجريد والإنقطاع)

إعلم أيّدك الله! أنّا روينا من حديث جعفـر بن محمد الصـادق، عن أبيه محمـد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عن أبيـه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول الله (ص)، أنه قال: مولى القوم منهم[١١٩].

وخرّج الترمذي عن رسول الله (ص)، أنه قال:

---

(١١٩) قوله: عن رسول الله (ص) قال: مولى القوم منهم.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالىء ج ٢، ص ٢٣٢، الحديث ١٨، وفيه: موالي القـوم منهم، ونقله المصحح في ذيله عن كنوز الحقائق على هامش الجامع الصغير ج ٢، ص ١٢٣.

أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته[١٢٠].

وقال تعالى في حق المختصّين من عباده:

﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [سورة الإسراء: ٦٥].

فكل عبد إلهيّ توجه لعبد عليه من المخلوقين حقّ، فقد نقص من عبوديته بقدر ذلك الحق، فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقّه، وله عليه سلطان به، فلا يكون عبداً، محضاً، خالصاً لله، وهذا هو الذي رجّح، عند المنقطعين إلى الله، انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السّياحات والبراري والسّواحل، والفرار من الناس، والخروج عن ملك الحيوان، فإنهم يريدون الحرية عن جميع الأكوان، ولقيت منهم جماعة كثيرة في أيام سياحتي.

ومن الزمان الذي حصل لي هذا المقام، ما ملكت حيواناً أصلاً، بل ولا الثّوب الذي ألبسه، فإنّي لا ألبسه إلا عارية لشخص معيّن، أذن لي في التصرف فيه، والزمان الذي أتملّك الشيء فيه، أخرج عنه في ذلك الوقت، إما بالهبة أو بالعتق، إن كان مما يعتق، وهذا حصل لي لما أردت التحقّق بعبودية الاختصاص لله، قيل لي: لا يصح لك ذلك حتى لا تقوم لأحد عليك حجّة، قلت: ولا لله، إن شاء الله، قيل لي: وكيف يصح لك أن لا تقوم لله عليك حجّة؟ قلت: إنما تقام الحجج على المنكرين، لا على المعترفين، وعلى أهل الدّعاوى وأصحاب الحظوظ، لا على من قال: ما لي حق ولا حظّ.

(الطهارة رزق لمن يكون عبداً محضاً)

ولما كان رسول الله (ص)، عبداً محضاً، قد طهّره الله وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرّجس، وهو كلّ ما يشينهم، فإن الرّجس، هو القذر عند العرب،

---

(١٢٠) قوله: إنّه (ص) قال: أهل القرآن... الحديث.

تمام الحديث كما في مسند ابن حنبل ج٢، ص١٢٨، وص ٢٤٢ بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله (ص) أن لله أهلين من الناس، قال: قيل: من هم يا رسول الله (ص) قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته.

أخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ج ١، ص ٧٨، الحديث ٢١٥، والحاكم في المستدرك ج ١، ص ١٣٩.

هكذا حكى الفرّاء.

قال تعالى:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولا بدّ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهادة من النبي (ص)، لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة، حيث قال فيه رسول الله (ص):

سلمان منا أهل البيت [وقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٦٢ فراجع].

(أهل البيت (ع) هم عين الطهارة)

وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا ينضاف إليهم إلا مطهر مقدّس، وحصلت له العناية الإلهيّة بمجرد الإضافة، فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم؟ فهم المطهّرون، بل هم عين الطهارة.

فهذه الآية تدل على أن الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله (ص)، في قوله تعالى:

﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر﴾ [سورة الفتح: ٣].

وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ منها؟ فطهّر الله سبحانه، نبيّه (ص)، بالمغفرة، فما هو ذنب، بالنسبة إلينا لو وقع منه (ص)، لكان ذنباً في الصورة، لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك، من الله ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب، لصحبه ما يصحب الذنب من المذمّة، ولم يصدق قوله:

﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فدخل الشّرفاء أولاد فاطمة كلّهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية.

من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعناية منهم، لشرف

محمّد (ص)، وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت، إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حدّاً أقيم عليه، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره، وقد زنى أو سرق أو شرب، أقيم عليه الحد، مع تحقّق المغفرة، كماعزٍ وأمثاله، ولا يجوز ذمّه.

وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله، أن يصدق الله تعالى في قوله:

﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت، أن الله قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه، لا بعمل عملوه ولا بخير قدّموه، بل سابق عناية من الله بهم.

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الجمعة: ٤].

وإذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي، فله هذه الدرجة، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، وتلحق المذمّة بعامله، لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم، وهم المطهّرون بالنّص، فسلمان منهم بلا شك، فأرجو أن يكون عقب عليّ وسلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم، وموالي أهل البيت، فإن رحمة الله واسعة.

(أهل البيت المعصومون وهم أقطاب العالم)

يا وليّ! فإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة، أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حلّة الشرف، كيف، يا وليّ! بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته؟ فهو المجيد، سبحانه وتعالى، فالمضاف من عباده، الذين هم عباده، وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة، قال تعالى لإبليس:

﴿إن عبادي (فأضافهم إليه) ليس لك عليهم سلطان﴾ [سورة الإسراء: ٦٥].

وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه، إلا السعداء خاصة، وجاء

اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنّك بالمعصومين، المحفوظين منهم، القائمين بحدود سيّدهم، الواقفين عند مراسمه؟ فشرفهم أعلى وأتمّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام.

ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضى الله عنه، من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق، وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول الله (ص):

«لو كان الإيمان بالثريّا لناله رجال من فارس وأشار إلى سلمان الفارسي»(١٢١).

وفي تخصيص النبي (ص)، ذكر الثّريا، دون غيرها إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة، لأنها سبعة كواكب. فافهم!

فسرّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت، ما أعطاه النبيّ (ص)، من أداء كتابته، وفي هذا فقه عجيب، فهو عتيقه (ص)، ومولى القوم منهم، والكل موالي الحق، ورحمة الله وسعت كل شيء [إشارة إلى الكريمة في سورة الأعراف ١٥٦: ورحمتي وسعت كل شيء]، وكل شيء هو عبده ومولاه.

(ذام أهل البيت (ع) ذام لنفسه في الحقيقة)

وبعد أن تبيّن لك منزلة أهل البيت عند الله، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم بما يقع منهم أصلاً، فإن الله طهّرهم، فليعلم الذامّ لهم أن ذلك راجع إليه، ولو ظلموه فذلك الظلم هو، في زعمه، ظلم لا في نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر

---

(١٢١) قوله: وقال رسول الله (ص): لو كان الإيمان بالثريّا الخ.

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٤١٧ بإسناده عن أبي هريرة، قال كنّا جلوساً عند النبيّ (ص) إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلمّا قرأ: وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله، فلم يراجعه (ص) حتّى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبيّ (ص) يده على سلمان، وقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء.

وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٩٧٣، الحديث ٢٣١، وفي كنز العمال ج ١١، ص ٦٩٠، الحديث ٣٣٣٤٢، وج ١٢، ص ٣٠٣ الحديث ٣٥١٢٥ والحديث ٣٤١٢٩، ص ٩١ قريب منه.

الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم إيّانا في نفس الأمر يشبه جرى المقادير على العبد في ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة، فيحترق أو يموت له أحد أحبابه، أو يصاب في نفسه، وهذا كله مما لا يوافق غرضه.

ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، فإن ارتفع عن تلك المرتبة فالشكر، فإن في طيّ ذلك نعماً من الله لهذا المصاب، وليس وراء ما ذكرناه خير، فإنه ما وراءه إلا الضجر والسّخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله.

فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه، من أهل البيت، في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه، فيقابل ذلك كله، بالرضا والتسليم والصبر، ولا يلحق المذمّة بهم أصلاً، وإن توجّهت عليهم الأحكام المقررة شرعاً، فذلك لا يقدح في هذا، بل يجريه مجرى المقادير، وإنما منعنا تعليق الذّمّ بهم، إذ ميّزهم الله عنّا بما ليس لنا معهم فيه قدم.

وأما أداء الحقوق المشروعة، فهذا رسول الله (ص)، كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أدّاها على أحسن ما يمكن، وإن تطاول اليهودي عليه بالقول، يقول: دعوه! إن لصاحب الحق مقالاً.

وقال (ص) في قصة:

لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها[١٢٢]. فوضع الأحكام لله

---

(١٢٢) قوله: قال (ص) في قصّة: لو أنّ فاطمة (ع) الحديث أقول: القصّة قصّة امرأة من بني مخزوم سرقت، فأمر النبيّ (ص) أن تقطع يدها، أخرج مسلم في صحيحه ج ٣ كتاب الحدود باب ٢ قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، الحديث ٩ ـ ١٦٨٨ بإسناده عن عائشة زوج النبيّ (ص): أنّ قريشاً أهمّهم شأن المرأة الّتي سرقت في عهد النبيّ (ص) في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله (ص)؟ فقالوا: ومن يجترىء عليه إلاّ أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله (ص)؟ فأتي بها رسول الله (ص)، فكلّمه فيها أسامة بن زيد، فتلوّن وجه رسول الله (ص) فقال: أتشفع في حدّ من حدود الله؟ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلمّا كان العشيّ قام رسول الله (ص) فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّما أهلك الّذين من قبلكم، أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وإنّي والّذي نفسي بيده، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها، ثمّ أمر بتلك المرأة الّتي سرقت فقطعت يدها.

يضعها كيف يشاء، وعلى أي حال يشاء، فهذه حقوق الله ومع هذا لم يذمّهم الله، وإنما كلامنا في حقوقنا، وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيّرون، إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا، والترك أفضل عموماً فكيف في أهل البيت؟ وليس لنا ذمّ أحد، فكيف بأهل البيت؟ فإنّا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك ـ أي فيما أصابوه منا ـ كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزّلفى.

(حب أهل البيت (ع) ومحبتهم طلب من قبل رسول الله (ص))

فإن النبي (ص)، ما طلب منّا عن أمر الله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ [سورة الشورى: ٢٣]. وفيه سرّ صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيّه فيما سأله فيه ممّا هو قادر عليه بأيّ وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته، وهو ما أسعف نبيّه (ص)، فيما طلب منه من المودة في قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة؟ ثم إنّه تعالى جاء بلفظ المودة وهو أثبت على المحبة، فإنه من ثبت ودّه في أمر استصحبه في كل حال، وإذا استصحبته المودّة، في كل حال، لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه، مما له أن يطالبهم به، فيتركه ترك محبة، وإيثاراً لنفسه لا عليها.

قال المحب الصادق:

وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

وجاء باسم، الحب، فكيف حال المودّة؟ ومن البشرى ورود اسم الودود لله تعالى.

ولا معنى لثبوتها إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة وفي النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم.

وقال الآخر في المعنى:

أحبّ لحبّها، السودان، حتى أُحبّ لحبّها سود الكلاب

أخرجه أيضاً الدارمي في سننه ج ٢، كتاب الحدود باب ٥، ص ٣٢٧، باب الشفاعة في الحدود دون السلطان الحديث ٢٣٠٢، وأيضاً ابن ماجه ج ٢ باب ٦، من كتاب الحدود ص ٨٥١ الحديث ٢٥٤٧، وأيضاً أبي داود في سننه ج ٤، ص ١٣٢، الحديث ٤٣٧٣ كتاب الحدود، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٣، ص ٣٨٧ وص ٣٩٥.

ولنا في هذا المعنى:

أحبّ لحبّك الحبشان طرّاً وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله، ولا تورثه القربة من الله فهل هذا إلا من صدق الحب وثبوت الود في النفس؟

(دليل صحّة محبّة الله ورسوله (ص) محبة أهل بيته (ع)

فلو صحّت محبتك لله ولرسوله، أحببت أهل بيت رسول الله (ص)، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك، إنه جمال تتنعم بوقوعه منهم، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله، حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله، وهم أهل بيت رسول الله (ص)، فتشكر الله على هذه النعمة، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك.

وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت محتاج إليهم، ولرسول الله (ص)، حيث هداك الله به، فكيف أثق أنا بودّك الذي تزعم به أنك شديد الحب فيّ، والرعاية لحقوقي أو لجانبي، وأنت في حق أهل بيت نبيّك، بهذه المثابة من الوقوع فيهم؟ والله! ما ذاك إلا من نقص إيمانك، ومن مكر الله بك واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكر أن تقول وتعتقد في ذلك أنك، تذب عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقك: إنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه، ويندرج الذمّ في ذلك الطلب المشروع، والبغض والمقت، وإيثارك نفسك على أهل البيت، وأنت لا تشعر بذلك، والدّواء الشافي من هذا الداء العضال، أن لا ترى لنفسك معهم حقّاً، وتتنزل عن حقّك لئلاّ يندرج في طلبه، ما ذكرته لك، وما أنت من حكّام المسلمين حتى يتعيّن عليك إقامة حدّ، أو إنصاف مظلوم، أو ردّ حقّ إلى أهله، فإن كنت حاكماً، ولا بدّ، فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى، حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه، فلو كشف الله لك، يا وليّ! عن منازلهم عند الله في الآخرة، لوددت أن تكون

مولى من مواليهم، فالله يلهمنا رشد أنفسنا، فانظر ما أشرف منزلة سلمان رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

(أسرار أهل البيت (ع) وبعض مختصاتهم)

ولما بينت لك أقطاب هذا المقام، وأنهم عبيد الله المصطفون الأخيار، فاعلم أن أسرارهم التي اطلعنا الله عليها تجهلها العامة، بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام، والخضر منهم رضي الله عنه، وهو من أكبرهم، وقد شهد الله له أنه آتاه، رحمة من عنده وعلّمه من لدنه علماً، اتبعه فيه كليم الله موسى (ع)، الذي قال فيه (ص):

لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني (اتّباعي).

فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت وما قد نبّه الله على علوّ رتبتهم في ذلك.

ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم، مع دعواهم في حب رسول الله (ص)، وسؤاله المودة في القربى، وهو (ص)، من جملة أهل البيت، فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله (ص)، عن أمر الله، فعصوا الله ورسوله ولا أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان، فأغراضهم أحبّوا، وبنفوسهم تعشّقوا.

ومن أسرارهم الاطلاع على صحّة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمّدية، من حيث لا يعلم العلماء بها، فإن الفقهاء والمحدثين الذين أخذوا علمهم ميّتاً عن ميّت، إنما المتأخّر منهم هو فيه على غلبة ظنّ إذ كان النقل بشهادة والتواتر عزيز، ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر، لم يكن ذلك اللفظ، المنقول بالتواتر نصّاً فيما حكموا فيه، فإن النصوص عزيزة، فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم به ولهذا اختلفوا، وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نص آخر يعارضه ولم يصل إليهم، وما لم يصل إليهم ما تعبدوا به ولا يعرفون بأي وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله (ص) المشرع، فأخذه أهل الله عن رسول الله (ص)، في الكشف،

على الأمر الجليّ والنص الصريح في الحكم أو عن الله بالبيّنة التي هم عليها من ربهم والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها، كما قال الله:

﴿أفمن كان على بيّنة من ربه﴾ [سورة محمّد: ١٤].

وقال:

﴿أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

فلم يفرد نفسه بالبصيرة وشهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه، إلا على بصيرة وهم عباد الله أهل هذا المقام.

ومن أسرارهم أيضاً إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهي وما تجلّى لهم حتى اعتقدوا ذلك، ومن أين تصوّر الخلاف، مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه، فإنه ما اختلف فيه اثنان؟ وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب؟ وبماذا يسمّى ذلك السبب؟ فمن قائل: هو الطبيعة، ومن قائل هو الدهر، ومن قائل هو غير ذلك، فاتفق الكل في إثباته ووجوب وجوده. وهل هذا الخلاف يضرّهم مع هذا أم لا؟ هذا كله من علوم أهل هذا المقام.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

هذا آخر الباب المذكور من كلام الشيخ الأعظم قدّس سرّه(١٢٣)، وكان الغرض منه أولاً علمك بشرف أهل البيت وفضلهم من لسانه، وعلمك بطريق المحبة وكيفية المودة معهم، ثم علمك بتطهيرهم وعصمتهم وخصوصيّة أسرار القرآن وعلومه بهم وبتابعيهم كسلمان وغيره على طريق التبصرة والكشف المشار إليهم الآن بأهل التوحيد وأهل الله.

وإذا عرفت هذا وتحقّقت هذا المعنى، فنرجع إلى البحث الذي كنا بصدده من بحث خصوصيّة التأويل بهم وبتابعيهم، ونثبت هذا المعنى بعينه للمهدي (ع)

---

(١٢٣) قوله: فالشيخ الأعظم محيي الدين ابن عربي (قدس سره) قد أشار إلى هذا المعنى الخ.
الفتوحات المكيّة، الطبعة السابقة ج٣، ص٢٢٧ ـ والطبعة السابقة ج١، ص ١٩٦ ـ الباب التاسع والعشرون في معرفة سرّ سلمان الّذي ألحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم.

الذي هو من أولادهم، وهو هذا وبالله التوفيق.

البحث الثالث في اثبات هذا المعنى للمهدي (ع) متمسّكاً بالعقل والنقل والكشف

إعلم أن التأويل لو لم يكن مخصوصاً بهم وبتابعيهم، لم يكن الله تعالى يقيّد التأويل حق التأويل بالإمام المنتظر منهم المسمّى بالمهدي (ع) في قوله:

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدىً ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ [سورة الأعراف: ٥٢ ـ ٥٣].

(عصر ظهور المهدي (ع) عصر لظهور التأويل)

وذلك لأن زمانه يقتضي ظهور التأويل على ما هو عليه وظهور الشريعة على ما ينبغي ورفع المذاهب والملل بحيث لا يبقىٰ إلا مذهب واحد ودين واحد وهو دين محمّد (ص) ومذهبه كما أشار إليه الحق تعالى في قوله:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون﴾ [سورة التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

وأشار إليه النبي (ص) بقوله:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله تعالى ذلك اليوم ليخرج رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٠ فراجع].

وإن قيل: المراد باليوم الذي يأتي تأويله، يوم القيامة الكبرى، لا يوم ظهور المهدي.

(القيامات الثلاث وآثارها)

أجبت عنه بأن القيامات ثلاث، الصغرى والوسطى والكبرى، فالصغرى باتفاق أكثر المحدّثين هو ظهور المهدي (ع) وتأسيس العدل بين الناس وقيام أكثر الناس عن القبور، ونزول علّيين عن السماء وظهور كثير من الأخيار... وكسب الكمالات منه، والدليل على ذلك وهو أن يوم القيامة الكبرى ليس فيه تأويل ولا تفسير ولا إيمان ولا كتاب ليقول الحق:

﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [سورة الأعراف: ٥٣].

بل ذلك اليوم يوم جزاء وحساب ويوم ثواب وعقاب لقوله تعالى:

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [سورة الشعراء: ٨٧].

ويشهد بذلك أيضاً قوله:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا منتظرون﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨].

لأن يوم القيامة الكبرى يوم ظهور الآيات كلها لا بعضها.

فعلمنا من هذا أن المراد بذلك اليوم، القيامة الصغرى الذي هو يوم ظهور بعض الآيات ويوم ظهور تأويل القرآن حقّ تأويله، كما قال عيسى (ع):

نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتيكم به الفارقليط في آخر الزمان [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٨٧ فراجع].

ومن جملة آيات الله تعالى في ذلك اليوم غير ما ذكرناه، طلوع الشمس من المغرب، وظهور الدّجال وفتح بلاد الكفر وأمثال ذلك، كما سنذكرها إن شاء الله.

وقوله تعالى أيضاً في كتابه الكريم:

﴿ويوم نحشر من كل أمّة فوجاً﴾ [سورة النمل: ٨٣].

شاهد على صدق هذه الدعوة، لأن حشر بعض الناس المعبّر عنهم بالفوج لا يكون إلا في القيامة الصغرى، لأن القيامة الكبرى يوم حشر الكل لا البعض، لقوله

تعالى:

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ [سورة الكهف: ٤٧].

ولقوله:

﴿إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ [سورة الواقعة: ٤٩-٥٠] وإن قلت: إن المراد بالقيامة الصغرى الموت لقول النبي (ص):

«من مات فقد قامت قيامته»(١٢٤) لا الذي أشرتم إليها قلنا: إن هذه القيامة التي أشرنا إليها وهي القيامة الصغرى في الآفاق وتلك القيامة الصغرى في الأنفس ولا يدخل هذا في هذا لأن القيامات كما أنها بالنسبة إلى الآفاق ثلاث، الصغرى والوسطى والكبرى فكذلك بالنسبة إلى الأنفس فإنها أيضاً ثلاث الصغرى والوسطى والكبرى، وقد أشرنا إلى هذه القيامات في رسالتنا المسمّاة برسالة المعاد مفصّلاً، كما نذكره في المقدمة السادسة من هذه المقدمات السبع، لأن هذا المكان لا يحتمل بسطها لأنها تنقسم إلى اثنتي عشرة قيامة آفاقية وأنفسية، هذا مضى وقد ورد عن النبي (ص) أنه قال:

«زويت لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمّتي ما زوى لي منها»(١٢٥).

وورد عنه (ع) أنه قال:

لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعزّ عزيز وذلّ ذليل، إمّا أن يعزّهم الله، فيجعلهم من أهلها، وإمّا أن يذلّهم، فيدينون لها(١٢٦).

---

(١٢٤) قوله: لقول النبيّ (ص) من مات فقد قامت قيامته، ذكره الغزالي في إحياء العلوم ج ٤، ص ٦٤، وقال العراقي في ذيله: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس...

(١٢٥) قوله: وقد ورد عن النبيّ (ص) أنّه قال: زويت لي الأرض الحديث، أخرجه ابن ماجه في سننه ج ٢، ص ١٣٠٤، الحديث ٣٩٥٢ من كتاب الفتن، وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ٤، ص ٢٢١٥ الحديث ٢٨٨٩، باب هلاك هذه الأمة من كتاب الفتن، وأخرجه البيهقي أيضاً ج ٩، ص ١٨١، كتاب السير بإسناده عن ثوبان، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في غريب الحديث ج ١، ص ٣.

(١٢٦) قوله: وورد عنه (ص): لا يبقى على الأرض بيت مدر الخ.

وذهب أكثر المفسرين إلىٰ أن قوله تعالى:

﴿ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [سورة القصص: ٥].

وقوله:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ [سورة النور: ٥٥].

وقوله:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

نزل في حق أهل البيت عموماً وفي حقّ المهدي منهم خصوصاً، وذلك صحيح، لأن هذه الآيات كلها شاهدة على ما ذهبنا إليه من ظهور المهدي في آخر يوم من أيام الدنيا المسمّى بالقيامة الصغرى، وظهور الحق تعالى بمظهر القطب الأعظم والخليفة الأكبر الخاتم الولاية المحمّدية، والحكم بالتوحيد الذاتي من المشرق إلى المغرب وتبديل الأديان والملك، وكملّين أهل الله من أرباب التوحيد الذين هم من جنوده الخاصّة، وأمثال ذلك.

وقد قيل في الآية المذكورة في قوله: **﴿ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾** أنه دال على خلافته وإمامته وحجّيته، وأنه وارث حقيقي لهذا المقام، لأن الألف واللام متى دخلا في الخبر أفادا انحصاره في المبتدأ، فإنا إذا قلنا: إنّه هو العالم،

أخرجه أحمد في مسنده ج ٤، ص ٦ بإسناده عن المقداد بن الأسود، والبيهقي أيضاً ج ٩، ص ١٨١ كتاب السير بإسناده عنه أيضاً، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤، ص ٤٣٠ كتاب الفتن والملاحم عنه أيضاً.

دل على أن غيره ليس بعالم، وكل إمام غيره من الأئمة فهو موروث، ولا يكون هو الوارث دون غيره، لأن من بعده وارثه، فدل على أن الإمام الذي هو بهذه الصفات يرث من قبله، أعني يرث هو الإمامة ولا يورث عنه، وغير الإمام محمد بن الحسن صاحب الزمان (ع)، ليس له هذه الصفات بإجماع المسلمين، فيكون هو المراد بهذه الآية، فثبتت إمامته وخلافته بالعصمة الحاصلة له دون غيره.

وكذلك ختميّته بانحصار الوراثة فيه، لأن المراد بالخاتم للأولياء هو الذي لا يكون بعده وليّ يرجع إليه، وهذا كذلك فيكون هو خاتماً للولاية المحمّدية، وهذا هو المطلوب، وقد ورد عن كل واحد من الأئمة خبر دال، وذكر المجموع هٰهنا يطول ويخرج الكلام عن المقصد.

وحاصل الكل قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) في بعض أدعيته[127].

سبحانه ما أبين كرمه وأعلى شانه، سبحانه ما أجل نيله وأعظم إحسانه، بعث الأنبياء ليبيّن عدله ونصب الأولياء ليظهر طوله وفضله، وجعلنا من أمة سيد الأنبياء وخير الأولياء وأفضل الأزكياء وأعلى الأصفياء، محمد (ص)، آمنّا به وبما دعانا إليه، وبالقرآن الذي أنزله عليه، وبوصيّه الذي نصبه يوم الغدير وأشار بقوله: هذا علي إليه، وأشهد أن الأئمة الأبرار والخلفاء الأخيار بعد الرسول المختار على قامع الكفار ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي، ثم أخوه السبط التابع لمرضات الله الحسين، ثم العابد علي، ثم الباقر محمد، ثم الصادق جعفر، ثم الكاظم موسى، ثم الرّضا عليّ، ثم التقى محمّد، ثم النّقى عليّ، ثم الزّكي الحسن، ثم الحجّة الخلف القائم المنتظر المهدي المرجى الذي ببقائه بقيت الدنيا وبيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء وبه يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

لأن هذا القول ناطق بخلافته وحجّيته وقطبيته وجميع ما أشرنا إليه، وذلك

---

(١٢٧) قوله: وحاصل الكلّ قول مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع) في بعض أدعيته الخ.

أقول: العبارات المذكورة بعض من دعاء العديلة المعروف، ذكرها الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان فراجع.

لأن هذا المهدي (ع) كما هو عند الإمامية إمام زمانه ووارث علم آبائه وأجداده، وبه يظهر الدين على ما هو عليه وبه تقوم الساعة، وبه يتم الدورة، فهو عند الموحدين من أهل الله، القطب الأعظم الذي به يكون به قيام الوجود وختم الولاية وظهور الساعة وأمثال ذلك.

وإليه ذهب من المشائخ الإسلامية، أبا يزيد البسطامي ومعروف الكرخي والسرى السقطي والجنيد البغدادي، ثم من بعدهم الشيخ الكامل سعد الدين الحموي ثم أولاده ثم أتباعه كما سنذكرهم مفصّلاً بعد هذا البحث عند بحث الخرقة وإسنادها إليهم.

ثم الشيخ الأعظم الأكمل محيي الدين الأعرابي قدس الله سرّه، فإنه ذكر في فتوحاته في هذا الباب، باباً مفرداً وهو الباب السادس والستون وثلاثمائة في معرفة (منزل) وزراء المهدي (ع) الظاهر في آخر الزمان في المجلد الخامس منه، وهو قوله:

إعلم، أيدنا الله، أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله (ص) من ولد فاطمة يواطىء اسمه اسم رسول الله (ص)، جده الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) يبايع بين الرّكن والمقام يشبه رسول الله (ص) في خلقه (بفتح الخاء)، وينزل عنه في الخلق (بضم الخاء)، لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله (ص) في خلقه (أخلاقه)، والله يقول فيه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [سورة القلم: ٤] هو أجلى الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالتسوية ويعدل في الرعية، ويفصل في القضية، إلى قوله: يعزّ الإسلام بعد ذلّه ويحيى بعد موته، يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل ومن نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله (ص)، يحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلا الدين الخالص، أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف، بتعريف إلهي له رجال الهيون يقيمون دعوته،

وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلّده الله، ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين، متكئاً على ملكين، ملك عن يمينه وملك عن يساره. إلى آخر الباب وهو باب طويل ما يحتمله هذا المكان(١٢٨).

والغرض أن التأويل حق التأويل بعد أجداده الطاهرين مخصوص به وبزمانه، وسيجيء بحثه وبحث ولايته أكثر من ذلك في المقدمة السابعة إن شاء الله، وإذا تقرر هذا فلنشرع في البحث الرّابع، ونثبت هذا المعنىٰ له ولآبائه مرّة أخرىٰ، عقلاً ونقلاً وكشفاً وهو هذا:

البحث الرّابع في تخصيص التأويل بأهل البيت وتابعيهم بوجوه أُخر من القرآن وغيره

إعلم أن هذا البحث يتضمن وجوه: العلوم العقلية والشرعية وما يتعلّق بهما وإسنادها إليهم، وإلى جدهم.

ثم تقسيم العلوم الإلٰهية الدينية والمعارف الكشفية الذوقية وإسنادها إليهم.

ثم نسبة الخرقة من طريق المشائخ وإسنادها إليهم.

ثم تخصيص التأويل بهم وبتابعيهم من أرباب التوحيد.

وذلك لأن قوله تعالى:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

---

(١٢٨) قوله: ثمّ الشيخ الأعظم الأكمل، ذكر في فتوحاته، الفتوحات المكيّة ج ٣، ص ٣٢٧، الباب السادس والستّون وثلاثمائة في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الّذي بشر به رسول الله (ص) وهو من أهل البيت.

يحتاج إلى مجموع ذلك ليتحقق معنى قوله تعالى:

﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ [سورة آل عمران: ٧].

(تقسيم العلوم من حيث الظاهر ومن حيث الباطن)

أما تقسيم العلوم وتحقيقها، فله إجمال وتفصيل.

أما الإجمال من حيث الظاهر، فكالعلوم العربية من اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والشعر والعروض، والعلوم الشرعية، من أصول الفقه وأصول الكلام والتفسير والحديث على حسب طبقاتها ودرجاتها، والعلوم العقلية الحكمية من المنطق والرياضي والطبيعي والإلهي وتوابعها من الطب والنجوم والهندسة وإن أضفت علم الكلام إلى هذه العلوم العقلية يجوز، وإن تركته على قراره في الشرعيات يجوز.

(علم اللدني والعلوم التي ترزق بتعليم الحق بطريق الكشف)

وأما الإجمال من حيث الباطن، فكالعلوم الكشفية الذوقية من علم التوحيد والتجريد والتفريد وعلم البقاء والفناء وفناء الفناء، وعلم الذات والصفات والأفعال، وعلم النبوة والرسالة والولاية، وعلم الوحي والإلهام والكشف، وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنشر، وعلم السلوك والأخلاق والسياسة والتأديب والتهذيب، وعلم الآفاق والأنفس والتطبيق بينهما، وعلوم أخر التي يتعذّر ذكرها المشار إليها في قوله تعالى:

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [سورة السجدة: ١٧].

وفي الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» [انظر تعليقنا ٦٥].

ومن هذا صار القسم الآخر من العلوم أشرف من القسم الأول، لأن الأول حاصل بتعليم الخلق بطريق الكسب، والثاني بتعليم الحق بطريق الفيض، وبينهما بون بعيد. والنقل الدال على تعليم الحق وفيضانه قوله:

﴿اقرأ وربك الأكرم.الذي علّم بالقلم.علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق: ٣ ـ ٤].

وقوله: ﴿الرحمن.علم القرآن.خلق الإنسان.علمه البيان﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

وقوله: ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنّا علماً﴾ [سورة الكهف: ٦٥]،

وقول النبي (ص) ليلة المعراج:

«علمت علم الأولين والآخرين» [وقد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٥٣ فراجع].

وقوله تعالى في حقه:

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٣].

هذا من حيث الإجمال في القسمين في العلوم.

وأما التفصيل بحسبهما، فقد كتب الغزالي رسالة في العلم اللدني وقسم فيها القسمين بأسرهما وهو أنسب بهذا المقام من غيره لأنه يصير حجّة على الخصم وبرهاناً على المنكر، فأول التقسيم فيها قوله:

إعلم، أن العلم هو تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها وكيفيّاتها وجواهرها وذواتها، إن كانت مفردة، وإن كانت مركبة والعالم هو المحيط المدرك، المتصور، والمعلوم هو ذات الشيء الذي ينتقش علمه في النفس، وشرف العلم يكون علىٰ قدر شرف معلومه، ورتبة العالم تكون على قدر شرف معلومه، ورتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم، ولا شكّ أنّ أفضل المعلومات وأعلاها وأشرفها وأجلّها هو الله الصانع المبدع الحق الواحد، فعلمه، وهو علم التوحيد، أفضل العلوم وأجلّها وأكملها، وهذا العلم ضروري واجب تحصيله علىٰ جميع العقلاء، كما قال صاحب الشرع (ع):

الحق الواحد، فعلمه، وهو علم التوحيد، أفضل العلوم وأجلّها وأكملها، وهذا العلم ضروري واجب تحصيله علىٰ جميع العقلاء، كما قال صاحب الشرع (ع):

طلب العلم فريضة على كل مسلم(١٢٩).

---

(١٢٩) قوله: كما قال صاحب الشرع (ع): طلب العلم فريضة الحديث. الحديث معروف بين

وأمر بالسفر في طلب هذا العلم فقال:

اطلب العلم ولو بالصين[١٣٠].

وطالب هذا العلم أفضل العلماء، وبهذا السبب خصّهم الله تعالى بالذكر في أجل المراتب فقال:

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

فعلماء علم التوحيد بالإطلاق هم الأنبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. إلى قوله:

إعلم أن العلم على قسمين: أحدهما شرعي والآخر عقلي، وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها، وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها،

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [سورة النور: ٤٠].

أما القسم الأول، وهو العلم الشرعي، فينقسم إلى نوعين، أحدهما في الأصول وهو علم التوحيد، وبهذا العلم ينظر في ذات الله وصفاته الذاتية وصفاته الفعلية، وصفاته الزائدة المعدودة من الأسامي على الوجه المذكور.

وينظر أيضاً في أحوال الأنبياء والأئمة من بعدهم والصحابة رضي الله عنهم.

وينظر في أحوال الموت والحياة وفي أحوال القيامة والبعث والحشر والحساب ولقاء الله تعالى.

وأهل النظر في هذا العلم يتمسّكون أولاً بآيات القرآن، ثم بأخبار الرسول (ص)، ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية، وأخذوا مقدمات القياس الجدلي والعنادي ولواحقهما من أصحاب المنطق الفلسفي، ووضعوا أكثر الألفاظ

المسلمين روي عن النبيّ (ص) رواه الكليني (رض) في أصول الكافي المجلد ١، ص ٣١ - ٣٠ الحديث ٥ و ١ وأيضاً رواه الصفار في بصائر الدرجات ص ٣ - ٢، الحديث ٣ و ١، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير رقم الحديث ١ - ١١١٠.

(١٣٠) قوله: اطلب العلم ولو بالصين.

أقول: هذا الحديث أيضاً معروف ومتنه: اطلبوا العلم الخ رواه عوالي اللئالي ج ٤، رقم الحديث ٣٧، ص ٧٠ وبحار الأنوار أيضاً عن روضة الواعظين ج ١، ص ١٨٠ الحديث ٦٥، وفي الجامع الصغير للسيوطي أيضاً ج ١، ص ١٦٨، الحديث ١ - ١١١٠.

في غير موضعها ويدعون في عباراتهم الجوهر والعرض والدليل والنظر والاستدلال والحجّة، ويختلف معنى كل لفظة من هذه الألفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء يعنون بالجوهر شيئاً، والصوفية يعنون شيئاً آخر، والمتكلمون كذلك، وعلى هذا المثال، وليس المراد من هذه المقالة تحقيق معاني الألفاظ على حسب آراء الأقوام ولا نشرع فيه. وهؤلاء المخصوصون بالكلام في الأصول وعلم التوحيد هم المتكلمون، فإن اسم الكلام يقع على علم التوحيد وعلى غيره، ومن علم الأصول التفسير فإن القرآن من أعظم الأشياء وأبينها وأجلّها وأعرفها وفيه من المشكلات الكثيرة ما لا يحيط بها عقل إلا من أعطاه الله فهماً وعلماً في كتابه، قال رسول الله (ص):

«ما من آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن». وفي رواية أخرى: «إلى تسع أبطن» [قد تقدم ذكر مرجعها في التعليق ١١ فراجع].

وقال (ع):

لكل حرف من حروف القرآن حدّ ولكل حدّ مطلع.

والله تعالى أخبر في القرآن عن جميع العلوم، وجليّ الموجودات وخفيّها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها، ولهذا أشار بقوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]. وقال سبحانه:

﴿ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ [سورة ص: ٢٩].

وإذا كان أمر القرآن أعظم الأمور، فأيّ مفسّر أدّى حقه وأي عالم خرج عن عهدته، نعم كل واحد من المفسرين شرع في تفسيره بمقدار طاقته، وخاض في بيانه بحسب قوة عقله وقدر كنه علمه، فكلهم قالوا وبالحقيقة ما قالوا.

وعلم القرآن يدل على علم الأصول والفروع والشرعي والعقلي، ويجب على المفسّر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركيب اللفظ، ومن وجه النحو، ومن وجه عادة العرب، ومن وجه رموز الحكماء، ومن وجه كلام المتصوفة، حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق وإن اختص على وجه واحد، وضع في البيان بمعنى واحد لم يخرج عن عهدة البيان وهو حينئذ عليه حجّة المطالب وإقامة البرهان. ومن علم الأصول أيضاً علم الأخبار، فإن

النبي (ص) كان أفصح العرب والعجم وكان معلّماً يوحى إليه من جهة الله تعالى وكان عقله محيطاً بجميع العلويّات والسفليّات، فكل كلمة من كلماته، بل كل لفظة من ألفاظه توجد تحتها بحار الأسرار وكنوز الرموز، فعلم أخباره وكنوز رموزه أمر عظيم وخطب جليل كبير لا يقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوي إلا من يهذّب نفسه ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم الشرع النبي الأمين (ص).

ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل أخبار النبي (ص)، ويصيب في كلامه فيجب عليه أولاً تحصيل علم اللغة والتبحر في علوم النحو والشروع في ميدان الاعراب والتصرف في أصناف التصريف، فإن علم اللغة سلّم ومرقاة إلى جميع العلوم، ومن لا يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم، فإن من أراد أن يصعد سطحاً يجب عليه تمهيد المرقاة أولاً ثم بعد ذلك يصعد، فعلم اللغة وسيلة عظيمة ومرقاة جليلة لا يستغني الطالب للعلم عن أحكام اللغة، فعلم اللغة أصل الأصول، وأوّل علم اللغة معرفة الأدوات وهي بمنزلة الكلمات المفردة، وبعده معرفة الأسامي المفردة، وبعده معرفة الأفعال مثل الثلاثي والرباعي والخماسي وغيرها.

ويجب على اللغوي أن ينظر في أشعار العرب وأولاها وأتقنها أشعار الجاهلية، فإن فيها تنقيحاً للخاطر وتلويحاً للنفس، ومع الشعر والأدوات والأسامي والتصريف يجب تحصيل علم النحو، فإن علم النحو للغة بمنزلة الميزان للذهب والفضة، والمنطق لعلم الحكمة، والعروض للشعر، والذّراع للأثواب، والمكيال للحبوب، وكل شيء لا يوزن بميزان لا يتبيّن فيه الزيادة والنقصان.

فعلم اللغة سبيل إلى علم التفسير والأخبار، وعلم القرآن والأخبار دليل إلى علم التوحيد، وعلم التوحيد هو الأصل المهم، والذي لا تنجلي نفوس العباد إلا به، ولا يتخلّص من خوف المعاد إلا بنوره.

فهذا تفصيل علم الأصول.

والنوع الثاني من العلم السّماعي، هو علم الفروع، وذلك، أنّ العلم إمّا أن يكون علمياً وإما أن يكون عملياً، وعلم الأصول هو العلمي وعلم الفروع هو العملي. وهذا العملي يشتمل على ثلاثة حقوق:

أولها: حق الله تعالى، وهو أركان العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأذكار والأعياد والجماعات، وزوائدها من النوافل والفرائض.

وثانيها: حق العباد وهو أبواب العبادات، ويجري على وجهين: أحدهما المعاملة مثل البيع والشركة والهبة والقرض والدين، والقصاص وجميع أبواب الديّات.

والوجه الثاني، المعاقد، مثل النكاح والطلاق والفرائض ولواحقها، ويطلق اسم الفقه على هذين الحقّين، وعلم الفقه علم شريف مفيد عام ضروري لا يستغنى الناس عن علم الفقه لعموم الضرورة إليه.

وثالثها: حق النفس وهو علم الأخلاق، إما مذمومة ويجب دفعها وقلعها وإما محمودة ويجب تحصيلها وتحلية النفس بها. والأخلاق المذمومة والأوصاف المحمودة، معيّنة مشهورة في كتاب الله تعالى وأخبار الرسول (ص)، من تخلّق بواحدة منها دخل الجنّة.

وأما القسم الثاني من العلم وهو القسم العقلي، وهو علم مفصّل مشكل يقع فيه الخطأ والصواب، وهو موضوع في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى وهي أول المراتب العلم الرياضي والمنطقي.

أما الرياضي فينظر في العدد والهيئة أعني الأفلاك والأنجم والهندسة وهو علم المقادير والأشكال وأقاليم الأرض وما يتّصل بها ويتصل به النجوم وأحكام المواليد والطّوالع، وكذلك علم الموسيقى وأشباهه.

وأما المنطق فينظر في طريق الحدّ والرسم في الأشياء التي تدرك بالتصور، وينظر في طريق القياس والبرهان في العلوم التي تنال بالتصديق، ويدور علم المنطق على هذه القاعدة، ويبتدىء بالمفردات ثم بالمركّبات ثم بالقضايا ثم بالقياس، ثم أقسام القياس، ثم طريق البرهان وعنواناته علم المنطق.

والمرتبة الثانية وهي أوسطها، العلم الطبيعي وصاحبه ينظر في الجسم المطلق وأركان العالم، وفي الجواهر والأعراض والحركة والسكون وفي أحوال

السمٰوات والأشياء الفعلية والانفعالية، ويتولّد من هذا العلم النظر في أحوال مراتب الموجودات وأقسام النفوس والأمزجة وكمّيّة الحواس وكيفية إدراكها لمحسوساتها، ثم يؤدّي النظر إلى علم الطب وهو علم الأبدان والعلل والأدوية والمعالجات وما يتعلق به من فروعه علم الآثار العلوفة وعلم المعادن ومعرفة خواصّ الأشياء وينتهي إلى علم صنعة الكيمياء وهو معالجة الأجساد المريضة في أطراف المعادن.

والمرتبة الثالثة وهي العليا، وهو النظر في علم الموجود، ثم تقسيمه إلى الواجب والممكن، ثم النظر في الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله وأمره وحكمه وقضائه وترتيب ظهور الموجودات عنه، ثم النظر في علم العلويّات والجواهر المفردة والعقول المفارقة والنفوس الكاملة، ثم النظر في أحوال الملائكة والشياطين، وينتهي إلى علم النبوّات وأمر المعجزات وأحوال الكرامات، والنظر في أحوال النفوس المقدسة وحال النوم واليقظة ومقامات الرؤيا، ومن فروعه علم الطّلسمات والنّيرنجات وما يتعلّق بها.

ولهذه العلوم تفاصيل وأعراض ومراتب، ويحتاج إلى شرح جليّ ببرهان بهيّ ولكن الاقتصار أولى.

واعلم أن البرهان العقلي مفرد بذاته ويتولّد منه علم مركّب يوجد فيه جميع أحوال العلمين مفردين، وذلك العلم المركب علم الصوفية، وطريقة أحوالهم، فإن لهم علماً خاصاً وطريقة واضحة مجموعة من العلمين، وعلمهم يشتمل على الحال، والوقت، والسماع، والوجد، والشوق، والسّكر، والصحو، والإثبات والمحو، والفقر والغنى، والولاية، والإرادة، والشيخ والمريد، وما يتعلّق بأحوالهم مع الزوائد والأصناف والمقامات، ونحن نتكلم في هذه العلوم الثلاثة في كتاب خاص إن شاء الله، والآن قصدنا تحديد العلوم وأصنافها، وقد حصرتها وعددتها على طريق الاختصار بالإيجاز، ومن أراد الزّيادة وشرح هذه العلوم فليرجع إلى مطالعة الكتب التي في هذا الفن.

وبعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف كميّة طريق التحصيل، فإن لتحصيل العلم طريقة معيّنة نحن نفصّلها ونشرحها وهي هذه:

(حصول العلم من طريقين: التعلّم الإنساني والتعلّم الرباني)

إعلم أن العلم الإنساني يحصل من طريقين أحدهما التعلّم الإنساني والثاني التعلّم الرباني:

أما الطريق الأوّل وهو التعليم الإنساني فطريق مشهور مسلوك محسوس يقرّبه جميع العقلاء، وهذا العلم يكون على وجهين أحدهما من خارج وهو التحصيل بالتعلم والآخر من داخل وهو التحصيل بالتفكّر، والتفكّر من الباطن بمنزلة التعلّم من الظاهر، فإن التعلّم هو استفادة الشخص من الشخص الجزوي، والتفكّر هو استفادة الروح من النفس الكلي، والنفس الكلي أشدّ تأثيراً وأقوى تعليماً من جميع العلماء والعقلاء، والعلوم مركوزة في أصل النفوس بالقوة كالبذر في الأرض والجوهر في قعر البحر وفي قلب المعدن، والتعلّم هو طلب خروج ذلك الشيء الذي بالقوة إلى الفعل، والتعليم هو إخراجه من القوة إلى الفعل، فنفس المتعلّم يتعلّم بنفس العالم ويتقرب إليها بالنسبة بها، فالعالم بالإفادة كالزّارع والمتعلّم بالاستفادة كالأرض والعلم الذي بالقوّة كالبذر والذي بالفعل كالنبات، وإذا كمل نفس المتعلّم يكون كالشجر المثمر وكالجوهر الظاهر من قعر البحر وإذا ظهرت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلّم إلى زيادة التعلّم وطول المدة ويحتمل المشقة والتعب في طلب الفائدة، وإذا غلب (ظهر) نور العقل على أوصاف الحسّ، يستغني الطالب بقليل الفكر عن كثرة التعلّم، فإن نفس العاقل تجد من الفوائد بتفكر ساعة ما لا يجد نفس الجاهل بتعلّم سنة، فإذا فبعض الناس يحصلون العلوم بالتعلّم وبعضهم بالتفكّر، والتعلّم يحتاج إلى التفكّر، فإن الإنسان لا يقدر أن يتعلّم جميع الأشياء من الجزئيات والكليات وجميع العادات، بل يتعلّم شيئاً ويستخرج بالتفكّر من العلوم شيئاً، وأكثر العلوم النظرية والصنائع العملية استخرجها نفوس الحكماء بصفاء ذهنهم وقوّة فكرهم وحدّة حدسهم من غير زيادة تعلّم وتحصيل، ولولا أن يستخرج العالم بالتفكّر شيئاً من معلومه الأوّل لكان يطول الأمر على الناس ولما كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب، لأن النفوس لا تقدر أن تتعلّم جميع مهماتها الجزئية والكلية بالتعلّم بل بعضها يتعلّمه بالتحصيل وبعضها يتعلمه بالنظر كما ترى عادات الناس في الأمور المستحسنة، وبعضها يستخرجه عن ضميره بصفاء فكره. وعلى هذا جرت عادة العلماء (وصارت) قاعدة العلوم

حتى إن المهندس لا يتعلم جميع ما يحتاج إليه في طول عمره بل يتعلّم كليات علمه وموضوعات فنّه، ثم بعد ذلك يستخرج و. . . وكذلك الطبيب لا يقدر أن يتعلّم جزئيات أدواء الأشخاص وأدويتهم، بل يتفكّر في معلوماته الكلية ويعالج كل شخص بحسب مزاجه، وكذلك المنجّم يتعلم كليات النجوم ثم يتفكر ويحكم الأحكام المختلفة، وكذلك الفقيه والأديب، وهكذا في بدائع الصنائع فواحد وضع آلة الضرب وهو العود بتفكّره، وآخر استخرج من تلك الآلة آلة أخرى، وكذلك جميع الصنائع البدنية والنفسانية أوائلها محصّلة من التعلّم والبواقي مستخرجة بالتّفكر وإذا انفتح باب التفكر على النفس وعلمت كيفية طريقه وكيفية الرجوع بالحدس إلى المطلوب ينشرح قلبه وتنفتح بصيرته فيخرج ما في نفسه بالقوة إلى الفعل من غير زيادة تعب وطول نصب.

(التعلّم الرباني بالوحي والإلهام)

الطريق الثاني، وهو التعلّم الرباني.

وذلك على وجهين:

الأول إلقاء الوحي وهو أن النفس إذا كملت ذاتها وزال عنها درن الطبيعة ودنس الحرص والأمل والافتخار، وانفصل نظرها عن شهوات الدنيا وانقطع نسبها عن الأماني الفانية، أقبلت بوجهها على بارئها ومنشئها، وتمسّكت بجود مبدعها، واعتمدت على إفادته وفيض نوره، فالله عز وجل بحسن عنايته يقبل على تلك النفس إقبالاً كلياً وينظر إليها نظراً إلهياً، ويتّخذ من تلك النفس لوحاً ومن النفس (العقل) الكلي قلماً وينقش فيها جميع علومه، ويصير العقل الكلي كالمعلم والنفس القدسي كالمتعلم، فتحصل جميع العلوم لتلك النفس وتنقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر، ومصداق هذا قول الله عزّ وجلّ لنبيه (ع):

﴿وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [سورة النساء: ١١٣].

(علم النبيّ أشرف العلوم)

فعلم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق، لأن محصوله عن الله

تعالى بلا واسطة ووسيلة وبيان.

هذه الكلمة توجد في قصة آدم (ع) والملائكة فإنهم تعلّموا طول عمرهم وحظوا بفنون الطريق وكثير العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم لما جاء ما كان عالماً لأنه ما تعلّمه لأنه ما رأى معلّماً، فتفاخرت عليه الملائكة وتجبّروا وتكبّروا وقالوا:

﴿نحن نسبح بحمدك ونقدّس لك﴾ [سورة البقرة: ٣٠]. ونعلم حقائق الأشياء، فرفع آدم إلى باب خالقه وأخرج محبته عن جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلّمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: ﴿انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [سورة البقرة: ٣١].

فصغر حالهم عند آدم وقلّ علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم ففرغوا في بحر العجز وقالوا:

﴿لا علم لنا إلا ما علّمتنا﴾ [سورة البقرة: ٣٢].

فقال تعالى:

﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ [سورة البقرة: ٣٣].

فأنبأهم آدم عن مكنونات العلم ومستترات الأمر.

فتقرّر الأمر عند العقلاء أنّ العلم العيني المتولّد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة وصار علم الوحي أرث الأنبياء وحقّ الرسل (ع) حتى أغلق الله سبحانه باب الوحي في حقّ محمّد (ص)، فكان رسول الله خاتم النبيّين وكان أعلم الناس وأفصح العرب، وكان يقول: «أدّبني ربّي فأحسن تاديبي»[١٣١].

وقال لقومه:

---

(١٣١) قوله: وكان يقول: أدّبني ربّي فأحسن تأديبي.

أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ص ٥١، الحديث ٣١٠، وروى الكليني في الأصول ج ١، ص ٢٦٦، الحديث ٤ بإسناده عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إنّ الله عزّ وجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿إنّك لعلى خلق عظيم﴾، ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأمّة ليسوس عباده، فقال عزّ وجلّ: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، الحديث.

«أنا أعلمكم بالله وأخشاكم من الله»[١٣٢].

وإنما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لأنه حصل من التعلم الرباني وما اشتغل قط بالتعلم الإنساني فقال تعالى:

﴿علّمه شديد القوى ذو مرّة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ [النجم: ٥-٧].

(معنى الإلهام والعلم اللّدني)

والوجه الثاني هو الإلهام وهو تنبيه النفس الكلي للنفس الجزئي الإنساني على قدر صفاته وقبوله وقوته واستعداده، والإلهام أثر الوحي فإن الوحي تصريح الأمر الغيبي، والإلهام تعريضه، والعلم الحاصل من الوحي يسمّى علماً نبوياً والذي يتحصّل عن الإلهام يسمّى علماً لدنياً، والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس والباري تعالى، وإنما هو كالضوء في سراج الغيب يقع على قلب صاف لطيف فارغ، وذلك أن العلوم كلها موجودة في جوهر النفس الكلي الأزلي الذي هو من الجواهر المفارقة الأولية المحضة، وهو بالنسبة إلى العقل الأوّل كنسبة حوّاء إلى آدم، وقد تبين أن العقل الكلي أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى الباري تعالى من النفس، والنفس الكلي أعزّ وألطف وأشرف من سائر المخلوقات.

فمن إفاضة العقل الكلي يتولّد الوحي، ومن إشراف النفس الكلي يتولد الإلهام، والوحي حلية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء، وكما أن النفس دون العقل، والوليّ دون النبيّ، فكذلك الإلهام دون الوحي، فهو ضعيف بنسبة الوحي، قويّ بنسبة الرّؤيا، والعلم اللّدنّي علم الأنبياء والأولياء، وأما علم الوحي فخاص بالرّسل، موقوف عليهم، كما كان لآدم (ع) وإبراهيم وموسى ومحمّد (ع) وغيرهم من الرسل.

---

(١٣٢) قوله: وقال (ص) لقومه: أنا أعلمكم الحديث.

أخرج البخاري في صحيحه ج ٨، ص ٣١ بإسناده عن عائشة قالت: صنع النبيّ (ص) شيئاً فرخّص فيه فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيّ (ص) فخطب فحمد الله ثمّ قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه فوالله إنّي لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية.

(الفرق بين الرسالة والنبوّة)

وفرق بين الرسالة والنبوة، فإن النبوّة هي قبول النفس القدسي حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الأول، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والتابعين، وإنما يتفق القبول لنفس من النفوس ولا يتأتّى لها التبليغ لعذر من الأعذار وسبب من الأسباب، والعلم اللّدنّي يكون لأهل النبوة والولاية كما حصل للخضر (ع) حيث أخبر الله تعالى فقال:

﴿وعلّمناه من لدّنا علماً﴾ [سورة الكهف: ٦٥].

وقال أمير المؤمنين (ع):

إن رسول الله (ص)، أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم مع كل باب ألف باب[١٣٣].

وقال أيضاً:

لو ثنيت لي وسادة لجلست عليها، وحكمت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزّبور بزبورهم، ولأهل الفرقان بفرقانهم[١٣٤].

---

(١٣٣) قوله: وقال أمير المؤمنين (ع): إن رسول الله (ص) الحديث.

ذكره أيضاً السيّد الجليل ابن طاووس في كتابه «سعد السعود» ص ٢٨٤ نقلاً عن الغزالي وأيضاً المجلسي في بحار الأنوار عنه ج٩٢ ص ١٠٤ وارجع أيضاً الرقم ٩١ مزيداً للفائدة وأطّلاعاً على احاديث في مضمونه.

(١٣٤) قوله: وقال أيضاً لو ثنيت لي وسادة الخ.

روى المفيد في الإرشاد ص ٢٣، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن علي أمير المؤمنين (ع) في خطبة أنّه قال:

يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينتهي كلّ كتاب من هذه الكتب، ويقول يا ربّ إن عليّاً قضى بقضائك والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كلّ مدع علمه ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. الحديث.

قال المجلسي في البحار ج ٤٠، ص ١٥٣: وروى ابن أبي البختري من ستّة طرق وابن المفضّل من عشر طرق وإبراهيم الثقفي من أربعة عشر طريقاً منهم عديّ بن حاتم والأصبغ بن نباتة وعلقمة بن قيس ويحيى بن أم الطويل وزرّ بن حبيش وعباية بن ربعيّ وعباية بن رفاعة وأبو

(حين رفع الحجاب بين نفس العبد والنفس الكليّة تظهر فيها أسرار المكنونات)

وهذه المرتبة لا تنال بمجرّد التعلّم الإنساني بل يتمكّن المرء في هذه المرتبة بقوّة العلم اللّدنيّ، كذلك قال أمير المؤمنين (ع):

إنّه حُكي عن وليّ عهد موسى أنّه شرح كتابه في أربعين حملاً، فلو يأذن الله لي لأشرع في شرح معاني ألف الفاتحة حتّى يبلغ مثل ذلك لفعلت.

يعني أربعين وقراً وهذه الكثرة والسعة والانفتاح في العلم لا تكون إلاّ لدنيّاً إلهيًّا سماويًّا.

فلو أراد الله بعبد خيراً رفع الحجاب بين نفسه وبين النّفس الكلّي الّذي هو اللّوح، فيظهر فيها أسرار المكنونات، وينتقش فيها معاني تلك المكوّنات، فتعبّر النّفس عنها كما تشاء إلى من يشاء من عباده، وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللّدنيّ، وما لم تبلغ النّفس هذه المرتبة لا يكون حكيماً، لأنّ الحكمة من مواهب الله تعالى:

﴿يؤتي الحكمة من يشاء من عباده ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩].

وأولوا الألباب هم الواصلون إلى مرتبة العلم اللّدني المستغنون عن التّحصيل وتعب التعلّم، فيتعلّمون قليلاً ويعلمون كثيراً، ويتعبون قليلاً ويستريحون كثيراً.

(استغناء الناس عن الرسالة بعد كمال الدين وتعيين الحجّة)

اعلم أن الوحي إذا انقطع، وباب الرّسالة إذا انسدّ استغنى النّاس عن الرّسل

الطفيل، انّ أمير المؤمنين (ع) قال بحضرة المهاجرين والأنصار ـ وأشار إلى صدره ـ: كيف ملأ علماً لو وجدت له طالباً، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله (ص)، هذا ما زقّني رسول الله (ص) زقّاً، فاسألوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة، ثم أجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب بانّ عليّاً حكم فيّ بحكم الله فيّ، الحديث.

ولاحظ المجلّد السادس من كتاب الغدير ص ٤ ـ ١٩٣.

وإظهار الدّعوة بعد تصحيح الحجّة وتكميل الدين كما قال الله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ [سورة المائدة: ٣].

وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة.

وأمّا باب الإلهام فلا ينسدّ، ومدد نور النّفس الكلّي لاينقطع، لدوام ضرورة النّفوس وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير، وحيث إنّ النّاس استغنوا عن الرّسالة والدّعوة، واحتاجوا إلى التذكير والتّنبيه، لاستغراقهم في هذه الوساوس وانهاكهم في هذه الشّهوات، فالله تعالى غلق باب الوحي وهداية العباد وفتح باب الإلهام رحمة وهيّأ الأمور ورتّب المراتب ليعلم أنّ

﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء﴾.

هذا آخر أقوال الغزالي في تقسيم العلوم وترتيبها.

وكان لنا في نقل هذه الأقوال أغراض:

منها أنّه لا ينكر أحد فضيلة أهل البيت (ع) إذا قلنا علومهم من هذا القبيل أعني من قبيل اللدنيّات والإلهاميّات والكشفيّات الحاصلة لهم بـالإرث المعنوي وأنّهم من الرّاسخين في العلم المشار إليهم في الكتاب الكريم.

ومنها أنّه لا ينكر أحد أيضاً على أرباب التّوحيد إذا قلنا إنّهم من الرّاسخين في العلوم الإلٰهيّة وإنّهم من تابعي أهل البيت على الحقيقة دون غيرهم وعليهم يصدق قول الرّسول (ص):

«العلماء ورثة الأنبياء»(١٣٥).

---

(١٣٥) قوله: قول النبيّ (ص): العلماء ورثة الأنبياء.

رواه الكليني في أصول الكافي ج ١، باب ثواب العالم والمتعلم الحديث ١، ص ٣٤، وتمام الحديث هكذا:

محمد بن يعقوب بإسناده عن القداح عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول الله (ص): من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وأنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وإنّه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتّى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأنّ العلماء ورثة الأنبياء إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.

ومنها أنّه لا ينكر أحد علينا لما ذكرنا في الفهرست من إنعام الله تعالى وإفضاله بالنّسبة إلينا، فإنّ الّذي قلنا ما أردنا به إلا حصول هذه المرتبة والوصول إلى هذه العلوم الموجبة لمشاهده في مظاهره الآفاقيّة والأنفسيّة.

ومنها أنّه لا يدّعي أحد آخر لنفسه أنّه من الرّاسخين في العلم بمجرد العلم الصّوري، أو من الوارثين بمجرد العلم الكسبي، فإنّ الإرثي غير الكسبي وبينهما بون بعيد كما سنشير إليهما مرّة أخرى.

(في أنّ عليّاً (ع) أخذ علمه عن النبيّ (ص) وعلمه (ع) لدنيّ تامّ)

وإذا تحقق هذا فلنشرع في إسناد العلوم الظاهرة والباطنة إليهم وإلى جدّهم أمير المؤمنين (ع)، ثمّ في إسناد الخرقة كذلك، وهو هذا:

أما إسناد العلوم إلى أمير المؤمنين (ع) ثم إلى أولاده، فذلك يتحقّق أوّلاً بمعرفتك بعلمه وفضله وكمالاته النّفسانيّة، ثمّ بمعرفتك .... غير ما عرفت من قول غيرنا.

أمّا علمه فعلى قسمين: قسم حصل له من الله بطريق الفيض والإلهام المعبّر

رواه أيضاً الصدوق (رض) في ثواب الأعمال باب ثواب طالب العلم الحديث ١، ص ١٥٩، وفي الأمالي المجلس الرابع عشر الحديث ٩، ص ٥٨ ورواه المجلسي ج ١ باب فرض العلم الخ، ح ٢، ص ١٦٤ عن بصائر الدرجات أيضاً.

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ١٩٦ والترمذي أيضاً رواه في كتاب العلم باب ١٩ ما جاء في فضل الفقه على العبادة الحديث ٢٦٨٢.

وفي حديث آخر في الكافي ج ١، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ص ٣٢، الحديث ٢: محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي البختري عن الصادق (ع) قال: إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فإن فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

رواه الوسائل ج ١٨، باب وجوب العمل بأحاديث النبيّ الخ من أبواب صفات القاضي الحديث ٢، ص ٥٣، عن الصفار في بصائر الدّرجات أيضاً.

وفي الخصال للصدوق (رض) ص ٦٥١، الحديث ٤٩ بإسناده عن المحاربيّ قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: نحن ورثة الأنبياء، ثمّ قال: جلّل رسول الله (ص) على عليّ (ع) ثوباً، ثمّ علّمه ألف كلمة، كلّ كلمة تفتح ألف كلمة.

عنه بالعلم اللّدنيّ الإلهي السّابق ذكره في قوله:

﴿وآتيناه من لدّنا علماً﴾ [سورة الكهف: ٦٥].

وهذا العلم مخصوص بالأولياء والأوصياء والعلماء الورثة، ومعلوم أنّه سيّدهم ورئيسهم وقطبهم وإمامهم.

وقسم حصل له من النبيّ (ص) بالتّعليم والتّعلّم والملازمة وغير ذلك لقوله (ع):

تعلّمت من رسول الله ألف باب ففتح لي بكل باب ألف باب. [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٩١ فراجع].

وإلى تربية رسول الله (ص) من أوّل عمره إلى أن أعدّه لأعلى الكمالات النّفسانيّة وأشرف خصال الإنسانية، أشار في خطبته القاصعة بقوله:

وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص)، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشّيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به (ص)، من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص)، وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرّسالة، وأشمّ ريح النبوّة.

ولقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه (ص)، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرّنة؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنّك لست بنبيّ، ولكنّك لوزير وإنّك لعلى خير.

ومن هذا قال النبيّ (ص):

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب»[١٣٦]. ومعناه

---

(١٣٦) قوله: قال النبي (ص): أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليقصد الباب.

أنّ من يريد الدّخول في مدينة علمي وحكمتي المشتمل عليهما القرآن والسنّة، إجمالاً وتفصيلاً فعليه بالدّخول في عليّ، فإنّه بـاب تلك المدينـة، ومفتاح تلك الخزينة وعليّ (ع) لو لم يكن من هذه المرتبة من العلم لم يكن يقول:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً [وقد مرت الإشارة إليه في التعليقة ٣٣ فراجع].

ويقول:

سلوني عمّا دون العرش

أقول: الحديث معروف ومنقول متواتراً بطرق الفريقين على تعابير مختلفة منها.
أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب.
أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنّه يدخل المدينة بغير الباب.
أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلّا من قبل الباب.
أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها.
أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه.
أنا مدينة الفقه وعلي بابها.
أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه.
أنا دار الحكمة وعلي بابها.
أنا مدينة الحكمة ـ وهي الجنة ـ وأنت يا علي بابها، فكيف يهتدي المهتدي إلى الجنة ولا يهتدي إليها إلّا من بابها.
أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.
يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولن تؤتى المدينة إلّا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبني ويبغضك، لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي الحديث.
أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليقتبسه من علي (ع) وغيرها من العبارات المختلفة الكثيرة الدّالة على أنّ الإسلام كلّه وتفسير القرآن وسنـة النبيّ (ص) والمعارف الإلّهيـة والفقه والحكمة وغيرها لا بدّ أن يؤخذ منه (ع) وبكلامه وفعله يطمئن القلب في العمل بالإسلام وعلى آن في الموارد اختـلاف في النقل عن النبيّ(ص) لابـدّ من مراجعـة كلامـه فهـو فصـل الخطاب ونور الهدىٰ والحمد الله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية علي بن أبي طالب (ع) وأولاده المعصومين عترة الرّسول الّذين أذهب الله عنهم الرّجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً.
وأمّا المصادر فراجع الجامع الصغير ج ١، والمستدرك على الصحيحين للنيسابوري ج ٣، ص ٧ ـ ١٢٦ والبحار للمجلسي ج ٤٠ باب ٩٤ ص ٢٠٠ رواها من الكتب الفريقان من القدماء والمتأخرين ـ وكتاب الغدير ج ٦، ص ٨١ ـ ٧٩ وكتاب ملحقات الأحقاق ج ٥، ص ٤٦٩، إلى ص ٥٠٢، وج ١٦، ص ٢٧٨ إلى ٢٩٧ وج ٢١، ص ٤٠٧ إلى ٤٢٨، نقلها من كتب العامّة كلّها. والإرشاد للمفيد ص ٣٢.

ويقول:

فاسألوني قبل أن تفقدوني فإنّي بطرق السّماء أعلم من طرق الأرض[١٣٧].

ولم يكن يصحّ من مثل هذا الشخص الكامل المعصوم قوله:

والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرّحمن الرّحيم [قد مرّ مرجعه في التعليقة ٩٢ فراجع].

وقوله ما من آية نزلت في برّ أو بحر أو ليل أو نهار إلاّ وأنا أعلم بها في أيّ شيء نزلت وفي أيّ وقت نزلت[١٣٨].

---

(١٣٧) قوله: وعلي (ع) لو لم يكن من هذه المرتبة من العلم لم يكن يقول:
سلوني عما دون العرش ـ ويقول: فاسألوني قبل أن تفقدوني الحديث.
الحديثان رويا في المصادر العديدة وبمضمونهما روايات أخرى فلاحظ ما ذكرنا ذيلاً:
في نهج البلاغة الخطبة ١٨٩ صبحي الصالح قال (ع): يا أيّها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض.
وفيه أيضاً في الخطبة ٩٣ قال (ع): فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، إلى أن قال: إلاّ أنبأتكم، الخطبة.
وفي بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٠، ص ١٣٦ الحديث ٢٧ عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر (ع) فقال له رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين (ع): سلوني عمّا شئتم، ولا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به الحديث.
وفي غرر الحكم للآمدي.
سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض.
وفي المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢، ص ٣٥٢ بإسناده عن عامر بن واثلة قال: سمعت علياً رضي الله عنه قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني الحديث.
ورواه الصدوق (رض) في أماليه المجلس الخامس والخمسون ص ٢٨٠، الحديث ١، في حديث طويل فراجع.
وفي الإرشاد للمفيد (رض) ص ٢٣ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة حديث ذكرناه في تعليقنا رقم ١٣٨ فراجع.

(١٣٨) قوله (ع): ما من آية نزلت في بر أو بحر الحديث.
في الإرشاد للشيخ المفيد (رض) ص ٢٣ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة في حديث قال أمير المؤمنين (ع): سلوني قبل أن تفقدوني فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها ومحكمها من متشابهها ومكيها من مدنيها، والله ما من فئة تضل أو تهدى إلاّ وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها

وهذا الكلام كلام عظيم الشّأن رفيع المنزلة لا يقول إلاّ مثله، وقد صحّت هذه الأخبار بالأسانيد الصّحيحة عند السنّة والشيعة.

أمّا السّنّة فعند الإمام أخطب الخوارزمي، وأبي نعيم الأصفهاني، والإمام أحمد بن حنبل وأمثالهم.

وأمّا الشيعة فعند الإماميّة بأجمعهم من غير خلاف.

فتعرف صدق هذا من قوله تعالى في صفة القرآن: ﴿وفيه تبيان كلّ شيء﴾.

وقوله: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وقوله: ﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

فإن هذا شاهد على أنّ القرآن شامل للعلوم كلّها من علوم الأوّلين والآخرين، وكلّ من يعرف القرآن على ما ينبغي يصدق عليه هذا المعنى، وعليّ كان ممّن يعرف القرآن على ما ينبغي فتصحّ له هذه الدعوة، وسيّما قال:

أنا القرآن الناطق [قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ٢١ فراجع].

وقال: هذا القرآن خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرّجال [نهج البلاغة، صبحي الصالح الخطبة ١٢٥].

ويشهد بهذا أيضاً قوله تعالى الّذي أنزله في حقّ علي (ع):

﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [سورة الرعد: ٤٣].

لأنّ هذا الكتاب لا يخلو من وجهين: إمّا أن يراد به القرآن، أو يراد به اللّوح المحفوظ.

إلى يوم القيامة.

روي مثله مع الاختلاف في اللفظ المجلسي في البحار ج ٤٠، ص ١٥٧ عن تاريخ البلاذريّ وحلية الأولياء وفي ص ١٥٣ عن ابن أبي البختري من طرق مختلفة عن الأصبغ بن نباتة وغيره عن أمير المؤمنين فراجع.

ورواه في إحقاق الحق ج ٧ ص ٥٩١ عن العلاّمة الهروي في الأربعين حديثاً ص ٤٧ (مخطوط) فراجع.

فإن كان الأوّل فالمطلوب حاصل، لأن شهادة الله جلّ وعزّ تكفي في كمال علومه وعلوّ شأنه.

وإن كان الثّاني بدليل أنّ ذلك الوقت لم يكن القرآن كتاباً جامعاً بل بعدما كان نزل بالتّمام لأنّه كان ينزل (نجوماً نجوماً) فذلك أعظم وأعظم، لأنّ كلّ من يكون له الاطلاع على اللوح المحفوظ فعلى القرآن بطريق أولى، لأنّ القرآن كان ثابتاً في اللّوح المحفوظ قبل النّزول لقوله تعالى:

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [سورة البروج: ٢١ ـ ٢٢].

وقال بعض علمائنا ههنا لطيفة دقيقة: وهي أنّ الله تعالى أخبر عن آصف بن برخيا وزير سليمان (ع) بقوله:

﴿عنده علم من الكتاب﴾ [سورة النمل: ٤٠].

وأخبر عن عليّ (ع) وزير نبيّنا (ص) بقوله:

﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ [سورة الرّعد: ٤٣].

وهذان القولان دالّان على أن آصف كان عالماً ببعض الكتاب المسمّى باللّوح المحفوظ لأنّ من في الكتاب للتبعيض وأنّ عليّاً (ع) كان عالماً بالكلّ لأنّ الألف واللّام فيه للإستغراق، وليس هناك مخصّص، والسرّ في ذلك أنّ الوزير لا بدّ وأن يكون مناسباً للخليفة فنسبة آصف إلى عليّ كنسبة سليمان إلى محمّد، والفرق ظاهر، والحقّ أنّها لطيفة شريفة ودقيقة غريبة.

ويحكم العقل الصّحيح بأنّ كلّ شخص لاتكون له هذه المرتبة في العلم، لا تصدر منه تلك الأقوال المذكورة، ولا يتكلّم بمثل قوله:

والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (ص)[١٣٩].

وأمثال ذلك في كلامه كثير يكفي للعاقل المنصف واحدة منها.

---

(١٣٩) قوله: ولا يتكلّم بمثل قوله: والله لو شئت أن أخبر الخ.
نهج البلاغة. الخطبة ١٧٥ صبحي الصالح.

وإذا تحقّق هذا وعرفت بعض فضائله.

فاعلم أن العلوم الظاهرة والباطنة والعقليّة والنقليّة كلّها باتفاق العلماء مسندة إليه ثمّ إلى أولاده المعصومين (ع).

أمّا علم الفصاحة، فهو منبعه وأصله وقد بلغ فيه وتجاوز النّهاية حتى قيل في كلامه: بأنه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق وكلّ الخطباء تعلّموا منه، ومعلوم أنّ جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده يملؤون أوعية أذهانهم من ألفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن بنانة (نباتة) وغيره، والأمر في ذلك ظاهر.

أمّا علم النّحو فأوّل واضع له هو أبو الأسود الدؤلي وكان ذلك بإرشاده (ع) إلى ذلك وبداية الأمر أنّ أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ: إن الله بريء من المشركين ورسوله، بالكسر، فأنكر ذلك وقال نعوذ بالله من الجور بعد الكور، أي من نقصان الإيمان بعد زيادته، وراجع عليًا في ذلك فقال له نحوت أن أضع للنّاس ميزاناً يقوّمون ألسنتهم فقال له (ع) انح نحوه وأرشده إلى كيفيّة ذلك الوضع وعلّمه إيّاه.

وأمّا علم التّفسير فإنّه مستند إليه لأنّ ابن عباس رضي الله عنه رئيس المفسّرين بالاتّفاق وهو تلميذ لعليّ (ع) فيه وفي غيره من العلوم، وروى عنه أنه قال:

حدثني أمير المؤمنين (ع) في تفسير الباء من بسم الله الرّحمن الرحيم من أوّل الليل إلى آخره.

أمّا علم الفقه، فالفقهاء كلهم يرجعون إليه، ومذاهبهم المشهورة أربعة.

أمّا الحنفية، فإن أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فإنّهم أخذوا عن أبي حنيفة وهو تلميذ جعفر الصّادق (ع) والصّادق تلميذ الباقر والباقر تلميذ زين العابدين وزين العابدين تلميذ والده الحسين والحسين ولد عليّ (ع) وتلميذه والكلّ تلميذ للنبيّ (ع) وهذا ظاهر مشهور.

وأمّا الشافعيّة، فإنّهم أخذوا عن الشّافعي وهو قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك فرجع فقهه إليهما.

أمّا أحمد بن حنبل، فقرأ على الشّافعي فيرجع فقهه إليه.

وأمّا مالك، فقرأ على ربيعة الرّأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عبّاس تلميذ عليّ (ع) كما ذكرناه، فرجع انتساب فقه الجميع إلى عليّ (ع).

وممّا يؤكّد كماله في الفقه قول الرّسول (ص):

«أقضاكم عليّ»[١٤٠].

والأقضىٰ لا بدّ وأن يكون أفقه وأعلم بقواعد الفقه وأصوله.

أمّا الشّيعة الإماميّة، فانتسابهم في الفقه وبل في جميع العلوم إليه معلوم مشهور، فإنّهم منه ومن أولاده المعصومين (ع) أخذوا ما أخذوا ومنهم نقلوا ما نقلوا، وتعرف هذا من فقههم وعلومهم.

وأمّا علم الكلام، فهو الّذي قرّر قواعده وأوضح براهينه، ومن خطبه استفاد النّاس كافّة، ومرجع الكلّ إليه، فإنّ العالم بعلم الكلام أربعة، المعتزلة والأشاعرة والشّيعة والخوارج.

أمّا المعتزلة، فإنّهم انتسبوا إلى واصل بن عطاء وهو كبيرهم وكان تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ والده علي بن أبي طالب (ع).

وأمّا الأشاعرة، فإنّهم تلامذة أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة.

وأمّا الشيعة، فانتسابهم إليه معلوم لأنّهم إمّا أخذوا من خطبه وحكمه مسنداً إليه بالإسناد الصّحيح، وإمّا أخذوا من أساتذتهم ومشائخهم الّذين كانوا منتسبين إليه وإلى أولاده المعصومين (ع).

---

(١٤٠) قوله: قول رسول الله (ص) أقضاكم عليّ (ع).

الحديث معروف ورد بتعابير مختلفة وفي قول الأصحاب أيضاً، فراجع في مصادر الحديث إحقاق الحق وملحقاته ج ١٥، ص ٣٦٦ إلى ص ٣٧٤، وج ٤، ص ٣٢١ إلى ٣٢٣ وص ٣٨٢ وأيضاً وج ٨، ص ٤٩ إلى ص ٦٧، وأيضاً الغدير ج ٣ ص ٩٦.

وأمّا الخوارج، فهم وإن كانوا في غاية البعد عن الحقّ، إلاّ أنّهم ينتسبون إليه انتساباً إلى مشائخهم الّذين كانوا تلامذة لعليّ (ع).

وأمّا العلوم الحكميّة الإلهيّة، الّتي هي أعظم العلوم وأشرفها المعبّرة عنها بالحكمة المحمّديّة، لا الفلسفيّة اليونانيّة المشار إليها في قوله تعالى:

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩].

فتلك بأسرها مأخوذة من خطبه وحكمه، فإنّ فيها من الأسرار الإلهيّة والمعارف الربّانيّة، وعلم القضاء والقدر وعلم المبدأ والمعاد والحشر والنشر، فوق ما تجد في كتب أكابر الحكماء وأساطين العلماء.

وقد كان مشهوراً بحكيم العرب وأستاذ البشر، ومعلّم الجنّ والملك أيضاً، وكان تلميذه في هذه العلوم أوّلاً أولاده المعصومين، ثمّ عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وأمّا علم التّصوّف وأرباب الطريقة، فانتسابهم إليه في العلوم والمعارف، وتصفية الباطن، والسّلوك إلى الله ظاهرة الانتهاء، وستعرفه إن شاء الله عند إسناد الخرقة إليه.

وأمّا أصحاب الفتوّة، فرجوعهم إليه ظاهر لأن جبرائيل (ع)، نزل يوم بدر من السّماء وهو يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي[١٤١].

وخرج رسول الله (ص) يوماً فرحاً مسروراً وقال:

---

(١٤١) قوله: نزل يوم بدر من السماء وهو يقول: لا سيف الخ.

روى الخوارزمي في المناقب ص١٦٧، الحديث ٢٠٠ بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص) يوم بدر:

هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاّ عليّ.

وفي ذخائر العقبىٰ للطبري ص ٧٤، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له: رضوان: أن لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ.

«أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى»(١٤٢).

أمّا أنّه الفتى فلأنّه سيد العرب، وأمّا أنّه ابن الفتى فلأنّه ابن إبراهيم خليل الرّحمن الّذي نزل في حقه:

﴿فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠].

وأمّا أنّه أخو الفتى فلأنّه أخو علي (ع)، الّذي قال جبرائيل فيه: ولا فتى إلّا عليّ.

وهذا نقل نقلته من كتاب كشف اليقين من فضائل أمير المؤمنين، للشيخ الأعظم جمال الدّين المطهر الحلّي قدس الله روحه العزيز.

وأمّا أرباب الشّجاعة والممارسون للأسلحة والحروب، فهم أيضاً ينتسبون إليه في علم ذلك وترتيبه. وهذه العلوم الّتي ذكرناها هي الّتي يحتاج النّاس إليها في معاشهم ومعادهم وهذه كلّها بعض علومهم وأسرارهم، وبعض بعض علوم القرآن وأسراره، وإلّا عندهم علوم أخر لا يطّلع عليها غيرهم ولا هم مأذونين من عند الله بإظهارها وإفشائها، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ [سورة النساء: ٥٨].

وأمانات الله تعالى لا تكون إلّا علمه وأسراره في قلوب أوليائه وأنبيائه، والخيانة في هذه الأمانات هي الإيداع عند غير أهلها والإفشاء عند غير صاحبها، لقوله جلّ ذكره:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم

---

(١٤٢) قوله: وخرج رسول الله (ص) يوماً فرحاً مسروراً وقال: أنا الفتى الحديث.

رواه الصدوق (رض) في معاني الأخبار ص ١١٩ بإسناده عن أبان بن عثمان عن الصادق عن أبيه عن جدّه (ع)، قال: إنّ إعرابياً أتى رسول الله (ص) فخرج إليه في رداء ممشق، فقال: يا محمّد لقد خرجت إليّ كأنّك فتىً، فقال (ص): نعم يا أعرابي أنا الفتىٰ، ابن الفتىٰ، أخو الفتىٰ، فقال: يا محمد (ص) أمّا الفتىٰ فنعم، وكيف ابن الفتىٰ وأخو الفتىٰ؟ فقال (ص): أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٦٠] فأنا ابن إبراهيم، وأمّا أخو الفتى فإنّ منادياً نادى في السماء يوم أحد: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي، فعليّ أخي وأنا أخوه.

تعلمون﴾ [سورة الأنفال: ٢٧].

لأنّ الخيانة في العلوم الّتي هي الأمانات لا تُتصوّر بغير هذا لهذا (. . .) لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها، فيظلموها ولا تمنعوها وكونوا كالطبيب الرّفيق يضع الدواء موضع الداء (. . .) ومن منح الجهال علماً أضاعه، ومن منع المستوجب ظلمه.

وحيث عرفت أنّ هذا نهي عن الخيانة في أماناتهم، والنّهي لا يكون إلاّ عن شيء عظيم الشأن.

وبالجملة أحسن شاهد وأعظم دليل على كثرة علومهم، القرآن الكريم فإنّه شهد بأنّ تأويله حقّ التّأويل لا يعلمه إلاّ الرّاسخ في العلوم كلّها، لقوله:

﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم (إلى قوله) وما يذكّر إلاّ أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وقد ثبت أنّ الرّسوخ في العلوم ليس إلاّ لهم وقد ثبت أنّ القرآن جامع لجميع العلوم، وثبت أنّ القرآن والاطلاع عليه على ما ينبغي مخصوص بهم، فتكون علومهم على هذا التّقدير غير قابلة للانتهاء والانقطاع، لأنّ علوم القرآن كذلك كما ثبت وتقرّر ويشهد بذلك قول سيّدهم وجدّهم:

والله لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرحمن الرحيم. [راجع التعليقة ٩٢]

لأنّ كلّ من يتمكّن أن يفعل هذا في حرف واحد في القرآن فكيف يكون الحال في الحروف كلّها فضلاً عن الكلمات والآيات والسّور، فافهم جيّداً.

وحيث تقرّر هذا فنذكر بعض تلك العلوم ههنا على سبيل النقل منقولاً من كلّ واحد واحد منهم لئلاّ يتوهّم بعض النّاس أنّ هذا كلام على غير أصل صحيح أو دعوىٰ من غير إثبات ولا برهان.

فمنها قول أمير المؤمنين (ع) في هذا الباب مخاطباً لكميل بن زياد النخعي رضي الله عنه.

يا كميل بن زياد هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي

الدّهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، ها أنّ هٰهنا لعلماً جمّاً ـ وأشار (ع) إلى صدره ـ لو أصبت له حملة، بلى أصبت له لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدّين للدّنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشّك في قلبه لأوّل عارض من شبهة، «ألا لا ذا ولا ذاك» أو منهوماً باللّذّة، سلس القياد للشهوة أو مغرماً بالجمع والإدّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيء، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته، وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم. [نهج البلاغة ـ صبحي الصالح، الحكمة ١٤٧، وفيض الإسلام: ١٣٩].

وقوله في موضع آخر:

والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّويّ البعيدة [نهج البلاغة الخطبة ٥، صبحي الصالح]. وله أقوال كثيرة في هذا الباب يكفي منها هذا القدر تنبيهاً.

وقد ورد عن النّبي (ص) أمثال ذلك كثيرة، منها ما روي عنه (ع) أنّه قال بحضور جماعة من المهاجرين والأنصار:

لو علم سلمان ما في باطن أبي ذر من الحكمة لكفر، ولو علم أبو ذر ما في باطن سلمان من الحكمة لكفره[١٤٣].

---

(١٤٣) قوله: منها ما روي عنه (ص) أنّه قال بحضور جماعة: لو علم سلمان، الحديث، ولو علم أبو

وكما يقول أكثر الأوقات:

إنّي لأنشق روح الرّحمان أو نفس الرّحمن من قبل اليمن، وقد سأله سلمان عن هذا الشخص، فقال له (ع): إن باليمن لشخصاً يقال له أويس القرني يحشره الله يوم القيامة أمّة واحدة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ألا من رآه فليقرأه عنّي السّلام وليأمره أن يدعو لي (١٤٤).

وليس هذا التّعظيم إلاّ لتعظيم علم كان عنده، وكان النّبيّ عالماً به وبعلمه رزقنا الله الوصول إليه بمحمد وولديه، وقال (ع):

إنّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلاّ أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا لم يجهله إلاّ أهل الإقرار بالله تعالى فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً فإنّ الله سبحانه لم يحقره إذا آتاه العلم، وإلى هذا العلم أشار عيسى (ع) في قوله:

ذر الحديث.

محمد بن يعقوب في أصول الكافي، ج ١، ص ٤٠١ الحديث ٢ ـ بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق (ع) قال: ذكرت التقيّة يوماً عند علي بن الحسين (ع) فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخىٰ رسول الله (ص) بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنّما صار سلمان من العلماء لأنّه امرء منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء.

وفي الاختصاص للشيخ المفيد (رض) ص ١١ بإسناده عن أبي بصير، عن الصادق (ع) قال: قال رسول الله لسلمان: يا سلمان لو عرض علمك على المقداد لكفر، يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لكفر.

ورواه أيضاً الكشي في رجاله ص ١٦.

ولاحظ أيضاً تعليقنا ٦٦ ففيه حديث مشابه عن الاختصاص.

(١٤٤) قوله: وكما يقول أكثر الأوقات: إنّي لأنشق روح الرحمان، أو نفس الرحمان من قبل اليمين.

أقول: روي الحديث بألفاظ مختلفة:

(أ) إني لأجد نفس الرحمان يأتيني من قبل اليمين، عوالي اللئالىء ج ١، ص ٥١، الحديث ٧٤ وفي النهاية لابن الأثير ج ٥، ص ٩٢ مادة نفس.

(ب) أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢، ص ٥٤١ في حديث:

ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن.

(جـ) الفتوحات المكيّة ج ٢، ص ١١٣، الباب الثالث وج ٣، ص ٩١ الباب العشرون:

إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن.

يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السّماء من يصعد به ولا في تخوم الأرض من ينزل به ولا في ما وراء البحار من يعبر به يأتي،العلم مجهول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيّين وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين يظهر العلم في قلوبكم حتّى يغطيكم ويغمركم.

وقد أشار إلى هذا المعنى كلّه الشّيخ الكامل محيي الدّين الأعرابي قدّس الله سره في فتوحاته المكيّة في الجلد الأوّل باب تعريف الأفراد وتعيينهم بوجه آخر، وهو مناسب بهذا المقام وذلك قوله بعد كلام طويل(١٤٥):

(للأفراد من الإنس من الحضرات الحضرة الفردانيّة وقصّة موسى والخضر (ع))

فأوّل الأفراد، الثلاثة، وقد قال (ص): «الثلاثة ركب»(١٤٦).

فأوّل الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك، ولهم من الحضرات الإلهيّة: الحضرة الفردانيّة، وفيما يتميّزون من الأسماء الإلهية: الفرد، والمواد الواردة على قلوبهم من المقام الّذي ترد منه على الأفلاك المهيمنة، ولهذا يجهل مقامهم وما يأتون به، مثل ما أنكر موسى (ع) على الخضر مع شهادة الله فيه لموسى (ع) وتعريفه بمنزلته، وتزكية الله إيّاه وأخذه العهد عليه إذا أراد صحبته، ولمّا علم الخضر: أن موسى (ع) ليس له ذوق في المقام الّذي هو الخضر عليه، كما أنّ الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى (ع) من العلم الّذي علّمه الله، إلاّ أنّ مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله، لمشاهدة خاصّة هو عليها، ومقام موسى والرّسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير في كلّ ما يرونه خارجاً عمّا أرسلوا به، ودليل ما ذهبنا إليه في هذا قول الخضر لموسى (ع).

---

(١٤٥) قوله: وقد أشار إلى هذا المعنى كلّه الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي، الفتوحات المكيّة ج ٣، الطبعة الجديدة ص ٢٤٦ والطبعة القديمة ج١، ص ١٩٩ ـ عنوان الباب: الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان.

(١٤٦) قوله: وقد قال (ص): الثلاثة ركب.

قال عثمان يحيى في تعليقته على الفتوحات ج ٣، ص ٢٤٦: انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادّة ركب ص ٢٩٣، آخر العمود الأوّل والعمود الثّاني بكامله من المجلد الثاني.

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ [سورة الكهف: ٦٨].

فلو كان الخضر نبيّاً لما قال: ما لم تحط به خبراً، فالّذي هذا قوله لم يكن من مقام النبوّة، وقال له في انفراد: كلّ واحد منهما بمقامه الّذي هو عليه، قال الخضر لموسى: يا موسى: أنا على علم علّمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علّمكه الله لا أعلمه أنا، وافترقا وتميّزا بالإنكار(١٤٧).

فالإنكار ليس من شأن الأفراد فإنّهم الأولويّة في الأمور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون.

قال الجنيد: لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتّى يشهد فيه ألف صدّيق بأنّه زنديق، وذلك لأنّهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم، وهم أصحاب العلم الّذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب (ع) حين يضرب بيده على صدره ويتنهد:

إن ههنا لعلوماً جمّة لو وجدت لها حملة(١٤٨).

---

(١٤٧) قوله: قال الخضر لموسى: يا موسى أنا على علم علّمنيه الله الخ.

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أيّ النّاس أعلم فيكل العلم إلى الله، ج ١، ص ٤١، بإسناده عن أبيّ بن كعب، عن النبيّ (ص): قام موسى النبيّ خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل أيّ النّاس أعلم، فقال أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أنّ عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، إلى أن قال: فسلّم موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام، فقال أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، قال: هل أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رَشَداً، قال: إنّك لن تستطيع معي صبراً، يا موسى إني على علم من علم الله الحديث فراجع والحديث طويل.

وأيضاً أخرجه في كتاب التفسير ج ٦، ص ١١١ وص ١١٤ وص ١١٦ في تفسير سورة الكهف.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٤٩ الحديث١٧٠ ـ ٢٣٨٠ كتاب الفضائل باب ٤٦ باب من فضائل الخضر (ع). وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ص ١١٧، وأخرجه الترمذي في سننه ج ٥، ص ٣٠٩ الحديث ٣١٤٩ من كتاب تفسير القرآن باب ١٩.

(١٤٨) قوله (ع): إن ها هنا لعلوماً الخ.

في الحكمة ١٤٧ في نهج البلاغة قال (ع) مخاطباً لكميل بن زياد: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها إلى أن قال: ها إنّ ها هنا لعلماً جمّاً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة الحكمة.

وفي الخصال للصدوق (رض) ص ٦٣٥، الحديث ٢٩ فيما بعد الألف. بإسناده عن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت بعض أصحاب أمير المؤمنين (ع) ممّن يثق به قال: سمعت عليّاً يقول:

فإنه كان من الأفراد ولم يسمع هذا من غيره في زمانه إلّا أبي هريرة ذكر مثل هذا، أخرج البخاري في صحيحه إنّه قال: حملت عن النّبيّ (ص) جرابَين، أمّا الواحد فبثثته فيكم، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع منّي هذا البلعوم، والبلعوم مجرى الطعام(١٤٩)، فأبو هريرة ذكر أنّه حمله عن رسول الله (ص) فكان فيه ناقلاً عن غير ذوق، ولكّنه علم، لكونـه سمعه من رسـول الله (ص)، ونحن إنّما نتكلّم فيمن أعطى عين الفهم في كلام الله تعالى في نفسه، وذلك علم الأفراد.

وكان من الأفراد عبد الله بن العبّاس البحر، كان يلقب به لاتّساع علمه وكان يقول في قوله عزّ وجـلّ:

﴿الله الّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ﴾ [سورة الطلاق: ١٢].

لو ذكرت تفسيره على ما سمعت من رسول الله لرجمتموني، وفي رواية لقلتم أنّي كافر(١٥٠).

إنّ في صدري هذا لعلماً جمّاً علّمنيه رسول الله (ص)، لو أجد له حفظة يرعونه حق رعايتـه ويروونه كما يسمعونه منّي إذاً لأودعتهم بعضه، فعلّم به كثير من العلم، إنّ العلم مفتاح كل باب، وكل باب يفتح ألف باب.

ولاحظ تعليقتنا ١٣٨.

(١٤٩) قوله: إنّه قال: حملت عن النبيّ (ص) جرابَين الخ.

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ج ١، ص ٤١، بإسناده عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله (ص) وعائين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم.

(١٥٠) قوله: لو ذكرت على ما سمعت من رسول الله لرجمتموني الخ.

أقول: روي في جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠، ج ٢٨، ص ١٥٣ في ذيل الكريمة: ﴿سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ١٢] بإسناده عن ابن عبّاس قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها.

وأيضاً روي بسند آخر عنه قال لرجل سأله عن الكريمة: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر؟.

وروى أيضاً مثله الشوكاني في تفسيره الفتح القدير مسنداً عن ابن عباس ج ٥، ص ٢٤١.

روي في رجال الكشي بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: حدّثني أبو جعفر (ع) بسبعين ألف حديث لم أجد بها أحداً قطّ، ولا أحدّث بها أحداً أبداً، قال جابـر: فقلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك إنّك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سرّكم الّذي لا أحدّث به أحداً فربما

وإلى هـذا العلم كان يشير علي بن الحسين بن علي بن أبي طـالب زين العابدين عليهم الصّلاة والسّلام بقوله (فلا أدري هل هما من قيله أو تمثّل بهما):

يـا ربّ جوهـر علم لـو أبـوح بـه ... لقيـل لي: أنت ممّن يعبد الـوثنا
ولاستحـل رجـال مسلمـون دمي ... يـرون أقبح مـا يأتـونـه حسنـا(١٥١)

جاش في صدري حتّى يأخذني منه شبه الجنون، قال يا جابر فإذا كان كذلك فاخرج إلى الجبّان فاحفر حفيرة ودلّ رأسك فيها ثمّ قل: حدّثني محمّد بن علي بكذا وكذا. رجال الكشي ص ١٧١.

(١٥١) قوله: وإلى هذا العلم يشير علي بن الحسين (ع) الخ.

أقول: ذكر الآلوسي في تفسيره روح المعاني ج ٦، ص ١٨٩ في ذيل الكريمة: ﴿يا أيها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك﴾ [سورةالمائدة، الآية: ٦٧].

بعد ذكر الأقوال في معنى الآية هكذا:

وعن بعض الصوفيّة أنّ المراد تبليغ ما يتعلّق به مصالح العباد من الأحكام، وقصد بإنزاله اطلاعهم عليه، وأمّا ما خصّ به من الغيب ولم يتعلّق به مصالح أمّته فله بل عليه كتمانه.

وروى السلمىٰ عن جعفر رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى:

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحىٰ.....﴾.

قال: أوحىٰ بلا واسطة فيما بينه وبينه سرّاً إلى قلبه ولا يعلم به أحد سواه إلاّ في العقبىٰ حين يعطيه الشفاعة لأمّته.

وقال الواسطي ألقى إلى عبده ما ألقى ـ: ولم يظهر ما الّذي أوحى لأنّه خصّه سبحانه به (ص) وما كان مخصوصاً به عليه الصلاة والسلام كان مستوراً، وما بعثه الله تعالى به إلى الخلق كان ظاهراً.

قال الطيبي: وإلى هذا ينظر معنى ما رويناه في صحيح البخاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله (ص) وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع منّي هذا البلعوم. وأراد عنقه وأصل معناه مجرى الطعام، وبذلك فسّره البخاري.

ويسمّون ذلك علم الأسرار الإلٰهيّة وعلم الحقيقة. وإلى ذلك أشار رئيس العارفين علي زين العابدين (ع) حيث قال:

إنّي لأكتـم من علـمي جـواهـره ... كيـلا يرى الحقّ ذو جهـل فيفتتنـا
وقـد تـقـدّم في هـذا أبـو حـسـن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنـا
فـربّ جـوهـر علم لـو أبـوح بـه ... لقيـل لي أنت ممّن يعبد الـوثنـا
ولاستحلّ رجال مسلمـون دمي ... يـرون أقبح مـا يأتـونـه حسنـاً

أقول: أمّا الحديث رواه البخاري في كتاب العلم باب حفظ العلم ج ١، ص٤١ وفي المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥٠٩ كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن أبي رافع قال: سمعت أبا هريرة (رض) يقول: حفظت من حديث رسول الله (ص)، أحاديث، ما حدثتكم بها، ولو حدثتكم بحديث منها لرجمتموني بالأحجار.

فنبّه بقوله: يعبد الوثنا على مقصوده، ينظر إليه تأويل قوله (ص):

«إن الله خلق آدم على صورته» [فانظر تعليقة ٣١].

بإعادة الضمير على الله تعالى، وهو من بعض محتملاته.

يا الله يا أخي أنصفني فيما أقوله لك، لا شكّ أنّك جمعت معي على أنه كلّ ما صحّ عن رسول الله (ص) من الأخبار في كلّ ما وصف به فيها ربّه تعالى من الفرح، والضّحك، والتعجّب، والتبشبش، والغضب، والتّردد، والكراهة، والمحبّة، والشّوق، إنّ ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتّصديق، فلو هبّت نفحات من هذه الحضرة الإلهيّة كشفاً وتجلّياً وتعريفاً إلهيّاً على قلوب الأولياء، بحيث أن يعملوا بإعلام الله، ويشاهدوا بإشهاد الله من هذه الأمور، المعبّر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرّسول (ص)، وقد وقع الإيمان منّي ومنك بهذا كلّه إذا أتى بمثله هذا

ونظيره ما روي عن علي (ع) مخاطباً لميثم رضي الله عنه روى المجلسي في البحار ج ١٠٠، ص ٤٤٩ كتاب المزار باب مسجد السهلة وسائر المساجد في الكوفة الحديث ٢٦:

عن مؤلف المزار الكبير بإسناده عن علي بن ميثم عن ميثم رضي الله عنه أنه قال: أصحر بي مولاي أمير المؤمنين (ع) ليلة من الليالي قد خرج من الكوفة وانتهى إلى مسجد جعفي وتوجّه إلى القبلة وصلّى أربع ركعات، فلمّا سلّم بسط كفّيه وقال: إلٰهي كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعوك وقد عرفتك (والدّعاء طويل فراجع) إلى أن قال ميثم:

وأخفت دعاءه وسجد وعفّر وقال: العفو، العفو، مائة مرّة، وقام وخرج فاتّبعته حتّى خرج إلى الصحراء، وخطّ لي خطّة وقال: إيّاك أن تجاوز هذه الخطّة ومضى عنّي، وكانت ليلة مد لهمّة، فقلت يا نفسي أسلمت مولاك وله أعداء كثيرة، أيّ عذر يكون لك عند الله، وعند رسوله، والله لأقتفينّ أثره ولأعلمنّ خبره وإن كان قد خالفت أمره، وجعلت أتبع أثره فوجدته (ع) مطلعاً في البئر إلى نصفه يخاطب البئر، والبئر تخاطبه، فحسّ بي والتفت (ع) وقال: من؟ قلت: ميثم، فقال: يا ميثم ألم آمرك أن لا تتجاوز الخطّة؟ قلت: يا مولاي خشيت عليك من الأعداء فلم يصبر لذلك قلبي، فقال: أسمعت ممّا قلت شيئاً؟ قلت: لا يا مولاي فقال: يا ميثم:

وفي الصدر لبانات ... إذا ضاق لها صدري
نكتّ الأرض بالكفّ ... وأبديت لها سرّي
فمهما تنبت الأرض ... فذاك النبت من بذري

وأيضاً روى الأميني في كتاب الغدير ج ٧، ص ٣٥ في ترجمة الحافظ البرسي عن كتاب منح المنة للشعراني ص ١٤ عن أمير المؤمنين (ع) قال: لو جلست أحدّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم (ص) لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنّ عليّاً من أكذب الكاذبين.

الولي في حقّ الله تعالى، ألست تزندقه كما قال الجنيد؟ ألست تقول: إنّ هذا مشبّه، هذا عابد وثن؟، كيف وصف الحقّ بما وصف به المخلوق؟ ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا؟، كما قال علي بن الحسين (ع) ألست كنت تقتله، أو تفتي بقتله، كما قال ابن عبّاس؟

فبأيّ شيء آمنت وسلّمت لمّا سمعت ذلك من رسول الله (ص) في حقّ الله من الأمور الّتي تحيلها الأدلّة العقليّة، ومنعت من تأويلها، والأشعري تأوّلها على وجوه من التّنزيه في زعمه، فأين الإنصاف فهلّا قلت: القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبيّ من علوم الأسرار، فإنّ ذلك ليس من خصائص النبوّة، ولا حجر الشّارع على أمّته هذا الباب، ولا تكلّم فيه بشيء بل قال:

إن يكن في أمّتي محدّثون فعمر منهم[١٥٢].

فقد أثبت النبيّ (ص) أن ثم من يحدث ممّن ليس بنبيّ، وقد يحدّث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام، فإن ذلك أعني التّشريع من خصائص النبوّة وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهيّة من خصائص نبوّة التشريع، بل هي سارية في عباد الله: من رسول ووليّ وتابع ومتبوع، فأين الإنصاف يا وليّ! منك، أليس الله تعالى يقول لمن عمل منّا بما شرع الله له: إنّ الله يعلمه ويتولّى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله.

كقوله جلّ ذكره:

﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله والله بكلّ شيء عليم﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

وكقوله:

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وأمثال ذلك، هذا آخر قول الشيخ قدّس الله سرّه وكان لنا في هذا النقل أغراض.

---

(١٥٢) قوله: بل قال: إن يكن في أمّتي محدّثون الخ.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب فضائل الصحابة الحديث ٢٣، ص ١٨٦٤، والترمذي ج ٥، كتاب المناقب الحديث ٣٦٩٣، ص ٦٢٢.

وإذا عرفت هذا فلنشرع في نقل أقوال أهل البيت (ع) ممّا كنّا في صدده.

(الآيات والروايات الواردة في حقّهم (ع))

ومنها، ما نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال:

علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإن عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، وصحيفة فاطمة، وإن عندنا الجامعة فيها ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة، فسئل (ع) عن تفسير هذا الكلام، فقال (ع): أمّا الغابر: فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور: فالعلم بما كان، والنكت في القلوب: فهو الإلهام، والنّقر في الاسماع: حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأمّا الجفر الأحمر: فوعاء سلاح رسول الله ولن يظهر حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، وأمّا الأبيض: فوعاء فيه توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وكتب الله الأولى، وأمّا مصحف فاطمة (ع): ففيه ما يكون من حادث وأسماء كلّ من يملك إلى يوم تقوم السّاعة، وأمّا الجامعة: فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله وبخط علي بن أبي طالب، وفيه جميع ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامة حتّى أن فيه أرش الخدش والجلدة، ونصف الجلدة وكان (ع) يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي بن أبي طالب حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله تعالى جلّ وعزّ[153].

وعن كتاب بصائر الدّرجات، عن محمّد، عن حمّاد، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل (ع)، قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ (ص)، ورث النبيّين كلّهم؟ قال: نعم قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه، قال: نعم ورثهم النبوّة، وما كان في أيديهم من النبوّة والعلم

(١٥٣) قوله: ما نقل عن جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال: علمنا غابر الحديث أقول: جمع المؤلّف السيّد (رض) في العبارة مضمون أحاديث متعددة رواها الكليني (رض) في أصول الكافي فراجع ج ١، ص ٢٦٤ باب جهات علوم الأئمة (ع) الحديث ١ و ٣ وأيضاً ص ٣١١ باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا (ع) الحديث ٢، وأيضاً ص ٢٣٨ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (ع) الأحاديث في الباب.

قال: ما بعث الله نبياً إلاّ وقد كان محمّد أعلم منه، قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطّير قال: وكان رسول الله (ص) يقدر على هذه المنازل، قال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره:

﴿مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ [سورة النمل: ٢٠].

وغضب عليه فقال:

﴿لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ [سورة النمل: ٢١].

وإنّما أراد ليدله على الماء، فهذا لم يعط سليمان وكانت الشّياطين المردة طائعين له ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه، إن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى﴾ [سورة الرعد: ٣١].

فقد ورثنا هذا القرآن فعندنا ما نقطع به الجبال، ونقطع به البلدان ونحيي به الموتى بإذن الله ونحن نعرف تحت الهواء وإن كانت في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمرٌ من الأمور الّتي أعطاها الله تعالى الماضين من النبيّين والمرسلين، وقد جعل الله ذلك كلّه لنا في أمّ الكتاب إن الله تعالى يقول:

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [سورة النمل: ٧٥].

ثم قال عزّ وجلّ:

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

فنحن الّذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الّـذي فيه تبيـان كلّ شيء(١٥٤).

---

(١٥٤) قوله: وعن كتاب بصائر الدرجات الخ.

روى الحديث شيخ القمّيّين محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات «ص ١١٥ باب في الأئمّة (ع) أنّهم ورثوا علم آدم وجميع العلماء ح ٣» قال:

حدثنا محمّد بن الحسن، عن حمّاد، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل (ع) قال: قلت له جعلت فداك النبيّ ورث علم النّبيّين كلّهم؟ الحديث.

ومنها ما ورد عن عبد الله عن عامر عن عبد الله بن أبي نجران قال: كتب أبو الحسن الرّضا (ع) رسالة أقرأنيها قال علي بن الحسين (ع): إنّ محمّداً (ص) كان أمين الله في أرضه، فلمّا قبض محمّد (ص) كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النّفاق، وأنّ شيعتنا المكتوبون بأسمائهم وأسماء أبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، نحن النجباء، وإفراطنا إفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى النّاس بدين الله. نحن الّذين شرع لنا دينه فقال في كتابه:

﴿شرع لكم من الدّين ما وصّىٰ به نوحاً﴾ [سورة الشورىٰ: ١٣].

قد وصّانا بما وصّىٰ به نوحاً، والّذين أوحينا إليك يا محمّد، وما وصّينا به إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فقد علمنا وبلغنا ما علمنا واستودعنا علمهم، ونحن ورثة الأنبياء، ونحن ورثة أولي العزم من الرّسل، أن أقيموا الدّين بآل محمد، ولا تتفرقوا وكونوا على جماعة كبر على المشركين (١٥٥).

وأمثال ذلك كثيرة في أقوالهم، نكتفي منها بهذا القدر، فإن ذكر الكلّ يخرج الكلام عن المقصد وبل لا يمكن لأنّه غير قابل للحصر وكلّ من لا ينفعه البعض لا ينفعه الكلّ وبالعكس.

والغرض أنّ علمهم علم نبيّنا، وعلم نبيّنا علم القرآن، وعلم القرآن حاصل لهم من النبيّ ومن الله بالإرث المعنوي والصّوري، وعلى الجملة علم القرآن مخصوص بهم، وكل من يعلم علم القرآن فهو يعلم ما قلناه وأكثر، فإنّ فيه تبيان كلّ شيء:

---

(١٥٥) قوله: ومنها ما ورد عن عبد الله عن عامر عن عبد الله بن أبي نجران الحديث.
بصائر الدرجات للصفّار ص ١١٨ باب ٣، الحديث الأوّل، ومسند الإمام الرّضا (ع) ج ١، ص ٩١ باب أن الأئمّة أمناء الله الحديث ١٨.
وسند الحديث في المصدرين هكذا: الصفّار رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن عامر عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: الحديث.

﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وفيه تفصيل كلّ شيء:

﴿وما كان حديثاً يفترىٰ ولكن تصديق الّذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء﴾ [سورة يوسف: ١١١].

﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة يس: ١٢].

وأورد في حقّه، وكذلك:

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وإذا تقرر هذا فلخصوصيّة هذه العلوم بهم بالإرث والاستقلال، وخصوصيّة التّأويل بهم وبتابعيهم كذلك بالإرث والاستقلال، دلائل وبراهين من القرآن أيضاً دون ما سبق ذكرها مراراً.

أمّا الأولى من الدّلائل في خصوصيّة هذه العلوم بهم بالإرث والاستقلال فقوله تعالى في القرآن:

﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

لأن هذه الآية باتفاق أكثر المحقّقين فيهم وردت وبهم نزلت لأنّ الظّالم لنفسه إشارة إلى جاحديهم ومنكريهم، والمقتصد إلى تابعيهم ومحبيهم، والسابق بالخيرات إليهم وإلى أجدادهم، وكذلك قوله:

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون (إلى قوله) أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [سورة المؤمنون: ١ - ١١].

لأنّ هذه الآية نازلة فيهم لأن هذه الأوصاف كما قلنا في الآيات السّابقة فيهم، لا تصدق إلاّ عليهم ومع ذلك كلّه ومع أنّه تعالى عينه في الكتاب الكريم: أنّ الإرث منه هو هذا الكتاب، ولا يستحقه إلاّ هم.

لا يخلو الحال من وجهين إمّا أن يكون هذا الإرث حاصلاً لأحد بالنّسب الصّوريّة أو بالنّسب المعنويّة، وعلى التّقديرين هم أولى، لأن بالنّسب الصوريّة

ليس أحد أقرب إلى النّبي منهم، لأنّه (ص) إذا نزل قوله تعالى:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

وسئل عن أهل بيته، فطلب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين (ع) وغطاهم بكساء من كسائهم وقال: هؤلاء أهل بيتي (١٥٦).

---

(١٥٦) قوله: إذا نزل قوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب الآية وسئل عن أهل بيته الخ.

اعلم أنّه اختصاص الآية الكريمة وأهل البيت ونزولها في حقّ أصحاب الكساء وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين (ع) مع النبيّ (ص) مما لا ارتياب فيه عند من تأمّل وأنصف ومورد وفاق بين المفسرين والمحدّثين من الفريقين وتسالمت به الأمة الإسلاميّة كما أشار به غير واحد من العلماء من العامّة والخاصّة، وورد فيه أحاديث كثيرة عن النبيّ (ص) حدّ التواتر وما فوقه رواها عدّة من أصحاب النبيّ (ص)، وأسامي الرواة من الصحابة على ما فحصت أسانيد تلك الأحاديث هكذا:

١ ـ علي أمير المؤمنين (ع)، ٢ ـ الحسن بن علي (ع)، ٣ ـ جابر بن عبد الله، ٤ ـ عبد الله بن عباس، ٥ ـ عبد الله بن جعفر الطيّار، ٦ ـ بريدة الأسلمي، ٧ ـ عبد الله بن عمر، ٨ ـ عمران بن حصين، ٩ ـ سلمة بن الأكوع، ١٠ ـ أبو سعيد الخدري، ١١ ـ أنس بن مالك، ١٢ ـ عائشة، ١٣ ـ أم سلمة، ١٤ ـ عمر بن أبي سلمة، ١٥ ـ أبو الحمراء، ١٦ ـ زينب بنت أبي سلمة، ١٧ ـ عامر بن سعد، ١٨ ـ البراء بن عازب، ١٩ ـ واثلة بن الأسقع (الأصقع) ٢٠ ـ سعد بن أبي وقّاص، ٢١ ـ أبو سلمة ربيب النبي (ص)، ٢٢ ـ أبو الحمراء هلال بن الحرث، ٢٣ ـ عطاء بن يسار، ٢٤ ـ سعد بن مالك الخدري، ٢٥ ـ أبو برزة، ٢٦ ـ صبيح، ٢٧ ـ عطيّة، ٢٨ ـ سهل بن سعد، ٢٩ ـ أبو هريرة.

فنشرع في المقام بذكر طرف من الأحاديث المنقولة في الكتب العامّة من الصحاح وغيرها:

منها ـ ما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦، ص ٢٩٨ بإسناده عن شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة زوج النبيّ (ص) حين جاء نعي الحسين بن عليّ، لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وذلّوه، لعنهم الله فإنّي رأيت رسول الله (ص) جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها حتّى وضعتها بين يديه فقال لها: أين ابن عمّك قالت: هو في البيت قال: فاذهبي فادعيه وائتيني بابنيه قالت: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما بيد وعليّ يمشي في أثرهما حتّى دخلوا على رسول الله (ص) فأجلسهما في حجره وجلس عليّ عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره قالت أمّ سلمة: فاجتبذ من تحتي كساء خيبريّاً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفّه النبيّ (ص) عليهم جميعاً فأخذ بشماله طرف الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّ وجلّ قال: اللّهمّ أهلي اذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، اللهمّ أهل بيتي اذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، اللّهم أهل بيتي اذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: بلى فادخلي في الكساء قالت: فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمّه عليّ وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم.

وكذلك في آية المباهلة وهو قوله تعالى:

وأخرج أيضاً قريب منه في ص ٣٠٤ في المجلد ٦.

ومنها، روى العلامة الحجّة المرعشي النجفي في تعليقاته على إحقاق الحق ج ٣، ص ٥١٥ عن الحافظ أحمد في الفضائل (مخطوط ص ٢٢٣) بإسناده عن شداد بن عبد الله، قال: سمعت واثلة بن الأسقع، وقد جيء برأس الحسين بن علي (ع) قال: فلقيه رجل من أهل الشام فغضب واثلة وقال: والله لا أزال أحبّ علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة أبداً بعد إذ سمعت رسول الله (ص) وهو في منزل أم سلمة وجاء الحسن فاجلسه على فخذه اليمنى وجاء الحسين وأجلسه على فخذه اليسرى وقبله ثمّ جاءت فاطمة فاجلسها بين يديه ثمّ دعا بعلي (ع) فجاء، ثمّ اغدف عليهم كساءاً خيبرياً كأنّي أنظر إليه ثمّ قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

ومنها، أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣، ص ١٠٨ بإسناده عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقّاص: ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب قال: فقال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله (ص) لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، قال له معاوية: ما هن يا أبا إسحاق قال: لا أسبه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثمّ قال: ربّ إن هؤلاء أهل بيتي، ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة تبوك غزاها رسول الله (ص) فقال له عليّ: خلفتني مع الصبيان والنساء، قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي. الحديث.

ومنها، أخرج مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٨٣ الحديث ٦١، ٢٤٢٤ بإسناده عن صفيّة بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبيّ (ص) غداةً وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثم قال:

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

ومنها أخرج الترمذي في الجامع الصحيح ج ٥، باب ٣٢، ص ٦٦٣، الحديث ٣٧٨٧، بإسناده عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبيّ (ص): إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. في بيت أمّ سلمة، فدعا النبيّ (ص) فاطمة، وحسناً، وحسيناً، فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء، ثم قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الحديث.

هذا بعض أحاديث كثيرة متواترة منقولة من طرق مختلفة شتّى في بيان أهل البيت وتفسير الآية الكريمة وطهارة أهل البيت وعصمتهم (ع).

وإن شئت الاطلاع أدقّ منه وأكثر فانظر التفاسير: الكشاف وابن كثير والدّر المنثور والبرهان ونور الثقلين والميزان في ذيل الكريمة وراجع أيضاً إحقاق الحق وملحقاته ج ٢، ص ٥٠١، إلى ٥٧٣ وج ٣، ص ٥١٣ إلى ٥٨٨ وج ٩ ص ١، إلى ٦٩ وج ١٤، ص ٤٠ إلى ١٠٥، وج ١٨، ص ٣٥٩ إلى ٣٨٣.

﴿قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [سورة آل عمران: ٦١].

فإنّه (ع) ما أخذ معه إلاّ هؤلاء المذكورين(١٥٧).

---

(١٥٧) قوله: وكذلك في آية المباهلة الخ.

واعلم أنّ نزول الآية الكريمة المباهلة في حقّ الخمسة وهم أصحاب الكساء: النبيّ(ص) وعليّ والحسن والحسين وفاطمة الزهراء البتول(ع)، ممّا لا ريب فيه وأجمع عليه المفسّرون والمحدّثون وممّا اتّفق عليه الفريقان، بل كاد يكون من الضروريّات في التفسير والحديث في الدّين.

فإن شئت فراجع في متن الأحاديث ومصادرها:

إحقاق الحق وملحقاته ج ٤، ص ٤٦ إلى ٧٦، وج ٩، ص ٧٠ إلى ٩١، وج ٩، ص ١٣١ إلى ص ١٤٨، وج ١٨ ص ٣٨٩ إلى ٣٩١، وج ٢٠، ص ٨٤ إلى ٨٧. وراجع أيضاً تفسير الميزان ج ٣، ص ٢٢٨ بحث روائي. والتفسير الدّر المنثور ج ٢، ص ٢٢٨ إلى ص ٢٣٣ والبرهان للبحراني ج ١، ص ٢٨٦ ونور الثقلين ص ٢٨٨.

وإنّا نذكر في المقام بعضها تقريباً للفائدة:

روى الصدوق (رض) في عيون أخبار الرضا (ع) باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا (ع) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة ص ٢٢٨ الحديث ١ بإسناده عن الريّان بن الصلت قال: حضر الرضا (ع) مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٢].

فقال العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمّة كلّها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا (ع): لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة، فقال المأمون: وكيف عني العترة من دون الأمّة؟ فقال له الرضا (ع): إنّه لو أراد الأمّة لكانت أجمعها في الجنّة، لقول الله عزّ وجلّ:

﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾.

ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال عزّ وجلّ:

﴿جنّات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (ع) الّذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

وهم الّذين قال رسول الله (ص):

إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ

فعرفنا أنّهم أقرب إليه من غيرهم نسباً.

وكذلك (...) قوله تعالى:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ [سورة الشورى: ٢٣].

فإنه قال هذا، أعني قال: هؤلاء القوم وأولادهم بعدي، هم قرابتي وأهل بيتي (١٥٨).

الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم...، إلى أن قال: قالت العلماء:

فأخبرنا هل فسر الله عزّ وجلّ الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (ع): فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنا عشر موطناً وموضعاً... إلى أن قال:

وأمّا الثالثة، فحين ميّز الله الطاهرين من خلقه، فأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عزّ وجلّ: يا محمد:

﴿فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦١].

فأبرز النبيّ (ص) عليّاً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: وأنفسنا وأنفسكم؟ قالت العلماء: عنى به نفسه، فقال أبو الحسن (ع): لقد غلطتم. إنّما عنى بها علي بن أبي طالب (ع) وممّا يدل على ذلك قول النبيّ (ص) حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يعني علي بن أبي طالب (ع)، وعنى بالأبناء الحسن والحسين (ع)، وعنى بالنساء فاطمة (ع)، فهذه خصوصيّة لا يتقدّمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس علي (ع) كنفسه. الحديث.

وأخرج مسلم في صحيحه ج ٤، ص ١٨٧١، الحديث ٣٢ وأحمد في مسنده ج ١، ص ١٨٥، والحاكم في المستدرك ج ٣، ص ١٥٠، بإسنادهم عن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾، دعا رسول الله (ص) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.

(١٥٨) قوله: وكذلك قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾.

اعلم أنّه قد وردت عن رسول الله (ص) في بيان المقصود من القربى في الآية أحاديث، فإنّه (ص) بيّن بأنّهم أهل البيت تارة، وآله (ص) تارة أخرى، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (ع) ثالثة، حدّثها عدّة من الصحابة وأخرجها بطرق كثيرة كثير من المفسرين والمحدثين من الفريقين، واختصاص الآية الكريمة ونزولها في حقّهم(ع) مشهور، بل مورد وفاق إلّا شاذّ ممّن له شذوذ مستنداً إلى بيانات غير منطبقة وإلى روايات ضعيفة سنداً وعليلة دلالة ومتناً.

فإن شئت الاطلاع تفصيلاً عن رواة الأحاديث ومداركها فراجع التفاسير: الكشّاف للزمخشري ج ٤، وابن كثير ج ٣، والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧، والدرّ المنثور للسيوطي ج ٧،

والبرهان للبحراني ج ٤، ونور الثقلين للحويزي ج ٤، ومعالم التنزيل للبغوي ج ٥، والميزان للعلامة الطباطبائي ج ١٨، في ذيل الآية.

وإحقاق الحق للقاضي الشهيد التستري وملحقاته للعلامة الحجّة المرعشي النجفي ج ٣، ص ٢ إلى ٢٣ وص ٥٣١، وج ٩، ص ٩٢ إلى ١٠١ وج ١٤، ص ١٠٦ إلى ١١٥، وج ١٨، ص ٣٣٦ إلى ٣٣٨، والغدير للعلامة الأميني ج ٢، ص ٣٠٧ إلى ص ٣١١ وج ٣، ص ١٧١ إلى ص ١٧٤.

ونورد ها هنا جملة منها:

الشيخ الطوسي في أماليه الجزء الثاني عشر ص ٣٦٦ بإسناده عن ابن عباس، قال: كنّا جلوساً مع النبيّ (ص) إذ هبط عليه الأمين جبرائيل (ع) ومعه جام من البلور الأحمر مملوءاً مسكاً وعنبراً، وكان إلى جنب رسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) وولداه الحسن والحسين (ع)، فقال له: السلام عليك، الله يقرأ عليك السلام ويحييك بهذه التحيّة، ويأمرك أن تحيي بها عليّاً وولديه.

قال ابن عباس: فلمّا صارت في كف رسول الله (ص) هلل ثلاثاً وكبّر ثلاثاً، ثم قال بلسان ذرب طلق - يعني الجام -: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾**، فاشتمها النبيّ (ص) وحيا بها عليّاً، فلما صارت في كف عليّ قالت: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** [سورة المائدة، الآية: ٥٥] فاشتمها علي (ع) وحيا بها الحسن (ع)، فلما صارت في كف الحسن قالت: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون﴾** [سورة النبأ، الآية: ١]، فاشتمها الحسن (ع) وحيا بها الحسين (ع)، فلما صارت في كف الحسين (ع) قالت: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾** [سورة الشورى، الآية: ٢٣]، ثمّ ردت إلى النبيّ (ص) فقالت: بسم الله الرحمن الرحيم، **﴿الله نور السماوات والأرض﴾** [سورة النور، الآية: ٣٥].

قال ابن عباس: فلا أدري إلى السماء صعدت أم في الأرض توارت بقدرة الله عزّ وجلّ.

الصدوق في عيون أخبار الرضا (ع) ج ١، ص ٢٢٨، باب ٢٦ الحديث ١ (ذكرنا بعض الحديث في تعليقة ١٥٧) بإسناده عن الريان بن الصلت عن الرضا (ع) في مجلس المأمون حين قال العلماء: فأخبرنا هل فسّر الله عزّ وجلّ الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا (ع): فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في إثني عشرموطناً وموضعاً، فذكر مواضع إلى أن قال:

والآية السادسة قول الله عزّ وجلّ: **﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى﴾** [سورة الشورى، الآية: ٢٠]، وهذه خصوصيّة للنبيّ (ص) إلى يوم القيامة، وخصوصيّة للآل دون غيرهم، وذلك أن الله عزّ وجلّ حكى في ذكر نوح في كتابه: **﴿ويا قوم لا أسئلكم عليه مالاً إن أجري إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّي أريكم قوماً تجهلون﴾** [سورة هود، الآية: ٢٩]، وحكى عزّ وجلّ عن هود، أنّه قال: **﴿قل لاأسئلكم عليه أجراً إن أجري إلاّ**

على الّذي فطرني أفلا تعقلون﴾ [سورة هود الآية: ٥١]، وقال عزّ وجلّ لنبيّه محمّد (ص): قل يا محمد: ﴿لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣]، ولم يفرض الله تعالى مودّتهم إلاّ وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدّين أبداً ولا يرجعون إلى ضلال أبداً، وأخرى أن يكون الرجل وادّاً للرجل فيكون بعض أهل بيته عدواً له، فلا يسلم له قلب الرجل، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن لا يكون في قلب رسول الله (ص) على المؤمنين شيء، ففرض عليهم مودّة ذوي القربى، فمن أخذ بها وأحبّ رسول الله (ص) وأحبّ أهل بيته، لم يستطع رسول الله أن يبغضه، لأنّه قد ترك فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ، فأيّ فضيلة وأي شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيّه (ص): ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾، فقام رسول الله (ص) في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إن الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيّها الناس إنّه ليس من فضّة ولا ذهب ولا مأكول ولا مشروب، فقالوا: هات إذاً فتلى عليهم هذه الآية فقالوا: أما هذه فنعم، فما وفى بها أكثرهم، وما بعث الله عزّ وجل نبيّاً إلا أوحي إليه أن لا يسأل قومه أجراً، لأنّ الله عز وجلّ يوفيه أجر الأنبياء ومحمّد (ص) فرض الله عزّ وجلّ طاعته ومودّة قرابته على أمّته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم، فإن المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب الله تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة، فتمسك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء، وعاند أهل الشقاق والنفاق وألحدوا في ذلك، فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه الله عزّ وجلّ فقالوا: القرابة هم العرب كلها وأهل دعوته، فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أن المودة هي للقرابة فأقربهم من النبيّ (ص) أولاهم بالمودة وكلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها، وما أنصفوا نبيّ الله (ص) في حيطته ورأفته، وما منّ الله به على أمته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه أن لايؤذوه (يؤذوه) في ذرّيته وأهل بيته وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظاً لرسول الله فيهم وحبالهم، فكيف؟ والقرآن ينطق به ويدعو إليه والأخبار ثابتة بأنهم أهل المودّة والّذين فرض الله تعالى مودّتهم ووعد الجزاء عليها، فما وفى أحد بها، فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمناً مخلصاً إلاّ استوجب الجنّة، لقول الله عزّ وجلّ في هذه الآية: ﴿والّذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤون عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير﴾، ذلك الّذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى، مفسراً ومبيناً، الحديث.

الكليني في روضة الكافي ص ٧٩، الحديث ٦٦ بإسناده عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول لأبي جعفر الأحول: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾؟ قال: جعلت فداك إنهم يقولون: إنّها لأقارب رسول الله (ص) فقال: كذبوا إنّما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (ع).

في الغدير للأميني ج ٢، ص ٣٠٧: أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،

والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب، بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما.
في الدرّ المنثور للسيوطي ج ٧، ص ٣٤٨ ذيل الكريمة: وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ أسيراً، فاقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الّذي قتلكم واستأصلكم، فقال له علي بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: لا، قال: أما قرأت: قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى، قال: فإنّكم لأنتم هم؟ قال: نعم.
نقل الزمخشري في تفسيره ج ٤، ص ٢٢٠ عن النبيّ (ص) مرسلاً أنّه (ص) قال حين نزلت الكريمة: من مات على حب آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزف إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنّة.
قال الرازي في تفسيره الكبير ج ٢٧ ص ١٦٦ بعد نقل الرواية عن الكشاف: وأنا أقول: آل محمّد (ص) هم الّذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله (ص) أشدّ التعلّقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف الناس في الآل، فقيل هم الأقارب وقيل هم أمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال علي وفاطمة وابناهما، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ (ص)، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه:
الأوّل، قوله تعالى: إلاّ المودّة في القربى، ووجه الاستدلال به ما سبق.
الثاني، لا شك أنّ النبيّ (ص) كان يحب فاطمة (ع)، قال (ص): فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله (ص) أنه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله لقوله: ﴿**واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨]، ولقوله تعالى: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره**﴾ [سورة النور، الآية: ٦٣]، ولقوله: ﴿**قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١]. ولقوله

وكذلك قوله:

﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤].

لأنّ الإنذار ينبغي أن يكون من الأقرب ثمّ الأقرب لأنّه من نعم الله على عبيده، وأولى العبيد بنعمة هو الأقرب إليه وإلى نبيّه. فافهم جيّداً.

ثم قول الرّسول (ص) فيهم.

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من أهل بيتي حبلان متّصلان لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً [أنظر التعليقة ١١٢].

وقد تقرر قبل هذا أنّ المراد بأهل البيت، علي وفاطمة والحسن والحسين وأولادهم (ع).

ثمّ قول أمير المؤمنين (ع)، وإن لم يحتج في هذا الباب إلى قولهما، لأنّ هؤلاء القوم المشار إليهم إذا كانوا أولادهما ونحن في صدد إثبات النّسب الصوريّة بالنّسبة إليهما، فلا نحتاج إلى التمسّك بقولهما، لكن للتأكيد والتّحقيق، وهو قوله:

وإن كنت بالشورىٰ ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب
وإن كنت بالقربىٰ حججت خصيمهم ... فغيرك أولىٰ بالنبيّ وأقرب

(النسب الصّوري لأهل البيت (ع) إلى النبي (ص))

وأمّا ترتيب النّسب الصّوريّة على سبيل الإجمال، فالمهدي (ع) وهو ابن

سبحانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢١].
الثّالث، أنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدل على أنّ حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعي رضي الله عنه:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد ... فليشهد الثقلان أنّي رافضي

انتهى كلام الرّازي.

الحسن العسكري، وهو ابن علي النقي، وهو ابن محمد التّقي وهو ابن علي بن موسى الرّضا وهو ابن موسى الكاظم، وهو ابن جعفر الصادق، وهو ابن محمد الباقر وهو ابن زين العابدين، وهو ابن الحسين الشّهيد، وهو ابن علي بن أبي طالب وأخو الحسن بن علي (ع)، وهما ابنا فاطمة بنت محمّد رسول الله (ص).

وأمّا بالنسبة إلى أمير المؤمنين (ع)، فقول النبيّ (ص):

إنّ الله تعالى خلق روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي ألفي عام، (أو أن يخلق الخلق بماشاء الله. على اختلاف الروايتين) فلمّا خلق الله آدم أودع أرواحنا صلبه، فقسّمها قسمين، فجعل روحي في صلب عبد الله، وروح علي في صلب أبي طالب، فعليّ منّي وأنا منه، نفسه كنفسي، وطاعته كطاعتي، لا يحبني من يبغضه، ولا يبغضني من يحبه[159].

---

(١٥٩) قوله: فقول النبيّ (ص): إن الله تعالى خلق روحي وروح علي بن أبي طالب قبل، الحديث.

رواه في عوالي اللئالي ج ٢، ص ١٢٤، الحديث ٢١٠ وقال: قال (ع) (النبيّ (ص)): خلق الله روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الله الخلق بألفي ألف عام.

وفيه أيضاً عنه (ص):

أنا وعلي من نور واحد، وأنا وإيّاه شيء واحد وإنه منّي وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، يريبني ما أرابه ويريبه ما أرابني.

وفي أمالي الشيخ الطوسي ص ٧٧ بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع): ألا أبشّرك ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة. الحديث.

وفي أصول الكافي المجلد ١، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٠ الحديث ٣، بإسناده عن مرازم عن الصادق (ع) قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إنّي خلقتك وعلياً نوراً يعني روحاً بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمّد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا.

وفيه أيضاً الحديث ٥ بإسناده عن محمّد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني (ع)، فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثمّ قال: يا محمّد هذه الدّيانة الّتي من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها

محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد.

وفيه أيضاً الحديث ٩ بإسناده عن أحمد بن محمد، عن الصادق (ع) قال: إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب (ع).

وفيه أيضاً الحديث ١٠، بإسناده عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر (ع): يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمّداً(ص) وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النّور أبدان نورانيّة بلا أرواح وكان مؤيّداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله، وعترته، ولذلك خلقهم حلماء، علماء، بررة، أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون.

وفي البحار للمجلسي ج ٢٥، ص ٢٢ عن كتاب رياض الجنان لفضل بن محمود الفارسي بحذف السند عن جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: أوّل ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتّى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور علي (ع)، فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور عليّ محيطاً بالقدرة. الحديث وذكرنا الحديث بتمامه في تعليقتنا ١٦٧ فراجع.

وفي كمال الدين للصدوق رضي الله عنه ج ١، ص ٣٦٦ الباب الثالث والعشرون في نصّ الله تبارك وتعالى على القائم (ع) الحديث ٦ وأيضاً في عيون أخبار الرضا له ج ١، باب ٢٦ ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار النادرة الحديث ٢٢، ص ٢٦٢ بإسناده فيهما عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص):

ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال علي (ع): فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال (ص): يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا يا علي:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا﴾ [سورة المؤمن، الآية: ٧].

بولايتنا يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم (ع) ولا حواء، ولا الجنّة، ولا النّار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدت أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا الحديث.

وراجع في أمثال هذه الروايات بحار الأنوار ج ٢٥، أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم (ع) باب ١

بدء أرواحهم ونورهم وأنهم نور واحد ص ٣٦ ـ ١ فيه أحاديث كثيرة فيها معارف عالية ودقيقة.
واعلم. أنّ الأحاديث النبويّة في أنّه (ص) وعليًّا (ع) خلقا من نور واحد، وأنّ خلقهما كان قبل أن يخلق آدم أو العالم بألف عام، وأنّهما (ع) أيضاً من شجرة واحدة، وأنّهما أيضاً من نور الله عزّ وجلّ، كثيرة جداً، فلاحظ إحقاق الحقّ وملحقات الإحقاق ج ٥، ص ٢٦٦ إلى ٢٤٢، وج ١٦، ص ١٣٥ إلى ١٠٥ وج ٢١ ص ٤٣٣ إلى ٤٢٩ ذكر تلك الأحاديث بأسانيد مختلفة عن كتب شتّى من العامّة ونذكر ها هنا بعضاً منها:
منها عن كفاية الطالب للعلّامة الكنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ بإسناده عن ابن عباس قال: قال النبيّ (ص): خلق الله قضيباً من نور قبل أن يخلق الدّنيا بأربعين ألف عام فجعله أمام العرش حتّى كان أوّل مبعثي، فشق منه نصفاً فخلق منه نبيكم والنصف الأخر عليّ بن أبي طالب.
ومنها عن الكتاب «در بحر المناقب» لمحمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه المتوفى ٦٨٠ قال: مما رواه ابن مسعود عبد الله رضي الله عنه قال: دخلت يوماً على رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله أرني الحق لأتصل إليه، فقال: يا عبد الله ألج المخدع، فولجت المخدع وعليّ رضي الله عنه يصلّي وهو يقول في سجوده وركوعه: اللّهمّ بحق محمّد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتّى أخبر رسول الله (ص) فرأيته وهو يصلّي وهو يقول: اللّهمّ بحقّ علي بن أبي طالب عبدك اغفر للخاطئين من أمّتي، قال: فأخبرني من ذلك الخلع العظيم فأوجز النبيّ (ص) في صلاته فقال:
يا ابن مسعود! أكفر بعد إيمان؟ فقلت: حاشا وكلا يا رسول الله ولكني رأيت عليّاً سأل بك، ورأيتك تسأل الله به فلا أعلم أيكم أفضل عند الله؟ قال: اجلس ياابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي: اعلم أنّ الله خلقني وعليّاً من نور عظيم قبل خلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض وفتق نور عليّ بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعليّ بن أبي طالب أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللّوح والقلم، والحسن، والله أجل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين وخلق منه الجنان والحور، والحسين والله أجل من الجنان والحور، ثمّ أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة فخلق روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نوراً، فأضاف النور إلى تلك الرّوح وأقامها أمام العرش فأزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء، يا بن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي ولعليّ:
أدخلا الجنّة من شئتما وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله عزّ وجلّ:
﴿ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد﴾ [سورة ق، الآية: ٢٤].
فالكافر من جحد نبوّتي، والعنيد من جحد ولاية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعترته، والجنّة لشيعته ولمحبّيه.
ومنها عن كفاية الطالب أيضاً بإسناده عن أبي إمامة الباهلي قال: قال رسول الله (ص): إن الله

وهذا خبر ذكره الأخطب الخوارزمي في الفصل الرابع عشر من كتابه بإسناد طويل صحيح، وكذلك غيره وأمثال ذلك كثير.

(النسب المعنويّة لأهل البيت (ع) إلى النبي (ص))

وأمّا النّسب المعنويّة، فتلك موقوفة على المناسبة الذاتيّة من الطّهارة والعصمة والاستعداد والفطرة السّليمة والقابليّة الأصليّة وقد سبق ذكرها فيهم وفي سلمان مبسوطة.

ثم على العلم والمعرفة والحكمة والكشف والشهود والفرقان، وقد سبق ذكرها أيضاً، وانتسابها إليهم بالنسبة إلى العلوم العقليّة والنقليّة والكشفيّة.

خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخلقني وعليّاً من شجرة واحدة فأنا أصلها وعليّ فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصّفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف، ثمّ لم يدرك صحبتنا أكبّه الله على منخريه في النّار، ثم تلا:

﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣].

ومنها عن (أرجح المطالب) ص ٤٦٢ للشيخ عبيد الله الحنفي الأمر تسري من المعاصرين قال: روي من طريق أبي حاتم وأحمد بن علي العاصمي في «زين الفتى في شرح سورة هل أتى» عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (ص): خلقت أنا وعلي من نور واحد سبّح الله عزّ وجلّ في يمنة العرش قبل خلق الدنيا، ولقد أسكن آدم، الجنّة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم نزل يقلبنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة، حتّى انتهى بنا إلى صلب عبد المطلب، فجعل ذلك النور بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوّة والرسالة، وجعل في علي الفروسيّة والفصاحة، واشتق لنا اسمين من أسمائه فربّ العرش محمود، وأنا محمّد، وهو الأعلى وهذا عليّ.

ومنها عن الحافظ بن عساكر في «ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق» بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبيّ رسول الله (ص) يقول لعليّ: النّاس من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ النبيّ (ص):

﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد﴾ [سورة الرعد، الآية: ٤].

ومنها عن الشيخ حسام الدين المردي الحنفي في (آل محمد) بإسناده عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلّي: خلقت أنا وأنت من نور الله عزّ وجلّ.

(العلم الإرثي مخصوص بهم ومنحصر فيهم)

وقول النبيّ (ص):

«العلماء ورثة الأنبياء» [مرّت الإشارة إليه في التعليقة ١٣٥].

لا يصدق إلّا عليهم، وعلى من يكون علمه إرثياً كسليمان وأمثاله من أرباب التّوحيد المتقدّم ذكرهم، لأنّ الألف واللّام في الخبر النّبويّ، وهو للعهد لا للجنس، لأنّه لو كان للجنس لكان يصدق على كلّ عالم حقًّا كان أو باطلاً وليس كذلك، فلم يبق إلّا أن يكون للعهد، وإذا كان للعهد لا يصدق إلّا عليهم وعلى تابعيهم من أهل التّوحيد، لأنّ علومهم كلّها إرثيّة غير كسبية.

وإن قلت: يجوز أن يكون للحصر والتّعيين.

قلنا: سلّمنا ذلك لكن لا ينفعك، فإنّه أيضاً يرجع إليهم بانحصار العلم الإرثي فيهم لا في غيرهم، لأنّ علم غيرهم بالاتّفاق كسبيّ والكسبيّات ليست لها دخل في الإرثيّات، والوجهان موجّهان.

ووجه آخر وهو أنّه قال: علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل[١٦٠].

وهذا يشهد بأنّ المناسبة بين علماء أمّته وبين أنبياء بني إسرائيل بالعلوم الإرثيّة الإلهيّة غير الكسبيّة، لأن الأنبياء قطّ ما يتعلمون إلّا من الله، فعلماء أمّتي لو كان المراد بهم العلماء الذين حصلت لهم العلوم بالكسب لم يصدق علمهم المشابهة بكاف التّشبيه، فثبت أنّ المناسبة منهم لم تكن إلا بالعلوم الإرثيّة، وبناء على هذا فلا ينبغي أن يتوهّم أحد من العلماء الرّسميّة أنّه وارث النبيّ (ص)، وأمّا أنّه كأنبياء بني إسرائيل، فإنّه ليس كذلك لأنّه عالم بالعلم الكسبي وهؤلاء بالعلم الإرثي، وبينهما بون بعيد كما قرّرناه مراراً.

---

(١٦٠) قوله: ووجه آخر وهو أنّه قال (ص): علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤، ص ٧٧، الحديث ٦٧.

وورد أيضاً: علماء هذه الأمّة أنبياء سائر الأمم، الفتوحات المكيّة ج ٣، ص ٣٥٩ الطبعة الجديدة.

وورد أيضاً: علماء هذه الأمّة كأنبياء بني إسرائيل، علم اليقين للفيض ج ٢، ص ٧٥٠.

(لا نفع في نسبة الصوري إلىٰ النبيّ وأولاده إذا لم يكن معها نسبة معنوية)

ويعلم من هذا شيء آخر وهو أنّ كلّ من لم يكن بينه وبين النّبيّ وورثته نسبة معنويّة لا تنفعه النّسب الصّوريّة يوم القيامة، علويّاً كان المنسوب إليهم أو عامياً، لقوله تعالى:

﴿فـإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١].

ويشهد بذلك قوله تعالى في قضيّة نوح (ع):

﴿إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح﴾ [سورة هود: ٤٦].

فإنّه تعالى انتفى الأهليّة من ولده بانتفاء النّسبة المعنويّة بقوله: فإنّه عمل غير صالح وليس لأحد شكّ أنّ ولد نوح بحسب الصّورة والنّسب الصّوريّة كان ابنه، لأنّه لو لم يكن ابنه ما طلب نوح من الله نجاته، وما سمّاه بالأهل فكان نوح (ع) أثبت النّسب الصّوريّة، والله تعالى قال لا عبرة به حيث ماله نسبة معنويّة بالنّسبة إليك.

(من لم يكن له نسبة معنويّة إليهم (ع) ليس بإنسان حقيقة)

وههنا لطائف ودقائق أوّلاً بالنّسبة إلى آدم (ع) وأولاده، ثمّ بالنّسبة إلى كلّ (نبيّ وأمّته)، فإن كلّ ولد لم يكن بينه وبين آدم نسبة معنويّة لم يكن ولده بشهادة الله تعالى وشهادة العقل الصحيح، وكلّ من لم يكن ولد آدم حقيقة لا يصدق عليه أنّه إنسان، وكل من لا يصدق عليه إنّه إنسان لا يكون إلاّ حيواناً صـرفـاً، لقوله تعالى:

﴿أولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

وكم مثل ذلك، أعني كم من إنسان عالماً كان أو جـاهلاً، علويّـا كان أو عامياً، يتـوهّم أنّـه من ولـد آدم وأنّـه من العلماء الكبار وورثة الأنبياء وليس في الحقيقة إلاّ حيواناً أو أقلّ منه، وقوله تعالى:

﴿إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾ [سورة الأنفال: ٢٢].

يشهد بأنّ مثل هذا الإنسان أخسّ وأرذل من الحيوان، ومن لسـانهم قال أيضاً.

﴿لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير﴾ [سورة الملك: ١٠].

فالعاقل يتوجّه إلى نفسه ويبصر أنّ الكل إنّما يكون حاله بهذه المثابة، كيف يكون حاله لعدم الحسرة والنّدامة المعبّر عنه بيوم القيامة عند أبيه في تلك الحالة، وإلى هذا المعنى أشار الحق تعالى في قوله:

﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ [سورة عبس: ٣٤].

لأنّ فرارهم ليس إلّا من عدم المناسبة وانكشاف أحوالهم عليهم نعوذ بالله منهم ومن أحوالهم، اللّهمّ أرنا الحقّ حقًّا، وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وههنا أسرار وأبحاث قد أشرنا إليها في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار فارجع إليه، فإنّ هذا المكان لا يحتمل أكثر من ذلك.

هذا آخر الدلائل الأولى الدّالة على خصوصيّتهم بالإرث المعنوي والعلوم الحقيقيّة.

(دلائل أخرى لتخصص التأويل بهم (ع))

وأمّا الثّانية من الدّلائل الدّالة، غير ما سبق، على خصوصيّة التّأويل بهم وبتابعيهم، فقوله تعالى:

﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربنا وما يذّكّر إلّا أولوا الألباب﴾ [سورة آل عمران: ٧].

لأنّ قوله: وما يذّكّر إلّا أولوا الألباب، شاهد على خصوصيّة التّأويل بهم دون ما سبق من بحث الرّسوخ ونسبة العلوم إليهم، لأنّ العلوم على ثلاثة أقسام، إمّا قشر، وإمّا لبّ، وإمّا لبّ اللّبّ، كما سبق ذكرها في قول الغزالي وقول غيره.

والكلّ راجع إليهم، سيّما العلوم الّتي هي لبّ اللبّ الموسومة بالعلوم اللدنيّة والكشفيّة الصّادرة من مشرب التّوحيد ومعدن التّجريد.

أمّا القشر فكالعلوم الظّاهرة كالمنقولات الصّرفة، وأمّا اللّب فكالعلوم الباطنة كالمعقولات الصّرفة، وأمّا لبّ اللّبّ فكالعلوم الباطنة للباطن كاللّدنيّات،

والكشفيّات المحضة.

أو علوم الشّريعة والطّريقة والحقيقة.

وقد ورد في اصطلاحهم هذا التقسيم بعينه وهو قولهم:

القشر كلّ علم ظاهر يصون العلم الباطن - الّذي هو لبّة - عن الفساد، كالشّريعة للطريقة، والطّريقة للحقيقة، فإن من لم يصن حاله وطريقته بالشّريعة، فسد حاله وآلت طريقته هوىً وهوساً ووسوسة.

ومن لم يتوصّل بالطّريقة إلى الحقيقة ولم يحفظها بها، فسدت حقيقته وآلت إلى الزّندقة والإلحاد.

ولبّ اللبّ هو مادّة النّور الإلهي القدسيّ، الّذي يتأيّد به العقل، فيصفو عن القشور المذكورة ويدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلّق بالكون، المصون عن الفهم، المحجوب بالعلم الرّسمي، وذلك من حسن السّابقة، المقتضى لخير الخاتمة.

وحيث إنّ القشر واللبّ ولبّ اللبّ مرجوع إليهم ومسند إلى حضرتهم، فلا يكون الرّسوخ في العلوم إلاّ لهم، ولا يكون التّأويل مخصوصاً إلاّ بهم، وبناء على هذا لا يجوز نقل التّفسير إلاّ منهم، ولا أخذ التّأويل إلاّ عنهم وعن تابعيهم من أرباب التّوحيد، حيث خصّ التّأويل بأولي الألباب وهم من أولي الألباب بشهادة العقل والنّقل والكشف، وقد سبق النّص الصّريح في قوله تعالى في حقّ أهل البيت، وردّ التّأويل والتّفسير إليهم وهو قوله:

﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [سورة النّساء: ٥٩].

وطابق به العقل والكشف، فنكتفي منها على هذا ونرجع إلى غيره والحمد لله وحده.

هذا آخر إسناد العلوم إليهم وآخر إثبات الوراثة لهم وإثبات أنّهم أولى بالتّأويل من غيرهم.

وحيث فرغنا من هذا فلنشرع في إسناد خرقة المشايخ إليهم وإلى جدّهم أمير المؤمنين (ع)، كما شرطناه أوّلاً وهو هذا:

وأمّا إسناد خرقة المشايخ إلى أمير المؤمنين وأولاده (ع)، فذلك معلوم مشهور عند الخاصّ والعامّ، ومع ذلك نحن نشرع فيه إجمالاً وتفصيلاً، ونقرّره صورةً ومعنىً بأسانيد صحيحة وروايات معتبرة وهو هذا:

إعلم أنّ هذا البحث يحتاج أوّلاً إلى تحقيق الخرقة، ثمّ إلى إسنادها إليهم.

أمّا تحقيقها، فروى أنس بن مالك عن النّبيّ (ص)، أنّه قال:

لمّا أُسري بي إلى السّماء فدخلت الجنّة، فرأيت في وسط الجنّة قصراً من ياقوتة حمراء، فاستفتح لي جبرائيل بابها، فدخلت القصر، فرأيت في القصر بيتاً من درّة بيضاء، فدخلت البيت فرأيت في وسط البيت صندوقاً من نور عليها قفل من نور، فقلت: يا جبرائيل ما هذا الصّندوق وما ذا فيه؟ فقال جبرئيل: يا حبيب الله فيها سرّ الله لا يعطيها إلاّ لمن يحبّ، فقلت: يا جبرائيل افتح لي بابها فقال جبرائيل: أنا عبد مثلك ما أمرني الله تعالى بذلك ولكن سل ربّك حتّى يأذن لي، فسألت الله تعالى بذلك، فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا جبرائيل: افتح له بابها، ففتح لي جبرائيل بابها، فرأيت فيها المرقع والفقر، فقلت يا سيّدي ومولاي هب لي هذا المرقع والفقر، فنودي لي يا محمّد هذان اخترتهما لك ولأمّتك من الوقت الّذي خلقتهما ولا أعطيهما إلاّ لمن أحبّ، وما خلقت شيئاً أعزّ منهما، فقد اختار الله تعالى المرقع والفقر، وأنّهما أعزّ شيء على الله تعالى(١٦١).

---

(١٦١) قوله: فروىٰ أنس بن مالك عن النّبيّ (ص) أنه قال: لمّا أُسري بي إلى السماء فدخلت الجنّة الحديث.

رواه عن النبيّ (ص) ابن أبي جمهور الاحسائي في كتابه عوالي اللئالىء ج ٤ ص ١٣٠، وفيه: فلبسها النبيّ (ص) وتوجه الله بها، فلمّا رجع من المعراج ألبسها عليّاً (ع) بإذن الله وأمره، فكان يلبسها ويرقعها بيده رقعة رقعة، حتّى قال: والله رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، وألبسها بعده لابنه الحسن ثمّ الحسين (ع)، ثمّ لبسها أولاد الحسين (ع)، فلبسها واحد بعد واحد حتّى اتصلت بالمهدي (ع) فهي معه مع سائر مواريث الأنبياء (ع).

وفي الخصال للصدوق (رض) باب ما بعد الألف الحديث ٤٩، ص ٦٥٠ بإسناده عن محمد بن يزيد المحاربيّ عن الصادق (ع) يقول: جلّل رسول الله (ص) على عليّ (ع) ثوباً، ثم علّمه ألف

وأمّا إسنادها فاعلم، أنّ الخرقة عند التّحقيق على قسمين: صوريّة ومعنويّة.

أمّا الصّوريّة فباتّفاق المشايخ وأكثر العلماء من أرباب التّصوّف قد لبسها النبيّ (ص) عن جبرائيل بإذن الله وأمره كما سبق ذكره ولبسه، ولبس أمير المؤمنين عليّ (ع) عن النّبيّ (ص) ولبس الحسين بن علي عن علي (ع) ولبس زين العابدين عن أبيه الحسين ولبس محمد الباقر عن أبيه زين العابدين ولبس جعفر الصّادق عن أبيه محمد الباقر، وكذلك إلى أن وصل إلى المهدي (ع).

وأمّا المشايخ فقد لبس أُويس القرني، والحسن البصري، وكميل بن زياد النخعي رضي الله عنهم عن أمير المؤمنين عليّ (ع) كما ستعرفه مفصلاً وامّا المتأخّرون عنه الموجودون في غير زمانه الّذين لبسوا الخرقة عن أولاده، فقد لبس أبويزيد البسطامي رحمة الله عليه عن جعفر الصادق (ع)، وكان في خدمته سنين، وقد لبس الشقيق البلخي عن موسىٰ بن جعفر المعروف بالكاظم(ع) ولبس معروف الكرخي عن عليّ بن موسى الرّضا(ع)، ومن معروف السرّي السّقطي، ومن السرّي شيخ الطائفة الجنيد البغدادي، ومن الجنيد انقسم إلى المشائخ كلّها كما سنذكر اسنادهم إليه.

وبالجملة تنتهي الخرقة وإسنادها ونسبتها إلى ثلاثة باتّفاق المشائخ، إمّا إلى

كلمة، كلّ كلمة يفتح له ألف كلمة.

وأيضاً فيه الحديث ٤٥ مثله، وذكر الحديث أيضاً السيد الأمير صالح الحسيني الترمذي الكشفي في كتابه مناقب المرتضوي «ألّفه سنة ١١٠٣»، ذكره في خطبة الكتاب وقال بعد ذكره: قصّة الخرقة والمعراج مذكورة في كتاب راحة القلوب للشيخ قدّس سرّه أيضاً.

ونحن جمع من أهل السنّة والجماعة نقول: بأنّ عليّاً من كبار الصحابة وأنّه رابع الخلفاء في مقام الشريعة والسياسة، وأيضاً نقول ونعتقد بأنه من أهل البيت الكرام وأوّل خليفة بحسب الإرشاد وتلقين العلوم الصوريّة والمعنويّة وفي مقام الطريقة والمعرفة، ولهذا نجعل اسمه المبارك في الشجرة الرابطة للطريقة والمعرفة بعد اسم المظهر المقدّس سيد الكائنات، هذا كلام منّا عيان لا يحتاج إلى الاستشهاد والبيان.

وقال أيضاً في الباب الحادي عشر من الكتاب: إنّ خلافة أمير المؤمنين في الطريقة بموجب الخرقة من الرسول (ص) ومعراجه (ص) متّفق عليه بين التشيّع والتسنن، وهذا مبيّن ومبرهن عند أرباب العلم والبصيرة.

جعفر الصّادق (ع)، وإمّا إلى الحسن البصري، وإمّا إلى كميل بن زياد النخعي رضي الله عنهما، وإن قال بعضهم بأُويس القرني، فذلك أيضاً يرجع إليهم، وأكثرها ينتهي إلى الجنيد، لأنّه رئيس القوم وشيخ الطّائفة، وقريب العهد إلى الأئمة المعصومين (ع).

ويعرف صدق هذا المعنى أعني انحصار الخرقة الصّوريّة في الطّوائف الثلاث من نسبة خرقة الشّيخين المعظمين إلى أمير المؤمنين وأولاده (ع)، أمّا الأوّل الشيخ الكامل الربّاني الشّيخ سعيد الدّين الحموي قدس الله سرّه، وأمّا الثّاني، الشيخ العارف المحقّق شهاب الدّين السّهروردي رحمة الله عليه، فإنّهما ذكرا في بعض إجازتهما لبعض مريديهما نسبة خرقتهما إلى أمير المؤمنين (ع) بطرق ثلاثة أو بواحدة منها.

أمّا الشيخ الكامل الشيخ سعد الدين الحموي، فإنّه قال لبعض مريديه في إجازته:

إعلم وفّقك الله أن للقوم في هذا الأمر طريقين ونسبتين أحدهما نسبة الصّحبة والثّاني نسبة الخرقة، أمّا نسبة الصّحبة لشيخي وسيّدي شيخ الإسلام محمد بن حمويه فمع الخضر (ع).

وأمّا نسبة الخرقة فإنّه لبس الخرقة من ركن الإسلام أبي علي الفارمدي من قطب الوقت أبي القاسم الكركاني من الأستاذ أبي عثمان المغربي من شيخ الحرم أبي عمر الزّجاجي من سيّد الطائفة أبي القاسم الجنيد من سرّي بن المغلّس السّقطي من أبي محفوظ معروف الكرخي، واختلفوا في نسبة مذهب أكثر المحدثين إلى أنّه أخذ هذه الطريقة، ولبس الخرقة من سيّده ومولاه علي بن موسى الرّضا، وهو من أبيه موسى الكاظم وهو من أبيه جعفر الصّادق، وهو من أبيه محمّد الباقر، وهو من أبيه زين العابدين، وهو من أبيه الإمام الحسين بن علي أمير المؤمنين، وهو من أبيه أمير المؤمنين، وهو من سيّد المرسلين وخاتم النبيّين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

وذهب بعض المشائخ إلى أن معروفاً قد لبس من داود الطّائي وأخذ هذه الطريقة منه وهو من حبيب العجمي وهو من سيّد التابعين الحسن البصري، وهو

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وهو من سيّد المرسلين وخاتم النّبيّين محمّد المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين. وإنّي لبست الخرقة من شيخ الشيوخ أبي الحسن بن عمر بن أبي الحسن عن أبيه عماد الدّين عمر بن أبي الحسن علي بن محمّد حمويه قدس الله سرّه، وهو ممّن صحب جدّه الإمام محمد بن حمويه قدس الله أرواحهم.

وأمّا الشيخ الأعظم شهاب الدّين السهروردي قدّس الله سرّه المكّنى بأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن البكري السهروردي فإنّه قال: ألبسنيها عمّي شيخ الإسلام أبو النّجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي قال: ألبسنيها عمّي الشيخ وحيد الدّين عمر بن محمد يعرف بعمويه، قال ألبسنيها الشّيخان، الأوّل أخي فرج الزركاني عن أبي العباس النّهاوندي، عن الشّيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف، عن أبي القاسم الجنيد الثاني والد محمد بن عمويه عن الشيخ أحمد الأسود الدّينوري عن ممشاد الدّينوري عن شيخ الطائفة أبي القاسم محمد الجنيد عن خاله السّري السّقطي عن معروف الكرخي عن الإمام علي بن موسى الرّضا (ع) عن أبيه موسى الكاظم (ع) عن أبيه جعفر الصادق (ع) عن أبيه محمد الباقر (ع) عن أبيه علي زين العابدين (ع) عن أبيه أبي عبد الله الحسين الشّهيد (ع) عن أبيه أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو عن رسول الله (ص).

هذا آخر انتساب الشّيخين المعظّمين إلى أمير المؤمنين (ع) من الحسن البصري والجنيد.

أمّا نسبة خرقة أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه من طريق جعفر الصّادق (ع)، فتلك تعرف من نسبة خرقة أولاده ومريديه إليه وتلك مشهورة معلومة.

وأمّا نسبة خرقة بعض المشائخ إلى كميل بن زياد النّخعي رضي الله عنه وتلقين الذّكر منه، فذكر بعض الفقراء هذا المعنى وانتسب طريقه إليه وهو قوله:

تلقن هذا الفقير الضّعيف محمّد بن أبي بكر السّمناني جعله الله ممن حصل له البقاء بعد فناء هذا العمر الفاني من الشّيخ الصّالح الدّيّن أبي الخير شمس الدّين

محمّد بن علي بن محمد الأصفهاني، وهو يلقن يوم عيد الفطر سنة ثلاث وسبعمائة بالخانقاه السّميساطي في مجمع يقال له بيت الأحزان جوار الجامع المعمور بدمشق المحروسة، من الشّيخ الصّالح زين العباد، علم الزّهاد، فخر الأبرار، دائم الذّكر بالعشيّ والإبكار، محمد بن أبي بكر الإسفرايني ذكر لا إله إلاّ الله، بحقّ تلقّنه من الشيخ سيف الدّين أبي المعالي سعيد بن المظهر بن سعيد البادرزي قدّس الله روحه، بحقّ تلقّنه من الشّيخ قطب الوقت أبي الجنّاب نجم الدّين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الخيوقي بحق تلقنه، عن شيخ الورى إسماعيل القيصري، وهو من الشّيخ محمد مانكيل وهو من الشّيخ داود بن محمّد المعروف بخادم الفقراء بحق تلقّنه، من شيخه أبي العباس بن إدريس بحقّ تلقّنه من شيخه أبي القاسم بن رمضان بحق تلقنه من شيخه أبي يعقوب الطبري بحقّ تلقنه عن شيخه أبي عبد الله بن عثمان بحقّ تلقنه من شيخه أبي يعقوب المهرخوري بحقّ تلقنه من شيخه أبي يعقوب السوسني بحقّ تلقنه من شيخه عبد الواحد بن زيد بحقّ تلقنه من شيخه كميل بن زياد النّخعي رضي الله عنه وعنهم أجمعين، وهو تلقنه من أمير المؤمنين علي (ع) وهو من رسول الله (ص) وهو من جبرائيل أمين الوحي (ع) وهو من حضرة ربّ العزّة سبحانه وتعالى.

وإذا عرفت هذا فنقول:

لا شك أنّك عرفت نسبة الخرقة إلى أمير المؤمنين (ع) بطرق شتّى مفصّلاً، ولكن ما عرفت نسبة تلقين الذّكر إليه كذلك بالإسناد، لأنّ تلقين الذّكر له ترتيب وتفصيل عند أهله، وحاصله وخلاصته ما ذكر الفقير المذكور في إجازته مفصّلاً وهو قوله:

اعلم أنّه قد صحّ وثبت بحكم النّقل عند مشائخ الصّوفيّة رضوان الله عليهم أجمعين: أنّ عليّاً(ع) دخل على رسول الله(ص)، فقال يا رسول الله دلّني على أقرب الطّرق إلى الله وأفضلها عند الله وأسهلها على عباد الله، فقال (ع): عليك يا علي بما نلت ببركة النبوّة، فقال علي: ما هذا يا رسول الله، قال (ع): ذكر الله تعالى: قال علي: يا رسول الله أهكذا فضيلة الذّكر، وكلّ النّاس ذاكرون، قال رسول الله (ص): مَه يا علي، لا تقوم السّاعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله، ثمّ قال: أنصت يا علي حتّى أنا أقول ثلاث مرّات وأنت تسمع منّي فإذا سكت

فقل أنت حتّى أنا أسمع منك.

هكذا لقّن رسول الله (ص) عليّاً ثمّ لقّن عليّ (ع) الحسن البصري، ثمّ لقّن الحسن حبيباً العجمي، ثمّ لقّن الحبيب داود الطائي، ولقّن داود معروف الكرخي، ولقّن معروف سري السّقطي، وهو لقّن أبا القاسم الجنيد بن محمّد البغدادي، ولقّن الجنيد ممشاد الدّينوري ولقّن ممشاد أحمد الأسود الدّينوري ولقّن أحمد محمّد البكري السّهروردي المعروف بعمويه ولقّن محمد بن عبد الله البكري القاضي وحيد الدّين عمر بن محمد البكري، ولقن هو أبا نجيب عبد القاهر السّهروردي وهو لقّن شهاب الدّين عمر بن محمّد السّهروردي البكري ولقّن هو معين الدين أصحاب شيخ شيوخ بلاد الرّوم ومعيّن الدّين لقّن هذا الفقير أحمد بن مسعود ببلد قونية، وكان قدس الله سرّه شيخي وشيخ أبي وجدّي، ولقن هذا الفقير الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى الأخ الصالح الإمام العالم شمس الملة والدّين جمال الإسلام والمسلمين محمد بن علي بن محمد المعروف بالزّاهد الأصفهاني، ولقن هو أدام الله حياته، الكاتب الفقير محمد بن أبي بكر السّمناني بلغه الله تعالى أقصى غاية الأماني في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة.

هذا آخر إسناد الخرقة والذّكر إلى أمير المؤمنين (ع) من طريق جعفر الصّادق والحسن البصري وكميل بن زياد رضي الله عنهم.

وأمّا من طريق أويس القرني على دعوى بعض النّاس، فالّذي ذكره بعض المشائخ في بعض إجازاتهم أيضاً منهم، الشّيخ الصالح المعري المحدّث نجم الدين أبو النّدا إسماعيل بن أمين الدّين إبراهيم بن أبي بكر التفليسي عرف بابن الإمام، فإنّه قال: ألبسنيها الشّيخ الحافظ جمال الدّين أبو حامد محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن جمال الدين أبي الفتح محمود المحمودي ابن الصابوني السّلامي، وقال هو: البسنيها المشائخ الثلاثة، أوّلهم الشّيخ الرّباني شهاب الدّين السّهروردي قدّس الله سره، وقد سبق نسبته إلى الإمام (ع)، وثانيهم الشيخ صدر الدّين أبو الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني وقد سبق نسبته إليه (ع). وثالثهم الشّيخ الكامل فخر الدّين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الخيري الفارسي، فإنّه قال: ألبسنيها والدي الشيخ الإمام أبو

إسحاق إبراهيم بن أحمد الخيري الفارسي، عن شيخ الشّيوخ أبي الفتح أحمد بن خليفة البيضاوي عن أبي إسحاق إبراهيم بن شهريار الكازروني عن الشيخ أبي محمّد الحسين الاكار عن الشّيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف عن شيخ الطائفة الجنيد وعن الإمام جعفر الحذّاء عن الإمام أبي عمرو الاصطخري عن أبي تراب النّخشبي عن الإمام أبي علي شقيق البلخي، عن الإمام أبي عمرو موسى بن زيد الدّاعي عن أويس القرني رضي الله عنه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عن رسول الله (ص).

هذا بالنسبة إلى الخرقة الصّوريّة والمشائخ الصوريّة.

وأمّا بالنّسبة إلى الخرقة المعنويّة والمشائخ المعنويّة.

(المقصود من الخرقة هو سرّ الولاية وسر التوحيد وأنّ قاعدة السلوك التخلّق بأخلاق الله)

فاعلم، أنّ الخرقة المذكورة عند الخواصّ وخواصّ الخواصّ من الموحّدين، فهي عبارة عن سرّ الولاية وسرّ التّوحيد الّذي وصل من الله تعالى إلى آدم (ع) بواسطة جبرائيل أو غيره، ثمّ منه إلى شيث ولده بالإرث المعنوي، والنّسبة المعنويّة المتقدّم ذكرها، ثمّ إلى نوح (ع) ومن نوح إلى إبراهيم (ع)، وكذلك إلى أن وصل إلى محمّد (ص)، ومن محمد إلى أمير المؤمنين (ع)، ومنه إلى أولاده وتلامذته ومريديه إلى أن وصل إلى المهدي (ع)، وختم به وصار هو خاتم الأولياء وسيّد الموحدين في زمانه كما سبق ذكره، لا الّذي ذكرناه بأنّها عبارة عن الخرقة المصنوعة المعمولة من الصّوف أو القطن أو غيرهما، فإن كلّ أحد يعرف أنّ الخرقة الصّوريّة ما لها دخل في تحصيل الكمالات الإنسانيّة التي هي موقوفة على الإرشاد والهداية من الأنبياء والأولياء والمشائخ والكمّل، لا الخرقة الصّوريّة من الصّوف والجبّة المعمولة من القطن وهذا ظاهر جلّي؛ وعند التّحقيق كأنّها إشارة لطيفة وكناية شريفة إلى لبس الخرقة المعنويّة من يد هؤلاء المذكورين على طريق الاتّصاف بأوصافهم وقاعدة السّلوك على سبيلهم الّتي هي التّخلّق بأخلاقهم، لقوله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [سورة آل عمران: ٣١]

وإلى هذا المعنى أشار الحقّ تعالى أيضاً وقال كناية واستعارة:

﴿وريشاً ولباس التقوىٰ﴾ [سورة الأعراف، ٢٦].

ومعلوم أن التّقوىٰ ما لها لباس لكنّها إشارة إلى ستر صاحبها بلباس التّقوى الّذي هو الورع والزّهد والعبادة وتهذيب الأخلاق بأخلاق الله وتأديب النّفس بآدابه لقول النّبيّ (ص):

«تخلّقوا بأخلاق الله» [انظر التعليقة ٣٧].

ولقوله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» [راجع التعليقة ١٣١].

(النبيّ (ص) مستور بالأسماء الجلاليّة والجماليّة)

وكذلك قوله تعالى في الحديث القدسي:

الكبرياء ردائي والعظمة إزاري [أُنظر التعليقة ٦٩].

فإنه إشارة إلى ستره بستر الأسماء الجلاليّة والجماليّة اللّذين هما نقاب وحجاب على وجه ذاته الكريم وجماله القديم، لقول بعض العارفين:

جمالك في كل الحقائق سائر وليس له إلاّ جلالك ساتر

وقول النبيّ (ص):

«إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة. الحديث» [أُنظر إلى التعليقة ٧٠].

أيضاً إشارة إلى هذا فإن حجابه تعالى ليس من جنس المخلوق حتّى يتوّهم أنّه من ثوب لطيف أو جسم كثيف بل حجابه عبارة عن بعد عبيده عنه بحجاب تعلّقاتهم وستر تصوّراتهم المعبّر عنها في القرآن بالسّلسلة الّتي يكون ذرعها سبعون ذراعاً لقوله:

﴿ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [سورة الحاقة: ٣٢].

وقد سبق بيان هذه السّلسلة وهذه التّعلّقات وعلّة حصرها وموجب كميّتها في السّبعين لا غير، وكذلك حال الفتوّة المنسوبة إلى أمير المؤمنين (ع)، فإنّها أيضاً معنويّة والنّاس قد أخذوها من طريق الصّورة ووضعوا لها ضوابط وقوانين صورية في

العقد من الحلف وشرب ماء الملح والألفاظ المستعملة في حالة العقد وأمثال ذلك، وكذلك جميع الأوضاع المشهورة بين النّاس فإنّها كانت معنويّة، وجعلوها صوريّة من ضعف استعدادهم، وقلّة ذكائهم وتفطّنهم، حتّى عبادة الأصنام والأوثان فإنّها كانت معنويّة جعلوها صوريّة، ولولا مخافة التّطويل لشرعت في كلّ واحد واحد منها وبيّنت صلاحها وفسادها، وأقل ذلك الخرقة المسمّاة بهزارميخي.

(المقصود من الخرقة المسمّاة بهزار ميخي)

فإنّ المراد منها لم يكن الخرقة الّتي يلبسونها بعض الصّوفيّة ويجتهدون في ترتيبها وتزيينها غاية الاجتهاد من الخياطة وترتيب الأكمام والأذيال وغير ذلك، فإنّ المراد منها كان خلع الأوصاف الذّميمة من النّفس الّتي هي على الإجمال ألف واتّصافها بالأوصاف الحميدة الّتي هي أيضاً على الإجمال ألف فإن كلّ من يفعل هذا يكون لابساً الخرقة المسمّاة بهزارميخي لأنّه قلع كلّ صفة ذميمة من النّفس بمثابة ضرب إبرة في الثّوب أو دق وتد في الحائط، ونعم الخرقة الّتي تكون على هذه الصّورة، ونعم الشّيخ الّذي يكون إرشاده على هذه الوتيرة، وهذا مثل شريف لطيف في هذا الباب،

﴿وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]

وكلّ عاقل يعرف من نفسه أنّ كلّ شخص لايكون بينه وبينه مناسبة معنويّة لاينفعه لبس ثوبة من القطن أو الصّوف، والكلام إلى المصنّف الفطن لا مع غيره،

﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد﴾ [سورة ق: ٣٧].

هذا آخر بيان الخرقة الصّوريّة والمعنويّة وانتسابهما وإسنادهما إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) وإلى أولاده صلوات الله عليهم أجمعين، وآخر انتساب العلوم الظّاهرة والباطنة إليهم، وآخر بيان خصوصيّة التّأويل بهم وبتابعيهم من أرباب التّوحيد.

وهذا المكان يحتاج إلى بيان الأقطاب والأوتاد وتعدادهم وحصرهم وتعيينهم، وكذلك إلى تحقيق الأبدال والأمناء وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء مطلقاً ومقيّداً وتحقيق النبوّة والرّسالة والولاية والوحي والإلهام والكشف وغير ذلك لكن

أخرناه إلى المقدّمة السّادسة والسّابعة من المقدّمات المذكورة، فإنّ هذا البحث قد طال وخرج عن الاعتدال.

فأمّا الآن فلا بدّ من بحثين آخرين:

الأول بحث نسبتنا إلى أمير المؤمنين وأولاده (ع) صورة ومعنىً لأنّا إذا ذكرنا انتساب جميع المشائخ إليهم وإسناد جميع العلماء كذلك، ولم نذكر انتسابنا إليهم ولا نسبة علومنا إلى علومهم يلزم الإخلال بالأمر الواجب منّا من المروّة والأدب وهذا لا يجوز عن العاقل، فمن هذا وجب ذكر ذلك مفصّلاً.

والثّاني بحث نسبة الأئمّة المعصومين المعبّر عنهم بأهل البيت (ع) إلى النّبيّ (ص) كذلك صورة ومعنىً، وإن سبق بعض ذلك اختصاراً ونريد أن نبيّن ذلك في صورة جدول مقسوم شامل لجميع أقسام الانتساب وذكر الأولاد إناثاً وذكوراً ومدّة أعمارهم وخلافتهم وموضع قبورهم وغير ذلك من التّوابع واللّوازم.

أما البحث الأوّل المتعلّق بنسبتنا إليهم فتلك تكون من حيث الصّورة ومن حيث المعنى كما قررناه.

(سلسة النسب للمؤلف السيد حيدر رضي الله عنه إلى الأئمة (ع)

أمّا من حيث الصّورة، فأنا ركن الدّين حيدر بن السّيّد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد ركن الدّين حيدر بن السيّد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد محمّد أمير، بن عليّ پادشاه، بن أبي جعفر محمّد بن زيد بن أبي جعفر محمّد بن الدّاعي ابن أبي جعفر محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحسين الكوسج بن إبراهيم سناء الله بن محمّد الحرون بن حمزة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

وتحقيق هذا يعرف من الشّجرة المستخرجة من كتب الأنساب، لأنّ هذا إجمال يحتاج إلى تفصيل، ثمّ إلى تاريخ و(تنقلات) من بلاد إلى بلاد وغير ذلك من الشّرائط، ويناسب بهذا المكان ما قال السّيّد الرضيّ رحمة الله عليه في خطبته لنهج البلاغة بالنّسبة إلى نفسه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ‌ ‌ ‌ إذا جمعتنا يا جرير المجامع [١٦٢]

---

(١٦٢). قوله: ويناسب بهذا المكان ما قال السيّد الرّضي رحمة الله عليه في خطبته لنهج البلاغة بالنّسبة

وأمّا من حيث المعنى، فذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات:

(سير السيّد المؤلف رحمه الله في تحصيل العلم والكمال)

منها إلى بيان حالي من ابتداء السّلوك إلى حين الوصول إجمالاً.

إلى نفسه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جرير - المجامع

أقول: الشعر من أشعار الفرزدق المعروف مخاطباً لجرير.

أمّا السّيّد الرّضي وهو السيد الجليل غنيّ عما نقول في حقّه، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم صلوات المصلّين وآلاف التحية والسلام أبد الأبدين.

وهو رضي الله عنه ذوالحسبين حيث إنّه من أولادهم (ع) من قبل الأب والأمّ، وأمّه فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير، بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير، بن علي بن الحسين بن علي عمر الأشرف بن علي السجاد (ع)، هذا ما ذكره أخوه السيّد المرتضى في أوّل ناصرياته على ما حكى منه الشيخ محمّد تقيّ التستري دام ظله في كتابه نهج السعادة في شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٥٦.

وهو رحمه الله تعالى ولد ببغداد سنة ٣٥٩ وتوفّي بها في يوم الأحد ٦ محرم ٤٠٦ هـ.

وأمّا الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، فهو شاعر معروف من بني تميم والبيت منه ومن قصيدته التي يهجو بها جريراً مفتخراً بأجداده المعلومة ونسبه المعروف وصعصعة من أصحاب رسول الله (ص) وجرير من كليب بن يربوع كان بينهما التفاخر والمهاجاة مدّة حياتهما وكان أبو جرير خاملاً ولم يكن له بيت وقبيلة والفرزدق من بني تميم فكانوا معروفين في الجاهليّة والإسلام ومن القصيدة:

ومنّا الّذي اختير الرجال سماحةً وجوداً إذا هب الرّياح الزعازعُ
ومنّا الّذي أحيى الوئيد وغالب وعمرو ومنّا حاجب والأقارع
ومنّا الّذي أعطى الرسول عطيّة أسارى تميمٍ والعيون هوامع (دوامع)

إلى أن قال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع
بهم أعتلي ما حملتنيه دارم واصرع أقراني الّذين أصارع
أخذنا بآفاق السّماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

إلى أن قال:

اعلم، انّي من عنفوان شبابي بل من أيّام طفولتي إلى مدّة ثلاثين سنة أو قريب منها كنت في تحصيل عقائد أجدادي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من حيث الشّريعة وطريق الظّاهر المخصوصة بالطّائفة الإماميّة من بين الشّيعة حتّى حصلت لبّها وخلاصتها وقرأت العلوم المتعلّقة بها من المنقول والمعقول على أستاذيها، بعضها في بلدي آمل الّذي هو مولدي ومسقط رأسي ومسقط رأس آبائي وأجدادي، وبعضها في خراسان واستراباد، وبعضها في أصفهان، وهذا كان في مدّة عشرين سنة حتّى رجعت من اصفهان إلى آمل مرّة ثانية واجتمعت بخدمة الملك العالم العادل فخر الدّولة بن الملك المرحوم السّعيد

فواعجباً حتّى كُليب تسبُّني كأنّ أباها نهشل أو مُجاشعُ

هذا والّذي أوجب للفرزدق حياة وذكراً خيراً باقياً في الكتب والمحافل وله بحقّ شأن جليل وفخر عزيز هو أشعاره في مدح سيدنا ومولانا علي بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين الّذي أنشده في ما جرىٰ له مع هشام بن عبد الملك، والقضيّة معروفة يأتي ذكرها في تعليقتنا رقم ١٨٠ فراجع.

قال السيّد الشريف المرتضى في أماليه ج ١، ص ٦٢:

كان شيعيّاً مائلاً إلى بني هاشم، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدّين جملة ولا مهملاً لأمره أصلاً.

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به ـ قال بإسناده إلى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه ـ قال: دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيّد الرجل، فسألته عن السبب في ذلك، فقال: إنّي آليت على نفسي ألاّ أنزع القيد من رجلي، حتّى أحفظ القرآن.

إلى أن قال بعد صفحات:

وممّا يشهد لذلك ما أخبرنا (ذكر السند) إلى أن قال: إن علي بن الحسين (ع) حجّ فاستجهر النّاس جماله، وتشوّفوا له، وجعلوا يقولون: من هذا؟ فقال الفرزدق:

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم هذا التّقي النقيّ الطاهر العلم

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلّم إلاّ حين يبتسم

أيّ القبائل ليست في رقابهم لأوّليّة هذا أوله نعم

من يعرف اللّه يعرف أوّليّة ذا فالدّين من بيت هذا ناله الأمم

شاه كيخسرو أطاب الله ثراهما وجعل الجنة مثواهما وخصّني بالكرامة والجلالة وجعلني من أقرب أصحابه وندمائه، ثمّ من أخصّ خواصّه، ثمّ من أعظم نوابّه وحُجّابه، وهم من أولاد كسرى وأنوشيروان إلى يزدجرد إلى پرويز، وجدّهم القريب كان ملك أردشير بن الحسين بن تاج الدّولة الّذي كان ممدوحاً لظهير الدّين الفاريابي وسراج الدّين القمري وأمثالهم من الشّعراء الكبار ومضت برهة من الزّمان على هذا، ثم طلبني الملك العادل قهرمان الوقت، ملك الملوك الرّومان فخر الدولة شاه غازي خلد الله دولته الّذي هو الآن موجود، وكنت في خدمته على الوجه المذكور وفي خدمة إخوته الملك الأعظم جلال الدّولة اسكندر طاب ثراه، والملك المعظّم وشرف الدّولة كستهم وطوس ملك أعزّ الله أنصارهما، ومضت على هذا أيضاً مدةٌ وحصل لي من الجاه والمال فوق التّصوّر ببركة صحبتهم وكنت كذلك في أرغد عيش وأطيب حال بين الأهل والأوطان والأصحاب والأحوال، حتّى غلب في باطني دواعي الحقّ وكشف لي فساد ما أنا فيه من الغفلة والجهل والنّسيان، وظهر لي ضلالي عن طريق الحقّ والاستقامة على سبيل الزّيغ والطّغيان، فناجيت ربّي في السرّ وطلبت منه الخلاص عن الكلّ وحصل لي شوقاً تامّاً إلى الترك والتّجريد، والتوجّه إلى حضرة الحقّ بقدم التوحيد وما كنت أتمكّن من هذا في صحبة هؤلاء الملوك ولا في الوطن الأصلي المألوف، ولا في صحبة الأخوان والأصحاب، فرأيت المصلحة تركهم بالكلّية والخروج من عندهم إلى موضع تيسّر ذلك على أحسن الوجوه، فتركتهم على هذا الحال وتركت الأهل والمال والملك والجاه والوالد والوالدة والأخوة والصّديق والرّفيق، ولبست دلقاً يكون قيمته أقلّ من درهم لأنّه كان ملقاة من (في) بعض الدّورين وتوجّهت على هذا المنوال إلى زيارة جدّي رسول الله والأئمّة المعصومين(ع) بنيّة الحجّ وزيارة بيت الله الحرام وبيت المقدس، وكان ذلك بطريق الرّي وقزوين واصفهان حتّى وصلت إلى اصفهان بعد أن كنت فيه مدّة طويلة في زمان الشّباب وكثرة الجاه والمال، واجتمعت بخدمة المشائخ الّذين كانوا فيه ووقع بينهم عقد الأخوّة والفتوّة، بيني وبين الشّيخ الكامل المحقّق نور الدّين الطهراني، وهو قرية على باب اصفهان من طرف دردشت ويسمّونها العوام تيران، وهو في الأصل طهران بكسر الطاء، وكان عارفاً زاهداً مقبولاً عند الخاصّ والعامّ وكانت الصّحبة بيننا وبينه أقل من الشهر ولبست الخرقة

الصّوريّة من يده بعد تلقين الذكر الخاص دون العام، وحصل لي من صحبته بهذه المدّة القصيرة فائدة كثيرة قدّس الله روحه العزيز، وعزمت من اصفهان إلى دهستان في بلدهم الموسومة بايذج ومال الأمير، وبقيت هناك في صحبة شخص كامل عارف منتظراً اجتماع قفل بغداد، وما اتّفق ذلك وحصل الرّجوع إلى اصفهان من عارض جسمانيّ، وبالجملة حتّى بعد مدّة وصلت إلى بغداد بطريق آخر، وزرت المشاهد المقدّسة من مشهد أمير المؤمنين عليّ (ع) ومشهد الحسين وموسى والجواد وسرّ من رأى (ع) وجاورتهم سنة كاملة، ثمّ توجّهت إلى الكعبة بقصد الحجّ مجرداً فقيراً مع عدم التّمكن الصّوري، وزرت الرّسول (ص) والأئمّة الأربعة بالمدينة، ورجعت إلى العراق وسكنت المشهد المقدس الغروي سلام الله على مشرفه، واشتغلت بالرّياضة والخلوة والطّاعة والعبادة وطلب العلوم الحقيقيّة اللّدنيّة الإرثيّة دون الكسبيّة التّعليميّة، ولم يكن هناك أحد يعرف هذا القسم، وكان هناك شخص عارف كامل خامل الذّكر بين النّاس (. . . . .)، وليّ من أولياء الله، اسمه عبدالرّحمن القدسي (عبدالرّحمن بن أحمد مقدسيّ) فقرأت عليه أوّلاً كتاب منازل السّائرين مع شرحه، ثمّ كتاب فصوص الحكم مع شرحه، ثمّ رسائل أخر، ومضى على هذا زمان وكشف لي ببركة هذا وببركة المجاورة، والتّوجّه إلى حضرة الحقّ وحضرة الأئمّة(ع)، أكثر كتب ا لتّصوّف من المطوّلات والمختصرات، وكتبت عليها شروحاً وحواشي كما ذكرت في صدر هذا الكتاب مفصّلاً، وصنّفت بعد ذلك، الكتب المذكورة في الفهرست الّتي هي قريبة إلى عشرين أو أربعة وعشرين كتاباً، وذلك في مدّة أربع وعشرين سنة، وكان آخر تلك الكتب هذا التأويل، والحمدُ لله على ذلك.

(صورة إجازة فخر المحققين للسيد المؤلف وتعبيره له بزين العابدين الثاني)

وكنت قد قرأت قبل هذا الحال والاشتغال بهذه الأحوال على الشيخ الأعظم الأكمل سلطان العلماء والمحققين، فخر الحقّ والملّة والدّين ابن المطهر الحلّي قدس الله سرّه من علوم أهل البيت (ع) خلاف الّذي قرأت في العجم كتباً كثيرة في الأصول والفروع تقليداً واستجازة، وكان يخاطبني بزين العابدين الثّاني، ويعتقد فيّ أنّي دون العصمة، ممّا كان يشاهد من حسن سيرتي ولطف طريقتي، وكتب لي

إجازات متعددة.

منها إجازة طويلة جامعة في جميع العلوم، لا بدّ من ذكرها ههنا تطبيقاً بالإجازات السّالفة، وهذه صورة خطه وإجازته:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدُ لله واجب الوجود، واهب وجود كل موجود، وصلّى الله على خاتم الأنبياء محمّد النبيّ وعلى آله الأصفياء.

أمّا بعد فقرأ عليّ المولى السيّد الأعظم الإمام المعظّم أفضل العلماء في العالم، أعلم فضلاء بني آدم. مرشد السّالكين، غياث نفوس العارفين، محيي مراسم أجداده الطّاهرين، الجامع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول، ذو النّفس القدسيّة والأخلاق النبويّة، شرف آل رسول ربّ العالمين، أفضل الحاجّ والمعتمرين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، ركن الملّة والحقّ والدّين حيدر بن السّيّد السّعيد تاج الدّين علي پادشاه بن السيّد محمد أمير بن علي پادشاه بن أبي جعفر محمد بن زيد بن أبي جعفر محمد بن الدّاعي بن أبي جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسين الكوسج بن إبراهيم سناء الله بن محمد الحرون بن حمزة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين الشّهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، كتاب جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد تأليف الشّيخ الإمام العالم أمين الدّين الطبرسي رحمة الله عليه، وكتاب شرائع الإسلام للشيخ الإمام السّعيد نجم الدّين ابن سعيد رحمه الله، وكتاب مناهج اليقين في الكلام تصنيف والدي رحمه الله، وتهذيب الأحكام للشّيخ الإمام أبي جعفر الطّوسي قدّس الله روحه، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين (ع)، وشرح نهج البلاغة لكمال الدّين ميثم بن علي البحراني، قراءة مرضيّة تشهد بتمام فضله وكمال علمه وبلوغه إلى أوج مرتبة التّحقيق، وقد أجزت له رواية ذلك كلّه بالطّرق الّتي لنا إلى المصنّفين رحمة الله عليهم أجمعين، وأجزت له رواية جميع مصنّفاتي في العلوم العقليّة والنّقليّة، وجميع ما نقلته ورويته من كتب أصحابنا السّابقين رضوان الله عليهم أجمعين بإسنادي المتصل إليهم خصوصاً كتب والدي قدّس الله روحه عنّي عنه، وكتب الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النّعمان رحمه الله، عنّي وعن والدي عن جدّي، وعن الشّيخ السعيد

نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد، وعن السّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس الحسيني وغيره عن الشّيخ يحيى بن محمّد بن يحيى بن الفرج السوراوي، عن الشّيخ الفقيه يحيى بن هبة اللّه بن رُطَبَة عن المفيد أبي علي الحسن بن الشّيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطّوسي عن والده عن الشّيخ المفيد رحمه الله.

وعن والدي رحمه الله عن جدّي والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدّين أحمد بن طاوس وغيرهم عن السيّد فخار بن معد بن فخار العلوي الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرائيل القمي عن الشيخ أبي عبد الله الدوريستي عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النّعمان رحمه الله، وأجزت له رواية كتب شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي قدّس الله سرّه بهذه الطّرق وغيرها عنّي عن والدي عن جدّي وعن الشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد والسّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس جميعاً عن السّيد أحمد بن يوسف بن أحمد بن العريضي العلوي الحسيني عن السّعيد الفقيه برهان الدّين محمد بن محمد بن علي الهمداني الفروخي (نزيل الرّي) عن السّيد فضل اللّه بن علي بن الحسين الرّاوندي عن عماد الدّين أبي الصمصام (ذي الفقار) بن سعيد الحسني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس الله روحه. وأجزت له كتب السيّد المرتضى قدس الله روحه عنى بهذا الإسناد وغيره عن الشيخ أبي جعفر الطّوسي رحمه الله وعن والدي عن جدّي والشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد والسّيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس الحسيني رضي الله عنهم، عن يحيى بن محمّد بن الفرج السوراوي عن الحسين بن رطبة عن المفيد أبي علي عن والده أبي جعفر الطّوسي عن السّيد المرتضى.

وقد أجزت له بهذه الطرق جميعاً تصانيف من تضمّنه هذه الطرق المذكورة وغيرها من المذكورين فيها وغيرهم، وأجزت له أن يروي جميع الأحاديث المنقولة عن أهل البيت(ع) المذكورة بالأسانيد المذكورة من كتب علمائنا كالتّهذيب والاستبصار وغيرهما من مصنّفات الشّيخ أبي جعفر الطّوسي، وكتب الشيخ أبي جعفر محمّد بن بابويه وكتاب الكليني تصنفي محمّد بن يعقوب الكيني المسمّى بالكافي وهو خمسون كتاباً بالأسانيد المذكورة في هذه الكتب كلّ رواية برجالها على حدتها بإسنادي عن أبي جعفر الطّوسي رحمه الله، عن رجاله المذكورين

في كتبه وبإسنادي إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه رحمه الله، عني عن والدي عن جدّي رحمهما الله، وعن الشّيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد والسيّد جمال الدّين أحمد بن طاوس جميعاً عن السيّد فخار بن (معد) بن فخار الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرئيل القمي عن جعفر بن محمّد الدوريستي عن أبيه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه بالأسانيد المتّصلة بالأئمة (ع).

عن السيّد فخار بن (معد) بن فخار الموسوي عن الفقيه شاذان بن جبرئيل القمي عن جعفر بن محمّد الدوريستي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه بالأسانيد المتّصلة بالأئمة (ع).

وأمّا الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، رويت أحاديثه المذكورة المتّصلة بالأئمّة (ع) عن والدي عن جدّي رحمهما الله والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدين أحمد بن طاوس وغيرهم بأسانيدهم المذكورة إلى الشيخ محمد بن النعمان المفيد رحمه الله عن إبراهيم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمّد بن يعقوب الكليني عن رجاله المذكورة فيه في كلّ حديث عن الأئمّة (ع).

وكتب محمد بن الحسن بن يوسف المطهر، في رمضان سنة إحدى وستّين وسبعمائة بالحلّة والحمد لله وحده وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين.

هذه صورة إجازتي في العلوم العقليّة والنقليّة المقروءة في العرب دون العجم.

وأمّا صورة إجازتي في الخرقة الصّوريّة الّتي، لبستها من الشيخ المذكور نور الدّين الأصفهاني فقد ضاعت صورتها، لكن حاصلها:

إنّي لبستها منه بالشرائط المقرّرة بين المشايخ وهو لبسها عن المشايخ الذين كانوا (. . . .) بالشرائط المقرّرة (. . .) كذلك بإسناد خرقة كلّ واحد منهم إلى الآخر إسناداً صحيحاً مرتّباً على شرائط الإسناد حتّى وصل إلى الّذي لبسها عن الشّيخ الكامل المكمّل شيخ الطائفة أبي القاسم محمد الجنيد رحمة الله عليه عن خاله السري عن معروف الكرخي عن الإمام علي بن موسى الرّضا عن أبيه موسى الكاظم (ع) عن أبيه جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين

العابدين عن أبيه أبي عبد الله الحسين الشهيد (ع) عن أبيه أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عن النّبيّ (ص) عن جبرائيل عن الله تعالى.

(صورة إجازة السيّد المؤلّف في قراءته الفصوص ومنازل السائرين)

وأما صورة إجازتي في القراءة للفصوص ومنازل السائرين وشرحيهما وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبيّه محمد وآله أجمعين.

أما بعد فقد قرأ عليّ السيد الإمام الهمام العالم الكامل قطب الموحدين (زبدة) المتبحرين كهف الحاج والمعتمرين المخصوص بعناية رب العالمين، السيد ركن الحق والملّة والدين حيدر بن تاج الدين علي بادشاه الحسيني الآملي آدام الله ظله كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين بن العربي قدّس الله سرّه مع شرح للقيصري وكتاب منازل السائرين للشيخ أبي إسماعيل الهروي رحمة الله عليه مع شرح الفصوص لعفيف الدين التلمساني رحمة الله عليه، قراءة مرضيّة تشهد بفضله وفطنته، وكانت استفادتي منه أكثر من إفادتي له، وكان ذلك بالمشهد الشريف الغروي سلام الله على مشرفه، سلخ رجب المرجّب من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وكتب الفقير إلى الله تعالى عبدالرحمن بن أحمد القدسي تجاوز الله عن سيّئاته.

وبالجملة لم يكن وصولي وكشفي موقوفاً على هذه الجملة بل كان وصولي سابقاً على سلوكي لأنّي كنت من المحبوبين لا من المحبين كما بيّناه في أول المقدمة أن وصول المحبوب سابق على سلوكه كالأنبياء والأولياء وتابعيهم على قدم الصدق لقوله تعالى:

﴿إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١].

وجرت كما جرت بعناية الله تعالى ومحض إشفاقه لا بالعمل ولا بالعلم، وقد بيّنت تفصيل ذلك وكيفيّته في أول الفهرست بعد الخطبة فارجع إليه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وفيه أقول:

كـانـت لـقـلـبي أهـواء مـفـرّقـة فـاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصـار يحسـدني من كنت أحسـده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تـركـت للنـاس دنيـاهم ودينـهـم شغـلاً بـذكـرك، يا ديني ودنيـائي

وأما البحث الثاني المتعلق بنسبة الأئمة (ع) فذلك أيضاً من حيث الصورة والمعنى، أما من حيث المعنى فقد سبق ذكره قبل هذا مفصلاً مرتباً، وأما من حيث الصورة فذلك يكون أولاً من حيث التقرير[١٦٣] ثم في صورة الجدول، أما التقرير فترتبه إما أن يكون من آخرهم إلى أولهم، إلى آدم، وإما أن يكون من آدم إلى أن يصل إلى الآخر والأول أنسب، فنقول: محمد بن الحسن صاحب الزمان المنتظر المعـروف بـالمهـدي (ع) بن علي النقي بن محمـد التقي بن علي بن مـوسى الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين بن علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخره.

وإما أن نأخذ من الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤيّ بن غـالب بن فهر بن مـالك بن النضـر بن كنانـة بن خزيمـة بن مدركـة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أُدْ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن قيدار بن إسماعيل (ع) بن إبراهيم (ع) بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن قالع بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (ع) بن لمك بن متـوشلخ بن اخنوق بن البارد بن مهـلائيل بن القينان بن انوش بن شيث بن آدم (ع). وهؤلاء أجـداد محمّـد (ص) وآبـاؤه (ع)، ومحمّد جدّهم، وآبائهم صلوات الله عليهم أجمعين وهم واحد وخمسون أبا طاهراً باهراً شريفاً كريماً، وكان منهم سبعة عشر نبياً، وسبعة عشر وصياً ولياً، وسبعة عشر ملكاً رئيساً، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

---

(١٦٣) قوله: أما من حيث الصورة (النسب) من حيث التقرير. راجع في نسب الأئمّة والنبيّ (ع): السيرة لابن هشام ج ١، ص ٣ - ١ والسيرة الحلبيّة ج ١، ص ٣١ - ٣ والسيرة لإسحق بن محمد الهمداني ج١، ص١١٢ - ١٨، ومروج الذهب ج ٢، ص ٢٦٥.

وقد وردت أسماء النبي وهؤلاء الأئمة (ع) في التوراة بلسان العبرانية وقد نقل عنها بهذه العبارة:

ميذ ميذ: محمد المصطفى،
إيليا: علي المرتضى،
قيذور: الحسن المجتبىٰ،
إيربيل: الحسين الشهيد،
مَشفور: زين العابدين،
مَشهور: محمد الباقر،
مَشموط: جعفر الصادق،
دُومِرا: موسى الكاظم،
هَزاد: علي بن موسى الرضا،
تَيمُوزا: محمد التقى،
يسطور: علي النقي،
نوقش: الحسن العسكري،
قَريمُونيا: محمد بن الحسن صاحب الزمان.

صلوات الله عليهم أجمعين، هذا وجه، وبوجه آخر نقلنا من كتب المتقدمين بإسناد صحيح أن لكل صاحب شريعة كان إثنا عشر وصياً لا أزيد ولا أنقص ومن جملة ذلك قول بعض العلماء بتقريره هذا:

(بيان الشرائع الست وأنّ لكلّ صاحب شريعة كان اثنا عشر وصياً)

إعلم، أن أصحاب الشريعة من لدن آدم إلى محمد (ع) ستة، كل واحد منهم جاء بشريعة واحدة مدة فالأولة فاتحة والآخرة خاتمة وما بينهما ينسخ الأول الأخيرلتعود الخاتمة فاتحة والفاتحة خاتمة، وإلى ذلك أشار النبي (ص) باستدارة الزمان في قوله:

«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله فيه السموٰات والأرض»[١٦٤].

(١٦٤) قوله: وإلى ذلك أشار النبيّ (ص) باستدارة الزمان في قوله: قد استدار الخ.

فالستة، آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وأنه لكل واحد منهم من الأوصياء المتواصلين به في الأزمنة المتباعدة والمتقاربة اثنا عشر وصياً يحفظون كلمته ويقيمون شريعته ما دام التكليف باقياً والوصي هو الحجّة بعد ذلك النبي وهو الإمام الناطق بتأويل الكتاب، الصامت بحفظ الشريعة، ويقيم الحدود، ويسدّ الثغور، وتقتصر به يد الظالم عن الظلم، بكل ما يمكن منه.

فالشريعة الأولة الفاتحة بآدم (ع)، أوصياءها اثنا عشر وصياً، وهم، شيث، هابيل، قينان، ميسم، شيسم، قادس، قيذوق، إتميخ، آيتوخ، إدريس، دينوخ، ناخــوز.

أخرج الحديث مسلم في صحيحه ج ٣، ص ١٣٠٥ كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال الحديث ٢٩ - (١٦٧٩).

وأيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥، ص ٣٧، وص ٧٣.

وأيضاً البيهقي ج ٥، ص ١٦٥ من كتاب الحج.

وتمام الحديث، على ما نقله مسلم بإسناده عن أبي بكرة عن النبيّ (ص) أنّه قال:

إن الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب شهر مُضَر الّذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أيّ شهر هذا، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظنّنا أنّه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجّة؟ قلنا: بلى، قال: فأيّ بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتّى ظنّنا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليس بالبلدة؟

قلنا: بلى، قال: فأيّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظنّنا أنّه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعُنّ (ترجعوا) بعدي كفاراً (ضلالاً) يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب (منكم) فلعلّ بعض من يبلّغه يكون أوعى له من بعض من سمعه.

ورواه أيضاً الصدوق (رض) في الخصال ج ٢، ص ٤٨٦، الحديث ٦٢ بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: نزلت هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، على رسول الله (ص) في أوسط أيّام التشريق، فعرف أنّه الوداع، فركب راحلته العضباء، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس كلّ دم كان في الجاهليّة فهو هدر، إلى أن قال:

يا أيها الناس إنّ الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق السماوات والأرضين، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض الحديث والحديث طويل فراجع.

الشريعة الثانية لنوح (ع) وأوصياؤها اثنا عشر وصياً، وهم، سام، يافث، أرشخ، فرشخ، فايو، شالخ، هود، صالح، ديميخ، مُعدل، دَريجا، هجان.

الشريعة الثالثة لإبراهيم (ع)، وأوصياؤها اثنا عشر وصياً وهم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، ايلون، ايتم، أيوب، زيتون، دانيال الأكبر، أينوخ، أناخا، ميدع.

الشريعة الرابعة لموسى (ع) وأوصياؤها اثنا عشر وصياً، وهم، يوشع، عُروف، قيذوف، عزير، أريسا، داود، سليمان، أصف، اتواخ، منيفا، أرون، واعث.

الشريعة الخامسة لعيسى (ع) وأوصياؤها اثنا عشر وصياً، وهم، شمعون، عروف، قيذوف، عيسرو، اريسا، زكريّا، يحيىٰ، اهدىٰ، مشخا، طالوت، قش، استين، بحيرا.

الشريعة السادسة لمحمد (ص)، وأوصياؤها، اثنا عشر وصياً وهم، أمير المؤمنين علي، الحسن الزكّي، الحسين الشهيد، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، علي بن موسى الرضا، محمد التقي، علي النقي، الحسن العسكري، المهدي القائم محمد بن الحسن صاحب الزمان، وبه ختمت الأوصياء، وعدتهم اثنان وسبعون وصياً لستة أنبياء مرسلين.

هذا من حيث التقرير، وأما من حيث الجدول فهذه صورته[١٦٥]:

(العدد إثنا عشر في العلويّات والسفليّات)

هذا آخر البحث الثاني من حيث التقرير والجدول وغير ذلك.

---

(١٦٥) قوله: وأمّا من حيث الجدول.

أقول: هذا متن الجدول نأتي به تسهيلاً للقراءة:

صورة الجدول:

هذه صورة الجداول المخصوصة بالنبيّ، وفاطمة، والأئمّة المعصومين من أهل بيته (ع) وأسمائهم، وألقابهم، وكنينهم، وأسماء آبائهم وأمّهاتهم، ومدّة أعمارهم، وموضع قبورهم على ما ذهب إليه العلماء.

وكأنّي بشخص صوفي سنّيّ مسلسل بسلاسل التعصّب والجدال،

بيت الأسماء لهم مطلقاً	بيت الكنى	بيت الألقاب	بيت الآباء	بيت أسماء الأمّهات	بيت مدّة الأعمار	بيت موضع القبور	بيت سبب الوفاة
محمّد	أبو القاسم	المصطفى	عبد الله	آمنة بنت وهب	ثلاث وستون سنة وأربعة عشر يوماً	مسجد المدينة	مرض وقبض
علي	أبو الحسن	المرتضى	أبو طالب	فاطمة بنت أسد	أربع وستون وستّة أشهر واثنا عشر يوماً	نجف الكوفة	قتله ابن ملجم لعنه الله
فاطمة	الزّهراء	البتول	محمّد	خديجة بنت خويلد	ثمان عشرة سنة وشهران وأيّام	عند الرّسول	مرضت وقبضت
الحسن	أبو محمّد	التّقي	علي أمير المؤمنين	فاطمة الزّهراء	سبع وأربعون سنة وأربعة أشهر وعشرون يوماً	بالبقيع	سمّته امرأته جعدة
الحسين	أبو عبد الله	الزّكي	علي أمير المؤمنين	فاطمة الزّهراء	ثمان وخمسون سنة ويوم واحد	بكربلاء	قتله شمر لعنه الله
علي	أبو الحسن	السجّاد	الحسين	بنت يزدجرد	ست وخمسون سنة وخمسة أشهر وأربعة أيّام	بالبقيع في المدينة	سمّه الوليد
محمد	أبو جعفر	الباقر	علي زين العابدين	فاطمة أم عبد الله	تسع وخمسون سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام	بالبقيع في المدينة	سمّه هشام بن عبد الملك
جعفر	أبو عبد الله	الصّادق	محمّد الباقر	امّ فروة بنت أبي القاسم	خمس وستون سنة وخمسة أشهر	بالبقيع في المدينة	قتل بالسمّ خفية
موسى	أبو إبراهيم	الكاظم	جعفر الصّادق	حميدة امّ ولد	اثنان وخمسون سنة وخمسة أشهر	ببغداد في مقابر قريش	قتل بالسمّ في الحبس
علي	أبو الحسن	الرّضا	موسى الكاظم	تكتم ونجمة أم ولد	ثمان وأربعون سنة وثلاثة أشهروثلاثة عشريوماً	بطوس خراسان	قتل بالسمّ في العنب

محجوب بحجاب أهل التقليد وأرباب المقال، يقول لي: لِمَ يخصّصون الشيعة أئمّتهم بالاثني عشر اماماً، وأيّة فائدة في هذه الأعداد؟ ولِمَ لايكون أكثر وأقل؟، وأنا أقول له: أيّها الصوفي المتعصّب الجاهل، هذا التعجّب منك إن كان على هذا العدد خاصّة بأنّه عدد غريب ما وقع مثله في الوجود، فهذا غير موجّه، لأنّ أعظم الأشياء وأجلّها في العلويّات مترتّب على هذا العدد مثل البروج، وفي السفليّات ساعات اللّيل والنهار والشهور المترتّبة عليهما، وكذلك أسباط بني إسرائيل ونقباؤهم، والعيون الصادرة من عصا موسى (ع)، وغير ذلك ممّا لانعرف نحن ولا أنت، لأنّ مخلوقات الله ليست منحصرة، لا عندنا ولا عندك من الجزئيّات دون الكلّيّات. وإن كان على مطلق العدد، فهذا الاعتراض يرد على كل واحد من الأعداد، لأنّ كثيراً من الأشياء، وهو واقع على اثنين اثنين، وعلى ثلاثة ثلاثة، وعلى أربعة أربعة، وهكذا بالغاً ما بلغ كما عرفته وستعرفه إن شاء الله بعد هذا الكلام.

فلو اعترضت على كل واحد واحد منها لطال عليك الزمان وما حصل لك منه إلا تضييع الأيام وتصديع الأخوان، وهذا مثل أن تقول: لِمَ كانت السموات سبعاً أو تسعاً، والكواكب السيّارة لِمَ كانت سبعاً، والبروج لِمَ كانت اثني عشرة، والجهات

بيت الأسماء لهم مطلقاً	بيت الكنى	بيت الألقاب	بيت الآباء	بيت أسماء الأمّهات	بيت مدّة الأعمار	بيت موضع القبور	
محمّد	أبو جعفر	التّقي	علي بن موسى الرّضا	خيزران امّ ولد	خمس وأربعون سنة وأربعة أشهر ويومان	ببغداد مقابر قريش	سمّ وقبض ببغداد
علي	أبو الحسن	النّقي	محمّد التّقي	سمانة (أمّ ولد)	اربعون سنة	بسرّ من رأى	سمّ وقبض في زمن المعتمد
الحسن	أبو محمّد	العسكري	علي النّقي	حديثة (أمّ ولد)	ثمان وعشرون سنة	بسرّ من رأى	سمّ وقبض في زمن المعتمد
محمّد	أبو القاسم	الخلف الحجّة	الحسن العسكري	نرجس (أمّ ولد) بنت القيصر	باق بحمد الله تعالى	غاب في السّرداب	حيّ بحمد الله وسيظهر إن شاء الله

لِمَ كانت ستاً، والبحور لم كانت سبعة، والأرضون كذلك، والشهر، لم كان ثلاثين يوماً، والسنة لِمَ كانت ثلاثمائة وستين يوماً، وأمثال ذلك إلى غير النهاية وكذلك فيما ورد في التسبيح والتهليل والتكبير مثل سبعين تسبيحاً وأربعين تكبيراً أو ثلاثين تهليلاً، وأربعة وثلاثين تحميداً وغير ذلك من الأوضاع الشرعية والعرفية، بل يكفيك في هذا أن الموجودات واقعة على حكمة الله تعالى وإتقانه وإحكامه، وكل عدد له خصوصية ولوازم على ما هو عليه وليس كل أحد مكلفاً بمعرفته ولوازمه وإن كانت معرفته غير منهّي عنها ولا محظورة، ذلك تقدير العزيز العليم.

(أول من تكلم في طبيعة العدد في الموجودات)

وذكر صاحب إخوان الصفا وقال: إن فيتاغورس الحكيم وهو أول من تكلم في طبيعة العدد وقال: إن الموجودات واقعة بحسب طبيعة العدد، فمن عرف طبيعة العدد وأنواعه وخواصه أمكنه أن يعرف كميّة أنواع الموجودات وأجناسها، وما الحكمة في كميتها على ما هي عليه الآن ولِمَ لَمْ تكن أكثر من ذلك ولا أقل منه، وذلك أن الباري جل وعز لما كان هو علة الموجودات وخالق المخلوقات وهو واحد بالحقيقة لم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء شيئاً واحداً من جميع الجهات بل وجب أن تكون واحداً بالهيولى كثيراً بالصورة ولم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء كلها ثنائية ولا رباعية ولا أكثر من ذلك، ولا أقل بل كان الأحكم والأنفس أن تكون على ما هي عليه من الأعداد والمقادير وكان ذلك في غاية الحكمة وذلك أن من الأشياء ما هي ثنائية ومنها ما هي ثلاثية ومنها ما هي رباعية ومنها مخمسات ومسدّسات ومعشرات، وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ، فالأشياء الثنائية مثل الهيولى والصورة، والجوهر والعرض والعلّة والمعلول والبسيط والمركب واللطيف والكثيف والنيّر والمظلم وغير ذلك، وبالجملة في كل زوجين اثنين كما ذكر الله عز وجلّ:

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ [سورة الذاريات: ٤٩].

وأما الأشياء الثلاثية فمثل الأبعاد الثلاث التي هي الطول والعرض والعمق ومثل المقادير الثلاثة التي هي الخط والسطح والجسم، ومثل الأزمان الثلاثة التي هي الماضي والمستقبل والحال وغير ذلك، وبالجملة كل أمر ذي بال و بسط

وطرف، وأما الأشياء الرباعية فمثل الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومثل الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض، ومثل أجزاء الزمان التي هي الربيع والصيف والشتاء والخريف، ومثل الجهات الأربع التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال وعلى هذا المثال إذا اعتبر وجد أشياء كثيرة مخمّسات، مسدّسات، ومسبعات بالغاً ما بلغ، وهذا المقدار يكفيك للتنبيه على حكمة الأعداد وخصوصياتها، ومع ذلك هذا الكلام يرجع إلى عدد الأنبياء (ع)، وأنهم لِمَ انحصروا في مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، وإلى عدد الأوصياء (ع) وأنهم لِمَ كانوا منحصرين في مائة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ، وإلى عدد الرسل وأنهم لِمَ كانوا مائة وثلاثة عشر رسولاً وإلى أولي العزم وأنهم لم كانوا خمسة أو ستة أو سبعة على اختلاف الأقوال، وإلى سور القرآن أيضاً أنها لِمَ كانت مائة وأربع عشرة سورة وغير ذلك من عدد الملائكة وحملة العرش والجنة والنار والحور والقصور، وإلى الخلفاء الأربعة بعد النبي وإلى الماضين من بني العباس، وإلى الأئمة الأربعة المعلومة من الفقهاء الّذين كانوا في زمانهم وبعدهم، وأمثال ذلك من الأعداد، وكذلك يرجع إليك، فإن عندك الأولياء والأقطاب منحصرة في ثلاثمائة وستّة وخمسين عدداً وهذا العدد ينقسم إلى ستّ طبقات كل طبقة عدد برأسها كالطبقة الأولى، فإنها ثلاثمائة وكالثانية فإنها أربعون وكالثالثة فإنّها سبع، وكالرابعة فإنّها خمس، وكالخامسة فإنّها ثلاث، وكالسادسة فإنّها فرد وهو القطب، وأنت لست بعالم بسبب ذلك وإن سألوك عن تحقيقه عجزت عن الجواب عنه، غاية ما في الباب تقول هذه كلمة الله وما نحن بعالمين بها، وهذا الجواب بعينه جواب الشيعة الّذين أنت اعترضت عليهم في حقّ أئمتهم (ع) وأمثال هذه الاعتراضات ليست بجيدة ولا مستحسنة عند العقلاء فإنها إقرار بالجهل ودليل على قلة العقل لأنها اعتراضات من غير فائدة تحتها، وكل كلام يكون خالياً عن الفائدة فهو ليس بكلام في الحقيقة.

(نظرية أهل التوحيد في عدد الأئمة (ع))

وإذا عرفت هذا فاعلم أن لأرباب التحقيق الذين هم أهل التوحيد في هذا

المقام أعني في عدد الأئمّة والأقطاب وغيرهم نظر شريف وفكر دقيق وهو أنهم قالوا إننا قد طابقنا عالم الصورة بعالم المعنى، وكذلك عالم الآفاق بالأنفس، فما وجدنا شيئاً يكون في عالم الصورة ولا يكون في عالم المعنى، وحينئذٍ لما وجدنا في الصورة الأفلاك والكواكب السبعة والبروج الاثني عشر والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة التي بها قوام هذا العالم، حكمنا بأنه يجب أن يكون في عالم المعنى كذلك ليكون التطابق صحيحاً، والنص الوارد فيه واقعاً، فالأفلاك التسعة في عالم المعنىٰ: النبيّ المطلق والوليّ المطلق وسبعة من الأنبياء الكبار الذين هم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وداود، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمّد (ع) لأن قيام عالم المعنىٰ ليس إلّا بهم، لأنهم أقطاب العالم بالأصالة، والذين علىٰ قدمهم بالنيابة، والكواكب السبعة: الأقطاب السبعة الّذين عليهم العالم المعنوي بمثابة هؤلاء السبعة من الأنبياء والبروج الاثنا عشر: الأئمة الإثنا عشر الدائرة فيها هؤلاء السبعة من الأقطاب، لأن دوران الأنبياء والأقطاب لايكون إلّا علىٰ أبراج الأولياء والأئمة، كتقديم (لتقديم) الولاية علىٰ النبوة، وشرف الولاية عليها كما قررناه مراراً، ونقرّره إن شاء الله، وهذا ليس بشرف الولي علىٰ النبي لأنّ التابع قط لايكون أشرف من المتبوع من حيث هو تابع، وقد سبق هذا البحث مفصّلاً.

والعناصر الأربعة، الأوتاد الأربعة التي علىٰ أطراف العالم من اليمين واليسار والخلف والقدّام، والمواليد الثلاثة، الأنواع الثلاثة من الإنسان والجن والملك، أو الولي والنبي والرسول، والجهات الستّ، المراتب الستّ الإلهية الوجودية، أو الشرائع الستّ المذكورة، أو الأيام الستّة المعلومة. والأقاليم السبعة: الرجال السبعة الداخلة في تقسيم الطبقات الستّ المذكورة. هذا بالنسبة إلىٰ الآفاق وأما بالنسبة إلىٰ الأنفس فالأفلاك التسعة: الدماغ والصدر والطحال، والكبد والمرارة والقلب والكلية والفرج والريّ. والكواكب السبعة: النفس الحيوانية والنفس اللّوامة والنفس الملهمة، والنفس المطمئنة، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل والعقل المستفاد. والأقاليم السبعة: الرأس واليدان والبطن والظهر والرّجلان، والبروج الإثنا عشرة: الحواس العشر وقوّتا الشهوة والغضب. والجهات الأربع: القوىٰ الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والعناصر الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، أو الصفراء والسوداء والدم والبلغم، والمواليد الثلاثة: الروح النباتية والحيوانية والنفسانية اللواتي في الكبد والقلب والدماغ. وسيجيء بيان

هذين العالمين وتطبيق هاتين الصورتين في المقدمة الثّانية أبسط من ذلك مطابقاً لقوله تعالى:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [سورة فصّلت: ٥٣].

لكن قبل الوصول إلى تلك المقدمة والشروع في ذلك التطبيق لا بد لك من ضرب مثال في هذا الباب ووضع دائرتين مشتملتين على هذين العالمين أعني الآفاق والأنفس بحيث لا يبقى لك في هذا المعنى إشكال وتعرف مقام الأقطاب السبعة فيها، ومقام الأئمة الإثني عشر كذلك، لأن الشيء إذا صعب إدراكه على العقل من حيث التعقل ليس هناك أنسب من الأشكال الحسية ليتوصل بها العقل وهو حينئذ إلى المطلوب سريعاً، ومن هنا اشتمل القرآن على ضرب مثال في أكثر المواضع لقوله تعالى:

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

ولقوله:

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

(رئيس المعارف الثلاث: معرفة الحق، معرفة الآفاق، معرفة الأنفس)

ولا بد لنا في هذا المثال والدائرة من تقديم ضابطة كلية تكون معيناً لك في فهم هذا المعنى فنقول:

إعلم، أنه قد سبق في أول المقدمة أن رئيس المعارف كلها ثلاثة، معرفة الحق تعالى، ومعرفة العالم المسمى بالآفاق، ومعرفة الإنسان المسمى بالأنفس، لأن كل من حصل له هذه المعارف الثلاث فقد حصل له جميع المعارف الإلهية على حسب طبقاتها، وجميع المعارف الكونية من الملك والملكوت والجبروت، وتحصيل هذه المعارف بدون تطبيق الآفاق بالأنفس مستحيل ممتنع كما أشرنا إليه

وتمسّكنا فيه بقوله تعالى:

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه إن كنتم صادقين﴾ [سورة القصص: ٤٩].

لأن الكتاب الأول الآفاق والثاني الأنفس، والحاصل منهما مشاهدة الحق على ما هو عليه في نفس الأمر لقول الإمام (ع):

لقد تجلى الله لعباده في كتابه ولكن لا تبصرون [انظر التعليقة ١٢].

وهذا التطابق يحتاج إلى علم جمّ جامع للعلوم الظاهرة والباطنة، أو إلى كشف كامل جامع للكشف الصوري والمعنوي، أو إلى صحبة نبي كامل، أو إمام معصوم، أو إلى صحبة من يكون على قدمهم، ونحن بعناية الله تعالى وحسن توفيقه قد وضعنا لك دائرتين معتبرتين، الأولى مشتملة على الآفاقي وما يتعلق به من العوالم صورة ومعنى، والثانية على الأنفسي وما يتعلق به من المراتب صورة ومعنى، وقد بينا فيهما مراتب الأنبياء والأقطاب والأقاليم والبروج والكواكب والأئمة والأوصياء على أحسن الوجوه، فخذ بقدر استعدادك منهما ما شئت فإنهما يعطيان لك ما أردت، وما ذلك على الله بعزيز.

ثم اعلم، أنه ليس كلامنا في هؤلاء الأئمة (ع) وتعيين مراتبهم وتحقيق منازلهم من حيث إنهم أجدادنا أو أئمتنا، بل من حيث إن في الواقع كذلك ويعلم هذا من سر عالم المثال وما فيه من العجائب.

وكلام ابن عباس رضي الله عنه: أن في تلك العوالم ابن عباس مثلي. ومن هذا قيل إن كل ماله وجود في العالم الحسّي هو في العالم المثالي دون العكس.

ولذلك قال أرباب الشهود: إن العالم الحسّي بالنسبة إلى العالم المثالي كحلقة ملقاة في ابتداء لا نهاية لها.

ومع ذلك إن لم تقبل قولنا مع هذه الدلائل كلها وتتوهّم أن هذا من قبيل العصبية والمذهب، فيجب عليك أن تعرف أن أكثر المشائخ من أرباب التصوف أشاروا إلى هذا كالشيخ الكامل سعد الدين الحموي قدّس الله سرّه في تصانيفه،

والشيخ الكامل صدر الدين القونوي قدس الله سره في تصانيفه، وكالشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي قدس الله روحه العزيزة فإنه ذكر في فتوحاته بعد تشكيل الأفلاك وشكل فلك الأطلس وفلك المكوكب وما عليه من الصور، وشكل أرض المحشر وشكل الجنة والنار وشكل الدنيا والآخرة، وشكل العالم كله، وشكل العرش والكرسي وما يتعلق بهما، شكل الفلك الأطلس والبروج والجنّات، وشجرة طوبى، وسطح الفلك المكوكب وعيّن فيه شكل البروج المذكورة وحصر كل واحدة منها بملك يكون قيام أهل الجنة بهم كما أن قيام أهل الدنيا بالبروج المعلومة وسيرانها، وقال: إن الشيعة من هذا قالوا بالأئمّة الإثني عشر، وما يشعرون أن الأئمة ليسوا (هؤلاء الملائكة)، بل الأئمة الاثنا عشر يأخذون منهم الفيض، وعلى جميع التقادير قال بهم ونسب قيام الدنيا إليهم كما نسب قيام الجنّة إلى تلك الملائك، والكل موافق لدعوانا، وأوّل ذلك الفصل وهو الفصل من المجلّد الخامس (١٦٦) قوله:

إعلم أن الله خلق في جوف هذا الكرسي الذي ذكرناه جسماً شفافاً مستديراً قسّمه اثني عشر قسماً سمّى الأقسام بروجاً وهي التي أقسم بها لنا في كتابه فقال:

﴿والسماء ذات البروج﴾ [سورة البروج: ١].

وأسكن كل برج منها ملكاً لأهل الجنة كالعناصر لأهل الدنيا فهم ما بين مائي وترابي وهوائي وناري وعن هؤلاء يتكوّن في الجنّات ما يتكون، ويستحيل فيها ما يستحيل ويفسد ما يفسد، أعني يفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهم، ومن هذا قالت الإمامية باثني عشر إماماً، فإن هؤلاء الملائكة أئمة العالم الذي تحت إحاطتهم، ومن كون هؤلاء الاثني عشر لا يتغيرون عن منازلهم لذلك قالت الإمامية بعصمة الأئمة، لكنهم لا يشعرون أن الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان وإذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل والقضاء، إلى قوله: وجعل لكل نائب من هؤلاء الأملاك الاثني عشر، في كل برج ملكه إياه ثلاثون خزانة تحتوي كل خزانة منها على علوم شتّى يهبون

---

(١٦٦) قوله: وأوّل ذلك الفصل الخ.

الفتوحات المكيّة ج ٣، ص ٤٣٣، عنوان الفصل هكذا: فصل ثالث في الفلك الأطلس والبروج والجنات وشجرة طوبى وسطح الفلك المكوكب.

منها لمن نزل بهم عن قدر ما تعطيه رتبة هذا النازل وهي الخزائن التي قال الله تعالى فيها:

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم﴾ [سورة الحجر: ٢١]. إلى قوله: والعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهية هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى الأرض، وجعل لهؤلاء الاثني عشر نظراً في الجنات وأهلها وما فيها مخلصاً من غير حجاب فما يظهر في الجنان من حكم هؤلاء الاثني عشر بنفوسهم تشريفاً لأهل الجنّة. فالشيعة يقولون إن هؤلاء الملائكة التي ذكر الشيخ، وهم أرواح هؤلاء الأئمة وملكوتها مطابقاً للملك وعالم الشهادة، والدنيا والآخرة قائمتان بهم وبأجدادهم الذي ورد فيه: لولاك لما خلقت الأفلاك[١٦٧].

---

(١٦٧) قوله: فالشّيعة يقولون إن هؤلاء الملائكة الّتي ذكر الشيخ، وهم أرواح هؤلاء الأئمّة إلى أن قال: الذي ورد فيه:

لولاك لما خلقت الأفلاك.

أقول: وهو حديث قدسيّ مشهور، وذكر محيي الدين بن عربي في الفتوحات ج ٢، ص ٣٠ (الطبعة الجديدة) بهذا التعبير:

إن الله يقول:

لولاك يا محمّد! ما خلقت سماءاً ولا أرضاً ولا جنّة ولا ناراً.

ونذكر هنا أحاديث في مضمونه مزيداً للفائدة:

(أ) روي في الأحاديث القدسيّة عن الله تعالى خطاباً لرسوله (ص): عبدي! خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي.

(ب) علل الشرائع ص ١٧٤، باب ١٣٩، الحديث ١، والبحار عن معاني الأخبار ص ١١، الحديث ١٣، ج ١٥ محمد بن علي الصدوق بإسناده عن محمّد بن حرب الهذلي عن الصادق (ع) قال:

إنّ محمّد وعليّاً كانا نوراً بين يدي الله قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لمّا رأت ذلك النور، رأت له أصلاً قد انشعب منه شعاع لامع، فقالوا: إلهنا وسيدنا: ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم:

هذا نور من نوري أصله نبوّة، وفرعه إمامة، أمّا النبوّة فلمحمّد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعلي حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي.

(ج) المحدّث الجليل الحر العاملي في كتابه الجواهر السنيّة ص ٢٢٦ عن الخوارزمي في كتابه المناقب بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من

روحه عطس آدم فقال: الحمد لله، فقال الله: حمدني عبد وعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: يا ربّ أيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا على العرش: لا إله إلاّ الله، محمّد نبيّ الرّحمة، وعليّ مقيم الحجّة الحديث.

(د) في كمال الدين للصدوق رحمه الله، الباب الثالث والعشرون في نصّ الله تبارك وتعالى على القائم (عج) ص ٣٦٧.

روى بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي (في حديث طويل) عن علي بن موسى الرّضا، عن آبائه (ع) عن النبيّ (ص)، قال: يا علي: لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنّة ولا النّار ولا السماء ولا الأرض الحديث.

(هـ) في عيون أخبار الرّضا (ع) للصدوق عليه الرحمة ج ١، ص ٣٠٧، الحديث ٦٧، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن مولانا الرضا (ع) في حديث في بيان المراد من الشجرة التي أكل منها آدم، قال: قلت للرضا (ع): يا بن رسول الله أخبرني عن الشجرة الّتي أكل منها آدم وحواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال (ع): يا أبا الصلت إن شجرة الجنّة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدّنيا وإن آدم لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله (ص)، وعلي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين، وزوجته سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم (ع): يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عز وجلّ:

هؤلاء من ذرّيتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنّار ولا السماء والأرض. الحديث.

أقول فراجع الحديث وتأمّل فيه بالدّقة والتحقيق وفيه معارف تنكشف لك إن شاء الله، منها، يعلم معنى تركه الأولى ومصداق ما هو الأولى وخلافه، ونظائر الحديث أيضاً كثيرة في الروايات.

(و) في البحار ج ١٥، ص ٢٩، الحديث ٤٨ عن كتاب الأنوار للشيخ أبي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني قدس الله روحيهما في حديث طويل عن أمير المؤمنين قال: قال الله تعالى (خطاباً للقلم): يا قلم فلولاه ما خلقت خلقي إلاّ لأجله فهو بشير ونذير، وشفيع وحبيب، فعند ذلك انشق القلم من حلاوة ذكر محمد (ص) الحديث.

(ز) قال القاضي نظام الدين المتوفى ٦٧٨ خلال قصيدته:

لأجل جدكم الأفلاك قد خلقت ... لولاه ما اقتضت الأقدار تكوينا

قال العلامة الأميني صاحب الغدير في كتابه الغدير ج ٥، ص ٤٣٥، بعد ذكره الشعر المذكور: أشار إلى ما أخرجه الحاكم وصحّحه في (المستدرك) ٢ ص ٦١٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما

وههنا أبحاث ستعرفها عند بحث النبوة، والرسالة والولاية، والغرض حاصل بهذا المقدار وإذا تحقّقت هذه الضابطة الكلية، فارجع بجميع قلبك وخاطرك إلى مطالعة الدائرتين المذكورتين المعبّر عنهما بالدائرة الآفاقية والأنفسية اللّتين هذه صورتهما(١٦٨):

قال: أوحى الله إلى عيسى (ع):

يا عيسى! آمن بمحمّد وأمر من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولا محمّد ما خلقت الجنّة والنّار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، فسكن.

وذكره السبكي في (شفاء السقام) ص ١٢١، وكذلك الزرقاني في شرح المواهب ١، ص ٤٤.

وأخرج الحاكم بعده حديثاً، ولفظه:

قال رسول الله (ص): لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ! أسألك بحق محمد لمّا غفرت لي، فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب! لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك فقال الله:

صدقت يا آدم إنّه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك.

وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوّة) والطبراني في المعجم الصغير، والسمهودي في وفاء الوفاء ص ٤١٩، والقسطلاني في المواهب اللدنيّة، والزرقاني في شرحه ١، ص٤٤، والعزامي في فرقان القرآن ص ١١٧.

(١٦٨) قوله: فارجع بجميع قلبك وخاطرك إلى مطالعة الدائرتين المذكورتين المعبّرتين عنهما بالدائرة الآفاقيّة والأنفسيّة.

أقول: لمّا كانت القراءة والمطالعة مشكلة أو صعبة نقدّم لكم متن الدائرتين زيادة في الفائدة وسهولة في القراءة والمطالعة، والمتن هكذا:

هذه صورة الدائرة الآفاقيّة تطبيقاً بالأقطاب والأئمّة، صورة ومعنًى بحكم قوله تعالى:

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحق أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد الآية﴾ [سورة فصّلت، الآية: ٥٣].

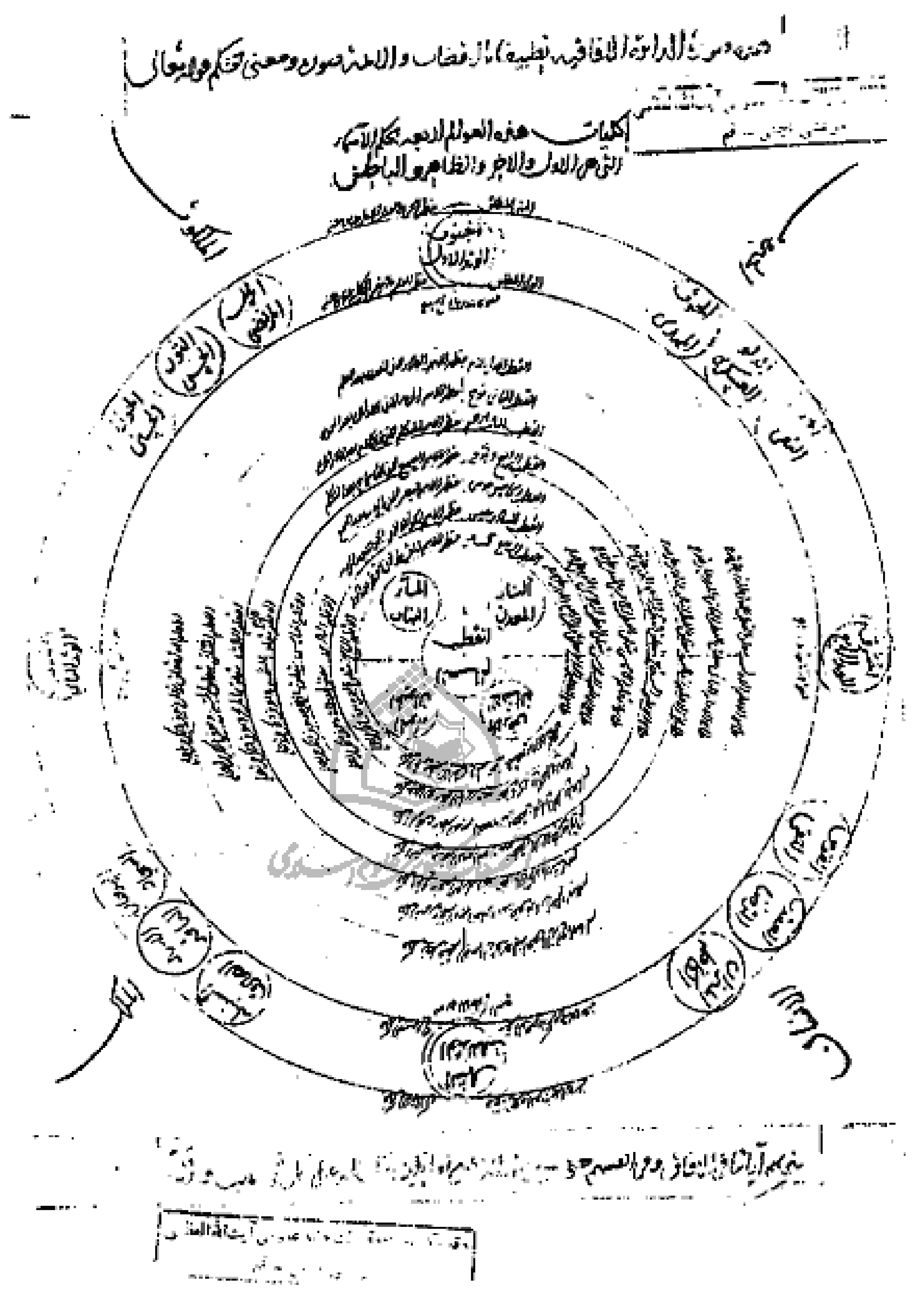
كلّيات هذه العوالم أربعة:

(الجبروت، الملكوت، الإنسان، الملك) بحكم الأسماء الّتي هي: الأوّل، والآخر، والظّاهر، والباطن.

القطب = العالم، الأرض = الإنسان، الهواء = الحيوان، الماء = النّبات، النّار = المعدن.

الجنوب = الوتد الأوّل، الشّمال = الوتد الثّالث، المشرق = الوتد الرّابع، المغرب = الوتد الثاني.

الحمل = المرتضى، الثّور = الحسن، الجوزاء = الحسين، السّرطان = السّجّاد، الأسد = الباقر، السنبلة = الصّادق، الميزان = الكاظم، العقرب = الرّضا، القوس = التّقي، الجدي = النّقي، الدّلو =



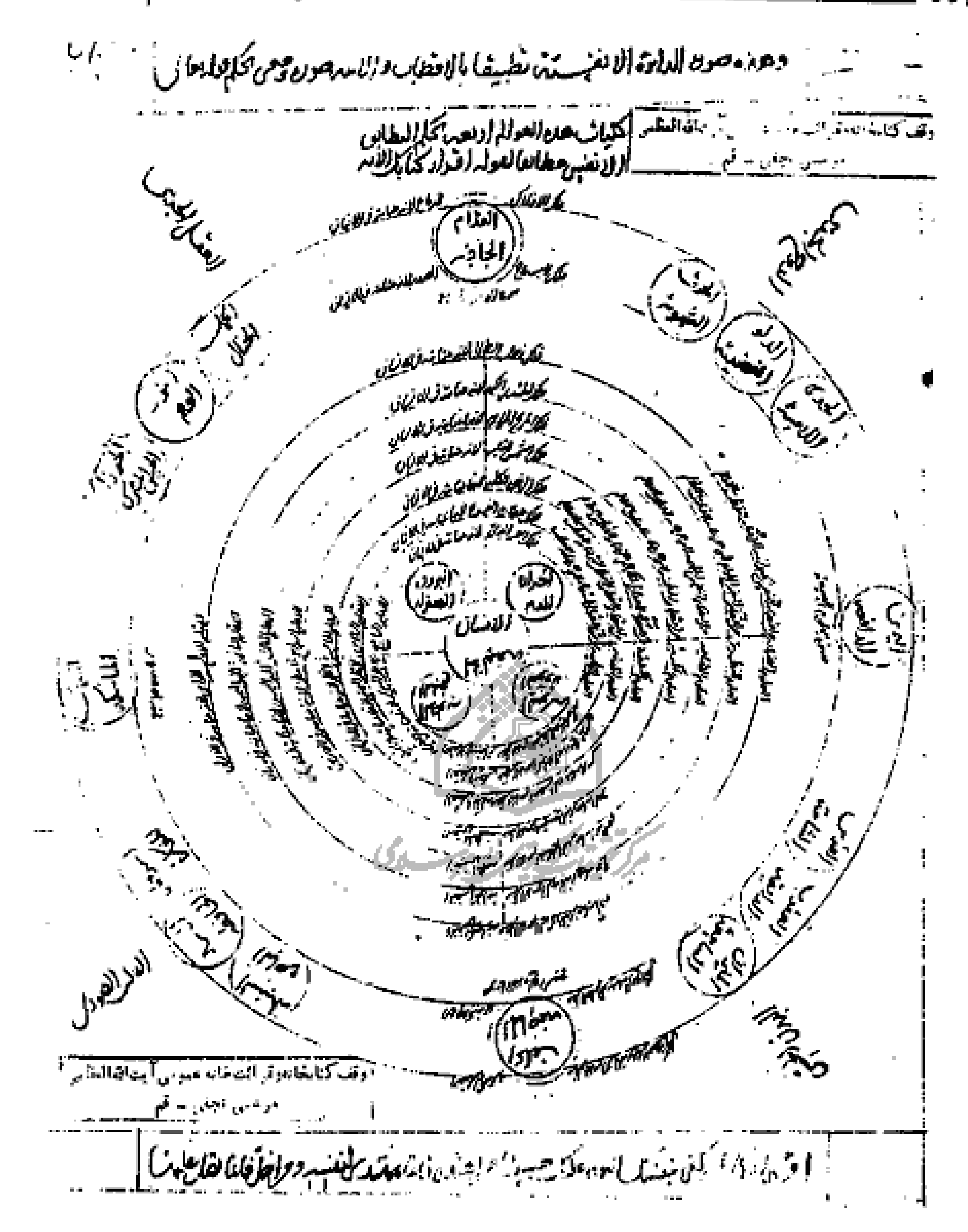
العسكري، الحوت ≡ المهدي.

النبيّ المطلق: مظهر الحيّ، والعقل الأوّل عبارة عنه.

الوليّ المطلق: مظهر العلم، والنّفس الكلّيّة عبارة عنه.

صورة الأقطاب السبعة:

القطب الأوّل: آدم مظهر الاسم القادر لأنّ القدرة بعد العلم.



القطب الثّاني: نوح مظهر الاسم المريد لأن الإرادة بعد القدرة.
القطب الثّالث: إبراهيم مظهر الاسم المتكلّم لأن الكلام بعد الإرادة.
القطب الرابع: داود مظهر الاسم السّميع لأنّ الاستماع بعد التكلّم.
القطب الخامس: موسى مظهر الاسم البصير لأنّ الرّؤية بعد السّمع.
القطب السّادس: عيسى مظهر الاسم الجواد لأنّ الجود بعد الرّؤية.

القطب السّابع: محمّد مظهر الاسم المقسط لأنّ القسط بعد الجود.
صورة الطوائف السّبعة:
طائفة الإقليم الأوّل يتعلّق بالقطب الأوّل والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم الثّاني يتعلّق بالقطب الثّاني والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم الثّالث يتعلّق بالقطب الثّالث والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم الرّابع يتعلّق بالقطب الرّابع والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم الخامس يتعلّق بالقطب الخامس والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم السّادس يتعلّق بالقطب السّادس والّذي على قدمه.
طائفة الإقليم السّابع يتعلّق بالقطب السّابع والّذي على قدمه.
فلك الأفلاك مظهر الرّحمن والعرش عبارة عنه.
فلك البروج مظهر الرّحيم والكرسي عبارة عنه.
صورة الأفلاك السّبعة:
فلك زحل، مظهر الاسم الرّازق ولهذا خصّ بالزّارع وأمثالهم.
فلك المشتري، مظهر الاسم العليم ولهذا خصّ بأرباب العلم وأمثالهم.
فلك المريخ، مظهر القهّار ولهذا خصّ بالأمراء وأشباههم.
فلك الشّمس، مظهر الاسم النّور ولهذا خصّ بالسّلاطين وأقرانهم.
فلك الزّهرة، مظهر الاسم المصوّر ولهذا خصّ بأرباب الطرب وأمثالهم.
فلك عطارد، مظهر الباري ولهذا خصّ بالحساب والكتاب، وأمثالهم.
فلك القمر، مظهر الخالق ولهذا خصّ بالتّصوير والأشكال.
صورة الأقاليم السّبعة:
الإقليم الأوّل، يتعلّق بزحل ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم الثّاني، يتعلّق بالمشتري ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم الثّالث، يتعلّق بالمريخ ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم الرّابع، يتعلّق بالشّمس ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم الخامس، يتعلّق بالزّهرة ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم السّادس، يتعلّق بعطارد ويعرف ذلك من أهله.
الإقليم السّابع، يتعلّق بالقمر ويعرف ذلك من أهله.
وهذه صورة الدائرة الأنفسيّة تطبيقاً بالأقطاب والأئمّة صورةً ومعنىً بحكم قوله تعالى:
﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٤].
كلّيّات هذه العوالم أربع: بحكم التطابق الأنفسي مطابقاً لقوله: **﴿اقرأ كتابك الآية﴾**
(الرّوح الجزئي، العقل الجزئي، القلب الصوري، البدن الحسّي).

الخليفة ≡ الإنسان، الحرارة ≡ الدم، البرودة ≡ الصّفراء، الرّطوبة ≡ البلغم، اليبوسة ≡ السّوداء.
القدّام ≡ الجاذبة، الشمال ≡ الماسكة، الخلف ≡ الهاضمة، الميمين ≡ الدافعة.
الحمل ≡ الخيال، الثّور ≡ الوهم، الجوزاء ≡ الحسّ المشترك.
السّرطان ≡ المفكّرة، الأسد ≡ الحافظة، السّنبلة ≡ الباصرة، الميزان ≡ السّامعة، العقرب ≡ الذّائقة، القوس ≡ الشّامّة، الجدي ≡ اللاّمسة، الدّلو ≡ الغضبيّة، الحوت ≡ الشّهويّة.
فلك الأفلاك: الدّماغ لأنّه بمثابته في الإنسان.
فلك البروج: الصّدر لأنّه بمثابته في الإنسان.
صورة الأفلاك السّبعة:
فلك زحل: الطّحال لأنّه بمثابته في الإنسان.
فلك المشتري: الكبد لأنّه بمثابته في الإنسان.
فلك المريخ: المرارة لأنّها بمثابته في الإنسان.
فلك الشّمس: القلب لأنّه بمثابته في الإنسان.
فلك الزّهرة: الكلية لأنّها بمثابته في الإنسان.
فلك عطارد: الفرج لأنّه بمثابته في الإنسان.
فلك القمر. . . . لأنّه بمثابته في الإنسان.
صورة الأقاليم السّبعة:
الإقليم الأوّل: الرأس لأنّه بمثابته في الإنسان.
الإقليم الثّاني اليد اليمنى لأنّها بمثابته في الإنسان.
الإقليم الثّالث اليد اليسرى لأنّها بمثابته في الإنسان.
الإقليم الرّابع البطن لأنّه بمثابته في الإنسان.
الإقليم الخامس الظهر لأنّه بمثابته في الإنسان.
الإقليم السّادس الرّجل اليمنىٰ لأنّها بمثابته في الإنسان.
الإقليم السّابع الرّجل اليسرىٰ لأنّها بمثابته في الإنسان.
العقل الجزئي مظهر الاسم الحيّ الذي بمثابته العقل الكلي.
الرّوح الجزئي مظهر العليم الّذي بمثابته الرّوح الكلّي.
صورة الأرواح السّبعة:
النّفس الحيوانيّة مظهر الاسم القادر الّذي بمثابة آدم.
النّفس اللوامة مظهر الاسم المريد الّذي بمثابة نوح.
النّفس الملهمة مظهر الاسم المتكلّم الّذي بمثابة إبراهيم.
النّفس المطمئنّة مظهر الاسم السّميع الّذي بمثابة داود.
العقل بالملكة مظهر الاسم البصير الّذي بمثابة موسى.
العقل بالفعل مظهر الاسم الجواد الّذي بمثابة عيسى.

(الأحاديث الواردة فيهم وعددهم وأسمائهم (ع))

هذا آخر ما أردنا بيانه في هذه الدوائر والجداول من بحث الأقطاب السبعة والأئمة الاثني عشر عقلاً وحسّاً وكشفاً وشهوداً.

وأما من حيث النقل الوارد فيهم اسماً وكنية وعدداً وغير ذلك من الدلالات والعلامات الدالة على فضيلتهم، فالذي روى عن النبي (ص) أنّه قال لابنه الحسين بن علي (ع):

«إن ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم حجّة ابن حجّة أخو حجّة أبو حجج تسع»(١٦٩).

وروي عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه بالاسناد الصحيح البالغ حدّ التواتر أنه قال:

كنت بين يدي رسول الله (ص) وهو مريض، فدخلت علينا فاطمة (ع)، فبكت وقالت: يا رسول الله! أخشى الضّيعة بعدك، فقال: يا فاطمة: أما علمت أن

العقل المستفاد مظهر الاسم المقسط الّذي بمثابة محمّد.

صورة العلوم السّبعة:

العلوم الضّروريّة من اقتضاء النّفس الحيوانيّة التي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم النّظريّة من اقتضاء النفس اللوّامة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الإلهاميّة من اقتضاء النّفس الملهمة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الحكميّة من اقتضاء (النفس) المطمئنّة الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم اللدنيّة من اقتضاء العقل بالفعل الّتي هي بمثابة القطب في العالم.

العلوم الإلهيّة من اقتضاء العقل المستفاد الّتي هي بمثابة القطب.

(١٦٩) قوله: روي عن النبي (ص) أنّه قال لابنه الحسين بن علي (ع).

أقول: اعلم أن تنصيص رسول الله (ص) بأن خلفاءه وأوصياءه بعده اثنا عشرة، وأنّهم عليّ بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وتسعة من ذرّيّة الحسين (ع)، وتنصيصه أيضاً بأسمائهم (ع) كلّها، أمر معروف بين الفريقين ورووه متواتراً بإسناد كثيرة وبألفاظ مختلفة، وإن شئت فلاحظ:

كتاب بحار الأنوار ج ٣، باب ٨، ص ٢٤٩ باب أن الأئمّة من ذرّيّة الحسين (ع)، وأيضاً فيه ج ٣٦ أبواب ٤٠ ـ ٤٨، ص ١٩٢ ـ ٤١٨.

وكتاب إحقاق الحقّ وملحقاته مجلد ٥، ص٣٢ ـ ٣٨ وأيضاً ج ٤، ص ٨٧ ـ ٨٠، وأيضاً ج ١٣، ص ١ ـ ٧٤.

الله حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله اطلع على الأرض فاختار منها أباك، ثم اطلع ثانياً واختار منها زوجك وأمرني أن أتّخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمّتي، فأبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهل بيتي، ثم أطلع ثالثة فأختارك وولدك، وأنت سيّدة النساء، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وابنا بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، والأوصياء بعدي علي والحسن والحسين ثم تسعة من ولد الحسين(١٧٠).

وروي عن جابر بن عبد اللّه أيضاً أنه قال(١٧١): لمّا نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (ص): هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين بعدي أوّلهم علي بن أبي طالب

---

(١٧٠) قوله: وروي عن سلمان الفارسي (رض).
رواه الصدوق في كتابه كمال الدين، الباب الرابع والعشرون الحديث ١٠، ص ٣٧٧، ج ١.

(١٧١) قوله: وروي عن جابر بن عبد الله أيضاً.
رواه الصدوق (رض) في كتابه كمال الدين ج ١ الباب الثالث والعشرون الحديث ٣، ص ٣٦٥ بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه (ص):
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩].
قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (ع):
هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثمّ الحسن و(ثمّ) الحسين وعلي بن الحسين ثمّ محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله - تعالىٰ ذكره - على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبته (غيبة)، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.
قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال (ص) أي والّذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب يا جابر، هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلّا عن أهله. الحديث.
رواه أيضاً المجلسي في البحار ج ٣٦، باب ٤١ باب نصوص الرسول (ص) على الأئمّة (ع) ص ٢٤٩ فراجع الباب ففيه أحاديث كثيرة.

ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عدّ تسعة من ولد الحسين بأسمائهم. والأخبار في ذلك كثيرة، هذا بالنسبة إليهم مجموعهم، بقدر هذا المقام.

فأما بالنسبة إلى أمير المؤمنين خاصّة فأوّل ذلك ما رواه أخطب خوارزم عن ابن عباس قال (١٧٢):

قال رسول الله (ص): لو أن الرّياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حساب والإنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

ومن وصفه النبي بمثل ذلك كيف يمكن التعبير عن وصف فضائله.

وقال بعض الفضلاء، وقد سئل عن فضائله (ع) فقال: ما أقول في شخص أخفى أعداؤه فضائله حسداً له، وأخفى أولياؤه فضائله خوفاً وحذراً، وظهر فيما بين هذين فضائل طبقت الشّرق والغرب.

وروى أخطب خوارزم عن جابر أنه قال (١٧٣):

---

(١٧٢) قوله: فأوّل ذلك ما رواه أخطب خوارزم الخ.

انظر في مصادر الحديث بأسانيد مختلفة وبعبارات متفرقة إحقاق الحق وملحقاته ج ٤، ص ٣٨٩ الحديث الأوّل من الأحاديث الجامعة وفيه: وفي كتاب أنوار إرشاد الأمّة (مخطوط) ما لفظه: قال الشافعي:

يقولون لي قل في عليّ مدائحاً ... فإن أنا لم أفعل يقولوا معاند

إلى أن قال:

فلو أن ماء السبعة الأبحر الّتي ... خلقن مداداً والسماوات كاغد

وأشجار أرض الله أقلام كاتب ... إذا الخط أفناهن عدن عوائد

وكان جميع الجنّ والإنس كتبا ... إذا كلّ منهم واحد قام واحد

وراموا جميعاً منقبا اثر منقب ... لما خط من تلك المناقب واحد

وقال العوفي:

ولو كانت الأجام كلّ بأسرها ... تقطع أقلاماً وتبرى وتحضر

وكانت سماء الله والأرض كاغذاً ... وكانت بأمر الله تطوى وتنشر

وكان جميع الإنس والجنّ كتباً ... وكان مداد القوم سبعة أبحر

لكلت أياديهم وغار مدادهم ... ولم يعط عشر العشر من فضل حيدر

فلاحظ أيضاً فيه ج ١٥، ص ٦٠٩ الحديث الثاني.

(١٧٣) قوله: وروى أخطب خوارزم عن جابر الخ.

قال رسول الله (ص): إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع لفضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي التبسها بالنظر، ثم قال النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه.

وهذا على سبيل الإجمال فيه وفيهم (ع).

وأما على سبيل التفصيل فقد ذكر الشيخ الأعظم جمال الدين بن المطهّر قدّس الله روحه العزيز في كتاب السلطان الموسوم بكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، فصلاً جامعاً مشتملاً على فضل كل واحد واحد منهم وهو مناسب بهذا المقام نذكره ونختم عليه هذا البحث وهذه المقدمة بأسرها، وهو هذا:

(مذهب الشيعة مأخوذ عن الأئمة المعصومين (ع))

إعلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن الأئمة المعصومين المشهورين بالفضل والعلم والزهد والورع، والاشتغال في كل وقت بالعبادة والدعاء وتلاوة القرآن، والمداومة على ذلك، من الطفولة إلى آخر العمر الذين وردت فيهم آية الطهارة، والعصمة، وآية الابتهال، وآية الإمارة للمسلمين، وآية إيجاب المودة لهم[١٧٤].

انظر في مصادر الحديث كتاب إحقاق الحقّ وملحقاته ج ٥، ص ١٢٩، الحديث التاسع عشر والمائة وج ١٥، ص ٦٠٧، الفصل الثالث في مستدرك الأحاديث الجامعة، الحديث الأوّل.

(١٧٤) قوله: ورد فيهم آية الطهارة والعصمة وآية الابتهال، وآية إيجاب المودّة لهم.

أقول: وأمّا آية الطّهارة في سورة الأحزاب الكريمة ٣٣: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.

وأمّا الآية الكريمة العصمة ولعلّ المقصود منها الآية الكريمة ١٢٤ من سورة البقرة:

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.

وأمّا الآية الكريمة الابتهال: في سورة آل عمران ٦١:

﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فتجعل لعنة الله على الكاذبين﴾.

....

وأمّا الآية الامارة للمسلمين: في سورة النّساء ٥٩:

﴿يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾.

وأمّا الآية إيجاب المودة لهم وهي في سورة الشورى ٢٣:

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ الآية﴾.

أقول: دلالة الآية: قال لا ينال عهدي الظالمين، على العصمة في الإمام ظاهر، لأنّ الظلم صادق على المعصية وارتكاب المحرّم ولو كان صغيراً وبما أنّ العاصي ظالم لنفسه، لقوله تعالى:

﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣١].

﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ [سورة الطلاق، الآية: ١].

وتدلّ أيضاً بأنّ الإمامة العهدية المجعولة من قبل الله تعالى لا توجد في غير ذرّيّة إبراهيم (ع)، لأنّ الله تعالى ينفي الإمامة عن الظالمين من الذريّة، كأنّه يقول: إن الإمامة توجد، وتجعل فيهم فقط وهم الّذين ينالون بهذا المقام الشريف اختصاصاً ولكن للمعصومين منهم لا الظّالمين منهم، فعلى هذا لا يوجد المعصوم في غيرهم أيضاً فلا يوجد الإمام العهدي في غير الذريّة.

وأعني من الإمام العهدي الّذي يكون واسطة بينه وبين خلقه في بيان شرعه وأحكامه تعالى، وهذا هو الّذي يشترط فيه العصمة حتّى عن النسيان والسهو مثل النبيّ (ص) لأن الملاك واحد، لأنّه لولا العصمة ولولا كون الإمام معصوماً لن يحصل الاعتماد بقوله بأنه قول الله تبارك وتعالى، وهذا بيّن وضروريّ بالعقل والوجدان، وهذا هو مراد النبيّ (ص).في حقّ السبطين الحسن والحسين (ع) في قوله: إن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

ونذكر ها هنا أحاديث فيها بيان لحقائق كثيرة في فضل الإمامة وحقيقتها ومعارف عميقة أخرى تطلب التأمل والتعمّق جداً وبياناً وتوضيحاً تفصيلاً ولكن ليس هنا موضعه ولا تغفل فانظر فيها نظرة مع البصيرة حتى ينكشف لك عناية من الله سبحانه وتعالى ونوراً إلهياً وولاية ربّانيّة إن شاء الله، وأمّا الأحاديث:

(أ) روى محمد بن يعقوب الكليني في أُصول الكافي ج ١، ص ١٧٥، الحديث ٢ بإسناده عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إنّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: إنّي جاعلك للنّاس إماماً، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ومن ذرّيّتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين. قال: لا يكون السفيه إمام التقيّ.

(ب) الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٣٨٨ بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا: يا رسول الله وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم: إنّي جاعلك للنّاس إماماً، فاستخف إبراهيم الفرح فقال:

يا ربّ ومن ذرّيتي أئمة مثلي؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم إنّي لاأعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا ربّ ما العهد الّذي لا تفي له به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذرّيّتك، قال: يا ربّ ومن الظالم من ولدي الّذي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصح أن يكون إماماً، قال إبراهيم: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، ربّ إنّهن أضللن كثيراً من الناس، قال النبيّ (ص) فانتهت الدعوة إليّ وإلى أخي عليّ لم يسجد أحد منّا لصنم قط، فاتّخذني الله نبياً وعلياً وصيّاً.

(جـ) الكليني (رض) في أصول الكافي ج ١، ص ١٩٨، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته الحديث الأوّل بإسناده عن عبد العزيز بن مسلم، وأيضاً الصدوق (رض) في عيون أخبار الرضا (ع) ج ١، ص ٢١٦، باب ٢٠، باب ما جاء عن الرضا (ع) في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته، الحديث الأوّل بإسناده عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا في أيّام علي بن موسى الرضا (ع) بمرو، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم الجمعة في بدء مقدمنا فإذا رأى الناس (فأداروا) أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي ومولاي الرضا (ع)، فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسّم (ع)، ثمّ قال: يا عبد العزيز! جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه (ص) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام. وجميع ما يحتاج إليه كملا، فقال عزّ وجلّ:

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨].

وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره (ص):

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣].

وأمر الإمامة من تمام الدّين، ولم يمض (ص) حتّى بين لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد الحق (على قصد سبيل الحق)، وأقام لهم علياً (ع) علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه، فمن زعم أن الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه، فقد ردّ كتاب الله عزّ وجلّ، ومن ردّ كتاب الله تعالى فهو كافر (به).

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم؟.

إنّ الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله (عزّ وجلّ) بها إبراهيم الخليل (ع) بعد النبوّة والخلّة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال:

«إني جاعلك للنّاس إماماً» فقال الخليل سروراً بها: «ومن ذرّيتي» قال الله عزّ وجلّ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٤].

فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة.

ثم أكرمه الله عزّ وجل بأن جعلها في ذرّيته أهل الصفوة والطهارة، فقال عزّ وجلّ:
﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [سورة الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣].
فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً حتّى ورّثها (الله تعالى) النبيّ (ص) فقال الله عزّ وجلّ:
﴿إن أولى النّاس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٨].
فكانت له خاصّة فقلّدها (ص) عليّاً (ع) بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرضها الله عزّ وجلّ، فصارت في ذرّيته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ:
﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٦].
فهي في ولد عليّ (ع) خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟
إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وارث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (ص) ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين (ع).
إنّ الإمامة زمام الّدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين.
إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.
الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة.
الإمام كالشمس الطالعة للعالم (المجلّلة بنورها للعالم) وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.
الإمام البدر المنير، والسراج الزّاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي، في غياهب الدجى، والبيد القفار (وأجواز البلدان والقفار)، ولجج البحار.
الإمام الماء العذب على الظماء، والدالّ على الهدى والمنجي من الردى.
الإمام النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به، والدليل في المهالك، مَن فارقه فهالك.
الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، (والسماء الظليلة)، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.
الإمام الأمين (الأنيس) الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، (والأمّ البرّة بالولد الصغير)، ومفزع العباد في الداهية (النّاد).
الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب، المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، مرسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.
الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل، ولا له نظير، مخصوص بالفعل (بالفضل) كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهّاب.
فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسرت (خسئت) العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، فأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف له (بكلّه) أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقام مقامه ويغني غناه، لا، كيف وأنّى؟ وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟.
أظنّوا أن يوجد ذلك «أتظنّون أنّ ذلك يوجد» في غير آل الرّسول (ص)؟ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الباطل «الأباطيل»، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً،
﴿قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٠].
(و) لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً و،
﴿ضلّوا ضلالاً بعيداً﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٧].
ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة،
﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٣٨].
ورغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم:
﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون﴾ [سورة القصص، الآية: ٦٨].
وقال عزّ وجلّ:
﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦].
وقال عزّ وجلّ:
﴿ما لكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون. إنّ لكم فيه لما تخيّرون. أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون. سلهم أيّهم بذلك زعيم. أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ [سورة القلم، الآية: ٣٦ ـ ٤١].
وقال عز وجلّ:

﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [سورة محمد (ص)، الآية: ٢٤]، أم ﴿طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [سورة التوبة، الآية: ٨٧]، أم ﴿قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شرّ الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢١ - ٢٣]، ﴿وقالوا سمعنا وعصينا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٩٣]، بل هو ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢١]. فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، (و) راع لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول (ص)، وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، فالنسب (فالبيت) (في البيت) من قريش والذروة من هاشم، والعترة من آل الرسول، والرضا من الله عزّ وجلّ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزّ وجلّ، ناصح لعباد الله، إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم (الزمان) في قوله تعالى:

﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ [سورة يونس، الآية: ٣٥].

وقوله عزّ وجلّ:

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩].

وقوله عزّ وجلّ في طالوت:

﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٧].

وقال عز وجلّ لنبيه (ص):

﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٣].

وقال عز وجل في الأئمة من أهل بيته (بيت نبيّه) وعترته وذريته: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً. فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنّم سعيراً﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٤ - ٥٥]. وإن العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمور عباده شرح الله صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحيد (يحير) فيه عن الصواب، وهو معصوم مؤيد موفّق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا؟ فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه «فيقدمونه»؟ تعدّوا، وبيت الله، الحق ونبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقّتهم وأتعسهم فقال عزّ وجلّ:

فأولهم علي بن أبي طالب (ع) الذي كان أفضل الخلق بعد رسول الله (ص)، وجعله الله تعالى نفس رسوله حيث قال:

﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ [سورة آل عمران: ٦١].

وواخاه الرسول (ص)، ثم جعله خليفة في حياته وبعد وفاته، وزوّجه ابنته فاطمة (ع)، وظهرت عنه معجزات كثيرة وكرامات جمّة حتى أدّعىٰ قوم فيه الربوبية، وصار إلى مقالتهم آخرون إلى هذه الغاية كالغلاة والنصيريّة والإسماعيلية.

وثانيهم وثالثهم، الحسن والحسين (ع) اللّذان كانا ولديه وسبطي رسول الله (ص)، وسيّدي شباب أهل الجنّة، وإمامين معصومين بنصّ النبيّ (ص) لقوله:

«هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا» [قد أشرنا إليه في التعليقة ١١٠ فراجع] وكانا أزهد الناس وأعلمهم في زمانهم، وجاهدا في سبيل الله حتى قتلا، وكان الحسن (ع) يلبس الصوف تحت ثيابه الفاخرة من غير أن يشعر أحد بذلك، وأخذ النبي (ص) يوماً الحسين على فخذه الأيمن، وولده إبراهيم على فخذه الأيسر، فنزل عليه جبرائيل وقال:

قال الله تعالى: لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما، فقال إذا مات الحسين بكى عليه أنا وعلي وفاطمة، وإذا مات إبراهيم بكيت أنا عليه، فأختار موت إبراهيم، فمات بعد ثلاثة أيام، وكان إذا جاء الحسين بعد ذلك يقبله ويقول: أهلاً ومرحباً بمن فديته بابني إبراهيم(١٧٥).

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة القصص، الآية: ٥٠].

وقال عزّ وجلّ:

﴿فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم﴾ [سورة محمّد (ص)، الآية: ٨].

وقال عزّ وجلّ:

﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار﴾ [سورة المؤمن، الآية: ٣٥].

(١٧٥) قوله: ويقول (ص): أهلاً ومرحباً بمن فديته بابني إبراهيم.

ورابعهم، علي بن الحسين زين العابدين (ع)، وكان يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويتلو الكتاب العزيز، ويصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، ويدعو بعد كل ركعتين بالأدعية المنقولة عنه وعن آبائه (ع)، ثم يرمي الصحيفة كالمتضجر ويقول: أنّى لي بعبادة عليّ (١٧٦).

وكان كثير البكاء حتى أخذت الدموع من لحم خدّيه (١٧٧)، وسجد حتى

ذكره العلامة الحلّي (ره) في منهاج الكرامة ص ١٥، وراجع مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج ٣، ص ٢٣٤، ونقل عنه المجلسي في البحار ج ٢٢، ص ١٥٣، الحديث ٧، ونقل الحديث أيضاً عن الطرائف ص ٥٢ نقلاً عن الجمع بين الصحاح الستة عن سفيان، وانظر أيضاً إحقاق الحق ج ١١، ص ٦ ـ ٣١٥ رواه عن مناقب الكاشي ص ٢٣٩ (مخطوط) نقلاً عن الحنبلي في غاية السؤال.

والحديث على ما في البحار نقلاً عن المناقب هكذا:

المناقب عن تفسير النقّاش بإسناده عن سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كنت عند النبي (ص) وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن عليّ، وهو تارة يقبل هذا، وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرائيل بوحي من ربّ العالمين، فلما سرى عنه قال: أتاني جبرائيل من ربّي فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرأ عليك السلام ويقول: لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي (ص) إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، وقال: إن إبراهيم أمّه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة، وأبوه عليّ ابن عمّي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي، وحزن ابن عمّي، وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما يا جبرائيل يقبض إبراهيم فديته للحسين، قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي (ص) إذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم.

(١٧٦) قوله: وكان يصوم نهاره ويقوم ليله إلى أن قال: أنّى لي بعبادة علي (ع)، الخ.

روى المفيد (ره) في الإرشاد ص ٢٥٦، بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال: كان علي بن الحسين (ع) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة.

وروى أيضاً في المصدر بإسناده عن سعيد بن كلثوم عن الصادق (ع) قال: ولقد دخل أبو جعفر ابنه (ع) عليه، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فقال أبو جعفر (ع) فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة عليه وإذا هو يفكّر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، وقال يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب (ع) فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال من يقوى على عبادة علي (ع).

(١٧٧) قوله: وكان كثير البكاء.. الخ.

سمّي ذا الثفنات (١٧٨)، وسمّاه رسول الله (ص) سيد العابدين (١٧٩). وكان قد حجّ هشام بن عبد الملك فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه الزّحام، فجاء زين العابدين فوقف الناس له وتنحّوا عن الحجر حتى استلمه، ولم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام من هذا، فقال الفرزدق الشاعر:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحلّ والحرم

روى الصدوق (ره) في الخصال باب الخمسة الحديث ١٥، ص ٣٧٢ بسند وفي أماليه ص ١٢١، الحديث ٥ من المجلس التاسع والعشرين بسند آخر بإسناده في الطريقين عن محمد بن سهل البحراني مرفوعاً عن الصادق (ع) قال: البكّاؤن خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد (ص) وعليّ بن الحسين (ع) إلى أن قال: وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين (ع) عشرين سنة أو أربعين سنة «الترديد من الراوي» ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٦]. إني ما (لم) أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة.

(١٧٨) قوله: وسجد حتى سمّي ذا الثفنات... الخ.

الصدوق في علل الشرائع ج ١، باب ١٦٧، الحديث ١، ص ٢٣٣ بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه، عن آبائه، عن محمد بن علي الباقر (ع) قال: كان لأبي (ع) في موضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثفنات، فسمّي ذا الثفنات لذلك.

(١٧٩) قوله: وسماه رسول الله (ص) سيّد العابدين.

في علل الشرائع للصدوق (ره) ج ١، باب ١٦٥، الحديث ١، ص ٣٢٩ بإسناده عن ابن عباس، عن رسول الله (ص) قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف.

وروى الصدوق أيضاً في كمال الدين باب ٢٤، الحديث ٣، ص ٣٧١ بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق (ع) عن أبيه، عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) قال: حدثني جبرائيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنه قال: من علم أنه لا إله إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن عليّ بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنّة برحمتي إلى أن قال: فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمة من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمّد بن علي وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم التقيّ محمد بن علي، ثم النقي علي بن محمّد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً الحديث.

هـذا ابـن خيـر عـبـاد اللّه كـلهـم — هـذا التّقي النّقي الطّاهـر العلم
يـكـاد يمسكـه عـرفـان راحتـه — ركن الحـطيم إذا مـا جـاء يستلم
إذا رأتـه قـريش قـال قـائـلهـا — إلى مكـارم هـذا ينتهي الكـرم
إن عُـدّ أهـل التّقى كـانـوا أئمتهم — أو قيل من خير أهـل الأرض قيل هم
هـذا ابن فـاطمـة إن كنت جـاهله — بجـده أنـبـيـاء الله قـد ختـمـوا
(وليس قـولك من هـذا بضـائـره — العـرب تعرف من أنكـرت والعجم)
يغضى حيـاءً ويغضى من مـهـابتـه — فـمـا يكـلّم إلا حيـن يبـتـسـم
ينشق نـور الهـدى عن صبح غـرّتـه — كالشمس تنجاب عن إشراقها الظّلم
مـشـتقـة من رسـول اللّه نـبـعتـه — طـابت عنـاصـره والخيم والشيم
اللّه فـضّلـه قـدمـاً وشـرّفـه — جـرى بـذاك لـه في لـوحـة القلم
من معشـر حبّهم دين وبغـضهم — كـفـر وقـربهم ملجـا ومعتصم
لا يستـطيـع جـواد بعـد غـايتهم — ولا يـدانيـهـم قـوم وإن كـرمـوا
هـم الغيـوث إذا مـا أزمـة أزمت — والأسـد أسد الشرى والرأي محتدم
لا ينقص العسـر بسـطاً من أكفّهـم — سيّـان ذلك إن أثروا وإن عـدمـوا
مـا قـال لا قط إلا في تـشـهـده — لـولا التشـهـد كـانـت لاءَه نـعـم
يستـدفـع السّـوء والبلوى بحـبّهـم — ويستـرب بـه الإحسـان والنـعـم
مـقـدّم بعـد ذكـر اللّه ذكـرهـم — في كـلّ بـدء ومختـوم بـه الكـلم
من يعـرف اللّه يعـرف أوليـة ذا — فـالـدين من بيت هـذا نـالـه الأمم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بين مكّة والمدينة، فبعث إليه الإمام زين العابدين (ع) ألف دينار فردّها وقال: إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله فما أخذ عليه أجراً، فقال علي بن الحسين (ع): نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا فقبلها الفرزدق[١٨٠].

---

(١٨٠) قوله: وكان قد حج هشام بن عبد الملك إلى أن قال: فقال علي بن الحسين (ع): نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا فقبلها الفرزدق.

أقول: هذا هو ما جرى بين الفرزدق وهشام بن عبد الملك في تعريف الإمام المعصوم علي بن الحسين زين العابدين عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف التحية والسلام في موسم الحج حين حج هشام والفرزدق ورأى هشام عدم اعتناء المسلمين به ولكنهم محبّون حقاً وصدقاً للإمام (ع) وهو

وخامسهم محمّد الباقر (ع) وهو ابنه وكان أعظم الناس زهداً وعبادة بقر السجود جبهته، وكان أعلم أهل وقته، سمّاه رسول الله (ص) الباقر، وجاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير في الكتاب، فقال له: جدّك رسول الله (ص)، يسلّم عليك، فقال: وعلى جدّي السلام، فقيل لجابر كيف هذا قال كنت جالساً عند رسول الله (ص)، والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه محمّد الباقر إنه يبقر العلم بقراً، فإذا أدركته فاقرأه منّي السلام (١٨١).

وسادسهم، الصّادق (ع) وهو ابنه وكان أفضل أهل زمانه وأعبدهم، قال علماء السيرة أنه اشتغل بالعبادة عن طلب الرّياسة، قال عمرو بن أبي المقدام (١٨٢): كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين، وهو الذي نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية، وكان لا يخبر بأمر

محبوبهم وبذلك تنحى الناس له (ع) في المواقع ولكنه مع قدرتم الظّاهرة لم يقدر على العبور بين الناس ولم يقدر على الاستلام من الزحام وبذلك قال حاسداً وبالكذب والتجاهل لخوفه أن يرغب عنه أهل الشام: أنا لا أعرفه وكان الفرزدق حاضراً قال ولكنّي أنا أعرفه بتأكيد منه ثلاثاً ـ لكنّي أنا أعرفه ـ وأنشد القصيدة المعروفة المذكورة في الكتاب وذكر الواقعة جمع كثير من المؤرخين والمحدّثين من الفريقين في مؤلّفاتهم، منها وفيات الأعيان لابن خلّكان ج ٦، ص ٩٥، شذرات الذّهب لابن العماد الحنبلي ج١، ص ١٤٢، كشف الغمّة لعلي بن عيسى الأربلي ج٢، ص ٢٦٧، المناقب لابن شهرآشوب ج ٤، ص١٦٩، حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ج١، ص٩، أمالي الشريف السّيد المرتضى ج١، ص ٦٩. الخرائج والجرائح لقطب الدّين الرّاوندي ص ٢٤٠. الإختصاص للشيخ المفيد (ره) ص١٩١، البحار للمجلسي رحمه الله ج ٤٦، ص ١٢٤، ومنهاج الكرامة للعلاّمة الحلّي ص ١٦.

وراجع جميع الأشعار في المصادر المذكورة، وقد تقدّم منّا بعض الكلام في ترجمة الفرزدق في تعليقنا رقم١٦٢.

(١٨١) قوله: وجاء جابر بن عبد الله الأنصاري إليه وهو صغير.. الخ.

رواه الصدوق في كتابه علل الشرائع باب ١٦٨، ص ٢٣٣، الحديث ١، ورواه أيضاً في أماليه المجلس السادس والخمسون ص ٢٨٩، الحديث ٩، وذكره الاربلي في كشف الغمة ج ٢، ص ٣٢١، وانظر أيضاً بحار الأنوار ج ٤٦، باب ٣ تاريخ الإمام محمد الباقر صلوات الله عليه ص ٢٢٣.

(١٨٢) قوله: قال عمرو بن أبي المقدام... الخ.

رواه الاربلي في كشف الغمة مرسلاً ج ٢، ص ٣٧٩ ونقل عنه المامقاني في رجاله تنقيح المقال ج ٢، ص ٣٢٩ ذيل ترجمة الرجل. وذكره العلامة في منهاج الكرامة ص ١٧.

إلا وقع وبه سمّوه الصادق الأمين، وكان عبد الله بن الحسن جمع أكابر[١٨٣] العلويّين للبيعة لولديه، فقال له الصادق (ع): إن هذا الأمر لا يتم، فاغتاظ من ذلك فقال: إنه لصاحب القباء الأصغر، وأشار بذلك إلى المنصور، فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يخبر به وعلم أن الأمر يصل إليه، ولما هرب كان يقول: أين قول صادقهم، وبعد ذلك انتهى الأمر إليه.

وسابعهم موسى الكاظم (ع) وهو ابنه وكان يُدعى بالعبد الصالح، وكان أعبد أهل وقته يقوم الليل ويصوم النهار، سمّي الكاظم لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال، ونقل فضله المخالف والمؤالف، قال ابن الجوزي ـ من الحنابلة[١٨٤] ـ عن شقيق البلخي قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسية، فإذا شاب حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلّاً على الناس، والله لأمضيّن إليه وأوبّخنّه، فدنوت منه فلمّا رآني مقبلاً قال: يا شقيق ﴿اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ

(١٨٣) قوله: وكان عبد الله بن الحسن جمع أكابر... الخ.

ذكره الشيخ المفيد (ره) في الإرشاد باب طرف من أخبار أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع)، ص ٢٧٦ نقلاً عن كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني بخطّه، بإسناده عن عبد الله بن محمد بن علي (ع) قال المفيد في ذيله إنّ الحديث مشهور لا تختلف العلماء بالآثار في صحّته وهو مما يدل على إمامة أبي عبد الله الصادق (ع) وأن المعجزات كانت تظهر على يده لإخباره بالغايات والكائنات قبل كونها كما كان يخبر الأنبياء (ع) فيكون ذلك من آياتهم وعلامات نبوّتهم وصدقهم على ربّهم عزّ وجلّ.

ذكره أيضاً المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٧، ص ١٢٠ نقلاً عن الخرائج والجرائح. وذكره العلامة في مفتاح الكرامة ص ١٨.

(١٨٤) قوله: قال ابن الجوزي ـ من الحنابلة ـ عن شقيق البلخي... الخ.

وهو جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن محمّد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ، المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. وله كتب كثيرة منها: صفوة الصفوة، وذم الهوى، والأذكياء، وذكرواقعة شقيق البلخي في صفوة الصفوة ج ٢، ص ١٠٤. وذكرها أيضاً علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة ج ٣، ص ٤، والمجلسي في البحار عنه وعن غيره من الفريقين فراجع ج ٤٨، ص ٨٠. وذكرها العلاّمة الحلّي في منهاج الكرامة ص ١٩.

إثم﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

فقلت: في نفسي هذا عبد صالح قد نطق على ما في خاطري لألحقنّه ولأسألنّه أن يجيبني، فغاب عن عيني، فلمّا نزلنا واقصة، فإذا به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر، فقلت أمضي إليه واعتذر فأوجز صلاته، ثم قال:

يا شقيق، ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾ [سورة طه: ٨٢].

فقلت هذا من الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين، فلمّا نزلنا زبالة، إذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماءً، فسقطت الرّكوة في البئر، فرفع طرفه إلى السّماء وقال:

أنت ربّي إذا ظمئت إلى الماء ء وقوتّي إذا أردت الطعاما

يا سيّدي مالي سواها، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤه فأخذ الرّكوة وملأها ماءً، وتوضّأ وصلّى أربع ركعات، ثمّ مال إلى كثيب رمل هناك، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الرّكوة ويشرب، فقلت: اطعمني من فضل ما رزقك الله، أو أنعم الله عليك، فقال: يا شقيق! لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فاحسن ظنّك بربّك، ثمّ ناولني الرّكوة، فشربت منها فإذا سويق وسكّر، ما شربت والله ألذّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثمّ لم أره حتّى دخل مكّة، فرأيته ليلة إلى جانب قبّة الشّراب نصف الليل يصلّي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك، حتّى ذهب اللّيل، فلمّا طلع الفجر جلس في مصلّاه يسبّح ثمّ قام إلى صلاة الفجر وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته فإذا له حاشية وأموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطّريق ودار به النّاس، يسلّمون عليه ويتبرّكون به، فقلت لبعضهم: من هذا، فقال: موسى بن جعفر، فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلّا لمثل هذا السيّد. هذا رواه الحنبلي.

وعلى يده (ع) تاب بشر الحافي، لأنّه (ع) اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات المغاني والقصب، تخرج من تلك الدّار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل، فرمت به في الدّرب، فقال لها: يا جارية! صاحب هذا الدّار حرّ أم عبد؟ قالت بل حرّ، فقال: لو كان عبداً لخاف من مولاه، فلمّا دخلت قال

مولاها: وهو على مائدة السّكر: ما أبطأك علينا فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم (ع) فتاب على يده(١٨٥).

وثامنهم، علي بن موسى الرّضا (ع) وكان أزهد أهل زمانه وأعلمهم، وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، وولّاه المأمون لعلمه بما هو عليه من الكمال والفضل، ووعظ يوماً أخاه زيداً(١٨٦)، فقال له: يا زيد ما أنت قائل لرسول الله (ص) إذا

---

(١٨٥) قوله: فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم (ع).. الخ.
ذكره العلاّمة الحلّي في كتابه منهاج الكرامة ص ١٩ وقال: وعلى يده تاب بشر الحافي لأنه (ع) اجتاز على داره في بغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب والرقص تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية.. وبيدها قمامة النقل (البقل) فرمت به في الدرب فقال لها يا جارية! صاحب هذا الدار حرّ أم عبد؟ فقالت بل حرّ، فقال (ع) صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه، فلما أخذت الماء ورجعت ودخلت عليه، قال مولاها وهو على مائدة المسكر: ما أبطأكِ علينا، فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم (ع) واعتذر وبكى واستحىٰ من فعله وعمله منه فتاب على يده.

(١٨٦) قوله: ووعظ يوماً أخاه زيداً.. الخ.
ذكره العلامة الحلّي في مفتاح الكرامة ص ١٩.
وذكره الأربلي في كشف الغمّة ج ٣، ص ١٤٨، نقلاً عن تذكرة ابن حمدون مع تفاوت يسير.
ورواه الصدوق في عيون أخبار الرضا ص ٢٣٢، باب ٥٨، الحديث ١ بإسناده عن الحسن بن موسى بن علي الوشاء البغدادي، قال: كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا (ع) في مجلسه وزيد بن موسى حاضر، قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم ويقول: نحن ونحن، وأبو الحسن (ع) مقبل على قوم يحدثهم، فسمع مقالة زيد، فالتفت إليه، فقال: يا زيد أغرّك قول ناقلي الكوفة: إن فاطمة (ع) أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار، فوالله ما ذاك إلا للحسن والحسين وولد بطنها خاصة، فأما أن يكون موسى بن جعفر (ع) يطيع الله، ويصوم نهاره، ويقوم ليله، وتعصيه أنت ثم تجيئان يوم القيامة سواء؟! لأنت أعزّ على الله عزّ وجلّ منه، إنّ علي بن الحسين (ع) كان يقول: لمحسننا كفلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب، قال الحسن الوشاء: ثم التفت إلي، فقال لي: يا حسن كيف تقرؤون هذه الآية؟: ﴿**قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ [سورة هود، الآية: ٤٦]. فقلت: من الناس من يقرأ إنّه عمل غير صالح، فمن قرأ انه عمل غير صالح فقد نفاه عن أبيه، فقال (ع): كلا لقد كان ابنه، ولكن لما عصى الله عزّ وجلّ نفاه عن أبيه، كذا من كان منا لم يطع الله عزّ وجلّ فليس منا، وأنت إذا أطعت الله عز وجل فأنت منا أهل البيت.
أقول: قال الشريف المرتضى في أماليه ج ١، ص ٥٢، المجلس ٣١ بعد أن ذكر وجوهاً في تأويل الآية الكريمة:
فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فالقراءة المشهورة بالرفع، وقد روى عن جماعة من

سفكت الدّماء وأخفت السبيل، وأخذت الأموال من غير حلّها، غرّك حمقاً أهل الكوفة، وقد قال رسول الله (ص) إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على

المتقدمين أنهم قرأوا: إنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِحٍ بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه، فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير: أن ابنك ذو عمل غير صالح، وصاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، إلى أن قال:

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعّفها قوم وقالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملاً غير صالح، لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملاً غير حسن، وليس وجهها بضعيف في العربية، لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس، فيقول القائل: قد فعلتَ صواباً، وقلتُ حسناً، بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً.

وقال شيخ الطائفة الطوسي في التبيان ج ٥، ص ٤٩٤:

قرأ الكسائي ويعقوب: إنه عمِلَ غيرَ صالح، على الفعل، ونصب (غير) الكسائي، الباقون (عمل) اسم مرفوع منوّن، (غير) رفع. إلى أن قال:

في هذه الآية حكاية عمّا أجاب الله به نوحاً حين سأله نجاة ابنه بأن قال له: يا نوح إنه ليس من أهلك، وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها ـ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسّرين: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك، وإنه كان ابنه لصلبه، بدلالة قوله: ونادى نوح ابنه، فأضافه إليه إضافة مطلقة.

والثاني، إنه أراد بذلك أنه ليس من أهل دينك، كما قال النبي (ص): سلمان منا أهل البيت، وإنما أراد على ديننا. (قد مرّ منا مصادره في التعليقة الرقم ١١١).

ثالثها، قال الحسن ومجاهد: إنه كان لغيره وولد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر فأعلمه الله باطن الأمر، فنفاه منه على ما علمه، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح.. الخ.

أقول: ذكرنا هذين عن المرتضى والطوسي (رضي الله عنهما) توضيحاً للحديث.

وأيضاً في معناه ومضمونه حديثين آخرين في العيون الحديث ٤، ص ٢٣٤ والحديث ٦، ص ٢٣٥ من الباب فراجع.

(١٨٧) قوله: وضرب المأمون اسمه على الدّراهم.. الخ.

قال المسعودي في مروج الذهب ج ٣، ص ٤٤٠.

المأمون وعلي بن موسى الرضا (ع): ووصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا، وهو بمدينة مَرو، فأنزله المأمون أحسن إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وزوّج محمد بن علي بن الرضا بابنته أمّ الفضل، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك.

النّار، والله ما نالوا ذلك إلاّ بطاعته، إنك إذن لأكرم على الله منهم. وضرب المأمون اسمه على الدّراهم والدنانير، وكتب إلى الآفاق ببيعته، وطرح السّواد ولبس الخضرة[١٨٧]. وقيل لأبي نواس لِمَ لا تمدح الرّضا (ع) فقال:

قيل لي أنت أفضل النّاس طراً في المعاني وفي الكلام النبيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى وللخصال الّتي تجمعنّ فيه
قلت: لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه[١٨٨]

وتاسعهم ولده محمد الجواد (ع)، وكان على منهاج أبيه في العلم والتّقى والجود، ولما مات أبوه الرّضا (ع)، شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوّجه ابنته أمّ الفضل وكان قد زوّج أباه الرّضا (ع) بابنته أمّ حبيب، فغلظ ذلك على العباسيّين واستكبروه وخافوا أن يخرج الأمر منهم وأن يبايعه كما بايع أباه، فاجتمع الأدنون منه وسألوه ترك ذلك وقالوا إنّه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به فإن شئتم امتحنوه فرضوا بذلك وجعلوا للقاضي يحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يعجزه فيها فتواعدوا إلى يوم، فأحضره المأمون وحضر القاضي وجماعة العباسيّين، فقال القاضي: أسألك عن شيء، فقال له (ع): سل، فقال: ما تقول في مُحرم قتل صيداً، فقال له الإمام (ع): قتله في حلّ أو حرم، عالماً أو جاهلاً، مبتدياً بقتله أو عائداً، من صغار الصّيد أم من كبارها، عبداً كان المحرم أو حرّاً، صغيراً كان أو كبيراً، من ذوات

---

(١٨٨) قوله: وقيل لأبي نواس لِمَ لَمْ تمدح الرضا (ع).. الخ.

أقول: ذكر الصدوق (ره) في عيون أخبار الرضا ج ٢، ص ١٤٢، باب ٤٠، الحديث ٩ بإسناده عن محمّد بن سليمان النوفلي، قال: إن المأمون لما جعل علي بن موسى الرضا (ع) ولي عهده وأن الشعراء قصدوا المأمون ووصلهم بأموال جمّة حين مدحوا الرضا (ع) وصوبوا رأي المأمون في الأشعار دون أبي نواس إذ أنه لم يقصده ولم يمدحه، ودخل على المأمون، فقال له: يا أبا نواس قد علمت مكان علي بن موسى الرضا منّي وما أكرمته به، فلماذا أخرت مدحه وأنت شاعر زمانك وقريع دهرك؟ فأنشد يقول:

قيل لي أنت أوحد الناس طرا في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعليٌّ من جوهر الكلام بديع والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

الطّير كان الصّيد أم من غيرها، فتحيّر يحيى بن أكثم وبان العجز في وجهه حتّى عرفه جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثمّ أقبل على الإمام فقال: أتخطب؟ فقال: نعم فقال: أخطب لنفسك خطبة النكاح، فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً مهر جدّته فاطمة (ع)، ثمّ تزوّج بها(١٨٩).

وعاشرهم عليّ بن محمّد الهادي (ع)، ويقال له العسكري لأنّ المتوكّل أشخصه من المدينة إلى بغداد، ثمّ منها إلى سرّ من رأى، فأقام بموضع عندها يقال له العسكر ثمّ منها إلى سرّ من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، وإنّما أشخصه المتوكّل لأنّه كان يبغض عليّاً (ع)، فبلغه مقام علي بالمدينة وميل النّاس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هرثمة وأمره بأشخاصه فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه لأنّه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة في المسجد فحلف لهم يحيى أنه لا مكروه عليه ثمّ فتش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عينه وتولّى خدمته بنفسه فلمّا قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطاهري والي بغداد فقال له يا يحيى هذا الرّجل قد ولده رسول الله (ص) والمتوكّل من تعلم فإن حرّضته عليه قتله وكان رسول الله (ص) خصمك يوم القيامة فقال له يحيى والله ما وقفت منه إلاّ على خير فلمّا دخلت على المتوكّل أخبر به بحسن سيرته وورعه وزهده فأكرمه المتوكّل ثمّ مرض المتوكّل فنذر إن عوفي يتصدّق بدراهم كثيرة فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً فبعث إلى عليّ الهادي (ع) سأله فقال تصدّق بثلاثة وثمانين درهماً فسأله المتوكّل عن السّبب فقال لقوله تعالى:

---

(١٨٩) قوله: ولما مات أبوه الرضا (ع)، شغف به المأمون... الخ.

ذكره العلامة الحلّي في منهاج الكرامة ص ٢٠.

رواه علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسيره عن محمد بن الحسين (الحسن) عن محمد بن عون النصيبي ج ١، ص ١٨٢ ذيل الآية:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩٥].

وذكره أيضاً تفصيلاً المفيد (ره) في الإرشاد، عن الحسن بن محمد بن سليمان عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريّان ابن شبيب، ص ٣١٩ باب طرف من الأخبار عن مناقب أبي جعفر (ع) ودلائله ومعجزاته.

وذكره أيضاً بتفصيله الطبرسي في الاحتجاج ج ٢، ص ٢٤٠ عن الريّان بن صلت، فراجع.

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ [سورة التوبة: ٢٥]. وكانت المواطن هذه الجملة، قال: النبيّ (ص) غزا سبعاً وعشرين غزاة وبعث ستّاً وخمسين سريّة(١٨٣).

قال المسعودي: نمي(١٩٠) إلى المتوكّل بعليّ بن محمّدأنّ في منزله سلاحاًمن شيعته من أهل قم وأنّه عازم على الملك فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره (ع) ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ وعليه مدرعة صوف وهو جالس على الرّمل والحصى متوجّهاً إلى الله تعالى فحمل على حالته تلك إلى المتوكّل فأُدخِل عليه وهو في مجلس الشراب، والكأس في يد المتوكّل،

---

(١٩٠) قوله: نمي إلى المتوكل بعلي بن محمد (ع).. الخ.

ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب ج ٤، ص ١١، قال فيه: وقد كان سعي بأبي الحسن علي بن محمّد إلى المتوكّل، وقيل له: إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، فوجه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأخذ على ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكّل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين! ما خامر لحمي ودمي قط، فأعفني منه، فعافاه، وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بد أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غُلبُ الرجال فما أغنتهم القُلل
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً، يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها إلى الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال: فأشفق كل من حضر على علي، وظن أن بادرة تبدر منه إليه، قال: والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب.

فعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قطّ، فاعفني فأعفاه وقال له أسمعني صوتاً فقال (ع): **﴿كم تركوا من جنّات وعيون الآيات﴾** [سورة الدخان: ٢٥].

فقال: أنشدني شعراً فقال: إنّي قليل الرّواية للشّعر، فقال: لا بدّ من ذلك فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرّجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم أين الأساور والتّيجان والحلل
أين الوجوه الّتي كانت منعّمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائله تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وقد شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكّل حتّى بلّت دموعه لحيته.

والحادي عشر منهم ولده الحسن العسكري (ع)، وكان عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه روت عنه العامّة كثيراً والخاصّة كذلك ومن جملتها ما روت الثقات بالأسانيد الصحيحة من كلامه مشافهة(١٩١) وهو قوله:

قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام الفتوّة والهداية، فنحن ليوث الوغى، وغيوث النّدى، وفينا السّيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدّين وحُلفاء اليقين، ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم، فالكليم ألبس حلّة الإصطفاء لما عهدنا الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزّاكية، صاروا لنا رداءاً وصوناً، وعلى الظّلمة إلباً وعوناً، وسيفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام الطواوية والطّواسين من السّنين.

والثّاني عشر ولده الخلف المنتظر المهدي محمد بن الحسن صاحب

---

(١٩١) قوله: ما روت الثقات: نقله العلاّمة المجلسي (ره) في بحار الأنوار ج ٧٨، ص ٣٧٨، فراجع.

الزّمان (ع) روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): «يخرج في آخر الزّمان رجلٌ من ولدي اسمه كإسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فذلك هو المهدي»(١٩٢).

---

(١٩٢) قوله: روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر قال: الحديث ذكره بعينه العلاّمة الحلّي في منهاج الكرامة ص ٢٢ وأما الحديث فمعروف مشهور عند الفريقين ورد عن النبي (ص) بألفاظ مختلفة نذكر ههنا طرفاً منها:

روى الشيخ الطوسي (ره) في الغيبة ص ١١١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر: إن المهدي من عترتي، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان، ينزل له من السماء قطرها وتخرج له الأرض بذرها فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأها القوم ظلماً وجوراً.

وروى أيضاً في الأمالي ج ٢، ص ١٢٦ الجزء الثامن عشر الحديث ٢٦ بإسناده عن خمر بن نوف أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف عندها، حتى يملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد أن يقول الله، ثم يبعث الله عز وجل رجلاً منّي ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها، ويحثو المال حثواً ولا يعده عداً، وذلك حتى يضرب الإسلام بجرانه.

وروى الصدوق (ره) في كمال الدين باب ٢٤، الحديث ٣٥، ص ٣٩٦ بإسناده عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله (ص): إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثني عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب، قيل فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنوره (ربه) ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

وروى المجلسي في البحار ج ٥١، ص ٧٣، الحديث ١٨، عن كمال الدين للصدوق (رض) بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) إمام أمّتي وخليفتي عليهم بعدي ومن ولده القائم المنتظر الّذي يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والّذي بعثني بشيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ فقال: إي وربّي ﴿وليمحّص الله الّذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤١] يا جابر إنّ هذا لأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، مطويّ عن عباده، فإيّاك والشكّ في أمر الله فهو كفر.

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٤، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨ أحاديث فراجع وأيضاً أخرج المتقي في كنز العمال ج ١٤، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ أحاديث فانظر فيها، منها: عن ابن مسعود عن رسول الله (ص): يخرج رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي وخلقه خلقي، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت

وأمثال ذلك كثيرة، فهؤلاء الأئمّة الفضلاء المعصومون الّذين بلغوا الغاية في الكمال ولم يتّخذوا ما اتّخذ غيرهم من الأئمّة المستعلين بالملك وطلب الدّنيا وأنواع المعاصي والملاهي وشرب الخمور والفجور وفيهم قيل:

شفيعي نبيّ والبتول وحيدر وسبطاه والسّجاد والباقر النجدي
وجعفر والثاوي ببغداد والرّضا ونجل الرضا والعسكريان والمهدي

هذا آخر المعارضات مع الصوفي المعترض على الشّيعي، أو آخر الأبحاث المتعلّقة بالأئمّة (ع)، وآخر المقدّمة الأولى المشتملة على بحث التّأويل وتعريفه وتخصيص التّأويل بأهل البيت (ع) وأرباب التّوحيد من تابعيهم، وإذ فرغنا منها فلنشرع في المقدّمة الثانية وبحث الكتاب الآفاقي والقرآني والتطبيق بينهما على سبيل الإجمال والتّفصيل، والله المستعان وعليه التّكلان وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

ظلماً وجوراً.
وإن شئت الاطلاع أكثر فراجع تعليقتنا الرقم ٥٧.

قد تمّ بحمـد الله والمنّـة المجلّد الأوّل من تفسير المحيط الأعـظم للسيّد الفقيه العـارف السيّد حيدر الآملي رضي الله عنه حسب تجزئتنا، ويليه إن شاء الله المجلّد الثاني المشتمل على المقدّمات الثانية والثالثة والرّابعة .

